

المنهاج الواضح
في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

تأليف أحمد بن ابراهيم الماجري

تحقيق

د. عبد السلام السعيدي

الجزء الأول



1434هـ / 2013م

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

المنهاج الواضح

في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

المنهاج الواضح

في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

تأليف أحمد بن ابراهيم الماجري

تحقيق

د. عبد السلام السعيدي

الجزء الأول

1434هـ / 2013م

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الكتاب : المنهاج الواضح

في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

تأليف: أحمد بن ابراهيم الماجري

تحقيق : عبد السلام السعيدي

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطبعة الأولى : 1434 هـ/ 2013 م

الإيداع القانوني : 2013MO2092

ردمك : 978-9954-601-21-1

الإخراج الفني والطباعة

دار أبي رقراق للطباعة والنشر

الهاتف : 05 37 20 75 83 - الفاكس : 05 37 20 75 89

البريد الإلكتروني : editionbouregreg@gmail.com

تقديم

كتاب «المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح دفين مدينة آسفي»، لأحمد بن ابراهيم الماجري هو من كتب المناقب التي تعرف بصلحاء المغرب وطرقهم. وكان قد طبع بالقاهرة سنة 1352هـ في طبعة يعتريها بتر في العديد من الصفحات، مليئة بالأخطاء، وبلا تحقيق. بل إن ناشره لم يكلف نفسه، حتى عناء وضع فهرس عام لأبواب هذا الكتاب وفصوله. ومع ذلك، فإن هذه الطبعة، قد ساهمت، بقسط كبير في حفظ، قسم مهم من تراث الطائفة الماجرية بشكل عام.

من الملاحظ كذلك أن المنهاج الواضح لم يحظ باهتمام الباحثين، بما فيه الكفاية. باستثناء، ما أفاد منه، بعض الأساتذة مؤخرا[1]. وقد تعرض هذا الكتاب بالدرس والتحليل لترجمة أبي محمد صالح، حيث حاول فيه مؤلفه الإحاطة بالجوانب المهمة من حياته، ومناقبه ومجاهداته، موضحا أسس طريقته التي قامت عليها طائفته.

وهو، أيضا، سجل حافل لتاريخ الطائفة الماجرية، التي يمكن اعتبارها، من أول وأشهر وأكبر الطوائف الصوفية، التي ظهرت في

---

(1) تجدر الإشارة هنا إلى بعض الاعمال مثل:

- «معطيات مدرسة أبي محمد صالح، نموذج: تاسيس ركب الحاج المغربي» للاستاذ محمد المنوني، نشر ضمن: «اعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة آسفي 1988...»
- «الماجريون» للاستاذ محمد بن شريفة.
- «قراءة في زمن أبي محمد صالح للاستاذ محمد القبلي» أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري للاستاذ عبد اللطيف الشاذلي، وكلها نشرت في كتيب: «أبو محمد صالح المناقب والتاريخ»، النشر العربي الافريقي 1990. وهو يشتمل على اعمال الملتقى الثاني لمدينة آسفي.

كما افاد من كتاب المنهاج الاستاذان: حليمة فرحات وحامد التريكي في بحثهما:

- Hagiographie et religion au Maroc médieval : Hesp T.1986.p/17

المغرب، منذ القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي. اهتم فيه مؤلفه بنشأتها، وتتبع مراحل توسعها، وبأسسها الصوفية، وطقوسها، ومكوناتها الدينية وتنظيماتها، وتراتبها الهرمي، ومجال انتشار إشعاعها، وتوسعه شرقا وغربا؛ مبرزا الصعوبات، التي واجهت أبا محمد صالح، في إقامة مشروعه، الهادف إلى المساهمة في ترسيخ وتركيز دعائم الإسلام، والحرص على التطبيق الفعلي لأركانه مثل الحج، وذلك عن طريق التمسك بالإطار العام للمذهب المالكي.

ويوضح المؤلف في هذا الكتاب ان الطريق المؤدية إلى بلوغ هذا الهدف، لم تكن مفروشة بالورود بالنسبة لشيخ الطائفة الماجرية، فقد اصطدم، بمعارضة الفقهاء القوية، وهم الذين واجهوا مشروعه بالرفض والاستنكار، محاولين إفشاله على اعتبار أنه مشروع، من صنف البدع المستوردة، إلا ان ذلك لم يمنع، من إقامة هذه التجربة، التي يمكن اعتبارها كذلك تجربة جديدة في الاتجاه الصوفي المغربي.

لقد تزامن تنفيذ وإقامة مشروع الطائفة الماجرية، مع فترة من تاريخ الدولة الموحدية، خاصة فترة تراجع قوتها، وهي فترة شهد فيها الغرب الإسلامي، عامة، العديد من التقلبات السياسية والاجتماعية، فاثر ذلك فيما بعد، على السير العادي، لتطبيق مبادئ الطائفة، والحفاظ على تنظيماتها وطقوسها.

وبرزت هذه الظاهرة، بالخصوص، في السنوات الأخيرة من فترة حياة أبي محمد صالح، بعد ان اقبل بعض الذين ينتسبون إلى هذه الطريقة، بضروب من الانحرافات والجهالات، فتسببوا في الإساءة إليها. ونسبوا إليها ما ليس فيها. فقاموا بذلك بتشويه مبادئها، وطقوسها، ومثلها العليا والسلوك السوي والمعاملات الصادقة، التي دعا إليها شيخها. وهو

ما نجد له، صيحات الاستنكار والتذمر، في صفحات المنهاج، إلى جانب الدعوات الملحة، والمتكررة الداعية للتقويم، والإصلاح.

ورغم أن محاور المنهاج، قد ركزت، على مثل هذه الجوانب، أكثر من غيرها، فإنها لوحت إلى جوانب أخرى، مثل علاقة الطائفة الماجرية بالمخزن الموحدي والمريني، وبعض الطوائف الأخرى، ودون إهمال التأثير، الذي مارسته على المجتمع، وعلاقتها بمختلف فئاته، خاصة في الجنوب المغربي... وهو ما يشكل بالتالي، إسهاما جديدا في التاريخ الديني والاجتماعي لمدينة آسفي في القرن السابع الهجري، إضافة إلى قيمة الكتاب العلمية والأدبية والتربوية.

مصادر ومراجع الطائفة الماجرية

من الملاحظ أن المصادر التي اهتمت بتاريخ الطائفة الماجرية، تختلف موضوعا ومادة وأهمية. فهناك نقط قامت هذه المصادر بمعالجتها جزئيا، بينما بقيت أخرى دون اهتمام أحد، ولم تتم معالجتها؛ معالجة مباشرة وموضوعية، خاصة تلك التي تهم، جوانبها التنظيمية والتربوية والاجتماعية.

ومع ذلك، تمت محاولة استغلال معطيات المصادر التي تتوفر على معلومات لازمة ومفيدة لموضوع البحث[1]، بغض النظر عن اقتراب مؤلفيها، أو معاصرتهم للفترة المدروسة، أو انتمائهم لمجالها الجغرافي.

وهكذا فالعبر مثلا لابن خلدون، المتوفى (808هـ-1406م) أهم بكثير من « القرطاس » لابن أبي زرع (القرن 8هـ) خاصة فيما يتعلق بالعديد من التفاصيل؛ التي تهم أحداث الجنوب المغربي؛ في القرن السابع الهجري.

و« أنس الفقير» لابن قنفذ المتوفى (809هـ-1406م) لا يقل أهمية عن « التشوف » لابن الزيات لتوضيح معالم الخريطة الصوفية لبعض مناطق هذا الإقليم في الفترة نفسها.

ويمكن تصنيف هذه المصادر[2] حسب فائدتها كالتالي:

(1) تركزت محاولة استغلال مصادر ومراجع هذا البحث على أساس تطبيق فكرة التكامل والتعديل لمعطياتها، تلافيا للوقوع في أسلوب الظن والتخمين.

(2) عن طريقة التعامل مع المصادر راجع:

بول باسكون Paul Pascon =

إرشادات عملية لإعداد الرسائل والاطروحات ترجمة احمد عريب، الرباط 81 ص 5.

وكذلك احمد بدر : اصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، طبعة 82، ص 216.

أ- ظهير مريني:

تم الحصول على ظهائر منها ظهير صادر عن موسى بن السلطان المريني أبي عنان (788هـ -1386م)، يدور مضمونه العام حول تجديد عهد المرنيين لطائفة أبي محمد صالح ومساندتهم لها، وتقديم بعض الإنعامات لحفدته.

وقد تم استغلال معطياته، في محور علاقة الطائفة الماجرية، بالمخزن المريني، بعد سقوط دولة الموحدين.

ب-كتب المناقب زاخرة بالأخبار المتعلقة بالمجتمع وأصوله الثقافية:

1- وفي مقدمتها، كتاب «**المنهاج الواضح**» لأحمد بن ابراهيم[1]، وهو موضوع البحث، تم الاعتماد عليه، اعتمادا كليا في القسم الخاص بالدراسة[2].

2- **التشوف إلى رجال التصوف**، لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، المعروف بابن الزيات، المتوفى سنة 627هـ1229م، تحقيق الأستاذ أحمد التوفيق، ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1984.

يعتبر معجما ترجم فيه مؤلفه لـ 277 شخصية صوفية مغربية، وهو من أهم مصادر التصوف المغربي في فترة المرابطين وقسم مهم من فترة الموحدين، جنينا منه فوائد كثيرة، تم استغلالها في التحقيق، كترجمة أبي محمد صالح، وشرح العلاقات بين الأتقياء، ودورهم الاجتماعي ووصف الوضع الصوفي في المغرب، في بداية القرن السابع الهجري، إضافة إلى الاستفادة الخاصة بالتعقيبات المفيدة، التي وضعها المحقق،

= علي امليل: الخطاب التاريخي، معهد الإنماء العربي 11.

(1) لم سيتم نشرها لاحقا.

(2) عن مضمون كتاب المنهاج الواضح وقيمته، راجع الفصلين 2 و6 من الدراسة.

وعددهم ستة وأربعون[1] .

وقفنا فيه على معطيات غنية، استغلت في ترجمة الشيخ أبي محمد صالح، والتعرف على مستواه العلمي، وعلى كتابه «**رسالة المريدين**» كما تمت مقارنة هدق محتواه العام، بمحتوى المنهاج الواضح، قصد الوقوف على قاسمها المشترك، وذلك في إطار التكامل الموجود بين المصدرين.

5- **دعامة اليقين في زعامة المتقين**، لأبي العباس العزفي المتوفى سنة 633هـ حققه الأستاذ أحمد التوفيق. نشرته مكتبة خدمة الكتاب سنة 1989 بالرباط.

يذكر أحمد بن ابراهيم في المنهاج أن هذا الكتاب كان من المصادر التي اطلع عليها قبل تاليفه لكتابه، ويدور موضوعه حول مناقب الشيخ أبي يعزى، وكراماته، إضافة إلى عرض أسس التصوف العامة، حصلت لنا منه فائدة كبيرة في تحقيق نص بعض الكرامات في نص المنهاج.

ج- كتب الرحلات :

تتميز كتب الرحلات بكونها تتعرض إلى جميع جوانب الحياة، فيجد فيها المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد وغيرهم ما لا يجدونه في المصادر التقليدية العامة، فمعظم المعطيات التي تهم مثل هذه العلوم، دونها الرحالة، تدوين المعاينة في أغلب الأحيان ومن هنا جاءت فائدتها العلمية الكبرى لكونها تقدم لنا مادة متعددة الجوانب.

1- **أنس الفقير وعز الحقير**، لأبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني المتوفى سنة 810هـ.

---

(1) سعيد أعراب: مقدمته في تحقيق المقصد، المطبعة الملكية، الرباط، ص:7.

حققه محمد الفاسي وأدولف فور، ونشره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط، سنة 1965 . وهو عبارة عن رحلة، قام بها ابن قنفذ إلى المغرب، بقصد زيارة أضرحة الأولياء. وقد ركز الكلام على أبي مدين الغوث وأصحابه وتلامذته، واهتم في وصفه كذلك، بدكالة، وبرجالات التصوف فيها وطوائفهم، وزواياهم.

نعثر فيه، على معلومات مهمة، تتعلق بحياة أبي محمد صالح، ومكانته وطائفته، وعلاقة الطائفة الماجرية بالطوائف الأخرى. ومكنتنا كذلك من معرفة الخريطة الصوفية، لمنطقة مهمة من الجنوب المغربي، في القرن السابع الهجري؛ وبذلك يمكن اعتبار الأنس، مكملا لما جاء في المنهاج والاثمد والمقصد، نظرا لما يزخر به من معطيات لا غنى عنها لمن يريد الكتابة عن تاريخ التصوف المغربي في هذه الفترة.

2- **نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب**: للسان الدين بن الخطيب، المتوفى سنة 779هـ، قام بتحقيق هذه الرحلة أحمد مختار العبادي، ج 2، دار المعرفة، الدار البيضاء. وهي رحلة قام بها مؤلفها لبعض الأقاليم المغربية. وفازت دكالة بقسط مهم منها، فجاء حديث ابن الخطيب عنها مركزا على منطقة بني ماجر وما تضمه من مراكز دينية وعلمية، خاصة تلك التي زارها بآسفي مثل: ضريح أبي محمد صالح، حيث التقى بحفدته وكبار زعماء الطائفة الماجرية، والتعرف على مكانة بعض زعمائها وسلوكهم، وما أصبحت عليه ممارسة طقوسها.

3- **رحلة ابن جبير**: لمحمد بن أحمد الكتاني البلنسي، المتوفى (614هـ 1217م) المسماة، بتذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار الشرق العربي بيروت وبلا تاريخ. وكانت بدايتها سنة (578هـ 1183م)، أما

لتوضيح وشرح أسماء الأعلام، والتي اعتمدناها في توضيح أسماء الأعلام البربرية، الواردة في نص المنهاج الواضح.

3- المستفاد في مناقب العباد لأبي عبد الله محمد التميمي الفاسي

4 - اثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين، تاليف ابن تجلات عبد الله بن محمد بن عبد الله، التادلي المراكشي. كان حيا، صدر المائة الهجرية الثامنة[1].

خصص ابن تجلات، كتابه هذا لترجمة أبي عبد الله الهزميري وأخيه أبي عبد الرحمن الهزميري، ومجاهداتهما الصوفية، والتعريف بالطائفة الغماتية، ويعد من المصادر الأساسية، لمن يريد الكتابة عن تاريخ التصوف الطائفي في الجنوب المغربي، في القرن السابع الهجري، ومكملا لما جاء في المنهاج في هذا المجال.

5- المقصد الشريف والمنزع اللطيف، في التعريف بصلحاء الريف، لعبد الحق بن إسماعيل البادسي، كان حيا سنة 722هـ 1322م حققه سعيد احمد أعراب وطبع بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1982. وقام جورج كولان بترجمته إلى الفرنسية[2].

حاول البادسي، في المقصد تقديم نموذج مشابه للتشوف لابن الزيات، فترجم فيه لصلحاء شمال المغرب، من أهل منتصف القرن السادس، إلى أوائل القرن الثامن الهجريين.

قسمه الأول، عن المقامات والكرامات عامة. والثاني عن حياة الخضر عليه السلام. والثالث عبارة عن معجم للتعريف بصلحاء الريف

---

(1) حققه الاستاذ محمد رابطة الدين ونال به دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1986.

(2) جورج كولان: Archives Marocaines T27.Paris : 1926.

زمانها، فكان أيام احتلال الصليبيين لبلاد الشام، زمن حكم السلطان صلاح الدين في مصر.

وفي كل بلد يحل به مؤلف هذه الرحلة، يشغل نفسه كثيرا بإحصاء مساجده، وبزيارة قبور الصحابة والصالحين، ووصف الأماكن المقدسة بمكة والمدينة والمدارس والمستشفيات. ولم يخف استياءه مما شاهده من شؤون الحكام والمسؤولين في البلاد الإسلامية. لكنه، بالمقابل، يمجد صلاح الدين لعنايته بالحجاج المغاربة. كما أنه لم يخف أمانيه الحقيقة[1] في انتصار الدعوة الصوفية الموحدية. وخلال هذه الإشارات المهمة، نعثر كذلك على معطيات عن المغرب والمغاربة في فترة الحكم الموحدي تهم بالخصوص الحياة الاقتصادية والأخلاقية[2].

4- رحلة العبدري المسماة، بالرحلة المغربية لمحمد بن محمد بن علي الحيحي. كان على قيد الحياة سنة (688 هـ 1289م)، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، سلسلة الرحلات، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، 1968.

تزخر هذه الرحلة الحجازية بالعديد من المعطيات الدينية والعلمية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية، التي عاينها العبدري أثناء مروره ببلدان ومدن المغرب الكبير ومصر والديار المقدسة. وذلك انطلاقا من إقليم حاحة وبلاد القبلة والسوس الأقصى. فالعبدري يتحدث في هذه الرحلة عن العلماء بالشرق وعلاقتهم بعلماء المغرب، وزيارة الأولياء والتمسك بأركان الإسلام.

وفي ما يتعلق بالمغرب يشير إلى التراجع العمراني وانعدام الأمن

---

(1) حسني محمد حسن: أدب الرحلات عند العرب، المكتبة الثقافية مصر، 1976، ص: 22 وما بعدها.

(2) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ج1 1983، ص:53.

واستمرار الفتن في بلاد القبلة[1] عامة، والناتج عن غياب السلطة المركزية بها. وقد عملنا على الاستفادة من مثل هذه المعطيات في رسم صورة تقريبية لظرفية تأليف المنهاج الواضح، والظرفية السياسية والاجتماعية للطائفة الماجرية.

5- **رحلة التجاني**، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن احمد التيجاني التونسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1980. كان على قيد الحياة سنة (717هـ 1317م). قام بتحقيقها حسن حسني عبدالوهاب. نشرتها الدار العربية للكتاب بلا تاريخ. شملت رحلته تونس وليبيا.

نعثر فيها على بعض الأخبار، عن دولة الموحدين ومعاركهم وحروبهم، في المغرب الكبير والأندلس، من فترة عبد المؤمن وإلى ما بعد حكم الناصر الموحدي. كما نجد فيها بعض الأخبار الأدبية الخاصة بالمغرب.

د- كتب التراجم:

1- **المعزى في أخبار الشيخ أبي يعزى**، لأحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي، المتوفى سنة 1013هـ 1604م، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك 2323. يدور موضوعه حول أخبار أبي يعزى المتعلقة بنسبه وأشياخه، وكراماته وتلامذته، وإخوانه وآداب زيارته[2]؛ ويوجد به حديث عن أبي محمد صالح، يؤكد فيه المؤلف، صحبته لأبي مدين وكرامته، وملازمته له.

2- **بهجة النظارين وأنس العارفين، ووسيلة رب العالمين، في مناقب رجال امغار الصالحين**، لمؤلفه محمد بن عبد العظيم بن عبد الله

(1) محمد المنوني م س، 779-80.

(2) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 83، الجزء الاول، ص: 146.

الأزموري، كان على قيد الحياة سنة 900هـ 1500م، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1510د.

يضم تراجم لبني امغار، شرفاء تيط، ومالهم من كرامات، وعلاقتهم بالمخزن. تم العثور فيه على معطيات مهمة تعم المراحل الأولى من تعليم الشيخ أبي محمد صالح، وتلقيه العلم على يد أبي عبد الله امغار، أحد شيوخ تيط، كما نجد فيه إشارات تؤكد صحبة شيخ آسفي لشيخ تلمسان أبي مدين.

3- **النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب** لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي الفضل سعيد بن صعد الأنصاري المتوفى، عام 901هـ 1496م، مخطوط، الخزانة العامة ك 1292، يضم تراجم للأولياء والعلماء على مستوى العالم الإسلامي، منذ عصر الصحابة.

ترد فيه تراجم مغربية[1] نجد فيها ذكر أبي محمد صالح، والتأكيد على صحبته لأبي مدين.

4- **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء، في المائة السابعة ببجاية**، تاليف أبي العباس الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله المتوفى سنة 714هـ حققه عادل نويهض، نشر لجنة التاليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1969، ترجم فيه مؤلفه لأكثر من مائة وأربعين، من علماء ومتصوفة القرن السابع الهجري. مكننا من أخذ صورة عن المستوى العلمي والثقافي الذي كانت تعيشه بجاية، التي مر منها أبو محمد صالح، وعاش فيها مدة مؤلف المنهاج، ومقارنتها مع مراكز أخرى، في الشرق العربي والمغرب الكبير، إضافة إلى التراجم التي استفدنا منها، في التعريف ببعض الأعلام الواردة في نص المنهاج.

---

(1) محمد المنوني: مصادر العربية لتاريخ المغرب، مرجع سابق، ص: 121.

ك- المصادر العامة:

1- عبد الرحمن ابن خلدون (م 808هـ- 1406م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978.

2- ابن زرع الفاسي المتوفى (م ق 8هـ) **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب تاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، بالرباط 1973.

3- **مجهول: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**. دار المنصور، بالرباط، 1972.

4- **ابن عذاري (م 712هـ- 1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين**، تحقيق محمد زبير وآخرون.

5- **عبد الواحد المراكشي (م627هـ1228م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب** تحقيق سعيد العريان، الطبعة الأولى، القاهرة.

تتلخص فائدة هذه المصادر العامة بالنسبة لموضوع البحث، في استغلال المعلومات المفيدة الواردة فيها[1] والتي تهم الظرفية السياسية والاجتماعية لتأسيس الطائفة الماجرية، وظرفية تأليف كتاب المنهاج الواضح.

و- مراجع وأبحاث:

1- **آسفي وما إليه قديما وحديثا**، لمحمد بن احمد العبدي الكانوني نشر المكتبة الكبرى بمصر 1353هـ، قال عنه الأستاذ محمد بن شريفة: «كاد أن يكون معلمة مختصرة عن الجنوب المغربي، بمدنه وقبائله

(1) عن مضمون هذه المصادر العامة، راجع فهارسها في الطبعات التي تمت الإشارة إليها.

وأعلامه، مع التركيز على مدينة آسفي»[1]، نعثر فيه على حديث مفيد عن الرباط الذي أسسه أبو محمد صالح ومسجده، وتنظيمه لموكب الحج؛ وأقوال بعض العلماء المؤيدين لفكرة تنظيمه، ومن كان يسهر عليه من أولاده، في المراكز التي كان يمر بها هذا الموكب.

2- **جواهر الكمال في تراجم الرجال** للمؤلف نفسه، نشر بالدار البيضاء سنة 1359هـ؛ وهو عبارة عن معجم لأشهر رجال دكالة، كالشيخ أبي محمد صالح وأولاده وحفدته. وضمن هذه التراجم ترد إشارات هامة عن عملهم في تركيز إشعاع الطائفة الماجرية، باعتبارهم كانوا من الساهرين، على تنظيم ركب الحج، وتقديم المساعدة للحجاج، في المراكز التي كانوا يقيمون بها، على طول الطريق المؤدية إلى الديار المقدسة، وهو الجانب الذي استفاد منه البحث.

3- **معطيات مدرسة أبي محمد صالح، نموذج تأسيس ركب الحاج المغربي**: بحث نشر ضمن أعمال الملتقى الأول لمدينة آسفي يونيو 1988، شركة الطباعة والنشر بابل، بالرباط 1989 ص: 197. حاول فيه الأستاذ محمد المنوني تتبع مراحل تنظيم ركب الحجاج، منذ الفتح الإسلامي، حيث كان يسير سيرا عاديا حسب قوله إلى حدود سنة 515هـ التي عرفت صدور فتاوى الفقهاء بشأن أسبقية الجهاد، في الأندلس، على أداء فريضة الحج، بالنسبة للمغاربة، وردود فعل بعض الفقهاء، مثل ابن العربي الحفيد.

بعد ذلك يأتي الكلام عن دعوة أبي محمد صالح لتنظيم الركب والتنظيمات التي قامت بها طائفته، وعن مراكز الحجاج في المغرب الكبير والشرق العربي، وتعيين من يشرف عليها لتقديم كل المساعدات لهم.

---

(1) محمد بن شريفة: الفقيه الكانوني ومؤلفاته ضمن الملتقى الفكري الأول لمدينة آسفي، مرجع سابق، ص: 188.

4- الماجرى والماجريون

5 - **قراءة في زمن أبي محمد صالح**، للأستاذ محمد القبلي بحث نشر ضمن أعمال الملتقى الفكري الثاني، لمدينة آسفي، في كتيب صغير بعنوان «أبو محمد صالح المناقب والتاريخ» نشرته دار النشر العربي الافريقي الرباط 90، ص: 87. وهو بحث مهم مركز انصب الاهتمام فيه على إعطاء صورة واضحة عن الظرفية السياسية والاجتماعية التي ظهر فيها أبو محمد صالح، كمؤسس وزعيم للطائفة، وكمنظم لركب الحج، وما أثار ذلك من خلاف مع الفقهاء، ليتساءل الأستاذ القبلي، في الختام، عن الهدف الذي يمكن أن نستشفه من تحالف الطائفة الماجرية مع قبائل هسكورة.

6- «**أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري**» ، مقال نشر هو الآخر ضمن أعمال الملتقى الفكري الثاني، لمدينة آسفي في نفس الكتيب ص: 55، تعرض فيه الأستاذ عبد اللطيف الشاذلي، لشرح جوانب عامة، من حياة أبي محمد صالح فتناول نسبه وأسرته وشيوخه، وتعليمه ومحصوله العلمي. ومكانته الصوفية واهتمامه بفتح طريق الحج، من المغرب، وتركيز قواعد الإسلام بصفة عامة.

7- «**التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري**»، أطروحة الدولة للأستاذ عبد اللطيف الشاذلي، منشورات جامعة الحسن الثاني، سلسلة أطروحات ورسائل، بمطابع سلا 1989.

موضوع هذا البحث، كما يقول عنه صاحبه، الأستاذ عبد اللطيف الشاذلي: «محاولة لدراسة بعض الجوانب من النظام الاجتماعي، من خلال دراسة عنصر من عناصر ذلك النظام، هو الهياكل الصوفية»[1].

(1) عبد اللطيف الشاذلي: التصوف والمجتمع، المرجع اعلاه، ص: 6.

وقال: «قصدنا إلى إنجاز دراسة تركيبية تحاول وصف جانب من ميكانيكية تطور المجتمع المغربي في فترة محددة»[1] وقد حصلت لنا فائدة كبيرة من هذا البحث القيم، خاصة من بعض فصوله «كالتعريف بالمقدس وأدوار المقدس والعلاقات بين الصلحاء».

8- التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب، أثناء القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي: أطروحة دولة للأستاذ محمد مفتاح 1900- 1981 بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

تم التركيز في هذا البحث، على دراسة ظاهرة الصلاح في المجتمع مثل: «تعبير الصلاح عن القومية البربرية، أو كونها إحياء للمعتقدات الدينية الوثنية، أو تعبير عن العقلية البربرية أو ثأر ضد الانهزام السياسي». نعثر في الفصلين الثاني والثالث على حديث عن طائفة أبي محمد صالح، وعن تنظيمه لركب الحج، والعلاقة الثقافية بين الشرق والغرب الإسلاميين التي ساهم في نسجها الحجاج.

8- Hagiographie et religion au Maroc médieval.Hes.T86

ضمن هذا المقال للأستاذين حليمة فرحات وحامد التريكي، نعثر على لوحة للتعريف، بأهم كتب المناقب، في المغرب في العصر الوسيط، من أهمها التشوف لابن الزيات والمنهاج لأحمد بن ابراهيم، والاثمد لابن تجلات والمقصد للبادسي والأنس لابن قنفد.

وأشار المؤلفان إلى أن المنهاج الواضح، تم تاليفه بهدف شرح رسالة أبي محمد صالح، المؤسس لأول طائفة صوفية في المغرب. يوضح المقال كذلك معارضة الفقهاء لفكرة فتح طريق الحج، وتنظيم ركبه على يد

---

(1) عبد اللطيف الشاذلي: التصرف والمجتمع 8، ص: 8.

شيخها، مشيرا كذلك إلى ما ظهر، في الطائفة الماجرية من اعوجاج، ومحاولة تقويمه والدفاع عنها. كل ذلك كان وراء تأليف المنهاج. وهو ما يشكل أيضا أهم خصائص أصالته.

مضمون المنهاج الواضح

يعد كتاب: المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، من صنف كتب المناقب. خصصه مؤلفه أحمد بن إبراهيم للتعريف بهذا الشيخ وبمناقبه وقسمه، بعد كلمة تمهيدية، إلى صدر وثلاثة أقطاب وخاتمة.

نلاحظ أن الصدر، بفصوله الخمسة، إضافة إلى القطب الأول، بفصوله الثمانية، قد اهتمت كلها بالجوانب الصوفية العامة المعروفة.

ويبدو أن الهدف من ذلك كان هو إضفاء القاعدة الشرعية على طريقة أبي محمد صالح وتصوفه، اعتمادا على ما ورد في الكتاب والسنة، وآثار السلف الصالح وكبار شيوخ التصوف الإسلامي، إلي عصر الشيخ والمؤلف.

أما القطبان الثاني والثالث، فقد ركز المؤلف فيهما على الجوانب التي تهم حياة الشيخ وأسرته والتعريف بشيوخه ونُتَفٍ من سيرته، من خلال كراماته.

أما الخاتمة فهي في الحضّ على الحج، والمساهمة في تنظيم قوافله.

من هنا يمكن القول، إن المنهاج الواضع قد جاء زاخرا بالعديد من المواضيع المتضمنة للأصول النظرية والعلمية للتصوف الطائفي المغربي،

قسمها المؤلف على الشكل التالي:

الفصل الأول من الصدر:

يكشف مضمون الكلمة التمهيدية، ومحتوى هذا الصدر ومقدمته، وبواعث التآليف، واهم اغراضه مثل نبذ الفرقة، مقابل الدعوة إلى الائتلاف، انطلاقا من صيانة كرامات الشيخ، والتمسك بنهجه وطريقته، وخلال ذلك يبرز، هدف آخر للمؤلف نفسه، ألح عليه إلحاحا كبيرا، وهو تخليد اسمه الشخصي، بعمل علمي يتمثل في تصنيفه للمنهاج الواضح.

الفصل الثاني:

يتناول مرتبة المشايخ وصفاتهم وفضل الدعاة.

الفصل الثالث:

في نوع التربية، التي على الشيخ أن يقدمها للمريدين، ونوع السلوك الأخلاقي الذي عليهم الظهوربه.

الفصل الرابع:

في ضرورة اتخاذ الشيخ القدرة وإلزام المريد بطاعته ومشورته.

الفصل الخامس:

في حض المريد، على خدمة الشيخ بوفاء وطهارة قلب رغبة في الثواب.

القطب الأول:

مقدمته: فيما لا بد للمريدين من معرفته، واعتقاده، مثل: التوحيد وصفات الله، والتصديق بالقرآن واليوم الآخر، ومعرفة الشهادتين

والابتعاد عن الفرق الدينية.

الفصل الأول:

في معنى الولاية، ولفظ الولي.

الفصل الثاني:

في الشروط التي ألزمها الأئمة لأهل الولاية.

الفصل الثالث:

يدور الحديث فيه عن الخوف من الله، وأن الله أنعم على الولي بضروب من النعم.

الفصل الرابع:

يركز على صفات الأولياء وعلامتهم.

الفصل الخامس:

تعرض لأخلاقهم وانتقاد المعارضين لهم.

الفصل السادس:

في مدلول الكرامة لغة واصطلاحا.

الفصل السابع:

اهتم بصحة جواز الكرامة، عقلا ونقلا، والفرق بين الكرامة والمعجزة.

الفصل الثامن:

يبين حصول الكرامة وجوازها شرعا والرد على منكري الكرامات.

القطب الثاني:

الفصل الأول منه:

في معرفة نسب الشيخ، ومعرفة بلده وتاريخ مولده ووفاته.

الفصل الثاني:

في تسمية أولاده وعددهم وسيرة بعضهم.

الفصل الثالث:

في ذكر شيوخ أبي محمد صالح في الفقه والتصوف.

الفصل الرابع:

في ذكر جمل من سيره وأحواله.

الفصل الخامس:

يتضمن جمل من أفعاله وسيرته، مثل الذكر وحضّ الفقراء عليه.

الفصل السادس:

نجد فيه سردا للعديد من الدعوات لعلماء التصوف.

القطب الثالث:

التمهيد.

في ذكر الرؤيا، وفضلها، ومدلول حقيقتها.

الفصل الأول:

في ذكر رؤيا الشيخ الخاصة بعدم الاهتمام بمعارضة الفقهاء والحث على اتباع نهج شيوخ التصوف.

الفصل الثاني:

في أفعال الشيخ وأقواله.

الفصل الثالث:

نقف فيه على البداية الأولى لكرامات الشيخ.

الفصل الرابع:

انصب الاهتمام فيه على سرد بعض الكرامات منها ما يدل على قدر الشيخ ومكانته وتكريم الرسول له.

الفصل الخامس:

في الكرامات الدالة على توكله.

الفصل السادس:

في ورع الشيخ وتنزهه عن الطمع في الناس والسلطان.

الفصل السابع:

في الكرامات الدالة على زهد الشيخ.

الفصل الثامن:

استعراض ما ورد من الكرامات الخاصة باستجابة دعاء الشيخ ومكاشفته.

الفصل التاسع:

أمثلة من قراءة أبي محمد صالح لما ورد في خلد بعض الزوار والأتباع عن طريقة المكاشفة أو التنبؤ بما سيحدث لهم.

الفصل العاشر:

في الكرامات التي تمت مشاهدتها بالعيان.

الفصل الحادي عشر:

في زيارة الجن للشيخ ورؤيته لهم.

الفصل الثاني عشر:

في طيّ الأرض في الأسفار البعيدة، وإغاثة الفقراء في طريقهم إلى الحج.

خـاتمة:

في لزوم الحج والحضّ عليه، وحكمه وشروط القيام به.

إن القراءة المتأنية والمعتمدة على التمحيص والتحقيق لمختلف هذه الفصول، تجعل القارئ، يقف بسهولة ويسر، على أبرز معالم الصورة التي حرص المؤلف على تقديمها، عن عمله، والمتمثلة في المحاور الرئيسية التالية:

1- التذكير، بالعديد من قواعد التصوف ومبادئه والحث على التمسك به، بعد اختياره مع توضيح الأسس العلمية والعملية لهذا الاختيار في محاولة تربية الأتباع والمريدين، وضرورة اتخاذ الشيخ القدوة والحث على خدمته وحفظ كراماته، مع معرفة التوحيد، ومعنى الولاية، وشروطها، وصفة الأولياء.

2- تقديم ترجمة شبه ضافية وبكثير من التوضيح، تحيط بجوانب متعددة من حياة أبي محمد صالح، انطلاقا من نسبه، إلى حضه المريدين والأتباع على الحج، ومرورا بذكر تاريخ ميلاده ووفاته وتعليمه والتعريف بشيوخه، وبأسرته ومواقفه وتصوفه بصفة إجمالية.

3- إعطاء موجز، عن تاريخ الطائفة، وتنظيمها ويبرز ذلك بكل جلاء ووضوح، من خلال ممارسات الشيخ الصوفية، ومختلف كراماته وسيرته اليومية.

وقد ذكر المؤلف مقر الطائفة، واستقبال الأتباع به، مشيرا إلى جل تقاليدها وطقوسها وأهم أعمالها في ترسيخ بعض أركان الإسلام.

4- تبرير مشروعية طريقة أبي محمد صالح، والدعوة إلى إصلاحها، والدفاع عنها، ضد معارضيها.

هذه المحاور الأربعة إذا كانت تبين المحتوى الرئيسي لكتاب المنهاج الواضح، فإنها لا تحجب، أيضا، عن نظر القارئ معطيات أخرى. ويمكن العثور عليها عندما تعرض المؤلف ببعض الإطناب لكرامات الشيخ، وتصنيفها كالتالي:

- معطيات دينية:

تتمثل في كثير من الآيات القرآنية، ويصل عددها إلى مائة وستين آية، والأحاديث النبوية وعددها مائة وثمانية وأربعون، وما يفوق ذلك من أقوال المتصوفة والعلماء، والدعوات والابتهالات.

- معطيات أدبية:

يعج «المنهاج» بكثرة القصائد والقطع الشعرية، من مختلف البحور ويصل عدد أبياتها الإجمالي، إلى ما يناهز الألف ومائة بيت، مشكلة بذلك «ديوانا» من الحجم المتوسط، إضافة إلى عدد من الأمثال والحكم.

- معطيات علمية:

توضح مظاهر تكوين الشيخ الديني والفقهي ومكانة الشيوخ

الذين أخذ عنهم في مختلف المدن والبلدان التي حل بها وعنايته بالجانب العلمي والثقافي السائد في عصره ومشاركته فيه.

- **معطيات صوفية:**

نقف فيها على دافع وأهداف وشكل النهج الصوفي الذي وقع اختيار الشيخ عليه وهو اختيار لا يخرج عن الإطار العام لمذهب الإمام مالك والإجماع السني، كالذي نجد مثله عند القشيري وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي طالب المكي والغزالي وغيرهم. وبذلك شكلت معطيات هذا الجانب محورا مفيدا في التصوف المغربي وبينت عناوين العديد من فصول المنهاج أهميته.

- **معطيات خاصة بالشيخ:**

تهم أصل الشيخ وصحة نسبه، ومكانة أسرته وصلاحها ومكان ازدياده وتاريخ وفاته والمدن التي عاش فيها، وذكر زوجته الأولى والثانية وما رزق منهما من أبناء الذكور، وسيرة كل واحد منهم، ومكانة بعضهم مثل أحمد. نجد، كذلك، إشارات تخص مستوى وطريقة معيشة الشيخ في وسطه العائلي ومعاملاته مع أبنائه وأقربائه وحرصه على تقوية الوئام والتماسك بينهم جميعا.

- **معطيات عن مجاهدات الشيخ:**

تتمثل في الزهد والورع والصبر والتوكل والسخاء والوصال والعزلة، وقيام الليل والذكر المستمر والاعتكاف في المساجد والسياحة والزيارة لبعض الأولياء، وبعض المواقف الاجتماعية التي تثبت ولاية الشيخ كمصلح يعمل على تقوية التضامن الاجتماعي بين الأفراد والجماعات.

- **معطيات عن علاقة الشيخ بالمجتمع:**

نعثر عليها من خلال سرد الكرامات، وتوضح مهمة أبي محمد صالح، ودوره في المجتمع، كالمساعدة على حل العديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية كالاستشفاء من بعض الأمراض أو التخفيف من وطأة الفقر أو الجوع، أو الزيادة في كمية بعض المدخرات من الحبوب عن طريق استخدام بركته وتوسلاته.

- **معطيات تربوية:**

تعكس عمل الشيخ في ميدان التعليم والتربية وترسيخ أركان الإسلام، وتحث على الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن وملازمة المريدين للشيخ وضرورة الاستماع إليه والاقتداء بسلوكه، واتباع طريقته والحرص على مواصلة العمل، وفق تقاليدها وطقوسها.

- **معطيات عن الرباط:**

تفيد أخذ فكرة عن تأسيسه ومقره وموقعه وأدوراه الدينية والعلمية والاجتماعية.

- **معطيات عن تقاليد الطائفة:**

ومنها الحلاقة واتخاذ المرقعة والسبحة والركوة والشاشية، وملازمة الذكر بين العشاءين وقراءة السبع بعد صلاة الصبح والعصر، والمداومة على صلاة الضحى، والأدعية والابتهالات وختمها بتقبيل يد الشيخ.

- **معطيات عن مراتب الطائفة:**

مثل: الشيخ، المقدم، المريدين، التلاميذ، الحجاج، الفقراء، والأتباع.

- معطيات عن إشعاع الطائفة ومجال تنقل الشيخ والمريدين:

الخط الفاصل بين آسفي وسجلماسة، مرورا بمراكش واغمات، وأهم مراكز الأطلس الغربي، وفي اتجاه شرق المغرب الكبير، وتلمسان وبجاية والجزائر، والمهدية، وتونس، وبونة، وطرابلس، وفي اتجاه الشرق العربي، وأهم مدنه مثل الإسكندرية، والقاهرة، ومكة، والمدينة، وبعض مدن الشام والعراق.

- معطيات عن العلاقة مع الطوائف الأخرى:

تبرز من خلال تبادل الزيارات وتبادل الرسائل، بين الشيخ وبعض الصلحاء. وزيارة المريدين لهذا الأخير من المشرق والغرب الإسلاميين، وزيارة أبي محمد صالح لرباط شاكر، مما يكشف عن مدى اتساع إشعاع طائفته.

- معطيات عن الأماكن الدينية:

تهم موقع وموضع المساجد، والجوامع والرباطات والزوايا، وما تقوم به من وظائف تعليمية واجتماعية، وكمكان استقبال من له مشكل يريد المساعدة على حله.

- معطيات عن الحياة اليومية لأفراد المجتمع:

تكشف عن انشغالات أفراد المجتمع، وفئاته فالرجال يعملون في مختلف الحرف، والتجارة وترويج البضائع. أو من يشتغلون في الفلاحة، وما يتعلق بها من اعمال، ومنهم من يشتغل بالوظائف المخزنية أو العلمية والدينية، وتختص النساء بالأعمال المنزلية المعروفة.

- معطيات عن بعض المظاهر الاجتماعية:

تتمثل في عدم الأمن بالطرق، خاصة في اتجاه البقاع المقدسة،

واختلاط الرجال والنساء، وشرب الخمر، وتزوير النقود، وأكل أموال اليتيم، والغش وانتشار السحر والبخل، والمتاجرة بالرقيق.

- معطيات اقتصادية:

مع ندرتها، فإنها توضح بعض المظاهر الفلاحية، مثل وجود حقول العنب في سجلماسة وبساتين وجنان بواد نفيس، وحقول الزرع، كما نعثر ضمنها على ذكر بعض المشاكل الفلاحية مثل: نزاع القبائل على الماء والمراعي، أو فيضانات الأودية التي تقلص من المساحة المزروعة، في بعض مناطق الأطلس الغربي، أو ادخار الحبوب خوفا من المجاعة.

وعن الحرف، هناك ذكر لصناعة الرصاص، والنحاس والقصدير، واستعمال الكيمياء لتزوير العملة.

وفي مجال النقود والوزن، نعثر على إشارات للدرهم والدينار، والأوقية والميزان.

معطيات عن العلاقة مع المخزن:

توحي بسوء العلاقة بين طائفة أبي محمد صالح والمخزن الموحدي

معطيات عن الوظائف المخزنية:

مثل ذكر السلطان، الوالي، أو العامل والقاضي.

معطيات عن العمارة:

تشير إلى الطرق والمسالك، والبلدان والمدن، والعمارة، والقرى، والدور والمنازل والدكان والدهليز...

نستشف من خلال استعراض هذه المعطيات، مع تعددها واختلاف مجالاتها، أنها جاءت عرضية ومتناثرة ضمن سياق الحديث الخاص

بالمضمون العام للمنهاج، مشكلة بذلك محاور جزئية، مقارنة بالمواضيع الرئيسية، التي فازت بالنصيب الأوفر من اهتمام المؤلف.

وهكذا فإن تقديم هذه الصورة الموجزة عن مضمون هذا الكتاب، لا يتم توضيح معالمها، إلا بالرجوع إلى نصه، وقراءته قراءة متأنية وبالروح الصوفية التي كانت تهيمن على مؤلفه. فإذا تأملنا بعد ذلك المحتوى العام للمنهاج الواضح، نجده، يركز على نشر التصوف التطبيقي، المدعوم بإقرار السنة المحمدية، في إطار المذهب المالكي، ومحاربة الانحرافات العقائدية.

ترجمة أحمد بن ابراهيم
مؤلف «المنهاج الواضح»

لم يفز أحمد بن إبراهيم، مؤلف المنهاج، باهتمام الذين عاصروه، أو أتوا بعده، من المؤلفين القدماء لكتب المناقب والطباقات. فلم يخصوه بترجمة يمكن الاستفادة منها في تلمس مختلف أطوار حياته، بل لا نعثر عندهم حتى على مجرد الإشارة إليه. فالغبريني لم يذكر مؤلف المنهاج، ضمن من ترجم له في كتابه عنوان «الدراية» من معاصريه، مع أنه عاش ببجاية مدة ليست بالقصيرة[1]. وكان له اتصال بالعديد من علمائها. كما أن ابن تجلات بدوره، لم يعره أدنى اهتمام في كتاب الإثمد.

أما ابن قنفذ، فرغم وقوفه على قبر أبي محمد صالح، بآسفي، وذلك بعد وفاة احمد بن إبراهيم، بما يفوق الخمسين سنة، ولقائه بأبي العباس أحمد بن يوسف، وهو من كبار أحفاد الشيخ، فإنه لم يشر إلى مؤلف المنهاج. يقول ابن قنفذ: «وأما قبر الشيخ أبي محمد صالح، فقد وقفت عليه بآسفي، سنة ثلاث وستين وسبعمائة، ورأيت هناك أحفاده، وأكبر الحفداء، حينئذ سنا وقدرا الشيخ الصالح المسن الحاج الشهير المعظم، أبو العباس أحمد بن يوسف...»[2].

(1) Halima FERHAT et Hamid TRIKI : Hagiographie et religion, au Maroc medieval Hesp Tamuda année 1986, P:33.

(2) احمد الخطيب الشهير بابن قنفذ: انس الفقير، وعز الحقير، نشر وتصحيح محمد الفاسي وادولف فور، منشورات المركز الجامعي، للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص: 61.

مثل هذه المواقف، هي التي دفعت بروفانصال إلى أن يقول: «لا نعرف شيئا عن هذا المؤلف»[1] وبالتالي فهي تقلص كذلك، من الوظيفة التحليلية والنقدية لأهم مراحل حياته.

على أنه قد بدا واضحا، لأصحاب الكتابات الحديثة، أن هذا التهميش، الذي طبقه أولئك المؤلفون، في حق أحمد بن ابراهيم، لم يعد، من الإنصاف الاستمرار فيه، ويعد محمد بن أحمد الكانوني، في طليعة أولئك الذين حاولوا رفع الحيف، عن صاحب المنهاج فقد خصص له ترجمة قصيرة نعثر فيها على معلومات مفيدة تهم مكان مولده، ونشأته، وشيوخه، ومكان وفاته[2].

وخصه العباس بن إبراهيم من جهته، بترجمة، نقلا عما جاء في المنهاج، واقتصر فيها حديثه، على ذكر اسم المؤلف ونسبه، ومكانته الفقهية، وشيوخه الذين أجازوه، أو الذين التقى بهم، في بجاية ومصر والمغرب، مشيرا في الأخير، إلى كتاب المنهاج، وعناوين مختلف فصوله[3].

وإذا ما رجعنا إلى المنهاج الواضح، نلاحظ أن مؤلفه لا يقحم نفسه إلا عرضا، أثناء الحديث عن المواضيع التي حددها في فصول كتابه، لذلك جاءت المعلومات الخاصة بترجمته نادرة جدا، وحتى وإن وجدت، فهي لا تتعدى بعض التلميحات السريعة والمقتضبة، التي تفيد ذكر اسم بعض شيوخه والتقاءه بهم في مراكز معينة في المشرق العربي أو المغرب الكبير، والأخذ أو الرواية، عنهم أو إجازتهم له.

---

(1) ليفي بروفنصال: مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، الرباط، 77 ص: 153.

(2) محمد بن محمد الكانوني: جواهر الكمال في تراجم الرجال، الدار البيضاء، 1356هـ ص: 4.

(3) العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل بمراكش و اغمات من الاعلام، المطبعة الملكية الرباط ج1ـ ص:189.

من هنا يمكن القول إن المعطيات المصدرية، التي أمكن العثور عليها، والمتعلقة بترجمة أحمد بن ابراهيم، لا تقدم إلا فكرة بسيطة، عن بعض أطوار حياته، ومن ثم تبقى القدرة على تشكيل صياغة رؤية كلية، عن طريق تفاعله مع مجتمعه بعيدة المنال، أو تتطلب مزيدا من البحث وتسهيل الوصول إليه[1].

أسس عناصر التعريف بالمؤلف

هو أحمد بن ابراهيم بن احمد بن أبي محمد صالح الماجري، فهو ابن حميد الشيخ، كنيته أبو العباس، ولد بالإسكندرية.

وإذا كنا لا نعرف سنة ولادته بالضبط، فإننا نعرف أنه ولد وجده أحمد بن أبي محمد صالح، على قيد الحياة. جاء في المنهاج ما يؤكد ذلك.

«ومنها ما حدثني به غير واحد، ممن أدركته، من خدامه قال: خرج علينا أبو العباس، يقصد جده، يوما وهو ضاحك، فقلنا وما الذي سررت به فقال: زاد عند ولدي ابراهيم، ولد، فسماه باسمي..»[2]

وحسب المنهاج أيضا: فإن جده هذا، توفي سنة (660هـ 1261م)[3] الشيء الذي يؤكد أن المؤلف ولد قبل هذا التاريخ، ونشأ وعاش في أحضان أسرته، قبل أن ينتقل من مسقط رأسه بالإسكندرية إلى بجاية والمكوث بها مدة، والانتقال بعد ذلك إلى المغرب، للإقامة فترة بأغمات[4]، ثم الاستقرار النهائي بآسفي، حيث توفي بها، ودفن في رباط جد أبيه. وتتفق المراجع الحديثة، على أن وفاته كانت على رأس المائة الهجرية

(1) لم أتمكن لحد الآن من الحصول على كتاب البدر اللائح والمسك الفائح، في مآثر ابي محمد صالح، للكانوني رغم التحريات المتكررة.

(2) أحمد بن ابراهيم: المنهاج الواضح، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 2896 ونرمز به بالمنهاج.

(3) نفس المصدر.

(4) ظهائر أولاد الشيخ: ظهير المتوكل على الله موسى بن أبي عنان المريني.

الثامنة، أو في صدرها[1].

على أن صاحب المنهاج، قد عاصر فيما يبدو، السلطانين المرينيين، يعقوب بن عبد الحق المتوفى سنة (685هـ 1286م) وخلفه يوسف بن يعقوب المتوفى سنة (706هـ 1306م)[2].

كما عاصر العديد من العلماء والمتصوفة من أمثال: محمد بن عبد الملك المراكشي صاحب الذيل والتكملة المتوفى سنة (703هـ 1303م) وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الهزميري المتوفى سنة (678هـ 1279م)، وأخيه أبي زيد عبد الرحمن الهزميري المتوفى سنة (721هـ 1321م)[3].

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن نسب أمه، فمن المرجح أنها كانت من أسرة تشاطر أسرة أبيه الصلاح والورع، إذ يبدو أن أباه، لم يكن ليطمئن لمصاهرة أسرة، لم تتوفر فيها مثل هذه الشروط.

والده، هو ابراهيم بن احمد، حفيد أبي محمد صالح، كان فقيها صوفيا ومفتيا، نقرأ في المنهاج ما يوضح ذلك:

« حدثني الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الواحد بن يجريان الجلاوي قال: سمعت الفاضل الفقيه، أبا علي تاليت ابن علي بن صالح بن عبد الرحمن بن اسماعيل الصودي يقول: سمعت ابراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح يقول: وقد سئل، عن القصر في الصلاة في السفر، أهو أفضل من الإتمام فقال نعم... »[4].

---

(1) الكانوني: مرجع سابق ص: 6، راجع كذلك المصادر العربية لتاريخ المغرب للأستاذ المنوني، مرجع سابق، ص: 75.

(2) علي بن أبي زرع الفاسي: الأنس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 77، ص. ص: 273 – 388.

(3) أحمد الونشريسي: وفيات الونشريسي ضمن الألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتاليف والنشر، الرباط 1976، ص: 98، راجع كذلك الأنس لابن قنفذ، مصدر سابق ص: 69.

(4) المنهاج.

وهو إضافة إلى ذلك، من وجوه الطائفة ومن شيوخها البارزين. عاش بالإسكندرية وقام بعدة رحلات في بلدان المشرق والمغرب، فأخذ عن العديد من العلماء، وكان مكلفا بتسيير أمور الرباطات الموجودة في طريق الحج، وبهذه المدينة ولد له مؤلف المنهاج.

وبعد رجوعه إلى المغرب، سجنه عامل المرينيين على مراكش، محمد بن علي، مدة أربعين يوما، ثم أطلق سراحه وبقي على قيد الحياة إلى سنة (690هـ 1291م). قال الكانوني: «هو الفقيه العلامة، البركة المرشد النصوح الرحالة. جال في بلاد المغرب والمشرق، ولقي كثيرا من أهل العلم والخير، وكان فيها، على رباطات جده بطريق الحجاز، واتخذ الاسكندرية وطنا، وبها ولد له ولده مؤلف المنهاج الواضح، وكانت له معرفة بالعلم ورسوخ في مداركه، ولما دخل المغرب الأقصى، استوحش منه عامل مراكش محمد بن علي فأودعه السجن أربعين يوما، ريثما استبرئت ساحته، ثم أطلق سراحه، كان حيا سنة تسعين وستمائة...»[1].

أما جده أحمد بن أبي محمد صالح، فكانت له مكانة تفوق مكانة أبيه، علما وصلاحا ومجاهدة، وكانت له كرامات. جاء في المنهاج: «وأما ولده أحمد، فكان جليل القدر، عظيم الخطر، له فضائل عجيبة وأحوال غريبة، ظهرت منه، في بدايته، وبرزت منه، في أحواله وفي إقامته»[2]، وقال في مكان آخر: «ولقد حج إحدى عشر حجة» وما حججت أنا سوى حجة واحدة – يعني– أبو محمد صالح[3] وكانت وفاته سنة (660هـ – 1261م).

---

(1) الكانوني، مرجع سابق، ص: 108 – 109.
(2) المنهاج، نفس المصدر.
(3) نفسه

وفي أحضان هذه الأسرة، المتصفة بالصلاح والعلم، نشأ المؤلف نشأته الأولى، وإذا كان من الصعب، تحديد المراحل الحيوية لطور طفولته، فمن الممكن القول إن والده كان حريصا على تكوينه، كل الحرص فعنه أخذ تعليمه الأولي المتمثل في حفظ القرآن، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، قبل أن ينتقل إلى دراسة بعض المتون المعروفة في الفقه والحديث وقواعد اللغة والأدب.

ثم تعدى هذه المرحلة، من الدراسة وأصبح ينشد التضلع ويكرس جهدا أكبر لدراسة العلوم الدينية والشرعية، كالتفسير والحديث والروايات والفقه والتصوف. وكان ذلك على يد العديد من الشيوخ من بينهم:

- **في مصر**: عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدريني، قال عنه السيوطي: «كان عالما صالحا، نظم التنبيه والوجيز وسيرة نبوية وله تفسير ومات سنة سبع وتسعين وستمائة» (1297م)[1].

- **الشيخ مخلوف الدكالي**: استمع من البوصيري، وروى عنه بعض قصائده[2] وكان على قيد الحياة سنة (696هـ 1296م).

- **في بجاية والمغرب**: أبو زكرياء يحيى بن محمد بن حجاج الصفوني، كان احد الأعلام الذين أجازوه سنة (696هـ 1290م)، كما جاء في المنهاج، وهو ما أكده الكانوني[3].

- **أبو علي منصور بن أحمد، بن عبد الحق الزواوي المشدالي**، من فقهاء المالكية كان قد بدأ في تصنيف شرح على رسالة ابن أبي زيد،

---

(1) جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ط1، ج1، ص:421.

(2) المنهاج: نفس المصدر.

(3) المنهاج، وراجع كذلك الكانوني، مرجع سابق، ص: 5.

غير أنه توفي قبل إتمامه سنة (731هـ 1339م)[1].

- **أبو عبد الله محمد بن صالح بن احمد بن محمد الكناني،** وصفه الغبرين بأنه كان فقيها، عالما باللغة والأدب، متقنا لعلم القراءات، توفي سنة (699هـ 1299م)[2].

- **أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي الاشبيلي القبتوري،** كان فقيها، مقرئا محدثا، أديبا ومتصوفا، أشرف على ديوان الإنشاء في عهد الإمارة العزفية، وذكر الكانوني أنه كان ألبس الخرقة لأحمد بن ابراهيم، وحدثه بسندها وتوفي سنة (704هـ1304م)[3].

- **عبد الرحمن بن أحمد بن أبي محمد صالح** وهو عم المؤلف ذكر أنه كان شيخا فاضلا، روى عنه العديد من الأخبار[4].

ويمكن القول إن فرصة قد أتيحت لأحمد بن ابراهيم لتنمية معارفه عن طريق تلك التنقلات، والرحلات المتعددة، التي قام بها في العديد من أرجاء مصر والشام والحجاز والمغرب الكبير وإذا كان قد عاش فترة، طويلة بالاسكندرية لم نستطع تحديد مدتها، فيبدو أن إقامته قد طالت بعض الشيء في بجاية، قبل الانتقال إلى المغرب والتنقل بين بعض مدنه، مثل مراكش وسجلماسة، أو المكوث مدة في اغمات قبل الانتقال إلى آسفي.

وإذا كانت الاسكندرية، من أكبر المدن المصرية التي عرفت بتقدمها العمراني، ونهضتها العلمية والدينية والحضارية طيلة عصورها الإسلامية، فإن بجاية بلغت بدورها درجة كبيرة من التقدم العمراني

(1) الغبريني: عنوان الدراية، مرجع سابق، ص:299.
(2) الغبريني : نفس المصدر، ص: 79.
(3) الوادي آشي : برنامج الوادي آشي، ص:67، والكانوني مرجع سابق،ص:5.
(4) المنهاج، نفس المصدر.

والعلمي والديني، عرفت انطلاقتها، منذ فترة حكم الموحدين وهو ما يكشف عن جانب منه، كتاب عنوان الدراية للغبريني، قال عادل نويهض: «وبنهاية دولة بني حماد 548هـ (1153م) على أيدي الموحدين ودخول المغرب الأوسط، تحت نظام الحكم الجديد أخذت بجاية تفتح صفحة جديدة من صفحات تاريخها الثقافي والسياسي والعلمي، ففي هذا العصر، أصبحت معقلا، من أهم معاقل الحركة العلمية، التي عرفها الشمال الإفريقي، ينتقل إليه عشاق الأدب وطلاب العلم والمعرفة من مختلف المدن والقرى... وقبلة تهوي إليها، أفئدة المسلمين من بلاد الأندلس غربا، إلى أصفهان شرقا فاستهوت ألباب عدد غير قليل، من مشاهير العلماء ومدرسي العلوم، وأهل الفتوى والقضاء»[1].

على أن المدن الأخيرة التي زارها أو أقام بها مدة مثل آسفي، ومراكش، واغمات، وسجلماسة، قد بقيت تمثل مراكز إشعاع ديني وعلمي استمر إلى ما بعد عصر المؤلف[2].

وقد كانت لهذه المدن صلات علمية وثيقة مع مراكز الحركات الثقافية، في العالم الإسلامي، رسمت أثرا واضحا في الإنتاج الأدبي من شعر ونثر ومن تاريخ وتفسير وفقه وأصول وتصوف. ويتضح أنه من خلال تنقلاته عبرها تمكن أحمد بن ابراهيم من التزود بأنواع العلوم الإسلامية المعروفة في عصره والتي كانت منتشرة في هذه المراكز، وذلك عن طريق الشيوخ الذين التقى بهم، واخذ عنهم، أو عن طريق الاطلاع على العديد من الكتب والمؤلفات الدينية عامة، مما وسع وعمق مفهومه للناحية الدينية والصوفية. كل ذلك لا يمنع من تسجيل بعض الملاحظات منها:

---

(1) عادل نويهض: مقدمة تحقيق عنوان الدراية، ص: 7.

(2) ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، م س والأنس لابن قنفذ، ص.66-67-69.

1- إن الشيوخ الذين أخذ عنهم لم يكونوا في مستوى فطاحل العلماء الذين سبقوهم، من أمثال الغزالي وابن العربي المعافري أو من أمثال: الذين أتوا بعدهم كابن خلدون، وابن الخطيب وابن مرزوق، ولذلك يبدو أن المؤلف، اعتمد كثيرا على تكوينه الشخصي، وعصاميته العلمية، أكثر من اعتماده على شيوخه.

2- اعتماده على نفسه، يبين أنه كان على قدر كبير من الذكاء المقرون بالعمل المتواصل، ونصيب من الفطنة النافذة في ميدان تحصيل المعرفة، والنهل من منابعها.

3- يبدو أن هذه الصفات، والمزايا الفكرية المكتسبة في تكوينه العلمي، وتنقلاته ورحلاته، قد مكنته من أن يصبح على اطلاع واسع، وفهم سليم ومعرفة عميقة لعلوم كانت هي السائدة في محيطة الاجتماعي، وتحظى بالإقبال الكبير عند المثقفين في عصره، رغم شهادته على نفسه، أنه من ذوي البضاعة العلمية المتواضعة. قال في المنهاج: «مع اعترافي بأن يد الفكر في ذلك قاصرة»[1] كل ذلك سهل عليه الاتصال والتفتح، على مختلف شرائح مجتمعه. ويبدو أن شخصيته القوية قد جعلته شديد الوعي، مرهف الإحساس بمحيطه الاجتماعي وما يدور فيه من أحداث وتقلبات، أثرت بدورها كثيرا على السير العادي للطائفة الماجرية خاصة في الفترة الأخيرة من حياة شيخها، وهو ما نستشفه من خلال مراحل تصنيفه لكتابه وما يوافق منهجه في التأليف.

(1) المنهاج: المصدر نفسه.

وصف المخطوطات وعملنا في التحقيق

أولا: وصف المخطوطات:

كان لزاما علينا، بعد الاقتناع بأهمية تحقيق كتاب المنهاج الواضح أن نبادر بالبحث عن نسخ مخطوطاته، وإذ تم التنقيب عنها في عدة خزانات، مثل خزانة ابن يوسف، وخزانة كلية اللغة بمراكش، والخزانة الحسنية، والخزانة العامة بالرباط، والخزانة الصبيحية بسلا والخزانة البلدية بآسفي، كما تم قصد الأساتذة الباحثين مثل الأستاذ الجليل سيدي محمد المنوني، والأستاذ الكبير السيد محمد بن شريفة.

وقمنا أيضا بتصفح مختلف فهارس الخزانات الأخرى، بالإضافة إلى ما اطلعنا عليه في خزانات خاصة لبعض الأفراد.

وقد مكن هذا التنقيب من العثور على عشر نسخ منها ست في الخزانة الحسنية، ونسختان بالخزانة العامة بالرباط، وواحدة بالخزانة الصبيحية بسلا، وواحدة بخزانة ابن يوسف بمراكش، إضافة إلى السفر المطبوع بالقاهرة سنة 1353هـ وتم الاعتماد على أربع نسخ لسببين:

1- نظرا للتطابق والتشابه الواضحين بين سائر النسخ، إذ لم نعثر إلا على بعض الخلافات البسيطة التي لا تتعدى في الغالب سوى كلمات معدودة.

2- لكون هذه النسخ الأربع المعتمدة هي الأقدم زمنيا بالمقارنة مع باقي النسخ الأخرى.

ومكنت قراءة هذه النسخ المعتمدة من تصحيح الأخطاء وتعويض النقص الطفيف المسجل في بعضها. كل ذلك من أجل إخراج النص إخراجا سليما، مادته متكاملة، وصياغته واضحة.

أ- نسخ الخزانة الحسنية:

1- نسخة رقمها 2896 تم اعتمادها كأصل لأقدميتها تقع في 260 صفحة مسطرته 25 مقياس 28-19، مكتوبة بخط مغربي لا باس به، متباين الرسم في بعض الصفحات. عناوين الفصول ملونة، هناك بياض طفيف في بعض الصفحات، تاريخ النسخ: الثامن من ذي الحجة عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف هجرية على يد محمد بن احمد بوقفطان الحفيد، ورمزها في التحقيق «ط».

2- نسخة رقمها 3864 من الحجم الكبير عدد أوراقها 130 مسطرته 26، مقياس 29-12، خط مغربي جيد ملون بالأحمر خاصة عناوين الأبواب والفصول وبعض الكلمات، هناك بياض طفيف في بعض الصفحات كذلك في الطرة نجد بعض التصويبات والتعليقات أو الشرح اللغوي لبعض الكلمات. تاريخ النسخ منتصف شعبان عام ستة وخمسين ومائتين وألف هجرية، على يد المكي بن محماد السوسي ورمزها في التحقيق «س».

ب- نسخة الخزانة العامة:

رقمها D674 تقع في 121 ورقة مسطرته 29 قياسه 315-230، خط مغربي جيد محلى بالألوان. تاريخ النسخ شعبان عام أربعة وسبعين ومائتين وألف هجرية على يد عمرو بن المعطي الرجراجي بن عيسى الشاوي، ورمزها في التحقيق «د».

ج- نسخة خزانة ابن يوسف:

رقمها 125 مسطرته 22، مقياس 220-170 خط مغربي متوسط الجودة، تاريخ النسخ 2 شعبان عام تسعة وثلاثمائة وألف هجرية، على يد محمد المصلوحي، ورمزها في التحقيق «م».

ثانيا: منهجية التحقيق:

تم الرجوع إلى بعض الأعمال في ميدان التحقيق، اشتهرت عند الباحثين بقيمتها العلمية وجديتها وفائدتها، وذلك قصد الاستفادة منها والاقتداء بمنهجها مثل: مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري[1]، ومقدمة ابن خلدون[2] والتعريف بابن خلدون[3]، ونظم الجمان لابن القطان[4] والتشوف لابن الزيات[5] والمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة[6].

واستكمالا للفائدة تم الاطلاع على بعض الأعمال النظرية التي اهتمت بمنهج التحقيق وطرقه ككتاب مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لفرانز روزنتال[7]. وقد فرضت علينا منهجية التحقيق تتبع الخطوات التالية.

---

(1) Ibn Fadl Allah Al Omari : Massalik El Absar. Traduit et annoté par : Gaudefroy-Demombynes, Paris, 1927.

(2) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر، الطبعة الثالثة.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تحقيق محمد بن تاويت الطانجي، بيروت.

(4) ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي.

(5) ابن الزيات: التشوف، مصدر سابق، تحقيق احمد التوفيق.

(6) عبد المالك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 87.

(7) فرامز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، بيروت 76.

انظر كذلك: قواعد تحقيق النصوص: مجلة المخطوطات العربية، الجزء الثاني، مايو 55، ص: 317-336

R.Blachére et J.Sauvaget : règles pour Edition et Traduction de textes arabes ; Paris 1953.

أ- المقابلة:

كان الهدف المتوخى من هذه العملية هو الحصول على نص صحيح المضمون، مقبول الشكل. وقد امكن الوصول إلى هذه الغاية عن طريق إرجاع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[1]، واقوال العلماء وبعض الكرامات والأشعار[2] إلى مصادرها الأصلية، أو إلى مصادر أخرى؛ حتى ولو كانت متأخرة زمنيا عن المنهاج، وذلك في حالة العثور عليها.

أما فيما يخص الخلاف الذي يظهر بين كلمة وأخرى أو بين تعبير وآخر، فقد تم تثبيت ما يبدو انه أقرب إلى الصحة والصواب، مع الإشارة إلى نوع هذا الخلاف في الإحالة، عند حصوله، وفي حالة وجود نقص في بعض النسخ، ناتج إما عن خروم أو سهو، فقد تم تعويض ذلك بما هو ثابت في النسخ الأخرى ولم يتعد هذا النقص في الغالب، الكلمة أو الكلمتين أو الجملة القصيرة، إضافة إلى تصحيح الأخطاء الإملائية واللغوية.

وعمدنا أيضا، إلى تنقيط النص لقراءته بالطريقة التي تقرأ بها النصوص اليوم، وذلك بوضع النقط والفواصل، وعلامات الاستفهام، ونقط البتر وغيرها.

غير اننا احتفظنا بالتقسيم الذي وضعه المؤلف، لأبواب الكتاب وفصوله، خاصة وانه أكثر من العناوين.

---

(1) إذا كان نص الحديث الاصلي مخالفا للحديث الوارد في احد الاصول، فإن كان قصيرا اثبتناه في إحالة النص المحقق، وإن كان طويلا احلنا على مصدر من مصادر الحديث مثل الصحيحين وسنن ابن ماجة وسنن ابي داود.

(2) نودع الإلماع إلى اننا حاولنا عزو الاشعار إلى قائليها او إلى مصادرها، إلا ان كثيرا منها يبدو انه من نظم المتصوفة الذين لم يتم جمع اشعارهم وفهرستها لتسهيل الوقوف على اصحابها.

واستعملنا كذلك العلامات للتمييز بين عناصرها مثل: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عن أقوال العلماء، والمتصوفة أو الحكم، وهكذا تم استخدام [ ] المعقوفتين، للدلالة إما على الإضافة أو السقوط، أو الاختلاف والبياض « » الهلالين، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقوسين لحصر النصوص التي اقتبسها المؤلف، من مختلف المصادر.

ب- **التهميش**، فرض علينا هذا الجانب تتبع خطوات منها:

1- **الشرح اللغوي**: شمل شرح بعض المصطلحات اللغوية، خاصة تلك التي يبدو أن استعمالها قليل أو نادر.

2- **الشرح التاريخي**: كان القصد منه المساهمة في توضيح وتقريب الفهم، أو إزالة الغموض أو الالتباس عن إدراك القارئ.

3- **التعريف**: قمنا بتعريف مقتضب لكل الأعلام البشرية الذين وردت أسماؤهم في النص، مشارقة ومغاربة وأندلسيين، باستثناء من طبقت شهرتهم الآفاق مثل الرسل وكبار الصحابة والملوك، أو من لم نقف لهم على ترجمة أو لم نستطع أن نعثر لهم على أخبار تتعلق بهم. كما حاولنا التعريف أيضا ببعض الأعلام الحضرية والجغرافية، وربط كل هذه العريفات[1] بسياق النص ومضمونه، كما تم وضع خريطة توضيحية لإبراز ولو بصفة تقريبية مراكز ومجالات تحركات الشيخ والأتباع سواء بالمغرب الكبير أو المشرق، والطريق التي كان يسلكها الحجاج المغاربة عندما يتوجهون إلى البقاع المقدسة.

4- **التعليق**: لم نكثر من التعليقات، إلا إذا كانت إشارة المؤلف بعيدة المتناول، أو تستوجب توضيحات وشروح أو تتميمات أو طرح

---

(1) تجدر الإشارة هنا بصفة خاصة، إلى ان بعض اسماء الاعلام قد وردت باللغة الامازيغية، ولاجل تقريب معناها اعتمدنا على ما وجدناه منها عند الأستاذ احمد التوفيق في إحالات تحقيق التشوف لابن الزيات، كما اعتمدنا على شرح البعض الآخر على ما قدمه بعض الزملاء الاساتذة.

بعض التساؤلات وقد أردفناها ببعض الإحالات المصدرية.

5- **تنظيم الهوامش:** تجنبا لإثقال النص والهوامش بكثرة الأرقام والتقسيمات والتجأنا إلى الترقيم المسلسل لكل فصل اعتقادا منا أن القارئ في استطاعته أن يميز بكامل السهولة من خلال هذا التسلسل بين ما هو خاص بتوضيح عناصر المقابلة، وبين ما هو خاص بالشرح والتعريف.

6- **الفهرسة:** لتصنيف مواد الكتاب، كان لزاما علينا وضع فهارس مفصلة ودقيقة خاصة بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والأشعار والحكم والأعلام البشرية وغيرها، كما هو مبين في آخره. ليستغل الباحث كل معطياته.

تـرجمة أبي محمد صالح

حاول كتاب المناقب بالمغرب من أولئك الذين عاصروا أبا محمد صالح أو آتوا بعده، التعريف به وإبراز مكانته وتساوى البعض منهم أو كاد في الإشادة بمآثره، ومجاهداته وتعظيم قدره، محاولين استقصاء معالم عامة من حياته خاصة ما يتصل منها بالجانب الصوفي، مجمعين على صلاحه وتمييزه في عصره بين أفراد مجتمعه(1).

ومع ذلك فلا هؤلاء ولا أولئك بلغوا من الدقة في تتبع أهم مراحل حياة أبي محمد صالح ورصد تطور ممارساته أثناء مجاهداته، مثل ما بلغه أحمد بن إبراهيم الذي خصص لها ما يفوق الثلثين من كتابه المنهاج موضحا كذلك أن شهرة أبي محمد صالح قد كتب لها الانتشار والذيوع بين الخاص والعام، وأصبح هذا الشيخ يعتبر بأنه شيخ من شيوخ التصوف وذو باع طويل فيه، علما وممارسة.

غير أن كل الذين ترجموا له بما فيهم صاحب المنهاج نفسه، قد جاء اهتمامهم جميعا بالمرحلة الأخيرة من حياة الشيخ أكثر من اهتمامهم بمرحلة حياته الأولى، وهو ما يبرز قلة وندرة المعلومات الخاصة بهذه الفترة بسبب الانصرافه إلى غيرها ويجعل بالتالي من الصعب تلمس تطورها. ولعل منهاج هؤلاء المترجمين له أو المتحدثين عنه كان يعتمد

---

(1) إضافة إلى المصادر التي تم الإشارة إليها في فصل ترجمة المؤلف يمكن إضافة مفاخر البربر للمجهول والمعزى في مناقب ابي يعزى لابي العباس احمد بن أبي القاسم التادلي، بهجة الناظرين وانس الغافلين لمحمد بن عبد العظيم الزموري، النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاخر المناقب لاحمد بن أبي الفضل سعيد التلمساني.

إما على النقل الحرفي للنص المروي عن أخباره، ودون إضافات جديدة أو يميل إلى الإيجاز وشدة التشابه فيما كتبوه عنه كل ذلك كان على ما يبدو من أسباب الضعف الذي اعترى المعلومات الخاصة بنشأته الأولى. وكان أيضا وراء الحد من محاولة جهود الباحثين المعاصرين في إضافة الجديد بشأنها.

فالشيخ هو أبو محمد صالح[1] بن يناصرن بن غيفان بن الحاج يحيى المجاري[2]، الدكالي[3] نسب أسرته في بني حي فخذ من أفخاذ بني نصر الماجرين، وذكر الأستاذ الشاذلي نقلا عن الكانوني، أن هذه الأسرة استقرت بآسفي في أواسط القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي[4].

ومع أن أصل الشيخ بربري، فقد حاول صاحب المنهاج، إضفاء صبغة النسب العربي القرشي عليه، وإرجاعه إلى جد الرسول عليه السلام، فقال: «فأما نسب شيخنا رحمه الله فقرشي من بني أمية بن عبد شمس»[5]، وقال فشيخنا على هذا قرشي على كل وجه وعلى كل تقدير[6].

فأسرة بني ماجر كانت تتمتع وبقطع النظر عن صحة أو عدم صحة نسبها العربي، بمكانة وجاه كبيرين، وهو ما يفسره اسم «بنو ماجر» التي تعني، حسب الأستاذ التوفيق، الأكابر[7]. وقد أكد الأستاذ بنشريفة

---

(1) اشار عبد اللطيف الشاذلي إلى الالتباس الذي وقع لبعض المؤلفين بخصوص ابي محمد صالح الماجري وابي محمد صالح دفين فاس، راجع في ذلك في «ابو محمد صالح بن ينصارن الماجري، ضمن ابو محمد صالح المناقب والتاريخ، ص: 56.

(2) ابن قنفذ: الانس، مصدر سابق، ص: 62.

(3) ابن الزيات: مصدر سابق، ص: 41

(4) عبد اللطيف الشاذلي: نفسه، ص: 55

(5) المنهاج مصدر سابق.

(6) المنهاج مصدر سابق.

(7) احمد التوفيق: هامش 37 من تحقيق التشوف، ص: 41.

هذه المكانة فقال: «كانوا أكبر أهل دكالة، قدرا وأشهرهم ذكرا»[1]. كما قام بالتعريف بالعديد ممن اشتهر من علماء هذه الأسرة، وعن مكانة بيت الشيخ أبي محمد صالح، قال الكانوني: «هذا البيت من أعظم البيوتات قدرا، تعدد رجاله وفضلاؤه»[2].

ويذكر أحمد بن ابراهيم، أن أبا محمد صالح قد ولد بآسفي سنة (550هـ 1150م) وبها توفي في 25 ذي الحجة(631هـ 1234) ودفن بمقر الرباط الذي أقامه بها[3]. ولقد عاش إحدى وثمانين سنة شكلت جزء مهما من عمر الدولة الموحدية، ويكون بذلك قد عاصر تسعة من ملوكها وهم:

عبد المؤمن بن علي	المتوفى سنة 558هـ 1162م
أبو يعقوب يوسف	المتوفى سنة 580هـ 1184م
يعقوب المنصور	المتوفى سنة 595هـ 1198م
محمد الناصر	المتوفى سنة 610 هـ 1213م
يوسف المنتصر	المتوفى سنة 620هـ 1223م
عبد الواحد المخلوع	المتوفى سنة 620هـ 1223م
عبد الله العادل	المتوفى سنة 624هـ 1226م
إدريس المامون	المتوفى سنة 629 هـ 1231م
وعبد الواحد الرشيد	المتوفى سنة 640 هـ 1242م

(1) محمد بن شريفة، الماجريين ضمن «أبي محمد صالح المناقب والتاريخ» 42.
(2) الكانوني: مرجع سابق، ص: 117
(3) المنهاج نفس المصدر.

أما معاصروه من العلماء وشيوخ التصوف بالمغرب فهم كثر ومن بينهم على سبيل المثال :

ابن حرزهم الفاسي	المتوفى سنة559هـ 1163م
أبو يعزى يلنور	المتوفى سنة561هـ 1165م
أبو عمر السلاجي	المتوفى سنة574هـ 1178م
أبو القاسم السهيلي المراكشي	المتوفى سنة581هـ 1185م
أبو عبد الله الحجري السبتي	المتوفى سنة591هـ 1194م
أبو مدين	المتوفى سنة 594هـ 1197م
أبو الوليد بن رشد الحفيد	المتوفى سنة595هـ 1198م
أبو العباس السبتي	المتوفى سنة610هـ 1204م
عبد السلام بن مشيش	المتوفى سنة622هـ 1225م
أبو العباس العزفي	المتوفى سنة633هـ 1235م
أبو الحسن الشاذلي	المتوفى سنة656هـ 1258م

وغير خاف أن هذه الفترة التي عاشها أبو محمد صالح كانت حبلى بمختلف الأحداث والتطورات الاجتماعية وما صاحبها من أدوار القوة والضعف[1]، فالسنوات الأولى منها عرفت المراحل الأساسية من تعلمه الأولي، الذي يمكن القول أنه تميز بدراسة مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وبعض المتنون في اللغة والأدب والحديث والفقه وأصول الدين. وقد تم له ذلك في كتاتيب ومساجد مسقط رأسه[2].

(1) راجع ذلك في الإطار التاريخي للطائفة ضمن هذه الدراسة.
(2) عبد اللطيف الشاذلي: مرجع سابق، ص:56.

وحسب ابن عبد العظيم الأزموري، فإن أبا محمد صالح كان يتلقى العلم وهو شاب صغير على القطب أبي عبد الله أمغار في رباط شاكر، وكان لا يأبه بمتاعب قطع المسافة بين آسفي وهذا الرباط: «وحدثوا أن الشيخ القطب أبا البدلاء أبا عبد الله: أمغار أتاه أبو محمد صالح، وكان أبو محمد صالح شابا صغيرا فقال له: ياسيدي أريد أن أقرأ عليك العلم، ولكن المسابقة بين مدينة آسفي وعين الفطر بعيدة يشق علي الإتيان، إلا مرة في الأسبوع فقال له الشيخ: يا أبا محمد كن واثقا بالله تعالى، لامشقة لك في ذلك إن شاء الله بل تصل إلى هنا كل وقت، وتصل إلى هناك كل وقت أردت إن شاء الله. فوضع الشيخ يده المباركة على رأسه وركبته ثم أذن له في قراءة العلم، فكان يشتغل عليه بتجويد القرآن العظيم والتفقه في الدين»[1].

وكانت آسفي قد عرفت نموا ملحوظا خلال العهد المرابطي، جاء نتيجة قربها من العاصمة مراكش، وحاجة هذه الأخيرة إلى منفذ بحري أطلسي[2]. وذكر الكانوني أن هذه المدينة قد نمت وعرفت توسعا عمرانيا ونشاطا علميا ودينيا كبيرين، في عهد الموحدين. قال: «وفي دولتهم تحضرت آسفي وعمرت وسورت بسورين وبنيت بها المعاهد الدينية والعلمية، وانبثق بها روح المعارف والعلوم»[3].

يمكن القول، إذن، إن مدينة آسفي استطاعت أن تفرض وجودها كمركز ديني وعلمي، تعاظمت أهميته باستمرار رغم وجود أغمات ومراكش كمنافستين قويتين، كان لهما قصب السبق في هذه الميادين، وفيها

---

(1) محمد بن عبد العظيم الأزموري: بهجة الناظرين وأنس الغافلين.

(2) فرحات التريكي: آسفي المدينة والرباط في العصر الوسيط، ضمن ابو محمد صالح المناقب والتاريخ، ص: 7.

(3) الكانوني: آسفي، وما إليه، مرجع سابق، ص: 138 راجع كذلك فرحات والتريكي، مرجع سابق، ص:7.

نشأ وتربى أبو محمد صالح، بين أحضان أسرة دين وورع. وكان، ولا شك، لمثل هذه المميزات أثر على تكوينه وتنمية استعداده لما سيقبل عليه رغم ما كان يبدو من تواضع الحالة المادية والمستوى العلمي لأسرته[1].

على أن رغبته وتعطشه في المزيد من المعرفة والتحصيل، والتضلع في علوم الدين، دفعا به إلى طلب ذلك خارج بلاده المغرب، فهاجر مسقط رأسه آسفي، والتحق بالإسكندرية ليستقر بها، لمدة عشرين سنة.

وقد كانت هذه المدينة المصرية، من أكبر معاقل العلوم الدينية والأدبية في العالم الإسلامي[2] وعندما عاد إلى آسفي مكث بها أربعين سنة[3] قبل وفاته التي كانت في حدود 631هـ-1234م، وهو ما يترك الانطباع، أن عودته إلى المغرب ربما كانت في بداية العقد الأخير من القرن السادس الهجري، أي حوالي 590هـ. وبالتالي فإن مغادرته لآسفي ربما كانت حوالي 576هـ أو قبلها بقليل.

الراجح، أن التربية الدينية التي تم زرع بدورها الأولى في نفسه بآسفي، قد نمت وترعرعت وزادت عمقا بالمزيد من دراسة العلوم الشرعية والفقه والتصوف والتفسير والحديث وتحصيلها في مصر.

وهو ما جعل إيمانه بالقيم الروحية يزداد كذلك، فاصبح يميل أكثر إلى الأتقياء، وأقطاب التصوف وعلمائه ويحاول الاتصال بهم والاقتداء بنهجهم في إطار وحدود الكتاب والسنة. وكان ذلك على يد شيوخ قدم أحمد بن ابراهيم لائحة بأسمائهم[4] مشيرا إلى أصناف وانواع العلوم اتي تلقاها أبو محمد صالح عنهم.

---

(1) لم نقف على ما يدل على ان اباه كان من المتعلمين ليستفيد من ثقافته.

(2) راجع الإشارة الخاصة بالعلاقات بين اهم مراكز الثقافة الإسلامية، في فصل ترجمة مؤلف المنهاج، ضمن هذه الدراسة

(3) المنهاج، نفس المصدر

(4) راجع التعريف بهم في النص المحقق.

ففي الفقه: هناك ابن عوف: «فإنه لازمه، دهرا طويلا، واقتبس منه علما جليلا»[1] وأبو عمران موسى بن هارون السفطوري الماجري، والفقيه الجليل ابن عيسى المعيطي، وأبو ظاهر اسماعيل بن مكي بن عوف الزهري، قرأ عليه تهذيب المدونة ولازمه لمدة عشرين سنة[2] كما لازم ولديه بعد وفاته وهما أبو النجم وأبو محمد عبد الوهاب.

أما في التصوف: فبالإضافة إلى ابن عوف، سالف الذكر، والذي كان على علم أيضا بعلم الكلام، وأبي محمد عبد الرزاق الجزولي، وهو من كبار تلامذة أبي مدين، هناك سند الشيخ فيه وصحة هذا السند وشهرته عند الأتباع وعدم اختلافهم فيه، مع تسجيله لقصيدة البوصيري التي نظمها في الشيوخ الذين أخذ عنهم أبو محمد صالح تصوفه، وهم من المغرب والمشرق الإسلاميين، جاء في المنهاج ما يوضح ذلك.

«وأما نسبه في طريق التصوف فهي طريقة مشهورة، وعند الفقراء مشهورة مذكورة، وقلما يوجد أحد من تلامذته رحمه الله إلا وهي مسطورة في نقله، أو محفوظة في عقله، من غير اختلاف يوجد فيها عنه، ولا نقل عمن كان قبلهم أو أتى بعدهم، ولقد رأيتها منظومة في قصيدة الفقيه العلامة القاضي شرف الدين البوصيري المشهور، رحمة الله عليه»[3].

وهناك قضية نعثر على خلاف كبير بين المؤلفين القدماء والمعاصرين بشأنها، يتعلق الأمر بلقاء أبي محمد صالح بأبي مدين والأخذ عليه. فأحمد بن إبراهيم يذكر أن لقاء أوليا قد تم بين الشيخين وكان بمثابة امتحان شيخ تلمسان لشيخ آسفي، ليتأكد من صدقه ومعرفته بأسس العقيدة قال في المنهاج:

---

(1) المنهاج نفس المصدر.
(2) المنهاج نفس للصدر.
(3) المنهاج نفس المصدر.

«حدثنا الشيخ الفاضل أبو الربيع سليمان بن ينصارن ببلد سجلماسة المحروسة، قال: دخلت مع جماعة من فقراء بلدنا، على الشيخ أبي محمد صالح رحمه الله ببلد آسفي المعمورة ونحن زائرون له، فحدثنا يوما عن ملتقاه مع سيدي أبي مدين، فقال: لما قدمت عليه وجدته في خلوة مع بعض من اختصه لمنادمته فلما سلمت عليه وأخذت بيده، سالني من أين كان قدومي؟ ثم قال: اتقرأ شيئا؟ قلت: نعم فقال لي وما تقرأ ؟ فقلت: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ فسكت عني، ولم يخبرني بشيء، ثم اطرق ساعة، فساله من كان بحضرته عن سؤاله وعن سكوته فقال، وما عسى أن أقول لرجل قد عرف الله تعالى حق معرفته»[1].

ويؤكد أحمد بن ابراهيم أيضا أن أبا مدين، كان من شيوخ قدوة أبي محمد صالح قال موضحا ذلك:

«شيخه الذي كان يعتمد في القدوة عليه، ويعزى في كل فضل متى ذكره إليه شيخ الشيوخ في عصره، وإمام المحققين في دهره ومصره أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي»[2]

ومقابل إصرار احمد بن ابراهيم، على صحة هذه الصحبة فإن حديث ابن قنفذ عنها لا يطبعه القطع، رغم أنه يقر بالاتصال الذي حدث بين الشيخين[3].

على أن كتاب المناقب الذين أتوا بعد ابن قنفذ لم يشاطروه في تحفظه الخاص بهذه الصحبة، بل كرروا تاكيدات احمد بن ابراهيم بصحة وقوعها، قال ابن عبد العظيم الأزموري: «وأبو مدين، شيخ الولي الصالح أبي محمد

---

(1) المنهاج نفس المصدر.

(2) المنهاج نفس المصدر.

(3) ابن قنفذ: الأنس مصدر سابق، ص: 31و61.

صالح الماجري الدكالي »[1]. وقال ابن صعد الانصاري في النجم الثاقب: « مما يروي عن الوالي الزاهد، أبي محمد صالح تلميذ الشيخ أبي مدين ووارث مقامه »[2]. ونفس التأكيد نجده عند احمد بن أبي القاسم، « وحكى صاحب النجم الثاقب عن أخص أصحابه وأكبر تلامذته أبي محمد صالح الدكالي »[3].

أما عند الباحثين المعاصرين، فقد افرزت مسالة تتلمذ أبي محمد صالح على أبي مدين اتجاهات ثلاثة.

الأول: يؤكد حصولها مثل ما نجده عند ميشوبلبير[4] وجورج دراك[5].

الثاني: اتجاه متحفظ إلى حد استبعاد حدوثها، وهو ما يميل إليه الأستاذ القبلي قائلا: « إنه، أي الشيخ، تأدب أساسا على يد الشيخ أبي محمد عبد الرزاق الجزولي، دفين الإسكندرية. ولربما اتصل بأبي مدين الغوث شيخ هذا الأخير، وأخذ عنه مباشرة، وإن كان الأرجح حسب ما يبدو أن الاتصال مستبعد وانه وإن حصل، فإن الأخذ أبعد منه. على كل حال »[6].

الثالث: اتجاه الرفض الصريح ونجده عند عبد اللطيف الشاذلي « والرأي عندنا أنه لا علاقة تتلمذ بين الرجلين »

وعلى كل حال، فإن مؤلف المنهاج، قام بتقديم سلسلة مرتبة لشيوخ أبي محمد صالح في التصوف. فرفعها إلى أبي مدين، عن الحسن بن حزرهم عن أبي بكر بن العربي، عن أبي القاسم الجنيد عن السري السقطي عن معروف بن فيروز الكرخي عن داوود عن نصر الطائي، عن أبي حبيب العجمي، عن أبي سعيد الحسن البصري عن علي بن أبي طالب[7].

---

(1) ابن عبد العظيم الازموري: بهجة الناظرين، مصدر سابق.
(2) ابن صعد الانصاري: النجم الثاقب، مخ.خ.ع.ك 1292.
(3) احمد بن ابي القاسم: المعزى في مناقب ابي يعزى، مصدر سابق.
(4) Michaux Biliaire, archives marocaines T27, Paris 1927, P :50.
(5) Geoage Drague : Esquise d'histoire religieuse du Maroc confréries et zaouias, Paris 1951, P41.
(6) محمد القبلي: قراءة في زمن ابي محمد صالح ضمن ابي محمد صالح : المناقب والتاريخ، ص:89.
(7) المنهاج: نفس المصدر.

وسواء أثرت فيه ملازمة شيخه الجزولي، أو ما أخذه عن أبي مدين عند لقائه به في بجاية، فإنه كان تواقا إلى المزيد من نهل علوم التصوف والاقتداء بشيوخه. ولهذا الغرض طاف في أنحاء مصر، ثم رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج لينتقل بين مراكز العراق والشام وكلها كانت تعج بالأتقياء والعلماء وشيوخ التصوف، مما سهل عليه البحث عنهم والالتقاء ببعضهم من مثل السهروردي، مقيما بكل منطقة أو ناحية تساعده على النهل من موردها الروحي الإسلامي العذب.

أما عن زواجه الأول فكان أثناء إقامته في مصر، إذ تزوج من امرأة اسمها تاكولي: وصفها صاحب المنهاج بأنها: «كانت امرأة صالحة جليلة القدر ولها فضائل»[1]، ورزق منها أربعة أبناء أشقاء وهم محمد وأحمد وعبد الله ويحيى[2] وعندما توفيت، تزوج الشيخ البنت التي ربتها امرأته تاكولي ورزق منها هي الأخرى ولدين، هما عيسى وعبد العزيز[3].

ولا ريب في أن رحلته الطويلة، عادت عليه بالفوائد الكثيرة، وزادته علما إلى علمه الذي تلقاه وحصله في المغرب عن طريق الشيوخ والعلماء الذين التقى بهم، وأخذ عنهم أو رصد منهجهم في التفكير والممارسة الصوفية، فتوسعت مداركه وبفضل ذكائه وفطنته ومثابرته واجتهاده في العلم والإقبال عليه والحرص على طلبه، أصبح يكتسب مؤهلات جعلته ينال حظوة ومكانة أينما حل وارتحل.

ففي طريق عودته إلى آسفي «في نهاية القرن السادس وربما في مطلع العقد الأخير منه»[4]، يبدو أنه حل بتونس وأقام بها فترة مكنته من الاتصال بشيوخ العلم والتصوف فيها مثل: أبي يوسف بن يعقوب بن ثابت وأبي

---

(1) المنهاج: نفس المصدر.

(2) المنهاج: نفس المصدر.

(3) المنهاج: نفس المصدر.

(4) محمد القبلي: مرجع سابق، ص: 92.

محمد عبد العزيز المهدي[1]، وربما قام بإلقاء دروس الوعظ والتوجيه الصوفي على بعض طلابها، من المحتمل أن يكون أبو الحسن الشاذلي من بينهم وهو ما جعله يخلف فيها بعد رحيله عنها صدى طيبا يوضح معناه صاحب المنهاج بقوله: «... سمعت شيخنا الفقيه العلامة، مفتي السائلين بحضرة تونس المحروسة أبا عبد الله محمد بن شعيب الهسكوري، وقد ذكرت عنده مشايخ المغرب إلى أن ذكر الشيخ أبو محمد، فقال: كان رجلا عارفا متفوقا، متورعا في دينه متمسكا بكتاب تهذيب المدونة»[2]. وهو ما دفع صاحب مفاخر البربر إلى الجهر بشاهدة في حق ابن محمد صالح حين قال: ولو لم يكن في المغرب سوى الشيخ الجليل الصوفي المحقق، شيخ المشايخ وقودة الأولياء وفخر الأتقياء، إمام الأصفياء ابن محمد صالح بن ينصارن بابن عيفان الماجري نزيل آسفي لكفى أهل المغرب به شرفا وفخرا.

وما كان في استطاعة أبي محمد صالح أن يبلغ هذه السمعة لو لم يكن يتوفر على ثقافة دينية واسعة، لم تخرج عن إطار الثقافة المالكية التي تميز بها عصره غير أن انشغاله انحصر أكثر في التوحيد والتصوف المطبوع بدوره بتصوف أبي طالب المكي والقشيري وأبي حامد الغزالي وغيرهم، بدليل عنايته باستنساخ بعض الكتب التي تم تأليفها في مثل هذه المواضيع، وقد قام ابن قنفذ بتقديم لائحة بعناوينها وهي:

1- **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.**

2- **بداية الهداية، وهما للغزالي.**

3- **الرسالة القشيرية.**

4- **العقيدة الجبرانية.**

---

(1) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، دار الفكر، ص: 169.

(2) المنهاج: نفس المصدر.

5- فرائض الصلاة للصقلي[1] (1451 م – 1059 م).

وقد أشار ابن قنفذ، إلى أن أبا محمد صالح كان قد كتب في آخر الكتاب، الذي جمع فيه هذه الكتب كلها، اسمه وتاريخ الفراغ من استنساخها، فقال: « كل ذلك بخط الشيخ أبي محمد صالح » وكتب في آخر الكتاب ما هذا نصه: « كان الفراغ من ذلك على يد العبد الضعيف الفقير إلى رحمة ربه أبي محمد صالح بن ينصارن بن غيفان بن الحاج يحيى بن يلاخت، عشية يوم الاثنين وهو التاسع من شهر شعبان، عام أربعة وثمانين وخمسمائة »[2].

على أن أبا محمد صالح لم يقتصر على عملية استنساخ هذه الكتب، بل حاول اقتحام مجال التاليف الصوفي والمشاركة فيه، وهو ما يؤكد أن اهتماماته كانت أساسا صوفية[3]. ولقد ذكر البادسي في المقصد الكتاب الذي صنفه الشيخ، وعنوانه « تلقين المريدين » مشيرا إلى أنه عبارة عن ما جمعه ونقله الشيخ من كتب التصوف، لكنه استحسنه لجودة ترتيب أبوابه وكثرة فوائده، قال البادسي: « وألف الشيخ أبو محمد صالح كتابا في التصوف حسن الترتيب، كثير الفائدة، نقله عن كتب التصوف سماه تلقين المريدين »[4].

---

(1) المنهاج : نفس المصدر.

(2) ابن قنفذ : الأنس، مصدر سابق، ص: 63.

مجهول مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الطبعة الأولى، الرباط، 2005.

(3) عبد اللطيف الشاذلي : مرجع سابق، ص: 59.

(4) البادسي : المقصود مصدر سابق، ص: 102.

وقفت على رسالة في التصوف عنوانها: بداية المريدين تاليف ابي محمد صالح عن شيخه ابي مدين، ومن المرجح أنها هي التي تشكل الكتاب الذي اشار إليه البادسي مع تغيير الشطر الأول من عنوانه.

والرسالة موجودة ضمن مجموع ف 31 في الخزانة العامة بالرباط من ص: 328 إلى 335 وتشمل الابواب التالية:

الأول: يضم: 1 – ما يجب على المريد صحبة العالم العامل.

2 – فضل الجود عند المتصوفة.

3 – يتحدث عن الصدق.

4 – زيارة المشايخ.

5 – اتخاذ الشيخ.

=

وانطلاقا من كل ذلك، فإن ما يمكن استنتاجه أن تكوين وثقافة أبي محمد صالح لم يضيفا جديدا لما كان شائعا، من أنواع العلوم في عصره. إلا أنه، بالمقابل، يمكن القول إنه قد استوعب تلك الثقافة استيعابا كبيرا، وبحرص شديد، جعله يتطلع دائما إلى المزيد منها، مما أهله إلى أن يصبح في نظر البعض من العلماء «عالما عاملا متورعا»[1]، يجمع بين الشريعة والحقيقة ويحافظ على التوازن بين الجانبين وجعله أيضا مهيًّأ لمسؤولية التدريس والتلقين، التي كان يقوم بها «فإنه رحمه الله كان في مقام التعليم والتأديب»[2] خاصة في آسفي، وبعض المراكز التي سبق له أن حل بها، وذلك في إطار إقامة وإنجاح مشروعه الصوفي المتمثل في تأسيس طائفته وتبني مبادئها.

ولهذا الغرض يبدو أنه كان يستهدف بناء أفراد وسطه الاجتماعي بناء جديدا متنورا بالتعليم الديني الصحيح. والظاهر أنه استطاع أن يتحمل

= الثاني: في بيان السماع وحقيقته.
1 – علامة الفقير الصادق.
2 – شروط التصوف مع ذكر أحاديث.
3 – الاستماع.
4 – خصال الفقير.
الثالث: لبس المرقعة.
1 – مزايا المرتقعة ولباسها.
2 – أول من لبسها، الرسول والخلفاء.
3 – احاديث في لبس الصوف.
الرابع: في خدمة المشايخ.
الخامس: في التوبة وفرائضها وعلاماتها وسننها وفضائلها.
1 – يذكر احاديث الرسول وبعض اقوال الجنيد.
2 – سنن التوبة.
3 – فضائلها.
4 – علامة التوبة الندم.
5 – ما جاء في التوبة.

(1) المنهاج: نفس المصدر.
(2) المنهاج: نفس المصدر.

عبء هذه المسؤولية منذ تاسيسه للطائفة الماجرية، فنجح في هذا المسعى النبيل لما كان يتوفر عليه من صبر وقوة الحجة والمقدورة على الإقناع لبث روح المعرفة الإسلامية في نفس الاتباع والمريدين.

وعموما، فإذا لم ننجد عند أبي محمد صالح وأمثاله؛ من متصوفة المغرب في هذه الفترة مذهبا كاملا في التصوف النظري، ولا نظريات فكرية، عن الكون والعلاقة بين العبد وخالقه، فإن اتجاهه الصوفي يتميز على ما يبدو بيقين صادق، معبر عنه بالفاظ خالية من التعقيد والتاويل. وهو ما يبرر موقف الرد على الطاعنين في طريقته من سائر الاتجاهات الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[قال العبد الفقير إلى عفو مولاه الراجي رحماه، الغامر عن جزيل آلائه ونعماه، أحمد بن ابراهيم بن احمد بن ينصارن الماجري المغربي، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، ومن عليه في الدارين][1].

الحمد لله الذي طهر من درن[2] الجهالة قلوب عباده الابرار، ونور بصائرهم بنور الهداية، حتى اقتبست منها جلابيب الأنوار، وشرفهم بتخصيص الولاية، حين[3] اصطفاهم لمعرفته، فهم من المصطفين الأخيار. وصفّى ضمائرهم من كدورات الأغيار، فتفجرت مها عجائب الأسرار. ونزه هممهم العالية عند مجاري الأقدار عن حلول الأغيار، وحلاّهم بالسكينة والوقار، والخضوع والانكسار، والذل له والافتقار. وجعلهم ائمة عباده، وهداة وسادة ودعاة، إلى الخير، بعد الابتلاء والامتحان، ووسمهم بمحاسن الشريعة عن دنس تأويل الجهالة، فهم على بصيرة وإيقان؛ والصلاة [والسلام][4] على سيدنا محمد الهادي إلى العدول، عن مسالك البوار، وعلى آله، وأصحابه، وأزواجه وذريته، وعترته من المهاجرين والأنصار، وسلم عليه سلاما كثيرا كثيرا كثيرا، ما تعاقب الليل والنهار. وبعد: فلما استشعرت من نفسي الكسل والفترة، بعد

---

(1) زائد في س.

(2) الدرن: الوسخ: راجع
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر ج 13 ص 153.

(3) دم: [حين] ط س [حتى].

(4) دم: [والسلام] ط س [الدائمة].

الاجتهاد، وخامر لبي فشل النسيان، وطال منه الامتداد، وأدركني من ضعف القوى، وهن في الذهن، وأخذ في الزيادة والارصاد، وخشيت هجوم المنية، وهي لنا ولا بد بالمرصاد، فلا غرو أن يعرب عن الهرم ضناه، كما يدل على الفجر سناه، وأنبه الاعتبار، ماكان إلى الحق سائل، ولله در القائل:[1]

نَسيتُ وكُنْتُ لاَ انْسَى حَدِيثا ... كَـذَاكَ الـدَّهْـرُ يُـرْدِي بِالـعُـقُولِ
وَهُنْتُ وَخِفْتُ مِنْ مَوْتِي سَرِيعًا ... كَـذَاكَ الوَهَـنُ يُـوذِنُ بِالنَّقُولِ[1]

[رحمه الله][2] أخذت في جميع فوائد، ندبني العزم والحمية الحنفية إلى جمعها، من كرامات شيخنا[3] رحمه الله تعالى، بعد وقوفي على بركتها، في حفظها وسمعها، لأصون بها ذكره، نفع الله به، عن تأويل الجهالة[4] من متعسفي أهل العصر. وجعلتها وسيلة لطلب الدعاء، ممن وقف عليها بالمغفرة[5] والتجاوز عن الوزر، إذ هي لا يحيد عن متنها صوابا، ولا يعدم سالكها بدعوة الداعي ثوابا.

فلي آمال بذلك معلقة، وأبواب الجود غير مغلقة، [وان كان دهري قد أرهقني صعودا، والخطب قد عاقني مرقى وصعودا][6].

إلَـى مَـنْ بِـآمَـالِي سِـوَى اللهِ ألْجَـا ... فَرُحْـمَاهُ لِي مِمَّا أُعَانِيهِ مَلْجَأُ[7]

---

(1) من الوافر: ورد البيت الأول من هذين البيتين عند ابن كثير في البداية والنهاية، دون نسبة، على الشكل التالي:

امهت وكنت لا انسى حديثا ... كذلك الدهر يزري بالعقول

ابو الفداء ابن كثير : البداية والنهاية، دار الفكر، 78 ج 1 ص 209.

(2) [رحمه الله]: زائد في س.

(3) أبو محمد صالح: راجع ترجمته في الدراسة.

(4) دم [الجهالة] س ط [الجهلة].

(5) [المعرفة] س د م [المعرفة]

(6) ط [نثر اعتبره الناسخ شعرا].

(7) من الطويل.

إِذَا كَـانَ لِـي فِـي جَـانِـبِ اللهِ ذِمَّـةٌ   فَدَعْ مَا تَرَى مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ يَنْشَأُ

فحررتها بصحيح العقل جهد الاستطاعة تحرير الجهد، ونقحتها بالإتقان والمحافظة تنقيح المجد. واعتمدت فيما ذكرت منها مرسلا عن الثقات، بشرط التواتر والاستفاضة.

وهذبت ما أسندته عن الفضائل ممن أدركته بالحقيقة المستفاضة، ثم [أضربت][1] عن ذكر ما خشيت أن يفتن بعض السامعين، من الفقراء لجهلهم، ومن التغالي الموجود في التلاميذ وعدم فهمهم؛ لقوله [عليه الصلاة والسلام[2] :

«ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم»[3] .

ولله در القائل:

وَكَـمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلا سَلِيمًا   وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ[4]

ثم جعلت مدار هذا الكتاب، على صدر وثلاثة أقطاب، ورتبت لها فصولا محكمة دون حشو واحتطاب، بعد دعاء اقضبته، وسؤال انتخبته، مختصرا من كتاب المنتقى[5]، ومنحصرا في دعاء أهل التقى. ثم سميته

(1) ط : [اطنبت] س د م اضربت]

(2) س [ﷺ] ط د م [عليه الصلاة والسلام].

(3) ورد هذا الحديث عند مسلم بالصيغة التالية: «ما انت بمحدث قوما، حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»

مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، دار الكتاب العلمية، ج 1 ص 76.

وورد عند ابي حامد الغزالي بصيغة اخرى : «ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم».

ابو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين: كتاب العلم الباب الثالث : فيما يعده العامة، من العلوم المحمودة وليس منها، دار المعرفة، ج 1 ص 36.

(4) من الوافر.

(5) اشار حاجي خليفة، في كشف الظنون إلى المنتقى في الاخبار لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي=

ب المنهاج الواضح، في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، هذا بعد وقوف على ما ألفه الفقيه العلامة، بحر البراعة وحبر اليراعة، أبو العباس أحمد بن محمد بن احمد بن محمد العزفي[1]، ثم اللخمي قدس الله تعالى روحه، ونور ضريحه، في كرامات الشيخ الصالح سيدي أبي يعزى[2]، وما نسب إليه من الفضل، الذي لاشك في مثله، إلى

= المقرئ المتوفى سنة 437هـ 1045م.

على ان إسماعيل باشا البغدادي، صاحب الذيل على كشف الظنون، ذكر عنوان كتاب آخر مطابقا لاسم كتاب المنتقى، المشار إليه في النص وهو في الاحكام حسب إشارة البغدادي، نفسه ونسبة إلى الحافظ ابي محمد بن عبد الله بن علي بن الجادور النيسابوري، المتوفى سنة 307هـ/ 919م.

(1) ابو العباس أحمد بن محمد بن احمد اللخمي العزفي السبتي ولد سنة 557هـ/1162م، اخذ عن شيوخ اجلاء من اقطاب العصر في المغرب والمشرق مثل: أبيه القاضي أبي عبد الله والزاهد الحجري والقاضي ابن زرقون، وابن بشكوال وابن خير. اصبح العزفي محدثا فقيها ولزم التدريس بجامع سبتة. وذكر الأستاذ احمد التوفيق أن العزفي: «صنف مؤلفات عدة، تقوم برهانا على رسوخ قدمه في العلوم، من جهة، وعلى منزعه الصوفي ومعتقده العاطفي، من جهة اخرى» فمن الصنف الأول:

- برنامجه الذي لم يصل إلينا وذكره غير واحد.
- منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ.
- إثبات ما لابد منه للمريد.
- الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد.

ومن النوع الثاني:

- دعامة اليقين في زعامة المتقين، وقد قام الأستاذ احمد التوفيق بتحقيقه ونشرته مكتبة خدمة الكتاب بالرباط 1989.
- الدر المنظم في مورد النبي المعظم. قال الأستاذ احمد التوفيق: «صنفه في الندب لإقامة الاحتفال بالمولد النبوي وكان آخر مؤلفاته وتوفي قبل إكماله فتصدى لذلك ولده العالم الرئيس أبو القاسم».

ومات ابو العباس العزفي سنة 633هـ/1235م. راجع : دعامة اليقين: مقدمة التحقيق للأستاذ احمد التوفيق.

القاسم بن عبد الله بن الشاط: الاشراف على شرف تحقيق اسماعيل الخطيب، تطوان، ص 78

احمد بن احمد بن احمد بن عمر عرف ببابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية ص 63.

(2) يلنور ابن ميمون: وقيل بن عبد الله الهزميري، وقيل من بني صبيح من هسكورة، يكنى أبا يعزى وهو الشيخ الصالح. وصفه التادلي في التشوف بانه كان قطب عصره واعجوبة دهره، وقال ابو مدين: «رايت اخبار الصالحين من زمان اويس القرني إلى زماننا هذا فما رايت أعجب من أخبار ابي يعزى». وقال عنه الشعراني في الطبقات الكبرى: «انتهت إليه رتبة الصادقين بالمغرب وتخرج بصحبته جماعة من كبار مشايخها وأعلام زهادها، من امثال ابي مدين. مات ابو يعزى سنة 572هـ/1176م عن سن تناهز المائة ودفن في ناحية اخنيفرة في بلدة تحمل اسم مولاي بوعزة.

وحول شرح «أبو يعزى يلنور» راجع ما كتبه الأستاذ احمد التوفيق من التوضيحات حول هذين المصطلحين في إحالات تحقيق كتاب التشوف للتادلي ص 213.

وعن الخلاف حول نسبه راجع: =

مثله يعزى. وما ألفه الفقيه الفاضل شيخ المعرفة وقدوة[1] المتصوفة، أبو محمد عبد اللطيف بن أبي الطاهر بن احمد بن محمد بن عبد الله البغدادي، ضاعف الله تعالى، بذلك له أجره، ونور به قبره من كتابه المسمى بالمنهاج الناظر[2]، في كرامات الشيخ عبد القادر[3] وما [أثبت

V. Loubignac: Un Saint Berbère: Moulay Bouazza, Histoire et légende Hesp.T.T31 année 44, P15.=

وعن ترجمته راجع أبو العباس احمد بن ابي القاسم بن محمد التادلي:

– المعزى في مناقب ابي يعزى مخطوط الخزانة الحسنية رقم 517.
– ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف م.س.ص213.
– أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، م،س،ص 89.
– بابا التنبكتي: نيل الابتهاج، م، س، ص 63.
– ابو العباس احمد الخطيب الشهير بابن قنفذ: أنس الفقير، م.س.ص4 – 15 – 16 – 21 – 22 – 23 – 25 – 29 – 30 – 32 – 33 – 36 – 64.
– محمد بن جعفر الكتاني: سلوة الانفاس، طبعة فاس، ج 3، ص 216.
– احمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس، القسم الثاني، دار المنصور بالرباط 1973، ص 563.
– عبد الوهاب بن علي الانصاري المعروف بالشعراني: الطبقات الكبرى المسماة بلواقح النوار في طبقات الاخيار، دار الفكر، ج 1 ص136.
– خير الدين الزركلي: الأعلام، الطبعة الثالثة، ج 1 ص 406.

(1) ط : [نزر] د س م [قدوة].

(2) في جميع الاصول: المنهاج الناظر في كرامات الشيخ عبد القادر. وقد تم العثور على هذا الكتاب تحت عنوان: «إلهاج الناظر في كرامات الشيخ عبد القادر» وهو من تاليف ابي محمد عبد اللطيف بن ابي الطاهر احد تلامذة الشيخ عبد القادر حسب ما ورد في مقدمته. والكتاب مخطوط، ضمن مجموع رقم 260، بالخزانة اليوسفية بمراكش، في نسخة قديمة مبعثرة الأوراق، مقطعة الجوانب، ويقع في اثنتين وعشرين صفحة بها خروم. بدايته : [الحمد لله الذي اطلع قلوب اوليائه على ما خفي وجعل نظر الخلق إليهم فيه الشفي].

(3) هو عبد القادر بن ابي محمد صالح عبد الله بن جنكي دوس «اي العظيم» وهو في الاعلام للزركلي عبد القادر بن موسى بن محمد محي الدين الجيلاني او الكيلاني او الجليلي، شيخ الشيوخ. واحد أقطاب المتصوفة المشهورين والمؤسس للطريقة القادرية من مؤلفاته المطبوعة:

– الغنية لطالب الحق طبع في عدة طبعات. – الفتح الرباني طبع في عدة طبعات – الفتوحات الربانية – فتوح الغيب

ومات سنة 561هـ 1166م راجع:

– ابن الملقن سراج الدين ابو حفص عمر بن علي: طبقة الأولياء، تحقيق نور الدين شريبة، دار المعرفة الطبعة الثانية 1986 بيروت ص 246.
– عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الفكر، ج 4 ص 198.
– يوسف بن اسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء: تحقيق إبراهيم عطرة عوض، المكتبة الشعبية، بيروت، الطبعة الرابعة، 83 ج 2 ص200.
– محمد بن عمر البغدادي المعروف بابن شطي: مختصر طبقات الحنابلة، دراسة فواز احمد، دار الكتاب العرب، بيروت، ص 40. الزركلي: الأعلام ج 4 ص 171.

له][1] فيه من المفاخر، التي قد عجزت عن إدراكها الأواخر:

صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعها فَفَاقَتْ[2] وَغَرْس طابَ غَارِسُهُ [فَطَابَ][3]
وَكُنَّا كَالسِّهَامِ إذَا اصَابَتْ مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا [أصَابَ][4]

فحرك مني حين اطلعت عليها ساكن هذا العزم، فاقدمت عليه بعد الاستخارة وطلب الإعانة بحقيق الجزم، حتى انتهجت بالحزم القوى [مناهج][5] أصحاب الصراط السوي.[6][7]

[فَبَدَا كَمِثْلِ البَدْرِ يَنْصَدِعُ الدّجَى[6] عَنْهُ فَيَكْشِفُ نُورُهُ مَا أَبْهَمَا][7]

هذا مع اعتراف بأن يد الفكر في ذلك قاصرة، والقريحة من تبلد انكاد زمانها ليست معينة على المراد ولا [ناصرة][8]. ومن لي وأنى لي بذلك وقد ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[9]، ولم أرج من معصرات الفكر طلا[10].

ولا [سيبا][11]، ولم يترك من قال في ذلك بالنصيحة ظنا ولا ريبا.

(1) ط [اثبته [س د م [اثبت له].
(2) من الوافر. ونسبها الثعالبي لابي فراس وهي قصيدة من 11 بيتا.
عبد المالك الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تحقيق محمد قميحة، دار الكتب العلمية، 83 ج 1 ص 63.
(3) ط س: [فطابا] د م [فطاب]
(4) ط س : [أصابا] د م [اصاب].
(5) ط: [مناهيج] س د م : [مناهج].
(6) من الكامل.
(7) ط : [ظن الناسخ ان هذا البيت جملا نثرية].
(8) ط [ناظرة] س د م : [ناصرة].
(9) مريم رقم 4.
(10) الطل: المطر الصغار القطر الدائم: او اخف المطر واضعفه و الندى و ارج عليه: استغلق عليه الكلام.
— ابن منظور لسان العرب ج 11 ص 405 وج 2 ص 280.
(11) س [صيبا] ط د م : [سيبا] والسيب: العطاء.

وَمَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ إلاَّ تَعَسُّفُ   إذَا كَلَّ قَلْبُ المَرْءِ وَالسَّمْعُ وَالبَصَر[1]

وكيفما كان فما عدا في العزم عن اجتهاد القاصر، ولا خلا في الحزم من نصرة الناصر، وربما [أصلد][2] الزند في يد القادح، ومن بلغ نفسه عذرها فقد سما عن لوم اللائم ومدح المادح، ومن أحسن ما صدح به في التمثيل كل صادح.

وَأيُّ عَيبٍ عَلَى مَنْ رَامَ مُجْتَهِداً   مِثْلَ الَّذِي رَمْتَهُ فَاعْتَاقَهُ قَدَرُ[2]

[فاصْدَعْ][3] بِمَا رَمْتَهُ وَالجُهْدَ مُبْتذِلاً   فَالعَجْزُ بَعْدَ ابْتِذالِ الجُهْدِ مُغتفَر

لكني دعوت مفتقرا مبتهلا، وشدوت متوسلا متمثلا] فقلت بلسان راغب نهيض، وقلب راهب مهيض

إلَهِي إلَهِي أنَّنِي لَكَ رَاغِبُ   وَأنِّيَ عَنْ كُلِّ الأنَامِ لَرَاغِبُ[4]

فَيَسِّرْ لِي الأمْرَ الَّذِي أنَا طَالِبُ   فَإنَّكَ لاَ تَأبَى عَلَيْكَ المَطَالِبُ

[على أني معترف حين مالت بي الحمية ميلا، وأني لا غرو وقد حطبت ليلا، [وكلت][5] من الهدر كيلا][6] و[جرفت][7] كما جرف عند الحمل سيلا، ومن لي بالعصمة والتوقي من قدر كان في الأزل مفطورا، وفي الكتاب مسطورا، [فنسأل][8] الله تعلى ذا الجلال والكمال،

---

(1) من الطويل

(2) م: [أصار] ط س د [أصلد]. قال ابن منظور صلد الزند إذا صوت ولم يخرج نارا.

(3) مهيض: هاض العظم يهيضه: كسره بعد الجبور وهو مهيض. الطاهر احمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط دار الفكر ج 4 ص553.

(4) – من الطويل.

(5) ط س د [كلت] م [نجلت]

(6) ط نثر ظنه الناسخ شعرا.

(7) م [جارفت] ط س د [جرفت]

(8) ط س: ل [فنسال] د م: [فنسال] والمقصود بالكتاب، القرآن.

أن يعصم العقل فيما أردته عن الاختيال[1]، ويحفظني فيما سردته عن الاختبال، ويجلى عن القلوب الصدية صداها بالصقال، ويؤيد كل ما رويته في ذلك بصدق المقال، ويلحقنا من كرامته باتباع العال، محمد المبعوث وآله أكرم آل، ويجعلنا به وله في كل [ما][2] نأتي ونذر مدخرا لنا في ديوان القبول ليوم المدخر ﴿ إِنَّهُ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[3]، ولينا ومولانا في الدنيا والآخرة.[4]

لَوْ لَمْ تَرِدْ نَيْلَ مَا ارْجُو وَاطْلُبُهُ ... مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ مَا عَلَّمَتِنِي الطَّلَبَا[3]

اللهم إنك وإن اختفيت عن العيون، واحتجبت عن الظنون، واستترت في عز كمالك، وتواريت في حمى جمالك، وانطويت في عظيم جلالك، وانفردت في صون حكمة فعالك، فإنك باد في العقول، منزه عن الحلول، وظاهر في الأفكار، مقدس عن الإستقرار، عرفتك نفوس أيدها توفيقك، وأمدها تصديقك، مستدلة عليك بآثار صنعك، ورسوم وضعك، من ظاهر وباطن، ومتحرك وقاطن، كل يجري إلى مدة رسمتها، وغاية وسمتها[5]، خاضعة لك بالانقياد وطائعة، خاشعة لك بالإذعان وطامعة، ولولا تعريفك لها ما عرفت، ولولا انعطافك لها ما انعطفت، فسبحانك لقد أوضحت الطرق إليك، وأنهجت السبل الدالة

---

(1) الاختبال: خبل، الخبل: الفساد، والمختبل: الذي اختبل عقله فهو مختبل. والاختبال من ختل وخالته: خدعه عن غفلة ابن منظور لسان العرب ج 11 ص 197 – 198.

(2) [ما] سقط من ط.

(3) المدثر رقم 56.

(4) من البسيط

ورد هذا البيت في شرح الحكم لمحمد بن ابراهيم الرندي على متن الحكم لمحمد بن عطاء، ودون نسبة وعلى الشكل التالي : لَوْ لَمْ تَرِدْ نَيْلَ مَا ارْجُو مِنْ طَلَبٍ

مِنْ فَيْضِ جُودِكَ مَا الْهَمْتَنِي الطَّلَبَا

– إحياء التراث العربي ج 1 ص150.

(5) وسمتها : وسم الشيء: كواه فأثر فيه بعلامة، وفلانا برسام، ميزه به.

– ابراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط ج 2 ص1044.

عليك، فلا تكلنا في اليقين والإخلاص إلى دلائل التفهم، ولا تحوجنا في معرفتك وإيضاح المحجة[1] (التوهم) وافتح لنا من علوم الفطرة و[إلهام][2] [النشأة بابا إلى إمحاض][3] [وألف بين القول والنية بتأييدك في إخلاص والستر في اللب ومقر بها بما استقر في القلب][4] وان اقعدني ضعف البشرية عن حقيق درجة اليقين، وأفقني[5] نقص الآدمية عن إدراك إخلاص المتقين، [فجازني][6] عنه جزاء المخلصين، وأتبثني في زمرة المتخلصين، وإن كنت في حقيقة الإخلاص دونهم، ولم أبلغ في فوز اليقين فوقهم، فتجاوز عني ولا تفاتشني، وتقبل مني اليسير ولا تناقشني، اللهم واجعل ما وهبتني من معرفة نوالك، ومنحتني من تلطف سؤالك، درجة إلى تطهير نيتي، وعونا على إنقاء سريرتي وإدراك أمنيتي، وسلما إلى إنقاذي وانتقادي، وسببا في براءة معتقدي واعتقادي، ولا تجعل ما وهبتنيه من الرواية محبطا لعلمي وعملي، ولا ما خولتنيه من البيان مفسدا لرجائي وأملي، وأعذني من علم يوجب البعد عنك، ومن عمل يوجب الطرد منك، واجعل أعظم النعم علي، وأجسم المنن لدي، [يقينا][7] ترزقنيه، وصدقا توفقنيه، وبصيرة تزيل بها عني دياجي[8] الشك، وإخلاصا تبين به عني غياهيب الشرك، ولا تجعل صدري للشيطان مسكنا، ولا قلبي له سكنا، ولا جوانحي له أوطانا، ولا

---

(1) [بياض في كل الاصول].

(2) ط [إلحام] س د م [إلهام]

(3) كذا في كل الأصول. قال ابن منظور: امخضه الحديث والنصيحة إمحاضا صدقه.
لسان العرب ج 7 ص 228.

(4) سقط من س د م.

(5) ط : [أنقفني] س د م. [وفقني].

(6) ط س [فاجزني]. د م [فجازني].

(7) ط [ويقينا] س د م [يقينا].

(8) دياجي: من دجا الليل إذا تمت ظلمته والتبس كل شيء.
– ابن منظور م س ج 14 ص 250.

تجعل له علي سلطانا، وكن لي من حبائله منقذا، ومن غوائله[1] مبعدا، وأيدني بجنود من حمايتك، [وامدادا][2] من وقايتك، حتى لا يجد إلى استهزائي سلكا، ولا إلى إغوائي مسلكا، اللهم ربما وسوس في النفوس وألقى في الجسد ما لا يطيق اللسان ذكره، ولا تستطيع النفوس نشره، مما نزهك عنه عظيم شانك، وقدسك منه جلالة سلطانك، فامح عني بفضلك [زبره][3]، واغسل قلبي مما زوره، بوابل من منائح عصمتك، وطوفان من بحار نصرتك، واجعل خلاصي منه زائدا في آسفه، ومؤكدا لحزنه وراغما لأنفه، فانت عياذي فبك اعوذ، وأنت ملاذي فبك ألوذ، وقد لذت بعزك لواذ الهارب المستجير، وتحصنت بجناب حصنك المنيع المجير، موقنا أن خبت منك لم أجد سواك يجيرني، وإن لم تجرني سيدي فمن [ثم][4] يجيرني، وإن أهملتني فإلى من تكلني، وان أعرضت عني فإلى من تسلمني، وإن قطعت أسبابي منك فمن يصلها، وإن لم توصل مهجتي إلى ذروة نجاتك فمن يوصلها، اللهم انني لم اقدم على مسالتك بعمل صالح قدمته، ولا عقد بشفاعة مخلوق خدمته، لكن سالتك وأنا مقر بالذنب معترف بالخوف ولا حجة لي أطمع بها في عظيم ثوابك سوى عفوك الذي تجود به على المستوجبين لأليم عقابك، اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي بطول [الإمهال][5]، وسترك على قبائح عملي تفضلا من غير إهمال، أطمعني في سؤالك

---

(1) غوائله: الغائلة، الحقد الباطن والشر. انظر القاموس المحيط.

(2) ط [أمدادا] س د م [إمدادا].

(3) ط [زبده] س د م [زبره]. زبره الزبر: الحجارة، وزبره بالحجارة رماه بها، والزبر طي البئر بالحجارة وقيل ماله زبر ماله راي.
– ابن منظور لسان العرب ج 4 ص 315.

(4) زائد ف ط س د.

(5) مكرر – ط [الإمحال] س د م [الإمهال].

ما لا أستوجبه، ورغبني في نوالك وليس [لي][1] عمل يوجبه، فدعوتك آمنا مستأنسا، لا خائفا ولا وآجلا ولا آيسا، مدلا عليك بقديم إحسانك، وكرم امتنانك، إذ لم أجد مولى كريما اعطف منك، على عبد لئيم غير مستغن عنك، أنت المحسن إلي وانا المسيء عليك، تتودد إلى [وابغض][2] إليك، وقد علمت أني مستجوب لعقابك، ولكن الثقة بك حملتني على الجرآة في طلب ثوابك، اللهم لا تؤاخذني بكثرة وزري، ولا تنزع نعمتك عني لقلة شكري، ولا تسلبنيها [لبطري][3] [بها][4] وسكري، ولا تبتلني مع علمك بقلة صبري، ووفقني إلى الهداية والصواب، واهدني [لمتابعة][5] السنة والكتاب، وفرغ قلبي لما خلقتني إليه، واعني على ديني حتى تقبضني عليه، اللهم إني أسالك القناعة والرزق، والأخذ في كل ما قسمته لي بالرفق، والزهد في كل ما جاوز الكفاية، والخروج في الثبات عن كل شبهة بالحفظ منك والكلاية[6]، اللهم إني بسطت إليك يدي بسطة الراغب المتضرع، ووضعت لك وجهي وضع الراهب المتضع، وخضعت لك جوارحي خضوع الخائف المتخضع، وخشعت لك جوانحي خشوع الخائب المتخشع، فانت رجائي وملجئي، وعليك معولي وتوكلي، وجودك قصدي وتوسلي، وبرحمتك تعلقي، ولبابك تملقي، ومن خوفك تقلقي، وإلى لقائك تشوقي، فاكتبني فيما مضى عبدا عاصيا ترحمني، وفيما بقي من عمري عبدا طائعا

(1) [لي] سقط من ط

(2) ط : [ابغض] س د م [اتبغض].

(3) البطر: النشاط وقيل التبختر وقيل احتمال النعمة وقيل البطر الطغيان في النعمة.
– ابن منظور لسان العرب ج 4 ص 68.

(4) ط [بحق] س د م [بها].

(5) د م [المتابعة] ط س [بمتابعة].

(6) الكلاية: من كلا. جاء في لسان العرب: كلاك الله اي حفظك وحرسك، ثم اضاف وقد تخفف همزة الكلاءة وتقلب ياء.
– ابن منظور : لسان العرب ج 1 ص 149.

تكرمني، أنت العالم بمصالحي، والساتر لقبائحي، فقد وقفت ببابك سائلا، وقدمت الطافك بي وسائلا، وليس من جميل امتنانك رد سائل ملهوف، ومضطر بانتظار رحمتك مشغوف، فارحم موقفي هذا بين يديك واستكانتي ومسكني لديك، أشكو إليك ضعف جسمي، وقساوة قلبي، ووهن لبي، وطول أملي، واقتراب أجلي، وكثرة أوزاري، وسوء نظري في نفسي واوطاري[1]، فنعم المشتكى إليه أنت متى اشتكيت، ونعم الملتجأ إليه متى [التجأت][2]، فلو لم تهدني للإسلام ما اهتديت، ولو لم تطلق لساني بالدعاء ما دعوت، ولو لم تعرفني بحلمك ما عرفت، ولو لم تؤلفني بطاعتك ما ألفت، وفيما أكرمتني به من هذه الأسباب التي تقربني منك دلالة على حسن ما ضمن لي حسن ظني بك عنك، اللهم إن أخطأت طريق النظر لنفسي لما فيه سلامتها، فقد أخذت طريق الفزع إليك بما أرجو كرامتها، اللهم إن رجائي قد انقطع [لقلة زادي إليك[3] وقد[4] وصلته بذكر ما أعددته [من تعويلي][5] عليك، اللهم ان أوحشتني الخطايا من محاسن لطفك، فقد آنسني اليقين بمكارم عطفك، وإن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد أيقظني سوابغ النعم الواردة علي من تلقائك، أدعوك دعاء من لم يرج سواك بدعائه، وأرجوك رجاء من لم يقصد سواك برجائه، اللهم خلقتني جسما ورزقتني فهما، وجعلت جوارحي آلة أعصيك برفضها وأطيعك بحفظها، وجبلت نفسي على الميل إلى الشهوات، والركون إلى اللذات، وأسكنتني دارا

---

(1) اوطاري: جمع وطر الحاجة او حاجة لك فيها هم وعناية.
— ترتيب القاموس المحيط ، إعداد الطاهر احمد الزاوي، دار الفكر، ب.ت ط 3 ج4 ص628.

(2) ط [التجات] س د م [التجيت].

(3) ط س د : لقلة زاد الوصول إليك، م [لقلة زادي إليك].

(4) — ط س [فقد] د م [وقد].

(5) [من تعويلي] سقط من د م.

ملئت من الآفات، وأمرتني بفعل المعروفات وقطع المألوفات، ونهيتني عن المنكرات، وحذرتني بأشد المحذرات، وأستحفظك فيما أمرتني [به][1] فاحفظني، واستوفقك إلى ترك ما نهيتني عنه وحذرتني فوفقني، وأستعيذك مما يبعدني عنك فأعذني، الهي أستغفرك من كل ذنب قوى [عليه][2] بدني بدوام عافيتك [السائغة][3]، ونالته يداي بفضل نعمك السابغة [وانبسطت][4] إليه قواي بسعة رزقك، واحتجبت فيه بجميل سترك عن خلقك وقد تقرر في علمك فاتركه لي بحملك، وارحم يا إلهي ما خلقت، وطيب لعبدك ما رزقت، ووسع له ما قتر[5]، واغفر له ما قدرت، ولا تهتك عليه ما سترت، وتمم عليه ما أنعمت، وأدم له ما أتممت، وتقبل [منه][6] ما استعملت، ولا تسلبه من نعمك ما أكملت، إلهي أستغفرك من كل ما وعدتك ثم أخلفتك، وأستغفرك من النعم التي أمرتني أن أطيعك بها فخالفتك، وأستغفرك من كل عقد عقدته لك [ثم][7] لم أوفيه، وأستغفرك من ذنب تبت منه ثم عدت فيه، وأعوذ بك من كل قول وعمل فيه رضاك فالتمست فيه رضا أحد غيرك، وأستغفرك من كل ما يحرمني عطاءك وخيرك،

---

(1) [به] سقط من س.

(2) م [على] ط س د [عليه]

(3) س د م [السائغة] ط: [السابغة].

(4) ط [انبسط] س د م [انبسطت].

(5) قتر: قتر فلان ضاق عيشه. وقتر على عياله ضيق عليهم في النفقة قال تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ الفرقان 67.

المعجم الوسيط م س ج2 721.

ولابن الرومي في بخيل:

«يقتر عيسى على نفسه — وليس بباق ولا خالد

فلو يستطيع لتقتيره — تنفس من منخر واحد

– راجع ابن الرومي من شعره، لعباس محمود العقاد، سلسلة كتاب الهلال العدد 214 ص 122.

(6) [منه] سقط من ط.

(7) ثم زائد في س.

وأعوذ بك أن يكون كل ما خولتنيه سببا لرفع هدايتك عني، وأعوذ بك [بما علمته مني][1] من مباهاة المكثرين والازدراء بالمقترين، وأعوذ بك أن أتلبس بظلم أو أقول في الدين بغير علم، وأعوذ بك أن أعصيك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلام، فأنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وابن عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء [لك][2] بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي ما صنعت، واجعلني من حزبك المفلحين، وعبادك الصالحين، فأنت أكرم الأكرمين، وارحم الراحمين، وصل يارب على سيد المرسلين، ووسيلة المتوسلين، سيدنا محمد وعلى آله الهادين، وأصحابه والأنصار والمهاجرين الذين شادوا الدين، واجعلنا لهديهم متبعين، وانفعنا بمحبتهم أجمعين، إنك على كل شيء قدير، [وبالإجابة جدير][3].[4]

قَرَعْتُ بَابَكَ لاَ اخْشَى تَمَنّعَهُ ... وإنْ تَمَنَعْ لَمْ اغْذُلْ وَلَمْ الُم

قَالُوا رَجَوْتَ النّدَى مِنْهُ بِلاَ سَبَبٍ ... قُلْتُ وَهَلْ سَبَبٌ احْظَى مِنَ الكَرَمِ[4]

---

(1) زائد في ط .
(2) [لك] سقط من س.
(3) سقط من ط.
(4) من البسيط

الصدر وفيه مقدمة وخمسة فصول

المقدمة:

في بيان ما رغبني في جميع هذا التاليف، وحملني على القدوم مع القصور عن التصريف، ما أنا بالسبر[1] والتحرير عنه باحث، فإذا هي ثلاثة بواعث:

الباعث الأول:

لما تيقنت عند بياض الفود[2] بقرب رحيلي من دار الفناء، وتحققت حين شربت من كاس الهرم على القرب إلى الفناء، أن عملي كله بعد الممات منقطع مبتول[3]، وليس إلا ما قدمت متى كان من السعادة مقبول، ثم تأملت فيما يدركني أجره [إذا][4] صرت من ضروب المثلاث، في قوله عليه الصلاة والسلام «**إذا مات الإنسان انقطع عمله كله إلا من ثلاث**»[5] على ما أخبرني به الشيخ الفاضل بقية السلف،

---

(1) السبر: الأصل والسبر اللون والسبر الهيئة والمنظر والسبر والتقسيم وفي اصطلاح الأصوليين: حصر الأوصاف في الأصل الملتبس عليه وإلغاء بعضها.
– المعجم الوسيط م.س م1 ص 415.

(2) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.
– ابن منظور لسان العرب ج3 ص 340.

(3) مبتول: من بتل البتل: القطع.
– ابن منظور لسان العرب ج 11 ص 42.

(4) ط س [إذ] د م [إذا]

(5) أبو داود سليمان ابن الأشعث: سنن أبي داود، مراجعة محي الدين عبد الحميد، دار الفكر ج 3 ص 117.

وذخيرة الخلف، أبو زكريا[1] يحيى بن محمد بن حجاج الصفوني إجازة ببلد بجاية[2] المحروسة سنة ست وتسعين وستمائة قال أنبأنا الشيخ الفاضل أبو محمد بن عبد العزيز ابن عمر بن مخلوف القيسي[3] إجازة

---

(1) ابو زكرياء بن حجاج الصفوني، ذكره الكانوني في كتابه جواهر الكمال م س ص:4.

(2) بجاية: تسمى ايضا الناصرية نسبة إلى بانيها الناصر بن عباد بن حماد بن زيري الصنهاجي بناها حوالي سنة 458هـ 1065م وهي مدينة بالجزائر يحدها البحر من ثلاث جهات كانت قاعدة المغرب الاوسط.

– وحسب البكري فإن المدينة عرفت في مرحلة ما بعد التاسيس توافد العديد من الاندلسيين عليها. واشار صاحب الاستبصار إلى انها كانت من اهم الموانئ في المغرب الكبير حيث كانت تستقبل السفن من بلاد الروم والشام ومصر وحتى من الهند والصين.

– وبقيت تجارتها البحرية نشيطة في القرن السابع الهجري وذلك ما اكده ياقوت الحموي المتوفى سنة 628هـ حيث يقول: «إنما هي دار مملكة تركب منها السفن»

– اما في الفترة التي يتحدث عنها النص فإن بجاية عرفت استمرار نشاطها التجاري البحري الذي كان له اهمية كبيرة في حياة سكانها إضافة إلى إنتاجها الزراعي والحرفي والصناعي يقول عبد المنعم الحميري مؤكدا ذلك «والسفر إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة واهلها تجار مياسرة ولها بواد ومزارع والحنطة والشعير والتين كثير وسائر الفواكه. وبها دار صناعة لإنشاء الاساطيل لان الخشب في اوديتها وجبالها كثير. وبها معادن الحديد الطيب، وبها الصناعات كل غريبة».

– اما عن مكانة بجاية العلمية راجع الفصل الخاص بترجمة مؤلف المنهاج الواضح ضمن هذه الدراسة.

– ابو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر Deslane مطبعة المثنى بغداد، ص 82.

– مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق سعيد زغلول عبد الحميد الدار البيضاء 85 ص 130.

– ابو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، ج 1 ص 339.

– ابو عبد الله محمد بن محمد العبدري: م س 276.

– ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراسة. م.س.

– ابن قنفود م س 16 – 27 – 28 – 38 – 53 – 92 – 97.

وحول اهم الاحداث السياسية والعسكرية المتعاقبة على بجاية إلى الفترة إلى الفترة التي يتحدث عنها النص راجع

– ابن عذاري: البيان مصدر سابق ج 4 ص 103 – 107 – 192 – 193 – 194 – 210 – 264– 269.

– عبد الرحمان بن خلدون «كتاب العبر م.س ج 6 و7 في عدة أماكن.

– عبد الحميد عويش: دولة بني حماد. دار الشروق، الطبعة الاولى، 80.

(3) عبد العزيز بن عمر بن مخلوف كنيته أبو محمد ولد بتلمسان سنة 602هـ 1205م، قرا عليه جماعة من العلماء مثل ابي بكر بن محرز وابي العباس اللياني، ويعد من أساتذة ابي العباس الغبريني صاحب كتاب عنوان الدراية وكان عبد العزيز فقيها مالكيا. تولى القضاء في مدن: بسكرة وقسطنطينية والجزائر التي مات بها سنة 686 هـ 1297م. راجع: – الغبريني: م س ص 63.

– بابا التنبكتي: نيل الأوطار م س ص 178.

– محمد بن محمد المخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، ص 202.

– عادل: معجم اعلام الجزائر ص 93.

قال حدثنا أبو بكر محمد[1] بن محمد بن عبد الرحمن بن محرز الزهري، حدثنا أبو محمد[2] عبد الله بن عبيد الله الحجري، حدثنا أبو الحسن علي[3] بن موهب، حدثنا أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر[4]

---

(1) محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري: وهو في عنوان الدراية للغبريني بن احمد، كنيته ابو بكر ولد بتلمسان سنة 559هـ 1173م تادب علي يد ابيه وسمع من خاليه: أبي بكر وابي عمر عامر. كما سمع من ابي محمد الحجري وابي عبد الله بن الغازي وغيرهم واجاز له ابو بكر بن خير وابو العباس بن مضاء من الاندلس. ولقي جماعة من علماء الشرق مثل أبي الحسن الفضل وابي القاسم البصير. ووفد على مراكش ولقيَ بها الفقيه ابا الحسن علي بن عبد الملك القطان، ثم استوطن بجاية وبها روى عن الحسن علي بن ابي نصر. وقد لخص صاحب النفح أوصافه فقال: «كان احد رجال الكمال علما وإدراكا وفصاحة وحفظا في الفقه وتفننا في العلوم ومتانة في الادب حافظا للغة والغريب». وذكر التوجيبي انه تولى القضاء وكان على راس الجماعة الاندلسية ببجاية التي كانت تضم علماء من امثال ابي عبد الله الابار، وابي مضر بن عميرة وابي بكر بن سيد الناس، ومات ببجاية سنة 155هـت 1251م راجع: - الغبريني: عنوان الدراية ص 283.

- احمد بن محمد المقري التلمساني:

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، 68 ج 2 ص 666.

- القاسم بن يوسف التجيبي الكستي.

برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، صص 37- 47- 58- 143- 245- 248.

(2) ابو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الحجري، ولد سنة 505هـ 1111م بالمرية بالاندلس سمع من ابن مغيث وأصبح من كبار المحدثين فذاع صيته واستقر بسبتة واصبح من أصحاب القاضي عياض ومات سنة 591هـ 1194م.

- الغبريني : عنوان الدراية م س ص 28-303.

- ابن قنفذ : كتاب الوفيات تحقيق عادل نهيض ص 297. دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة 83 ص 297

(3) لعله هو علي بن وهب بن مطيع القشيري أبو الحسن مجد الدين والد ابن دقيق العيد، أشار إليه العبدري، عند ذكر لقائه بابن دقيق العيد، وأثنى عليه، وحسب العبدري، فإن عليا بن وهب هذا كان فقيها، مفتيا، متفننا غير ان العبدري لم يذكر تاريخ وفاته.

- العبدري - رحلة العبدري م س ص 141.

(4) هو الإمام الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، عاصم، النمري القرطبي، كان فقيها عالما بالقراءات والحديث والرجال، ولي القضاء في لشبونة مدة مات سنة 463هـ 1070م. من مؤلفاته التي طبعت في عدة طبعات: - التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد- الاستذكار- الاستيعاب- فضل العلم- قبائل الرواة- الشواهد في إثبات خبر الواحد.

راجع : القاضي عياض ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، نشر وزارة الأوقاف، الرباط، ج 1 ص 11.

- محمد بن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، ص 357.

- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: طبقات الحفاظ: مراجعة لجنة من العلماء دار الكتاب العلمية بيروت، الطبعة الاولى، 83 ص 431.

- شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وانباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ج 7 ص 66.

النميري، حدثنا أبو الوليد يونس[1] بن عبد الله مغيث، حدثنا أبو بكر[2] بن معاوية، أخبرنا جعفر[3] بن محمد الفريابي، حدثنا أبو[4] كريب، أخبرنا خالد بن خالد، حدثنا محمد بن جعفر[5] عن العلاء[6] بن عبد

(1) هو يونس بن عبد الله بن مغيث، يكنى ابا الوليد المعروف بابن الصفار كان من أهل الحفظ والرواية عالما بالفقه له ميل للتصوف، تولى الخطبة وخطة الشورى في بطيوس والزهراء ولزم بيته غير ان الخليفة هشام بن محمد المرواني اعاده إلى القضاء بقرطبة سنة 419هـ 1027م، وبقي يشغل هذا المتصب إلى ان مات سنة 429هـ 1037م. له كتب في الزهد منها كتاب: فضائل المنقطعين إلى الله.
- عبد الله بن الحسن النبهاني: تاريخ قضاة الاندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة الطبعة الخامسة 83 ص 95.
- ابن قنفذ: كتاب الوفيات م س ص 238.
- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثانية ج 1 ص 159 - ابن فرحون: الديباج المذهب م س ص 360.

(2) اشار إليه القاضي عياض في كتاب الغنية، في ترجمة ابي محمد عبد الرحمن بن محمد الجدامي.
القاضي عياض: الغنية تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي ص 163-164.

(3) هو جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض ابو بكر الفريابي قال ابن كثير: «طاف في البلاد لطلب العلم وسمع الكثير من المشايخ مثل قتيبة وابي كريب وعلي بن المدني. واخذ عنه ابو الحسن بن المنادي وابو بكر الشافعي استوطن بغداد وكان ثقة حافظا حجة» وكان قد تولى قضاء الدينور وتوفي سنة 301هـ 913م.
ابو الفداء: البداية والنهاية: دار الفكر بيروت ج 11 ص121.

(4) هو كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولى ابن عباس ادرك الخليفة عثمان ويعد من الثقات مات سنة 98هـ 716م.
- علي بن عمر بن احمد الدارقطني، ذكر اسماء التابعين ومن بعدهم من صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، تحقيق بوارق الطنطاوي وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية ج 1 ص 305. - ابن حجر العسقلاني: تهذيب حيد اباد الهند ج 8 ص 433.

(5) هو محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الروقي المدني روى عن زيد بن أسلم وحميد الطويل وهشام بن عروة وشريك، وروى عنه عبد الله بن نافع وزياد بن يونس وسعيد بن ابي مريم وثقه النسائي وذكره ابن حبان في الثقات دون ذكر تاريخ وفاته.
- احمد بن عبد الله بن صالح العجلي: تاريخ الثقات، وثق أصوله وخرج حديث وعلق عليه عبد المعطي للعجي الطبعة الاولى 84 دار الكتب العلمية ص 402
- الدار قطني: ذكر اسماء التابعين م س ج 1 ص320.
- محمد بن الطاهر بن علي ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين دار الكتب العلمية الطبعة الاولى 1405هـ بيروت ج 2 ص 336. - ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ج 9 ص 94.

(6) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب المدني روى عن ابيه وابن عمر وانس وهو ثقة عند أهل الحديث. قال العجلي: «ثقة تابعي» مات سنة 132هـ 749م.
- العجلي: تاريخ الثقات ص 343. - الدارقطني: ذكر اسماء التابعين ج 2 ص192. - ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 1 ص 380 - ابن حجر: تهذيب التهذيب ج 8 ص 186.

الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء من صدقة جارية أو علم ينتفع به بعده أو ولد صالح يدعو له** » ثم نظرت في قول الحكماء كما ينظر المقلد، علم الإنسان ولده المخلد، فاقتنعت عند ابتداري إلى وضع هذه الصبابة، أن أكون ولو من سواد هذه العصابة، لأحظى حين عدمت الصدقة والولد الصالح بدعوة من نظر في هذا الجزء من عالم أو عابد [أو][1] صالح فإن ظفر الجانب بمن أصاب، وإلا اتبع سبيل من أناب، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رويناه عنه: « **من كثر سواد قوم فهو منهم** »[2] ولله در القائل:[3]

وَمَا اجْتَهَدَ الإِنْسَانُ فِي نَيْلِ صَالِحٍ ... وَكَابَدَ إِلاَّ عَادَ بِالنّجْحِ ظَافِرُ[1]
فَدَاوِمْ وَلازِمْ مَا تَرُومُ طِلاَبَهُ ... لِتَحْرِزَهُ إِنْ سَاعَدَتْكَ المَقَادِرُ

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[4] ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[5] أن معناه كل من قدم عملا يلتمس به رضى الله بنية أو بلسان أو بجارحة أعطاه الله عز وجل فضل ذلك العمل في الدنيا بالمنزلة وفي الآخرة بالثواب، وفي حديث مندل[6] بن علي بن أبي بكر [الهزلي][7] عن الحسن[8] قال: قال رسول الله ﷺ:

(1) [او] زائد في م.
(2) محمد بن عبد الرحمن السخاوي: المقاصد الحسنة بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة، تحقيق محمد الخط، دار الكتاب العربي، الطبعة الاولى، 85 ص 667.
(3) من الطويل.
(4) يوسف 76.
(5) هود 3.
(6) ذكر العجلي في تاريخ الثقات مندل بن علي العنزي وذكره ابن حجر كذلك واشار إلى انه روى عن الحسن بن الحكم والحسن هذا هو الذي روى الحديث: « ما تصدق رجل بصدقة افضل من علم ينشره » راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات ص 439. - ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 10 ص 298.
(7) ط س [الهزلي] د م [الهذلي] ولعل الصواب العنزي.
- ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 10 ص 298. - الزركلي: الاعلام ج 8 ص 225.
(8) هو الحسن بن الحكم النخعي ابو الحسن الكوفي، روى عن جماعة من رواة الحديث مثل ابي بردة وابي موسى الشعبي وآخرين. وروى عنه عيسى بن يوسف والثوري وشريك ومندل بن علي وقد ذكر ابن=

«ما تصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره»[1] ومن أمثال الحكماء متى هاب الغائص موج البحر، لم يطمع في نيل الدر، ولله در القائل.[2]

لاَ تَـكُـونَـنَّ لِـلأمُـورِ هَـيُـوبـًا   فَـإلَـى خَـيْـبَـةٍ يَـصِـيرُ الـهَـيُـوبُ

قال أبو القاسم الحسن[3] بن محمد بن حبيب سمعت منصور[4] بن عبد الله يقول سمعت أبا عمر الدمشقي[5] يقول سمعت سحنون[6] يقول إذا بسط الجليل بساط المجد دخلت ذنوب الأولين والآخرين في

ـــحجر اقوال اهل الحديث في صحة ما يرويه الحسن قال: «قال ابن معين ثقة وقال أبو حاتم صالح الحديث وقال ابن حبان يخطأ كثيرا مات بعد سنة 140هـ757م. - ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 2 ص 271.

(1) محمد عبد الرؤوف المناوي: وعنده نجد الحديث بالصيغة التالية: «ما تصدق الناس بصدقة افضل من علم نشره» رقم الحديث 7875، فيض القدير بشرح الجامع الصغير، دار الكتاب، ج 5 ص 437.

(2) من الخفيف.

(3) الحسن بن محمد بن الحسن بن الحبيب، يكنى ابا القاسم الاستاذ الإمام الواعظ المفسر، كان عالما باللغة والتاريخ حدث عن الأصم وأبي عبد الله الصفار وأبي سعيد عمرو بن محمد الضرير أصبحت له مكانة كبيرة في خراسان من مؤلفاته حسب ما ذكره سزكين: كتاب التنزيل وترتيبه كتاب العقلاء والمجانين وتوفي ابن حبيب سنة 406هـ 1015م. راجع. - أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور تحقيق احمد عبد العزيز، دار الكتاب العلمية، الطبعة الاولى 89 ص 179. - جمال الدين السيوطي: طبقات المفسرين مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتاب العلمية، الطبعة الاولى، ص 35 - عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب م.س.ج 3 ص 181.
- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي نقله إلى العربية محمد فهمي وفهمي ابو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب 77 ج 1 ص 80.

(4) لعله هو منصور بن عبد الله الذي اشار إليه السلمي في طبقات الصوفية في عدة أماكن خاصة في تراجم ذي النون المصري وإبراهيم ابن ادهم وأبي زيد البسطامي.
- ابو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية: تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. الثالثة 1986 ص ص 17-25-70.

(5) الدمشقي: سقط من د م.

(6) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الفقيه المالكي الشهير، بسحنون ولد بالقيروان سنة 160هـ776م تتلمذ على علماء القيروان مثل البهلول بن راشد، ثم انتقل إلى تونس، وأخذ عن علي بن زياد، ثم رحل إلى مصر وإلى الشام. وأدى فريضة الحج، وأخذ عن أشهر اتباع الإمام مالك مثل عبد الرحمان بن القاسم، وابن وهب وأشهب. ثم عاد إلى القيروان سنة 191هـ 806م. وفي عام 233هـ 839م، قلده محمد بن الأغلب منصب القضاء. ويعتبر كتاب المدونة الكبرى من أشهر ما خلفه سحنون في الفقه المالكي وتوفي بالقيروان سنة 240هـ 854م. راجع. - ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج 3 ص 381.
- ابن فرحون: الديباج المذهب م س ص 61 - ابن قنفذ: كتاب الوفيات م س ص 471.
- عبد الله التهامي: تاريخ قضاة الأندلس م س ص 82 - فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي م س ص831.
- محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص 96. - الزركلي: الاعلام ج 4 ص 921.

حواشيه وإذا بدت ذرة من عين الجود ألحقت المسيء بالمحسن[1] وأنشد:

إنّ المَقَادِيرَ إذا سَاعَدَتْ   أَلْحَقَتِ العَاجِزَ بالحَازِمِ[2]

وقد ورد في حديث ابن الزبير[3] قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يغدو في طلب [علم][4] مخافة أن يموت [جاهلا][5] أو في إحياء سنة مخافة أن تدرس إلا كان كالغادي الرائح في سبيل الله ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»**[6]، وقال سفيان بن عيينة[7] في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

---

(1) في حلية الأولياء نقرا: «إذا بسط الجليل غدا بساط المجد دخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشيه وإذا أبدى عينا من عيون الجود الحق المسيء بالمحسن».
- ابو النعيم: حلية الأولياء ج 10 م س ص 311.

(2) من السريع

(3) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي، كنيته ابو بكر، الصحابي المعروف من رواة الحديث بيع له بالخلافة واطاعه الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وجدد عمارة الكعبة وتوفي سنة 73هـ 691م.
راجع: - العجلي: تاريخ الثقات م س، ص 652. - محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ج 6 ص781. - عز الدين بن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة دار الفكر ج 3 ص 831. - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ج 2 ص903.
- عبد الوهاب بن علي الشعراني: الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار دار الفكر، ج 1 ص 62.

(4) [علم] سقط من ط

(5) ط: [جائعا] س م د [جاهلا]

(6) ورد نص هذا الحديث بصيغة مخالفة: «ما من رجل يسلك طريقا يطلب فيه علما إلا سهل الله له به طريقا إلى الجنة. ومن يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه» راجع:
- ابو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي: سنن الدارمي. المجلد باب فضل العلم، دار الفكر، القاهرة 78 ص99.

(7) هو سفيان بن عيينة بن ابي عمران ميمون الهلالي الكوفي يكنى ابا محمد ولد سنة 107هـ 725م سمع من عمرو بن دينار والزهري وزياد بن أسلم وعبد الله بن دينار وروى عنه الاعمش وابن جريج وشعبة، قال الداودي كان إماما حجة حافظا واسع العلم كبير القدر. وقال ابن حبان في الثقات كان من الحفاظ المتقنين واهل الورع والدين. له كتاب جوابات القرآن، ومات بمكة سنة 198هـ813م. راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات ص 194. - الدارقطني: ذكر أسماء التابعين ج1 ص 165. - محمد بن علي بن احمد الداودي: طبقات المفسرين مراجعة لجنة من العلماء دار الكتب العلمية 83 ج 1 ص 196. - ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 4 ص 117.

قال معلما للخير[1]، وورد في حديث أبي رافع[2] قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا علي لأن يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس»**[3] وفيما أوحى الله تعالى إلى نبيه موسى عليه السلام **«عبدا آبقا ترده علي أحب إلي من عبادة مائة سنة قال يارب فما العبد الآبق قال [عبدي]**[4] **التارك لحقي، تخوفه عقابي، وتذكره ثوابي، وتعرفه آلائي. حتى يرجع عن معصيتي، إلى طاعتي فإذا**[5] **فعلت، فقد رددت إلي عبدي»** وفيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام **«ذكر عبادي إحساني إليهم ليحبوني فإن عبادي لا يحبون، إلا من أحسن إليهم»** ولله در القائل:[6]

أيَا فُرْقَةَ الأحْبَابِ لاَ بُدَّ لِي مِنْكَ ... وَيَا دَارَ دُنْيَايَ أنَا رَاحِلٌ عَنْكِ

ويَا قَاصِرَ الأيَّامِ مَالِي وَلِلْمُنَا ... وَيَا سَكَرَاتِ المَوْتِ مَالِي وَلِلضَّحْكِ

ومَا لِي لاَ أبْكِي لِنَفْسِي بِعبْرَةٍ ... إذَا كُنْتُ لاَ أبْكِي لِنَفْسِي فَمَنْ يَبْكِي

ألاَ أيَّ حَيٍّ لَيْسَ بِالمَوْتِ مُوقِنًا ... وَأيُّ يَقِينٍ مِنْهُ أشْبَهُ بِالشَّكِّ[6]

(1) الطبري: جامع البيان دار الفكر ج 16 ص61.

(2) أبو رافع القبطي، مولى رسول الله ﷺ. وحسب ابن حجر فقد اختلف في اسمه، وقيل اسمه ابراهيم وقيل أسلم، وقيل ثابت، وهبه العباس للنبي. وكان إسلامه قبل بدر. وشهد أحدا وما بعدها، روى عن الرسول عليه السلام، وعن ابن مسعود، وروى عنه أولاده الحسن ورافع وعبد الله ومعتز وآخرون مات في خلافة علي بن أبي طالب راجع:
- عز الدين بن الأثير: أسد الغابة م س ج 1 ص 52. و ج 5 ص 106.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 12 ص 92.
- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي م س ج 2 ص 234.

(3) هو شطر من حديث ورد عند البخاري على الشكل التالي: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم».
- ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، رقم أبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، كتاب الجهاد باب فضل من أسلم على يديه رجل، المكتبة السلفية ج 6 ص 144.

(4) ط. [عبد] س د م [عبدي].

(5) [فإذا] س م [فإن].

(6) من الطويل.

الباعث الثاني:

لما نظرت بعين البصيرة، في معظم بلاد المغرب، قد أفل منها طريق التصوف أفول المغرب، وكانت به طائفة شيخنا[1] أعظم الطوائف، في المتابعة سنة، وشرعا، وأزكاهم وأفضلهم توكلا وزهدا وورعا، ثم انقرض من هذه الطائفة سلفها، وكثر فيمن بقي من خلفها بالمخالفة تخلفها، خشيت مع اندراس هذه الطريق، أن ينسب شيخنا رحمه الله إلى غير التحقيق، فأردت أن أنشر من معالم علمه، ومكارم حلمه، ما يذهب بريب من في قلبه مرض، ويقوى عقيدة، من له فيه قصد وغرض، اقتداء بما [فعله][2] علماء السلف بصالحي أعصارهم، وبما قصدوه من الأجر والثواب في أعزارهم[3] بذلك وأبصارهم، قال [ابن][4] [عائشة][5] ﷺ كانت للناس جلة[6] ونابة وكانت النابة[7] تأخذ عن الجلة. فذهبت الجلة والنابة. ثم جاء قوم يسمعون الأخبار، كأنها أحلام. ولله در القائل:

ذَهَبَ الرِّجَالُ الْمُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ ... وَالْمُنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمرٍ مُنْكَرُ[8]

---

(1) الشيخ: «هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد التكميل فيها لعلمه بآفات النفوس وامراضها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهداها ان استعدت ووفقت لاهتدائها» راجع: – القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س 154
– عبد المنعم الحنفي: معجم مصطلحات الصوفية م س 143.

(2) ط. [فيه] س د م [فعله].

(3) اعزارهم: عزره: عظمه ووقره. وفي التنزيل ﴿لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾ الفتح 9.
– المعجم الوسيط. م س. ج 2 ص 604.

(4) ط. [ان] س د م ابن].

(5) هو عبيد الله بن محمد بن حفص، اشتهر بابن عائشة، لانه من ولد عائشة بنت طلحة، روى عن حماد بن سلمة، ومهدي بن ميمون، وعبد الواحد بن زياد، وروى عنه بعض الاعلام، كالإمام احمد وابن أبي الدنيا وأبي القاسم البغوي وكان عالما بالعربية واعلام الناس راجع:
– الدارقطني: ذكر اسماء التابعين ج 2 ص 234.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 7 ص 45.

(6) الجلة المسان من الإبل. يكون واحد وجمعا. ويقع على الذكر والأنثى. بعير جلة وناقة جلة. ابن منظور ج 11 ص 117.

(7) النابة: الناب والنيوب الناقة المسنة، ويقال ايضا الناب المسنة من النوق. ابن منظور م س ج 1 766.

(8) من الكامل.

وَبَقيتُ فِي قَوْمٍ يَزِينُ بَعْضُهُمْ   بَعْضًا لِيَدْفَعَ مِعْورٌ عَنْ مِعْوَرِ[1]

أخبرنا الفقيه الصالح بقية السلف، الخطيب أبو عبد الله محمد[2] ابن صالح بن احمد بن محمد الكناني الشاطبي، رحمه الله، ببلد بجاية المحروسة، إجازة سنة ست وتسعين وستمائة، قال حدثنا أبو الحسن[3] علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصاري، حدثنا أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن نونة العبدري[4]، حدثنا عبد الله[5] بن علي حدثنا أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري

---

(1) معور: وعور، لا حافظ له
- ابن منظور لسان العرب ج 4 ص 616
- وجاء في المعجم الوسيط : المعور من الرجال القبيح السيرة.
- المعجم الوسيط ج 2 ص 642

(2) هو محمد بن صالح بن احمد، ابو عبد الله الكناني، ولد بشاطبة سنة 614هـ1217م، تلقى فنون العلم، والآداب عن شيوخ كبار، من امثال ابي محرز وابي المطرف بن عميرة وابي بكر بن سيد الناس، واستقر ببجاية. وولي الخطبة لمدة ثلاثين سنة، بجامعها الأعظم. وكان عالما باللغة والنحو والآداب متقنا للعلم القراءات مات ببجاية سنة 699هـ1296م. - الغبريني: عنوان الدراية م س ص 79.
- ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ م س ص 335.
- احمد الونشريسي: الألف سنة من الوفيات تحقيق محمد حجي، الرباط، 76 ص 75.

(3) أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف، بن قطرال الانصاري. ذكر الغبريني في عنوان الدراية أنه كان من فقهاء القرن السابع الهجري، وانه كان من اهل العلم، والحفظ. وكان ينوب عن قاضي بجاية، لمعرفته بوجوه الحلال والحرام.
- الغبريني: عنوان الدراية ص 251.

(4) أبو محمد عبد الحق بن عبد المالك بن بونة العبداري المالقي. سماه الغبريني ابا عمر بن عبد الحق، ويعد من فقهاء المالكية البارزين، في رواية الحديث، ومات سنة 586هـ1190م وقيل سنة 587هـ1193م راجع:
- الغبريني: عنوان الدراية م س ص 203. وهامش التحقيق في نفس الصفحة.
- ابن قنفذ : وفيات ابن قنفذ م س ص295.
- العبدري: رحلة العبدري م س ص271.
- احمد الونشريسي: الألف سنة من الوفيات م س ص66.

(5) لعله عبد الله بن علي المعبطي، ذكره العبريني في عنوان الدراية، عند الحديث عن كرامات، أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي. راجع:
- الغبريني: عنوان الدراية م س ص175.

حدثنا خلف بن سعد[1] حدثنا عبد الله بن محمد[2] حدثنا أحمد بن خالد حدثنا علي[3] [بن][4] عبد العزيز. حدثنا زكريا[5] بن يحيى، حدثنا صالح بن عمر[6]، حدثنا داود بن أبي هند[7] عن أبي[8] بصرة عن

(1) لعله خلف ابو سعد الاشبح، اشار إليه الذهبي، وذكر ان كليب بن وائل كان يروي عنه. غير انه لم يشر إلى تاريخ وفاته. - الذهبي: ميزان الاعتدال جم ص661.

(2) عبد الله بن محمد. ذكر كل من الدارقطني في كتاب ذكر اسماء التابعين وابن حجر في كتاب تهذيب التهذيب العديد من الاعلام الذين يحملون نفس هذا الاسم.

(3) علي بن عبد العزيز البغوي نزيل مكة قال ابن حجر: «احد الحفاظ المكثرين مع علو الإسناد، مشهور. وهو في طبقة صغار شيوخ النسائي» وقد وثقه الذهبي، مات بمكة بعد سنة 280هـ842م.
- الذهبي: ميزان الاعتدال ج 3 ص 143.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب ج 7 ص 362.

(4) [سقط] من م.

(5) زكرياء بن يحي بن عمر بن حصن بن حميد الطائي كنيته ابو السكين الكوفي نزيل بغداد روى عن ابيه وعن المحاربي وعبد الله بن نمير وآخرون وروى عنه البخاري والحسن بن الصباح وابو بكر بن ابي الدنيا، وعده بن حبان من الثقات مات سنة 251 هـ865م. راجع:
- الدارقطني: ذكر اسماء والتابعين م س ج 3 ص 144.
- ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 3 ص 336.
- ابن القيسراني كتاب الجمع بين رجال الصحيحين ج 1 ص 152.

(6) صالح بن عمر الواسطي روى عن ابي مالك الاشجعي، وعبيد الله بن عمر وداود بن ابي هند وغيرهم. وروى عنه يونس بن محمد المؤدب وداود بن رشيد وابو عمر القطيعي، وثقه العجلي. وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة 186هـ809م. راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات ص 226.
- القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، ج 1 ص222.
- ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 4 ص 398.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ج 2 ص 118.

(7) داود بن ابي هند القرشي، ابو بكر وقيل ابو محمد البصري روى عن الشعبي وأبي العالية، ومكحول الشامي، وروى عنه شعبة والثوري ومسلمة بن عقلمة وآخرون. وثقه العجلي والنسائي، وتوفي سنة 140هـ 757م
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ج 1 ص 131.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين: م س ج 3 ص 131.
- ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 3 ص 204.

(8) هو جميل بن بصرة الغفاري: قال ابن الاثير: «قيل جميل وقيل بصرة بن بصرة سكن مصر» له ولابيه الصحبة، روى عن النبي ﷺ حديثا واحدا: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد مكة ومسجدي هذا ومسجد بيت القدس» - ابن الاثير: اسد الغابة م س ج 1 ص 350.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 1 ص 472.

أبي سعيد[1] الخدري قال لما قبض رسول الله ﷺ أنكرنا أنفسنا وكيف لا ننكر أنفسنا والله تعالى يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[2] وقال أنس بن مالك[3]، ما أعرف اليوم شيئا، كان على عهد رسول الله ﷺ، إلا غير، إلا شهادة أن لا إله إلا الله. قيل والصلاة يا أبا حمزة، قال: أوليس قد أحدث فيها، ما قد علمتم، عن الفضيل بن المسروق[4] قال سمعت الحسن بن الحسين[5] ابن علي: «يقول لرجل ممن يغلو فيهم. ويحكم أحبونا في

(1) ابو سعد سعيد بن صالح الخزرجي المدني الشهير بالخدري، من علماء الصحابة، شهد بيعة الشجرة، وما بعد احد، وهو من افضل الصحابة، روى احاديث كثيرة، عن جماعة من الصحابة مثل: ابي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وابي قتادة، وروى عنه جماعة من التابعين، وتوفي بالمدينة سنة 47هـ 393م.
– احمد بن علي الخطيب البغدادي.
– تاريخ بغداد دار الفكر ج1 ص 180. جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ ص 142– ابن الأثير: أسد الغابة م س الكنى ج 5 ص 142.– ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 1 ص 81. – الذهبي: المعين في طبقات المحدثين: تحقيق محمد زنهم دار الصحوة الطبعة الاولى 88 ص 24. – احمد بن عبد الله الخزراجي: خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال مصر 1323 ص 115.

(2) الحجرات رقم 7.

(3) انس بن مالك بن النضر بن صمصم بن زيد الانصاري، خادم الرسول عليه السلام، مكنى أبا حمزة وله صحبة طويلة، شهد بدرا، وله احاديث كثيرة. روى عن طائفة من الصحابة، وروى عنه بنوه موسى والنضر وابو بكر، وروى عنه ايضا الحسن البصري وآخرون، وكان آخر من توفي من الصحابة. ومات بالبصرة سنة 93هـ 711م. راجع:
– العجلي: تاريخ الثقات 73. – ابن الاثير: أسد الغابة م س ج 1 ص 151.
– احمد بن عبد الله الخزرجي: تهذيب الكمال م س ج1 ص35. – ابن العماد: شذرات اذهب م س ج 1 ص100.

(4) في جميع النسخ ابن مسروق، ولعل الصواب هو ابن مرزوق، وهو الفضل بن مرزوق الاغر. ويقال الرواسي الكوفي، ابو عبد الرحمن. روى عن ابي إسحاق السبيعي وعدي بن ثابت وابي سلامة الجهمي وروى عنه زهير بن معاوية، وعبد الغفار بن الحكم وآخرون، وكان من ائمة الهدى، وثقة الثوري وقال عنه العجلي «ثقة» راجع.
– العجلي: تاريخ الثقات م س، ص 484. – الدرقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 2 ص 201.
– الذهبي: ميزان الاعتدال م ج 3 ص 362. – ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 8 ص 298.

(5) في جميع النسخ «الحسن بن الحسين» والصواب الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب. روى عن أبيه وامه فاطمة بنت الحسين وروى عنه فضيل بن مرزوق. وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر الخطيب البغدادي ان الحسن بن الحسن توفي سنة 145هـ 762م في حبس ابي جعفر المنصور العباسي. راجع:
– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج7 ص293. – ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب=

الله، فإن أطعنا الله فاحبونا. وإن عصينا الله فابغضونا. قال فقال له الرجل إنكم ذو قرابة من رسول الله ﷺ، بغير عمل بطاعة لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا، أباه وأمه، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا، العذاب ضعفين، والله إني لارجو، أن يؤتي المحسن منا أجره مرتين»[1]

أبيات:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ ... وَيُورِثُكَ الذّلَ إدْمَانُهَا[2]

وَتَرْكُ الذّنُوبِ حَيَاةُ القَلُوب ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ بَدّلَ الدّينَ إلاّ المُلُوكُ ... وَاحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

لَقَدْ رَتَعَ القَوْمُ فِي جِيفَةٍ ... [يَبِينُ][3] لِذِي العَقْلِ انْتَانُهَا

فَبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْكَبُوا ... وَلَمْ يَغْلُ فِي الْبَيْعِ اثمَانُهَا[4]

الباعث الثالث:

لما نظرت إلى انقراض عمدة الشيوخ التي أدركتها. وقد سمعت منهم فضائل عن شيخنا رحمه الله، حفظتها وقيدتها ومسكتها. وجلها بلسان الرطانة[5] فنسختها بلسان العرب، حتى سبكتها. ثم رأيت جملة وافرة من فضلاء العصر، يبحثون عن تلك الفضائل. ويتوسلون إلى سماعها، على وجهها مثل الوسائل. وقد سمعت جملة من متأخر

= م س ج22 ص 263.

(1) اورد بن حجر العسقلاني جزء من هذا القول. والذي رواه الفضيل بن مرزوق وبصيغة مخالفة بعض الشيء: (قال الفضيل بن مرزوق سمعته يقول – اي الحسن بن الحسين- لرجل ممن يغلو فيهم ويحكم احبونا لله فإن اطعنا الله فاحبونا وإن عصينا الله فابغضونا، لو كان الله نافعا بقرابة رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته لنفع بذلك اقرب الناس إليه اباه وامه). – ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 2 ص 262.

(2) من المتقارب: ونسب ابو النعيم هذه الابيات لابن مبارك:- ابو النعيم: حيلة الاولياء ج7 ص278.

(3) في س [تبين] ط د م [يبين].

(4) سقط من د م.

(5) الرطانة: «رطن العجمي يرطن رطنا: تكلم بلغته، والرطانة والمراطنة: التكلم بالعجمية وهو كلام لا يفهمه العرب». ولعل المقصود بالرطانة في النص اللهجة البربرية- ابن منظور: لسان العرب ج 13 ص 181.

تلاميذه رحمه الله، ينقلون بعضها بالتغالي، والجهالة، نقلا قبيحا، حتى ربما زهد فيه من سمع ذلك، ممن تخال له عقدا صحيحا. وقد روى عن العوام بن حوشب[1] انه قال: اذكروا محاسن أصحاب محمد ﷺ، تأتلف القلوب عليهم. ولا تذكروا مساوئهم، فتخرجوا الناس عليهم.

إنَّ فِي ذِكْرِ صَالِحِينَا لَدَحْضًا[2]   يَدْحَضُ قَوْلَ الْمُرْهِقِ الْمَوْصُومِ[3]

قال عطاء[4] في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾[5] هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالرحمة والدعاء[6] ويذكرون

---

(1) العوام بن حوشب بن يزيد بن الحارث الشيباني الربعي، ابو عيسى الواسطي. روى عن إسحاق ومجاهد وابي إسحاق الشباني. وروى عنه ابنه سلامة وسلمان بن شعبة وجعفر بن عمر الرازي قال العجلي: «ثقة رجل صالح» مات سنة 148هـ765م

ـ العجلي: تاريخ الثقات م س ص 376.

ـ ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 1 ص406.

ـ ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 8 ص 163.

(2) من الخفيف

(3) الوصم: وصم والوصم العيب في الحسب، وجمعه وصوم

ـ ابن منظور: لسان العرب ج12 ص 639.

(4) ابو محمد عطاء بن ابي رباح اسلم القرشي، ولد باليمن سنة 27هـ 647م. وروى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وابي هريرة وعائشة، وروى عنه الزهري والاوزاعي وابو حنيفة، وانتهت إليه فتوى اهل مكة، وكان ثقة فقيها، عالما كثير الحديث، له كتاب التفسير، وحسب سزكين فإنه لم يكن كبيرا، وقد استفاد منه الطبري في جامع البيان والثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» وتوفي عطاء سنة 114هـ 732م.

ـ ابو النعيم احمد بن عبد الله: حلية الأولياء م س ج ص310.

ـ ابن خلكان: وفيات الاعيان م س ج 3 ص261. ـ ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج 2 ص 386

ـ الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج 3 ص 70. ـ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ج 1 ص51.

(5) التوبة 100.

(6) ورد شرح مماثل لهذه الآية في تفسير الخازن.

ـ علاء الدين علي بن محمد البغدادي: لباب التاويل في معاني التنزيل المسمى بالخازن، دار الفكر ج 3 ص 140.

محاسنهم ويسألون الله تعالى أن يجمع بينهم في الآخرة.

فَذَاكَ غَيْرُ دَمِيمٍ مِنْ [مَوَاقِفِهِ][1] ... إِذَا تَعَقَّبَهُ التَّنْقِيحُ وَالنَّظَرُ[2]

فَلاَ يُبَالِي الفَتَى وَجْـدًا يُعَالِجُهُ ... فِي ذَاكَ لَوْ طَارَ مِنْ حَافَاتِهِ الشَّرَرُ

وَلاَ يَـدُومُ اعْـتِـذَارًا عَـنْ لَوَاعِجِهِ ... فَمَا[3] عَنِ الرُّشْدِ وَالتَّوْفِيقِ مُعْتَذَرُ

فعمدت إلى إثبات ما عرفته معرفة صحيحة، وأودعت صحائفها ألفاظا معربة فصيحة، ليقتبس الراغب من المريدين، بالحقيقة منها فائدة، وتنتمي إلى فكرة الطالب الصادق، متى نظر فيها فكرة زائدة، فتكون علما لتلك الفضائل ينتجع، وعلما من الخير يستمع، قصدت بذلك الأجر والمثوبة، من دعاء قارئه أو سامعه أو ناقله، والدال على الخير كفاعله. والله در القائل:

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ[4]

وفي حديث عبد الله بن محمد اليمني عن محمد بن يوسف المدائني قال سمعت سفيان الثوري[5] يقول دخلت على عبد الله

---

(1) ط س [موالعه] د م [موافقه].

(2) من البسيط.

(3) ج م [بما] س ط [فما].

(4) من الكامل ونسبه المبرد إلى الخليل بن احمد الكامل للمبرد م س ج1 ص241.

(5) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي. روى عن ابيه وأبي إسحاق الشباني وعبد الملك بن عمر وعبد الرحمن بن عباس. وروى عنه كثير وهو إمام الحفاظ. الفقيه المحدث الزاهد قال النسائي: «هو اجل من ان يقال فيه ثقة» وقال ابن الأثير: «احد ائمة الإسلام وعبادهم» وتوفي بالبصرة سنة 161هـ 777م.

- العجلي: تاريخ الثقات م س ص 190. - ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 1 ص194.

- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 1 ص 165. - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 9 ص 351.

- ابو النعيم: حلية الأولياء م س ج 9 ص 356 - ابن كثير: البداية والنهاية م س ج 10 ص 134.

- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 10 ص 111.

جعفر[1] بن محمد بن علي رضي الله عنهم[2] فقلت له يا بن رسول الله أوصني قال يا سفيان لامروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا خلة لبخيل، ولا إخاء لملوك، ولا سؤدد لسيء الخلق. فقلت يا بن رسول الله زدني. فقال: ياسفيان كف عن محارم الله تكن عابدا، وارض بما قسم الله لك تكن مسلما. واصحب الناس، بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، وشاور في امرك الذين يخشون الله، فقلت يا رسول الله زدني، فقال ياسفيان من أراد عزا بلا عشرة، وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذل معصية الله، إلى عز طاعة الله، فقلت يا بن رسول الله زدني، فقال يا سفيان أدبني أبي بثلاث، وأتبعني بثلاث، فقلت يابن رسول الله فما الثلاث التي أدبك بهن أبوك، قال قال لي أبي من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن دخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم، ثم أنشد:

عَـوِّدْ لِسَانَكَ قَـوْلَ الحَقِّ تَحْظَ بِهِ ... إنَّ اللِّـسَـانَ بِمَـا عَــوَّدْتَ مُـعْـتَـادُ
مُـوَكَّـلًا بِـتَـقَـاضِـي مَـا سَـنَـنْـتَ لَـهُ ... فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ[3]

فقلت يا بن رسول الله فما الثلاث الآخر، قال قال لي [أبي][4] يا بني إنما تلقى حاسد نعمة، أو شامت مصيبة، أو حامل نميمة[5]، وأنشدنا

(1) ابو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي، زين العابد بن ولد بالمدينة سنة 80هـ 699م انضم إليه اتباع والده، عند قيام عمه بالثورة سنة 122هـ 730م. واصبح الإمام السادس من ائمة الشيعة. كان عالما بالتفسير والحديث والفقه، مات سنة 148هـ 765م بالمدينة، من آثاره حسب ما ذكره سزكين.
ـ مصابيح الشريعة ومفتاح الحقيقة- كتاب الجفر- منافع القرآن -اسرار الوحي.
ـ ابو النعيم : حلية الاولياء م س ج 3 ص 192.
ـ ابي جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك م س ج1 ص
ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 1 ص327.
ـ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي م س ج 2 ص 1240.

(2) د م [عنه] ط س [عنهم].

(3) من البسيط.

(4) [ابي] سقط من ط.

(5) [او حامل نميمة] سقط من م.

لبعض الفضلاء. 1 2 3 4

أَيَا ابْنَ آدَمَ وَالآلاَءُ سَابِغَةٌ ... وَمُزنَةُ[1] الجُودِ لَم تَنْفَكَّ عَنْ دِيَمِ[2]

هَلْ أَنْتَ ذَاكِرٌ مَا أُولِيتَ مِنْ حَسَنٍ ... وَشَاكِرٌ كُلَّ مَا خُوِّلْتَ مِنَ نِعَمِ

بَرَاكَ بَارِئُهَا بِالْخَلْقِ مِنْ عَدَمٍ ... مَحْضٍ وَلَوْلاَهُ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْعَدَمِ

أَنْشَاكَ مِنْ [حَمَا][3] إِذْ لاَ حِرَاكَ بِهِ ... فَجِئْتَ مُنْتَصِبًا تَمْشِي عَلَى قَدَمِ

مُكَمَّلُ الأَدَوَاتِ آيَةً عَجَبًا ... مُوَفَّرُ الْحَظِّ مِنْ عَقْلٍ وَمِنْ فَهِمِ

تَرَى وَتَسْمَعُ كُلاًّ قَدْ حُبِيتَ بِهِ ... فَضْلاً وَتَنْظُرُ بِالتِّبْيَانِ وَالْحِكَمِ

هَدَاكَ بِالْعِلْمِ سُبُلَ الصَّالِحِينَ لَهُ ... وَكُنْتَ مِنْ غَمَرَاتِ الْجَهْلِ فِي ظُلَمِ

مَاذَا عَلَيْكَ لَهُ مِن نِعْمَةٌ غَمَرَتْ ... كُلَّ الجِهَاتِ فَلَمْ تَبْرَحْ وَلَمْ تَرِمِ

كَالشَّمْسِ إِذْ أَلْقَيْتَ شَعَاعَتَهَا ... حَتَّى تُبْصَرَ مَا عَلَيْكَ كُلُّ عَمِ

فَاشْكُرْ وَلَسْتَ مُطِيقًا شُكْرَهَا أَبَدًا ... وَلَوْ جهدت فَرَاقِبْ وَابك وَالْتَزِمِ

رِزْقٌ وَأَمْنٌ وَإِيمَانٌ وَعَافِيَةٌ ... مَتَى تَقُومُ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ[4]

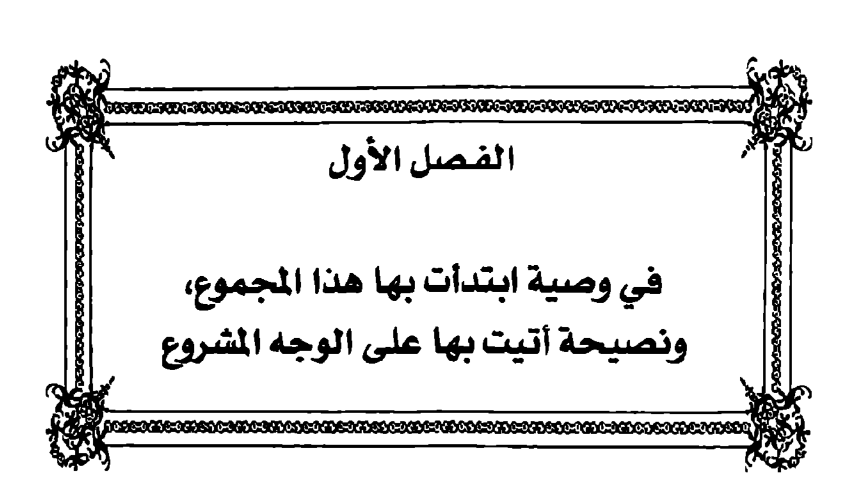
---

(1) المزنة: المزن السحاب عامة وقيل السحاب ذو الماء واحدته مزنة، وقيل المزنة: السحابة البيضاء وفي التنزيل: ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾. الواقعة رقم 69.

(2) الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق والجمع ديم، ابن منظور، لسان العرب، ج 13 ص 406.

(3) س ط [حما] د م [حما] .

(4) من البسيط.



الفصل الأول

في وصية ابتدأت بها هذا المجموع، ونصيحة أتيت بها على الوجه المشروع

وقد ندبني إلى ذلك غرضان: أحدهما عندما تحققت أن سوق هذا الطريق قد بار، وأنصاره قد ولت الأدبار، بما ظهر لي من الفتن التي أبدعت في مواسم الخير ومواضع العبادة، والبدع التي أحدثت بالجهل من أهل الشر، ومدعين الإرادة، وكلهم قد توسموا بزى الفقر، ولكنهم حجبوا عنه في الحقيقة بالغشاوة والوقر، حتى [عمت][1] من كان منها سالما، وطاح فيها من طوحة الأقدار بالحمية صارما، فتهجموا بالجهالة في مناكر [المرج][2]، وتوغلوا بالشقاوة في مسالك الهرج، فسفكوا دماء بعضهم بعضا، وصيروا اعتقاد المودة بينهم قلى وبغضا، زاعمين أن ذلك من الدين وليس منه في شيء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[3] فقصدت بوضع هذه الوصية انتفاع خواص المريدين، ورجوت في النصيحة لهم رجاء المجتهدين، عسى الله أن يكف بأنس طائفة المعتدين، ويصلح ما ظهر في هذه الفتنة من أعمال المفسدين فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] ولله در القائل:

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا   كَلاَمُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ[5]

أخبرنا الشيخ الفاضل أبو زكريا يحيى[6] بن محمد بن حجاج

(1) ط د م [عمت] س [عمي]

(2) ط [المدج] س د م [المرج] وجاء في لسان العرب مرج الأمر مرجا فهو مارج ومريج: التبس واختلط وفي التنزيل: فهم في أمر مريج.

- ابن منظور لسان العرب ج 2 ص 365.

(3) الانعام رقم 159.

(4) الذاريات رقم 55.

(5) من البسيط.

(6) راجع إحالة رقم 13.

الصفوني[1] إجازة قال حدثنا عبد العزيز بن عمر القيسي حدثنا أبو الحسن علي[2] بن أبي نصر حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن [أبي][3] الفضل الأنصاري بدمشق المحروسة أخبرنا أبو عبد الله محمد[4] ابن الفضل بن أحمد الصاعدي الفروى، حدثنا أبو الحسن عبد الغافر[5] ابن محمد الفارسي، حدثنا أبو أحمد[6] محمد بن عيسى بن عمرويه ابن منصور الجلودي، حديثنا أبو إسحاق إبراهيم[7] بن محمد بن سفيان

(1) [قال] سقط من م د

(2) هو علي ابن ابي نصر فتح وقيل نائح بن عبد الله أبو الحسن ولد ببجاية سنة 606 هـ 1209م كان قد رحل الى الأندلس، ثم إلى الشرق. وسمع من بعض العلماء مثل أبي محمد يونس بمكة وابن جبير صاحب رحلة بيت المقدس وأبو القاسم عبد الصمد الحرستاني بدمشق وابو القاسم الحسن بن عبد السلام. وحج ثماني عشرة حجة وكان من حفاظ الفقه المالكي، يميل إلى الزهد والورع، وتوفي ببجاية سنة 652هـ 1254م، راجع:

- الغبريني : عنوان الدراية م س ص 137 .
- ابن قنفذ : وفيات ابن قنفذ م س ض 321.
- احمد بن احمد بابا التبكتي، نيل الابتهاج، م س ص 202 .
- عادل : معجم اعلام الجزائر، ص 118 .

(3) [أبي] : سقط من ط، د.

(4) ابو عبد الله محمد بن الفضل بن احمد بن محمد الصاعدي الفراوي، ولد بنسابور سنة 441هـ 1059م من شيوخه إمام الحرمين والقشيري، أقام بمكة ينشر العلم فعرف بفقيه الحرمين، وكان محدثا شافعي المذهب، له كتب منها: الاربعين حديثا وللمجالس في الوعظ مات سنة 530هـ 1145م، راجع :

- الونشريسي: ألف سنة من الوفيات ص 61. - ابن قنفذ : وفيات ابن قنفذ م س ص 276 .
- ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 4 ص 76.

(5) الذي في الف سنة من الوفيات وشذرات الذهب في اخبار من ذهب: عبد الغافر بن اسماعيل وليس ابن محمد صاحب تاريخ نيسابور ومجمع الغرائب. غمام الحديث واللغة والادب، مات سنة 525هـ 1130م راجع:

- الونشريسي: الالف سنة من الوفيات م س ص 61.
- ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 4 ص 93.

(6) ابو احمد محمد بن عيسى بن عمرويه بن منصور الجلودي المتوفى 368هـ 978م. ذكره القاضي عياض في الغنية. وترجم له الصفدي في الوافي بالوفيات راجع: القاضي عياض: الغنية م س ص35. وإحالة التحقيق في نفس المصدر ص 35.

- شمس الدين بن محمد بن جابر الوادي آشي : برنامج ابن جابر الوادي آشي تحقيق محمد الحبيب الهيلة تونس 1981 ص 192.

(7) اشار إليه محمد بن جابر الوادي آشي عند حديثه، عن قراءته للمسند الصحيح لمسلم بن الحجاج راجع: محمد بن جابر الوادي آشي م س ص 185.

حدثنا مسلم[1] بن الحجاج حدثنا عمر الباقر[2] وأبو بكر بن النضر وعبد بن حميد قالوا حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد [حدثنا أبو عمر صالح بن كيسان[3]] عن الحارث عن جعفر بن عبد الله بن الحكم، عن عبد الرحمن بن المسور عن أبي رافع عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يأمرون، فمن جاهدهم بيده، فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه، فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[4]

وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو يعظ الناس: لا عذر لأحد عند الله تعالى بعد البينة في ضلالة ارتكبها حسبها هدى، ولا في هدي تركه حسبه ضلالة، فقد ثبتت الحجة وانقطع العذر، فمن رغب عن السنة والكتاب تقطعت من يده أسباب الهدى، ولم يجد حجة [ينجو][5] بها من الردى، ولله در القائل:

---

(1) مسلم بن الحجاج بن مسلم ابو الحسن القشيري. احد الائمة الحفاظ واعلام المحدثين المشهورين، وصاحب كتاب الجامع الصحيح المعروف بصحيح مسلم، توفي بنسابور سنة 261هـ 884 راجع.
– الوفيات لابن قنفذ : م س ص 185.

(2) في جميع النسخ عمر الباقر والصواب عمرو الناقد. وهو عمرو بن محمد بن بكير سابر الناقد البغدادي كنيته ابو عثمان. روى عن يعقوب بن ابراهيم وسفيان وابي النضر، وروى عنه البخاري ومسلم توفي ببغداد سنة 232هـ 846 م راجع: – الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ج1 ص265.
– ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج1 ص376.
– ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ج م س 8 ص 98.

(3) في جميع الاصول حدثنا ابو عمر صالح بن كسيان. وفي صحيح مسلم قال حدثني ابي عن صالح بن كيسان.

مسلم بن حجاج: صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ج 2 ص 26 .

(4) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم م س، كتاب الإيمان، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 27.

(5) د م [ينمو] س ط [ينجو]

إنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ حَدِيثَهُ فانْتَفَعْ

[فُؤَادَكَ][1] مِنْ حَدِيثِ[2] الْوَامِقِ[3]

أخبرنا الشيخ الفاضل الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن احمد ابن محمد الكناني رحمه الله، إجازة قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن علي ابن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري[4]، حدثنا محمد بن أيوب بن نوح الغافقي، حدثنا علي بن محمد بن علي[5] بن هذيل، حدثنا ابو داود[6] سليمان بن نجاح، حدثنا أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبر البر النمري حدثنا سعيد[7] بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ[8].

(1) – ط [بذلك] س د م [فؤادك].

(2) من الكامل. وقد نسب ابن منظور هذا البيت إلى جابر. ابن منظور لسان العرب ج 10 ص 385.

(3) الوامق: ومقه يمقه: احبه فوهو وامق. ابن منظور لسان العرب ج 10 ص 385.

(4) ابو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الانصاري، ولد ببلنسية سنة 577هـ 1181م، اخذ عن العديد من الفقهاء في الأندلس، كأبي عبد الله بن نوح الغافقي وابو جعفر احمد بن علي بن يحيى وغيرهم، ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها، وكان فقيها مالكيا من كبار المترئين في عصره، ومات ببجاية سنة 659هـ 1261م.

– الغبريني: عنوان الدراية م س ص 289. – ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ، ص 322.

(5) علي بن محمد بن علي بن هذيل ابو الحسن ولد سنة 470هـ 1077م ببلنسية، روى عن ابي داود سليمان بن نجاح وكان فقيها مقرئا زاهدا، حدث نحو ستين سنة. الضبي أحمد بن يحيى بن احمد، بغية الملتمس، دار الكتاب العربي، ص 414.– الغبريني: عنوان الدراية م س ص 286.

(6) أبو داود سليمان بن نجاح ذكره الضبي في بغية الملتمس في ترجمة علي بن محمد بن هذيل مشيرا إلى انه كان من جملة أساتذته الذين انتفع بهم وببركتهم. الضبي أحمد بن يحيى بن احمد بغية الملتمس م س ص 414.

(7) سعيد بن نصر من رواة الموطا ذكره القاضي عياض في الغنية وكان ابن عبد البر يروي عنه.

– القاضي عياض: الغنية م س ص 30.

– ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ م س ص 225.

(8) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطا البياني يكنى أبا محمد، سمع من محمد بن وضاح وموحد بن عبد السلام الخشني، وإسماعيل الترمذي وروى عنه جماعة من اهل بلدته مثل عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر واحمد بن قاسم قال الضبي: « إمام من ائمة الحديث حافظ مكثر مصنف » من آثاره: – احكام القرآن– المجتبى– الناسخ والمنسوخ– كتاب في الأنساب. ومات بقرطبة سنة 340هـ 951م.

– الضبي: بغية الملتمس م س ص 447.

– ابو بكر محمد بن خير: فهرست ابي خير نسخ وطبع ومقابلة الإدارة، القاهرة، ص 125.

– القاضي عياض: الغنية م س ص 30–39–40.

حدثنا ابن الوضاح[1]، حدثنا موسى بن معاوية، أخبرنا عبد الرحمن[2] بن مهدي، أخبرنا خالد[3] بن يزيد حدثنا أبو جعفر[4] عن الربيع[5] عن أنس عن أبي [العالية][6] في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم

- القاسم بن يوسف التجيبي: برنامج التجيبي تحقيق عبد الحفيظ منصور الدار العربية للكتاب، تونس، 81 ص58.

(1) لعله أبو عوانة واسمه الوضاح مولاي يزيد بن عطاء وحسب ابن سعد فإن أصله من واسط، وهو ثقة مات سنة 176 هـ792م بالبصرة. ابن سعد: طبقات بن سعد ج 7 ص287.

(2) عبد الرحمان بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمان العنبري، وقيل الأزدي أبو سعيد البصري اللؤلؤي روى عن شعبة وجرير بن حازم وسفيان الثوري ومالك، وروى عنه ابنه موسى وابن المبارك وابن وهب وأحمد بن حنبل قال السيوطي: «قال ابن المديني كان أعلم الناس» وقال أبو حاتم، هو إمام ثقة وقال أحمد بن حنبل: «إذا حدث بن مهدي فهو حجة وقال الشافعي: «لا أعرف له نظيرا في الدنيا» له كتاب الرسالة، ومات بالبصرة سنة 198هـ 313م. راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات م س ص 299.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 1 ص 218.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 10 ص 240.
- السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 144.
- ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 6 ص 279.

(3) خالد بن يزيد الجمعي الاسكندراني أبو عبد الرحيم المصري روى عن سعيد بن هلال وعطاء بن أبي رباح والزهري وابن الزبير وروى عنه السعد بن أيوب عنه السعد بن أيوب ونافع بن يزيد وغيرهم وثقه العجلي مات سنة 139هـ756م.
- العجلي: تاريخ الثقات م س ص 142.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 1 ص 124.
- تهذيب التهذيب م س ج 3 ص 139.

(4) لعله أبو جعفر الرازي الذي ذكر ابن حجر أنه كان يروي عن الربيع بن أنس البكري.
- ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب م س ج 3 ص 238-239.

(5) هو الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخرساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري، وروى عنه أبو جعفر الرازي وابن مبارك، وثقه العجلي وذكر ابن حجر نقلا عن ابن سعد أنه مات في خلافة المنصور العباسي.
- العجلي: تاريخ الثقات م س ص 153.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب ج 3 ص 238.

(6) ط [العلي] س د م [العالية]
وأبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي قال ابن حجر: «أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين. روى عن علي وابن مسعود وأبي هريرة وأبي بردة وعائشة وأنس. وروى عنه جماعة» ويعد من أكب التابعين علما بالقرآن. وروى له البخاري ومسلم، وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة 92هـ 710م، أو 93هـ 711م.
- جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 29. - ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ م س ص 99.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 3 ص 284. - ابن العماد: شذرات الذهب م س ص 102.

﴿مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[1] قال معناه لا تتعادوا عليه[2] وكونوا إخوانا. ثم ذكر بني إسرائيل وحذرهم أن يأخذوا بسنتهم. فقال تعالى[3] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[4] ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[5] قال أبو العالية: بغيا على الدنيا وملكها[6]، وزخرفها وزينتها وسلطانها، وقال أبو عبيد[7]، [علموا][8] أن التفرق فيه ضلالة، ولكنهم فعلوه بقليل وقال أبو محمد عبد الحق[9] بن أبي بكر بن غالب بن عطية في قوله تعالى:

(1) الشورى رقم 13.

(2) ابو حيان الاندلسي تفسير البحر المحيط دار الفكر ج 7 ص 512

(3) سقط من د م.

(4) البينة رقم 4

(5) آل عمران

(6) الطبري جامع البيان م س ج 3 ص 11442.

(7) لعله القاسم بن سلام ابو عبيد البغدادي او ابو عبيدة حسب إشارة السيوطي، نقلا عن ابي راهويه، وذكر الخطيب البغدادي ان اباه كان من عبيد الروم، وقد اختلف في تاريخ ولادته فقيل 150هـ ت767م. وقيل 154هـ 770م. روى عن هشيم وإسماعيل بن عيشا ووكيع وغيرهم. وروى عنه جماعة من الرواة. وثقه الإمام احمد بن حنبل وابن معين وغيرهما قال الداودي: «الفقيه الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة من القراءات والفقه واللغة والشعر.

تولى قضاء طرسوس. من آثاره حسب ما ذكره الخطيب البغدادي- غريب القرآن- غريب الحديث- الغريب المصنف- كتاب الأموال- كتاب القراءات- الناسخ والمنسوخ- ومعاني القرآن، مات بمكة سنة 224هـ 838م راجع: - ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج ج 7 ص 355. - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 12 ص 403 - ابن خلكان: وفيات العيان م س ج 4 ص 60 - ابن كثير: البداية والنهاية م س ج 10 ص291 - السيوطي: طبقات الحفاظ م س ج 10 ص 182. - علي ابن احمد الداودي: طبقات المفسرين دار الكتب العلمية ج 2 ص 37.

(8) [علموا] سقط من ط.

(9) ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن عطية الغرناطي. كانت ولادته سنة 481هـ 1088م نشأ في بيت علم، روى عن ابيه الحافظ، وابي علي الغساني والصدفي وابن المطرف وابي القاسم بن ابي الخصال وغيرهم من الاعلام وروى عنه ابو جعفر بن مضاء وعبد المنعم بن الفرس، وكان فقيها عارفا بالاحكام والحديث بارعا في الآداب واسع المعرفة، ولي قضاء المرية. له التفسير المشهور باسم «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية توفي لورقة في رمضان 541هـ 1146م راجع:

- الضبي: بغية الملتمس م س ص 389. - ابن فرحون: الديباج المذهب م س ص 174.=

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[1]

قال في الآية دليل محض في التحريض[2] لأمة محمد ﷺ على الائتلاف وقلة الاختلاف. وقوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق، قال هذا وإن كان على الإطلاق في الكفار، فهو أيضا على المبالغة في العصاة المتنطعين، في الشريعة من امة محمد ﷺ، لأن لهم حظا في تفريق الدين، والشيع جمع شيعة وهي الفرقة على مقصد، ما يتشايعون ويفترقون عليه، وقال أبو الأحوص[3] وأم سلامة[4] زوج النبي ﷺ: الآية في أهل البدع والأهواء[5] والفتن ومن جرى مجراهم من أمة محمد ﷺ، أي فرقوا دين الإسلام. قلت هذه الآية وردت في معرض الذم والتهديد، والأعذار بتبليغ الوعد والوعيد، لمن سعى في تفريق الدين بطوع الأهواء واختلاف الآراء، وهو ثمرة فساد الاعتقاد، وحلية أهل التنافس والانتقاد، يتولد من شره العجب في

= السيوطي: طبقات المفسرين م س ج 1 ص 265.

(1) الانعام رقم 159.

(2) حول الشرح الذي قدمه المؤلف راجع:
- ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق المجلس العلمي بفاس وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية 1979 ج 5 ص189.

(3) ابو الأحوص: ذكره ابن سعد في الطبقات، واشار إلى انه كان يروي عن عبد الله بن مسعود، وذكر الذهبي انه كان يروي عن ابي ذر؛ وان الترمذي روى له حديثه في مس الحصى وما صححه بل قال، هو حسن وثقه بعض الكبار راجع:
- ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج 6 ص 325-406
- الذهبي: ميزان الاعتدال باب الكونى م س ج 4 ص 487.

(4) أم سلامة: بنت أبي امية بن المغيرة بن عبد الله القرشية اسمها هند زوج الرسول، كانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة وكان الرسول قد تزوجها سنة 4هـ626 م، وهي من النسوة التي مات عنهن، وقد اختلف في تاريخ وفاتها بين سنة 61هـ680م، 62 هـ 681 م و63هـ682 م راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات م س ج 6 ص 340
- ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج 1 ص 240، ج 4 ص133، ج 8 ص45.
- ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 6 ص 340.
- ابن حجر: الإصابة م س ج 4 ص 458.
- محمد بن عبد البر النمري: الاستيعاب في أسماء الاصحاب دار الفكر 78 ج 4 ص 454.

(5) راجع القرطبي تفسير البحر المحيط ج 4 ص 260. وانظر كذلك الطبري جامع البيان م س ج 8 ص78.

النفوس الحاسدة، لشدة الحرص على الأغراض الفاسدة، ثم لا يحصلون مع ما هم فيه من الهلكة على [طائل][1]، ولله در القائل:[2]

تَغَايَرَ النَّاسُ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُمْ وَفُرِّقَ النَّاسُ آرَاءٌ وَأَهْوَاءُ[2]
وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ لَهُ دَاءُ حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لاَ دَوَاءَ لَهُ

وقال الزمخشري[3] في قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾[4] معناه صيرناهم قطعا[5] وفرقناهم فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم وكانت كل فرقة، تؤوم خلاف ما تؤمه الأخرى، حتى لا تكاد تختلف، فسموا بذلك أمما. وقال قتادة[6] ومحمد بن كعب القرظي[7] وغيرهما في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا

---

(1) د م [باطل] ط س [طائل]

(2) من البسيط .

(3) هو محمود بن عمر بن محمد بن احمد الزمخشري ابو القاسم ولد في قرية من قرى حوار سنة 467هـ 1074م ارتحل إلى بغداد فسمع من علمائها كابي الخطاب بن البطر وابي سعد الشقاني، والشيخ ابي منصور الحارثي ثم وفد على مكة وجاور بها فلقب بجار الله وكان من الائمة الكبار في علوم الدين والتفسير واللغة والآداب، معتزليا متكلما، شديد الإنكار على المتصوفة من اهم مؤلفاته التي طبع بعضها: الكشاف في تفسير القرآن- الفائق في غريب الحديث- اساس البلاغة- المفصل في النحو- المقامات- شقائق النعمان، ومات في خوارزم سنة 538هـ 1143م راجع: - ابن كثير: البداية والنهاية م س ج 12 ص 219. - ابن خلكان: وفيات العيان م س ج 5 ص 168. - ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 4 ص 118- الداودي: طبقات المفسرين م س ج 2 ص314.

(4) سورة الاعراف 168 .

(5) راجع الزمخشري: الكشاف م س ج 2 ص27.

(6) راجع الزمخشري: الكشاف م س ج 2 ص 27.

(7) هو محمد بم كعب بن سليم القرظي ابو حمزة وقيل ابو عبد الله المدني من كبار التابعين وصفه ابن حبان بانه كان من افاضل اهل المدينة، علما وفقها، ووثقه العجلي وابن سعد، وقال سزكين في تاريخ التراث العربي « افاد الثعلبي من كتابه- الكشف والبيان من تفسير القرظي وتوفي سنة 118هـ 736 م راجع:
- العجلي : تاريخ الثقات م س ص 411.
- ابو النعيم : حلية الاولياء م س ج 3 ص 212.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 2 ص 448.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 9 ص 410.
- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي م س ج1 ص 53.

في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾[1] معناه [هممتم][2] واردتم أن توليتم شيئاً من أمر المسلمين، أن يقتل بعضكم بعضا، وتعودوا إلى ما مكنتم عليه من الفساد في الأرض، بسفك الدماء وقطع الأرحام[3]. قالوا ومن قطع الأرحام التفرق في الدين، بعدما جمعهم الإسلام، وألف بين قلوبهم. وقال محمد بن إبراهيم بن عرفة[4] في قوله تعالى: ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا ﴾[5] معناه صاروا أحزابا وفرقا على غير دين ولا مذهب مختلفين[6] في العقائد. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا[7] من بعد ما جاءهم [البينات] ﴾[8]. حذر الله المؤمنين أن يكونوا كمثل اليهود،[9] الذين اختلفوا في كتابهم، وتفرقوا في دينهم. وأمر المؤمنين بالجماعة، والألفة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم، أنه إنما هلك من كان قبلهم، بالاختلاف والمراء، والخصومات في دين الله تعالى، وقال الحسن[10]

---

(1) سورة محمد 22.

(2) سقط من د م.

(3) أورد أبو حيان الأندلسي شرحا شبيها بهذا الشرح الذي أثبته مؤلف النص. راجع:
– محمد بن يوسف ابو حيان الأندلسي الغرناطي. تفسير البحر المحيط دار الفكر الطبعة الثانية 83 ج 8 ص 82.

(4) لم أقف له على ترجمة.

(5) سورة المؤمنون 53.

(6) راجع الخازن م س ج 5 ص 39.

(7) سورة آل عمران 105.

(8) ط [البينة] س د م [البينات].

(9) راجع ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي مصر 51 الطبعة الثانية ص 43.

(10) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، مولى زيد بن ثابت ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وروى عن عمران بن حصين وأبي موسى وابن عباس وهو من كبار التابعين جمع بين العلم والزهد والورع، من آثاره كتاب التفسير افاد منه الثعلبي في الكشف والبيان حسب ما ذكره سزكين، وكتابه إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية، وتوفي بالبصرة سنة 110هـ 728م راجع: – أبو النعيم حلية الأولياء م س ج 2 ص 131. – ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج 7 ص 156. – ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج 7 ص 156. – السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 35. – الداودي: طبقات المفسرين م س ج 1 ص 150. – فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ج1 ص 49.

هم اليهود والنصارى[1]، اختلفوا في دينهم، فنهانا الله تعالى عن مثل ذلك، ثم أخبر أن هؤلاء المختلفين لهم عذاب عظيم، قال جماعة من أهل العلم، المراد بها بعض أهل القبلة من المسلمين، وقال المزني[2] في قوله تعالى : علوا كبيرا ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ[3] غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[4] قال إنما وردت الآية في سياق الذم. فذم الله تعالى الاختلاف. فلو كان من دين[5] الله تعالى ما ذمه، ولو كان التنازع من حكمه، ما أمرهم بالرجوع عنده، إلى الكتاب والسنة، في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[6] قال مجاهد[7] وعطاء[8] وغيرهما : معناه الكتاب والسنة[9]، وقال قتادة[10]

---

(1) راجع الطبري : جامع البيان م س ج 4 ص 26.

(2) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري ولد سنة 175هـ 792م، كان من أكبر تلامذة الإمام الشافعي، واعرفهم بطرقه وفتاويه. وكان إماما عالما زاهدا قال فؤاد سزكين: « كانت له وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر استاذه في بعض المسائل وصار له فيها مذهب خاص » خلف المزني كتب منها : مختصر المختصر- الجامع الكبير والجامع الصغير- المنثور- الترغيب في العلم. ومات سنة 264 هـ 877م بمصر ودفن بالقرب من قبر الإمام الشافعي راجع: - ابن النديم : الفهرست دار المعرفة ص 298 - ابن العماد.م س ج 2 ص148 .- ابن قنفذ: الوفيات م س786. - ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج 1 ص217. - فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ج 2 ص 17849 .

(3) لفظ الجلالة زائد في ط.

(4) سورة النساء 82.

(5) س [ذم] ط د م [دين].

(6) سورة النساء 59.

(7) هو مجاهد بن بن جبر ابو الحجاج المكي ولد سنة 21هـ 642 م في مكة. تتلمذ على ابن عباس كما درس على علي ابن ابي طالب وابي بن كعب وعبد الله بن عمر. وروى عن عائشة وام سلامة وابي هريرة وسعد بن ابي وقاص، وروى عنه عكرمة وعطاء بن ابي رباح وقتادة وغيرهم، وكان إماما مقرئا مفسرا قال العجلي: « تابعي ثقة » وقال فؤاد سزكين « ويبدو انه كان احد اوائل من فسروا القرآن تفسيرا عقليا » ثم اضاف « اما في مجال الفقه فقد جعل مجاهد «للراي» اهمية في إصدار الأحكام » من آثاره « التفسير الذي اخذ منه الطبري حوالي 700 مرة ». ومات مجاهد بمكة وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل 101هـ 719م او 102 هـ 720م او 103هـ 721م. او 104 هـ 722م راجع:
- العجلي : تاريخ الثقات م س ص 410. - ابو النعيم : حبلة الأولياء ج 3 ص 279. - سزكين : تاريخ التراث العربي ج 1 ص 48.

(8) انظر إحالة رقم 162.

(9) راجع الطبري: جامع البيان ج5 ص 96.

(10) انظر إحالة رقم

في قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[1] قال نجد أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، مختلفة أقوالهم مجتمعين ظاهرا في عداوة أهل الحق[2] وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[3] معناه [يخلط][4] امركم ويلبسكم [الخ][5] ويلبسكم أهواء متفرقة[6] فيشتبه عليكم الأمر فتضلوا كما ضلوا. وقال أُبيْ ابن كعب[7] وأبو العالية وجماعة من أهل العلم المراد بهذا الخطاب عامة المسلمين. ومعنى يذيق بعضكم بأس بعض، القتل وما في معناه من المكاره[8]. فتأمل يا أخي عافانا الله وإياك من فتن الزمان، والتلبس بطرق الحرمان، ما [في][9] هذه الآيات من شدة الوعيد، ومحض التهديد، تحريضا على الألفة في الدين، وتحذيرا عن ترك سنن المهتدين، ما ينبه كل عاقل، ويوقظ كل غافل، ويحرض كل جاهل [ممن][10] سعى في تفريق الدين وتشتيت طائفة المريدين وخواص المتعبدين، على التوبة والأنابة من ذلك، ويتلافى في بقية [العمر][11] ما

(1) سورة الحشر رقم 14.
(2) راجع الطبري: جامع البيان م س ج28 ص 38.
(3) سورة الأنعام 65.
(4) [بياض] في م
(5) زائد في د م.
(6) راجع الطبري جامع البيان م س ج 28 ص 38.
(7) أُبَيْ بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري شهد بدرا وعدة مشاهد اخرى وقرا القرآن على الرسول وكان من اكبر الصحابة علما وقراءة ويجمع بن العلم والعمل حدث عنه كبار الصحابة كابن عباس وابي هريرة وغيرهم، وتوفي بالمدينة سنة 19هـ 640م راجع:
– ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 1 ص 61.
– ابن سعد طبقات ابن سعد م س ج 3 ص 59.
– ابن حجر : الأصابة م س ج 1 ص 19.
– السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 14.
(8) في ط.
(9) [في] سقط من ط.
(10) س م [فمن] ط د م [ممن].
(11) ط [العبد] س د م [العمر].

أفسد هنالك، وإلا ففي الآيات شرح لحاله، وتعريف له بمآله، ولولا طلب الاختصار، لاستقصيت ما في الكتاب العزيز من بليغ الإنذار وغاية الاعتذار، ولكن ساورد مع هذا طرفا من الأخبار و[نبذة][1] من الآثار على سبيل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وأنشدوا :[2][3]

وَفِـي الْحِلْمِ وَالإِسْـلَامِ لِلْمَرْءِ وَازِعٌ ... وَفِـي تَـرْكِ اهْـوَاءِ الْفُـؤَادِ الْمُظْلِمِ

بَصَائِرُ رُشْـدٍ لِلْفَتَى مُسْـتَنِيرَةٌ[6] ... [وَاَخْلاَقُ] صِدْقٍ عِلْمِهَا بِالتَّعَلُّمِ[7]

أخبرنا الشيخ الفاضل أبو زكريا يحيى بن محمد بن حجاج الصفوني إجازة، قال حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف القيسي، حدثنا ابو بكر محمد بن محمد بن عبد الرحمن الزهري، حدثنا عبد الله بن عبيد الحجري، حدثنا الحاج أبو الحين بن موهب، حدثنا أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى[4] بن يحيى عن مالك بن أنس عن أبي الزناد[5] عن الأعرج[6] عن

(1) سقط من ط.

(2) ط [إخلاط] س د م [اخلاق]

(3) من الطويل: ونسب الجاحظ البيتين لكثير عزة في البيان والتبين ج 1 ص 197 .

(4) هو يحيى بن يحيى التميمي الحنظلي ابو زكرياء قال عنه النسائي ثقة ثبت مات سنة 226هـ 810م.
– الدارقطني : ذكر اسماء التابعين م س ج 1 ص406 . – ابن القيسراني : الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 2 ص565 . – ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 11 ص 296 .

(5) أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي المدني يكنى أبا عبد الرحمن مولى رملة، أمرة الخليفة عثمان. روى عن أنس والاعرج وعبد الله بن جعفر، وروى عنه الأعمش وسالم بن كيسان وعبد الله بن مليكة وآخرون . وكان احد الاعلام الفقهاء وثقه النسائي والعجلي مات سنة 31 هـ 651 م، وقيل 32 هـ 652 م .
– العجلي : تاريخ الثقات ص 245. – ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 5 ص 203 .
– السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 61 .

(6) هو عبد الرحمن بن هرمزة ابو داود المدني، المعروف بالاعرج. من اكبر تلامذة ابي هريرة كثير الحديث مات 177هـ 735م. – أبو النعيم : حلية الأولياء م س ج 3 ص 310. – ابن حجر : تهذيب التهذيب م س ج 6 ص 290. – ابن عماد : شذرات الذهب م س ج1 ص 167 .– السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 45.

أبي هريرة [رضي الله عنه][1]، قال: قال رسول الله ﷺ: **«وإياكم والظن فإنه أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»**[2] قال مالك لا أحسب التدابر، إلا الإعراض عن أخيك المسلم. فتدبر عنه بوجهك[3] وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا [تُصَعِّرْ] خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[4] معناه لا تعرض عنهم وجهك إذا كلموك، قال مجاهد الصعر داء يصيب الإبل في أعناقها، ورؤوسها حتى تميل أعناقها، فشبه كل متكبر وحقود بذلك. وقال غيره معناه لم يعبس في وجوه الناس، وقال مالك قال عليه السلام: **«ولا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام»**[5] وقال ابن القاسم لا يخرجه السلام من الهجرة، إذا كان بسبب السلام ما لم يؤذه. وقال مالك قال أبو هريرة قال عليه السلام: **«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم [الخميس]**[6]. **فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئا، إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا»**[7] وقال مالك قال أبو هريرة رضي الله عنه: **«تعرض أعمال الناس كل جمعة مرتين يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مسلم إلا عبد كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال [اتركوا]**[8] **هذين حتى يفيئا»**[9] وقال عبد

---

(1) زائد في د م

(2) سليمان بن داود الشهير بالطيالسي: مسند أبي داود الطيالسي دار المعرفة، بيروت، ج 10، ص:330.

(3) راجع تفسير ابن كثير م س ج 5 ص385 والشرح المنسوب لابن عباس، ج 10 ص 300.

(4) ط س [تصاعر] د م [تصعر].

(5) أبو داود: سنن أبي داود كتاب الآداب باب فيمن يهجر أخاه المسلم م س ج 4 ص 278.

(6) سقط [الخميس] د م [الجمعة].

(7) ورد هذا الحديث في سنن أبي داود على الصيغة التالية: «تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس فيغفر في ذلك اليوم لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا من بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا» أبو داود سنن أبي داود كتاب الآداب باب فيمن يهجر أخاه المسلم ج 4 ص 279.

(8) سقط من ط.

(9) السيوطي: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك م س ج 2 ص 101.

ابن الله عمر: «كيف بكم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة فإذا غيرت قيل هذا هو المنكر، قالوا متى ذاك يا أبا عبد الرحمن، قال: إذا قلت خياركم وكثرت أشراركم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم وتفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»[1] قال علي بن أبي طالب ﷺ: «خير أهل ذلك الزمان، كل [مؤمن][2] تؤمه قيل ما التؤمه يا أبا الحسن؟ قال الذي يسكت في الفتنة، وخرج مسلم في صحيحه عن حذيفة أنه قال كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم نحن سمعناه، فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله، وجاره قالوا أجل. [قال][3] تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع [النبي][4] ﷺ، يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة فأمسك[5] القوم فقلت أنا [قال][6] أنت؟ لله أبوك قال خذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب [كالحصير][7] عودا عودا[8] فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه، نكتة

---

(1) في كنز العمال، في سنن الاقوال والافعال، لعلاء الدين بن علي هذا الحديث منسوب إلى ابن مسعود وليس إلى عبد الله بن عمر وبصيغة مخالفة لصيغة النص وهو كالتالي: «كيف بكم إذا لبستم فتنة يهرم فيها الكبير، يربو فيها الصغير يتخذها الناس سنة إذا ترك منها شيء قيل: تركت السنة قيل يا ابا عبد الرحمن ومتي ذلك؟ قال: إذا كثرت جهالكم وقلت علماؤكم وكثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم، وكثرت اموالكم وقلت امناؤكم وتفقه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة.

– علاء الدين علي المتقي بن حسام: كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ضبطه وفهرس غريبه بكري حياتي وصفوة السفا مؤسسة الرسالة ج 11 ص 254 حديث رقم 31430.

(2) سقط من ط

(3) في جميع الاصول [فقال] وفي صحيح مسلم [قال].

(4) في جميع الاصول [رسول الله] وفي صحيح مسلم [النبي].

(5) في جميع الاصول [فامسك] وفي صحيح مسلم [فاسكت].

(6) في جميع الاصول [فقال] وفي صحيح مسلم [قال].

(7) في ط [الحصن] في س د م [الحصير].

(8) في جميع الاصول [عودا] وفي صحيح مسلم [عودا عودا].

بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل[1] الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض والآخر أسود مربادا[2] كالكوز محجيا[3] لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه» قال أبو خالد قلت لسعد ما أسود مربادا[4] قال شدة البياض في السواد، قال قلت فما الكوز محجيا؟ قال منكوسا، وقال إسحاق بن راهويه[5] إن الله تعالى، لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ، على ضلالة فإذا رأيتم الخلاف، فعليكم بالسواد الأعظم[6] قيل يا أبا يعقوب وما السواد الأعظم؟ قال محمد بن أسلم ومن تبعه وما سمعت منذ خمسين سنة، أن عالما أشد تمسكا[7] بآثار النبي ﷺ من محمد بن أسلم[8] الطوسي رحمه الله. قلت

---

(1) ط س [كالصفاء] د م [مثل الصفاء].

(2) في جميع الأصول [مرباد] وفي صحيح مسلم [مربادا].

(3) ط س [مخجيا] د م [محجبا].

(4) في جميع الأصول [مربادا] وفي صحيح مسلم [مربادا]. راجع:
– مسلم: صحيح مسلم ذكر الفتن التي تموج كالبحر م س ج 2 ص170.

(5) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ابو محمد بن راهويه. ولد سنة 161هـ749م سكن نيسابور. محدث ثقة. ويعد قرين احمد بن حنبل. سمع من الوالد بن مسلم وعبد الرزاق. وروى عنه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي واحمد بن حنبل في عدة مواضع. ومات سنة 238هـ 852 م راجع:
– الدارقطني: ذكر أسماء التابعين: م س ج 1 ص60.
– ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 1 ص232.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 1 ص 219.
– تقي الدين السبكي: طبقة الشافعية الكبرى دار المعرفة ج1 ص 232.

(6) في سنن الترمذي نجد حديثا مشابها لهذا الحديث «حدثنا ابو بكر بن نافع البصري حدثني المعتمر ابن سلمان حدثنا سلمان المدني عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ» إن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار». – ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي.
– الجامع الصحيح. وهو سنن الترمذي. تحقيق كمل يوسف الحوت كتاب الفتن باب ما جاء في لوازم الجماعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 87 ج 4 ص 404.

(7) عن تفاصيل هذه الرواية، راجع حلية الأولياء لأبي النعيم م س ج 10 ص238– 239.

(8) محمد بن أسلم الطوسي ابو الحسن. ترجم له ابو النعيم في حلية الأولياء وقال: «أحواله مشتهرة مشهورة، وشمائله مسطرة مذكورة»، وذكره ابن الأثير مشيرا إلى انه توفي سنة 242هـ 856م.
– أبو النعيم: حلية الأولياء ج 9 ص 238. – ابن كثير: البداية والنهاية ج 10 ص 342.

فشيخنا[1] رحمه الله في عصره، أيضا هو السواد الأعظم ومن تبعه، وما سمعت مذ عقلت، في المغرب ولا في المشرق، مختلفا في فضله، ولا ناكرا عليه، فيما سمع من قوله أو فعله، على أنه عاصر الفقهاء الأجلة، والعلماء الأدلة، وما وقع لنا أن أحدا من أهل العلم والديانة يقع فيه، أو ينسب أحواله وأفعاله إلى ما يذمه الشرع أو ما ينافيه، لا في حياته ولا بعد وفاته. بل أجمع الله تعالى رأي أهل عصره، على استحسان طريقه، مع إطباقهم، على أنه مخصوص بهداية الله تعالى وتوفيقه، وأعلم وقته بطريق الإرادة[2] وتحقيقه، وأعلاهم قدرا في إخلاصه وتصديقه، وما نقل من انكار بعض النكرين، وتعسف بعض المقصرين، إنما كان في بداية أمره اختياره، وظهور حاله وانتشاره، ولله در القائل: وهو الإمام البوصيري[3] في بردته[4].

---

(1) هو ابو محمد صالح.

(2) الإرادة جمرة من نار المحبة في القلب لإجابة دواعي الحقيقة، القشاني م س 27 وللمزيد من التفاصيل راجع: حسن الشرقاوي معجم ألفاظ الصوتية مؤسسة مختار القاهرة -1987 ص 38.

(3) هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي شرف الدين ابو عبد الله المشهور بالبوصيري وقد اشار إلى أصله المغربي فقال:

«إن كان مثلي مغربيا فما ... في صحبة الأجناس من باس»

ولد البوصيري بمصر واختلف في تاريخ ولادته 607هـ 1210م وقيل 608هـ 1211م أو 610هـ 1213م. وحسب الكيلاني، فإنه درس النحو والصرف والعروض والآداب والتاريخ الإسلامي، خاصة السيرة النبوية في جامع الشيخ عبد الظاهر بالقاهرة ثم اقبل على التصوف، فاخذ قواعده على ابي العباس المرسي، خلف ابي الحسن الشاذلي في الطريقة. وقد اصبح البوصيري شاعرا. وخلف ديوانا يضم قصائد مشهورة. مثل الهمزية والبردة التي عارضها وشرحها عدد من الشعراء، والادباء ومات بمصر سنة 696هـ 1295م راجع:

- السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم القاهرة ج 1 ص570.

- ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 5 ص 432.

- ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ م س ص 336.

- كمال كيلاني: مقدمة تحقيق ديوان البوصيري.

(4) سقط من ط.س.د.

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ[1]

فلما ظهرت أحواله[2]، وبرزت أفعاله، واعتبرت أقواله، صار إماما. قد اعتقده المتقون، وزاره العلماء والصديقون، قصدا له في طلب بركاته، ورغبة له في صالح دعواته، وتسليما لحالته، وتصديقا لولايته[3]، فهذا أكبر دليل، على عظم شأنه وقربه، وكرامته على ربه.

هُمْ أَهْلُ بِرٍّ وَهُوَ أَهْلٌ لِمِثْلِهِ   لِذَلِكَ حَنَّ الْمِثْلُ مِنْهُمْ إِلَى الْمِثْلِ[4]

وفي حديث قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعَبْد خيرا عسله، قيل يارسول الله وما عسله؟ قال يفتح له عملا صالحا، بين يدي موته، حتى يرضى عنه من حوله**»[5] قال ابن الأعرابي[6] علامته طيب الثناء،

(1) من البسيط.

(2) الأحوال: هي المواهب الفائضة على العبد من ربه. إما واردة عليه ميراثا للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب. وإما نازلة من الحق امتنانا محضا. وإنما سميت أحوالا لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية. ودركات البعد إلى الصفات الخفية ودرجات القرب. وذلك هو معنى الترقي. راجع: – القاشاني م س 26.

(3) الولاية: هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه، حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن. راجع:
– أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين م س ج 4 245.
– عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية. تحقيق عبد الحكيم محمود ومحمود بن الشريف القاهرة 1972 ج 2 432. – القاشاني: م س 56. – عبد المنعم الحفني م 286.

(4) من الطويل.

(5) ورد هذا الحديث عند احمد بن حنبل في الصيغة التالية قال الرسول ﷺ: «إذا اراد الله عز وجل بعبد خيرا عسله، قيل وما عسله قال يفتح الله عز وجل له عملا صالحا قبل موته ثم يقبضه عليه».
– احمد بن حنبل مسند الإمام احمد بن حنبل، دار الفكر، ج4 ص:200.

(6) هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشير أبو سعيد ابن الأعرابي. ولد سنة 246هـ 860م، روى عن الحسن الزعفراني وسعد بن نصر وغيرهما. وروى عنه ابن الصفري، وخلق كثير، قال عنه السلمي في طبقات الصوفية: «أسند الحديث، ورواه وكان ثقة وقال السيوطي: «كان ثقة ثبتا، عارفا عابدا ربانيا كبير القدر بعيد الصيت. ومات بمكة سنة 340هـ 915م، وحسب ابن العماد فإنه: «جمع كتاب طبقات النساك وكتاب تاريخ البصرة وصنف في شرف الفقر وفي التصوف» راجع:
– السلمي: طبقات الصوفية م س ص 428.

وفي لفظ آخر عسله في الناس، أي طيب ثناؤه وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] أن الظاهرة رفع الذكر والباطنة شرح الصدر، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[2] قال محبة[3] في قلوب الناس ووداداً. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص «إن الله تعالى إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه [فاعتبر][4] منزلتك من الله بمنزلتك من الناس»[5] ولله در القائل:

فِيمَ الْكَلاَمُ لِسَابِقٍ فِي غَايَةٍ ... وَالنَّاسُ بَيْنَ مُقَصِّرٍ وَمُبَلِّدِ[6]

إِنَّ الَّذِي يَجْرِي لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ ... لَمُتَابَعٌ فِي شَأْوِهِ[7] وَمُقَلِّدِ

فتأمل يا أخي، أعاننا الله وإياك، على هذا الخطر العظيم بقوة اليقين. وأوقع الدنيا من قلوبنا، موقعها من قلوب المتقين، ما في هذه الأخبار والآثار، من بليغ الأنذار، وما احتوت عليه من التحريض على الائتلاف، والتحذير من الاختلاف، تأملا يزيدك بصيرة في الحقيقة. وتعجبا مما عليه الآن، أهل هذه الطريقة، فاستعمل رحمك الله، من طريق الشيخ ما كان يستعمله من الكتاب والسنة، واشكر متى أيدت بذلك، ما لله تعالى عليك من الفضل والمنة، من غير أن تداخلك فيه

- ابو النعيم: حلية الاولياء ج 1 ص 375.
- السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 353.
- ابن الملقن: طبقات الحفاظ م س ج 1 ص 77.
- القشيري: الرسالة القشيرية م س ج 1 ص 176.
- ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 2 ص 354.

(1) سورة لقمان 20.

(2) سورة مريم 96.

(3) راجع الطبري: جامع البيان م س ج 16 ص 100.

(4) عند الجاحظ في البيان والتبيين» اعتبر.

(5) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ج 1 ص261.

(6) من الطويل.

(7) في ط س [الشاوه] د م [في شاوه].

ظنون مستريبة، أن في اطنابي عليه شكا وريبة، ولله در القائل:

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فأَنْتَ[1] كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّـذِي نُـثْنِي[2]

فشمر جهد الاستطاعة، ذيل الإصرار من هذه الفتنة، وصارم من يجذبك بحبل الاستمرار من ضلال هذه الفتنة، فما من شيء أسرع في إصلاح المرء أو فساده، من أصدقائه وأهل وداده. ولم تزل عشرة اللئام مفسدة لأخلاق الكرام، وأحسن ما قيل في ذلك من الكلام.

وَيَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ أَنَّكَ مِنْهُمْ إِذَا كُنْتَ فِي أَهْلِ الرَّشَادِ [مُقِيمًا][3]

وَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مُقْتَدِي[4] لَـقَدْ قَـالَ هَـذَا الْقَائِلُونَ قَـدِيمًا

واعلم يا أخي، أن التفرق في الدين، يستولى الذبول، على الجوارح وتصدى منه مرآة القلوب وتظلم الجوانح، ويعدم القبول منها، لقدح هذه القوادح، فتسلب عند التفاضل [ثواب][5] التواصل، وتحرم بالتقاطع والتدابر أجر التبادل، والتزاور، فتسقط بذلك عن درجة المتحابين والمتجالسين، وتبين عن زمرة المتزاورين والمتبادلين [المتآنسين][6] فلم يبق للمواعظ فيها مسلكا [سبيلا][7]، ولا للحكمة لديها محلا قابلا، فحينئذ تصير آلة للعصيان، وعونا على الطغيان، ولله در القائل:

أُمُـورٌ لَـوْ تَـدَبَّرَهَا حَـكِيمٌ

لَكَانَ [يَفِر] مِنْهَا مَا اسْتَطَاعَا[8]

---

(1) ورد هذا البيت في س في الصيغة التالية:

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

(2) من الطويل.

(3) من الطويل

(4) ط س [مقتدي] د م [يقتدي]

(5) ط [ثراب] س د م [ثواب].

(6) م [المتآنسين] ط س د [المتوانسي]

(7) ط س [سابلا] م [سائلا] د [سبيلا]

(8) من الوافر.

وَلَـكِـنَّ الادِيـمَ[1] إذَا تَفَرَّى[2]
بَـلَى وَتَخَـلَّـمَا غَـلَـبَ الطِّبَاعَا

فتنبه رحمك الله إلى هذه الدقيقة، واعتبر باهل هذه الطريقة، وإياك والركون إلى قول الخادع المغرور، والتمسك بحبل الزور وعروة الغرور، والدخول في حرب الغالب فيها أشد من المغلوب، وفي حزب الطالب أعظم وزرا من المطلوب، فكل مشير إنما يشير عليك بما غلب على طبعه. والناصح الصالح، من شرطه أن يبدل، كل ما في وسعه، قال وهب بن منبه[3] : أراد الشيطان، أن يغوي راهبا، فاتاه في صورة راهب. فناداه من تحت صومعته. فلم يلتفت إليه. فقال: افتح لي فأنا المسيح، فقال الراهب إن كنت المسيح، فما أصنع بك. أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد، وقلت إن القيامة موضع الميعاد، فإن أتيت بغير هذا، ما قبلناه منك. فولى الشيطان مدبرا ولم يعقب. وقد ورد في قوله تعالى: ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[4] أنها عامة في كل متحابين، على معصية وانشدوا:

مَقَالَةُ ذِي نُصْحٍ وَذَاتُ فَوَائِدٍ إذَا مِنْ ذَوِي الألْبَابَ كَانَ اسْتِمَاعُهَا[5]

---

(1) الاديم الطعام المادوم: واديم كل شيء ظاهره ويقال اديم الأرض وادیم الليل، ظلمته وأديم النهار بياضه، ويقال ليس تحت اديم السماء اكرم منه. راجع المعجم الوسيط م س ج1 ص10 .

(2) تفرى الشيء: تشقق ويقال تفرى عنه ثوبه. وتفرى الليل عن صبحه: انشق وبدا الصبح . م س ج2 ص 693.

(3) هو وهب بن منبه بن كامل اليماني ابو عبد الله الإبناوي، ولد سنة 34هـ 654م، وروى عن أبي هريرة. قال ابن خلكان: «كانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا واحوال الانبياء. واشار إلى أن ابن قتيبة ذكر في كتابه المعارف، انه رأى تصنيفا مفيدا لوهب بن منبه. وقد مات بصنعاء. واختلف في تاريخ وفاته فقيل 116هـ 734م، 113هـ 731م وقيل 114هـ 732م راجع:

- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ج1 ص381 - ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج6 ص 35

- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج11 ص166 - ابن العماد: شذرات الذهب م س ج1 ص 150.

- السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 48.

(4) سورة الفرقان 28.

(5) من الطويل.

قال أبو عثمان الصوري[1] كلمة حكمة من أخيك، خير لك من مال يعطيك، لأن المال يطغيك، والحكمة تهذيك، وقال الحسن من خوفك حتى تبلغ [الأمان][2] بقطع المسافة ، أرفق بك [ممن][3] يؤمنك حتى تبلغ المخافة، وأنشدوا:

قَوْلٌ يُعِيذُكَ مِنْ سُوءِ تُقَارِبُهُ[4] أَبْقَى [لِوَدِّكَ][5] مِنْ قَوْلٍ يُوَاخِيكَ
وَقَدْ رَمَى بِكَ فِي تِهْيَاءَ مُهْلِكَةٍ مَنْ كَانَ يَكْتُمُكَ الْعَيْبَ الَّذِي فِيكَ[6]

واعلم أن من الخطر الكبير، ما جبل عليه في عصرنا الجم الفقير، من تمسكهم بأفعال لا تليق بأخلاق من الدين، ولا هي من سنن المتعبدين، ولا سيما ما عليه الآن طائفة[7]، الحجاج والمريدين[8]،

(1) نجد العديد من الاعلام يحملون نفس اسم الصوري، دون أن يكون فيهم من يحمل لقب ابي عثمان مثل:
- جمال الدين ابو الحسن الدمشقي المتوفى سنة 648هـ 1251م.
- ابو الفرج غيث الصوري الذي أشار إليه ابن كثير أثناء حديثه عن ترجمة إبراهيم الأبهام.
- محمد بن المبارك الصوري المتوفى سنة 215هـ - ابو عبد الله الصوري الحافظ محمد بن علي الساحلي المتوفى سنة 436هـ. - عبد المحسن بن محمد بن احمد بن غالب الصوري ابو محمد الملقب بابن عليون وهو شاعر من أهل صور بالشام المتوفى سنة 419هـ 1028م. راجع الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 3 ص 103 .
- ابن كثير : البداية والنهاية م س ج 10 ص 144 و269 . - السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 427.
- ابو عبد الله محمد بن عمر رشيد الفهري السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة: تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة دار الغرب الإسلامي ج 5 ص 175. - الزركلي: الاعلام ج 4 ص 295.

(2) س « الأمن » ط د م [الأمان].

(3) د م س [من] ط د م [ممن].

(4) د م [تقاربه] س ط [تفارقه]

(5) ط س [بودك] د م [لودك]

(6) من البسيط

(7) طائفة ابي محمد صالح.

الطائفة : الطائفة من الشيء جزء منه. والطائفة الجماعة من الناس وفي التنزيل العزيز« وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين» وفي الحديث : « لا تزال طائفة من امتي على الحق». ابن منظور لسان العرب. ابن منظور لسان العرب م س ج 9. 226 .

(8) المريد : هو من انقطع إلى الله، عن نظر واستبصار. وتجرد عن إرادته. فلكي يصدق، في سلوكه إلى الله، عليه أن يهجر الهوى. ومطالب النفس الامارة، وحظوظها وشهوتها، ويتجه بكليته، وبكامل إرادته لله سبحانه وتعالى. فإذا أراد أن يتحرر من قيود الهوى والشهوة، فعليه أن يصدق النية، ويبدأ العمل.
ويجب على المريد، أن يتادب بشيخ. فإن لم يكن له استاذ لا يفلح ابدا. راجع: - الغزالي: إحياء علوم=

ومن انتمى إليهم من العامة المعتقدين، وسأصف لك من أحوالهم، ما يحذرك من الاغترار بزخرف أقوالهم، وأبين لك من حقيقة أفعالهم، ما يغمض [بصر][1] بصيرتك عن زهرة أعمالهم، فإنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، أو خراب ربيعة يظنه التائه عمارة واحياء، وقد قال تعالي وهو اصدق القائلين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] قال الحسن رحمه الله، اعتبروا الناس بأعمالهم، ولا تنظروا إلى أقوالهم. فإن الله تعالى، لم يدع قولا، إلا جعل عليه دليلا، من عمل يصدقه أو يكذبه. فإذا سمعتم قولا حسنا، فرويدا بصاحبه. فإن وافق قوله عمله فنعم ونعمت عين. وقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[3] أن الهاء عائدة إلى الكلام الطيب، أي لا يرفعه الكلم الطيب إلا بالعمل الصالح[4] وفي معناه أنشدوا:

لاَ تَرْضَ مِنْ رَجُلٍ حَلاَوَةَ قَوْلِهِ ... حَتَّى يَصْدِقَ مَا يَقُولُ فِعالُ

فَإِذَا وَزَنْتَ مَقَالُهُ بِفِعَالِهِ ... فَتَوَازَنَا فَإِخَاءُ ذَاكَ كَمَالُ

لما ساعد القدر حظوظ الجهلاء، [استهوت][5] نفوسهم الظنون، فحسبوها نجاة. والمكر إنما يابى أمثالهم فجأة، تمسكوا بالظاهر، في طريق الإرادة وسلكوا كما زعموا، بالفتنة المهلكة في منهاج السعادة، واستباحة الحضور [بغدر][6] لا برهان له. تعب في مضيعة، وما أضعف

الدين م س ج 3. 79 – القشيري: الرسالة م س ج 2. 746. – الشرقاوي: معجم الفاظ الصوفية م س 262.
– عن المعجم الجفني: معجم مصطلحات الصوفية م س 242.

(1) سقط من ط.

(2) سورة الانعام 55.

(3) سورة فاطر 10.

(4) راجع تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي دار الفكر ج 7 ص 304.

(5) ط [استغرت] س د م [استهوت].

(6) ط [العدر] س د م [بعدر]

عذر قائله. وما أضيعه على السدى[1] في قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[2] من كبار الزلة في العاجل، وجعل نصيبهم من الآخرة التنمي وفي الحكمة من [أمارات][3] الاستدراج ارتكاب الزلة، والاغترار بزمان المهلة، وحمل تاخير العقوبة. على استحقاق الوصلة، وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[4] كل فعل ذمه الشرع، أو كرهه الطبع. صار سماتهم وأعلامهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾[5] وفي الحديث أن الله لا ينظر إلى صوركم[6] يركبون جموح أهوائهم، لغرض متى تعين، ثم يجادلونك في الحق بعدما تبين، تنصحهم فيأبون القبول استدراجا [بهم][7] وتنكيرا، وتخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا، همتم التطاول على الإخوان، والتعاظم على الأقران، وفي محكم التنزيل، وعيدا مبينا مستفادا ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ

---

(1) هو أبو محمد بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السدي. اصله من الحجاز. وعاش في الكوفة ويعتبر من المفسرين، وكتاب المغازي والسير المشهورين روى عن ابن عباس وانس وجماعة من الصحابة. وروى عنه الثوري والحسن بن صالح وآخرون. قال: «العجلي ثقة عالم بالتفسير له كتاب «التفسير» اعتمد عليه الطبري كثيرا في جامع البيان وتوفي السدي سنة 127هـ 745م. راجع:

- العجلي: تاريخ الثقات م س ص 66.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 2 ص23.
- الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج1 ص 263.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج1 ص313.
- السيوطي: طبقات المفسرين م س ج1 ص110. - الإعلام للزركي ج1 Z.313
- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ج 1 ص51.

(2) سورة الأعراف 169.

(3) سقط من س.

(4) النووي فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو لا يشعر ج1ص 110.

(5) سورة المنافقون 4.

(6) في سنن ابن ماجة: ﴿إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم﴾ راجع: - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.
- سنن ابن ماجة تحقيق عبد الباقي المكتبة العلمية ج 2 ص1388. رقم الحديث 4147.

(7) سقط من ط.

﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[1] متى استنصروا لمناهج الحق لا ينصروا، وإن بصروا بالتوقف عن مهالك الباطل لا يبصروا، وإن سمعوا قول الحق لم يعتبروه دليلا، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا، ولله در القائل:

مَرَدُّ الْقَوْمِ عَلَى [خُبْثِهِمْ][2] أَهْلُ بَغْيٍ وَضَلَالٍ وَأَشَرْ[3]

تواطئوا على صحة العلانية وسقم السريرة، وتعاشروا بالمداهنة على مذموم الطريقة، وقبح السيرة وتقربوا بالمحظور شرعا وطبعا، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4] ولله در القائل:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[5]

فاجتهد رحمك الله لنفسك في نجاتها كل الاجتهاد، وانهض فقد بان لك علم بالرشاد، واسلك طريق الإسلام، يبلغك إلى دار السلام، وعليك بالعزلة ففيها السلامة، ولزوم الخلوة فهي الكرامة، وما أحسن قول من قال:

تَعَبِي رَاحَتِي وَأُنْسِي انْفِرَادِي وَشِفَائِي الضَّنَا وَنَوْمِي سُهَادِي[6]

لَسْتُ أَشْكُو بِعَادَ مَنْ صَدَّ عَنِّي أَيُّ بُعْدٍ فَقَدْ ثَوَى فِي فُؤَادِي

ومما يزيدك، رغبة في البعد، عن اقتحام المهالك، ما رواه في الصحيح امامك مالك، قال قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر **«كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم، وأماناتهم**

(1) سورة القصص 83.

(2) س [حجبته] ط د م [خبثهم]

(3) من الرمل

(4) سورة الكهف 99.

(5) من الطويل. ورد هذا البيت دون نسبة عند الغزالي في إحياء علوم الدين كتاب الصبر والشكر، باب الركن الثاني من كتاب الشكر، ج 4 ص107.

(6) من الخفيف

واختلفوا، وكانوا هكذا، وشبك عليه السلام بين أصابعه، قال كيف بي يا رسول الله، قال عليك بما تعرف، وإياك ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوامهم»[1]، وقال مالك» قال عليه السلام «يأتي على الناس زمان، يمسي المؤمن مؤمنا، ويصبح كافرا[2] [و] يصبح مؤمنا، ويمسي كافرا، قيل يا رسول الله، فأين عقول أهل ذلك الزمان، قال تنزع اكثر عقول [أهل][3] ذلك الزمان»[4]. وقال الحسن: بلغنا أن رسول الله ﷺ، قال: «إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع فيها أقوام دينهم، بعرض من الدنيا قليل»[5]. وقال الحسن إذا تعلم[6] الناس العلم، وتركوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب (وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله [عند][7] ذلك، فأصمهم وأعمى أبصارهم)[8]. وقال يحيى[9]

---

(1) ورد هذا الحديث عند أبي داود في الصيغة التالية:
كيف بكم وبزمان، أو يوشك أن يأتي زمان، يغربل فيه الناس غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه فقالوا [وكيف بنا يارسول الله؟ فقال: تأخذون ما تعرفون وتدرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتدرون أمر عامتهم. راجع:
– سنن أبي داود كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي م س ج 4 ص123 – 124.

(2) ط [أو] س د م [و]

(3) سقط من ط.

(4) ورد حديث في سنن ابن ماجة، نجد في أجزائه الأخيرة، عبارات تتشابه في موضوعها ومضمونها، مع مضمون هذا الحديث. راجع: ابن ماجة: سنن ابن ماجة م س ج2 ص1309. رقم الحديث 399.

(5) في سنن ابن ماجة، نقرأ هذا الحديث في الصيغة التالية: «إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا. القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي، فكسروا سيوفهم وقطعوا اوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل على احدكم فليكن كخير ابني آدم». ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب التثبت، م س ج 2 ص 1310.

(6) د م [تعلموا] ط س [تعلم].

(7) ط [في] س د م [عند]

(8) ورد هذا الحديث عند الغزالي في «إحياء علوم الدين»، «كتاب العلم، الباب الرابع» فصل بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق، ج 1 م س ص47.

(9) يحيى بن سعيد القطان بن فروخ البصري، أبو سعيد. ولد سنة 120هـ738م. سمع من هشام ابن عروة=

ابن سعيد: لما كانت الفتنة اعتزل محمد بن سلمة[1] وابن عمر وسعيد[2] وأسامة وغيرهم. فنزل محمد المدينة، وأتاه قوم من العراق، يحرضونه. فأراهم سيفه قد كسره، وقال قال ﷺ إذا رأيت من الأمر ما تكره، كسر سيفك، على حجر من الحرة[3] والزم بيتك، وعض على لسانك[4] «ومن حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه»[5]، وقال يحيى بن أبي كثير[6] دخلت على أبي أسامة[7] بن عبد الرحمن، وهو مريض فقال:

=وإسماعيل بن ابي خالد وروى عنه اعلام كبار مثل: احمد بن حنبل وابن المديني وثقه العجلي ويعد من الحفاظ. ومات سنة 813 م. راجع: العجلي: تاريخ الثقات م س ص 472. - الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ج1 ص 400. ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 11 ص216. - ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 2 ص561.

(1) محمد بن سلمة بن خالد بن عدي الانصاري، ابو عبد الرحمن. وقيل ابو عبد الله شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها، ماعدا غزوة تبوك، وكان الرسول استخلفه على المدينة، في غزوة قرقرة الكدر. وقيل غزوة تبوك، استعمله عمر على صدقات جهينة وعهد إليه بمراقبة العمال، وكان قد اعتزل الفتنة، بعد مقتل عثمان. وتوفي بالمدينة سنة 46هـ 666م. - ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 4 ص 336.
- ابن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب م س ج 3 ص 334.

(2) هو سعيد بن العاص بن سيد العاص الأموي. ولد عام الهجرة. قتل ابوه العاص يوم بدر كافرا، وسعيد ابن العاص، احد الذين كتبوا مصحف عثمان. وروى عن الرسول وعمر وعثمان، وكان استعمله على الكوفة، بعد الوليد بن عقبة. وغزا طبرستان وجرجان، وادربيجان وتم له فتحها. ولما قتل الخليفة عثمان اعتزل الفتنة ولزم بيته، ثم ولاه معاوية المدينة وتوفي سنة 59هـ 678م راجع: - ابن الاثير: اسد الغابة ج 2 ص 239.
- ابن حجر: الإصابة في تميز الصحابة م س ج 2 ص 47.
- ابن عبد البر: الاستيعاد في اسماء الأصحاب م س ج 2 ص8.

(3) الحرة: من حرته حرتا: تطعه قطعا صغيرة، المعجم الوسيط م س ج 1. 164.

(4) في سنن ابن ماجة نقرأ هذا الحديث في الصيغة التالية: « إن رسول الله ﷺ، قال: إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف. فإذا كان كذلك فات بسيفك احدا، فاضربه حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تاتيك يد خاطئة أو منية قاضية» راجع. ابن ماجة: سنن ابن ماجة كتاب الفتن حديث رقم 3962 م س ج2 ص1310.

(5) ابن ماجة: سنن ابن ماجة رقم الحديث 3976 ج 2 ص 1316.

(6) يحيى بن ابي كثير الطائي ابو نصر اليماني، احد اعلام الحديث الثقات العباد، مات سنة 129هـ 746م وقيل 213هـ 749م. راجع: - العجلي: تاريخ الثقات م س ص 475.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين ج 1 ص 401.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 11 ص 268.

(7) لعله هو الذي اشار إليه ابو النعيم في حلية الأولياء، وذكر انه كان معاصرا لسفيان الثوري راجع حلية الاولياء في عدة اماكن ج 4 ص 242. ج 5 ص-49 -170 -175 336 ج 6، 182 - 356 - 359 - 364 - 367 - 382.

إن استطعت أن تموت فمت، فوالله ليأتينّ زمان يكون الموت، فيه أحب إليهم من الذهب الأحمر. [وقرأ][1] أبو هريرة يوما ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[2] فقال: والذي نفسي بيده، لقد دخلوا فيه أفوجا. وليخرجن منه أفواجا كثيرة[3]، وقال ابن مسعود: ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر. فالموت اليوم تحفة كل مسلم[4]، وقال [طاووس][5]: لا يحرز اليوم دين المرء إلا حفرته[6]. وكتب بعض الحكماء إلى أخ له اما بعد فمن عرفته فاهرب منه ومن لم تعرفه فلا تتعرف إليه والسلام وأنشدوا:

فَفِي هَذَا مَا أَغْنَاكَ عَنْ كُلِّ وَاعِظٍ   شَفِيقٍ وَمَا أَغْنَاكَ عَنْ كُلِّ زَاجِرِ[7]

واعلم يا أخي، أن الوحدة عون كبير، على تطهير البواطن، وخير كثير موجود، في كل المواطن، تفيدك راحة البدن، وحدة الفطن، واجتماع الفكر، ولزوم الذكر، وتحصين الجوارح، وعصمتها من جميع القوارح، مع ما فيها من توفير الأعراض، وشفاء القلوب من دنس الأمراض، وفيها

---

(1) ط [قال] س د م [وقرأ]

(2) سورة النصر 1 و 2.

(3) في حلية الأولياء نقرأ إنما الدنيا كالثغب ذهب صفوه، ويبقى كدره م س ج 1 ص132. والثغب ما بقي من الماء في بطن الوادي او المطمئن من المواضع في أعلى الجبل يستنقع فيه ماء المطر. ابن منظور م س ج 1. 239

(4) ابن كثير تفسير ابن كثير م س ج 7 ص 398.

(5) د م [طاوس] وهو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني، يكنى ابا عبد الرحمن. روى عن ابي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت وغيرهم. وروى عنه ابنه عبد الله ووهب بن منبه ومجاهد وغيرهم. وقال ابن حبان كان من عباد أهل اليمن. ومن سادات التابعين مات بمكة سنة 106هـ 724م راجع:

- ابو النعيم : حلية الأولياء ج م س 4 ص 3.
- العجلي: تاريخ الثقات م س ص 234.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 1 ص 185.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 4 ص 235.

(6) أبو النعيم: حلية الأولياء م س ج 4 ص6.

(7) من الطويل. الزجر من زجر الكلب وغيره كفه. وزجر فلانا عن كذا منعه ونهاه، المعجم الوسيط ج1 ص 390.

ستر للحال، والتنزه عن المحال، والستر عن حضيض [المماراة][1] عن تكلف [المداراة][2]، وحصن من الجنايات، وحفظ للديانات، مع سقوط ما يلزمك من الأمر بالمعروف. وما يجب عليك من النهي عن المنكر ولا سيما عند من لا يعقله، وفي الحكمة إذا أراد الله تعالى أن [ينقل][3] العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة، آنسه بالوحده، واغناه بالقناعة، وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة، وقال ﷺ «**استأنسوا بالوحدة عن جلساء السوء**»[4] وقال بكر بن محمد العابد[5] لسفيان الثوري (دلني على رجل أجلس إليه، فقال تلك ضالة لا ترجى، ورب وحدة أمتع لك من جليس، ووحشة آنس لك من أنيس)، وقال جعفر[6] بن سليمان، رأيت مع مالك بن دينار[7] كلبا، فقلت ماهذا يا أبا يحيى، فقال هذا خير من جليس السوء[8]. وكان عبد

---

(1) ط س [الممارات] د م [الممارة]. الممارة المعارضة، ابن منظور لسان العرب م س ج 5 180.

(2) ط س [المدرات] د م [المداراة].

(3) ط د م [ينقل] س [تنقل].

(4) في كتاب الزهد لابن مبارك نقرا هذا الحديث بصيغة اخرى: «جليس الصدق خير من الوحدة. والوحدة خير من جليس السوء»

(5) له إشارة في الترجمة التي خصصها ابو النعيم لداود بن نصير الطائي في حلية الأولياء راجع:
- ابو النعيم : حلية الأولياء م س ج7 ص352.

(6) جعفر بن سليمان الضبعي، ابو سليمان البصري. روى عن ثابت البناني وابن جريج وعطاء بن السائب. ومالك بن دينار. وروى عنه الثوري وصالح بن عبد الله الترمذي وبشر بن هلال الصواف قال العجلي: «جعفر بن سليمان الضبعي ثقة وكان يتشيع» مات سنة 178هـ794 م راجع: - العجلي: تاريخ الثقات م س ص 97.
- الدارقطني : ذكر اسماء التابعين م س ج2 ص 46. - ابن القيسري: الجمع بن رجال الصحيحين م س ج 1 ص71. - ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج2 ص 95.

(7) هو ابو يحيى مالك بن دينار اسامي التابعي البصري الزاهد المشهور. وروى عن انس بن مالك والاحنف والحسن بن سيرين، وعطاء وغيرهم، وروى عنه اخوه عثمان وابان بن يزيد العطار وآخرون، وثقه النسائي، وابن سعد. وكان من الذين يهتمون بقراءة الكتب القديمة. وذكر له ابو النعيم في حلية الاولياء العديد من الاقوال والمواعظ وتوفي سنة 131هـ748م راجع: ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج7 ص243. - العجلي: تاريخ الثقات م س ص 418.

(8) ابو النعيم : حلية الأولياء م س ج2 ص 384.

الله بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[1] لا يجالس الناس. ونزل[2] المقبرة فكان لا يرى، إلا في يده دفتر. فسئل عن ذلك فقال، لهم: لم أرقط أوعظ من قبر، ولا أمتع من دفتر، ولا أسلم من وحدة[3]، فقيل له فمن تجالس؟ فقال من أبصق في وجهه ولا يغضب لذلك، فقيل له من هو، فقال الحائط. وفي الحكمة، من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتاب لم تفته سلوة، ومن [تآنس][4] بالقرآن، لم يضره بعد الإخوان. وقال قثم العابد، سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: نزلت مرة واديا، فإذا أنا براهب قد حبس نفسه، في بعض الغيران، فراعني ذلك منه فقلت: أجني أم أنسي؟ فقال وفيم الخوف، من غير الله تعالى. لست بجني. ولكن أنسي مغرور، فقلت: ومنذ كم أنت هاهنا، فقال منذ أربع وعشرين سنة، فقلت من أنيسك، فقال الوحوش، قلت فما طعامك، قال نبات الأرض، قلت فما تشتاق إلى الناس، فقال ومنهم هربت. قلت أفعلى الإسلام أنت، فقال ما أعرف غيره، إلا أن المسيح أمرنا في الكتاب بالانفراد والعزلة[5] إذا خبث الناس، ولله در القائل:

---

(1) هو عبد الله بن عبد العزيز العمري ترجم له ابو النعيم، دون الإشارة إلى تاريخ وفاته. وذكره ابن خلكان من بين شيوخ حفص بن غيات القاضي المتوفى سنة 176هـ 792م.
- ابو النعيم : حلية الأولياء م س ج 8 ص283. - ابن خلكان: وفيات الاعيان م س ج 2 ص 198.

(2) ط س [انزل] م [نزل].

(3) في حلية الأولياء: نقرا : «انه ليس شيء اوعظ من قبر ولا اسلم من وحدة ولا آنس من كتاب».
ابو نعيم : حلية الأولياء م س ج8 ص 283.

(4) في د م [تآنس] ط س [تانس].

(5) العزلة من اعتزل اي تنحى جانبا وفي التنزيل ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ مريم 49 وقوله: ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ﴾ الكهف 16.
ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة وهي اعتزال الخصال المذمومة. فالتاثير هو لتبديل الصفات لا للابتعاد عن الأوطان. راجع:
- ابو سليمان الخطابي البستي العزلة بمكتبة التراث الإسلامي 18.
- القشيري: الرسالة م س ج1 298.
- الغزالي: الإحياء م س ج2 كتاب آداب العزلة 221.
- عماد الدين الأموي: حياة القلوب في كيفية الوصل إلى المحبوب هامش قوت القلوب م س باب العزلة والخلوة 93.

لِقَاءُ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا ... سِوَى الْهَذَيَانِ مِنْ قِيلَ وَقَالَ[1]
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلاَّ ... [لأَهْلِ][2] الْعِلْمِ أَوْ إِصْلاَحِ حَالِ
وَمَنْ يَطْلُبْ سِوَى هَذَيْنِ أَخْطَا ... وَكَلَّفَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْمُحَالِ

فوطن يا أخي على العزلة نفسك، وإن ضر بالوحشة أنسك، فقلما تجد في عمرك، أو ترى في مصرك من تنفعك رؤيته، أو ترويك رؤيته وفي المثل السائر، لأرباب البصائر، ومن لا ينفعك لحظه، لا يرشدك لفظه، فمتى وفقت لذلك، بتوفيق الإعانة والعناية، فلا تخن الله في السريرة، فتفسد لك العلانية. ولله در القائل:

فَإِذَا أَظْهَرْتَ أَمْرًا حَسَنًا ... فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا تُسِرْ[3]
فَمُسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ ... وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرْ

فقد نبهتك أيها الراغب، وبصرتك [أيها][4] الطالب، قاضيا بذلك، ما وجب علينا من حق أخانك، راغبا ومرتجيا من الله تعالى، ما اعتقده من بركة دعائك، اقتداء بالسلف الصالح، وامتثالا لقول الناصح:

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي ... وَلاَ أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْتُ[5]

فاستعن بالله تعالى يعنك، وثق به، فإنه لا يسلمك ولا يهنك، فمن تحقق، أن مولاه أنصح له من نفسه، فضلا عن غيره، وأيقن أنه أعلم بمصالحه، في عواقب أمره، من شره أو خيره، اكتفى عن كل وصية بقوله العظيم، واستغنى به عن حكمة كل حكيم، قال الله تعالى مخاطبا لمن اصطفاه، وحفظه وتولاه ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ

---

(1) من الوافر انشدها الاصمعي، ونسبها إلى اعرابي راجع: - ابن عبد ربه العقد الفريد، م س ج3 ص442.
(2) ط س [الاخذ] د م [الأهل]
(3) من الرمل.
(4) م [ايه] ط س د [ايها]
(5) من الوافر

﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] ففي هذا القدر شفاء من كل مرض في الصدور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[2] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]. 456

يَـارُبَّ مَوْعِظَةٍ لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ ... تَمُرُّ صَفْحًا عَلَى مَنْ قَلْبُهُ حَجَرُ[4]

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ يَامِسْكِينُ فِي مَهَلٍ ... مَادَامَ يَنْفَعُكَ التَّفْكِيرُ وَالنَّظَرُ

إِنْ كُنْتَ تُوقِنُ أَنَّ اللهَ خَالِقَنَا ... يَرَى وَيَسْمَعُ مَا نَاْتِي[5] وَمَا نَذَرُ

وَأَنْتَ فِي ذَاكَ تَعْصِيهِ وَتَرْكَبُ مَا ... يَنْهَاكَ عَنْهُ فَأَيْنَ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ

أَوْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ يَرَى ... مَا أَنْتَ فِيهِ فَهَذَا الْكُفْرُ وَالاشَرُ[6]

إِنَّا لَفِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا ... عَلَى شَفَا خَطَرٍ مَا مِثْلُهُ خَطَرُ

اللَّيْلُ يَعْمَلُ دَأْبًا وَالنَّهَارُ مَعًا ... فِي نَقْصِ آجَالِنَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

هَذَا الْقَضَاءُ وَلاَ شَيْءَ يُغَالِبُهُ ... وَكَيْفَ يُغْلَبُ مَا يَاتِي بِهِ الْقَدَرُ

الغرض الثاني:

أن لا أخلي هذا الجزء من نبذة يتذكر بها العاقل، ويتبصر بها الجاهل، ويتيقظ بها الغافل، أو حكمة يعتبرها الموقن، ويتدبرها المؤمن، ويسلو بها المحسن، أو لطيفة تقوي عزيمة المعتقد، [وتجلو][7] بصيرة المنتقد، أو نكتة تصقل الخاطر، وترغب الناظر، من كل معنى

---

(1) سورة الانعام 116.

(2) سورة النور 40.

(3) سورة آل عمران 101.

(4) من البسيط.

(5) ط س د [تاني] م [تآتي]

(6) ط [الاثر] س د م [الآشر]. والاشر: المرح - ابن منظور م س ج 4. 20.

(7) ط س [يجلي] د م [ويجلو]

نفيس، أو حكمة رئيس، مما يروق في المسامع سمعه، ويرغب الراغب في المراغب خيره ونفعه، فتكون لطائفة المريدين عدة، والمتعسفين معدة ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[1] وانشدوا:

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَتَغَزَّلُ حَذَرَ العِدَى وَبِهِ الفُؤَادُ مُوَكَّلُ
إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنَّنِي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأَمْيَلُ[2]

واعلم يا أخي أن للحكماء نوادر من الحكم، وللعلماء نكتا من طرائف الكلم، يوردونها على التلاميذ والأصحاب، ويجرونها مجرى المواعظ والآداب، لما فيها من تحريك النفوس الراكدة، وتنبيه القلوب الراقدة، على أني جمعت، من هذا النمط جمعا ملتقطا مغتبطا، ووضعته في هذا الموضع وضعا مرتبطا، لتكمل به فائدة هذا الباب، وتجري مجرى النصيحة عند ذوي الألباب، وربما مجه سمع السفيه جهالة، وزجه عقل النبيه حسدا وضلالة، وما أحسن ما قيل، على قدم الزمان في التمثيل:

وَإِذَا حَمَلْتَ إِلَى سَفِيهٍ حِكْمَةً
فَلَقَدْ حَمَلْتَ بِضَاعَةً لاَ تُنْفَقُ[3]

واعلم أن كل وصية فهمها منصوح من ناصح، وقبلها موعوظ من واعظ صادح، ووفق للعمل بها كل طالح أو صالح، فبعد حمل المضض المعروف، والصبر على فراق الطبع المالوف، إلى أن تنقاد للعمل بها طباعه، ويتحكم في كل خير امتزاجه وانطباعه، فإن من لازم أوصاف الحمد، اشتق له منها الأسماء الجميلة، ومن اعتلق بضروبات المجد

(1) سورة الممتحنة 7.
(2) من الكامل.
(3) من الكامل.

علقته النعوت الجليله، على من اشتد كلفه، بخطة حمد قدم شروطها، وان شقت، وحصل حدود [وظيفتها][1] وإن دقت، فالفضائل محفوفة بالمكاره، وقد يدرك العبد المجد وهو كاره، لذلك قيل في الحكمة:

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ   فَكُنْهَا يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكَ[2]

فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ   [مَتَى رُمْتَهَا][3] حَاجِبٌ يَحْجِبُكَ

العقول مواهب، والآداب مكاسب، والحظوظ [السيئة][4] لها مراتب، والفضائل السنية كلها مناصب، والصبر على العواقب، والتمسك به سنة مشكورة المناقب، والهمم العالية، بطبعها للفضائل عاشقة، و للمعالي عانقة، وللمكارم شائقة، وللمحامد تائقة، قال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه[5] (نفسي تواقة تاقت للخلافة فلما نالتها تاقت إلى الجنة)[6] ولله در القائل:

تَأْبَى الدَّنَاءَةُ [لِي][7] نَفْسِي نَفَاسَتُهَا   تَسْعَى لِغَيْرِ الرِّضَى بِالرِّيِّ وَالشِّبَعِ[8]

لِي هِمَّةٌ مَا أَظُنُّ اللَّحْظَ[9] يُدْرِكُهَا   إِلاَّ وَقَدْ جَاوَزَتْ فِي كُلِّ مُمْتَنِعِ

لاَ صَاحَبَتْنِي نَفْسٌ إِنْ هَمَمْتُ بِأَنْ   أَرْمِي بِهَا لَهَوَاتِ الْمَوْتِ لَمْ تُطِعِ

---

(1) ط [وطنها] س د [وظيفها] م [وظيفتها]

(2) من المتقارب.

(3) ط س [فترءها] د م [متى رمتها].

(4) ط س [السنية] م [السيئة]

(5) رضي الله عنه سقط من س.

(6) في العقد الفريد لابن عبد ربه نقرا هذا القول في الصيغة التالية:
(انا كما علمت ان لي نفسا تواقة، وان نفسي تاقت إلى اشرف منازل الدنيا، فلما بلغتها وجدتها تتوق إلى اشرف منازل الآخرة) راجع:
– ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي: كتاب العقد الفريد شرح وضبط احمد امين، احمد الزين وإبراهيم الانبري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 52 ج 3 ص 20.

(7) [لي] سقط من ط.

(8) من البسيط

(9) م [الحد] ط س د [الحظ].

لا مطمح في معالي الأمور، بالتفريط والتواني، ولا في بلوغ الأمل براحة البدن والأماني، وفي الحكمة طلب الراحة، قلة الاستراحة. واحمدها ما كان [من][1] كد التعب، كما ان أعز العلم، ما كان عن ذل الطلب، وأنشدوا:

[بَعِيدٌ عَلَى كَسْلاَنَ اوْ ذِي مَلاَلَةٍ   فَأَمَّا عَلَى الْمُشْتَاقِ فَهُوَ قَرِيب][2]

لا ينفع الدليل وإن كان واضحا مع طلب العناد، ولا العمل وإن كان[3] صالحا مع فساد الاعتقاد، ولا ينفع القول وإن كان بليغا مع سوء الاستماع، ولا الحكمة متى قصد بها عدم الانتفاع، قال بن وهب: سمعت مالكا رحمه الله يقول: سمعت ربيعة يقول: ليس الذي، يقول الخير، ويفعله، بخير من الذي يسمعه و[يقبله][4] و(قال الليث[5]: قال لي طاروس: ما تعلمت فتعلمه لنفسك، فإن الصدق والأمانة قد ذهبا [من الناس][6] وأنشدوا:

إنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّبِيبَ كِلَيْهِمَا   لاَ يَنْصَحَانِ إذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إنْ جَفَوْتَ طَبِيبَهُ   وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إنْ جَفَوْتَ مُعَلِّما[7]

لما خبث الزمان كسدت الفضائل، ونفقت الرذائل، وقد عميت البصراء، وقلت النصراء، ورفضت العلماء، وعدمت الحلماء، واختفت

---

(1) م [في] ط س [من]
(2) من الطويل. وقد سقط هذا البيت من د.
(3) [كان] سقط من م.
(4) ط س يقبله م [فيقبله]
(5) الليث بن ابي سليم ابن رنيم القرشي ابو بكر الكوفي. روى عن طاروس ومجاهد وعكرمة وغيرهم. وروى عنه الثوري والحسن بن صالح وآخرون. وحسب ابن حجر له احاديث بعضها مضطرب وبعضها صالح، وبعضها ضعيف مات سنة 148هـ 764م راجع: - العجلي: تاريخ الثقات م س ص399. -الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ص 445. - ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 8 ص 465.
(6) سقط من د.
(7) من الكامل.

العقلاء، وظهرت الجهلاء، فقامت سوق الجهل على ساقها، وعمت جميع أرجاء البلاد وآفاقها، فمن كان معه جهل باع، ومن له علم وورع ضاع. قال كعب[1] ليأتينكم زمان تكره فيه الموعظة حتى يختفي المؤمن بإيمانه كما يختفي الفاجر بفجوره، ولله در القائل:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيًا   تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُنَّ أنِّي جَاهِلُ
فَيَا عَجَبًا كَمْ يَدَّعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ   وَيَا أَسَفًا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلُ[2]

لما انقرض من أئمة الدين أكثرهم، ولم يبق في العصر [غالبا][3] إلا أثرهم، انطوى بين الناس [ليفقدهم][4] بساط الورع، وانتشر في أرض القلوب، من شدة الحرص مدد الطمع، فالتبس الطريق على سالكيه، ورفض الدين، ولم يعبأ بما سكيه، فلا جرم ظهر الفساد، وعم البلاد، واخذ في الازدياد، ونقصان الأرض قد توالى، بموت الزهاد والعباد، ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾[5] ويبقى رسما كان إبقاؤه على ربك وعدا مسؤولا، ولله در القائل:

(1) هو كعب بن مالك بن أبي كعب ابو عبد الله النصاري، ويقال بشير ويقال ابو عبد الرحمن شهد العقبة وبايع بها، وتخلف عن بدر وشهد احدا وما بعدها، وكان من الثلاثة الذين تخلفوا في تبوك وهم كعب بن مالك ومرراة بن ربيعة وهلال بن امية وفيهم نزلت الآية : ﴿ وعلى الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ الآية ثم نزلت ثبوته في الآية : ﴿ لقد تاب الله عن النبي والمهاجرين والأنصار ﴾ الآية وكان كعب من شعراء الرسول ﷺ وهم ثلاثة : حسان بن ثابت، كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. واختلف في تاريخ وفاته وقيل إنه مات في خلافة علي أو معاوية وقيل إنه مات في خلافة عثمان. راجع:
- ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 4 ص 187.
- ابن حجر: الإصابة م س ج 3 ص 302.

(2) من الطويل، والبيتان في قصيدة لأبي العلاء المعري ومطلعها:
ألاَ في سبيل المجد ما انا فاعلُ   عَفَافٌ وإقدامٌ وحزم ونائلُ

(3) سقط من ط.

(4) سقط من د م.

(5) سورة الأنفال 42.

مَا حِيلَتِي تَفْعَلُ الْأَقْدَارُ مَا أُمِرَتْ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ ذِي غَيٍّ وَذِي رَشَدِ[1]

من سلك طريقا بغير دليل طال تعبه، ومن استقل في الأمور برأيه دون مرشد دام نصبه، ومن استعان بذوي العقول، فاز بدرك المأمول. مشورة الحكماء ثبات في النفس، وقوة في الحدس، والاستقلال جهل بالأمور، وغفلة عن المقدور، إذا أراد الله بعبد هلكة، كان أول ما يهلكه رأيه، ويتلفه تدبيره وسعيه، فلا غرو أن القدر إذا لم يساعد على بلوغ الأرب، كانت الآفات من الاجتهاد في الطلب، ولله در القائل :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللهِ لِلْمَرْءِ عُـدَّةً أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِنْ طَرِيقِ الْفَوَائِدِ[2]

مبدأ طرق الاستقامة متابعة الآثار، ومن سلك الجادة أمن من العثار، ومن جهل الموارد، صارت المصادر عليه شوارد، ومن اخطأ وجه الطلب، خذلته الحيل عند المنقلب، ولله در القائل:

تَأَنَّ فِي الْأَمْـرِ إِذَا رُمْتَـهُ
لِتَعْلَمَ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ[3]
وَلاَ تَـرِدْ كُلَّ دُخَّانٍ يُرَى
فَالنَّارُ قَـدْ تُوقَدُ لِلْكَـيِّ

من استوطن الحق محلا، لاذت به القلوب ذلا، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار، وسمت به عن مذلة الاستحقار، ومن اتخذ الصدق لجاما، اتخذه الناس إماما: لما ورد أسقف على علي بن أبي طالب عليه السلام، قال له عظني يا أسقف، فقال يا أمير المؤمنين إذا كان الله معك فممن تخاف، وإذا كان عليك فمن ترجو، وأنشدوا:

---

(1) من البسيط
(2) من الطويل وهو لابي الفرس.
(3) من السريع.

سَهْمُ الْمَوَاعِظِ لاَ تَبْرَأُ جَرَائِحُهُ
إِذْ كَانَ يَخْرُجُ عَنْ قَوسٍ مِنْ الْوَرَعِ[1]
فَلَيْسَ يَحْجِزُهُ دِرْعٌ وَلاَ دَرْقٌ[2]
وَلَيْسَ يَمْنَعُهُ شَيْءٌ سِوَى الطَّمَعِ

بث النصائح سنة قد ارتضع الخلق باخلاقها، وورثها ذو الفضل عن أسلافها، ولم تهجرها الأفهام بعد إيلافها، فصارت كالإجماعات. يحرم القول بخلافها لكن كلما أفرط الناصح في نصحه، لوى المنصوح عنه عنان القبول بشحه، فياله من زهد لو كان في الرذائل، وياله من شح لو كان في الفضائل الارب سامح بالعطاء على شحيح بالقبول. ومن طولب بترك ما جبل عليه كان ثمرته عدم القبول، قال الأوزاعي[3] سمعت مكحولا[4] يحدث عن عطية[5] أن رسول الله ﷺ قال: «من أتته من الله نصيحة

(1) من البسيط

(2) الدرق الصلب من كل شيء، المعجم الوسيط م س ج1 ص 280.

(3) في م [الأوزاعي]، وهو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الاوزاعي. ولد ببعلبك سنة 88هـ 707م وقيل سن 93هـ 711م سمع من الازهري وإسحاق وعطاء بن ابي رباح وقتادة. ونافع مولي ابن عمر. وروى عنه الثوري. ومالك وابن مبارك وابن ابي الزناد وغيرهم. اجمعوا على صدقه وثقته قال ابن خلكان «إمام أهل الشام لم يكن بالشام اعلم منه» له كتب منها: السنن في الفقه، وكتاب المسائل في الفقه، مات في بيروت (157هـ 774م) راجع: - ابن خلكان: وفيات العيان م س ج 3 ص127. - ابن النديم: الفهرست م س ص 318. - ابن خجر: تهذيب التهذيب م س ج 6 ص 238. - الزركلي: الاعلام س ج 4 ص 94. - سزكين: تاريخ التراث العربي م س ج 2 ص220.

(4) هو مكحول بن ابي مسلم الشامي. روى عن النبي ﷺ مرسلا وعن ابي كعب وعبادة بن الصامت وابي هريرة وعائشة وغيرهم، وروى عنه الاوزاعي، وعبد الرحمن بن يزيد ومحمد بن الوليد الزهري وغيرهم قال العجلي «ثقة تابعي» وذكره ابن حبان في الثقات، وكان فقيها مشهورا في عصره. من آثاره كتاب السنن في الفقه. والمسائل في الفقه. وكتاب الحج. كانت وفاته سنة 116هـ 730م. راجع: ابن النديم: الفهرست م س ص318. - ابن النعيم: حلية الأولياء م س ج5 ص177.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ج2 ص256. - ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج5 ص 280.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج10 ص 289.

(5) هو عطية بن بشر المازني الهلالي الصحابي. شيخ المكحول. روى عن النبي ﷺ. وروى عنه سليم بن عامر. وأبي زيادة عبيد الله. ذكره ابن الاثير وفي أسد الغابة وقال: «سكن الشام». راجع: - ابن=

في دينه فهي رحمة من الله سبقت إليه، فإن قبلها من الله فشكر وإلا فهي حجة من الله عليه، ليزداد إثما ويزداد الله عليه غضبا، فمن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، ومن كرهه فقد كره الله عز وجل فإن الله هو الحق المبين»[1].

النُّصْحُ مِنْ رَخْصِهِ فِي النَّاسِ مَجَّانٌ ... وَالْغِلُّ غَالٍ وَلَوْ أَنْ بِيعَ أَثْمَانُ[2]

تَفَاسَدَ النَّاسُ وَالبَغْضَاءُ ظَاهِرَةٌ ... وَالنَّاسُ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللهِ إِخْوَانُ

وَالعَدْلُ نُورٌ وَأَهْلُ الجَوْرِ قَدْ كَثُرُوا ... وَلِلظُّلَّامِ عَلَى المَظْلُومِ أَعْوَانُ

صلاح الأخلاق بمعاشرة الكرام، وفسادها بملاءمة اللئام، فمتى طابت سريرة العبد صارت أفعاله جميلة، حتى تقتبس من سريرته الفوائد الجليلة، (دخل عمر بن عبيد[3] على أبي جعفر المنصور، فقال له أبو جعفر عظنا يا أبا عثمان، فقال يا أمير المؤمنين، ان الله عز وجل، قد أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، فإن هذا الأمر الذي قد أصبح في يديك، لو بقي في يد، من كان قبلك لم يصل إليك، فقال يا أبا عثمان أعنا عليه بأصحابك، فقال يا أمير المؤمنين ارفع علم الحق يتبعك أهله)[4]، وأنشدوا:

=الاثير: اسد الغابة م س ج 3 ص 540. – الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج 3 ص 79. – ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 7 ص 223.

(1) عند ابن قتيبة نقرأ هذا الحديث في صيغة قريبة من الصيغة الواردة في النص: «من بلغه عن الله نصيحة في دينه فهي رحمة من الله سبقت إليه فإن قبلها من الله، شكر، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد إثما، وليزداد الله عليه غضبا، وإن بلغه شيء من الحق فرضي، فله الرضى وإن سخط فله السخط. ومن كرهه فقد كره الله. لن الله هو الحق المبين.

– ابن قتيبة: عيون الاخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925 ج 2 ص 338 – 339.

(2) من البسيط.

(3) هو عمر بن عبيد الطنابي الكوفي ابو عثمان، متفق على توثيقه مات 187هـ 802م.

– العجلي: تاريخ الثقات م س ص 359.

– الدارقطني : ذكر اسماء التابعين م س ج 1 ص 243.

– ابن حجر : تهذيب التهذيب م س ج 3 ص 165+164.

(4) راجع ابن عبد ربه الاندلسي العقد الفريد م س ج3 ص165–164.

فَمَا عَزَّ فِي الدُّنْيَا مُرَادٌ الْمَخْلُوقِ وَلاَ [اعْتَاضَ][1] فِي الأَيَّامِ وِرْدٌ لِحَائِمِ
وَلَكِنْ ذَاكَ الظِّلُّ أَدْنَى غَضَارَةً[2] لِضَاحٍ وَذَاكَ الْبَرْقُ أَوْ فِي لِشَائِمِ

أرجح الناس عقلا وأكملهم أدبا وفضلا، من صحب الدنيا بالموادعة. وقمع هواه بالمرادعة، وتجافى عن بعض ما يحب، وقبل من الزمان قدر ما يهب، إلا رب مغبوط بمسرة وهي داؤه، ومكظوم بمضرة وهي دواؤه ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3] ولله در القائل:

وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضْتُ عَنْهَا لِغَيْرِ قلى وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينًا[4]
رَأَيْت صُدُودُهَا فَضَرَبْتُ عَنْهَا لَوْ حَازَ الْفُؤَادُ بِهَا جُنُونًا

لسان الجاهل مفتاح حتفه، وجواب العاقل شرف زائد في وصفه. دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك[5]، (فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله أن كرهته، فإن وراءه ما تحب أن قبلته، فقال هات يا أعرابي فقال: إني سأطلق لساني بما خرست الألسن من عظمتك[6] [تادية][7] لحق الله وحق [إمامتك][8]، إنه قد اكتنفك، رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم. ورضاك بسخط ربهم وخافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك، فهم حرب للآخرة، سلم للدنيا،

---

(1) م د [اعتاض] ط س [اعتاض] وفي البيت سقوط في الوزن.

(2) الغضارة: النعمة والسعة في العيش، والغضارة : طيب العيش راجع: - ابن منظور م س ج 5 ص 23 و24.

(3) سورة البقرة 216.

(4) من الوافر.

(5) الخليفة الأموي المشهور (96هـ 715م 99هـ 717م ففي عهده تم فتح بلاد جرجان وطبرستان وحصار القسطنطينية).

(6) م [عظمتك] ط س [عظتك]

(7) في جميع الاصول تاديا في العقد الفريد [تادية].

(8) في جميع الاصول [إمانتك] في العقد الفريد [إمامتك].

فلا تامنهم على ماائتمنك الله، فإنهم لا يالونك خبالا[1]، [وللأمانتك][2] [تضييعا][3]، وللأمة عسفا وخسفا، وأنت مسؤول عما [اجترحوا][4]، وليسوا بمسؤولين عما اجرحت[5] فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أخسر الناس صفقة، وأعظمهم غبنا وحرقة من باع آخرته بدنيا غيره)[6]

يَا مَنْ بِعَيْنَيْهِ عَنْ غَيْرِ الهَنَى كَـمَـهُ[7] وَمَنْ بِأُذُنَيْهِ عَنْ غَيْرِ الخَنَا صَـمَـمُ[8]

فَإِنْ أَصَخْتَ[9] فَهَذَا الحَقُّ تَسْمَعُهُ وَإِنْ أَبَـيْتَ فَعُـقْبَى أَمْـرِكَ النَّـدَمُ

وَاسْلُكْ إِلَى الخَيْرِ مَنْ أَهْدَى طَرَائِقَهُ فَالطُّرُقُ شَتَّانَ مَا فِي كُلِّهَا عَلَمُ

كره والله أولو النزاهة في الأقدار، والعلو في الهمم والمقدار، مساعدة الأنذال في الرشاد، تحرزا من الدخول في دائرة الانقياد، لقي عيسى عليه السلام إبليس اللعين على عتبة بيت المقدس، فقال يا روح الله قل لا إله إلا الله، فقال عيسى عليه السلام كلمة حق ولا أقولها بقولك .

وَلَكِنَّنِي أَكْرَمْتُ نَفْسِي تَكَرُّمًا وَدَافَعْتُ عَنْهَا اللَّوْمَ عِنْدَ الحَقَائِقِ[10]

بالفكر الثاقب يدرك النجح في العواقب، والسرعة في الجواب مجلبة للفضائح، والتأني في الأمور يبعث على المصالح، كل من عفت أطرافه حسنت أوصافه، إذا رأيت الرجل لا ميراث له من عمله، فاعلم

(1) الخبال: في الاصل الفساد. يكون في الافعال والابدان والعقول. لسان العرب م س ج 11 ص 199.

(2) ولامانتك.

(3) في جميع الاصول [ضياعا] وفي العقد الفريد تضييعا.

(4) في جميع الاصول [اجترموا] وفي العقد الفريد [اجترحوا].

(5) في جميع الاصول [اجرمت] وفي العقد الفريد اجترحت .

(6) راجع ابن عبد ربه : العقد الفريد م س ج 3 ص 166 .

(7) كمه : الكمه في التفسير العمى الذي يولد به الإنسان. راجع: ابن منظور ج 14 ص 244.

(8) الخنا : من قبيح الكلام وفي التهذيب الخنا من الكلام افحشه . راجع: ابن منظور ج 14 ص 244.

(9) اصخت : أصخ الحجر عند القرع: صوت عند القرع وفلانا ضرب اذنه فاسمعها والصاخة القيامة. قال الله تعالى ﴿ فإذا جاءت الصاخة، يوم يفر المرء من أخيه ﴾. ابن منظور ج 3 ص 33 والمعجم الوسيط ج 1 ص 511.

(10) من الطويل.

أن عدم ورعه .سبب في خلله، وفي الحكمة من تمام العلم استعماله، ومن تمام العمل استقلاله، قال الخضر[1] لموسى عليهما السلام يا ابن عمران تعلم العلم لتعمل به، ولا تتعلمه لتحدث به، فيكون عليك بوره ولغيرك نوره، وفي محكم التنزيل ردع خاص والمراد به العلماء المقترون ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[2] وأنشدوا:

وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرَ عَامِلٍ   كَلاَمًا وَلاَ مِنْ عَامِلٍ غَيْرَ عَالِمِ[3]

رَأَوا طُرُقَاتِ الْمَجْدِ عِوَجاً فَضيعَتْ   وَأَقْطَعُ عَجْزٍ عِندَهُمْ عَجْزُ حَازِمِ

ما اقبح مرشدا يصف طريقا لم يسلكه، ومتزينا بعمل لم يدركه، على أن كل من انزل نفسه منزلة العاقل، أنزله الناس منزلة الجاهل، فمن استعمل عمله لم يخل من رشاد نفسه منزلة العاقل، ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد ما تزاحمت الظنون على مستور إلا كشفته، ولا تراكمت العقول، على مجهول إلا عرفته، ولله در القائل:

وَهَبْنِي كَتَمْتُ الأَمْرَ أَوْ قلت غَيْرَهُ
أَتَخْفَى عَلَى أَهْلَ الْعُقُولِ السَّرَائِرُ[4]
[أمَا ذَاكَ إلاَّ][5] السِّرُّ فِي الْوَجْهِ نَاطِقٌ
وَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ فِي الْعَيْنِ[6] ظَاهِرُ

(1) الخضر صاحب موسى عليه السلام . عن قصته مع النبي موسى، راجع التفسير الذي قدمه الطبري لقوله تعالى: ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾. الكهف الآية 65، جامع البيان، م س ج 15 ص 178 .، انظر كذلك ابن الاثير في الإصابة، ج 1 ص429. ودائرة المعارف الإسلامية : مادة الخضر.

(2) سورة الأنبياء، 18 .

(3) من الطويل.

(4) من الطويل.

(5) ط .س د [اباذلك ان] م [إما ذلك إلا].

(6) ط س د [القن]، م [العين]

روض نفسك بآداب كل زمان، يثمر لك من أهله كل أمان، وضع عن نفسك شره الخلاف والمنازعة فإنها تورث السخائم[1]، وتنقض إبرام المودة من العزائم، عظم نفسك في قلوب الإخوان بالصيانة منهم، واستبق مودتك عندهم بالاستغناء عنهم، واستجلب ودهم بالبشر إليهم، واحتجب عن بعضهم بترك الاستطالة عليهم، فلا غرو أن من حمل إخوانه على الموافقة والمؤالفة، فقد عرض بهم إلى الفرقة والمخالفة، ومن أجهدهم في حقه ورفده[2]، قطعهم عن حبه ووده، ومن رضي بالمسامحة منهم نال استماعه بهم ورضاه عنهم، قالت بنت عبد الله بن مطيع[3]، لزوجها طلحة ابن عوف الزهري[4] يوما. ما رأيت أهون من إخوانك، متى أيسرت لزموك، ومتى أعسرت تركوك، فقال مه[5] إنما ذلك من كرمهم، يأتوننا في حال قدرتنا عليهم، ويتركوننا في حال ضعفنا عنهم وانشدوا:

سَامِحْ صِحَابَكَ إنْ أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ ‏ ‏ ‏ وَتَـوَسَّـمَــنَّ فِعَـالَـهُـمْ وَتَـفَـقَّـدِ[6]

---

(1) السخائم : جمع سخيمة والسخيمة الحقد والسخائم: الحقود. راجع : ابن منظور س ج 12 ص 282.

(2) الرفد : العطاء والصلة وفي التنزيل: «بئس الرفد والمرفود» هود 99. وفي الحديث : «من اقتراب الساعة ان يكون الفيء رفدا» المعجم الوسيط م س ج 1 ص360.

(3) هو عبد الله بن مطيع بن الاسود بن حارثة العدوي، ولد في عهد الرسول ﷺ، التحق بعبد الله بن الزبير عندما انهزم اهل مكة، امام اهل الشام. وخاض معه الحرب ضد الامويين، وعاملهم الحجاج عندما حاصر هؤلاء بمكة، راجع: ابن الاثير: اسد الغابة م س ج 3 ص289.

(4) هو طلحة بن عبد بن عوف المدني، ابو عبد الله، وليس بن عبد الرحمن كما ورد في النص. وذكر بن حجر إنه ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، روى عن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عمروا بن عباس وأبي هريرة وعائشة، وروى عنه إبراهيم وأبي عبيدة بن محمد بن عمار ابن يسار وآخرون. وثقه النسائي والعجلي، وتوفي بالمدينة سنة 97هـ 715م، راجع: - العجلي: تاريخ الثقات، م س ص 234.

- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ص: - ابن حجر : تهذيب التهذيب م س ج 5 ص 19.

(5) مه : مهمه فلانا وبه : قال له مه مه : اكفف ومهمه زجره ومنعه. المعجم الوسيط ج 2 ص 897.

(6) من الكامل، وقد وردت هذه الابيات وهي من أصل اربعة في كتاب دورة العقلاء ونزهة الفضلاء، لأبي حاتم محمد بن حبان السبتي، وهي على الشكل التالي:

ابل الرجال إذا اردت إخاءهم ‏ ‏ ‏ وتوسمن امورهم وتفقد

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى ‏ ‏ ‏ فيه باليدين قرير عين فاشدد=

فَإِذَا ظَفِرْتَ بِذِي الأَمَانَةِ وَالتُّقَى ... فَبِهِ الْيَدَيْنِ بِحِرْصِ عَزْمٍ فَاشْدُدِ
وَمَتَى رَأَيْتَ وَلاَ مَحَالَةَ زَلَّةً ... فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضْلِ حِلْمِكَ فَارْدُدْ

أصدق الإخوان من غلب جده هزله، وأعرب عن ضميره فعله، وأسدى لك الأيادي الفاخرة، واكسبك فخرا في الدنيا، وعزا في الآخرة. بلين الكلام تتمكن المودة في الصدور، «وبخفض الجناح»[1] يتم المراد في الأمور، وبالتواضع والوفاء يدوم، ود كل ودود، وبحمل الجفاء يستجلب عطف كل كنود[2]، وفي الحكمة عجبت، ممن يطرح عاقلا ناجزا[3] بما يضمره من عداوته، ويصطنع جاهلا عاجزا بما يظهره من صداقته. وهو قادر على استصلاح من يعاديه، بحسن صنائعه وأياديه، وفي محكم التنزيل العظيم ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[4] ولله در القائل:

لاَ يُدْرِكُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ... حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لأَقْوَامِ[5]
وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوَانَ مُصْفَرَّةً ... لاصَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ إِكْرَامِ

حصن عملك من العجب، ووقارك من الكبر، وضرامتك[6] من

=فمتى يزل، ولا محالة زالة فعلى ... اخيك بفضل حلمك فاردد
وإذا الخنى نقض الحبى في مجلس ... ورايت اهل الطيش قاموا فاقعد

ابو حاتم محمد بن حبان السبتي: روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون. دار الكتب العلمية، 1977، ص 205.

(1) من قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ الإسراء 24.
أو من قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين﴾.

(2) كنود: كند يكند كنودا، كفر بالنعمة، ورجل كناد وكنود قال تعالى: ﴿إن الانسان لربه لكنود﴾ وقيل هو الجحود وهو أحسن: ابن منظور: لسان العرب، ج 3، ص 381.

(3) الناجز: الحاضر المعجل يقال بعته ناجز بناجز: يدا بيد وعاجل بعاجل م س ج 2 910.

(4) سورة فصلت، 34.

(5) من البسيط، ورد هذان البيتان ودون نسبة في العقد الفريد لابن عبد ربه كتاب الياقوتة في العلم والأدب م س ج 2 ص 279.

(6) الضرامة: ما اشتعل من الحطب ومنه قول الشاعر:
أرى خلل الرماد وميض جمر ... احاذر ان يشب له ضرام

العجلة، وعقوبتك من الإفراط، وعفوك من تعطيل الحقوق، وصمتك من الغي، واستماعك من سوء الفهم. وخاواتك من الإضاعة، واستئناسك من البذل والملالة، وتعبدك من استفراغ القوة، وعزماتك من اللجاجة، وحيادك بلازمة من يستحيا منه، ومن كساه الحياء ثوبه أخفى الله عن الأبصار عيبه، ولله در القائل:

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْخَيْرِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى ... فَإِنَّكَ رَاءٍ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ[1]
وَاحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا ... فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَابْغَضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ ... فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

متى استحكم يأسك من وفاء من تعاشره، فكن أنت كما أحببت منه، ولا تنافره، وإياك والمكافاة بسوء الأعمال، وقبيح الفعال. فإن السيد إنما يستحق هذا الاسم، ويتسم بهذا الوسم، بصبره على مداراة الإخوان، واحتماله، بكرم المودة عيوب الاقران، مع صيانة عرضه، عن دناءة الأخلاق وطهارة نفسه، عن دنس الإختلاق، وامتناع الناس من عرضه، بما لا [ينكرون][2] من فعله، ففي الحكمة دع عنك كل ما يسبق إلى القلوب انكاره، وإن كان عندك [اعتباره][3]، فما كل من حكى عنك نكرا، تطبق أن توسعه عذرا. سمع أعرابي رجلا يقع في أعراض الناس، فقال يا هذا، قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكر عيوب غيرك، فإن الطالب لها، إنما يطلبها، بقدر ما رأى فيه منها. ولله در القائل:

ابن منظور لسان العرب ج 12 ص 355.
ونقرا في رباعيات عمر الخيام الشهيرة ترجمة احمد رامي:

اولى بهذا القلب ان يخفقا ... وفي ضرام الحب ان يحترقا
ما اضيع اليوم الذي مر بي ... من غير ان اهوى وان اعشقا

(1) من الطويل.
(2) س ذ م [ينكرون] ط [تنكرون].
(3) من الطويل.

صُنِ الْعِرْضَ وَابْذُلْ كُلَّ مَا قَدْ مَلَكْتَهُ فَإِنَّ ابْتِذَالَ الْمَالِ لِلْعِرْضِ أَصْوَنُ[1]
وَلاَ تُطْلِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانَ بِسُوءَةٍ [فَكَلَّك] سَوْآةٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَكُفَّ الأَذَى عَنْ كُلِّ نَفْسٍ ذَمِيمَةٍ وَفَارِقْ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

العاقل لا تدعه معرفة، ما ستر الله عليه من عيوب افعاله، ان يفرح بما ظهر للناس من محاسن أحواله، [وفي الحديث لو تكاشفتم ما تدافنتم][2].

قال المبرد[3]: (معناه لو علم بعضكم سريرة بعض، لاستثقل تشيعه ودفنه)، وفي المثل السائر، قلة معرفة الإنسان بعيوبه، من أعظم ذنوبه، ولله در القائل:

إِذَا غَابَ عَقْلُ الْمَرْءِ عَنْ غَيْبِ نَفْسِهِ فَيَقْظَتُهُ فِي الْعَالَمِينَ سُبَاتُ[4]

متى سنح لك أمران لله في أحدهما رضا، ولك في الآخر هوى وغرضا، فاختر رضا مولاك مدى الدهر، ورد هواك رد القهر، فبعد الظفر بالسلامة، يكون حوز الغنيمة، ما أقل منفعة المعرفة إذا غلب الهوى، وما أجمل منفعتها مع ملاك الهوى، قال محمد بن عمر الوراق[5] من أرضي

(1) ط س [للناس] د م [فكلك]
(2) راجع ابن عبد ربه: العقد الفريد كتاب الجوهرة في الأمثال م س ج 3 ص 76.
(3) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري المعروف بالمبرد، ولد سنة 210هـ 825م، وقيل سنة 207هـ 822م. اخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني. وروى عنه اسماعيل الصفار الصولي، وكان إماما في اللغة والنحو من كتبه: الكامل، وهو مشهور، والروض، والمقتضب، وتوفي ببغداد سنة 285هـ 898م، وقيل سنة 286هـ 899م راجع:
- ابن كثير: البداية والنهاية م س ج 11 ص 79.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج 4 ص 313.
- السيوطي: بغية الوعاة م س ج 1 ص 269.
(4) من الطويل.
(5) هو ابو بكر محمد بن عمر الحكيم الترمذي البخلي، من شيوخه ابن حضرويه ومحمد بن سعد بن ابراهيم الزاهد، وكان فقيها أديبا، صنف في الرياضيات والتصوف والمعاملات، له كتاب العالم والمتعلم، وتوفي سنة 280هـ 883، راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية م س ص221.
- ابو النعيم: حلية الأولياء م س ج10 ص374.

الجوارح بالشهوات، غرس في قلبه شجر الندامات، ومن انقاد لهواه صرعته مكائد الشهوات، ومن امتاط ظهر الأماني صار به إلى منازل التلف ودرك الشقاوات.

وَمِـنَ الْبَـلاَءِ وَلِلْبَـلاَءِ عَـلاَمَةٌ أَنْ لاَ يُرَى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ[1]

العبودية[2] المحضة بضاعة الإرادة، والحرية[3] المحضة الخروج عنها، بالصبر والزهادة، المعروف رق، [والمكافاة][4] عتق السابق بالمعروف مبتدئ، والمكافئ مقتدي، ومتى يدرك المقتدي درجة المبتدئ وأنشدوا:

لِلْـذِي وَدُّنَا الْمَـوَدَّةَ بِالضِّعْـفِ

وَفَضْلُ البَادِي بِهِ لاَ يُجَازَى[5]

- القشيري: الرسالة القشيرية م س ج1 ص134.
- مزكين: تاريخ التراث العربي م س ج452 2.

(1) من الكامل: وجاء في ترجمة محمد بن الفضل البلخي انه انشد بيتين، اولهما هذا البيت، اما البيت الثاني فهو:

العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع

راجع: ابن الملقن: طبقات الاولياء م س ص 310.

(2) يستخدم الصوفية لفظ العبد دلالة على مقام العبودية. وهي خاصة بالعبد الصالح وهو الذي يتوكل على الله، ويسقط التدبير مع الله فلم يجد غير الله وكيلا ولم يعبد سواه في ظاهره وباطنه، فالله نصيره وحافظه والعبد الصالح هو العبد الشاكر في الابتلاء، الصابر على الجفاء. المحب بلا رجاء، الراضي في كل الاحوال والاوقات فإذا اكرمه الله نصره، وستر عليه حظوظ نفسه وهواها. وجعله يتقلب في نعم عبوديته تعالى. وشغل بها نفسه. فلا يلتفت إلا لله. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ راجع:

- القاشاني اصطلاحات صوفية م س 107.
- الشرقاوي: معجم الفاظ الصوفية م س 207.
- عبد المنعم الحنفي: معجم مصطلحات الصوفية م س 183.

(3) الحرية: هي عند بعض ائمة الصوفية تعبيرا عن منتهى غاية السائلين إلى الله. فيصل السالك إلى اعلى مقام. حيث هو عبد صادق لله. مخلص في طاعته. متوكل عليه بكلتيه. صابر لقضائه. راض بما يرزقه تعالى. وهي على ثلاث مراتب: حرية العامة عن عزوف الشهوات.

حرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادة الحق.

حرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والاثار لانمحاقهم في تجلي نور الانوار.

- القشيري: الرسالة القشيرية م س ج 2 460. - القاشاني م س 58. - الشرقاوي م س 121.

(4) د م «المكافاة» س ط [المكافات]

(5) من الخفيف.

من قل قنوعه كثر خضوعه، ومن تسربل سربال الطمع ذهبت، عنه بهجة الوقار، وسمت إليه مذلة الافتقار [قال][1] احمد بن حنبل[2] رحمه الله [سمعت][3] [ابن السماك][4] يقول كتب إلى أخ لي أما بعد، فلا تكن لأحد عبدا ما وجدت من العبودية بدا، ولله در القائل.

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي   وَلَوْ أنِّي قَنَعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا[5]

شدة الحرص على الفاني، سدد في كبد اليقين، وتعلق القلب بالأماني، عيب من عيوب المتقين، من كان غناه في قلبه لم يزل غنيا، وان كان فقيرا، ومن كان غناه من كسبه ذهب غناه ولم يزل حقيرا. متى رأيت سربال[6] الدنيا قد تقلص [وتبعثر][7]، فاعلم أنه رفق بالقانع والمعتر لأن المنعم لم يقتره خوفا أن يتبذر، ولكن رفقا بالماشي أن يعثر ولله در القائل.

لَعُمْرُكَ مَا الْبَلْوَى بِقُلٍّ[8] وَلاَعَدَمٍ   إذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْدَمْ تُقَى اللهِ وَالْكَرَم[9]

طلب الحوائج من غير الله خيبة ومهانة، والإعتزاز بغيره ذل، وإهانة كتب بعض الأمراء إلى ابن أبي عمر وصاحب أبي العباس اما بعد فاعلمني

---

(1) س د م [وقال، ط [كان].

(2) الإمام احمد بن حنبل المولود سنة 164هـ 780م، والمتوفى سنة 241هـ 855م، هو مؤسس المذهب الرابع في الفقه السني وصاحب المسند المشهور الذي يحمل اسمه، وذكر فؤاد سزكين قائمة مهمة تضم آثار احمد بن حنبل، وجل الدراسات المتعلقة بها، راجع:
– سزكين: تاريخ التراث العربي، م س ج2 ص 143.

(3) [سمعت ابن السماك] سقط من د.

(4) هو محمد بن صبيح ابن السماك ترجم له ابو النعيم في حلية الأولياء دون ذكر لتاريخ ولادته او وفاته، غير انه أورد العديد من اقواله في أماكن مختلفة راجع:
– ابو النعيم: حلية الأولياء م س ج11 ص 335.

(5) من الوافر.

(6) [سربال] القميص والدرع، وقيل، كل ما لبس فهو سربال. ابن منظور م س ج11 ص 143.

(7) د م [تبعثر]، ط تبثر].

(8) القل: خلاف الكثر، ابن منظور: لسان العرب، م س ج11 ص563.

(9) من الطويل.

بمقدر مايمونك في السنة حتى أجريه لك، فأجابه عافاك الله أنا في جراية من إذا اسخطته لم يقطع عني جرايتي، وقال بعض الأمراء لبعض الفقراء كم يمونك في السنة فأجريه لك، فقال عفاك الله، أنا و أنت كلنا، عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني والله در القائل:

إنَّ الغِنَى عَنْ لِئَامِ النَّاسِ مَكْرُمَةٌ

وَعَنْ كِرَامِهِمْ أدْنَى إِلَى الْكَرَمِ[1]

مساءلة اللئيم إهانة للعرض، وخلود بالحرمان إلى الأرض، فمن لم يزل هاويا في مهاوي الطمع، متى يسمو إلى منار القناعة والورع، والهبوط والصعود متناقضان أصلا، والجمع بينهما مستحيل ضرورة وعقلا، قال محمد بن عبد الكريم خرجت مرة من بلخ[2] في طلب إبراهيم بن أدهم[3] فرأيته بحمص[4] في (أتن)[5] (يسجرها)[6] وقد

---

(1) من البسيط

(2) بلخ: كانت من اهم مدن خراسان العظمى، ودار ملوك الاتراك؛ وعاصمة دولتهم. ذكر الحميري انها كانت تعج بالاسواق العامة والاموال الواسعة. وكان لها سبعة ابواب. مما يدل على اتساع عمرانها وكثرة مساجدها ودورها ومؤسساتها التعليمية. عبد السلام الحميري الروض المعطار م س 96.

(3) هو إبراهيم بن الادهم بن منصور كنيته ابو يسحاق الزاهر المشهور، توفي سنة 161 هـ 777 م راجع :
- السلمي طبقات الصوفية م س ج 7 ص 367
- ابو النعيم حلية الأولياء م س ج 7 ص367
- القشيري الرسالة القشيرية م س ج 1 ص 54
- الشعراني الطبقات الكبرى م س ج 1 ص69

(4) حمص: مدينة بالشام، تقع على ارض مستوية. سميت برجل من العمالة يسمى حمص. لها نهر عظيم يشرب أهلها من مائه وثراها طيب للزراعات وهواؤها اعدل هواء، يكون بمدن الشام. افتتحها ابو عبيدة بن الجراح صلحا؛ في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب، سنة اربع عشرة. تجانبها قرى متصلة وبساتين. ومنها تجلب الفواكه إلى المدينة واسواقها عامرة. وللمزيد راجع:
- الحميري: م س 198.
- يقوت الحموي: معجم البلدان م س 198 و302.

(5) اتن قال ابن المنظور أتن الأتان مقام المستقي على فم البئر وهو صخرة.
- ابن منظور لسان العرب م س ج 13 ص 7.

(6) في ط. سجرها، يسجرها، سجره يسجره ملاه، وقال تعالى : ﴿وإذا البحار سجرت﴾ التكوير الآية 6.
- ابن منظور لساب العرب م س ج 4 ص 345

أخذ رمادا وتربا فخلطهما وأكلهما[1] و جعل يقول:

اخْـلِطِ التُّـرْبَ بِـالرَّمَادِ وَكُـلْـهُ
وَازْجُرِ النَّفْسَ عَنْ مَقَامِ السُّؤَالِ[2]
فَإِذَا شِئْتَ أنْ تَقْنَعَ بِالذُّلِّ
فَرُمْ مَا حَوَتْهُ أيْدِي الرِّجَالِ

قال محمد بن كثير العبدري[3] [صحبت][4] سفيان الثوري بمكة دهرا. وكان يستف من السبت إلى السبت، كفا من رمل. ولله در القائل:

أَلَيْسَ الـزَّمَانُ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ فَمَـا تَجْـزَعُ مِـنْ صَـرْفِه[5]
وَعِـنْدَكَ عِـلْمٌ بِـهِ ثَـاقِبٌ وَعَـيْنٌ تَـدُلُّ عَـلَى وَصْـفِهِ
وَأَيَّـامُـهُ دُوَلٌ وَالنُّـفُـوسُ رهُـونُ الْحَـوَادِثِ مِـنْ حَتْفِهِ
فَـأَيْـنَ الْمُعَـافِى مِـنَ النَّـائِبَاتِ وَمَنْ صَحِبَ الـدَّهْرَ لَمْ [يَعْفِهِ][6]

---

(1) القصة التي رواها محمد ابن عبد الكريم من أن إبراهيم بن ادهم كان يخلط الرماد بالتراب وياكلهما اكدها الشعراني بصيغة أخرى « كان رضي الله عنه إذا لم يجد الطعام الحلال ياكل التراب و مكثت شهرا باكل الطين » راجع الشعراني الطبقات الكبرى م س ج 1 ص70 ومن غير الممكن طبيا ان يداوم الإنسان على أكل التراب والرمل ولعل المؤلف أورد هذه الاقوال ليبين ان كلا من إبراهيم بن ادهم وسفيان الثوري كانا من كبار الزهاد الذين يكتفون باقل ما يمكن من الطعام.

(2) من الخفيف.

(3) محمد بن كثير العبدي و ليس العبدري ابو عبد الله البصري روى عن اخيه سليمان وسفيان الثوري وإبراهيم ابن نافع المكي وروى عنه البخاري و ابو داود ذكره ابن حبان في الثقات ووثقه احمد ابن حنبل مات سنة 213م راجع:
- العجلي تاريخ الثقات م س ص 411.
- الدر قطني ذكر أسماء التابعين م س1 ص 322.
- ابن القيصرين الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 2 ص 448.
- ابن حجر تهذيب التهذيب م س ج 2 ص417.

(4) ط « سمعت » س د م « صحبت ».

(5) من المتقارب

(6) م (يصفه) ط س د (يعفه)

فَكُنْ حَازِمَ الرَّأْيِ وَاصْبِرْ لَهُ ... وَلاَ تَحْرِصَنَّ عَلَى صِرْفِهِ
وَلاَ تَخْضَعَنَّ إِلَى سَاقِطٍ ... وَلَوْ كَانَتْ الأَرْضُ فِي كَفِّهِ
وَصُنْ حُرَّ وَجْهِكَ عَنْ بَذْلِهِ ... [بِتِلْحَاسِكَ][1] التُّرْبَ أَوْ سَفِّهِ
فَإِنَّ اللَّئِيمَ وَإِنْ خِلْتَهُ ... كَرِيمًا يَذُودُكَ عَنْ عُرْفِهِ
وَيَرْجِعُ مَحْصُولَ أَخْلاَقِهِ ... إِلَى أَصْلِهِ وَ إِلَى وَصْفِهِ
وَلاَ تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ ... وَلَكِنْ سَلِ اللهَ وَاسْتَكْفِهِ
فَكُلٌّ مُقِلٌّ وَذُو ثَرْوَةٍ ... فَسَيْفُ الْمَنِيَّةِ مِنْ خَلْقِهِ
وَمَنْ يُقْضَ رِزْقٌ لَهُ يَأْتِهِ ... بِكُلِّ مَكَانٍ وَيَسْتَوْفِهِ
وَلَوْ جَهِدَ النَّاسُ لَمْ يَقْدِرُوا ... عَلَى [دَفْعِ][2] ذَاكَ وَلاَ صَرْفِهِ

دع المسالة ما وجدت إلى التحمل سبيلا فان لكل يوم قضاء جديدا ورزقا منيلا، واعلم أن الإلحاح في السؤال، مسلبة للبهاء والظفر، ولن تبقى المروءة إلا مع الظفر، فلا غرو أن الصبر مفتاح كل شدة، وأفضل كل عدة فلا تعدن مالا استفدته مفر روحا ولا حظا نلته ممنوحا قد أتاك بعد ابتذال خطرك وإراقة ماء وجهك وقدرك فان الذي بذلته عن الصيانة أعظم من الذي استفدته مع المذلة والاهانة فاتخذ من القناعة زاد [تبلغ][3]: تلافيه، إلى أن يفتح لك باب يجمل بك الدخول فيه، ولا تعجلن عن ثمرة لم تدرك أوان اللحاق فإنك لا تنالها قبل أوانها[4] عذبة المذاق، والمدبر لك أيها الراجي المؤمل، اعلم بالوقت الذي يصلح لك فيه ما تؤمل. قال عمر بن عبد العزيز ﷺ، إياك [والفزع][5] مما لا بدمن حلوله، و لا الطمع في ما لا مرتقب لحصوله، و في الحكمة متى

(1) د م (بتلحاسك) ط س (بتلحاسك)
(2) م (سوق) ط س (دفع)
(3) ط س (تتبلغ) د م (تبلغ)
(4) مكررة في ط
(5) ط س (الجزع) د م (الفزع)

وقع القدر، نامت عيون الحذر، قال ابن عمر لا تحل المسألة إلا من فقر مدقع، أو عدم مفظع أو دم موجع، وأنشدوا:

إِرْضَ بِأَدْنَى الْعَيْشِ وَاشْكُرْ عَلَيْهِ ... شُكْرٌ مَنْ القِلَ كَثِيرٌ لَدَيْهِ[1]
وَجَانِبِ الْحِرْصَ الَّذِي لَمْ يَزَل ... يَحُطُّ قَدْرَ الْمُتَرَاقِي إِلَيْهِ
وَحامِ [عَنْ][2] عِرْضِكَ وَاسْتَبْقِيهِ ... كَمَا يُحَامِي اللَّيْثُ عَنْ لَبُؤَتِهِ
وَاصْبِرْ عَلَى مَا نَابَ مِنْ فَاقَةٍ ... صَبْرَ أُولِي الْعَزْمِ وَ اغْمِضْ عَلَيْهِ
وَلاَ تُرِقْ مَاءَ الْمُحَيَّا وَلَوْ ... خَوَّلَكَ الْمَسْؤُولُ مَا فِي يَدَيْهِ[3]
فَالْحُرُّ مَنْ قُذِيَتْ عَيْنُهُ ... أَخْفَى قَذْيَ[4] عَيْنِهِ عَنْ نَاظِرَيْهِ
وَمَنْ إِذَا أَخْلَقَ دِيبَاجُهُ ... لَمْ يَرَ أَنْ يَخْلَقَ دِيبَاجَتَيْهِ

متى نزلت بك نعمة فاجعل قرارها الشكر، ومتى زارتك شدة فاجعل إكرامها الصبر. فلا غرو أن الشكر درك المزيد، وحلية كل مريد، وفي الحكمة الشكر و إن قل، يقابل كل معروف وإن جل، من أبطرته النعمة [وقر له][5] زوالها، و تقلصت عنه ظلالها، من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر، قال الحسن رضي الله عنه : إذا قابل الناس البلاء بمثله وكلهم الله إليه، و إذا قابلوه بالصبر و انتظار الفرج أتاهم الله بالفرج،

---

(1) من السريع
(2) سقط من م
(3) سقط هذا البيت من [م]
(4) القذي : ما يسقط في العين أو الشراب قالت الخنساء:
"قذي بعينيك أم بالعين عوار ... أم افتقرت إذ خلت من أهلها الدار"
و قال بشار ابن برد:
"إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت و أي الناس تصفو مشاربه"
– ابن عبد ربه : العقد الفريد م س. ج 3. 267
– أبو بكر الرازي: مختار الصحاح م. س. 526
– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول دار المعارف مصر ج 3 210
(5) ط. س. د [قره]، م. [افتحت].

وجد مكتوبا على جدار من جدران [هرقل لما [فتحت][1] : يا ابن آدم غافص[2] الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى سلطانها، ولا تحمل على قلبك هم يوم لم يأت بعد، فإنه إن يكن من أجلك أتى الله فيه برزقك، ولا تجعل سعيك في طلب المال إسوة المغرورين، فرب جامع لبعل حليلته، واعلم أن تقتيرك على نفسك، توفير منك إلى غيرك.

صَبَرْتُ عَلَى بَعْضِ الأدنَى خَوْفَ كُلِّهِ ... وَدَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي بِنَفْسِي فَعَزَّتِ[3]

وَجَرَّعْتُهَا الْمَكْرُوهَ حَتَّى تَدَرَّبَتْ ... وَلَوْ لَمْ أُجْرِعَهَ إذاً لاَشْمَأَزَّتِ

إلاَ رَبَّ ذُلٍّ سَاقَ لِلنَّفْسِ عِزَّةً ... وَيَا رُبَّ نَفْسٍ بِالتَّذَلُّلِ عَزَّتِ

إِذَا مَا مَدَدْتُ الْكَفَّ أَلْتَمِسُ الغِنَى ... إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ أَسْأَلُونِي شُلَّتِ

سَأَصْبِرُ جَهْدِي إِنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً ... وَأَرْضَى بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتِ

غاية الجود أن تؤثر عليك من لا يعرفك، وذروة السداد أن تنصف من لا ينصفك. قال الحسن[4] ﷺ ما أنصفك من كلفك إجلاله ومنعك جاهه أو ماله، وفي الحديث: «الكنود الذي يأكل وحده،

---

(1) م.]فتحن[ط. س. د [افتحت] =

هرقل : هو هيراكليس Héraklés عند اليونان وHercule عند الرومان. وهو بطل من أبطال الميتولوجيا Mythologie. «عام الاساطير»القديمة. احرق نفسه على جبل إيتا. يضرب المثل بقوته. وباسمه دعا الأقدمون مضيق جبل طارق: اعمدة هرقل وتوجد بشمال مدينة طنجة مغارة؛ مطلة على بوغاز جبل طارق. تسمى مغارة هرقل.

ولعل المقصود بهرقل، في النص هي مدينة بالشام ببلاد الروم. وحسب ياقوت الحموي، سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفز، بن سام بن نوح ﷺ. وكان الخليفة الرشيد العباسي غزاها بنفسه. ثم افتتحها عنوة بعد حصار شديد، وكان ذلك سنة تسعين ومائة. وللمزيد راجع:

- ياقوت الحموي م س ج 5 ص 398.
- الحموي م س 592.
- المنجد في اللغة والاعلام 727.
- Petit Robert T2 .P 832.

(2) غانص : غانصه مغاصفة و غصافا: فاجاه واخذه على غرة - المعجم الوسيط ج 2 663

(3) من الطويل

(4) راجع: إحالة رقم 153.

ويمنع رفده[1]، ويضرب عبده»[2] وفي وصية علي كرم الله وجهه لولده الحسن رضي الله عنهما، (واعلم أنه لا غنى بك عن حسن الارتياد[3]، مع [بلاغك][4] من الزاد، فإذا وجدت من أهل الفاقة من يحتمل عنك زادك فيوافيك به في معادك، فاغتنمه، و جد عليه و لا تحرمه، فإن امامك عقبة كؤود لا يقطعها إلا أخف الناس حملا)[5] و لله در القائل:

فَكُلُّ عِبَادِ اللهِ في الدِّينِ إِخوَة ... وَلاَ شَيْءَ يَحْكِي عِطفَةَ العَبْدِ لِلْعَبْدِ[6]

أَيَجْمُلُ أَنْ تُدْنِي طَعَامَكَ مُفْرَداً ... وجَارُكَ قَدْ أَلقَى الْبَنانَ عَلَى الخَدِّ

وَتَشْكُو مِنَ الأَكْلِ المُرَدَّدِ كَظْمَةً ... وَتَلْقَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ بِالرَّدِّ

سَتَعْلَمُ إِنْ جَاءَ الجَوَادُ وَضِدُّهُ ... مَنِ الْمُرْتَقِي أَعْلَى الْمَقَامَاتِ فِي الْخُلْدِ

وفي الحكمة من بخل بماله على الفقراء، سلط الله عليه الأمراء قضى لك مالك حمدا أو ذما، كما قضى لك فرحا أو غما، حب الخير خير وإن عجزت عن المقدرة، وحب الشر شر وإن وسعته المعذرة، ولله در القائل:

---

(1) الرفد: بالكسر، العطاء و الصلة . - لسان العرب . م. س. ج 3 : 18

(2) راجع: المناوي: فيض القدير، م، س، ج5، ص: 66.

(3) الارتياد: الطلب وحسنه، إتيانه على وجهه. راجع: إحالة رقم 6 في نهج البلاغة للإمام علي ابن أبي طالب تحقيق الإمام محمد عبده ج 3 46 دار المعرفة بيروت بلا تاريخ.

(4) سقط من م.

(5) وردت هذه الفقرة من وصية علي ابن أبي طالب لولده الحسن في كتاب نهج البلاغة، في الصيغة التالية: « واعلم ان أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وانه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياد قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهر فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبال عليك. وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه وأكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه ولا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك يوم عسرتك.

واعلم ان أمامك عقبة كؤودا المخف فيها أحسن حالا من المثقل والمبطئ عليها اقبح حالا من المسرع. راجع:

- علي ابن ابي طالب: نهج البلاغة تحقيق الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، ج 3، ص: 46

- ابن عبد ربه العقد الفريد، م. س، ج 3، ص: 156.

(6) من الطويل.

وَيُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ[1]
تَغَطَّ بِأَثْوابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِي أَرَى كُلَّ عَيْبٍ بِالسَّخَاءِ غِطَاؤُهُ

التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة، وحسن الإعتذار، يوجب للمذنب خلع العذار، والتأني في الأمور من خصائص الأعذار، والسرعة في الجواب، تبعث مع الخطأ على عدم الصواب.

لما احتضر بعض العاصين [المعترفين][2] وبانت[3] له منازل المسرفين المقترفين بداله في التوبة، والرجوع عما كان عليه بصدق الأوبة، فبعث ابنا له إلى جيرانه وأشياعه [ليشهدهم][4]، على توبته وإقلاعه فكلهم قد أوسعوه هجرا وقلى، وقالوا لا مرحبا بأبيك ولا سهلا، فرجع الطفل إلى أبيه باكيا، وقص عليه ما نال منهم شاكيا، فضم ابنه إليه، ثم بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق أنشأ يقول:

أَسْلَمُونِي لَمَّا رَأَوْا مِنْ ذُنُوبِي
أَتُرَاهُمْ هُمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ[5]
فَاتْرُكُونِي وَإِنْ تَعَاظَمَ ذَنْبِي
إِنَّمَا يَغْفِرُ الْعَظِيمَ الْعَظِيمُ

فلما توفي الرجل، وقضى نحبه، [وجن عليه الليل][6]، رأى كل واحد من جيرانه في منامه قائلا يقول. جهزوا فلانا جاركم وصلوا عليه،

---

(1) من الطويل، وتنسبه محمد بن حبان البستي ليحي بن أكثم، راجع:
– روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، م. س، ص 237.
(2) سقط من م.
(3) ط. د [وبان] س. م [وبانت].
(4) ط. س [ليشهدهم]، د. [ليحشدهم]، وسقط من م.
(5) من الخفيف
(6) جن جنا: استتر وجن الليل اظلم وفي التنزيل ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ الأنعام 76. المعجم الوسيط ج1 ص 141.

فإنه رجل من أهل الجنة. فلما أصبح تبادروا إليه وجهزوه، ثم صلوا عليه، ودفنوه.

[يَا رَبِّي][1] إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلاَّ الرَّجا وَجَمِيلُ ظَنِّي ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ
إِنْ كَانَ لاَ يَرْجُوكَ إِلاَّ مُحْسِنٌ فَمَنْ الذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّي كَمَا أُمِرْتُ تَضرُّعَا فَإِذَا [رَدَدْتَ][2] يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

الصدق طريقة مستقيمة، ودرة ليست لها قيمة، فعليك بالصدق، حيث تخاف أن يضرك، فانه ينفعل ولا يضرك [الميل][3] من الأحوال والأعمال لا يصلح لبساط الحق، ولا يحمل في مقعد الصدق، كل حقيقة لا يمتحي بها اثر العبد ورسمه فليست بحقيقة، وكل طريقة لا تسمو بها إلى منهاج الورع فشر طريقة.

[عَيَّرْتَنِي][4] بِالنَّقْصِ وَالنَّقْصُ شَامِلٌ وَمَنْ الذِي يُعْطِي الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ[5]

قرب العاقل مرجو فضله، وقرب الجاهل مخوف ضره [الحلم][6] دعامة العقل، والطيش ثمرة الجهل، فكن على حذر من الكريم أن أهنته، ومن اللئيم أن أكرمته[7]، ومن النذل أن عاشرته، ومن الأحمق أن مازحته، ومن العاقل إن أحردته[8]، ومن السفيه أن جاوبته، ومن الجاهل أن عاتبته:

---

(1) د.[يا ربي]. والأبيات من الطويل
(2) ط.[مرددت]، س. د. م [رددت]
(3) ط.س [المملل]، د. م.[الميل]
(4) د. م [هجرتني] ط. س [عيرتني]
(5) من الكامل
(6) د. [العلم]. ط. س. م [الحلم] من الطويل
(7) مثل هذا المعنى نجده في قول المتنبي:
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أكرمت اللئيم تمردا
– ديوان المتنبي بشرح ابي البقاء العبكري، دار المعرفة، لبنان، ج 1 ص 288 .
(8) احرد في السير اسرع. واحرد فلانا افرده ونحاه . المعجم الوسيط. س ج 1 ص 165.

عَلَيْكَ بِبَسْطِ الْوَجْهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمُ فَفِي ذَاكَ فَضْلٌ لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَى[1]
فَقَدْ جَاءَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا الْتَقَوا فَأَبْسَطُهُمْ وَجْهًا لَهُ الأَمَدُ الأَقْصَى
أَبْشَرُهُم يَزْدَادُ تَسْعِينَ رَحْمَةً عَلَى غَيْرِهِ فَازْدَدْ لأَضْعَافِهَا حِرْصًا
وَأَغْبَنُ خَلْقِ اللهِ فِي الدِينِ صَفْقَةً لِمَنْ تَرَكَ التَّفْضِيلَ وَاسْتَعْمَلَ النَّقْصَا

من كرمت عليه نفسه، صغرت الدنيا وأهلها في عينه، ومن هانت عليه، عظمت الدنيا وأهلها لديه، ولله در القائل:

انْظُرْ إِلَى النَّاسِ بِعَيْنِ الْفَنَا يَقِلُّ فِي عَيْنَيْكَ أَعْلاَهُمْ[2]
دُنْيَاهُمْ فَانِيَةٌ بَعْدَهُمْ فَلاَ تَغُرَّنَّكَ دُنْيَاهُمُ

إياك وعزة الغضب فإنها تصيرك إلى ذل الاعتذار، والتردي برداء العار:

فَإِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ وَقُورًا كَاظِمًا [لِلْغَيْظِ][3] تُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَيَسْمَعُ[4]
فَكَفَى بِهِ شَرَفًا تَصَبُّرُ سَاعَةً يَرْضَى بِهِ عَنْكَ الإِلَهُ وَيَرْفَعُ

تستر من الشامتين بحسن العزاء عند النوائب، ومن الحاسدين بعدم التلهف عند المصائب، دوام المودة بالتعاهد، ومنافرة الطباع بالتناقد، وشر القرائن التحاسد. وانشدوا:

وَكَيْفَ يُدَاوِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ إِذَا كَانَ لاَ يُرْضِيهِ إِلاَّ زَوَالُهَا[5]

من شارك الظالم في عز دنياه، شاركه في ذل أخراه، الظالم نادم وإن كان ممدوحا، والمظلوم سالم، وإن كان مقدوحا، والظلم يدعو إلى النقم والتلبس بالمعاصي يطرد سوابغ النعم:

---

(1) من السريع.
(2) من الكامل
(3) ط. [للقبط] س د م [للغيظ].
(4) من الكامل.
(5) من الطويل

لاَ تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِراً فَالظُّلْمُ مَرْتَعَةٌ يُدْنِي إِلَى النَّدَمِ[1]
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمْ

كن للود حافظا، وإن لم تجد محافظا، وللخل واصلا، وإن لم تجد مواصلا، الزمان موكل بتكدير كل صفا، وزعيم بتنويع كل جفا، متى عرف سبب الغضب كان الرضا سهلا يسيرا، ومتى جهل السبب كان صعبا عسيرا.

إِذَا طَاوَعَ الخِلُّ الْجَفَاءَ تَغَيُّرَا بِلاَ سَبَبٍ طَاوَعتُ فِي فَقْدِهِ الصَّبْرَ[2]
وَلَمْ آتِهِ مُسْتَعْطِفاً عَنْ مُرَادِهِ وَلَمْ تَلْتَفِتْ نَفْسِي [لِهِجْرَانِهِ][3] طُرّا
لِأَنَّ اخْتِيَارَ الْبُعْدِ عُنْوَانُ نِيَّةٍ تُبِينُ لَنَا هَجْرًا وَتُخْفِي لَنَا عُذْرًا

التواضع سلم الشرف، وعنوان التحف، وأنشدوا:

وَأَحْسِنْ مَقْرُونَيْنِ فِي عَيْنِ نَاظِرٍ
جَلاَلَةُ قَدْرٍ فِي ثِيَابِ تَوَاضُعِ[4]

الإخوة في حكم الأوصاف، أربعة أصناف: معين، ومستعين فهو أعدل الإخوان، وأسلم الأخذان، لكنه مع انصاف، مقارض معرض في حكم أوصافه، يؤدي ما عليه، وستوفي ما إليه، ولله در القائل:

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا [وَيَمْنَعُهَا][5] تَأْبَى الظَّلاَمَةَ مِنْهُ سُورَةُ الْحَسَبِ[6]

---

(1) من البسيط
نجد تغييرا في الشطر الثاني من البيت الاول وهو على الشكل التالي:
لا تظلمن إذا ماكنت مقتدرا فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
أبو حامد الغزالي/ مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، الباب 54 في بيان النهي عن الظلم. دار الكتب العلمية، بيروت، 1982 ص 285.

(2) من الطويل.

(3) ط س [بهجرانه] د م [لهجرانه].

(4) من الطويل.

(5) ط.س.د [ويسألها] م ويمنعها].

(6) من البسيط

الثاني: لامعين ولا مستعين فهذا متروك قد منع خيره، وقمع شره، فلا هو صديق ينتقي، ولا عدو يتقي، غير أن فساد الزمان يوجب شكر من كان شره مقموعا، وان كان خيره ممنوعا. وأنشدوا:

إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ   مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ[1]

الثالث: مستعين غير معين، فهذا لئيم الطباع، معد في الأوضاع ليس للإخوان فيه راحة، ولا منه استراحة، ولله در القائل:

[لاتُوَاخِي][2] الدَّهْرَ جِنْسًا وَاضِعًا   مَن هو في الشر قليل المنفعةْ[3]
مَا يَنَلْ مِنْكَ يَرَاهُ مَغْنَمًا   وَيَرَى عَرَفاً به أَنْ يَمْنَعَهْ
يَسْأَلُ النَّاسَ وَلاَ [يُعْطِيهِمْ][4]   ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ مَا أَوْضَعَهْ

الرابع: معين غير مستعين، فهذا كريم الطبع، جميل الصنع، جليل الوضع، عظيم النفع، لأنه يرضي سائله ويمنع سؤاله، وأنشدوا:

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ الْكَرِيمِ شَرِيفَةً
وَإِنْ كَانَ ذَا قَدْرٍ فَلَيْسَ لَهُ شَرَفُ[5]

التقرب للناس مجلبة لقرين السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط، فخير الأمور واحمدها في العواقب كل عدل متوسط، فالانقباض موجب للعداوة والقطيعة، والانبساط مؤذن بالخطة الوضيعة، والعدل تقل به أعداؤك، وتنتخب به أصدقاؤك، وانشدوا:

دَنَوْتُ تَوَاضُعًا وَعَلَوْتُ رِفْعاً   فَشَأْنَاكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعُ[6]

(1) من البسيط والبيت للمتنبي. ديوان المتنبي شرح العبكري تحقيق ابراهيم الاباري وآخرون دار المعارف ج 3 ص 287.
(2) ط س [تواخى] م د [توآخ]
(3) من المرسل
(4) م [يعضهم] ط س د [يعطيهم] وثكلته امه دعاء عليه بالهلاك . المعجم الوسيط ج 1 ص 98.
(5) من الطويل
(6) من الوافر.

كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى ... وَيَدْنُو الضَّوْءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

أثقل الناس حملا من يحمل آمال المؤملين، وأعظمهم حمدا من تلطف بسؤال السائلين، قال محمد بن المنكدر[1]: لم يبق من لذة الدنيا سوى قضاء حوائج [المسلمين][2] الإخوان، وقال جعفر بن محمد ابن محمد[3]: أني لأسارع إلى قضاء حوائج أعدائي، مخافة أن ادرهم فيستغنوا بذلك عني، ولله در القائل:

لاَ تَدْخُلَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سَائِلٍ ... فَخِيَارُ دَهْرِكَ أَنْ تُرَى مَسْؤُولاَ[4]

لاَ تَخْمَشَنَّ بِالرَّدِ وَجْهَ مُؤَمِّلٍ ... فَبَقَاءُ عِزِّكَ أَنْ تَرَى مَأْمُولاَ

أولى الناس بالمكافأة من أخدمك عرضه فبذله عليك، بتواضع لديك، وعقله فاستخدمه في رجائك، ولسانه فنشر به محاسن آلائك، ولكن مهما عز المطلوب قصرت همة الطالب، ولما عظم مهر الحسناء قل الخاطب، ولله در القائل:

وَأَحْسِنْ إِلَى الإِخْوَانِ تَمْلِكْ رِقَابُهُمْ ... فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الْكَرِيمِ اكْتِسَابُهَا[5]

(1) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن الهدير التيمي ابو عبد الله. ويقال: ابو بكر. روى عن أبيه وعمه، وأبي هريرة وعائشة، وروى عنه ابناء يوسف والمنكدر. كما روى عنه زيد بن الأسلم وعمر بن ديمار وغيرهم. وثقه النيسائي وذكره ابن حبان في الثقات، وكان احد الائمة الأعلام. ومن سادات القراء مات سنة 130 هـ 747 م. راجع:

- العجلي: تاريخ الثقات، م.س.، ص: 414.
- ابو النعم: حلية الاولياء، م.س، ج 3، ص: 146.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م.س، ج 1، ص: 311.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج 9، ص:473.
- ابن القيصراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م.س، ج2 ص:449.

(2) سقط من م.

(3) راجع إحالة رقم 157

(4) من الكامل.

(5) من الطويل: ورد البيتان في ديوان الشافعي على الشكل التالي:

وادي زكاة الجاه، واعلم بأنها ... كمثل زكاة المال تم نصابها

واحسن إلى الأحرار تملك رقابهم ... فخير تجارات الكرام اكتسابها

وَأَدِّ زَكَاةَ الْجَاهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ لِي احْتِسَابُهَا

نعم الجاهل كرياض المزابل، ولكن لها سحر كسحر بابل[1]، فالتنزه عنها من أفضل الفضائل، وأجمل الشمائل. قيل للجنيد[2] ما بال الفقراء محرومون من مال الأغنياء، «قال سمعت محمدا القصاب[3] يقول وقد سئل عن ذلك حرموا لثلاث خصال: إحداها أن الله تعالى لم يرض ما لهؤلاء.

= راجع: الشافعي الديوان. تحقيق الزجي، دار الجيل، ص: 21.

(1) عن مدينة بابل وما عرف بها من سحر انظر:
- ابو عبيد البكري معجم ما استعجم من اسماء البلاد والموضع تحقيق عبد الله السقا، عالم الكتب بيروت، ج 1، ص: 218.
- ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار صادر ج 1، ص: 309.
- عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ص: 73.

(2) هو ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز ولد حوالي 215 هـ 830 م في بغداد. اصله من نهاوند تتلمذ، على كبار الشيوخ مثل سري السقطي والمحاسبي وابي جعفر محمد بن علي القصاب وابي زيد البسطامي، ودرس اصول الفقه على ابي ثور إبراهيم بن خالد تلميذ الشافعي ولقب الجنيد «بسيد الطائفة وجمع بين التصوف وعلم الكلام، وحسب ما ذكره سوزكين، فإن عدد العناوين التي خلفها الجنيد تصل إلى أكثر من الثلاثة والعشرين عنوانا منها: قصيدة صوفية - السر في انفاس الصوفية
- دواء الارواح - رسالة إلى بعض إخوانه
- رسالة إلى يحيى بن معاذ الرازي - كتاب الفناء وغيرها.
وتوفي الجنيد ببغداد سنة 298 هـ 910 م. راجع:
- ابن النديم: الفهرست، م.س، ص: 264. - السلمي: الطبقات الصوفية، م.س ص: 155.
- القشري: الرسالة القشرية، م.س، ص: 116. - ابو النعيم: حلية الاولياء م.س، ج 10، ص: 25..
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م.س، ج 7، ص: 241. - ابن خلكان: ونيات الاعيان، م.س، ج1، ص: 373.
- ابن الكثير: البداية والنهاية، م.س، ج 11، ص: 113. -
- الشعراني: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج 1، ص: 84.
- سزكي: تاريخ التراث العربي، م.س، ج 2، ص: 454.

(3) هو محمد بن علي ابو القصاب الصوفي البغدادي استاذ الجنيد، قال الخطيب البغدادي في تاريخ الصوفية ان القصاب كان ايضا شيخا لابي الحسن النوري. وتوفي سنة 275 هـ 888 م. راجع:
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م.س، ج 3، ص: 62.
- السلمي: الطبقات الصوفية، م.س، ص: 155، 164، 195.
- سوزكي: تاريخ التراث العربي، م.س، ج 2، ص: 452.

الثانية: أنه تعالى لم يرض أن يضع حسنات هؤلاء في صحف هؤلاء الثالثة أنهم قوم واقفون في غالب أحوالهم مع الحق يمنعهم عن كل ما سواه وأفردهم له»[1]، وقال معاوية بن أبي سفيان: أربعة متى كملت لامرئ كملت له العافية: بيت يأويه، وعيش يكفيه، وزوجة ترضيه، ونحن لا نعرفه فنؤذيه، وقال زياد[2]: أغبط الناس عيشا من له دار يسكنها، وزوجة صالحة يأوي إليها، في كفاف من عيش، لا يعرفنا و لا نعرفه، فان عرفنا وعرفناه، أفسدنا عليه آخرته و دنياه[3]. ولما خالط الزهري[4] السلطان كتب إليه أبو حازم[5] : عافانا الله و إياك من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعوا الله لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا أثقلتك نعم الله بما فهمك منه كتابه وعلمك

(1) في تاريخ بغداد ورد هذا القول بالصيغة التالية: (وسئل ما بال اصحابك محرومين من الناس قال لثلاث خصال إحداها ان الله لا يرضى لهم ما في أيديهم ولو رضي مالهم لترك ما لانفسهم عليهم، والثانية ان الله تعالى لا يرضى أن يجعل حسناتهم في صفائحهم ولو رضي لخلطهم بهم والثالثة انهم قوم لم يسيروا إلا إلى الله تعالى فمنعهم كل شيء سواه وافردهم به) راجع:
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م.س، ج 3، ص: 62.

(2) زياد بن ابيه والي معاوية على البصرة وسائر العراق، وتوفي سنة 53 هـ 673م.
– الزركلي: الاعلام، ج 3، ص: 89.

(3) ورد هذا اقول في العقد الفريد على الشكل التالي: "أغبط الناس عيشا رجل له دار يجري عليه كراؤها. وزوجة قد وافقته، في كفاف من عيشه، لا يعرفنا ولا نعرفه. فان عرفنا وعرفناه افسدنا عليه آخرته و دنياه راجع:
– ابن عبد ربه: العقد الفريد، م. س. ج 1. ص 83.

(4) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهري الفقيه، ابو بكر الحافظ، أحد الائمة الاعلام. و عالم الحجاز والشام. روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن جعفر، وربيعة بن عباد وغيرهم وروى عنه عطاء بن رباح وعمر بن عبد العزيز وعمر بن دينار وصالح بن كيسان، وكان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، مات سنة 124هـ 741م. راجع:
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م، س، ج 3، ص: 229 - الزركلي: الاعلام. ج 3، ص: 86.

(5) هو ابو حازم سلامة، ابن دينار المخزومي اصله من فارس، كان من مشاهير الزهاد في صدر الإسلام. وتولى منصب القضاء في المدينة وهو من الرواة الثقات، روى عنه الزهري، ومالك وسفيان الثوري، مات سنة 140هـ 757م. راجع:
– ابو النعيم: حلية الاولياء م. س. ج 3، ص: 445.
– الخزرجي: خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال، م، س، ص 306.
– الزركلي: الاعلام. ج 3، ص 171.

من سنة نبيه عليه السلام، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[1]. واعلم ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت، أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي يدنوك ممن لا يؤدي حقا ولم يترك باطلا، قد اتخذوك حين قربوك قطبا تدور عليه رحى باطلهم. وجسرا يعبرون عليه إلى بلائهم، وسلما يصعدون بك إلى ضلالهم فيدخلون بك الشك على العلماء، فيقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمر والك، في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوَاتِ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾[2] وإنما تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم شديد، وهيئ زادك فقد حضرك سفر بعيد، ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾. والسلام، قال أعربي لابنه وهو يعظه: يا بني قد أسمعك الداعي، وأعذر إليك الناصح، وانتهى الأمر فيك إلى حده والسلام:[3] [4]

زِيَـادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْـيَاهُ نُقْصَانُ ... وَرِبْحُهُ غَيْرُ مَحْضِ الحَقِّ خُسْرَانُ[3]

وَكُـلُّ وُجْـدَانِ حَقٍّ لا ثَبَاتَ لَهُ ... فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فُقْدَانُ

وَيَا عَامِرًا لِخَرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا ... بِـاللهِ مَا لِخَـرَابِ الـدَّهْرِ عُمْرَانُ

وَيَا حَرِيصًا عَلَى الأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا ... أَنَسِيْتَ أَنَّ سُرُورَ الدَّهْرِ أَحزانُ

زُمَّ[4] الفُؤَادَ عَنْ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... فَصَفْوهَا كَدَرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ

وَأَوْعِ سَمْعَكَ أَمْثَالاً أُفَصِّلُهَا ... كَمَا يُفَصَّلُ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ

---

(1) سورة آل عمران187

(2) مريم 59

(3) من البسيط، والقصيدة لأبي الفتح علي بن محمد البستي، مات 400هـ مخ خ. ع 1209D

(4) زم: زم الشيء يزم شده. لسان العرب م س ج 12 272.

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمْ ... فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي ... عُرُوضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ

وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَانًا لِذِي أَمَلٍ ... يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الحُرَّ مِعْوَانُ

وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ الدِّينِ مُعْتَصِمًا ... فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

مَنْ يَتَّقِ [يحمدن] اللهَ يَحْمَدْنَ عَوَاقِبَهُ ... وَيَكْفِيهِ شَرَّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ [هَانُوا][1]

مَنِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللهِ فِي طَلَبٍ ... فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخُذْلَانُ

مَنْ جَادَ بِالمَالِ مَالَ النَّاسُ قَاطِبَةً ... إِلَيْهِ فَالمَالُ لِلإِنْسَانِ فَتَّانُ

مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَّاعًا فَلَيْسَ لَهُ ... عَلَى الحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ

مَنْ سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ... وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ العَيْنِ جَذْلَانُ[2]

مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا ... وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحِرْصِ سُلْطَانُ

مَنْ مَدَّ طَرْفًا بِفَرْطِ الجَهْلِ نَحْوَ هَوًى ... أَغْضَى عَلَى الحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ

مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لَا فِي مِنْهُمُ تَعَبًا ... لِأَنَّ سُوسَهُمُ بَغْيٌ وَعُدْوَانُ

وَمَنْ يُفَتِّشْ عَنِ الإِخْوَانِ يَقْلُهُمُ ... [فَجُلُّ][3] إِخْوَانِ هَذَا الدَّهْرِ خَوَّانُ

مَنِ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ ... عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ

مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ

مَنِ اسْتَنَامَ إِلَى الأَشْرَارِ نَامَ وَفِي ... قَمِيصِهِ مِنْهُمُ[4] صِلٌّ وَثُعْبَانُ

كُنْ دَائِمَ البِشْرِ إِنَّ الحُرَّ صَفْحَتُهُ ... صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا البِشْرُ عُنْوَانُ

وَرَافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ ... يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إِنْسَانُ

وَلَا يَغُرَّنْكَ حَظٌّ جَرَّهُ خُرُقٌ ... فَالخُرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ المَرْءِ بُنْيَانُ

لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَّاءً بِهِ بَدِلًا ... فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ[5] سَرْحَانُ

---

(1) ط. س. م. [يكل] ط. س [فجل].

(2) جذلان: فهو جذل فرح

– ابن منظور: لسان العرب م س ج 12، 107

(3) د.م [بكل] ط س [فجل]

(4) الصل: الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها

– ابن منظور: لسان العرب م س

(5) الدو: أرض مسيرة أربع ليالي خاوية يسار فيها بالنجوم ويخاف فيها الضلال.

– بن منظور: لسان العرب م س ج

لاَ تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ ... غَرَائِزٌ لَسْتَ تُحْصِيهَا وَأَكْوَانُ

مَا كُلُّ مَا سَائِغٌ عَذْبٌ لِشَارِبِهِ ... نَعَمْ وَلاَ كُلُّ نَبْتٍ فَهْوَ سَعْدَانُ

لاَ تَخْدَشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِيَّةٍ ... فَالْبِرُّ يَخْدَشُهُ مَطْلٌ[1] وَلَيَّانُ

لاَ تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ[2]

يَا رَافِلاً فِي شَبَابِ الْوَجْهِ مُنْتَشِيًا ... مِنْ كَاسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ

لاَ تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ ذَارِفٍ خَضِلٍ[3] ... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ

وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ ... يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ

هَبِ الشَّبِيبَةَ تُبْدِي عذر صَاحِبِهَا ... مَا عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شُبَّانُ

لاَ تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظٍ ... قَدِ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارٌ وَإِعْلاَنُ

فَلِلتَّدَابِيرِ فُرْسَانٌ إِذَا رَكَضُوا ... فِيهَا أَبَرُّوا كَمَا لِلْحُرُوبِ فُرْسَانُ

وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ ... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ

وَلاَ تَكُنْ عَاجِلاً فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ ... فَلَيْسَ يَحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ[4]

صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لاَ تَهْتِكْ غَلاَئِلَهُ ... فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ

لاَ تَسْأَلَنَّ لَئِيمًا حَاجَةً أَبَدًا ... لَوْ نَالَ مَنَالَهُ فِي الْمُلْكِ نُعْمَانُ

دَعْ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا ... فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلاَنُ

أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِحْسَانٌ وَمَقْدُرَةٌ ... فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِمْكَانُ

وَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ نَاعِمَةً ... وَالْحُرُّ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ

---

(1) مطل : مطل الحبل مده . و الحديد طرقه ليطول. المعجم الوسيط م س .ج 2 ، 882

(2) هذا الشطر من هذا البيت هو لابي البقال الرندي من قصيدته الشهيرة في رثاء الاندلس يندب فيها ما قطعه من البلاد فردناند الثالث الملك الإسباني (1199 1252م) و مطلعها :

«لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الامور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته ازمان »

راجع : Angel Gonzaliz Palencia : تاريخ الفكر الاندلسي، تعريب حسين مؤنس القاهرة ط1 .ص31 .

(3) خضل: كل شيء ند يترشش من نداه فهو خضل لسان العرب م س ج 1 ، 208

(4) بحران: التغير الذي يحدث للعليل فجاة في الامراض الحمية الحادة. المعجم المتوسط ج 40.

فَـإِنْ لَقَيْتَ عَـدُوًّا فَـالْقَهُ أَبَداً … وَالْـوَجْهُ بِالْبِرِّ وَالإِشْـرَافُ غَضَّانُ

لاَ ظِلَّ لِلْمَرْءِ أَرْجَى مِنْ تُقًى وَنُهًى … وَاظَـلَـتْهُ أَوْرَاقٌ وَأَغْـصَانُ

وَالنَّـاسُ أَعْـوَانُ مَنْ وَاتَـتْـهُ دَوْلَـتُـهُ … وَهُـمْ عَـلَـيْهِ إِذَا خَـانَتْهُ أَعْـوَانُ

كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ … وَفِـيـهِ لِلْمَـرْءِ قِنْوَانٌ[1] وَعِـينَانُ

وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ … وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ

سُحْبَانُ[2] مِنْ غَيْرِ مَالٍ بَاقِلٌ حَصَرًا … وَبَاقِلٌ[3] فِي ثَـرَاءِ الْمَـالِ سُحْبَانُ

يَـا ظَـالِماً فَـرِحاً بِالْعِـزِّ سَـاعَدَهُ … إِنْ كُنْتَ فِي سَنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ

مَا اسْتَمْرَ الظُّلْمُ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلَهُ … وَهَـلْ يَلِذُّ مَـذَاقُ الْمَرْءِ خُطْبَانُ[4]

يَـا أَيُّـهَا الْعَـالِمُ الْمَرْضِي سِيرَتُهُ … أَبْشِـرْ فَـأَنْتَ بِغَـيْرِ الْمَـاءِ رَيَّـانُ

وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لَجَجٍ … فَـأَنْـتَ مَا بَيْنَهَا لاَ شَـكَّ ظَمْآنُ

حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلاًّ يُعَاشِرُهُ … إِذَا تَحَـامَاهُ إِخْـوَانٌ وَخِـلاَّنُ

هُمَا رَضِيعاَ لِبَانٍ حِكْمَةٌ وَتُقًى … وَسَـاكِناً وَطَـنٍ مَـالٌ وَطُـغْيَانُ

إِذَا نَبَـا بِكَـرِيمٍ مَـوْطِنٌ فَلَهُ … وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الأَرْضِ أَوْطَـانُ

كُـلُّ الـذُّنُـوبِ فَـإِنَّ اللهَ يَغْفِرُهَا … إِنْ شَـيَّعَ الْمَـرْءَ إِخْـلاَصٌ وَإِيقَـانُ

وَكُـلُّ كَسْـرٍ فَـإِنَّ اللهَ يُجْـبِرُهُ … وَمَـا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

خُـذْهَا سَـرَائِرَ أَمْثَـالاً مُفَصَّلَةً … فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التِّبْيَانَ تِبْيَانُ

مَا ضَرَّ حَسَّانَهَا وَالطَّبْعُ صَانِعُهَا … إِنْ لَمْ يَصُغْهَا قَرِيعُ الشِّعْرِ حَسَّانُ[5]

---

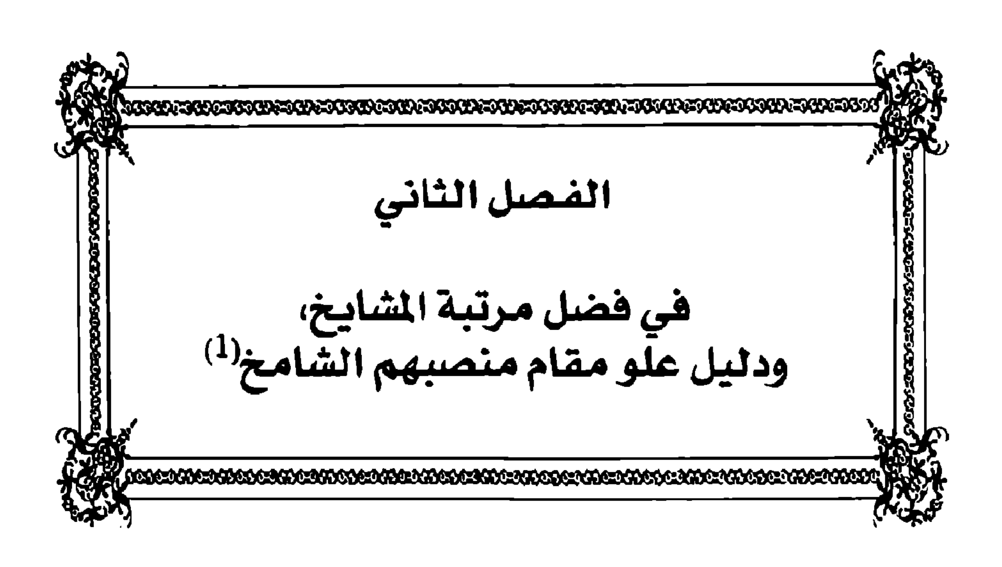
(1) قنوان: مفرد « القنو: العذق بما فيه الرطب وهو من التمر ». وفي التنزيل: ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾ الأنعام 99، المعجم الوسيط ج 2، 770.

(2) سحبان: لعله سحبان وائل (م 674) خطيب فصيح ضرب به المثل تكلم أمام معاوية ساعات فقال أنت اخطب العرب: فقال سحبان، والعجم والجن والإنس، المنجد في اللغة والإعلام، بيروت، 1976 ص، 35.

(3) باقل: هو باقل الايادي جاهلي ضرب به المثل في العي والبلاهة، المنجد، م س 113.

(4) الخطبان: نبتة في اخر الحشيش لسان العرب ح س ج 362.

(5) حسان بن ثابت: شاعر الرسول المشهور، الصحابي الجليل واحد المخضرمين، ادرك الجاهلية والإسلام. راجع: الزركلي: الإعلام، ج 2، ص: 188.



الفصل الثاني

في فضل مرتبة المشايخ، ودليل علو مقام منصبهم الشامخ[1]

(1) المقام : معنى مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من المجاهدات والرياضيات والعبادات.
– الشاقاني : اصطلاحات الصوفية م س 77– 78. – عبد المنعم الحفني مصطلحات الصوفية م س 248.

نفعنا الله وجميع المسلمين بنا نعتقده من بركاتهم، ورزقنا في الدنيا والآخرة، ما نرجو من السعادة بصالح دعواتهم، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1] قد اجتمعت الأمة في تفسير هذه الآية، على أن الدنيا لا تخلو في وقت من الأوقات من دعاة، يدعون الناس إلى الهداية، واتباع طريق الحق والاستقامة، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[2] ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3] ففي هذه الآية، دليل على أن الرجل الصالح، إذا دعا الناس إلى اتباع الحق، وعبادة الله تعالى، كان أفضل ممن اعتزل، عن الناس واستغرق أوقاته بصالح الأعمال، فالأولى صفة من صفة المشايخ ولا شك أنهم أفضل الناس، بعد النبيين والصحابة المرضيين، بدعوتهم لطريق الحق، ونصحهم لكافة الخلق، وفي الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن[4] عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: **«من دعا إلى هذا الأمر كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»**[5] وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لئن شئتم، لأقسمت لكم أن أحب عباد الله، إلى الله، الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببون عباد الله إلى الله،**

---

(1) سورة الأعراف ، 181.

(2) سورة فصلت 33.

(3) سقط من ط س .

(4) انظر ترجمته في رقم *** الفصل الأول.

(5) ورد هذا الحديث بكامله عند ابي داوود مع تثبيت كلمة «هدى» مكان عبارة «هذا الأمر» الواردة في النص: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام، من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» راجع:

- ابو داود: سنن أبي داود كتاب السنة باب لزوم السنة، م.س، ج 4، ص :301.

ويمشون في الأرض بالنصيحة»[1]، وقال ﷺ: **«ألا أنبئكم بالفقيه، كل كل الفقيه، قالوا بلى يا رسول الله، قال من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولا يدع القرآن رغبة إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، وعلم ليس فيه تفهم، وقراءة ليس فيها تدبر»**[2]، فهذه كلها صفة موجودة في المشايخ، وفضيلة عامة في الكاهل منهم والشارخ، فمرتبتهم بهذه الأدلة أعلى المراتب. ومنصبهم في الشريعة أعلى المناصب، فهم بعد الأنبياء والرسل حجة على العباد، ورحمة منه تعالى، قد تفضل بها على جميع البلاد، قد خصهم بالاهتداء، وأخلصهم للاقتداء، فهم أولو الوقار، ومعدن الأسرار، قد حلوا بحلية اليقين، وجعلوا أئمة للمتقين، فمتى ظهروا [من أحد على قبيح][3] صدوه، وإن عاينوه على جميل أمدوه، من غير أن يلتمسوا على إرشادهم غرضا، ولا يعتاضوا منه عوضا، سوى ثواب مولاهم، فما أجدرهم باستحقاقه وما أولاهم. قال الأزهر بن عبد الله[4]: سمعت عبد الله بن بشر[5] صاحب رسول الله ﷺ يقول: **«متى اجتمع عشرون رجلا أو أكثر، ولم يكن فيهم من يهاب لله، فقد حضر**

---

(1) راجع علاء الدين: كنز العمال، م.س ج 1، ص: 148- 149.

(2) ورد هذا الحديث في كنز العمال : على الشكل التالي:
«الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤيسهم من روح الله ولا يؤمنهم مكر الله ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه الا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا علم ليس فيه تفهم، ولا في علم ليس فيه تدبر. راجع: علاء الدين: كنز العمال م س ج 10 حديث رقم : 28943.

(3) س [على قبيح من احد] ط د م [من احد على قبيح]

(4) هو الأزهر بن عبد الله الحرازي الحمصي. روى عن تميم الداري. وعبد الله بن بشر، وروى عنه صفوان بن عمر والخليل بن مرة. قال عنه الذهبي «تابعي حسن الحديث» راجع:
- الذهبي: ميزان الاعتدال، م س ج 1 ص 173.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 1 ص 204.

(5) هو عبد الله بن بشر، ذكره، ابن حجر في الإصابة وقال: «ذكره البغوي في معجم الصحابة وقال البغوي لا احسب له صحبة» راجع:
- ابن حجر : الإصابة م س ج 3 ص283.

الأمر »[1] فالشيخ الذي تقتبس من نوره الأحوال السنية، ويرتقي بمتابعة في درج المعالي السامية، هو الذي كانت بدايته مجاهدة، ومعاملته مكابدة، مقيدا في طريق الشريعة بقيد الإخلاص، مطلقا في نهاية على بساط الاختصاص، قد برز من طريق المكابدة إلى فضاء المشاهدة، ورقى فاعتلق ظاهرا وباطنا بلذيذ المجاهدة، إذا سجد سجد سواده وخياله، وإذا ركع خضع قلبه وقالبه وظلاله، يتلذذ في عبادته بما ضعفت عن حمله، السموات والأرض والجبال لغوبا[2]، وهو في حمل ذلك لما رزق من الامداد والإعانة فرحا طروبا، قد انشرح بذلك صدره لانجلاء مرآة قلبه، وزال عن السمع، وقره لحلاوة مناجاة ربه، قد عاين فيض بصيرته النورانية، امتزاج القدرة بالحكمة، والحكمة بالقدرة والآخرة بالدنيا، والدنيا بالآخرة. فلو كشف الغطاء لم يزدد يقينا، ولو رفع الحجاب ما ازداد بذلك التعيين تعيينا، نظره دواء، وكلامه شفاء، وصحبته إفادة، وخدمته عبادة، وقربه سعادة، فمتى من الله على المريد الصادق، بمثل هذا الطبيب الحاذق يرجى به الارتقاء، في درج الاهتداء إلى أن يصير إماما للإقتداء، فإن لكل طالب أو مريد[3]، [يلقى] كل صادق [مريد][4]، تسمع يا من ظن أنه لهم رفيقا ولا يعلم لهم طريقا، لو كنت عند سماعك أخباركم، أو وقوفك على ما روته أحبارهم، تابعا في السلوك آثارهم، لمنحوك وصلهم وإيثاهم، ولكنك تدرس أقوالهم. ومالك قدم. وتدوس أفعالهم وما آن لك ندم، وانشدوا:

تَهْوَى الصَّلاَحَ وَلاَ عِلْمٌ وَلاَ عَمَلٌ
شَيْءٌ لَعُمْرِكَ يَا بَطَلُ مَفْقُودُ[5]

---

(1) لم اعثر على مصدر هذا الحديث.

(2) لغب: لغب فلان لغبا ولغوبا تعب واعيا. المعجم الوسيط م س ج2 ص836.

(3) م د [بلقى] س ط [يلقى].

(4) م [مزيدا] ط س د [مريد].

(5) من البسيط.

غرنا والله ترادف النعم، وقد تمطر السباخ[1]، لقد ابتليت الهمم الفاضلة، بالتأني بعشق الفضائل، فهي عليها مقبلة، وهممنا لخساسة طبعها ودناءة وضعها قنعت بخضرة على مزبلة، وانشدوا:

وَسَائِلٍ عَنهُمْ مَاذَا يَقَدَّمُهُمْ ... قُلْتُ فَضْلٌ [بِهِمْ][2] عَنْ غَيْرِهِمْ بَانُوا[3]

صَانُوا النُّفُوسَ عَنِ الْفَحْشَاءِ فَابْتَذَلُوا ... مِنْهُنَّ فِي طَرُقِ الْعَلْيَاءَ مَا صَانُوا

الْمُنعَمُونَ وَمَا مَنُّوا عَلَى أَحَدٍ يَوْمًا ... بِنِعْمَي وَلَوْ مَنُّوا لَمَا مَانُوا[4]

قَومٌ يُغِيرُونَ إِنْ كَانَتْ مُغَالَبَةٌ ... حَتَّى إِذَا قَدَرَتْ أَيْدِيهِمْ هَانُوا

---

(1) السباخ: ارض سبخة ارض ذات ملح. ويقال سبخ الله عنه الحصى اي خففها والسبخ الفراغ والنوم قال تعالى: ﴿ لك في النهار سبحا طويلا ﴾ اي فراغا. المزمل: 7. مختار الصحاح م س 282.

(2) ط د م [به] س [بهم].

(3) من البسيط.

(4) مان: مانه يمونه مونا، إذا احتمل مؤونته وقام بكفايته، ومان الرجل اهله كفاهم، وانفق عليهم. ابن منظور: لسان العرب، ج13 ص 425.

١

الفصل الثالث

فيما وجب استعماله لكل مريد[1] صادق في بدايته، وما يعتمد عليه من تعرض لتربية المريد وهدايته

(1) حول شرح كل المصطلحات الصوفية الواردة في النص مثل الكرامة المكاشفة... يستحسن الرجوع كذلك إلى كتاب:
Louis Massignon : Essai sur les origines du lexique de la mystique musulmane, Paris 1954.

فنقول وبالله التوفيق: من أهم الآداب، لمن قصد الإخلاص في أعماله، وأعظم الأسباب لمن يرتجي التخليص من عيوب أفعاله، وأجل ما يرجى به [الانتفاع][1] من محمود السيرة، وأفضل ما يتقرب به الله [تعالى][2] في الإعلان والسريرة، أن لا يتعرض متعرض، للتقدم على قوم باستجلاب بواطنهم بالإحسان والرفق، ويستدعي بقضاء حوائجهم، برورهم وتعظيمهم بغير الصدق رغبة [منه][3] في كثرة الاتباع [أو قصد الانتفاع][4] منهم. ولو باقل الانتفاع. إذ هي طريقة مخصوصة بالأوضاع [ومن][5] رضيت نفسه الخسيسة [بالدناءة][6] والإيضاع، قال أبو حامد[7] [رضي الله عنه][8]: من كثر طمعه، وحرصه، كثرت حاجاته واشتد افتقاره،

(1) م. [انتفاعه] ط س د [الانتفاع]
(2) سقط من د.م.
(3) سقط من م.
(4) دم [قصد الانتفاع] ط س [قصدا للانتفاع].
(5) د م [من] ط س [بمن].
(6) م [الدناءة] ط س د [الدناءة.
(7) هو الإمام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي الشهير بحجة الإسلام، ولد سنة 450هـ 1058م، بمدينة طوس في خراسان، اخذ الفقه عن احمد بن محمد الراذكابي بطوس، وانتقل إلى جورجان ونيسابور حيث درس علوم الفقه، والاصول والمنطق والكلام، على بعض العلماء خاصة إمام الحرمين ابي المعالي عبد المالك الجيوني، وفي سنة 478هـ 1085م، لقي الوزير السلجوقي نظام الملك، فعينه استاذا بالمدرسة النظامية، غير انه اعتزل التدريس سنة 488هـ 1095م، ثم خرج من بغداد لزيارة مدن دمشق والقدس والقاهرة ومكة والمدينة. وعاد إلى طوس ليتفرغ للذكر والعبادة ومات سنة 505هـ 1111م، مخلفا تراثا علميا ضخما، يتجلى في العديد من الكتب التي طبع منها: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، المنقذ من الضلال، مقاصد الفلاسفة، الوسيط البسيط، الخلاصة، وغيرها. وقد صنف عبد الرحمن بدوي كتابا ذكر فيه كل الكتب التي الفها الإمام الغزالي: ونشرته دار المعرفة بمصر راجع:
- ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج 4 ص 216.
- تقي الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى م س ج 4 ص 101.
- ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 10 ص 10.
- ابن قنفذ : كتاب الوفيات م س ص 266.
(8) سقط من د.

إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق، من ضرورة المداهنة. وفي ذلك هلاك دينه. وقد قال عليه السلام: «**عز المؤمن في استغنائه عن الناس**»[1]، فالنفس غالبا مجبولة، على طلب الحظوظ الخسيسة، من قبول الخلق عليها، وميل القلوب إليها، وطبع البشر غالبا لا يستغني عن السياسة، ولا سيما [الراغب][2] في الخير، محتاط لدينه بالحفظ والحراسة، فكم من مغرور أظهره زمانه، وقاصر قد أبرزه أوانه، قنع في بدايته باخس المناصب، ورضي في نهايته بأبخس المراتب، فرضي بزعمه في هدايته طريق الممازحة والمخالطة، ورضي في نهايته في غالب أحواله، بكثرة الضحك والمباسطة والمغالطة، وقد صير مناخه ماوى البطالين، ونفسه وعائلته خدما للسيارة والسوالين، قد رضوا منه بلقمة تؤكل عنده، أو رفق يرتجى منه رفده، يقصده من لا رغبة له في الدين، ولا اعتقده على يقين، ويتعاهده من لا نية له في سلوك طريق المتقين، لعلمهم أن خطته القصور، وطريقته الكسل والفتور ومن حديث عبد الله بن عمر قال: قال سول الله ﷺ: «**ليصحبن [الرجل][3] أقوام فيقولون أنا لنعلم أنه كذاب ولكنا صحبناه لنأكل من الطعام ونرعى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل فيهم كلهم**»[4].

ومن حديث الحسن قال: «**قال رسول الله ﷺ[5] لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمالي قراؤها أمراءها، وما لم يزك صلحاؤها فجاراها، وما لم يمالي خيارها، أشرارها. فإذا فعلوا ذلك رفع يده عنهم، ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب،**

---

(1) السخاوي: المقاصد الحسنية م س ص455.

(2) ط [الراغب] م [الراغب] س [والراغب]

(3) ط [الرجل] د.م [الرجل] س [الرجال].

(4) علاء الدين: كنز العمال م س رقم الحديث 38807، ج 11.

(5) سقط من س.

وضربهم بالفاقة والفقر وملأوا قلوبهم رعبا »[1]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « من سوده قومه على فقه، كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه، كان هلاكا له ولهم»، وفيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « لا تجعل بيني وبينك، عالما مفتونا بالدنيا، فيصدك عن طريق محجتي، فإن أولئك قطاع طريق، عبادي المريدين أن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة المناجاة من قلوبهم ». وقال مالك بن دينار[2]: « لقد اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمن بعضنا بعضا ولا يدعنا لله تعالى على ذلك، فليت شعري أي عذاب الله تعالى ينزل بنا »[3] وأعظم القربة مما هو فيه كثرة دعاويه، وجفوة ناصحة، أو قاصد تداويه مع قلة تربيته، وشدة تعانيه، لا معرفة له بصفات النفس وعيوبها، ولا يأتي بيوت الدين من أبوابها، وفي الحديث : « أهلك أمتي رجلان : عالم فاجر، وعامل جاهل »[4]، وقال ابن المبارك[5] تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وفي مثله قيل:

---

(1) لم أقف على مصدر هذا الحديث.

(2) راجع إحالة رقم *** من الفصل الاول.

(3) ورد هذا القول عند أبي النعيم في حلية الاولياء في صيغة مشابهة. « اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يزرنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل؟ راجع:
- ابو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 2 ص 363.

(4) ورد نص هذا الحديث كاملا عند الشوكاني في الفوائد المجموعة، في الأحاديث الموضوعة، ص 288.
« هلاك أمتي: عالم فاجر، وعابد جاهل، وشرار الشرار شرار العلماء... وخير الخيار خيار العلماء».

(5) هو عبد الله بن مبارك بن واضح الحنظلي. كنيته أبو عبد الرحمن. ولد سنة 118 هـ 736م. روى عن معمر بن راشد ويونس بن يزيد. وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن ابراهيم. قال عنه العجلي (رجل صالح، كان جماعا للعلم) له كتاب الزهد وكتاب الرقائق. تم طبعهما في عدة طباعات توفي سنة 181هـ 797م، راجع:
- العجلي : تاريخ الثقات م س ص 275.
- ابن القيسراني: كتاب الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 7 ص 259.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، مصدر سابق، ج 1 ص 201.

حُـبُّ الرِّيَاسَـةِ دَاءٌ يُخْـلِقُ الدُّنْيَا
وَيَجْعَـلُ الْحُبَّ بُغْضاً لِلْمُحِبِّينَا[1]

يُلْـقِي الْعَـدَاوَةَ وَالأَرْحَامَ يَقْطَعُهَا
فَلاَ مُرُوءَةَ يُبْقِـى لاَ وَلاَ دِينَا

مَنْ سَادَ بِالْجَهْلِ أَوْ قَبْلَ الرُّسُوخِ فَمَـا
تَلْـقَـاهُ إِلاَّ عَـدُوّاً لِلْمُحِـقِّينَا

يِشْنَأ[2] الْعُلُومَ وَيَقْلِي أَهْلَهَا حَسَداً
ضَاهَي بِذَلِكَ أَعْدَاءَ النَّبِيئِينَا

وفي حديث هشام بن عروة[3] عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص[4] رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من قلوب الرجال. ولكن يقبضه بقبض العلماء. فإذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسألوهم فأفتوهم، بغير علم فضلوا وأضلوا**»[5].

---

(1) من البسيط.

(2) يشنا: يبغض ابن منظور لسان العرب، ج1 ص101.

(3) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو المنذر وقيل ابو عبد الله. روى عن ابيه، وعمه عبد الله الزبير، وروى عنه بقية بن الوليد واحمد بن ايوب المرادي، وكان ثقة إماما في الحديث، مات 145هـ 762م. وقيل 146هـ 763م، 147هـ 764 م راجع:
- العجلي : تاريخ الثقات م س ص 459.
- ابن القيسراني : كتاب التابعين مصدر سابق ج 1 ص 387.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 11 ص 48.

(4) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي، يكنى ابا محمد وقيل أبا عبد الرحمن، اسلم قبل ابيه قال ابن الأثير: «كان فاضلا عالما قرا القرآن والكتب القديمة، واستاذن النبي ﷺ ان يكتب عنه فاذن له». شهد مع ابيه فتح الشام، وكانت معه راية ابيه يوم اليرموك، وشهد معه صفين، وكان على الميمنة، توفي سنة 63هـ 682م. وقيل 65هـ 688م بمصر: راجع:
- ابن الأثير : أسد الغابة م س ج 3 ص 245.
- ابن حجر : الإصابة م س ج ص:

(5) في فتح الباري لشرح البخاري نقرا هذا الحديث بالصيغة التالية: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا

وَالْبَيْتُ لاَ يُبْتَنَى إِلاَّ بِأَعْمِدَةٍ ... وَلاَ عِمَادًا إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ[1]

لاَ يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لاَسَرَاةَ لَهُمْ ... وَلاَ سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

فعليك أيها الراغب، متى أردت السلوك بنية الصدق في طريق الاستقامة، ورغبت أن يهدي الله على يديك، من سبقت له السعادة في الأزل. وفي الخمول السلامة؛ بمطالعة أئمة الطريق مما تنفعك مطالعته: «ومعرفة كل صالح من أهل زمانك ممن يجب عليك اتباعه»[2]. وطاعته، لكي تقتبس من فوائده، وتستمد من سيره وعوائده، ولله در القائل:

فَلَيْسَ ذُو الْعِلْمِ بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِهَا

وَلاَ الْبَصِيرُ كَأَعْمَى مَالَهُ بَصَرُ[3]

فإذا قصدك من أهل الدين طالب، وامك من أهل العبادة راغب، فاقبل عليه إقبال من رغب في الثواب ورجاء في التعليم أجر من أرشد العباد إلى الصواب، متوجها في ذلك متضرعا في قبول توبته، راغبا، راهبا أن يمده تعالى بالإعانة على يديه، والاستقامة في إنابته، ثم تعاهده في أصفى الأوقات، وانهج الملاقات، فتبذل له من النصيحة جهد الاستطاعة وتوضح له من معالم دينه، ومصالح دنياه، ما يكون عونا له على الطاعة، ثم تامره بالمجاهدة في الأعمال الظاهرة، إن كان

= فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، راجع: ابن حجر: فتح الباري لشرح البخاري، كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ج 1 ص 194.

(1) من البسيط: وقد نسبها محمد بن حبان البستي للأفوه الاودي، والبيتان من أصل أربعة ابيات وردت على الترتيب الآتي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتني إلا بأعمدة ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن ادركوا الأمر الذي كادوا

تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولت فبالأشرار تنقاد

راجع: محمد بن حبان البستي: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء م س ص 270.

(2) سقط من م.

(3) من البسيط

لها صالحا، وتسلك به في ذلك من ظاهر الشريعة علما واضحا، وإن كانت صلاحيته ظاهرة، في أعمال الباطن غالبا فاسلك به، منها ما يكون لطبعه جالبا، فتعامله في ذلك بما تحتمله طباعه، وترتبه بها إلى أن يفطم رضاعه، وتتفقد أحواله، في الظاهر والباطن، وتشرح صدرك في التعليم، تواضعا للبليد والفاطن فإذا أظهر من أحواله فتورا، ولمحت منه قصورا، فلا تصرح باسمه في الأدب والتذكير، ولا تنسبه إلى التفريط والتقصير، بل يكون كلامك مجملا، على وجه الإنذار والتذكير، فهو أجمل بك وأبلغ في التنبيه والتحذير، لما في ذلك من التسكين للنفوس الشاردة، والتوطئة للأحوال الواردة. وقد كان شيخنا رحمه الله يفعل ذلك في حق من قصد تاديبه، من الفقراء. وهي طريقة ندب الشرع أن يعامل بها جميع الورى، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ[1] [إِلَى الْمُؤْمِنِينَ]﴾[2]، الضمير في هذه الآية، كلها عائد على كل المؤمنين المخاطبين بهذه الآية، وان كان الذي وقع بسببه المعاتبة مخصوصا ببعضهم لابكلهم، والحكمة في ذلك بان يوعظ الجميع، وزجرا للكل تنبيها لمن لم يفعل، لأنه معد للفعل أن يزجر والستر والإبقاء على من فعل. وهذا كله من حكمة العدل، وصورة الفضل، وتمام النعمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[3] قال عطاء[4]: «معناه قولوا للناس ما تحبون أن يقال لكم»[5]، قال إبن جريج[6] قلت لعطاء: أن مجلسي هذا يحضره البار والفاجر، أتأمرني أن

(1) سورة آل عمران، 152.
(2) «إلى المؤمنين» زائد في ط س م.
(3) سورة البقرة 83.
(4) راجع الإحالة رقم من الفصل الاول.
(5) الطبري : راجع جامع البيان م س ج1 ص 311.
(6) هو عبيد بن جريج التيمي المدني تاريخ وفاته غير مذكور، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات م س ص 320. - الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 1 ص 258.
- الخزرجي: خلاصة تهذيب الكمال م س ، ص 215.

أغلظ فيه القول على الفاجر؟ فقال لا ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وكان ﷺ إذا كره من إنسان شيئا، قال ما بال أقوام يفعلون [كذا وكذا][1] ولا يصرح في ذلك باسم أحد وقد كانت العرب تفعل ذلك قديما قصد [الذريعة][2] حتى نزل القرآن بذلك لفائدة عظيمة في الشريعة إما تعظيما لقدر صاحبه، متى وقع في فعل ما لا يليق بمناصبه كما قال ﷺ: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**»[3] قال عمر بن عثمان المكي[4] لقد وبخ الله تعالى التاركين الصبر، على دينهم بما أخبرنا به، تعريضا عن الكفار. في قوله تعالى: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾[5] ولله در القائل:

آلاَ رب مَنْ أَطْنَبَتْ فِي ذَم غَيْرِهِ لَـدَيْهِ عَلَى فِعْلٍ أَتَاهُ عَلَى عَـمَدِ[6]
لَيَعْلَمَ عِنْدَ الْفِـكْرِ فِي ذَاكَ إِنَّـمَا نَصِيحَتُهُ فِيمَا خَطَبْتُ بِهِ قَصْدِي

وإما احتراسا بذكر اسمه لئلا يبدو منه ما هو أعظم، مما قد نهى عنه. وكل هذا قد نطق به القرآن. وهو من باب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. ولتكن في حالة وعظه محزونا على تقصيره، فهو خير من مقتك له وتحقيره، [فلا] ينبغي لك أن تنظر إليه بعين المقت والاستحقار، وهو ناظر إليك بعين التعظيم والوقار، ومن أهم ما ينبغي لك التنزه عن فضل [أمواله] والترفع عما يرجى من الارتقاء بأعماله حتى يكون قصدك

---

(1) مثل هذه الصيغة في التعبير نجدها عند الترمذي في الجامع الصحيح م س ج 5 ص 99.
(2) م [للزيعة] ط س د [للذريع].
(3) راجع مسند الإمام احمد بن حنبل، دار الفكر ج 6 ص 181.
(4) لعله هو عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب أحد الاعلام في الآداب والنحو ترجم له السيوطي في طبقة المفسرين وقال عنه الداودي في طبقات المفسرين: «شرع في إملاء تفسير لو تم لم يوجد مثله» راجع:
- السيوطي: طبقات المفسرين، مصدر سابق، ج 2 ص 6.
- الداودي: طبقات المفسرين، م س ج ص 76.
(5) سورة ص 5.
(6) من الطويل.

بعيدا عن الهوى، وإرشادك تعاونا على البر والتقوى. فمتى تحقق عند التلميذ أنه مأمون في نفسه وماله، وليس لأستاذه قصد سوى طلب نجاته في مآله، اشتدت في طلب الزيادة رغبته، وتمكن صدقه وزادت محبته، قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾[1] وأقبح القبيح للقدوة في جميع أحواله، أن يزهد التلميذ ثم يرغب في ماله، فيكون في التمثيل كما ذكر وقيل:[2]

تَزهدفِي الدُّنْيَاوَتَرْغَبُ فِي الَّذي ... تَـزهَدُ فِـيه إنَّ ذَا لَعَجيبُ[2]

فَلَوْكُنْتَ إذَازَهَدْتَ فيهَاتَرَكْتَهَا ... لَقَـالَ أُنَـاسٌ إنَّـهُ لَمُصيبُ

وَلَكِنَّـهَا أَوْدَتْ بِلُبِّكَ كُـلُّهُ ... فَمَا لِسوَاهَا فِي هَوَاكَ نَصِيبُ

فَدَعْهَا وَإِلاَّ كُنْتَ أَنْتَ كَمَادحِ ... جَنَامَحَلَّ رَوْضٍ صَاحَ وَهُوَجَديبُ

أَوْ آخَرَ يَرْعَى مَنْزِلاً وَيَذُمُّهُ ... لِيَدْفَعَ عَنْهُ النَّاسَ وَهُوَ خَصِيبُ

ومما ينبغي لك حفظ أسرار المريد. فمتى أطلعك على أسراره، وأفضى بك الصدق بالمكاشفة[3] إلى هتك حجبه وأستاره، فما كان من أنواع الكرامات. فصدقه واستكتمه، ولا تنكر ذلك عليه، ولا تتهمه. بل تعلمه ان الوقوف مع ذلك. وقوف مع هوى النفس، ونظر في الحقيقة إلى موارد الحس، وكلها حجاب للمريد، ومما يسد عليه باب المزيد، وإن كانت نعمة من الله تعالى يجب عليه الشكر، فلا ينبغي أن يتعلق

(1) سورة محمد 36.

(2) من الطويل.

(3) المكاشفة: مكاشفة العيون بالابصار ومكاشفات القلوب بالاتصال. والمكاشفة حضور القلب بنعت البيان وهي عند الصوفية كذلك كشف الحجاب، اي حجاب الظلمة، فهي مكاشفة لا بعين البصر، لكن بعين البصيرة.

- القشيري: الرسالة م س ج 1 245.
- الغزالي: الإحياء م س ج 3 كتاب شرح عجائب القلوب 18.
- عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية م س 249.
- الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية م س 242.

بها الفكر، ومن خلفها نعم لا تحصى، وآلاء جلت عن العد والإحصا، ومطلب المريد المنعم دون النعم، كما أن نظره في الشدة إلى المنتقم دون النقم، وقد قال شيخنا رحمه الله [تعالى][1] لرجل من تلاميذه وقد أعلمه انه يأتيه آت فيندبه إلى زيارة مكة: إذا وصلت إليها، وقال لك ارجع بنا فأكثر من قراءة القرآن وأقم[2] إلى الصباح، فإن أصبحت بها فهي كرامة، وإلا فهي تلاعب من الشيطان. ففعل ذلك فلما قرأ القرآن. ندب منه الرجل الذي كان يأتيه وقال أعلمك بها ذلك الشيخ. فقال الشيخ متى جرى لكم مثل هذا فلا تكتموه عني لئلا يتلاعب الشيطان بكم. فإني ما رأيت مكة حتى أكلت كلاب برقة[3] عصاي. ومما ينبغي لك: أن لا تهمل حقوقهم. ولا تستجلب بالأعراض عنهم عقوقهم، قال الجريري[4]: قدمت من الحج فابتدرت عند قدومي بالسلام على [الجنيد][5] وقصدي ان يتعنى بالوصول إلى منزلي فلما أصبح وأتاني في منزلي فقلت إنما كان ابتداري إليك ان لا أحوجك إلى الوصول إلي، «فقال يابني هذا حقك، وذاك فضلك»، فهذا يا أخي قدر ما يكفيك،

---

(1) سقط من ط.س.

(2) سقط من م.

(3) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية ويحيط بها البراري من كل جانب وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة وأسواق عامرة. وقد فتحها عمرو بن العاص صلحا سنة 642م واسلم كثير من أهلها ومن مدنها بنغازي.

- ياقوت الحموي: معجم البلدان دار صادر بيروت ج 1 388.

(4) هو ابو محمد احمد بن محمد بن الحسين الجريري تتلمذ على سهل بن عبد الله التستري، وعلى سري السقطي، غير انه يعد من كبار تلامذة الجنيد: قال ابن الكثير احد ائمة الصوفية... ولما حضرت الموت الجنيد أوصى ان يجالس الجريري، وقال الشعراني: «واقعد بعد موت الجنيد رحمه الله تعالى في موضعه لتمام حاله وصحة طريقته وغزارة علمه» ومات سنة 311هـ923م راجع:

- ابو النعيم: حلية الأولياء م س ج 10 ص 348.

- السلمي: طبقات الصوفية م س ص 259.

- ابن كثير: البداية والنهاية م س ج 11 ص 148.

- ابن الملقن: طبقات الأولياء م س ص 71.

- الشعراني: الطبقات الكبرى م س ج 1 ص 94.

(5) م [الجنيدي] س ط د [الجنيد]

والله تعالى يحفظك ويصطفيك، وأنشدوا:[1][2]

[إما][1] تَقُومُونَ كَذَا أَوْ فَاقْعُدُوا ... مَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّمَاءَ يَصْعَدُ[2]

نَامَ عَلَى الْهَذْرِ الذَّلِيلِ وَدَرَى ... جَفْنَ الْعَزِيزِ ثُمَّ بَاتَ يَسْهَدُ

أَخَفُّهُمْ سَعْيًا إِلَى سودده ... أَحَقُّهُمْ بِأَنْ يُقَالَ سَيِّدُ

عَنْ تَعَبٍ أَوْرَدَ سَاقٍ أَوْلاَ ... وَمَا مَحَتْ غُرَّةُ سَبَّاق[3] يَدُ

لَوْ شَرَفَ الإِنْسَانُ وَهُوَ قَاعِدٌ ... لَقَطَعَ الصَّمْصَام[4] وَهُوَ مُغْمَدُ

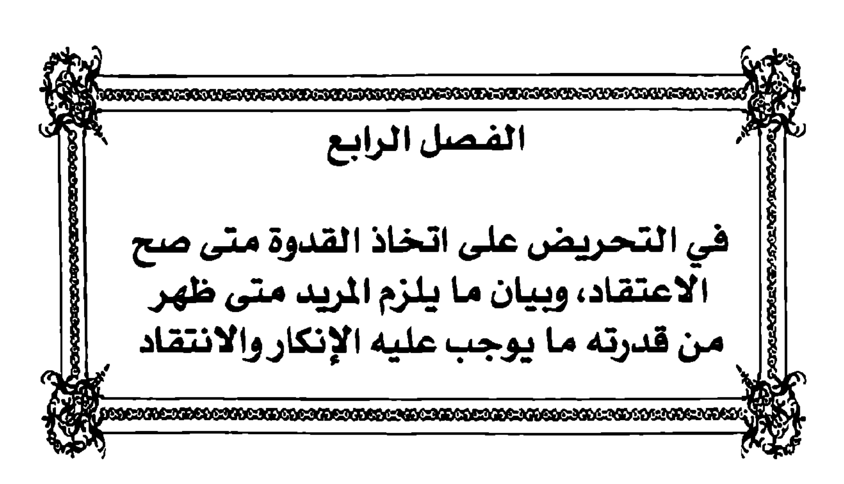
---

(1) د م [إما] س ط [اما]

(2) من الرجز.

(3) البيت الخامس في د م هو الرباع من حيث ترتيب هذه الابيات في س ط.

(4) الصمصام: السيف الصارم. المعجم الوسيط م س ج1 ص 525.



الفصل الرابع

في التحريض على اتخاذ القدوة متى صح الاعتقاد، وبيان ما يلزم المريد متى ظهر من قدرته ما يوجب عليه الإنكار والانتقاد

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3] وقال أبو الحسن الوراق[4]: من جعل الوصول في غير الاقتداء، يضل من حيث يظن الاهتداء، وانشدوا:

إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ [وَإِنْ][5] مَا تَقْصِدِ الْبَابَ تَهْتَدِ[6]

قال محمد بن عبد الوهاب[7] الثقفي: (لو أن رجلا جمع العلوم وصحب الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا برياضة شيخ وإمام ومن لم يأخذ أدبه عن حكيم لم يتادب به حليم)[8] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[9].

(1) سورة لقمان 15.

(2) سورة الأنعام 90.

(3) سورة النساء 26.

(4) هو محمد بن سعد كنيته ابو الحسن الوراق أصله من نيسابور تتلمذ على ابي عثمان واصبح من كبار الشيوخ في بلاده، وكان عالما في دقائق المعاملات، مات سنة 320هـ-932م. راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية م س ص 299. - الشعراني: الطبقات الكبرى م س ج 1 ص 107.

(5) سقط من م.

(6) من الطويل

(7) هو محمد بن عبد الوهاب الثقفي ابو علي تتلمذ على ابي حفص وحمدون القصار، كان إماما في علوم الشريعة، ومن شيوخ التصوف في نيسابور، وبها توفي سنة (328 - 939م) راجع: السلمي: طبقات الصوفية م س ص 361. - القشيري: الرسالة القشيرية م س ج 1 ص 164. - ابن الملقن: طبقات الأولياء م س ج 1 ص 298.
- الشعراني: الطبقات الكبرى م س ج 1 ص 107. - ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 2 ص 315.

(8) في الرسالة القشرية نقرأ هذا النص بصيغة مشابهة: «لو أن رجلا جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة، من شيخ، أو إمام، أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات» راجع:
- القشيري: الرسالة القشيرية: م س ج 1 ص 164.

(9) سورة يوسف 76.

وَفِي الْحِلْمِ وَالإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ وَازِعٌ وَفِي تَرْكِ أَهْوَاءِ الْفُؤَادِ الْمُظْلِمِ(1)
بَصَائِرُ [رُشْدٍ](2) لِلْفَتَى مُسْتَبِينَةٌ وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عِلْمُهَا بِالتَّعَلُّمِ

فمما ينبغي للمريد الصادق متى تمسك بالدين، وسلك طريق المتعبدين أن يقلد شيخا مخصوصا بالحفظ والكلاءة(3)، ممنوحا بالقرب والولاية، قد أبرزه الله تعالى في عصره للهداية، وأظهره الله في وقته [لاستحقاق](4) الرعاية والعناية، وأيده في علمه بقوة البصيرة، وأمده في صدقه بنور السريرة.

أَلْمَعِيٌّ يَرَى بِأَوَّلِ رَأْيٍ آخِرَ الأَمْرِ مِنْ وَرَاءِ الْمَغِيبِ(5)
لَوْذَعِيٌّ لَهُ فُؤَادٌ ذَكِيٌّ مَالَهُ فِي ذَكَائِهِ مِنْ ضَرِيبِ

فيحكمه في نفسه باطنا وظاهرا، ويعاهده على ترك مخالفته [مسرا ومجاهرا](6) من غير أن يكون له تطلع إلى غيره، ولا يعتريه شك في فضله وخيره، فالتحكم سائغ في الشرع، محمود بالعقل والطبع، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(7) الآية وان وردت في [سياق](8) الخصوص في حقه ﷺ، فهي أيضا على العموم في كل داع إلى عبادة الله تعالى وسنة رسوله عليه [الصلاة](9) والسلام، وقوله

(1) من الطويل: والبيتان لكثير عزه: راجع: الجاحظ البيان والتبيين م س ج 1 ص197.
(2) م [رسل] ط س د [رشد].
(3) الكلاءة: يقال كلأ الله فلانا: حفظه وفي التنزيل العزيز: ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾. – الأنبياء 42 – المعجم الوسيط م س 799.
(4) د. [لاستحقاق] ط س م [باستحقاق]
(5) من الخفيف.
(6) د م [سرا وجاهرا] [مسرا ومجاهرا].
(7) سورة النساء 65.
(8) ط س د [بسياق] م [في سياق].
(9) سقط من م.

تعالى ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾[1] انقياد بالباطن وقوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2] انقياد بالظاهر واعلم أن معاهدة الشيخ على لزوم الطاعة جهد الاستطاعة، كبيعته ﷺ بالسمع والطاعة ﴿[وَمَن][3] جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾[4] ﴿وَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[5]، واعلم أن للمريد مع الشيخ أوان ارتضاع، كما أن له أيضا معه أوان انفطام وانقطاع، فادبه أوان الارتضاع، وعدم الاضطراب والانخلاع، بل يتحلى بحلية السكون والوقار، ويتردى برداء الفقر والافتقار، فينزل به مهامه كلها، جلها وقلها، فيلتمس فيها أمره ويختار فيها رأيه ونظره، ولا ينفصل عنه إلا بإذنه، ولا يستغني عن مشورته في شأن من شانه، قال تعالى في صفة المؤمنين مع نبيه ﷺ ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾[6] ومن آداب الاستئذان خفض الصوت، [واصاغة][7] السمع خوف الفوت، ولا يلح في طلب الجواب، بل يعوض عنه بملازمة الصمت، فخفض الصوت عند النجوى، من أفضل منائح التقوى، والإلحاح في طلب الجواب عند المحاورة من سوء الآداب، ولا سيما مع الشيخ عند المشاورة، ولله در القائل:

يَأْبَى الْجَوَابَ فَلاَ يُرَاجِعُ هِيبَةً ... وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الأَذْقَانِ[8]

(1) سورة النساء 65.

(2) سورة النساء 65.

(3) في جميع الأصول [فمن] والصواب [ومن].

(4) سورة العنكبوت 6.

(5) سورة الفتح 10 .

(6) سورة النور 60.

(7) ط س [وآصاخة] د م [إصاغة].

(8) الأذقان : جمع الذقن وهو مجتمع اللحيين من أسفلهما جمع اذقان وذقون. المعجم الوسيط م 313.

وقال الشاعر:

خليلي كم ثوب وكم من عمامة ... على جسد ما فيه حلم ولا عقل

وكم لحية طالت على ذقن جاهل ... وما تحتها إلا السفالة والجهل=

أَدَبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى   فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ[1]

ومما ينبغي للمريدين، أن لا ينادوه باسمه رفعا ولا خفضا، ولا [يجعلوا][2] دعاءه ﴿كدعاء بعضهم بعضا﴾[3]، بل يخاطبوه بما فيه وقار وتعظيم، ويناجوه بما فيه تكريم وتجليل وتفخيم، واعلم أن الاعتراض عليه سم قاتل، وداء عاضل، وقلما يوجد مريد يعترض على الشيخ ظاهرا أو باطنا فيفلح، أو يستنقد عليه في شيء من أفعاله، فينجح، بل ينبغي متى ظهر من أفعاله أشكال، أو عاين فيما ظهر له من أحواله، اختلال أن يتذكر قصة موسى عليه السلام مع الخضر، والقول في قصتهما غير منحصر، ولكن المراد بالاستناد، ما يمنع عقد المريد من الفساد، فقد صدر من أفعال الخضر عليه السلام في الظاهر ما أنكره موسى عليه السلام بالقول الشهير[4]، فلما [بان][5] له عند الشرح قصده ورشده، عزم أن لا يعرض عليه طاقته وجهده، فهذه جملة مختصرة، وآداب منحصرة من أخلاق الفضلاء، وسيرة النبلاء. فما قدرت عليه من ذلك فاستعمله، وماشق عليك فعله فلا تهمله، فإن استعمالك للقليل خير، من تركك للجليل، ولله در القائل:

فَلاَ تَحْسَبُوا أَنَّ الْمَعَالِي رَخِيصَةٌ
وَلاَ أَنَّ إِدْرَاكَ الْعُلاَ مَنْبَرُ [يَجْلُو][6]

= وكم راكب بغلا له عقل بغله   تأمل تر بغلا على ظهره بغل

(1) من الكامل.

(2) ط س [يجعل] م د [يجعلوا].

(3) سورة النور 359.

(4) [ساهر] ط س م [الشاهر] والصواب الشهير.

(5) ط س [أبان] د م [بان].

(6) م [يجلو] ط س د [يجل]

فَمَا كُلُّ مَنْ يَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ مُدْرِكٌ
وَلاَ كُلُّ مَنْ يَهْوَى الْعُلاَ نَفْسَهُ [تَعْلُو][7] [8]

ثم هذا الفصل: وإن كان من أهم الأفعال الضرورية، فلقد استلزم قاعدة كلية شرعية نظرية، وهي أن تقول: أجمعت الأمة على أن من أسلم، فله أن يقلد من شاء من الأئمة ولا يحجر عليه، كما أجمعوا أيضا أن من قلد، أبا بكر وعمر واستفتاهما، له أن يستفتي أبا هريرة ومعاذ[9] وغيرهما، ويعمل بقولهما ولا ينكر ذلك عليه، فيستخرج لنا من هذه القاعدة أن التائب، له أن يقلد في توبته من شاء من المشايخ، ولا يحجر عليه، ثم له أن يستفتي غيره، ويتقرب بقوله ويعمل بعمله، ولا يكون قدحا في حقه، ولا في حق من انتمى إليه. وموجب ذلك مبني على الفرق بين الأعلم والأفضل، فلا يلزم من كون الخليفتين، أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، أن يكونا أعلم من زيد بن ثابت[10] للفرائض. ولا من معاذ بن جبل للحلال والحرام، ولا من علي بن أبي طالب [بالقضاء] ولا من أبي[11] بالقراءة. وقد ثبت ترجيحه عليه السلام، لكل واحد من هؤلاء، بخصلة تميز بها عن غيره. ومع ذلك لا يلزم، منه

(7) م [يعلو] ط س د [يعل]

(8) من الطويل.

(9) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن اوس الانصاري الخزرجي الصحابي المشهور. وهو احد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وآخى الرسول بينه وبين عبد الله بن مسعود، وروى عنه عمر وابنه عبد الله وابو قتادة وانس بن مالك وغيرهم، ومات سنة 18 هـ 639م راجع: – ابن الاثير : اسد الغابة م س ج 4 ص 418.

(10) هو زيد بن ثابت أبو سعيد وقيل ابو عبد الرحمن الخزرجي المقرئ، كاتب رسول الله ﷺ. شهد احدا والخندق. قرأ عليه القرآن جماعة منهم ابن عباس، وحدث عنه انس بن مالك وابن عمر، وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا حج، مات سنة 45هـ665م. راجع:

– ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 2 ص 176.

– ابن عبد البر: الاستيعاب م س ج 1 ص 551.

– ابن حجر: الإصابة م س ج 1 ص 561.

(11) ابي بن كعب، راجع إحالة الفصل الاول.

التفصيل المطلق. فإذا ثبت هذا جاز أن يستفتي غير الأفضل، لأنه قد يكون أعلم بما يسأل عنه، فكذلك في طريق الإرادة، فهم أحق تمسكا بهذه الحقيقة المستفادة، وأنشدوا:

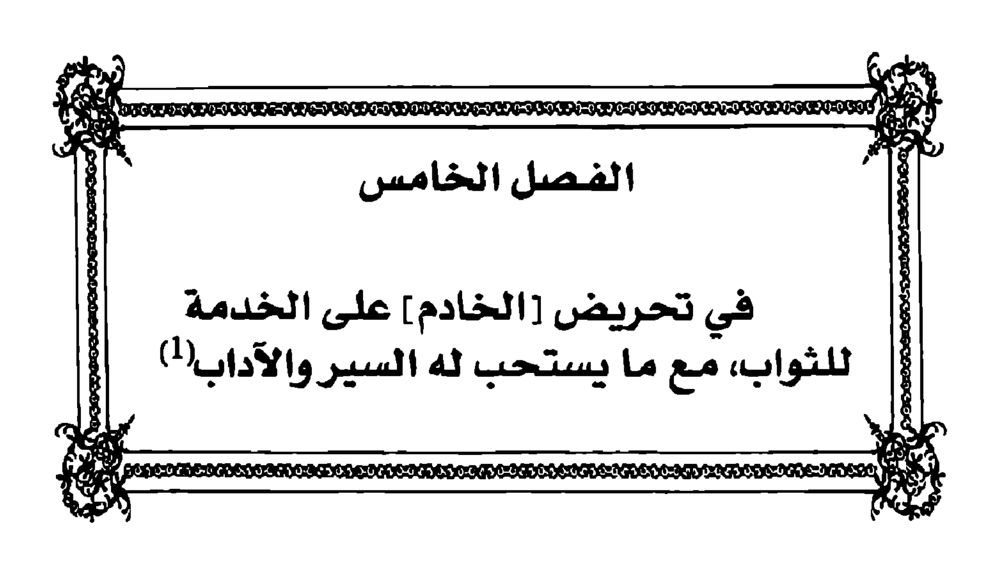
خُذْ مِنْ صَدِيقِكَ مِنْ أَخْيَارِ مُسْتَمِعِ
يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ عَيْنِ الْمَرْءِ وَالْخَبَرِ[1]

وَخُذْ عَلَيْهِ إِذَا أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ
شَهَادَةَ الصَّادِقِينَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فَإِنْ سَمِعْتَ فَقُلْ مَا كَانَ عَنْ أُذُنٍ
وَإِنْ رَأَيْتَ فَقُلْ مَا كَانَ عَنْ نَظَرِ

---

(1) من البسيط.



الفصل الخامس

في تحريض [الخادم] على الخدمة للثواب، مع ما يستحب له السير والآداب[1]

(1) في لسان العرب غلاما كان أو جارية ج 12 ص 166.

فالخدمة مقام نفيس، وحال رئيس، يرغب فيه الفضلاء وينتدب إليه النبلاء، قد جبل على تحسينه العقل والطبع، وحرض على [فعله][1] الشرع. وقد ورد أن فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام «يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما»، وفي حديث أبي معاوية[2] عن عاصم[3] عن أنس قال: **«كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فمنا الصائم، ومنا المفطر، فنزلنا منزلا في يوم شديد الحر، فمنا من يتقي الشمس بيده، وأكثرنا ظلا، صاحب الكساء يستظل به. فنام الصائمون، وقام المفطرون، فضربوا الأخبية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله»**[4] ففي الحديث دلالة على الترغيب في الخدمة، وفضلها على النافلة في القربة[5]، فالخادم يرغب في خدمة أهل الدين، طلبا للثواب الجزيل، ولما يعتقده فيهم من الفضل والتفضيل، فهذا من أجل شعب الإيمان، ومقامات الإحسان. وهي صفة من كدورات نزاعها، وقد

(1) ط س [فضله] د.م [فعله]

(2) لعله ابو معاوية الضرير محمد بن حازم التيمي الكوفي، وروى عن هشام بن عروة وشعبة. وروى عنه احمد بن حنبل وابي معين والنسائي وغيرهم. وهو من الرواة الثقات. مات، سنة 195هـ/810م راجع:
- الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج 4 ص 575.
- السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 128.
- ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 1 ص 343.

(3) هو عاصم بن ثابت بن ابي الافلح الانصاري الاوسي شهد بدرا وهو حمي الدبر وجد عاصم بن الخطاب لامه، راجع:
- ابن الاثير: أسد الغابة م س ج 3 ص7.
- ابن حجر: الإصابة م س ج 2 ص 244.

(4) ورد هذا الحديث في صيغة مماثلة عند مسلم: «كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، قال فنزلنا منزلا في يوم حار اكثر ناظلا، صاحب الكساء، ومنا من تقى الشمس بيده قال فسقط الصوام، وقام المفطرون، فضربوا الابنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ ذهب المفطرون اليوم بالاجر». راجع:
- مسلم: مسلم م س ج 7 ص 235.

(5) س ط [العزمة] م [اشربة]

يتصدى للخدمة، من لا يستحقها لممازحة خدمته [بهواه][1]، ومما يرى لنفسه من التفضل على من سواه، فتارة يبذل جهده في حق من لا يستحق خدمة، وتارة يزهد في [خدمة][2] من قد وجبت له حرمة، وربما خدم للثناء عليه [أو][3] لطلب غرض الجاه والهوى إليه، وربما يمتنع عن الخدمة، في حق من يلقاه بمكره تعززا، وربما خدم بغير عقد ولا نية تجوزا، وذلك كله خراب مزاج طبعه مع وجود هواه ورغبة في نيل حظ قد سبق إلى نيله من سواه، ومع هذا يرتجى له بخدمة، أهل الدين بركة، ولو لم يشب الاخلاص منها سوى حركة، فاختياره لخدمة أهل الدين بنية صالحة، وأفعاله وإن كانت مشوبة راجحة، ولم لا؟ وقد صار في الخدمة خليلهم، وأنيسهم، وفي الحديث الصحيح «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[4] ومما ينبغي له أن يتمسك به من الآداب، ويتحفظ به في حق الأصحاب، رياضة النفس، وطهارة الحس، وضبط الجوارح وتهذيب الجوانح، وإقامة الحدود، والوفاء بالعهود، وترك الشهوات وحفظ المروآت، والتنزه عن الشبهات، واجتناب المنكرات، والمبادرة إلى الخيرات، وحفظ الأسرار ومجانبة الأشرار، واتصال الراحة [والتحلي][5] بالسماحة، إذ هو في طريق البذل والإيثار، حالة البسط أو حالة الافتقار، يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع، ويقتحم كل فعل لا يستكنفه الطبع، مما يتوصل به إلى إدخال السرور، على قلوب المتعبدين، ويحمي به عن التعب أبدان المجتهدين، كالكسب [والدردرة][6] في الطرق والأوساق، وأخذ الدين على ذمة الله تعالى، من غير إسراف في الإنفاق، مع أن الإنفاق يحتاج

(1) س ط [بهواه] د م [لهواه]
(2) [خدمة] زائد في س
(3) ط د [و] س م [او].
(4) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ج 11 ص209.
(5) ط س [التجلي] د م [التحلي]
(6) الدردرة: الدردري من الناس: الذي يذهب ويجيء في غير حاجة، المعجم الوسيط، ج 1 ص278.

إلى علم كامل، ومال حامل، وصدق شامل، فيفعل ما يفعل بنية صالحة، وسريرة راجحة، محمولة على السداد والصواب، غير خارجة عن متابعة السنة والكتاب، فخدمته، الأهل القرب علامة للهداية، وانقطاعه إليهم رعاية من الله تعالى، مؤيدة بالحفظ والكلاية، وأنشدوا:

غَدًا تُوَفَّي النُّفوسُ مَا كَسَبَتْ

وَيَحْصِدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا[1]

إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لأَنْفُسِهِمْ

وَإِنْ أَسَاؤُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

ومما ينبغي له: لا يرى لأفعاله قدرا، ولا يطلب عليها حمدا ولا شكرا، قال أبو عبد الرحمن السلمي[2]: سمعت أبا القاسم الرازي[3] يقول: سمعت أبا بكر بن أبي سعدان[4] يقول: «من صحب الصوفية

---

(1) مجزوءة البسيط.

(2) هو أبو عبد الرحمن بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي ولد سنة (325هـ 936م) بنيسابور، وقد تلقى العلم عن شيوخ كبار، مثل الدارقطني وأبي نصر السراج ثم قام برحلة إلى الحجاز والعراق فسمع لكثير من المحدثين والصوفية، توفي سنة 412هـ 1021م، بعد أن ألف العديد من الكتب منها: حقائق التفسير، منهاج العارفين، جوامع أدب الصوفية، كتاب عيون النفس ومداواتها، رسالة الملامتية، طبقات الصوفية وعليه تقوم شهرته راجع:

- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 2 ص248.
- ابن كثير: البداية والنهاية م س ج 12 ص 12.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء م س ص 313.
- الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج 3 ص 325.
- الداودي: طبقات المفسرين م س ج 2 ص 142.
- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي م س ج 2 ص497.

(3) وردت الإشارة إليه عند ابن كثير في البداية والنهاية عند ذكر أشياء من جيل الحلاج. راجع: ابن كثير البداية والنهاية م س ج 11 ص 138.

(4) هو أحمد بن محمد بن أبي سعدان. كنيته أبو بكر البغدادي الأصل. من تلامذة الجنيد والثوري، وصفه أبو النعيم في حلية الأولياء بأنه: «كان ذا لسان وبيان، وكان في علم الشرع أحد الأعلام» وقد ترجم له كذلك السلمي والخطيب البغدادي والشعراني دون أن يذكروا تاريخ مولده ولا تاريخ ومكان وفاته، راجع:

فليصحبهم، بلا نفس ولا قلب، فمتى نظر إلى شيء من أفعاله، قطعه ذلك عن بلوغ مقصد»[1] ففي هذا القدر كفاية لكل صادق وبدايته [تتمم][2] النهاية لكل حاذق، وهي حالة أقامها الحق تعالى، لصلاح خلقه، فالقائم بها قائم لله تعالى بواجب حقه.[3]

سَابِقْ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا ... إِنَّ الْخَسَارَةَ رِبْحٌ مَنْ لَمْ يَسْبَقِ[3]

وَانْفِ لِنَفْسِكَ أَنْ تَجِيءَ مُؤَخَّرًا ... يَوْمَ الْحِسَابِ بِخَجْلَةِ الْمُسْتَخْلَقِ

وَاعْكِفْ عَلَى الْخَدَمَاتِ عُمْرَكَ أَنَّهَا ... سَبَبُ تَقْوَى الْأَصْلَ لِلْمُتَعَلِّقِ

فَذِهِ إِذَا أَكْمَلْتَ مِنْ شُرُوطِهَا ... وَعَلَامَةُ لِكَمَالِ عَبْدِ مُوَفَّقِ

– السلمي: طبقات الصوفية م س ص 420.

– ابو النعيم: حلية الاولياء م س ج10 ص 377.

– الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، م س ج4 ص 361.

– الشعراني: الطبقات الكبرى م س ج1 ص117.

(1) في طبقات الصوفية للسلمي، نقرأ هذا القول في الصيغة التالية: «من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس، ولا قلب، ولا ملك، فمتى نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده راجع:– السلمي: طبقات الصوفية م س ص412.

(2) ط س [تنمر] د م [تتم].

(3) من الكامل

القطب[1] الأول
وفيه مقدمة وثمانية فصول

المقدمة:

فيما لابد للمريد من معرفته واعتقاده، وما يجب تردده في الذهن، تفهما في كل وقت، وافتقاده، لأنه أساس الدين وقواعده، وأحكام العقل والنقل وشواهده، قد نطقت ببيانه الكتب المنزلة، وأفصحت ببيانه الأنبياء المرسلة، وهي درجه يبين بها العارف [من][2] الجاهل. ويرتقى بعلمها الذاكر عن الذاهل، وقلما كان من الشيوخ من لا يسال تلميذه عن ذالك، ويفهمه كل ما خفي عن فهمه هنالك، ويشهدون للراغب في ذالك، بصدق الأنابة. ويقرون له بفضل الإصابة، قال الجنيد رحمه الله: أول ما يحتاج إليه المريد الصادق، معرفة الخالق ليذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته، لأن من لم يعرف صفة مالكه، لم يتعرف بوجود خالقه، قال الجريري: «من لم يقف على التوحيد، بشاهد من شواهده، زلت به قدم الغرور،

---

(1) القطب: المحور القائم المثبت في الطبق الاسفل من الرحى، يدور عليه الطبق الاعلى ومنه قطب الدائرة. وللارض قطبان شمالي وجنوبي...

وفي المفهوم الصوفي، عبارة عن رجل واحد، هو موضوع نظر الله تعالى من العالم، في كل زمان. ويسمى بالغوث ايضا باعتبار التجاء الملهوف إليه... وهو خلق على قلب محمد ﷺ: ويسمى ايضا بقطب العالم، وقطب الاقطاب، والقطب الاكبر وقطب الإرشاد .راجع:- القشاني اصطلاحات صوفية م س 145. - عبد المنعم: معجم مصطلحات صوفية م س 217.

- المعجم الوسيط: م س ج 2، 719

(2) ط.س [عن]د.م [من]

في مهواة من التلف»[1] قال القشيري[2]: يريد بذالك من ركن إلى التقليد، ولم يتأمل دلائل التوحيد، قال أبو الطيب المراغي[3] «للعقل دلالة، وللحكمة إشارة، وللمعرفة شهادة، فالعقل يدل، والحكمة تشير، والمعرفة تشهد أن صفاء[العبادة][4] لاينال إلا بصفاء التوحيد»[5] وسأل ابن شاهين[6]الجنيد يوما عن معنى مع فقال:[هي على معنيين مع الأنبياء بالنصر والكلاءة، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ[7] [وَأَرَى]﴾[8] ومن العامة بالعلم والإحاطة][9] قال تعالى: ﴿وَلَا أَدْنَى

(1) القشيري: راجع الرسالة القشيرية، م. . س، ج 1، ص: 29

(2) ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد المالك القشيري، ولد سنة (376هـ 986م) في بلدة «استوا» بخرسان، أصله عربي. اخذ العلم عن شيوخ كبار كابي علي الدقاق وابي بكر الطوسي، وابي بكر بن فروك، وغيرهم، قال عنه ابن خلكان: «الفقيه الشافعي.كان علامة في الفقه والتفسير، والأصول، والأدب والشعر والكتابة، وعلم التصوف.جمع بين الشريعة والحقيقة» وقد توفي سنة 465هـ 1072م، مخلفا عدة كتب جلها طبع طبعات مختلفة، ومنها:الرسالة القشيرية- تفسير القرآن «لطائف الإشارات» – كتاب الفتوى.– حياة الارواح. – كتاب المعارج. كياسة اهل السنة وغيرها. راجع:
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، م، س، ج 3 ص: 205.
- ابن كثير: البداية والنهاية م. س،ج 12، ص107.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء م س، ص:257.
- السيوطي: طبقات المفسرين، م،س، ص 61.
- الداودي: طبقات المفسرين، م،س، ج 1، ص: 344.

(3) نجد له إشارة في الرسالة القشيرية للقشيري في «فصل بيان اعتقال هذه الطائفة في مسائل الأصول» ج 1ص:31.

(4) في الرسالة القشيرية: [العبادات] وفي جامع الاصول[العبادة].

(5) القشيري: الرسالة القشيرية: م، س، ج 1، ص:31.

(6) ذكر ابن خلكان ان أبا القاسم ابن شاهين، كان من جملة الشيوخ الذين روى عنهم ابن السراج البغدادي، وأشار القشيري، إلى أن ابن شاهين، كان معاصرا للجنيد، ونفس الإشارة نجدها عند المقري التلمساني: راجع:
- القشري: الرسالة القشرية، م. س، ج 1، ص:44.
- ابن خلكان: وفيات الاعيان، م. س، ج 1، ص:483.
- المقري التلمساني: نفح الطيب، م. س، ج 5، ص:292.

(7) سورة طه: 46

(8) سقط من ط.س.

(9) القشري: الرسالة القشيرية، م، س،ج1، ص191

مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾[1] فقال ابن شاهين: «مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على[2] الله تعالى، وقال أبو محمد المحجوب[3] خادم أبي عثمان المغربي (قال لي أبو عثمان[4] يوما يا أبا محمد[5] لو قال لك أحد أين معبودك ماذا تقول؟ فقلت[6] له حيث لم يزل قال: فإن قال لك فأين كان في الأزل؟ قلت أقول حيث الآن قال فارتضى مني ذلك ونزع قميصه وأعطانيه)[7]. حدثني الشيخ الفاصل أبو الربيع سليمان بن ينصارن[8] ببلد سجلماسة[9] المحروسة:

(1) سورة المجادلة 7.

(2) القشري: الرسالة القشيرية، م، س، ج 1. ص: 44.

(3) أبو محمد بن المحجوب، له إشارة في الرسالة القشيرية «فصل في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الاصول» راجع: الرسالة القشيرية م. س، ص: 37.

(4) هو سعيد بن سلام القيرواني، ثم النيسابوري كنيته أبو عثمان. وهو من كبار الزهاد المشهورين في عصره. من شيوخه ابو علي بن احمد المعروف بابن الكاتب، ويعد أبو عثمان من اساتذة ابي عبد الرحمان السلمي، صاحب الطبقات الصوفية. وقد جاور أبو عثمان المغربي بمكة لمدة سنتين وتوفي بنيسابور سنة 373هـ 983 م، راجع:

- السلمي: طبقات الصوفية، م.س، ص: 479 - القشيري : الرسالة القشيرية م.س.ج 1. ص 191
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م. س، ج 9، ص 112.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء، م. س، ص: 237.
- سزكين: تاريخ تراث العربي، م. س، ج 2، ص485.

(5) سقط من ط. س. م.

(6) زائد في س. ص.

(7) القشيري: راجع: الرسالة القشيرية م. س،ج 1، ص: 37-38.

(8) قال الأستاذ أحمد التوفيق في شرح مصطلح ينصارن: «ينصارن أو إينصارن ينطق الصاد زايا مخففة، معناه الغيث» راجع: احمد التوفيق: هامش تحقيق كتاب التشوف، م. س، ص: 41.

(9) سجلماسة: مدينة عظيمة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية في منطقة تافلالت، تقع على خط عرض 34/80 شمالا، وخط طول 31/7 غربا، جنوب شرق فاس، وعلى بعد نحو مائتي ميل منها، اسسها المدرار بن عبد الله سنة 140هـ/757م، ونجد العديد من الإشارات في كتب الجغرافية، تؤكد ان سجلماسة، كانت تقع على نهر كثير المياه.

وكانت سجلماسة، منذ نشأتها من أهم المدن التي ظلت تستأثر باهتمام الدول المتعاقبة على حكم المغرب خاصة دول المغرب، ودول المغرب الكبير عامة نظرا لاهميتها الاستراتجية والتجارية، وقد اندثرت وتوجد في موضعها اليوم قرية الريصاني.

ويلاحظ ان المصادر التي تحدث عن سجلماسة قد اختلفت، من حيث الأهمية، فمنها ما جاء حديثة،عنها قاصرا على فترة ما قبل الموحدين، وهذا النوع اهتم كثيرا بالجانب بالاقتصادي والعمراني دون إهمال للجوانب الاخرى، مثل ما نجده عند ابن حوقل في صورة الأرض أو البكري في المغرب في=

[قال دخلت مع جماعة من فقراء[1] بلدنا على الشيخ أبي محمد صالح رحمه الله ببلد [أسفي][2] المعمورة ونحن زائرون له. فحدثنا يوما عن ملتقاه مع سيدي أبي مدين[3]، فقال: لما قدمت عليه وجدته في خلوة

=ذكر افريقية والمغرب، ومنها ما جاء حديثة عنها في الفترة المرابطية والموحدية معا، مثل الإدريسي في نزهة المشتاق في اختراق الافاق، والمجهول في الاستبصار. كما نجد نوعا ثالثا من المصادر جاء بعد فترة الموحدين مثل ابن عذاري في البيان وابن أبي زرع في القرطاس وابن بطوطة في تحفة النظار، وابن الخطيب في اعمال الاعلام، ومعيار الاختيار. وباستثناء هذا المصدر الاخير نجد ان هذا الصنف ركز بالخصوص على الاحداث السياسية اكثر من تركيزه على غيرها راجع أيضا:

Jean Michel Lessard : Sijilmassa : La ville et ses relations commerciales.au XI s. d'après EL BAAKRI Hesp 1934 ; T : 19

(1) الفقراء: صفوة الله عز وجل من عباده. يستخدم الصوفية معنى الفقر بمعنى الفقد. اي ما يحتاج الإنسان إليه. لا يعتبر فقيرا عندهم إذا كان متكبرا او متجبرا مغرورا. فالفقر معناه الحاجة والحاجةإلى الله، على الحقيقة، بمعنى ان يشعر، رغم ماله، وجاهه، بحاجته وبعجزه وبفقره إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا احتاج إلى غيره لم يعد فقيرا لمشرط الفقير هو حاجة العبد إلى الله تعالى على الدوام لانه ليس هناك غنى إلا الله سبحانه وتعالى. والفقر شعار الأولياء وحلية الاصفياء.

- القشيري : الرسالة م س ج 2 ص 536
- الغزالي : الأحياء ج 4 ص 189
- الاموي : حياة القلوب م س ص 162
- عبد المنعم : المعجم م س ص 207
- الشرقاوي : معجم الفاظ الصوفية م ص 226

(2) في م [اشفي] واسفي من اشهر مدن المغرب الاقصى الواقعة على المحيط الاطلسي تبعد عن مدينة الدار البيضاء بمسافة تقدر ب 252 كلم وكانت إلى وقت قريب من أهم مراسي الصيد للسردين في العالم. ويصدر منها اليوم كميات هامة من الفسفاط ومشتقاته.

وعن تسمية مدينة أسفي قال الشريف الإدريسي في سياق حديثه عن مدينة لشبونة : «فقال زعيم القول واآسفي فسمي المكان إلى اليوم اسفي وهو المرسى الذي في اقصى المغرب»، وقال الاستاذ احمد التوفيق : «ومعنى اسمها المصب». راجع:

- ابو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالشريف الإدريسي : كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب الطبعة الاولى، المجلد الثاني، ص549
- احمد التوفيق إحالة رقم 38 من تحقيق التشوف، م. س. ص 4

وعن باقي التاويلات الواردة حول اصل اسم مدينة أسفي وتاريخ تاسيسها. راجع كذلك:

- الكانوني : أسفي وما إليه م.س، ابتداء من ص 69
- حليمة فرحات وحامد التريكي: اسفي: المدينة والرباط في العصر الوسيط: - ضمن ابو محمد صالح المناقب والتاريخ - مرجع سابق، ص:5 و6.

(3) ابو مدين شعيب بن الحسن الانصاري الاندلسي البجائي، اصله من احواز اشبيلية. اخذ عن شيوخ كبار مثل بن حرزهم وأبي الحسن بن غالب وأبي يعزى يلنور، ورحل إلى المشرق واخذ عن الزهاد والعلماء. مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، وعاد إلى بجاية. وكان زاهدا فاضلا عارفا بالله. ووصفه ابن=

مع بعض من اختص لمنادمته، فلما سلمت عليه وأخذت بيده سألني من أين كان قدومي؟ ثم قال: أتقرأ شيئا، قلت نعم، فقال لي وما تقرا؟ فقلت ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

فسكت عني ولم [يجبني][2] بشيء، ثم طرق ساعة فسأله من كان بحضرته عن سؤاله وعن سكونه، فقال: وما عسى أن أقول لرجل قد عرف الله تعالى حق معرفته، فتأمل يا أخي رحمك الله وإيانا شهادة هذا الشيخ العظيم، والولي الكريم، لشيخنا رحمه الله تعالى في أول يوم زاره في حال البداية، بأنه قد عرف الله تعالى حق معرفته، فما ظنك به في نهايته، وعند كمال هدايته، ولله در القائل:

هَيْهَاتَ لاَ يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ   إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ[3]

=القاضي بأنه: «كان فقيه الأولياء وعمدة الاتقياء، وتخرج على يديه أكثر من ألف شيخ. من بينهم أبي محمد صالح الذي لازمه مدة طويلة، واخذ عنه اصول الطريقة، وقد حاول المنصور الموحدي، اشخاصه إلى مراكش والاجتماع به، غير ان المنية ادركت أبا مدين فمات بواد يسر قرب تلمسان ودفن بالعباد خارج هذه المدينة سنة (594 هـ 1197م) وقيل سنة 598 هـ 1201 م. راجع:

- التادلي: التشوف، م س ص 319
- الغبريني: عنوان الدراية، م س ص 22
- ابن مريم: البستان، م س ص 102
- ابن قنفذ: الانس م س في العديد من الصفحات
- التادلي: المعزى في مناقب أبي يعزى م خ ح رقم 1069
- بابا التمبكتي: نيل الابتهاج، م س ص 127
- ابن القاضي: جذوة الاقتباس، م س ص 530
- الكتاني: سلوة الأنفاس .م.س1، ص 364
- النبهاني: جامع كرامات الأولياء م.س.ج 2 ص 117
- الناصري: الاستقصا .م. س.ج 2، ص 212
- ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب، مرجع سابق، ص 204

(1) سورة آل عمران 18

(2) س. [يجاوبني] ط.د.م [يجبني].

(3) من الكامل، وقد ورد هذا البيت دون نسبة في الترجمة التي خصصها النبهاني لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي في جامع كرامات الأولياء، ج 2، ص195

فما يجب فرضه على كل مكلف، ولا عذر فيه لكل خلف متخلف، ان يعتقد باعتقاد جزم، دون التقليد، ويقينا قطيعا، خالصا من شوائب الشك والتردد، [بان][1] الله تعالى، إله واحد لا من جهة العدد، وقلة المدد، ولكنه حقيقة فيمن لا شبيه لذاته، ولا نظير لصافته، أول ليس له ابتداء، وآخر ليس له انتهاء، وظاهر ليس [له][2] خفاء، وباطن ليس [له][3] انتفاء، موجود لا يشبه الموجودات، ولا تحده أحكام المحدودات، بل هو فرد لا جزء له، صمد لا ند له، منزه عن القسمة والافتراق، مقدس عن الكثرة بالجمع والترتيب والالتصاق، تعالى عن مشاكلة الأقران، وتعاظم عن مزاحمة الأقران، ليس بجوهر ولا جسم، ذي أجزاء وأبعاد، كما أن صفاته، جلت أن تقارن بألوان وأعراض، بل صفاته تعالى مختصة بذاته الأزلية،ونعوته قديمة أزلية، موصوفا بما وصف به نفسه، من السمع والبصر، والوجه واليدان، كما أتي به في محكم القرآن[4]، من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تنقيص ولا تحديد ولا تعطيل، عجزت عن كنه صفاته، إفهام الواصفين، وعشت عن حقيقة إدراك كيفيته، بصائر المتكفين، لا تلحقه الإفهام، ولا تصوره الأوهام، بديع، وليس له شريك فيما أبدع، قدير وليس له معين فيما صنع، علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، وضع الأشياء كلها علة واختيارا، ولا وجوب عليه في وضعه، محيط ولا تحيط به الجهات، مدرك ولا تدركه المواجهات، له الأسماء الحسنى، والعلم الاسني، وهي من الصفات المؤكدة حقيقة في المسمى، وان كان واحدا، والأسماء متعددة موقوفة على ما وقع به الإذن

---

(1) د. م.[بان] ط. س[ان]

(2) ط. س.[به] د. م[له]

(3) ط. س.[به] د. م[له]

(4) نسوق امثلة لما اشار إليه صاحب النص كقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الشورى 11 ﴿ولله المشرق والمغرب . فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ البقرة 115 ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ آل عمران 73

الشرعي، مطلوقة كما ورد به النقل القطعي، وجملتها تسعة وتسعون اسما عند جمهور أهل السنة، وفي الحديث، الصحيح «من أحصاها دخل الجنة[1]» فالزيادة فيها الحاد وتشبيه وتمثيل، والنقص فيها الحاد وتنقيص وتعطيل. فالمشبهة[2] وصفوه، بما لم يأذن فيه. وقد ورد به المنع، والمعطلة سلبوه، ما اتصف به وقد أثبته الشرع، ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[3] كما قاله تعالى، وبالمعنى الذي أراده جل وعلا منزها فيه عن التمكين، والاستقرار مقدسا عن المماسة، والحلول في مكان أو قرار، لا يحمله العرش وحملته، بل العرش محمول بقدرته، ومقهور بسطوته رفيع الدرجات على العرش، كما هو رفيع الدرجات على الفرش، وهو اقرب إلى العبد من حبل الوريد، مرئي بالإبصار، في دار القرار، لطفا منه بالإبرار، كما هو محجوب عن [الفجار والكفار][4]، وان [التوراة][5] والإنجيل والزبور والفرقان، كلها كلامه الذي هو صفة ذاته، المنزل على أكرم مخلوقاته ليس بينها في الهداية والإرشاد تباينا ولا نقضا، ولا يفضل بعضها بعضا، وكلها غير مخلوقة ولا مصورة، كما أنها ليست بحروف ولا أصوات محصورة أو مقدرة، فالحروف المكتوبة والأصوات المقروءة عبارة عن الكلام القديم، وإشارة إلى التكريم والتقدير وهي محدثة، تزول وتضمحل أشكالها، والكلام القديم لا يضمحل ولا يزول بزوالها، ولكن حكمها في التشريف والتقديم، حكم الكلام القديم، على أنها من التوقير والتعظيم، أن لا يمسها إلا المطهرون من المسلمين، ويقال فيها: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[6]. وأن محمدا

---

(1) راجع: ابن حجر : فتح الباري : كتاب التوحيد باب ان لله مائة اسم إلا واحدة، م. س. ج13، ص377

(2) عن نشاة المشبهة والمجسمة راجع : نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام لعلي سامي النشار، دار المعارف الطبعة السابعة، ج 1، ص 285

(3) سورة طه 5

(4) م. [الكفار والفجور] س. ط. د [الفجار والكفار].

(5) الواقعة 80

(6) ط. س. د [التوربة] م [الثوراة]

عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، إلى كافة الخلق ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1]، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[2]، وايده بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، فالقرآن العظيم، من أعظم آياته واكبر معجزاته، نزل به الروح الأمين، على قلبه ﷺ بلسان عربي مبين، ختم به الأنبياء وكلهم تحت لوائه، وفضله عليهم وعلى جميع أوليائه، فتصديقه بكل ما اخبر به لازم، والإيمان به فرض متلازم، من الحشر والنشر، والجنة والنار، والحوض والشفاعة والصراط والميزان، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، وأمور الآخرة جملة وتفصيلا، كل ذلك حق كائن ليس فيه تبديل ولا تحويل، وأن أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام: أبو بكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان الزكي، وعلي الرضى، ثم الستة الباقون من العشرة، الذين شهد لهم ﷺ بالجنة، واجمع على تفضيلهم كافة أهل السنة، طلحة والزبير وسعد[3]، وسعيد[4]. وعبد الرحمن بن عوف[5] وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين، وأن أركان الدين خمسة: وهي الشهادتان، والصلاة، والزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام مرة في العمر، فالإسلام ظاهر الدين. والإيمان حقيقته، ومعناه التصديق، وهو قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجنان، فالقول لا يزيد ولا

---

(1) البقرة 119. وسبا 28

(2) الاحزاب 46

(3) هو سعد بن ابي وقاص الصحابي المشهور

(4) هو سعيد بن زيد القرشي ، واجع : ترجمته عند ابن الاثير في اسد الغابة م. س. ج 2 ص235.

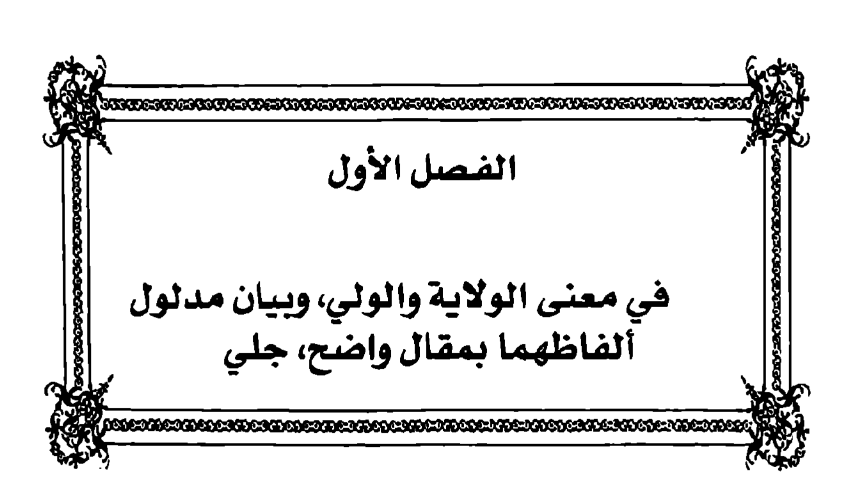
(5) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث القرشي الزهري، يكنى ابا محمد وهو الصحابي المشهور، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة، فسماه الرسول عبد الرحمن. أسلم قبل ان يدخل الرسول دار الأرقم، وكان احد الثمانية الذين سبقوا للإسلام، شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله، وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة، واحد الستة، اصحاب الشورى، الذين جعل عمر ابن الخطاب الخلافة فيهم وهم: طلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وابو عبيدة ابن الجراح، وتوفي سنة 31 هـ 551 م. بالمدينة، راجع: – ابن الأثير: اسد الغابة .م.س.ج 3، ص276

ينقص، والعمل يزيد وينقص، والتصديق يزيد ولا ينقص. فتارك القول كافر، وتارك العمل فاسق، وتارك التصديق منافق، وتارك العمل مع التصديق كافر، والإيمان بالقدر، خيره وشره، حلوه ومره، ونفعه وضره، وكل ذلك فعل الله تعالى مقدرا بديعا ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[1]، وإن الاستثناء في الإيمان من غير شك في الحال، ولكنه في المآل نهج من مناهج الدين الواضح، وسيرة من سير السلف الصالح، وسنة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، فلأجل ذلك لا يجوز أن تقطع الشهادة بالجنة لآهل الإيمان. والله تعالى هو المستعان، فهذه جملة من أصول الدين والتوحيد، مما لا يسوغ فيه للمكلف، شك ولا تقليد، فاحفظها وتمسك بأصولها، وتقرب إلى الله تعالى بموالاة، أهلها وتعلم فصولها، وعليك بمصارمة أهل اللهو والبدع، ومباينة أهل الفرق والشيع، كالمعتزلة والقدرية والجهمية والمرجئة، والخوارج، والروافض، والمشبهة والمعطلة[2]، فهم أهل الفرق وتشعيب الطرق، عافانا الله وإياك من هذا الزمان [البشيع][3]، وعصمنا فيه من اختراق الدين، والأخذ بالشنيع. إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، ولله در القائل:

عِلْمُ الْحَقِيقَةِ عِلْمٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... إِلاَّ أَخُو ثِقَةٍ بِالْعِلْمِ مَوْصُوفُ[4]
وَكَيْفَ يَعْلَمُهُ مَنْ لَيْسَ يَشْهَدُهُ ... وَكَيْفَ يُبْصِرُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مَكْفُوفُ

---

(1) سورة يونس 99
(2) عن نشاة تطور هذه الفرق الدينية يستحسن الرجوع إلى كتاب فجر الإسلام لاحمد امين الباب السابع والى كتاب نشاة الفكر الفلسفي في الإسلامي لعلي سامي النشار ج 1، : (الفصول الرابع والخامس، والسادس) ابتداء من ص 285.
(3) م [البشيع] ط. س. د [التشنيع].
(4) من البسيط.



الفصل الأول

في معنى الولاية والولي، وبيان مدلول ألفاظهما بمقال واضح، جلي

فنقول وبالله التوفيق: الولاية بالفتح، مصدر وبالكسر، اسم مصدر. ومعناهما النصرة قاله سيبويه. وقال الزهري[1]: الولاية بالفتح أظهر في النسب. والنصرة من قولهم ولي بين الولاية، وبالكسر، فهي كالإمارة، من قولهم وال بين الولاية. ومدلول هذا اللفظ في الحقيقة، هو المعنى القائم بالولي، إذ هو صفة، والصفة أوجبت حكما للموصوف إن كان قابلا لها، ثم هذا الوصف، ليس هو وصفا، ذاتيا خلافا لمن زعم ذلك. وإنما هو وصف زائد على الماهية، وأما في الاصطلاح فهو التمسك بالطاعة، على وجه القربة، وأما لفظ الولي، في الحقيقة أيضا فهو اسم مشتق لكل من قامت به صفة الولاية ولفظه كلي جامع لكثرة أوصاف، مع الاتساع مشترك يطلق على مفهوماته، بحسب الوضع والقرائن، وفي الاصطلاح سمة لكل من ظهرت عليه علامة القربة، وأما اشتقاقها، أصل الوضع فهو من الولي، وهو القرب والدنو ويقال: تباعدوا بعد ولي، ومعناه بعد قرب، قال ذو الرمة[2]:

---

(1) هو محمد بن احمد الازهر المعروف بالازهري ولد بهراة سنة (282هـ 895م) روى عن ابي فضل بن ابي جعفر المندري وابي العباس الثعلب ورحل إلى بغداد واخذ عن بعض علمائها مثل أبي عبد الله ابراهيم ابن عرفة وابي السراج النحوي، وكان إماما في اللغة فقيها صالحا شافعي المذهب. قال ابن خلكان: «غلبت عليه اللغة فاشتهر بها» من كتبه:
- التهذيب، شرح الفاظ مختصر المازني، كتاب التفسير، وتوفي سنة 370هـ 890م وقيل 371هـ 981م راجع:
- ابن خلكان: وفيات العيان، م س ج 4 ص 334.
- جمال الدين: طبقة الشافعية، م س ج 1 ص 35.
- السيوطي: بغية الوعاة، م س ج 1 ص 35.
- السيوطي: بغية الوعاة، م س ج 1 ص 19.

(2) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الشاعر المشهور، من فحول الطبقة الثانية، ولد سنة 77هـ 696 م، له ديوان شعر، وتوفي باصفهان سنة 117هـ 735م راجع: - ابن خلكان: وفيات الأعيان م س ج 4 ص 11.

وليني وَلَيْة تَمْرَغْ جَنَابِي فَإِنَّنِي ... لَوْ سَمَى مَا أَوْلَيْتَنِي لَكِ شَاكِرَ[1]

وكل ما فسروا به هذا اللفظ حيثما ذكر حاصله راجع إلى معنى القرب والدنو، وقد شاع ذلك لغة واستعمالا، فاولياء الله تعالى عبارة عن أقرب خلقه إليه، وأدناهم بالمنزلة والمكانة لديه، دون المكان المشعر بالحلول والإمكان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وانشدوا:

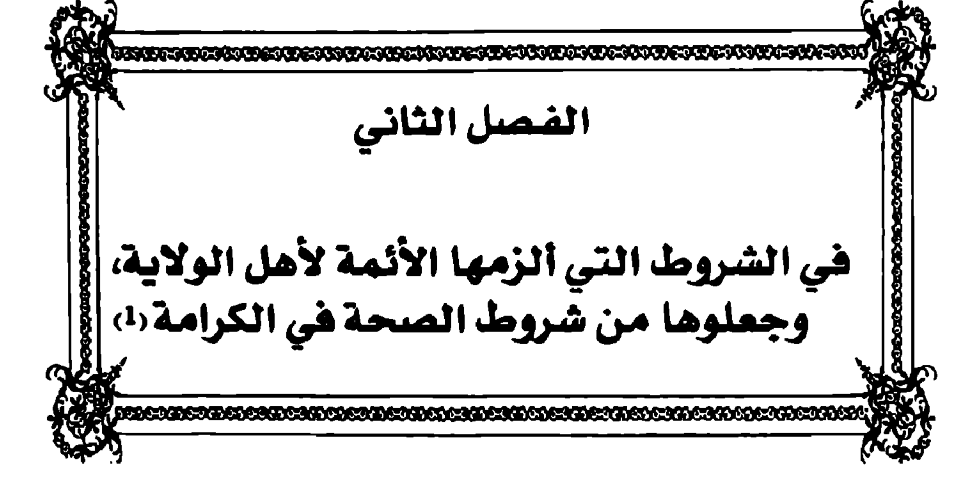
أَلاَ حَبَّذَا مَنْ لَيْسَ يَعْدِلُ قُرْبُهُ ... لَـدَيَّ وَإِنْ شَـطَّ الْمَزَارُ نَـعِيمُ[2]

وَمَنْ لاَمَنِي فِيهِ حَبِيبٌ وَصَاحِبٌ ... فَرَدٌّ بِغَـيظٍ صَـاحِبٍ وَحَمِيمُ

– الزركلي: الاعلام م س ج5 ص 319.

(1) من الخفيف، وفي الشطر الاول خلل في الوزن.

(2) من الطويل.



الفصل الثاني

في الشروط التي ألزمها الأئمة لأهل الولاية، وجعلوها من شروط الصحة في الكرامة[1]

(1) الكرامة: هي خرق العادة على غير المألوف والطبيعي. كالانتقال من مكان إلى آخر يبعد عنه مئات الأميال. في خطوة او خطوات. او المشي على الماء؛ وكلام البهائم، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته. والمعجزات للانبياء. والكرامات للأولياء. وظهور الكرامات على الأولياء جائز. والفرق بين المعجزات والكرامات، ان الأنبياء عليهم السلام، مأمورون بإظهار معجزاتهم والولي يجب عليه ستر كراماته وإخفاؤها واكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما من اخلاق نفسك بخلق محمود. راجع:
- القشيري: الرسالة م س ج 2 ص 660.
- الأمري: حياة القلوب م س 286.
- الشرقاوي: المعجم م س 240.
- عبد المنعم: المعجم م س 223.

قالوا : ومن شروط الولي أن يكون محفوظا، في ولايته، عما يناقض مدلول كرامته. كما أن من شروط النبي أن يكون محفوظا، في نبوته، عما يناقض مدلول معجزاته. قلت هذا الذي يجب أن يعتقد فيهم، مع القطع بأن الله تعالى يحفظهم ويصطفيهم، وحينئذ يمتنع ضرورة، أن يتأتى منهم الوقوع في شيء من المحذورات، صغيرا كان أو كبيرا، على وجه القصد والاختيار، بل يقع ذلك نادرا، عند بعض الهفوات في مجاري الأقدار، ثم لا يقرون عليه، ولا يعودون إليه، وكيف يمنع الحذر من شيء، ولو كان محظورا إذا كان أمر الله قدرا مقدورا. فهذا لا يوجب قدحا عليهم، لصحة مذهبهم، ولاذما أو قبحا لهم، لعلو منصبهم، شهدت بذلك شواهد المعقول، معضودة بأدلة المنقول، فمن الشواهد الضرورية والأدلة النظرية أن يقال: لو وقع ذلك منهم على وجه القصد والاختيار، دون الغلبة والإختبار، لكانوا فسقة عصاة يجب ذمهم، وزجرهم طبعا وشرعا، وهذا مناقض لمدلول الولاية، وموجب لتكذيب الكرامة.

الشاهد الثاني:

أن يقال: لو صدرت منهم، قصدا واختيارا كما ذكرناه، لكانوا أنجس وأقبح من عصاة غيرهم، وإنما تقبح المعاصي وتفحش عند العقلاء، بالنسبة إلى منازل الفضلاء، قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[1] وكما قيل:

(1) سورة الأحزاب 30.

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا[1] كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ[2]

فعلو مناصبهم وسمو مراتبهم معلوم لهم، ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فلا أفحش حينئذ، ولا أقبح من معاصيهم، وحينئذ يلزم أن يكون المشهود برذالته أعلى درجة من المشهود بعدالته. وهذا مما يؤدي إلى قلب الحقائق، والخروج عن أصول العقلاء، من أهل الملل والطرائف.

الشاهد الثالث:

أن يقال: لو [صدرت][3] منهم على الوجه الذي شرطناه، لما صدق عليهم اسم المتقي في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[4] لأنه عام في تقوى الشرك وغيره، وموضعه رفع على المدح، والتقوى في اللغة، لفظ مشتق من الوقاية وهي حماية، فإذا ارتفعت تلك الوقاية، وسلب تلك الحماية حتى اقتحمت تلك الجناية، لم يصدق عليهم ذلك الاسم، لعدم المطابقة. فوجب تنزيههم عن ذلك، لما يلزم من وجود الولاية، مع عدم التقوى. وهو باطل إجماعا.

الشاهد الرابع:

أنه لو صدرت منهم على الوجه، الذي ذكرناه، لما جاز أن يكونوا أئمة. يقتدى بفعالهم ولا يعتد في نوال الشرع بأقوالهم ولا يشهد بعد التهم مع فسقهم المعروف من قرائن أحوالهم، لأن كل فعل اقترنت به قرينة، تبين حكمه حمل عليها اتفاقا، وحينئذ يكون من أئمة الدين، من صالح الأولياء والمتعبدين، فسقة عصاة، خارجين عن قوله تعالى:

---

(1) في الديوان [شيئا].

(2) من الوافر والبيت للمتنبي، راجع: ديوان المتنبي م س ج 4 ص 145.

(3) م [صدر من] ط س د [صدرت منهم].

(4) سورة يونس 62-63.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[1] لإتيانهم ذلك الفعل على وجه الاختيار. وهذا مما يقدح في أصول الدين، ويوجب التمسك بأفعال المفسدين. وهو أصل تتشعب منه طرق المفاسد ويستدعي قبح المقاصد، ويحرص على اقتحام المهالك، والله تعالى هو العاصم من ذلك، وأنشدوا:

تَرَفَّعْ عَنِ التَّـعْـذِيرِ غَـيْرَ مُـذَمَّمِ

إِلَى شَرَفِ الأَعْذَارِ يَخْلُصُ لَكَ الْحَمْدُ[2]

وأما أدلة النقل فمنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ [ذَكَرُوا[3] اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ]﴾[4] قال الفقيه أبو محمد: عبد الحق بن عطية: (هذه جملة ناس، معطوفة على جملة أخرى. وهم دونهم لكنهم ملحقون بهم، رحمة الله تعالى وتفضلا، قال: وليس لفظ الذين بنعت، كرر معه واو العطف لتنزه الطبقة الأولى، عن الوقوع في الفواحش)[5] هذا قول فيه نظر، إذ لا يلزم من وصف رحمة من الله تعالى لهم، بتنزيههم إجلالا مطبقا، وجوب الاحتماء من الوقوع فيها، وجوبا مطلقا. وقد انعقد الإجماع على عدم عصمتهم. فالوقوع محتمل لا محالة، من غير قدح في صفتهم، وهو المفهوم من قول الجنيد رحمه الله تعالى لما سئل عن العارف هل يزني، قال ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا

(1) سورة الحجرات 7.

(2) من الطويل.

(3) من قوله تعالى ﴿ذكروا الله... إلى أجر العاملين﴾ سقط من د.

(4) سورة آل عمران 134-135.

(5) راجع: بن عطية الأندلسي المحرر الوجيز م س ج3 ص235.

مَقْعُوراً﴾[1]، والفاحشة صفة لمحذوف، تقديره فعلوا فعلة فاحشة. ولفظها يعم جميع أنواع المعاصي لغة وقد كثر استعمالهما في الزنا عرفا، حتى فسرت به غالبا وهو قول السدي[2] رحمه الله. ولما قرأها جابر بن عبد الله[3] قال: (زنى القوم ورب الكعبة)[4] وقوله تعالى: ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[5] قيل إن ظلم النفس، إشارة إلى فعل الصغائر. وفعل الفاحشة إشارة إلى فعل الكبائر، وقوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾[6] معناه ذكروا عقاب الله عز وجل[7] عند زلاتهم فخافوا، قاله السدي. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[8] معناه، طلبوا المغفرة من الله تعالى لأجل ذنوبهم. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[9] فيه معنى الترجي، والتسكين، رحمة من الله تعالى للمذنبين، وجبر لقلوبهم المنكسرة حالة الاشفاق، واستعطافا لنفوسهم القلقة، عند شدة الاحتراق، واستدعاء كما اقتضته الحكمة، بعطف حاجز عند مهاوي القنوط، ولطفا قد عصم به، أعمالهم عن مهالك الحبوط، وقوله تعالى ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾[10]. الإصرار هو العزم على ملازمة الشيء،

---

(1) سورة الاحزاب 38.

(2) راجع: ابن عطية الاندلسي: المحرر الوجيز م س ج 3 ص 235.

(3) هو جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجي، ابو عبد الله ويقال ابو عبد الرحمن الصحابي الانصاري، ولد سنة 16 قبل الهجرة 607م، وروى عن النبي ﷺ. واخذ عنه كثيرا وعن ابي بكر وعمر وابي عبيدة وطلحة. وروى عنه اولاده عبد الرحمن وعقيل ومحمد وآخرون، وحضر العديد من الغزوات مع الرسول. وكان نقيه المدينة في زمانه، وبها توفي سنة 78هـ 697 م. راجع:

– ابن الاثير: أسد الغابة م س ج 1 ص 308. – ابن حجر: الإصابة م س ج 1 ص 213.

– ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 2 ص 42. – السيوطي: طبقات الحفاظ م س ص 19.

(4) راجع: الطبري: جامع البيان م س ج 4 ص 62.

(5) سورة آل عمران 135.

(6) سورة آل عمران 135.

(7) سقط من ط س د

(8) سورة آل عمران 35

(9) سورة آل عمران 35

(10) سورة آل عمران 35

وقيل الإقامة على الذنب، من غير مخافة، وهو قول قتادة، (وقال الحسن هو تلبس العبد بالذنب ما لم يتب منه، وقال السدي: هو ترك الاستغفار)[1] وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2] فيه إشارة إلى أن الذنب لا يضر منه، إلا ماكان عن تعمد وقصد. وفيه تغليظ على من واقعه على علم، وهو أعصى من الجاهل، قال محمد ابن عطية، وقال السدي وهم يعلمون أنها محرمة. وفي قول السدي وابن اسحاق[3] إشارة إلى أن هذا الفعل لا يقع منهم عمدا، أو قصدا، وإنما يقع بمجاري الأقدار، إما سهوا أو غفلة، أو تأولا وجهالة، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[4] خبر عن حال الطائفتين[5] جميعا، مالهم من المثوبة في مآلهم، وأجرا رفيعا، قال محمد بن عطية: (ففي هذه الآية معني التشريك في الفضيلة)، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[6] فيه دلالة على أن الطائفتين المذكورتين، كلاهما من المتقين لما اثبتوا جميعا على وجه الجزاء، بالجنة التي أعدت للمتقين. وعدم التخصيص يوجب الاشتراك في التسمية، لعموم اللفظ. لكن قد يفهم التفاوت بينهما، من عدم الوصف بالفاحشة، ولذلك نالت الأولى درجة التقدم في الذكر على أن من سبقت له العناية لا تضره الجناية فتلخص لنا من تفسير الآية، أن المتقين وإن كانوا أولياء غير معصومين من الذنوب، ولكنهم لم يتلبسوا بالأوزار على وجه القصد والإختيار. ولم يوصف بها الأخيار، الآية

(1) راجع بن عطية الاندلسي في المحرر الوجيزم س ج 3 ص 236.

(2) سورة آل عمران 35

(3) لعله ابراهيم بن اسحاق النيسابوري الحافظ، سمع من إسحاق بن راهويه وعثمان بن ابي شيبة وعبد الله ابن الرماح وغيرهم. وكان من الرحالة وله كتاب «التفسير الكبير» وتوفي سنة 303هـ 915م. راجع: - الداودي: طبقات المفسرين م س ج1 ص7.

(4) سورة آل عمران 136.

(5) راجع: محمد بن عطية المحرر الوجيزم س ج 3 ص 236.

(6) سورة آل عمران 136.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1] وجه الاستدلال بالآية أن الله تباركَ وتعالى ذكر هذه الآية فيَ معرض المدح والثناء، على قوم قد خصهم بخصائص [الجد][2] [والعطاء][3] ووصفهم بالتقوى. فهم متقون حقا، معصومون عما يناقض مدلول التقوى عدلا وصدقا، فثبت لهم الرضا بقبول أعمالهم بإجماع المحققين لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[4]، ولم يسلبهم بما مسهم، من طائف الشيطان هذه الصفة، ولا قدحت فيما هم فيه من القربة والزلفة[5]، ثم بين تعالى حالهم متى مسهم طائف، من الشيطان ولمته لما قدره أن يناله منهم بوسوسته، عند صدمته من تذكارهم لبعده وعقابه، ما حملهم على طلب قربه وثوابه، فإذا هو بالإبانة مبصرون، وبالاستعاذة والاستغفار مستبصرون، وطائف الشيطان هي الوسوسة، قاله أبو عمرو[6]، أو الغضب قاله مجاهد، أو الذنب، قاله الكلبي[7]، وقال ابن عباس، هو

---

(1) سقط من ط س د الاعراف 201.

(2) ط س د [الجدوى] م [الجد].

(3) سقط من ط د س.

(4) سورة المائدة 27.

(5) الزلفة: ازلفه قربه والزلفة والزلفى: القربة والمنزلة. منه قوله تعالى : ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ سبا 37. مختار الصحاح م س 273.

(6) هو ابو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي، ولد سنة 371هـ 981م، رحل إلى الشرق وزار مصر واستقر بالقيروان مدة، ثم عاد إلى قرطبة، واخذ كثيرا من العلم على شيوخ هذه البلدان، التي تحول فيها له العديد من الكتب حسب ما ذكره الداودي في طبقات المفسرين منها: - جامع البيان في قراءة ورش- التلخيص في قراءة ورش- كتاب التيسير - المقنع في رسم المصحف - المحتوى في قراءة الشواذ- طبقات القراء واخبارهم وغيرها، راجع:

- ابن فرحون: الديباج المذهب م س ص 188.
- المقري التلمساني: نفح الطيب م س ج 2 ص 135.
- بن تغرى بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، ج 5 ص 54.
- الداودي: طبقات المفسرين م س ج 1 ص 379.

(7) ابو المنذر هشام بن ابي النظر محمد بن السائب الكلبي، روى عن ابيه، وروى عنه، ابنه العباس ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وابو الاشعث، قال الخطيب البغدادي: «هو من اهل الكوفة، قدم بغداد=

النزغ لقوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ [مِنَ][1] الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ [إِنَّهُ][2] سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، قال القاضي[4] : (هذه الآية عامة في الشرك والمعاصي[5].لأنها وردت في معرض المدح، فلا وجه لقصورها على الشرك، فالمتقي عابد وان مسه طائف من الشيطان، لأنه غير معصوم وفيه إشارة إلى ذلك، إنما وقع منهم سهوا وغفلة. ولم يكن تعمدا ولا جراة لقوله [تعالى][6] ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾)[7]. والذكر في الغالب، إنما يتجدد لمن كان منه عاريا وعنه مواريا، قال السدي: (تذكروا عقاب الله إذا زلوا فتابوا، قال ابن عباس: فإذا هم مبصرون أي منتهون[8])، فهذا حال المتقي متى أصاب الذنب تذكر العقوبة فتاب ورجع، وابصر رشده واقلع، فهذا هو تلخيص ظاهر الآية على ما اقتضاه العقل، في مدارك المسالك، والله تعالى اعلم بالصواب من ذلك وإذا هم ذكروا الإساءة، أكثروا من ذكر الاستغفار، والحسنات الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ

=وحدث بها، ويعد الكلبي من المفسرين، غير انه اشتهر كمؤرخ ونسابة، وقد ذكر ابن خلكان لائحة اشار فيها إلى كتب الكلبي مثل : حلف عبد المطلب وخزاعة – حلف الفضول – حلف تميم وكلب – بيوتات قريش – بيوتات ربيعة – ملوك الطوائف – ثم التفسير الذي اناد منه الطبري في جامع البيان

– ومات الكلبي سنة 146 هـ 763 م. راجع:

– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م. س. ج 11، ص 45.

– ابن النديم : الفهرست، م. س، ص 140 .

– ابن خلكان : وفيات الاعيان، م، س، ج 6، ص 82

– سزكين : تاريخ التراث العربي، م، س، ج 2، ص 56

(1) سقط من د

(2) سقط من د

(3) الاعراف 200

(4) هو محمد بن عبد الحق بن عطية الاندلسي صاحب المحرر الوجيز

(5) راجع : ابو حيان الاندلسي : تفسير البحر المحيط، م، س، ج 4، ص 449

(6) سقط من ط. س

(7) سقط من ط. س. د

(8) الطبري : جامع البيان، م، ج 9، ص 107

ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾[1] هذه الآية وردت في معرض [المدح، والثناء][2] على قوم قد اصطفاهم الله تعالى من عباده، وخصهم بوراثة كتابه بهديه وإشاده، ومعناه الإعطاء، لأن الميراث إعطاء وفيه كرامة، لمن اختص بذلك، والإصطفاء مفاعلة من الصفوة، وهي الخلاصة لأن صفوة كل شيء خالصه، قال الكلبي في قوله تعالى ﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾[3] (هم أمة محمد ﷺ قد اصطفاهم لمعرفته واختارهم لطاعته[4])، والضمير في قوله تعالى اصطفينا عائد على الله تعالى. ومعناه الذين سبق اصطفاؤنا لهم في الأزل، قاله أحمد بن محمد الثعالبي[5]: ولا يلزم من قدم هذا الاصطفاء قدم المصطفى، لأن الاصطفاء صفة متعلقة بالعلم القديم الأزلي، يوجب لها حكم العلم القديم الأزلي، وإذا كان المصطفى محدثا، ثم بين تعالى صفة أحوال هؤلاء الذين اصطفاهم وخصهم بإعطاء كتابه، فقال تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[6] فقيد تعالى لفظ الاصطفاء بنفسه، ثم علق الظلم صفة لهذا المصطفى بنفسه، نسقا من غير تفصيل في الآية، حتى لا يتطرق إليه احتمال، ولا يتوجه للملحد فيه مقال، فساغ بهذا الترتيب المحكم أن يوصف هذا المصطفى بصفة الظلم، ولا يقدح في صفوته فضلا وإنعاما،

(1) فاطر 32

(2) م [الثناء والمدح] ط. س. د [المدح والثناء]

(3) النمل 59

(4) راجع : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن م. س، ج 13، ص 220

(5) احمد بن محمد الثعالبي، ويقال الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور، قال ابن خلكان: « كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير وله كتاب « العرائس » في قصص الأنبياء، وقد اختلف في سنة وفاته فقيل 427 هـ 1053م، وقيل سنة 437 هـ 1045 م، راجع:

- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص 79

- الداودي : طبقات المفسرين، م، س، ج 1، ص 66

- جمال الدين: طبقات الشافعية، م، د1، ص159 .

(6) فاطر 32.

وتكريما لأوليائه وإعظاما، وفيه دلالة على أن عطاءه تعالى غير معلل بعلة، قال محمد بن علي السمرقندي جمعهم في الاصطفاء. إزالة للعلة عن العطاء، لأن الاصطفاء هو الذي اوجب الإرث وليس الإرث بموجب للاصطفاء. وقال أسامة بن زيد، قرأ عليه السلام هذه الآية، فقال كلهم في الجنة، قال يحيى بن معين[1]، جمعهم في الدخول لأنه ميراث والعاق والبار في الميراث سواء، لإقرارهما بالنسب كما أن العاصي والمطيع مقيدان بالعبودية للرب، ثم قدم الظالم في اللفظ لاعترافه بإساءة ذنبه، وجبرا لاتصافه بانكسار قلبه، إذ ليس له شيء يعتمد عليه سوى عفو ربه، وفي الحديث الصحيح «**إنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله**[2]»، وقيل ليعلم أن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء، وأنه تعالى لا يتقرب إليه إلا بخصوصية كرمه وفضله. ومما يجب أن يلحق بهذا القدر اختلاف عبارات المفسرين في حقيقة هذه الصفات، فقيل الظالم الذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد الذي لم يختلف ظاهره عن باطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره، وقيل الظالم من أعطى فمنع، والمقتصد من أعطى فبذل، والسابق من أعطى فشكر. وقيل الظالم من ينتصف ولا ينصف والمقتصد من ينصف وينتصف، والسابق من ينصف ولا ينتصف، قاله أبو القاسم ابن حبيب[3]، وكلمات أهل المعاني

---

(1) هو يحيى بن معين بن عوف بن زياد ابو زكرياء البغدادي، ولد سنة 158 هـ 867 م في الأنبار قرب بغداد، روى عن عبد الله بن مبارك وعيسى بن يوسف ومعاد بن معاذ وروى عنه اعلام مثل احمد بن حنبل وجعفر الطيالسي وعبد الله بن احمد بن حنبل ويعد من الثقات، قال عنه الخطيب البغدادي، في تاريخ بغداد : «كان إماما ربانيا عالما حافظا ثبتا متقنا». مات بالمدينة سنة 233 هـ 867 م راجع: – العجلي : تاريخ الثقات، م، س، ص: 475

– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م، س، ج 14، ص177

– الدارقطني : ذكر اسماء التابعين م، س، ج 1، ص 409

– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م، س، د 11، ص 280

(2) ورد هذا الحديث في الصيغة التالية «انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي» راجع: – السخاوي: المقاصد الحسنية، ص 169

(3) هو عمر بن حسن بن عمر بن حبيب ابو القاسم، المحدث الحافظ الدمشقي الحلبي ولد سنة 663 هـ

والإشارات في ذلك طويلة. وهذا القدر فيه كفاية جليلة ولفظة الظلم جامعة لكل ما يوجب الذم شرعا، والظالم من تلبس بتلك الأفعال اختيارا وطوعا، وهو في اللغة واضع الشيء في غير محله، وفي الشرع مخصوص بتارك الواجبات، [أو فاعل][1] المنهيات. فسبحان من تنزهت أفعاله عن الاستدراك بتعليل الناطقين، لما أثبتت أسامي الطالبين، في ديوان السابقين، الآية الرابعة، قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[2] هذه الآية تقتضي مجازاة الذين احسنوا بالحسنى. وهي الجنة بإجماع أهل التفسير، كما ورد في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[3] وهذا وعد من الله تعالى على جهة التفضيل والامتنان والأنعام، لا على وجه الوجوب والاستحقاق والإلزام، ثم وصف تعالى هؤلاء المحسنين بانهم يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم وهي صغائر الذنوب[4] في قول ابن عباس وقال السدي: قال صالح[5] (سئلت عن قوله تعالى إلا اللمم فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده. فذكره ذلك لابن عباس، فقال لقد أعانك عليها ملك كريم[6]) قال أبو عبيد (اللمم عند العرب أن يفعل الإنسان الشيء في الحين، ثم لا تكون

=1264م، كان خبيرا بالأسانيد، وذكر السيوطي، ان الذهبي خرج له معجما، وكان لابن حبيب قد تولى الحسبة في حلب ومات (726 هـ 1325م). راجع: - السيوطي: طبقات الحفاظ، ص 530

(1) د.[فعل] ط. س. م[فاعل]

(2) النجم 31 و32

(3) يونس 26

(4) الطبري: جامع البيان، م، س، ج27، ص38

(5) هو ابو صالح السمان ذكوان الزيات المدني، وصفه السيوطي بانه كان من اجل الناس واوثقهم، مات بالمدينة سنة 101 هـ 719م، راجع: - ابن سعد: الطبقات، م، س، ج 5، ص 12 - السيوطي: طبقات الحفاظ، م، س، ص 41.

(6) راجع الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل، هامش تفسير الخازن، دار الفكر، م، س، ج 6، ص 265

له به عادة[1]، ويؤيد هذا قوله ﷺ «لا صغيرة مع إصرار[2] وهو الملازمة والمعاودة، ثم قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[3] هذا خبر في معنى الترجي والطمع والتسكين بالتسلية، بلفظ يقتضي الاستعطاف والاستدعاء، بالشفقة والرحمة اظهارا للكرم والإحسان، والحلم والإمتنان رحمة من الله تعالى بكل مذنب، وإعجازا عن حقيقة الشكر لكل مطنب، وتخليص ما في هذه الآية من التاويلات: أن المحسنين غير معصومين من بعض الذنوب، وهو الغرض المقصود والمطلوب، لكنها مغفورة باجتناب الكبائر تفضيلا وتكريما لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[4]، وفي تسميتهم بالمحسنين، دلالة على شرف قدرهم الجليل، لقولَه تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[5] وقد اختلف العلماء في هذه المسألة. فذهب أهل الحديث وجماعة من الفقهاء، وأهل الظاهر أن الصغائر، في حق من اجتنب الكبائر مغفورة قطعا، بظاهر الآية والحديث، وذهب أهل الأصول، أن ذلك محمل على غلبة الظن وقوة الرجاء، والمشيئة ثابتة لما يلزم أن تكون الصغائر في حق مجتنب الكبائر مباحة، لأن المباح هو المقطوع أن ليس في فعله تباعة، وذلك يؤدي إلى نقض عرى الشريعة وحسمه من أبواب سد الذريعة، فكل من كانت طاعته مستقيمة، وأفعاله كريمة سليمة ليس لدلائل الشرع عليها اعتراض، ولا لأحكام العقل في أصلها انتقاض، فهو ولي الله تعالى على التحقيق، وأقرب خلقه بقوة الإيمان والتصديق. فهذه

---

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م، س، ج 17، ص 108

(2) السخوي: المقاصد الحسنية، م، س، ص 720. ونص الحديث هو: «لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار».

(3) النجم 32.

(4) النساء 31.

(5) التوبة 91.

جملة من الأدلة قد أوضحت من طريق الحق مسلكه، من تمسك بها نجا من معاطب الهلكة، وهي في غاية البيان، والله المستعان وأنشدوا:

بِرَبِّكِ لُذْ إِنْ كَانَ أَزْعَجَكَ الذَّنْبُ فَقَلْبَكَ التَّأْنِيسُ وَالْعَطَنُ الرَّحْبُ[1]

بَقَاؤُكَ شَيْءٌ لاَ يَدُومُ ضَرُورَةً فَمَاذَا التَّوَانِي بَعْدَ مَا رَحَلَ الرَّكْبُ

وعندما تم الفراغ من تفسير هذه الآيات، وتأملت ما فيها لهذه الأمة من إعلام الكرامات سمحت القريحة بهذه الآيات:[2][3]

يَا مَلاَذِي وَعِصْمَتِي وَعِمَادِي أَنْتَ قَصْدِي وَرَغْبَتِي وَمُرَادِي[2]

بِكَ عِزِّي عَلَى الْوَرَى وَاعْتِزَازِي وَاسْتِطَالِي يَا عُزْوَتِي وَاسْتِنَادِي

مَا بِعِلْمِي مُذْ رَجَوْتُكَ ضُعْفٌ مُسْتَكِنٌ وَلاَ ثَوَى بِفُؤَادِي

وَلاَ عِرْتَنِي مُذْ جَعَلْتُكَ حَسْبِي أَزْمَةٌ لِخَوْفٍ فِي الأُمُورِ الشِّدَادِ

وَلاَ دَهَانِي مِنْ زَمَانِي ضَيْرٌ إِلاَّ اتَّخَذْتُكَ عُدَّتِي وَلَوَاذِي

وَلاَ [قُلْت][3] سَحَائِبُ الْخَطْبِ إِلاَّ كَانَ فِي صَرْفِهَا عَلَيْكَ اعْتِمَادِي

لَوْ تَرَاخَى خَفِي لُطْفِكَ عَنِّي لَمْ يَجِزْنِي مِنَ الْخُطُوبِ اعْتِدَادِي

أَوْ تَوَارَى جَمِيلُ سَتْرِكَ عَنِّي لاَ اسْتَشْرَتْ بِي صُدُورُ الأَعَادِي

فَأَنِلْنِي مَوْلاَيَ عَطْفًا وَلُطْفًا وَحَنَانًا عَلَيَّ فِي الْخَلْقِ بَادِي

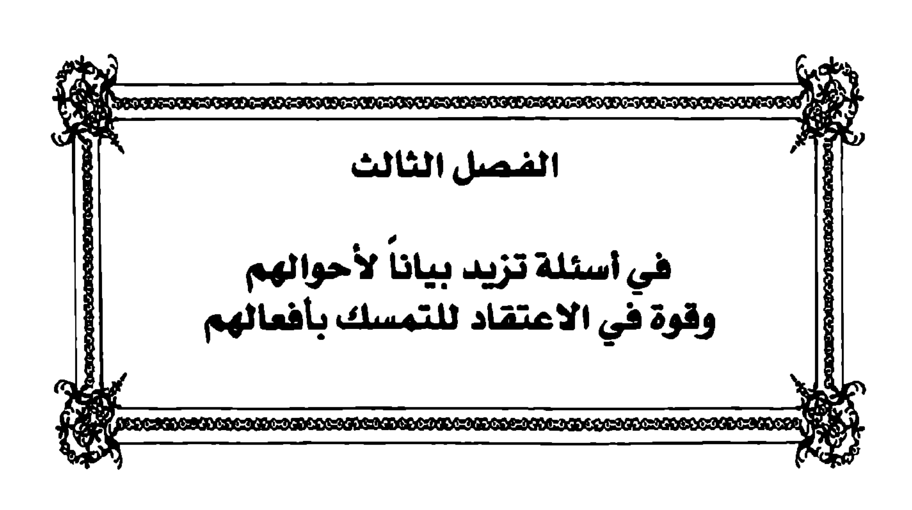
لاَ تُخَيِّبْ يَا سَيِّدِي فِيكَ ظَنِّي وَرَجَائِي وَمَأْمَلِي وَاعْتِقَادِي

---

(1) من الطويل.

(2) من الخفيف، وهي لأحمد بن إبراهيم مؤلف المنهاج الواضح موضوع هذه الدراسة.

(3) س.د.م ط. [قلت]



الفصل الثالث

في أسئلة تزيد بياناً لأحوالهم
وقوة في الاعتقاد للتمسك بأفعالهم

منها أن يقال: الخوف[1] هل هو مسلوب عن الأولياء في حال ولايتهم؟ أو هو ملازم مع ما ظهر عليهم من عجائب كراماتهم، فنقول وبالله التوفيق: حقيقة الخوف أدب النفس، وهو ثمرة المعرفة، يتولد عن العلم بالقدرة. فيوجب انخلاعا للقلب عن طمأنينة الأمن، لسبب توقع وعيد في المستقبل، وهو أعلى منزل من منازل القرب، وأجل وصف أثمر تعظيم الرب، وهو شعار الأنبياء، وحيلة الأولياء، [وبيانه][2] أن كل من علم أن له مولى قاهرا عزيزا قادرا ذا بطش شديد، ووعد ووعيد، وعلم أنه لو أهلك الأولين والآخرين دون سبب يعلم، ولا ذنب قد تقدم لم يبال بذلك، خاف لا محالة خوفا فظيعا، وأشفق على نفسه إشفاقا شنيعا، وينبغي لمن شاهد ذلك تحقيقا، وشابه من التوفيق تصديقا، حتى انكشف الغطاء عن سريرته، ورفع الحجاب[3] عن بصيرته، أن يلازم التفكر في نفسه، ويرسخ في حدسه، أن الله تعالى، قد أنعم عليه في الدنيا بضروب من النعم، وعافاه من أنواع النقم، من غير استحقاق ولا وسيلة، فيوشك أن يعذبه بأنواع من العذاب من غير جناية ولا جرم، وقد قال تعالى إجلالا وتعظيما وترفيعا، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ

---

(1) الخوف: هو ان يخاف المؤمن من نفسه، اكثر مما يخاف عدوه: وبهذا المعنى، يكون الخائف، هو الذي لا يخاف غير الله، ويخاف الله إجلال ورجاء ومن خاف الله خافه كل شيء. ومن خاف غير الله خوفه من كل شيء. راجع.

- القشيري: الرسالة م.س.ج. 342.
- الغزالي: الأحياء م.س.ج. 142.
- الأموي: حياة القلوب م.س 183.
- الشرقاوي: المعجم م.س 132.
- **** المنجد: المعجم م.س 93.

(2) م. [وبيان] ط.س.د [وبيانه]

(3) الحجاب عرفه القاشاني بانه انطباع الصورة الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق. راجع.

- القشاني: اصطلاحات الصوفية م.س 57.

شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[1] فمن كانت هذه من بعض صفاته، وجب أن تذهل العقول دائما من مخافته قال المحاسبي[2] رحمه الله تعالى: (ليس في منازل الخواص خوف، إذ لا يمكن للعارف أن يعبد مولاه على وحشة فالوعيد عنده وعد العذاب عذب لاستغراقه في مشاهدة المنعم دون النعم، وملاحظة المنتقم دون النقم ومن كانت هذه حالته، لم يبق للخوف بساحته منزل، وإنما هو في منزل، الهيبة التي هي أقصى درجة يشار إليها في الخوف، لأنها مستحقة للرب بوصف التعظيم والإجلال، وهو وصف مستحق له على الدوام) هذا قول فيه اضطراب في الأوهام، واضح لذوي الأفهام، وبيانه أن الخواص لم يخرجهم عن حقيقة الخوف جملة، وإنما جعلهم في أقصى درجة منه إذ يوصفون بعدم الخوف. فيلزم وصفهم بصفة الأمن، إذ هما متقابلان وقد قيل في قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3] أن الأمن من الخلود في النار لا من أصل العقوبة لقوله

(1) المائدة 17.

(2) هو أبو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي، ولد حوالي سنة (170 هـ 786 م) في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد، وحسب فؤاد سزكين فإن المحاسبي « أدرك الشافعي وسمع منه » ثم اضاف« لا نكاد نعرف شيئا من شيوخ المحاسبي فلا تذكر المصادر إلا المحدث يزيد بن هارون المتوفى (206 هـ 821 م)، ويتضح من كتاباته ان الحسن البصري كان اعمقهم اثرا في تفكيره» ويعد المحاسبي من اهم الاعلام التصوف الإسلامي، وقد خلف مؤلفات هامة جلها طبع: مثل

كتاب الرعاية لحقوق الله والقيام بها، كتاب الوصايا – كتاب التوهم – كتاب المكاسب – آداب النفس – كتاب المسائل في الزهد.

وقد اشار سزكين إلى باقي اسماء مؤلفات المحاسبي في لائحة اعدها لهذا الغرض، وتوفي المحاسبي سنة 243 هـ 857 م، راجع:

– السلمي: طبقات الصوفية، م.س، ص: 56.

– ابو النعيم: حلية الأولياء، م.س، ج 8، ص: 73.

– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م.س، ج 8، ص: 221.

– ابن خلكان: وفيات الأعيان، م.س ج 2، ص: 57.

– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م،س، ج 2، ص: 134.

– سزكين: تاريخ التراث العربي، م،س، ج 2، ص 437.

(3) الانعام 82.

تعالى ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1] وفي حديثه ﷺ حاكيا عن ربه «وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنيني فإذا [أمنني][2] في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا [خافني][3] في الدنيا أمنته يوم القيامة»[4] وقيل في قوله تعالى ﴿[إِنَّ][5] الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[6] وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[7] دليل على فضل مقام الخوف وأنه غالب على الأولياء لقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[8] قاله ابن العربي[9] وقال السري السقطي[10] لو أن

(1) الأعراف 99.

(2) د.م [أمنته] س.ط [أمني] ووفي كتاب الزهد لابن مبارك [أمنني] راجع: كتاب الزهد، م.س، ص: 51.

(3) د.م [أخفته] س.ط [خافني].

(4) راجع: ابن مبارك: كتاب الزهد، م.س ص: 51.

(5) في جميع الأصول [و] والصواب [إن].

(6) المؤمنون 57.

(7) المؤمنون 60.

(8) المؤمنون 61.

(9) محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد، المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، ولد في اشبيلية سنة (468 هـ 1075 م)، وكان ابوه الذي استوزره بنو عباد من اعيان الفقهاء، وقرأ ابن العربي القراءات وفي سنة 510 هـ 1126 م رحل إلى الشرق فزار مصر، ولقي بها العديد من العلماء، كابي الحسن الخلعي وابي الحسن بن داوود الفارسي. ثم انتقل إلى الشام، وبها لقي ابا حامد الغزالي، وابا بكر الطرطوشي، وابا الفضل بن الفرات الدمشقي، ثم زار بغداد، وسمع بها من ابي الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، ومن ابي زكرياء التبريزي وغيرهم، وفي سنة 489 هـ 1095 م ادى فريضة الحج وفي سنة 495 هـ 1101 م عاد إلى اشبيلية، بعد ان حصل على علم كثير، وتفنن في علوم شتى، نتيجة الأخذ عن العلماء، وملازمتهم في البلدان التي زارها، ثم ولي القضاء ببلده إشبيلية ثم عزل عنه.
ويذكر ابن ابي زرع، ان ابن العربي، قدم إلى مراكش على راس وفد اشبيلي، لتقديم البيعة لعبد المؤمن الموحدي وبقي بها ينتظر سنة كاملة، لانشغال الخليفة بحروب الماسي، بعدها قبل عبد المؤمن بيعة اهل اشبيلية، وعند رجوع ابن العربي إلى بلاده، مر على فاس وتوفي بها سنة 543 هـ 1149 م، وبها دفن ويوجد ضريحه خارج باب محروق من آثاره: احكام القرآن، طبع – القواسم والعواصم طبع– الناسخ والمنسوخ حققه العلوي المدغري – سراج المريدين وسراج المهتدين – انوار الفجر في تفسير القرآن في 80 الف ورقة. لم يطبع: راجع. – القاضي عياض: الغنية، م.س، ص: 66. – ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب م،س، ج 1، ص: 254. – ابن خلكان: وفيات الأعيان، م.س، ج 4، ص: 296.
– ابن أبي زرع: روض القرطاس، م.س، ج 2، ص: 25.

(10) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي، تتلمذ على معروف الكرخي، وهو خال الجنيد وأستاذه، صنفه السلمي في الطبقة الأولى وقال «هو اول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته» وقال ابن خلكان «كان أوحد زمانه في الورع وعلوم الدين» مات ببغداد

رجلا دخل بستانا فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول بلسان فصيح: السلام يا ولي الله، فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكورا به»[1] فالخوف إنما هو صفات العارفين عند جميع العلماء، وكفى بذلك شاهدا قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2] وأنشدوا:[3]

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ ... فَيَسْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعُ[4]

أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمُو فَقَامُوا ... وَأَهلُ الأَرْضِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ

لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ رُكُوعٌ ... أَنِينٌ مِنْهُ تَنْفَرِجُ الضُّلُوعُ

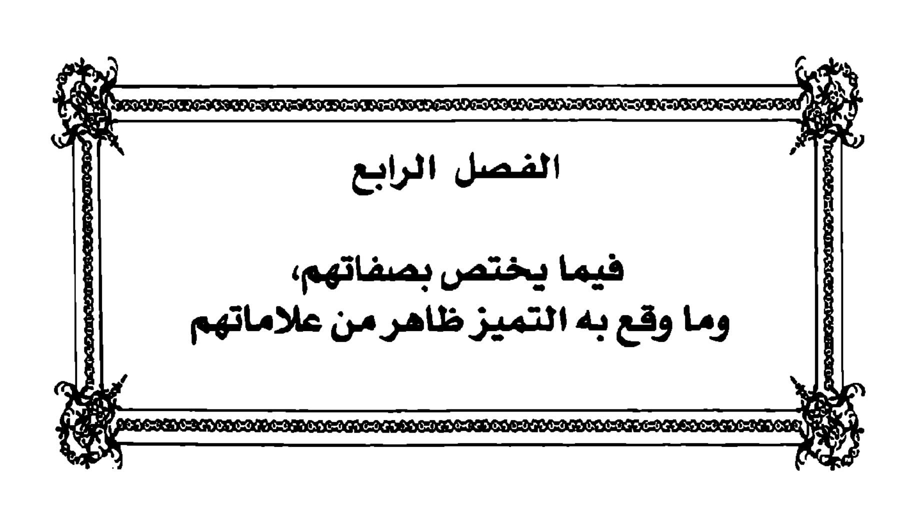
وَخُرْسٌ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتٍ ... عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعُ

سنة 256 هـ 969 م وقيل 257 هـ 870 م، راجع:
- ابو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، م.س، ص: 48.
- القشيري: الرسالة القشيرية، م.س، ج1، ص: 69.
- ابو النعيم: حلية الأولياء، م.س، ج10، ص: 116.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م.س، ج9، ص: 187.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، م.س، ج2، ص: 357.
- الشعراني: الطبقا الكبرى، م.س، ج1، ص: 74.

(1) عند ابي النعيم في حيلة الاولياء نقرا هذا النص في الصيغة التالية: «لو ان رجلا دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الاشجار عليها جميع ما خلق الله من اطيار فخاطبه كل منها بلغته وقال: السلام عليك يا ولي الله، فسكنت نفسه إلى ذلك، كانت في يدها اسيرا» راجع:
- حلية الأولياء، م.س، ج10، ص: 18.

(2) فاطر 28..

(3) من الوافر ونسبها المبرد في الكامل، لعيسى بن فاتك الحبطي، م.س، ج2، ص: 188.



الفصل الرابع

فيما يختص بصفاتهم، وما وقع به التميز ظاهر من علاماتهم

فمن ذلك قوله ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[1] «قال الحسين يمشون بالسكينة والوقار»[2] [ولا][3] يؤذون الذر. وقال أبو فروة الأسلمي[4]: قال عليه السلام «إن أقواما من أمتي [مما][5] خلقوا بعد، وسيكونون فيما بعد، يتناطحون ويتباذلون. يمشون بنور[6] الله في الناس رويدا في خفية يسلمون من الناس ويسلم الناس منهم. يرحمون ضعيفهم، ويجلون كبيرهم. يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم يعودون مرضاهم ويشيعون جنائزهم» فقال رجل من القوم يرفقون [برفيقهم][7]، فقال عليه السلام: كلا [لا رفيق][8] لهم. وهم خدام أنفسهم. هم أكرم على الله تعالى أن يوسع عليهم لهوان الدنيا عند ربهم. ثم تلا عليه السلام ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى

---

(1) الفرقان 63.

(2) راجع: الطبري، جامع البيان. م. س، ج 19، ص: 21

(3) ط. س [ولا] د [لا]. الذر جمع درة وهي أصغر النمل مختار الصحاح 221

(4) هو فورة أبو تميم الأسلمي، ذكر ابن حجر العسقلاني أن مولاه قد أرسله مع الرسول ﷺ دليلا لما هاجر إلى المدينة: راجع:

– ابن حجر: الإصابة، م. س، ج 3، ص: 206.

(5) ط. س[مما] د. م [ما]

(6) النور: اسم من أسماء الله قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور 35

والنور هو الحق. ويسمى نور الأنوار القيوم لقيام الجميع به، و النور المقدس، أي المنزه عن جميع صفات النقص. والنور الأعظم: إذ لا أعظم ولا أعلى منه.

كما يقصد بالنور اليقين بالحق والهدى والاطمئنان. كما يراد بالنور المعارف والحقائق التي تجلب اليقين في العقائد.

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم 1 راجع:

– القاشاني: اصطلاحات صوفية م س 98.

– عبد المنعم: المعجم س. 258.

– الشرقاوي: المعجم ص 276.

(7) س. م [بريقهم] ط. د. [برفيقهم]

(8) س. م [رقيق] ط. د [رفيق]

﴿الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[1] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[2] (قال مجاهد صفرة الوجوه وخشوع الجوارح[3] وقال ابن عباس، الاقتصاد وحسن السمت، والهدى الصالح، جزء من بضع وعشرين جزاء من النبوة)[4] وقال أبو أمامة الباهلي[5]: قال رسول الله ﷺ حاكيا عن ربه: «**إن أغبط أوليائي عندي مؤمن الخفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر، وكان في الناس غامضا لم يشر إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافا يتبصر عليه، ثم نقر عليه السلام بأصبعه الأرض وقال: وعجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه**»[6] وقال سعيد بن جبير[7]: سئل رسول الله ﷺ، عن أولياء الله تعالى فقال: «**هم الذين يذكر الله تعالى برؤيتهم**».

ومعناه والله أعلم، ما ورد في قوله ﷺ: «**النظر في وجه علي**

---

(1) الفرقان 63.

(2) الفتح

(3) راجع الطبري: جامع البيان: م س، ج 26، ص، 76. والسمت: الطريق وهو أيضا هيئة أهل الخير.

(4) عند ابن قتيبة انه حديث و ليس من اقوال ابن عباس، راجع: ابن قتيبة: عيون الاخبار، م.س، ج1، ص: 326.

(5) هو صدي بن عجلان كان من المكثرين لرواية الحديث، سكن مصر ومنها انتقل إلى حمص في الشام، وبها مات سنة 81 هـ 700م، وقيل سنة 86 هـ 705م، راجع:
- ابن كثير: أسد الغابة، م. س، ج 5، ص:16.

(6) ورد الحديث في مسند الإمام احمد بالصيغة التالية:
«إن اغبط اوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه و اطاعه، وكان في الناس غامضا لا يشار إليه بالاصبع، فعجلت منيته وقلت تراثه وقلت بواكيه. راجع:
الإمام احمد بن حنبل: مسند احمد بن حنبل م، س، ج 5، ص252.

(7) هو سعيد بن جبير بن هشام أبو عبد الله الكوفي، روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم، وروى عنه ابناه عبد المالك وعبد الله، وثابت بن عجلان وجعفر بن أبي المغيرة وعطاء والسائب، وكان فقيها ورعا قال العجلي: «تابعي ثقة، وكان من أكثر التابعين علما ومكانة» قتله الحجاج بن يوسف سنة95هـ 678م، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م. س، ص:184. - الدار قطني: ذكر أسماء التابعين، م. س، ج 1، ص 148.
- ابن القيسراني: رجال الصحيحين، م. س، ج1، ص 164. - ابن حجر: تهذيب التهذيب، م. س، ج 4، ص 11.

عبادة»[1] على ما رواه أبو جعفر محمد بن عبد الله البراز[2] عن أبي مسلم[3] عن عمران ابن خلف بن طليق[4] عن أبيه عن جده عن عمران بن حصين[5] قال: قال رسول الله ﷺ: «**النظر في وجه علي عبادة**»[6] فقيل: كان ؓ إذا خرج قال الناس لا إله إلا الله ما أجمل هذا الفتى. لا إله إلا الله ما أجود هذا الفتى. لا إله إلا الله، ما شجع هذه الفتى إلى غير ذلك من صفاته ؓ. فكذلك رؤية الصالحين، يذكر الله تعالى عند رؤيتهم، وقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن من عباد الله تعالى عبادا ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء، يوم القيامة» قيل يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم، فقال «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطفون بها، فوا الله إن وجوههم لنور، وأنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ**[7] ؑ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[8]

---

(1) في سنن ابن ماجة، م، س، ج1، ص:1397: «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل».

(2) لم اقف له على ترجمة.

(3) هو عبد الله بن ثوب ابو مسلم الخلاني، وقيل اسمه يعقوب بن عوف اليماني الزاهد، وهو من الثقات التابعين، مات في خلافة يزيد بن معاوية، راجع: - العجلي: تاريخ الثقات، م. س، ص511.
- الدار قطني: ذكر أسماء التابعين، م. س، ج 1، ص289. - ابن حجر: تهذيب التهذيب، م. س، ج11، ص235. - السيوطي: طبقات الحفاظ، م. س، ص:21.

(4) لم اقف له عن ترجمة.

(5) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف أسلم هو وابو هريرة عام خيبر. روى عن الرسول ﷺ وعن معقل ابن يسار، وروى عنه جماعة منهم ابنه نجيد وابو الاسود الديلي وربيعي بن حراش وغيرهم قال ابن عبد البر: «قال خليفة، استقضى عبد الله بن عامر عمران ابن حصيل على البصرة، فأقام قاضيا ثم استعفى فاعفاه وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم» مات بالبصرة سنة 52هـ 672م او سنة 53هـ 673م، راجع:
- ابن عبد البر: الاستيعاب، م. س، د 3، ص: 22. - ابن الأثير: أسد الغابة، م. س، ج 3، ص: 126.
- ابن العماد: شذرات الذهب، م. س، ج 1، ص:58.

(6) المناوي: فيض القدير م. س، ج 6، ص: 299.

(7) ورد هذا الحديث وبنفس الصيغة عند أبي النعيم في حلية الاولياء، م. س، ج1، ص:5 مع اختلاف في بعض المصطلحات.

(8) سورة يونس 62.

وقال علي رضي الله عنه : أولياء الله تعالى قوم صفر الوجوه، من السهر، عمش العيون من البكاء، خمص البطون من الطوى، يبس الشفاه من الظمأ، وقال عليه السلام «إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا، من سعة رحمة الله ويبكون سراء من خوف عذابه، أبدانهم في الأرض، وقلوبهم في السماء، وأرواحهم في الدنيا، وعقولهم في الآخرة، يمشون بالسكينة، ويتقدمون بالولاية»[1] وقال الواسطي[2]: علامة الولي أربعة حفظ السرائر، بينه وبين الله تعالى في كل ما يرد عليه من المصائب فلا يشكو، ويصون كرامته، فلا يتخذها رياء وسمعة، ولا يغفل هوانا بها، ويحمل ادنى جميع الخلق، فلا يكافئهم ويداري الجهلاء على تفاوت أخلاقهم، لأنه يرى الخلق لله مسخرين بالقدرة والارادة، وهذا كما قال بعض الحكماء: وجدت المسيء عبد الله تعالى، وربما أساء الى عبد آخر أو صديق فاحتملته إكراما له فكيف لا اصفح عن مسيء هو عبد الله تعالى تعظيما وإجلالا لله تعالى، وقال محمد بن معاد : السهر داري [في

---

(1) نقرأ النص الكامل لهذا الحديث عند ابي النعيم في حيلة الاولياء م، س، ج1، ص:16 وهو على الشكل التالي: «إن من خيار امتي، فيما نباني الملا الاعلى في الدرجات العلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم عز وجل. يذكرون ربهم بالغدات و العشي، في بيوته الطيبة ويدعونه بالسنتهم رغبا ورهبا، ويسألونه بايديهم خفضا ورفعا، ويشتاقون إليه بقلوبهم عودا، وبدء مؤنتهم على الناس خفية وعلى انفسهم ثقيلة. يدبون في الارض حفاة على اقدامهم دبيب النمل بغير مرح ولا مثله، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يلبسون الخلقاء، ويتبعون البرهان ويتلون الفرقان، يقربون القربان عليهم شهود حاضرة واعين حافظة ونعم ظاهرة يتوسمون العباد، ويتفكرون في البلاد، اجسامهم في الارض واعينهم في السماء اقدامهم في الارض وقلوبهم في السماء، وانفسهم في الارض، وافئدتهم عند العرش، ارواحهم في الدنيا، وعقولهم في الآخرة ليس لهم هم إلا امامهم قبورهم في الدنيا ومقامهم عند ربهم عز وجل».

(2) لعله ابو الفتح الوسطي قال الشعراني : «شيخ مشايخ بلاد الغربية بارض مصر وكان من اصحاب سيدي احمد الرفاعي فاشار إليه بالسفر إلى مدينة الإسكندرية، فسافر إليها واخذ عنه خلائق لا يحصون» وقال عنه النبهاني «من بيت علم وعدالة بمصر، مات سنة 480هـ 1087م، ودفن بالإسكندرية : راجع:

- الشعراني: الطبقات الكبرى م س ص 202.
- ابن الملقن : طبقات الاولياء م س ص 489.
- النبهاني : جامع كرامات الاولياء ، مرجع سابق، ج 1 ص 473.

صفة الأولياء][1] الفقر كرامتهم، وطاعة الله تعالى حلاوتهم، وحب الله تعالى حرمتهم، وإلى الله تعالى حاجتهم، الله حافظهم، ومع الله تعالى تجارتهم، وعليه اعتمادهم، وبه أنسهم، وعليه توكلهم، الجوع طعامهم إذا فقدوا، والزهد[2] ثمارهم إذا وجدوا، وحسن الخلق لباسهم، وطلاقة الوجه حليتهم، وسخاوة النفس حرفتهم، وحسن المعاشرة صحبتهم، والليل فكرهم، والنهار لاعتبارهم، وقال يحي بن معاذ الرازي[3] (الولي لا يرائي ولا ينافق، وما أقل صديق من هذا خلقه)[4]، وقال أيضا (هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة، واعتنقوا الروح بعد المجاهدة، حتى وصلوا بالعناية إلى مقام الولاية)[5]، وقال الجنيد: هم قوم شموا روح مادعاهم إليه. فارسلوا إلى قطع العلائق الشاغلة عنه وهجموا بالنفوس على معانقة الجد، وتجرعوا مرارة المكابدة، وصدقوا الله تعالى في المعاملة فأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه، وهانت عليهم المصائب، في كل ما

(1) مكرر في د

(2) الزهد يستخدم الصوفية لفظ الزهد بمعنى الغنى عن الناس، والإقبال على الله ولذلك يرتبط الزهد عندهم بالفقر. وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد. راجع:
- ابو طالب المكي: قوت القلوب ج 1، ص: 247.
- القشيري: الرسالة م.س ج 1 ص: 324.
- الغزالي: الاحياء ج 4 ص: 169.
- الشرقاوي: المعجم م.س ص: 168.
- عبد المنعم: المعجم م.س، ص: 141.

(3) هو ابو بكر يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ انتقل إلى نيسابور بعد ان عاش مدة في بلخ، يعد من كبار الصوفيين الزهاد في وقته، مات بنيسابور سنة 258هـ872م، راجع:
- اسلمي: طبقات الصوفية م س ص 107.
- ابو النعيم: حلية الاولياء م س ج 10 ص 51.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء م س ص 321.
- الشعراني: الطبقات الكبرى م س ج 1 ص81.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 11 ص 208.

(4) راجع: القشيري: الرسالة القشيرية م س ج 2 ص 523.

(5) في الرسالة القشيرية ج 2 ص 522 هم عباد تسربلوا بالانس بالله تعالى بعد المكابدة واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية.

يلقون لديه، وعرفوا قدر ما يطلبون، فسجنوا نفوسهم وهممهم عن الالتفات إلى مذكور سوى وليهم، فحيوا حياة الأبد بالحي الذي لم يزل ولا يزال:

حُضُورٌ غُيُوبٌ لاَ يَذُوقُونَ رَاحَةً ... بَأعْيُنِهِمْ دَمْعٌ يَفِيضُ لَهُ سَكْبُ[1]

نَحُولٌ مِنَ الأفْكَارِ مَرْضَى مِنَ الْبُكَا ... إذَا مَا مَضَى كُرْبٌ أَلَمَّ [بِهِمْ][2] كُرْبُ

لَقَدْ نَحَلُوا حَتَّى بَكَاهُمْ نُحُولُهُمْ ... وَبَاحَ الضُّنَى عَنْهُمْ بِمَا كَتَمَ الْقَلْبُ

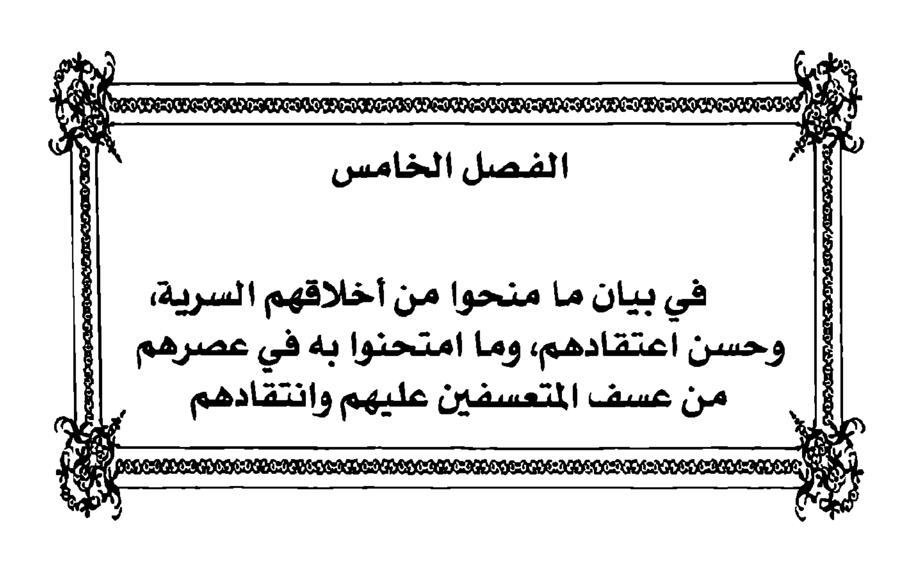
فَكَادَ سَوَادُ اللَّيْلِ يَبْكِي لِشَجْوِهِمْ ... إذَا سَجَدُوا وَالصَّبُّ يَبْكِي لَهُ الصَّبُّ[3]

---

(1) سكب من سكب الماء صبه وماء مسكوب. أي جار. قال تعالى: ﴿وماء مسكوب﴾ الواقعة 31.
- مختار الصحاح م س 305.

(2) ط س [به] د م [بهم].

(3) من الطويل



الفصل الخامس

في بيان ما منحوا من أخلاقهم السرية، وحسن اعتقادهم، وما امتحنوا به في عصرهم من عسف المتعسفين عليهم وانتقادهم

ولما كثر في [زمن][1] الصالحين عسف المتعسفين، ووكف[2] المتوكفين، ولاسيما الآن في عصرنا وفي جل مصرنا، خفيت فيه الأولياء عن، البصائر دون الأبصار، واختفت عن مشاهدة الأعيان، في جميع الأمصار، فاحتجبوا عن الناس، بحجاب الاستتار، في كهف الاستنكار، فكم ولي بين الآنام يبصرونه وهم عنه غافلون، وكم صفى [لاعلام][3] الهدى على طرق النجاة للانام متعرضون، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[4] وَأَنْشَدُوا:

إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ
قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قَلَّ وَإِنْ كَثُرُوا[5]

فسبحان من ظهر بأنواره المشرفة، على أهل الكمال، وحجب عن معرفتهم من حجبته ظلمات الجهل، والبعد والإهمال، وأعمى بصائرهم، فلم يبصروا مانشر عليهم من ألوية الكرامات وأردية الجمال، وضرب بينهم بشقاوة[6] قد سبقت لهم في أم الكتاب بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وركب في نفوسهم حسدا كامنا مستقرا، فكلما رأوا من بديع الكرامة آية تدل علي صدقهم، وتبين صحة قربهم ﴿يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا

(1) م [زمن] ط. س. د. [جواب]
(2) وكف: يوكف: مال وجار. المعجم الوسيط م. س. ج 2. 1067
(3) د. م. [الاعلام] ط. س. [إعلام].
(4) سورة يوسف 105.
(5) من البسيط وهذا البيت من اصل ثلاثة ابيات نسبها ابن العماد إلى أبي تمام: راجع
- ابن العماد: شذرات الذهب، م. س. ج 2. ص: 74.
(6) م. [الشقاوة] ط. س. د. [بشقاوة].

﴿أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾[1] من دلائل المنقول وشواهد العقول ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[2] و لله در القائل:

إِنَّ العَرَانِينَ قَدْ تَلْقَى مَحْسَدَةً
وَلَمْ تَجِدْ لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادًا[3]

وحسبك من ذلك ما ورد في حديث أسامة بن زيد. وفيه قال عليه السلام «**ويح هذه الأمة ماذا يلقي منهم من أطاع الله عز وجل كيف يكذبون ويقتلون**»[4] فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله الناس يومئذ على الإسلام، فقال يا عمر «**تركوا الطريق، وركنوا إلى الشهوات واللذات فيهم في طيب الطعام، ولين اللباس يتباهون به، فإذا تكلم أولياء الله وعليهم العباء[5] محنية أصلابهم، قد ذبحوا أنفسهم بالجوع والعطش، كذبوا، وقيل أنتم قرناء الشيطان ورؤس الضلالة يتلون عليهم ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾[6][زالة][7] يتأولون كتاب الله على غير دين الله فاستذلوا أولياء الله**»[8]، وقال أبو تراب النخشي[9]: (إذا ألف القلب الإعراض عن

---

(1) القمر 2 – 3 و4.

(2) القمر 4 و5.

(3) من البسيط.

(4) لم اعثر لهذا الحديث على مصدر.

(5) العباء: كساء مشقوق واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب، المعجم الوسيط م. س. ج 2. 525..

(6) الاعراف 32

(7) زائد في ط.

(8) لم اقف لهذه الحديث على مصدر.

(9) هو ابو تراب عسكر بن الحسن النخشي، من كبار الزهاد في خراسان. كان من المشاهير بالعلم والورع. وهو من تلامذة حاتم الأصم وأبي حاتم العطار. مات سنة 245هـ 859م، راجع:
– السلمي: طبقات الصوفية، م. س. ص: 146
– القشيري: الرسالة القشيرية م، س،ج 1، ص: 355.
– ابن الملقن: طبقات الأولياء، م. س، ص: 355
– الشعراني: الطبقات الكبرى، م. س، ج 1، ص:83.

الله، صحبته الوقيعة في أولياء الله)[1] وفي حديث محمد ابن مسلمة[2] عن عبد الرحيم عن عتبة اللخمي[3] عن أبي الدهماء[4] أنه قال: لقي أبو مسلم الخولاني[5] أبا مسلم «الحليلي»[6]، فقال الحليلي للخولاني: كيف منزلتك عند قومك، فقال الخولاني: إنهم ليعرفون حقي، ويعرفون شرفي، فقال الجليلي: ماهكذا تقول التوراة: إن أشد الناس بغضا للمرء لصالح قومه، أو من هو بين أظهرهم، إن أشد الناس [لهم][7] حبا أبعد الناس [منهم][8]، فقال أبو مسلم الخولاني: صدقت التوراة، وكذب أبو مسلم، وفي حديث الأصمعي[9] عن العلاء بن إسماعيل[10] عن رؤية

(1) ورد هذا القول عند ابي النعيم في حلية الاولياء، ج 10، على الشكل التالي: «إذا ألفت القلوب الاعراض صحبتها الوقيعة في الاولياء».

(2) راجع: إحالة رقم: 333 الفصل أول من الصدر.

(3) ذكر كل من ابن الاثير في أسد الغابة ج 3 ابتداء من ص 452 وابن حجر في التهذيب ج 7 ابتداء من ص: 93، العديد من الاعلام كلها تحمل اسم عتبة. ولم يوجد من بينها عتبة اللخمي المذكور في النص.

(4) هناك علمان يحملان نفس اسم ابي الدهماء، ذكرهما الذهبي في ميزان الاعتدال، الاول، أبو الدهماء: حدث عن بن عمرو وقال فيه ابن حبان يجوز الاحتجاج به. والثاني أبو الدهماء خادم أنس بن مالك ولم يشر الذهبي إلى تاريخ وفاتهما. راجع الذهبي ميزان الاعتدال ج 4، ص522 – 553.

(5) هو أبو مسلم الخولاني العابد، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ، وكان قد ادرك الجاهلية. ويعد من كبار التابعين، وكان ناسكا عابدا. روى عنه أبو إدريس الخلاني وغيرهم، من تابعي اهل الشام. وكان ذا كرامات وفضائل. راجع: – ابن الأثير: أسد الغابة م. س، ج 5. ص: 288.

(6) هو ابو مسلم الحليلي: وليس الجليلي كما ورد في النص، ذكر ابن الاثير انه ادرك النبي ﷺ. واسلم في خلافة معاوية راجع: ابن الأثير: أسد الغابة، م. س، ج 1 ص: 288.

(7) ط. س [له] د. م [لهم].

(8) ط. س [منه] .د، م [منهم].

(9) هو عبد الملك بن قريب بن علي ابو سعيد الأصمعي، ولد سنة 122هـ 740م، وهو راوية العرب المشهور واحد الاعلام البارزين في علم اللغة والشعر والاخبار والنوادر، لا تخلو الكتب الادبية من اخباره مثل: الكامل للمبرد والبيان والتبيين والحيوان والبخلاء للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وذكر ابن النديم في الفهرست، لائحة ضمت مصنفاته التي طبعت في عدة طبعات مثل: خلق الإنسان – الأنوار – المقصور والممدود – اصول الكلام – معاني الشعر.
ومات الاصمعي بالبصرة سنة 216هـ 831م راجع:
– ابن النديم: الفهرست 82.
– ابن خلكان: وفيات الاعيان، م. س، ج 3، ص: 170.
– الزر كلي: الاعلام، ج 4، ص: 307.

(10) في الميزان الاعتدال للذهبي: «العلاء بن اسلم» وليس العلاء ابن إسماعيل كما ورد في النص.

بن العجاج[1] قال أتيت النسابة البكرى[2] طالب علم، فقال لي من أنت؟ فقلت رؤية ابن العجاج، فقال قصدت وعرفت فما جاءبك؟ فقلت طلب العلم، قال فلعلك من قوم أنا بين أظهرهم إن سكت لم يسألوني وإن تكلمت لم يعوا عني؟ قلت أرجو ألا أكون منهم، فقال أتدري ما آفة المروءة قلت لا، فأخبرني، قال جيران السوءان رأوا حسنا دفنوه، وإن رأوا سيئا أعلنوه، ثم قال يا رؤبة إن للعلم آفة، وهجنة[3]، ونكرا، فآفته نسيانه وهجنة أن تضعه عند غير أهله، ونكره الكذب فيه، وقال أبو بكر ابن العربي رحمة الله في كتابه المسمى بالسراج[4]، وذكر قصة إبراهيم بن أدهم حين كتب في بطاقة البيتين المشهورين[5]: أنا حامد، أنا شاكر الخ...

ودفعها رسوله إلى النصراني، فأعطاه مائة دينار، فقال هذه من آداب أهلك تلك الأوطان مع صالحي بلادهم، وفقراء زمانهم، وأما أهل بلادنا راجع الله تعالى بهم، فلو وقعت تلك الرقعة في يد فقيه، أو عالم لبصق

(1) رؤبة بن العجاج أشار إليه بن سعد في الطبقات في ترجمة الحسين ابن ابي الحسن، وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ان رؤبة روى عن ابيه. وعنه روى العلاء ابن اسلم وانه كان شاعرا، واورد قول النسائي «إن رؤبة ليس بثقة» وتوفي سنة 145هـ762م، راجع:
- ابن سعد: طبقات ابن سعد، م. س، ج 7، ص: 166.
- الذهبي: ميزان الاعتدال م. س، ج 2، ص:56.
- ابن خلكان: وفيات الاعيان م. س، ج 2، ص: 303.

(2) ذكر أبو منصور السمعاني في كتابه الأنساب ج 1، ص: 385، اسماء لاعلام كلهم يحملون لقب البكري، ويبدو ان البكري المذكور في النص كان من نسابة القرن الثاني الهجري، بدليل انه كان معاصرا لرؤبة المتوفى سنة 145هـ762م.

(3) الهجنة: العيب والقبح: يقال في كلامه هجنة. المعجم الوسيط ج 2: ص: 984.

(4) عنوان هذا الكتاب عند حاجي خليفة هو سراج المريدين، وعند علي محمد البخاري: سراج المريد وسراج المهتدين. راجع: حاجي خليفة: كشف الظنون، مرجع سابق، ج 2، ص: 984.
علي محمد البخاري: مقدمة تحقيق احكام القرآن لابن العربي، م. ص: ج 1، ص: 6.

(5) هي في الأصل ثلاثة ابيات وردت في حلية الأولياء وهي :

«أنا حاضر، أنا ذاكر، أنا شاكر   أنا جائع، أنا حاسر، أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين بنصفها   فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك نار خطتها   فاجر فديتك من دخول النار»

عليها، وطرحها، ولو وقعت [بيد][1] ظالم فضلا عن مشرك نصراني لم يلتفت إليها، ولا عرج على صاحبها، قلت لقد صدق الفقيه أبو بكر في قوله رحمه الله، لما عايناه في عصرنا، وشاهدناه في مصرنا، مع من أدركناه من صالحي أوليائنا، وفضلاء علمائنا، ولقد حدثني جملة وافرة من فضلاء طائفة شيخنا رحمة الله ممن كان يزوره من أقاصي البلاد، أنهم سمعوه يقول متى وفدوا عليه: اسألوا عني فإذا قربتهم فاقطعوا السؤال لئلا يفسد الناس عليكم ما اعتقدتموه في زيارتكم، وعلى الجملة يا أخي فاعلم أن اعتقاده الخير فيهم، وتنزيه الباطن والظاهر عن كل ما ينافيهم، ركن من أركان الدين وعروة واثقة من عرى اليقين، وفي نجاتك من مدارك العطب وسلم تدرك به كل مرغوب في الطلب، والله تعالى هو العاصم من زلات المهالك، ولقد أحسن من قال في مثل ذلك:[2][3][4]

تَقَوَّى الشَّرُّ إِذْ ضَعُفَ الْيَقِينُ ... فَلاَ أَثَرَ لِخَيْرٍ يَسْتَبِينُ[2]

وَبَادَ الصَّالِحُونَ وَمَا تَبَقَّى ... لَنَا أَحَدٌ لَهُ فَضْلٌ يَبِينُ

وَقَدْ زَالَتْ عُقُولُ النَّاسِ عَنْهُمْ ... وَدَاخِلَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا جُنُون

قُلُوبُهُمْ مِنَ التَّقْوَى خَلاَءٌ ... وَقَدْ مُلِئَتْ مِنَ الْحَرَمِ الْبُطُونُ

[فَلَسْتَ][3] تَرَى سِوَى مَهْزُولَ دِينٍ ... وَجِسْمٍ بَادِنٍ ضَخْمٍ سَمِينُ

وَقَدْ خَانَ الثِّقَاتُ بِكُلِّ أَرْضٍ ... فَلَيْسَ يُرَى عَلَى شَيْءٍ أَمِينُ

وَلَوْ وَثِقَتْ[شَمَالُهُ][4] عِنْدَ خَطْبٍ ... بِيُمْنَاهَا لَخَانَتْهَا الْيَمِينُ

بِهَذَا سُلِّطَتْ فِتَنٌ عَلَيْنَا ... دَوَاجٍ مَا لَهَا نُورٌ يَبِينُ

وَنَالَ عَدُوُّنَا ظَهْرًا عَلَيْنَا ... فَأَسْلَمَنَا لَهُ الرَّبُّ الْمُعِينُ

---

(1) ح م [بين] ط. س، [بد].

(2) من الوافر.

(3) م.[ولست] ط. س. د. [فلست]

(4) م. [شمال] ط. س. د[شماله]

وَلَـمْ تَـأْخُـذْ بِمَا لَمْ نَجْتَـرِمْـهُ ... وَلَـكِـنَّا نُـدَانُ كَـمَا تَـدِينُ

عُـقُوبَـتُـنَا أَتَـتْـنَا بِالْمَعَـاصِي ... وَلَـوْلَاهُـنَّ مَـا كَـانَتْ تَـكُـونُ

فَأَلْـقَتْ بَيْنَنَا بَـأْسًا شَدِيدًا ... وَدَارَتْ بَـيْـنَنَا أَبَـداً فُـتُـونُ

فُـتُونٌ تَـسْتَـدِيـرُ بِـنَا رَحَاهَـا ... فَتَطْحِنُنَا وَلَـيْسَ لَهَا سُكُونُ

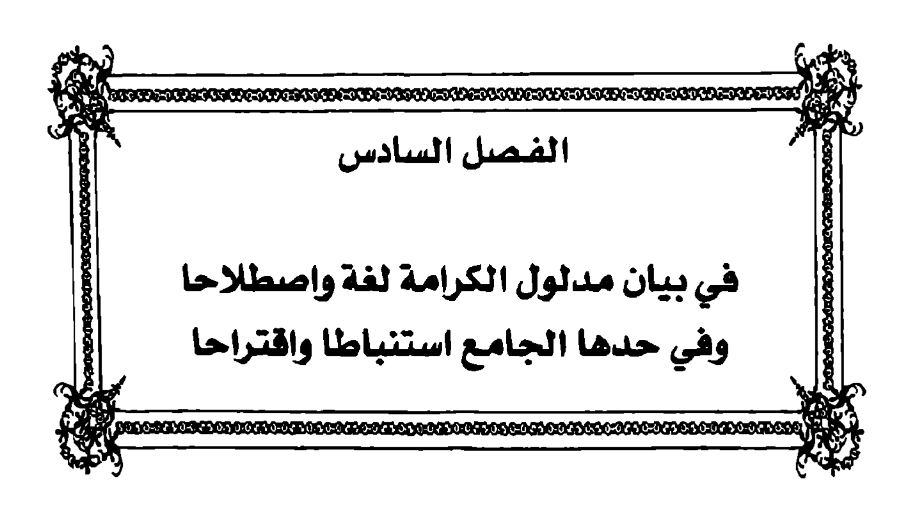
فَـيَا مَـنْ لُـطْفُهُ فِي كُـلِّ حَيٍّ ... وَمَـنْ حَـبْلُ بِـرَحْمَتِهِ مَتِـينُ

جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْكَ ضَجُّوا ... بِـأَصْـوَاتٍ تُحَـرِّكُـهَا شُجُونُ

وَقَـدْ رَفَعُـوا أَكُـفَّـهُـمْ رَجَاءً ... وَقَـدْ قَـرِحَتْ بِأَدْمُعِـهَا الْعُيُونُ

لِتَكْشِفَ عَـنْهُمْ فِتَنًا عِظَامًا ... سَحَـائِبُهَا عَلَى الْآفَـاقِ جُـونُ

فَسَكِّنْهَا بِفَضْلِكَ يَا إِلَـهِي ... فَـكُـلٌّ مِـنْ مَـصَائِـبِهَا حَزِينُ



الفصل السادس

في بيان مدلول الكرامة لغة واصطلاحا وفي حدها الجامع استنباطا واقتراحا

فأقول وبالله التوفيق:

الكرامة من جملة ما وقع التعبد، بتصديق وقوعها، بظاهر العلم اتفاقا، من غير تفصيل؛ لأنها ليست سببا للريبة، ولا مظنة لها لوضوح الدلالة العقلية، والنقلية على صحتها، ثم وقوعها وإثباتها، أبلغ في كمال القدرة على القوانين الشرعية، وليست محالا عند التعقل والتسطير، فوجب القول بجوازها على كل تقدير، ولفظها في اللغة اسم مشتق من التكريم أو الإكرام، يقال وليني منه كرامة، معناه فضلا وتفضلا، وهذا على قول من جعل التكريم بمعنى التفضيل. والإكرام بمعنى الإفضال، وفي الاصطلاح معلوم خارق للعادة، ظهر على يد الولي، من غير دعواه، يعقبه، وقوع العلم بالتصديق ضرورة، وهذا الحد مشتمل على قيود:

القيد الأول: قولنا معلوم، ليتناول الموجود وغير الموجود، فالموجود كفاكهة الشتاء صيفا، وغير الموجود كما تقدم الرؤية الباصرة من أعين الناظرين إليه، ممن أراد ضره من قطاع الطريق أو غيرهم من أهل التفسيق، وكعدم اذاية السباع له، وجملة الحيوان المؤذي لغيره طبعا.

القيد الثاني: قولنا خارق للعادة، تحرزا من الأفعال العادية التي لا تدل بنفسها، وإنما دلت من جهة العادات، ويصح خرقها عقلا.

القيد الثالث: قولنا ظهر على يد الولي تحرزا، مما يظهر على غير الولي، كالسحر، والشعوذة، والكهانة.

القيد الرابع: قولنا من غير دعواه إخراجا للمعجزة من هذا الحد، وهذا هو الحد[1] الفارق الأعظم بين المعجزة والكرامة عند الجمهور، من محققي أهل الأصول، ممن يقول بجواز وقوع الكرامة.

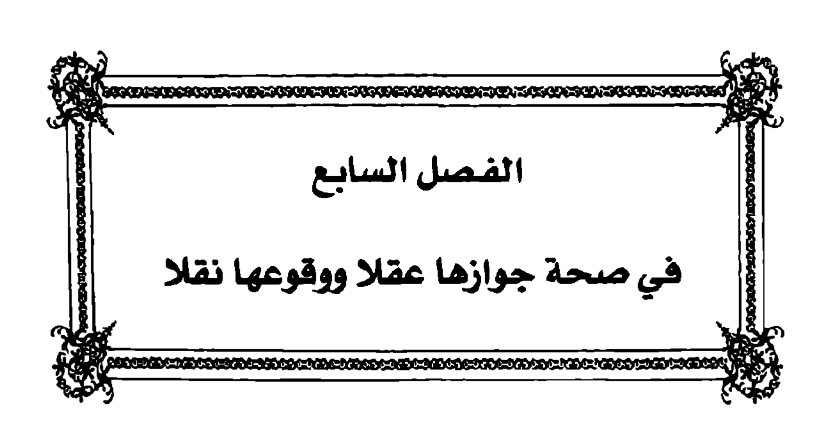
القيد الخامس: قولنا يعقبه وقوع العلم بالتصديق، ضرورة، ذلك أن القرائن الحالية، لما كانت في الغالب غير منضبطة، كان علمها مرتبا على أسباب غير منضبطة، وحينئذ يصير كل سبب هذا شأنه لا يستدل على كمال سببه، إلا بالعلم المرتب عليه. فإذا ظهرت الكرامة، على يد صادق، وحصل العلم الضروري بصدقه، علمنا ولايته قطعا لحصول قوة العلم. وإن ظهرت على يد غير الصادق، لم يحصل لنا ذلك العلم، لأن الله تعالى لم يخلق لنا علما بالتصديق، وهذا أصل مطرد، كما في الخبر المتواتر، الذي هو سبب للعلم الضروري، الذي به وقع القطع والتصديق، حتى أن لو كان فيهم كاذب أو كانوا كذبة لم يخلق الله تعالى لنا العلم بالتصديق والله أعلم، فإن قالوا الدال على الصدق إنما هو الخارق المقترن بالدعوى، فلا يكون دالا على صدق ولاية صاحبه، ولا على كذبه، قلنا ما يدل بنفسه، لا يتصور فيه الشرط، كالأدلة العقلية. وإلا لزم تغير صفة ماهية الشيء الممكن. وحينئذ يلزم منه قلب الحقائق والله أعلم وانشدوا:

أَضَاءَ رِيَاضُ الْعَارِفِينَ بِنُورِهِ وَكَيْفَ تَلُوحُ الشَّمْسُ لِلأَعْيُنِ الرُّمَدِ[2]

---

(1) م. [الحد] ط.ص.د [القيد].

(2) من الطويل.



الفصل السابع

في صحة جوازها عقلا ووقوعها نقلا

لو امتنع الجواز لما وقع وقد وقع فلا يمتنع، بيان الملازمة أن خوارق العادات كلها مقدورة، لله تعالى، إبتداء والقدرة لا تتخصص ببعض الممكنات دون بعض مع إمكان تعلقها بأكثر مما تعلقت به أو أقل وتعلقها بما تخصصت به ليس من ذاتها لأن ذاتها بالنسبة إلى سائر الممكنات على وجه السواء فكما جاز تعلقها بالمعجزة جاز تعلقها بالكرامة والاختلاق في التسمية لا يوجب الاختلاف في الحقيقة الذاتية ولا يستلزمه والإلزام الإمكان والافتقار إلى مخصص وهو على الله تعالى محال ثم لو لم يكن مقدورا لله تعالى لما وقع أمثالها معجزة فكما جاز وقوعها معجزة للأنبياء جاز وقوعها كرامة للأولياء ولا يمتنع ذلك عقلا لما يلزم من انقلاب الممكن محالا ثم [جوازا][1] وقوعها لو امتنع لكان امتناعه أما لحقيقة ذاتها وهو باطل لأن كل ما كان عدمه ذاتيا لا يصح أن يكون «حصوله إلى فرض المحال وحينئذ يلزم من امتناعها وجوب امتناع وجود مثلها مطلقا وقد وجد انتفاؤه حالة وجوده محال وجواز وقوع أمثال ما وقع لا يستحيله العقل وأما أن يكون امتناعها لما يلزم في جواز وقوعها من التأدية إلى تولد مفاسد، والإفضاء إلى توقع ما يستقبحه من قبح المقاصد» وهو باطل لما يستلزمه من كون المصالح موجبة للمفاسد ثم النزاع إنما وقع في جواز وقوعها لا في جواز تعلقها [بالمصالح والمفاسد][2]، فإن قلت فما فائدتها، قلنا الكرامة درجة عظيمة على الخصوص ظاهرا مع احتمال أن تكون فائدتها وقوع المقدور السابق في الأزل ونفوذه على وفق العلم والإرادة مع إظهار القدرة وإبرازها لتلك الأفعال المرادة فتكون كالامارة

---

(1) م [شواد] ط.س.د [جوازا].

(2) م [بالمفاسد والمصالح] ط.س.د [بالمصالح والمفاسد]

المبشرة والمنذرة دون العلة الموجبة ثم هي مثمرة للترجي والطمع الباعثين على الطلب الذي هو دائر بين الظفر بالمطلوب وبين مخافة فوته وهي محركة للسعي والتمادي عليه فينبعث من ذلك جملة الوظائف التي هي سنة العبد، والرجاء والطمع مدرجتان للعبودية ومواهب من مواهب الربوبية ويحتمل أن تكون الفائدة أن الله تبارك وتعالى جعل من جميل لطفه وإحسانه ومنائح عطفه وامتنانه لخواص عباده ما سكن به طباعهم البشرية أن وضع لهم تلك الخوارق كرامة تتأنس بها نفوسهم وعلامة ترتاح إليها قلوبهم لكي يخفف عنهم بذلك ثقل العبادة كما ورد في قصة مريم بنت عمران في قوله : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[1] يتسرى[2] بذلك ما أظهرته من شدة حزنها هذا مع علو شأنها قاله المفسرون ثم جعلها بين الرجاء والخوف، المثمرين لوظيفتي الشكر والصبر، عند التقلب في أطوار السراء والضراء. والشدة والرخاء. ومن وراء ذلك علم الله تعالى فيهم. وعلى كل تقدير لا يجوز اعتقاد خلوها، من فائدة أدهى من الأسباب، الداعية إلى التمسك بالطاعات. وهي تمحيص للولي وتمييز للغوي. وتحقيق لمجوزات أحكام العقول، حتى تشهد العقول بصحتها لأهل الصلاح، بصدق الشريعة، ويتحقق ذوو الألباب، بذلك علو درجاتهم الرفيعة [لأنها][3] من أوضح الشواهد، يتحقق على صدق من وفق لذلك [وأظهر][4] العلامات [من اصطفاه][5] على عصمة الله تعالى من أولائك ﴿[و][6] مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

---

(1) سورة مريم 24.

(2) يتسرى : انسرى عنه الهم انكشف. مختار الصحاح م س 297.

(3) ط. [لها] س.م.د [لأنها].

(4) سقط من د.م.

(5) [و] زائد في ط.س.

(6) [و] زائد في ط.س.

الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] وانشدوا:

لاَ تَعْجَبَنَّ بِمِثْلِهَا مِنْ مِثْلِهِمْ
فَالصِّدْقُ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ[2]

ويحتمل أن يكون هنالك فوائد، لا نعلمها، وأسرارا غامضة لا نفهمها. قد اطلع الله تعالى [عليها][3] أولياءه وكشف[4] على حقيقتها أصفياءه فستروها عن غير أهلها. وكتموها، عند عدم محلها. وكتمانها من شروط صحتها، عند غالب الأولياء، ومن قال بجوازها من العلماء الأتقياء، وذلك من سننهم المعروفة وأحوالهم الموصوفة، ولله در القائل:

مَنْ سَارَ رُوهُ فَأَبْدَي السِّرَّ مُعْتَمِدًا   لَمْ يَا مَنُوهُ عَلَى الْأَسْرَارِ مَاعَاشَا
وَأَبْعَدُوهُ فَلَمْ يَحْظَى بِقُرْبِهِمْ   وَأَبْدَلُوهُ بُعَيْدَ الْأُنْسِ إِيحَاشَا[5]

ثم ينتشي لنا غير هذا الأصل أربعة فروع:

الفرع الأول:

فيما تكلمت به الأئمة، واختلفت فيه الأمة، وهي معجزات الأنبياء، عليهم السلام كانشقاق القمر، وانفلاق البحر، وقلب العصا وتسبيح الحصى، واستدعاء الرمة فتقوم صحيحة ودعاء الميتة فتجيب،

---

(1) سورة آل عمران179 .

(2) من الكامل

(3) م بعليه] ط.س.د [عليها]

(4) الكشف هو الاطلاع على ما رراء الحجاب، من المعاني الغيبة، والامور الحقيقية. ويقال عند الصوفية أيضا: كشف عنه الحجاب، اي حجاب الظلمة، فيرى الحقائق.وهي بعين البصيرة. والكشف الحق، هو الذي لا يعارض الكتاب والسنة. راجع: - القشيري: الرسالة م س ج 1 ص 245. - الغزالي: الإحياء كتاب عجائب القلب،ج 3 ص 18.
- عبد المنعم: المعجم م س 225. - الشرقاوي: المعجم م س 242.

(5) من البسيط.

فصيحة. وجميع آياتهم العظيمة، ومعجزاتهم الكريمة، هل يقع ذلك كرامة للأولياء وحلية للأصفياء؟ فمنعه قوم لما يستلزمه، عندهم من تكذيب النبي القائل في تحديه «**لاَ يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتُ بِهِ**»[1] ورد هذا القول بأنه لا خلاف بين الأئمة، أن الشيء الواحد من خوارق العادة، يجوز ان يكون معجزة لنبي، بعد نبي، ولا يكون وقوعه ثانيا، تكذيبا للأول. وأجابوا عن هذا الرد، بجواز أن يكون الأول قد قيد دعواه بقوله: «**لاَ يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا أُتِيتُ بِهِ إلاَّ نَبِيٌّ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ**»[2] ورد هذا بما يعارضه من جواز تقييد دعواه، بعد تسليم جواز التقييد، في دعوى النبوة أن يقول: لا ياتي احد بمثل ما أتيت به، إذا كان متمنيا أو مفتريا، أو من يريد بذلك تكذيبي. وحينئذ تخرج الكرامات من هذا التقييد. وليس تقييد أولي من تقييد، قال إمام الحرمين[3] (قد صار بعض أصحابنا، إلى أن ما وقع معجزة لنبي، لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي)[4] [وهي][5] طريقة غير سديدة، والمرضي عندنا تجويز وقوع خوارق العادات، في معرض الكرامات. وقال ابو بكر بن فورك[6] «خوارق

---

(1) عند السيوطي في تنوير الحوالك باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، ج1، ص212، نقرا هذا الحديث بصيغة مماثلة: «ولم يات احد احد بافضل مما جاء به إلا احد عمل اكثر من ذلك».

(2) نفس المصدر والصفحة.

(3) هو عبد المالك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ابو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، ولد سنة 419هـ 1028م، في جوين من نواحي نيسابور، أخذ عن والده، ثم انتقل إلى بغداد، ولقي بها جماعة من العلماء ثم التحق بمكة وبقي مجاورا بها لمدة اربع سنين، ثم انتقل إلى المدينة. فقام بالتدريس والفتيا فسمي لذلك إمام الحرمين. ثم عاد إلى نيسابور وأصبح يدرس بالمدرسة النظامية، التي اقامها الوزير نظام الملك. له كتب جلها تم طبعه ومنها: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية– الإرشاد في أصول الدين– الورقات في أصول الفقه. ومات إمام الحرمين سنة 478هـ – 1085م. راجع: – ابن خلكان: وفيات الأعيان، م.س ج 3، ص167.

– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10 ، ص145.

– ابن قنفذ : وفيات ابن قنفذ / م.س، ص258

– ابن العماد: شذرات الذهب، م.س، ص: 358.

(4) راجع : العزفي دعامة اليقين، م.س.ص27.

(5) م. [وهي] ط.س.د [وهذه].

(6) هو محمد بن الحسن بن فورك الانصاري الاصبهاني، كنيته ابو بكر. الفيلسوف المفسر اللغوي من=

العادات دلالة الصدق، فإن ادعى صاحبها النبوة، فهي تدل على صدقه. وتسمى معجزة، وإن أشار صاحبها إلى الولاية، دلت على صدقه في حالته [وتسمى][1] عند ذلك كرامة. ولا تسمى معجزة. وإن كانت من جنس المعجزات للفرق [الواقع][2] بينهما»[3] وقال القاضي أبو بكر الأشعري[4] «المعجزة تختص بالأنبياء والكرامة تكون للأولياء، والمعجزة لا تكون معجزة، لعينها وغنما تكون معجزة لحصولها، على أوصاف كثيرة. وشروط كثيرة. فمتى اختل شرط من تلك الشروط أو وصف من تلك الأوصاف، لا تكون معجزة. واحد تلك الشروط والأوصاف دعوى النبوة والولي لا يدعي النبوة»[5] وأكثر ما يوجد في المعجزات يوجد في الكرامات، إلا شرط الدعوة. وهذا هو الذي نعتقده، وندين به، ولقد سمعت بعض الفضلاء ممن أدركت يقول: قال سيدي أبو مدين يوما لأصحابه، كل معجزة كانت للأنبياء، ظهرت كرامة للأولياء في هذه

=فقهاء الشافعية سمع بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور وبنى فيها مدرسة. من تلاميذه القشيري المتوفى سنة 465هـ وقيل غنه الف اكثر من مائة كتاب، منها كتاب حاول فيه تأويل الحديث. ويحمل عناوين مختلفة اشار إليها فؤاد سزكين: مثل كتاب الحدود والأصول- اسماء الرجاء - النظام في أصول الدين- رسالة التوحيد.

وقيل إنه مات مسموما سنة 406 هـ 1015م، راجع:

- ابن خلكان: وفيات الاعيان، م.س، ج 4 ص: 272.
- التجيبي: برنامج التجيبي، م.س، ص 212.
- الزركلي: الاعلام، ج 6، ص: 313.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، م.س، ج 2، ص: 387.

(1) ط.س [فتسمي] د.م [وتسمى]

(2) سقط من د.م.

(3) في الرسالة القشيرية للقشيري باب كرامات الأولياء ج 2، ص: 661. نقرأ هذا النص في الصيغة التالية: «للمعجزات دلالات الصدق، ثم إن ادعى صاحبها النبوة بالمعجزات تدل على صدقه في مقالته، وإن اشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في مقالته، وإن اشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حاله فتسمى (كرامة) ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات للفرق».

(4) اشار إليه القشيري في رسالته بانه : «كان أوحد زمانه» القشيري الرسالة م.س ج 2 ص 661.

(5) اشار إليه القشيري في رسالته في باب كرامات الاولياء، ج 2 ص 661. ووصفه بانه كان "أوحد زمانه" ونسب إليه العزفي كتابا كبيرا في الكرامات راجع: دعامة اليقين م.س، ص25.

الأمة، تشريفا وتعظيما وتكريما لنبينا محمد ﷺ. فقيل له يا سيدي وهل وقعت لبعض الأولياء كرامة، بانقلاب العصا حية. قال: نعم كنت أنا وشيخنا فاضلا من شيوخ بلادنا بأرض الأندلس، في سياحة في بعض السواحل فبينما نحن ذات يوم في بعض السواحل، ونحن في الصلاة إذا بصيادين من الروم قد [هدتهم](1) الجوارح(2) علينا فتقدمت الجوارح. وكان الشيخ مما يليهم وعصاه من كوز بين يديه فانقلب العصا ثعبانا فطرد الجوارح والصيادين، حتى بعدوا ثم عاد فصار واقفا بين يديه ثم عادت الجوارح وأربابها في أثرها حتى إذا قربوا من الشيخ، انقلب العصا ثعبانا، أعظم من الأول فطرد الجوارح وأربابها، حتى غابوا عناء ثم عاد إلى موضعه، فصار عصا كما كان. فلم يعودوا بعد. فأخذ الشيخ عصاه بيده وسرنا من ذلك الموضع والله أعلم وأنشدوا:(3)(4)

نَهَانِي حَيَائِي مِنْكَ أَنْ أَكْتُمَ الْهَوَى ... وَأَغْنَيْتَنِي بِالْفَهْمِ مِنْكَ عَنِ الْكَشْفِ(3)

تَلَطَّفْتَ [فِي أَمْرِي](4) فَأَبْدَيْتَ شَاهِدِي ... إِلَى غَائِبِي وَاللُّطْفُ يُدْرِكُ بِاللُّطْفِ

تَرَاءَيْتَ لِي بِالْغَيْبِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يُبَشِّرُنِي بِالْغَيْبِ أَنَّكَ فِي طَرْفِي

أَرَاكَ وَبِي مِنْ هَيْبَتِي لَكَ وَحْشَةٌ ... فَتُؤْنِسُنِي بِاللُّطْفِ مِنْكَ وَبِالْعَطْفِ

وَذَا عَجَبٌ كَوْنُ الْحَيَاةِ مَعَ الْحَتْفِ ... وَتُحْيِي مُحِبًّا أَنْتَ فِي الْحُبِّ حَتْفُهُ

الفرع الثاني:

أن يقال كرامات الأولياء لاحقة بمعجزات الأنبياء، فكرامات كل أمة لاحقة بمعجزات أنبيائها. فكرامات أولياء هذه الأمة. لاحقة بمعجزات نبينا محمد ﷺ.

---

(1) د.م [هدتهم] ط.س [أهدتهم].

(2) الجوارح: الجوارح من الطير والسباع، والكلاب: ذوات الصيد لأنها تجرح لأهلها أي تكسب لهم، الواحد جارحة، راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص423.

(3) من الطويل.

(4) م.د [بي أمرا] ط.س [في أمري]

قال الإمام الأوحد عز الدين، مفتي الإسلام، أبو محمد، عبد العزيز ابن عبد السلام[1]: ما من عارف من أمة محمد ﷺ، ولا ذي حال كريم أو مقام عظيم من كل ما يتقرب به إلى الله تعالى، إلا وله عليه السلام مثل أجر ذلك العمل، مضافا إلى أجور معارفه وأعماله، وما من درجة عليه ولا رتبة سمية نالها احد من أمته، باتباعه وإرشاده إلا وله مثلها، مضافا إلى درجاته وعلو مرتبته ومقاماته ﷺ. وقد يضاعف له ذلك، لأن كل من دعا من أمته إلى هذا أو سن سنة حسنة، كان له أجرها واجر من عمل بها على عدد العاملين. ثم يكرر ذلك مضافا لنبينا محمد ﷺ. وقال أبو زيد البسطامي[2] (ما حصل لنبينا عليه السلام، كمثل زق فيه عسل، ترشح

(1) هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم «المغربي أصلا» الدمشقي مولدا المصري دارا ووفاتا. الملقب بسلطان العلماء. كانت ولادته سنة 577هـ 1081م اخذ عن جماعة من العلماء، كأبي الحسين احمد بن المازني وعبد اللطيف بن اسماعيل الصوفي، والقاسم بن عساكر والسيف الآمدي. وروى عنه تلاميذه، مثل تقي الدين ابن دقيق العيد، وعلاء الدين أبو الحسن علي الباجي، وشرف الدين الدمياطي، وغيرهم من مصر والشام.
قام بزيارة إلى بغداد، وعند عودته إلى دمشق اسندت إليه الخطابة، ومهمة التدريس بزاوية الغزالي والجامع الأموي، ولما سلم إسماعيل ابن العادل ملك دمشق قلعة صفد، للافرنج، ترك ابن عبد السلام الدعاء له، وذمه فحبسه الملك ثم اطلق صراحه فنتقل إلى مصر، وولاه ملكها نجم الدين قضاء مصر والخطبة في جامعها، قال الداودي: «ومهر في العربية ودرس، وافتى وصنف، وبرع في المذهب في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد. وقصده الطلبة من البلاد... وصار راس الشافعية في وقته». من آثاره كتب تم طبع جلها في عدة طبعات مثل: كتاب التفسير- مختصر مسلم- قواعد الاحكام في إصلاح الانام- مناسك الحج- الإيمان ووجوهه، ومات ابن عبد السلام بدمشق، سنة 660هـ 1261م، راجع:
- ابن كثير: البداية والنهاية م، س ج 13. ص 335
- السيوطي: حسن المحاضرة م، س، ج 1 ص 84.
- الداودي: طبقات المفسرين م، س ج 1 ص315.
- ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ، م.س ص 327.
- الزركلي: الأعلام س ج 4 ص144.

(2) هو أبو زيد، طيفور بن عبد عيسى بن آدم البسطامي من بسطام في فارس، وكان استاذه في التصوف هنديا، من آثاره رسالة في أحكام القضاء والقدر ومسائل الرهبان، وتوفي سنة 261هـ 871م، وقيل 264هـ 879م. راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية، 67.
- أبو النعيم: حلية الأولياء، م.س،ج10، ص 33.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء،م.س ص 398.=

منه قطرة. فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، ومثل ما في الظرف مثل ما لنبينا محمد ﷺ)[1] ولله در القائل:[2]

وَلَيْسَ يُدْرِكُ أدْنَى وَصْفِهِ بَشَرٌ يَقْطَعُ الأرْضَ سَاعٍ وَهُوَ مَكْبُولُ[2]

لَوْ أجْمَعَ النَّاسُ أنْ يُحْصُوا مَحَاسِنَهُ أعْيَاهُمْ جُمَلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيلُ

الفرع الثالث:

في الكرامات، هل تقع اختيارا. ذهب كثير من الناس إلى أن الكرامة لا تقع اختيارا، ولو قصد الولي وقوعها اختيارا لم تقع، قال إمام الحرمين: هذا قول غير [مرض][3] بل المختار عندنا ألا يمتنع وقوع الكرامة، على وفق مراد الولي. وقصده واختياره. كما لا يمتنع وقوعها على غير اختياره، قلت: ودليل ذلك فعل عمر رضي الله عنه حين صرخ وهو على المنبر بسارية[4]، وجيشه وهم بأكناف [نهاوند][5]. وكان قصده واختياره أن يسمعوا كلامه. فوقع ذلك كما أراد واختاره قال القاضي أبو بكر[6]: لو عرض هذا على العقل، لم يكن فيه محال. ولا يمتنع وقوعها اختيارا إذا رام بها تخلصا، من هلكة أو خلاصا لغيره وأنشدوا:

ـ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، م.س، ج 2 ص 449.

(1) راجع: القشيري: الرسالة القشيرية باب كرامات الأولياء، م. س، ج 2، ص 664.

(2)

(3) ط.د.م [مرضى] س [مرض]

(4) هو سارية بن وميم بن عمر بن جابر، وهو الذي ناداه الخليفة عمر بن الخطاب، من منبر الرسول يوم الجمعة، وقال يا سارية، الجبل الجبل، راجع: ابن الاثير: اسد الغابة، م.س ج 2، ص 154.

(5) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان. يقال إنها من بناء نوح عليه السلام. كان فتحها سنة 19هـ. أيام الخليفة عمر بن الخطاب. وهي مدينة جبلية. ولها بساتين وجنات وفواكه. ومياهها كثيرة. ونواكهها تحمل إلى العراق؛ لطيبها وكثرها. وللمزيد راجع:

ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان م س313 5.

ـ عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، م س 580.

(6) القاضي أبو بكر الأشعري. انظر إحالة *** من الفصل ****

وَمُخْتَلِسٍ بِالطَّرْفِ مَالاً يَنَالُهُ
قَرِيناً كَحَالِ النَّازِحِ الْمُتَبَاعِدِ[1]
وَفِي نَظَرِ الصَّادِي إِلَى الْمَاءِ حَسْرَةٌ
إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا سَبِيلَ الْمَوَارِدِ

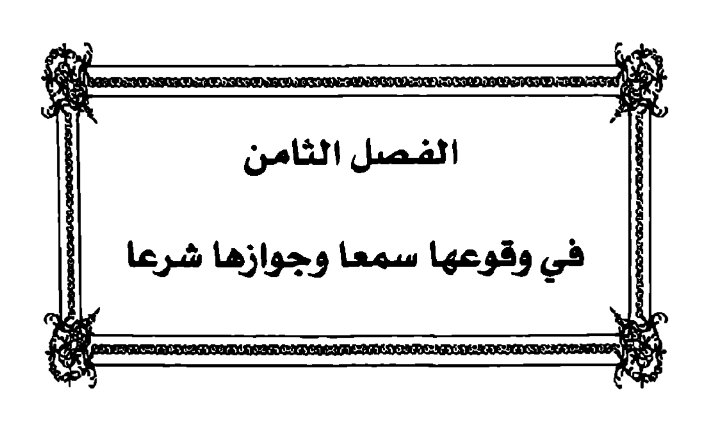
الفرع الرابع :

في الكرامات هل يجوز وقوع تواليها، حتى تتعين في حكم العبادة، ذهب كثير من الناس، إلى منع ذلك واستحالته، وقال الجمهور يجوز ذلك، ولكن بحيث لا تشيع، وليس للولي سكون إلى الكرامات، ولا ملاحظة إلى الولاية، ولكن قد يكون له في تواليها قوة يقين، وزيادة بصيرة، مما يتحقق به فضل الله تعالى عليه. فيستدل بذلك على صحة ما هو عليه، من قوة العقيدة واستقامة [الطريقة][2]. والتي يجب على كل تقدير، اعتقاده تعلقا بإرادة الحق تعالى. فمتى ما شاء تواليها عن العبد توالت عليه. ومتى شاء قبضها عنه [عنه قبضها][3]. وليس كثرة العبادة، وقوة المجاهدة ما يستدعي تواليها. ولا في ضعف ذلك وقلته، ما يمنع تواليها. وليس شيء يوجب ذلك في شواهد المعقول، ولا في دلائل المنقول. فهذا قدر من البيان يفي بالمقصود، والله تعالى هو المشكور والمحمود، وأنشدوا:[4]

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ ... وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ[4]
نَزَلَتْ عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا ... كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفَجُّعِ

(1) من الطويل.
(2) م. [الطريف] ط.س.د [الطريقة].
(3) سقط من ط.د.م
(4) من الكامل، وهذه الابيات هي من قصيدة لابن سينا المتوفى سنة 428هـ/1036م، كان قد نظمها في النفس. راجع: ابن خلكان: طبقات الأعيان، م.س، ج2 ص 160.

تَبكِي إِذَا ذَكَرَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى بِمَدَامِعَ شِبْهَ الَّلآلِي النُّصعِ
وَتَظَلُّ سَاجِعَةً عَلَى الدِّمْنِ الَّتِي دَرَسَتْ بِتِكْرَارِ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ
إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا الْإِلَهُ لِحِكْمَةٍ فَلَقَدْ خَفِيتْ عَنِ اللَّبِيبِ الْأَرْوَعِ
فَهُبُوطُهَا لاَ شَكَّ ضَرْبَةُ لاَزِبٍ لِتَعُودَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ تَسْمَعِ
وَتَعُودَ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ فِي الْعَالَمِينَ فَخَرْقُهَا لَم يُرْقَعِ
وَهِيَ الَّتِي سَدَّ الزَّمَانُ طَرِيقَهَا حَتَّى لَقَدْ غَربت بِغَيْنِ الْمَطْلَعِ



الفصل الثامن

في وقوعها سمعا وجوازها شرعا

ولنا من الدلائل في صحة ذلك ما نورده في ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: كتاب الله، وهو البرهان القاطع، والنور الساطع، وسأتلو منه آيتين وردتا في هذا المعنى، مبينتين تغني عن كل متأمل ناظر، وتصقل من صدى الوهم كل خاطر، حتى ينتقي بذلك ريب كل مريب، وتربى صدقا وعدلا في عقيدة كل منيب، قال تعالى وهو أصدق القائلين: في قصة مريم ابنة عمران مع زكرياء بن أذن صلوات الله عليهم اجمعين: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] وجه الاستدلال بالآية أن الله تبارك وتعالى، ذكر هذه الآية في معرض المدح والامتنان، على مريم بنت عمران من أول نشأتها، إلى آخر قصتها. فكل ذلك كرامة بعد كرامة، وإهابة بعد استقامة، ولا بد من شرح ذلك على سياق الآية، وظاهرها من أول مولدها إلى وجود مولودها. بما ذكره علماء التفسير، وجهله أرباب البطالة والتقصير، وذلك أن عمران ابن ماتان[2] وزكرياء [بن يوحنا] بن أذن[3] كلاهما، من ذرية داود النبي عليه السلام، من سبط يهوذا، بن يعقوب عليهما السلام. وكانوا أهل بيت لهم عند الله تعالى مكانة، وكان بنو ماتان، من رؤساء بني إسرائيل، ومن كبار أحبارهم. ومن أصحاب قربانهم. فتزوج زكرياء عليه السلام إيشاع، وهي أخت حنة

---

(1) سورة آل عمران 37.

(2) قال النيسابوري في قصص الانبياء، ص 333: «بنو ماتان رؤوس بني إسرائيل، وأحبارهم، وملوكهم».

(3) سقط من ط.س.

بنت فاقود، امرأة عمران بن ماتان، بعد جدة عيسى عليه السلام، وكانت حنة عاقرا، لا يولد لها ولد، فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة. إذا أبصرت بطائر يرزق فرخا له، فتحركت نفسها للولد، وتمنته، فقالت اللهم إن لك علي نذرا شكرا إن رزقتني ولدا، أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنة البيت وخدامه، فحملت بمريم عليها السلام، ثم هلك عمران قبل وضعها، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾(1) ثم لفتها في خرقة، ووضعتها بين الأحبار من بني هارون، وهم يومئذ سدنة بيت المقدس. وحجبته فقالت لهم دونكم، وهذه الندرة، فتنافسوا فيها، أيهم يكفلها، لأنها كانت بنت إمامهم، فقال زكرياء أنا أحق بها لأني زوج خالتها، فقالوا حتى نقترع عليها. وكانوا سبعة وعشرين نفرا، فانطلقوا إلى نهر ماء. فالقوا فيه أقلامهم على أن من يحمل الماء قلمه إذا ارتفع، فهو كافلها. فارتفع قلم زكريا فوق الماء موافقا له. ورسبت أقلامهم. وهي جارية مع الماء. فكفلها زكرياء. فاسترضع لها، على أحوط الأقوال. وقيل أنها لم ترضع ثديا قط. وهو أسد الأقوال. إلى أن نبتت فأنبتها الله نباتا حسنا، فابتنى لها زكرياء عليه السلام محرابا. وهي غرفة يصعد لها بسلم، على أحد الأقوال، وقيل جعلها في أشرف موضع من بيت المقدس. وهو أشهر الأقوال. وكان لا يدخل عليها أحد غيره. وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب. وكان رزقها ينزل عليها من الجنة. فكان كلما دخل عليها زكرياء، وجد عندها رزقا فيجد فاكهة الشتاء، صيفا وفاكهة الصيف، شتاء. فيقول انى لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا. فتقول هو من عند الله. فلا يستبعد ذلك ولا ينكره. ويتعجب لما فيه من خرق العادة. إذ هو من قدرة الخالق، لا من قدرة المخلوق. وقد كانت تكلمه في المهد على أسد الأقوال. فلما تحقق عنده فضلها

(1) سورة آل عمران 36. [وليس الذكر كالانثى] سقط من ط.س.د

وكرامتها على ربها حنت نفسه إلى ولد فدعا ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[1]. وكان عمره حينئذ تسعا وتسعين سنة، وعمر زوجه إيشاع ثمان وتسعون سنة، كما ذكره المفسرون، وكانت عاقرا لا يولد لها. كما كانت أختها حنة. فأجاب الله تعالى دعائه ورزقه يحي عليه السلام. فهذا هو المفهوم من ظاهر هذه الآية. وقول علماء السنة ملخصا على وجه الطاقة، والغاية. وجهد الاستطاعة في تحرير النقل. وتصحيح الرواية، وهو اكبر دليل على إثبات، وقوع خرق العادة، على وجه الكرامة، والإجماع منعقد، على أن ذلك لم يكن معجزة. في حقها لعدم نبوتها. وإنما كانت كرامة في حقها والله أعلم، الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا [فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا]﴾[2] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[3] إلى قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[4] ويتم الغرض المطلوب، في شرح هذه الآية. لورودها في معرض [المدح والثناء][5] باستحقاق هذه الكرامة. وذلك أن زكرياء عليه السلام، لما بنى لها المحراب وغلق عليها الأبواب. اداها العمل، لما بلغ القضاء المؤجل. فتمنت خلوة نحو الجبل. كي تفلى فيها رأسها، محجوبة عن أناسها. فانفرج لها السقف إكراما لما تمنه. والمحراب مقفول الأبواب. كما علمته. وذلك في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة من الشمس. وقيل إنما كان خروجها لحيض أصابها فخرجت في شرقي المحراب. وقيل معنى شرقيا

(1) سورة مريم 4.
(2) سقط من ط.س.د.
(3) سورة مريم 16-17-18.
(4) سورة مريم 25.
(5) س.[الثناء والمدح] ط.د.م [المدح والثناء]

شاسعا وقيل مكانا مما يلي المشرق، من مساكن أهلها وكانوا يعظمون جهة المشرق، لأنها منبع الأنوار وهي أفضل الجهات قاله الطبري[1] وقال ابن عباس فأظلها الله تعالى. [وجعل لها][2] حجابا وسترا يسترها عن الناس فلما أتى زكرياء لم يجدها. في البيت. فبينما هي جالسة أتاها جبريل عليه السلام في أحسن صورة البشر، وكان عمرها أربع عشرة سنة. وقيل ثلاث عشرة سنة فلما رأته «قالت» ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[3] فكان من قصتها ما ذكر الله تعالى من حملها فاعتزلت به مكانا قصيا، أي بعيدا وهو أقصى الوادي ويسمى الآن بيت لحم[4]. فصعدت على أكمة وعليها جذع نخلة يابس، ليس له سعف فاستندت إليه عندما جاءها المخاض، وهي جازعة مشفقة من مقالة الناس. «فقالت» ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[5] فناداها جبريل عليه السلام من تحت الأكمة ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[6] وهو النهر الصغير على أحوط الأقوال ثم أمرها بهز الجذع لطيب نفسها بهذه الكرامة، وتقر عينها لفضيلة هذه المقامة. وتعلم أن الله على كل شيء قدير. فهزت الجذع بيدها فتساقط عليها منه رطبا جنيا. فذهب حزنها عند ذلك. وعلمت أن الله تعالى قد أكرمها. حين ألهمها لذلك، وكان بين حملها ووضعها ثلاث

---

(1) راجع الطبري: جامع البيان، م.س. ج 16 ص44.

(2) ط.س [وجعلها لها] د.م [وجعل لها].

(3) سورة مريم 18.

(4) بيت لحم: مدينة فلسطينية تقع جنوب القدس. وبها كان مولد عيسى عليه السلام. وبها كذلك النخلة، النخلة التي تساقطت على مريم، رطبا جنيا. وكانت لحم تحتوي على سوق عامرة وبازارات ولها سلع رائحة وللمزيد راجع:
– ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت 1979. ص 158.
– ياقوت الحموي: معجم البلدان م س ج 1 ص 521. – الحميري: الروض المعطار م س 123.

(5) سورة مريم 23.

(6) سورة مريم 24.

ساعات، وقال ابن عباس: كان حملها ووضعها في ساعة واحدة. والأول أشهر، وقيل لثمانية أشهر، وتسعة، وستة[1]، وقيل غير ذلك. فكم تقدم في هاتين الآيتين لها من عجائب الكرامة، وغرائب تدل، على الولاية كوجود الفاكهة في غير أوانها. وانفراج السقف، والاحتجاب بالشمس ورؤية جبريل وحملها من نفخة في الدرع. والوضع في ساعة أو ثلاث ساعات وتساقط الرطب من الجذع اليابس، وانهمار السري[2] من الوادي اليابس. وكان ذلك كله بين الضحى والظهر. على المشهور من الأقوال. وقد انعقد الإجماع على أن ذلك، إنما ورد في معرض الكرامة، وليس هو على وجه المعجزة. ومما يلتحق بهذا من شواهد القرآن. على الجملة دون التفسير، قصة الخضر وأصحاب الكهف وعجائب ذي القرنين[3] وقصة يوسف عليه السلام في الجب وقصة موسى[4] عليه السلام. كل ذلك ورد في معرض الكرامات، وفي شرحه ما يخرج بنا عن حد الاختصار فمن أراد استقصاء ذلك، فليطالعه في مواضعه، ويقتبس من أنوار حقائقه ما يغنيه عن أنوار البدر في مطالعه. وأنشدوا:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مُسْتَأْنِسًا عَنْهُمْ بِخِلٍّ مُشْفِقٍ مُسْعَدِ[5]
وَحَيْثُ لاَحَتْ لِي أَعْلاَمُهُمْ فَلَيْسَ لِي فَقْرٌ إِلَى مُرْشِدِ

المسلك الثاني: وهو شواهد السنة ولا بد قبل الخوض فيما هو المقصود من ورود الأدلة الشرعية، والمطلوب المستفاد من الآثار السمعية،

---

(1) راجع أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، سورة مريم م س ج 6 ص 181.

(2) السري: الجدول أو النهر الصغير. المعجم الوسيط ج 2 ص430.

(3) عن ذي القرنين راجع: مروج الذهب للمسعودي، تحقيق وحي الدين عبد الحميد، ج1 ص-65 ص288.

(4) راجع هذه القصة في قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس للنيسابوري باب في ذكر مولد موسى عليه السلام ص: 147. وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية م س ج 1 ص237. وقصص الأنبياء للنجار باب موسى عليه السلام، ص 219.

(5) من السريع.

من مقدمة تنبيه الغافل على المراد، وترشد المسترشد إلى الرشاد. فنقول والله المستعان:

لم تزل الأمم في الأعصار الماضية، والقرون الخالية، يتفاوضون في ذكر الكرامات، ويتأولون أخبارها في معرض الثناء والمدح مع تفاضل المقامات[1]، وهم معتقدون الخير في أربابها، ومقرون بصحة دلائلها ووضوح أسبابها، ومستحيل في أحكام العقل تواطئهم على الكذب، واعتقاد ذلك فيهم، اعتقاد الملحدين من أهل الزيغ والريب، ثم [كان][2] الصحابة رضي الله عنهم، في الصدر الأول، أكثر الناس فيها تجاربا، وأعظمهم اعتقادا، في صحة وقوعها، بعد التسليم. وأكبرهم تفاوضا وحديثا، ولم يرد من بعضهم، مع كثرة الذاكرين رد، ولا إنكار، على من تحدث بذلك، من الحاضرين. فهذا دليل من أدلة الإجماع عند أهل الأصول، ومن الحجج القاطعة في أحكام العقول، على أن في ذكرها، من ذكر منن، الله تعالى ومنائح آلائه، وما أفاض من سوابغ نعمائه، وجزيل عطائه على خاصة أوليائه، ما يوجب به شكر الطالبين، ويزيد في رغبة الراغبين، ويقوى عزيمة المتفكرين، ويقع استدراجا لهلاك المنكرين، وفي ورود عجائبها، من التحريض على الطاعات، ما عرف من دأب الأنبياء، والصديقين والعلماء المحققين. ويدل على صحة ما ذكرناه، في ذلك على

---

(1) المقامات: جاء في قوت القلوب أن أصول مقامات اليقين التي ترد إليها فروع أحوال المتقين تسعة أولها التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا والمحبة وهي محبة المحبوب.
والمقام معناه مقام العبد بين يد الله عز وجل فيما يقام به من المجاهدات والرياضات والعبادات للمزيد راجع:
- أبو طالب المكي: قوت القلوب م س ج 1 ص 178.
- القشيري: الرسالة م س ج204 1.
- السهروردي: كتاب عوارف المعارف، ملحق إحياء علوم الدين م س ج 5 ص 225.
- القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س 85. - عبد المنعم: المعجم م س 248.

(2) في جميع الأصول [كانت] والصواب [كان]

الاتفاق، ما ورد في رواية ابن إسحاق[1]، قال: حدثني يزيد بن رومان[2] عن عروة[3] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي[4] كان يتحدث «أنه لا يزال يرى على قبره نور»[5]، وذكر ابن ابي شيبة[6] في مسنده أنه ﷺ «قال تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[7]، فإنه كانت فيهم الأعاجيب».ومن الشواهد الصحيحة والدلائل الواضحة، ما أسنده الشيخ الفاضل، نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي الوفاء بن محمد الحسن البادراني[8] قال: حدثنا ابو بكر محمد

---

(1) راجع إحالة رقم 24 من القطب الأول الفصل الثاني.

(2) هو يزيد بن رومان الأسدي المدني مولى الزبير، روى عن ابن الزبير وأنس وعروة بن الزبير والزهري، وروى عنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر بن حفص، وابو حازم وغيرهم، وثقه النسائي وذكره ابن حبان في الثقات، وكان عالما كثير الحديث وتوفي سنة 130. 747م راجع: - الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م س ج 1 ص 413.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 2 ص 773.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 11، ص 325.

(3) هو عروة بن الزبير بن العوام ابو عبد الله المدني. روى عنه ابيه واخيه وامه اسماء بنت ابي بكر. وخالته عائشة وعلي بن ابي طالب. وروى عنه اولاده عبد الله وعثمان وهشام ومحمد ويحي، وجماعة من كبار رواة الحديث مثل صالح بن كيسان، والزهري، وعطاء بن ابي رباح وعمر بن عبد العزيز قال العجلي: «تابعي ثقة». كان رجلا صالحا لم يدخل في شيء من الفتن. توفي 91هـ او 92هـ 709 م. أو 710م راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات: م.س ص 331. - الدارقطني: ذكر أسماء التابعين، م.س/ ج 1 ص 276.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب: م.س ج 7 ص 180.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م.س، ج 1 ص: 394.

(4) هو ملك الحبشة المتوفى سنة 9هـ 630 م وذكر ابن كثير ان الرسول ﷺ نعاه إلى الناس، راجع:
- ابن كثير: النهاية والبداية، م س ج 5، ص:39.

(5) راجع: ابو داوود سنن أبي داوود كتاب الجهاد باب النور عند قبر الشاهد، م.س، ج 3، ص 16.

(6) هو عثمان بين محمد بن ابراهيم مولاهم أبو الحسن ابن أبي شيبة الكوفي صاحب المسند والتفسير توفي سنة 239هـ 853م راجع:- العجلي: تاريخ الثقات م، س ص 324.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م، س ج 1، ص 349.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م، س، ج 1 ص 248.

(7) النص الكامل لهذا الحديث نقراه عند ابن حجر في فتح الباري كتاب حديث الانبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل م.س،ج 6، ص496: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا رجع ومن كذب فليتبوأ مقعده من النار».

(8) لم اقف له على ترجمة.

ابن عبد الله بن أحمد بن حبيب البغدادي[1] حدثنا الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن علي الموصلي[2] قال: اخبرنا أبو البركات اسماعيل ابن أبي سعيد احمد بن محمد النيسابوري[3] حدثنا الشريف الفاضل بقية النقباء أبو الفوارس الطراد[4] بن محمد بن علي الزيني الهاشمي[5] أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان الكسكري أخبرنا الحسن بن يحي بن عياش حدثنا أحمد بن محمد بن يحي ابن سعيد حدثنا وهب بن جرير[6] حدثنا أبي قال سمعت النعمان[7] يحدث عن الزهري عن أبي سلمة[8] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ [قال] **« بينما راعي غنم في غنيمته إذا عدا الذيب فأخذ منها شاة فاتبعها فاستنقدها منه فقال الذئب: من لها يوم لا يكون لها راع غيري قال: فقالوا سبحان الله قال عليه السلام فأنا أومن بذلك وأبو بكر**

---

(1) لم أقف له على ترجمة.

(2) لم أقف له على ترجمة.

(3) لم أقف له على ترجمة.

(4) لم أقف له على ترجمة.

(5) نجد له عدة إشارات عند القاضي عياض في الغنية،م.س، في صفحات 13 - 67 - 134 - 170 - 172.

(6) هو وهب بن جرير بن حازم البصري وثقه العجلي: توفي بالقرب من البصرة ودفن بها سنة 206هـ821م، راجع :
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص 466.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج1، ص381.
- ابن حجر : تهذيب التهذيب م س ج1 ص161.

(7) هو النعمان ابن رشد الجزري أبو إسحاق مولى بني امية، روى عن الزهري وأخيه عبد الله بن المسلم بن شهاب وغيرهم وروى عنه ابن جريج ووهب بن خالد وعبد الرحمن بن ثائب وغيره قال النسائي: صدوق فيه ضعف وذكره ابن حبان في الثقات، راجع:
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م، س،ج2، ص532.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م، س،ج1 ص260.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج1 ص 452.

(8) هو ابو سلامة ابن عبد الرحمن وقيل عبد الله وقيل اسماعيل. كان فقيها ثقة وهو من سادات قريش مات سنة 104هـ722م، راجع: ابن حجر : تهذيب التهذيب، م س، ج5، ص188.

وعمر[1] » قال أبو هريرة: ثم قال ﷺ، « بينما رجل يسوق بقرة حمل عليها شيئا، إذا التفتت إليه فقالت: إني لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث قال: فقال الناس سبحان الله. فقال رسول الله ﷺ: أنا أومن بذلك وأبو بكر وعمر »[2] وهذا حديث صحيح متفق على صحته. اخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي اليماني عن شعيب[3] عن الزهري بهذا السياق. وجه الاستدلال به، أن رسول الله ﷺ، اخبر وهو الصادق المصدوق، أن الذئب والبقرة، قد تكلما بكلام الناس للراعي والسائق، حتى تعجب الناس من ذلك، لما فيه من خرق العادة. فلما علم ﷺ، ما خامر عقول السامعين، من تعجبهم، نفى ذلك بقوله ﷺ: .أنا أومن بذلك وأبو بكر وعمر، هذا هو المفهوم من ظاهر الحديث. وهو اكبر دليل على إثبات وقوع الكرامات وجوازها بخرق العادة. وفي هذه الكرامات من دلائل المعجزة نطق العجماء، وفي دلالة على أن المنكرين لذلك من أهل الزيغ والضلال، لعدم إيمانهم بما آمن به ﷺ وأبو بكر وعمر، لأن الإنكار، مع صحة الحديث، إما رد وإما تكذيب، وناهيك بهازلة في المهالك، والله تعالى هو العاصم من ذلك، ولله در القائل.

وَلَرُبَّمَا جَهِلَ الْفَتَى أَثَرَ الْهُدَى وَالشَّمْسُ بَازِغَةٌ بِهَا أَنْوَارُ[4]

وبهذا الإسناد قال أبو البركات إسماعيل بن أحمد محمد النيسابوري حدثنا أحمد بن الحسين العدل حدثنا أبو الفضل بن

---

(1) نص هذا الحديث كما ورد عند الترمذي في السنن هو كالتالي: «بينما رجل يرعى غنما له إذ جاء ذئب فاخذ شاة فجاء صاحبها انتزعها منه فقال الذئب: كيف تصنع بها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري؟ قال رسول الله ﷺ فآمنت بذلك انا وابو بكر وعمر: راجع: الترمذي: الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي باب في مناقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم الحديث 3695.

(2) راجع: ابن حجر: فتح الباري م.س كتاب الحرث، والزراعة باب استعمال البقر للحراثة، ج5 ص 8.

(3) هو شعيب ابن ابي حمزة واسمه دينار الاموي روى عن الزهيري وعبد الله ابن عبد الرحمن وهشام بن عروة وغيرهم، وروى عنه ابنه بشر، وابو اليمان وعلي ابن عباس الحمصي وثقه العجلي والنيسائي.

(4) من الكامل

خيرون[1] قال : قرئ على أبي عبد الله احمد بن عبد الله المحاملي وأنا أسمع أخبركم محمد بن عبد الله الشافعي قال حدثنا عبد الله بن مضر الثقفي حدثنا محمد ابن عبد الله الانصاري[2] حدثنا حميد[3] عن انس بن مالك قال: لما رجعنا من غزوة تبوك، قال رسول الله ﷺ : «إن بالمدينة لأقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم. قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة مقيمون. قال نعم حبسهم العذر»[4] هذا حديث صحيح متفق على صحته أخرجه البخاري عن احمد بن محمد ابن عبد الملك بن المبارك وعن سليمان ابن حرب[5] عن حماد بن زيد[6]

---

(1) هو احمد بن الحسين بن خيرون، ابو الفضل نجد له عدة إشارات، عند القاضي عياض في الغنيمة م.س، في الصفحات: 89 – 130 – 132 – 135 – 136 – 172.

(2) هو محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله. ابو عبد الله البصري القاضي روى عن ابيه وسليمان الديني وابن حجريح وسعيد الجريري وغيرهم، وروى عنه البخاري وأحمد بن حنبل وابو حاتم الرازي، وثقه ابن النعيم وقال النيسائي: ليس به باس، وذكره ابن حبان في الثقات وتوفي سنة 214 هـ 829م.
– الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م.س، ج 1، ص: 324.
– ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م.س ج 2، ص: 441.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج 2، ص: 274.

(3) هو حميد بن طرحان روى عن عبد الله بن شقيق عن عائشة في الصلاة. وروى عنه حماد بن زيد وحفص بن غياث والنيسائي قال ابن حجر: «قال ابن معين ثقة وذكره ابن حيان في الثقات» راجع:
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج 3، ص: 43.

(4) في فتح الباري لابن حجر كتاب الجهاد باب من حبسه العذر عن الغزو ج 6، ص 47. «ان اقواما بالمدينة خلفنا، ماسلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر».

(5) هو سلمان ابن حرب ابو ايوب الأزدي البصري، روى عن شعبة ومحمد بن طلحة وآخرين وروى عنه البخاري وابو داوود وغيرهما سكن مكة وتولى القضاء بها، ذكره ابن حبان في الثقات: وقال ابن حجر: «قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث توفي بالبصرة سنة 124هـ 741م» راجع:
– الدارقطني: ذكر أسماء التابعين، م.س، ج 1، ص: 159.
– ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م.س، ج 1، ص: 180.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج 4، ص: 110.

(6) هو حماد بن يزيد بن درهم الأزق الازدي ابو إسماعيل البصري، روى عن ثابت البناني، وانس بن سرين، وعبد العزيز بن صهيب وغيرهم وروى عنه بن مبارك، وابن وهب والثور يوثقه العجلي، وتوفي سنة 179 هـ 795م، راجع: – العجلي: تاريخ الثقات، م.س، ص: 130. – الدارقطني: ذكر أسماء التابعين، م.س، ج 1، ص: 110.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج3، ص:9

كلاهما عن حميد وفيه دلالة واضحة، على إثبات الكرامات بخرق العادات في طي الأرض والاحتجاب عن الخلق، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ بذلك فلا عطر بعد عروس، ولا ريب يبقى في النفوس، وليس فيه اجتماع لتأويل المنكرين، ولا مجال لإبطال الملحدين الخاسرين، عافانا الله تعالى من ضفة تؤدى إلى المهالك ورزقنا بمنه وكرمه الإيمان بذلك [وفي][1] الحديث المتفق على صحته ما خرجه البخاري في صحيح روايته عن أبي اليماني عن شعيب عن الزهري عن سالم[2] عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ[3] «**انطلق ثلاث رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت إلى غار، فدخلوه. فانحدرت عليهم صخرة من الجبل. فسدت عليهم الغار. فقالوا إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة، إلا أن تدعو بصالح أعمالكم. فقال: رجل منهم أن لي أبوين شيخين كبيرين، وكنت لا أغبق[4] قبلهما أهلا ولا مالا، فإنا في طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فتحرجت أن أوقظهما. وكرهت أن اغبق قلبها أهلا ومالا[5]. فقمت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى**

(1) س.ط [ومن] د،م [وفي].

(2) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ابو عمر ويقال ابو عبد الله المدني، روى عن ابيه وابي هريرة وابي رافع وروى عنه ابنه ابو بكر والزهري، وصالح بن كيسان وعبيد الله بن عمر بن حفص. وكان احد فقهاء المدينة الكبار المتفق على توثقهم، له أحاديث في الكتب الستة، وتوفي سنة 106هـ 724م، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص: 174.
- الدارقطني : ذكر أسماء التابعين، م.س؟، ج1، ص160.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م.س،ج1، ص188.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج3، ص 436.

(3) ورد هذا الحديث عند ابن حجر مع تغيير في بعض الكلمات. راجع نصه كاملا في فتح الباري كتاب الإجارة باب من استاجر أجيرا فترك أجره، فعمل فيه المستاجر فجاد أو ممن عمل في مال غيره فاستفضل ج 4، ص449.

(4) أغبق: غبقة: سقاه غبوقا والغبوق ما يحلب بالعشي. المعجم الوسيط م س ج 2 649.

(5) لعل المراد بالمال الرقيق.

برق الفجر فاستيقظا وشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منها. قال رسول الله ﷺ وقال: الآخر اللهم إني كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فراودتها عن نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين. فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قال: لا يحل لك أن تفض الخاتم، إلا بحقه، فتحرجت، من الوقوع عليها وانصرفت عنها، وهي من أحب الناس إلي. وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، أفرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة. غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال قال رسول الله ﷺ ثم قال: الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجورهم، غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب. فنميت أجره، حتى كثرت منه الأموال. فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أعطني أجري، فقلت له كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال يا عبد الله، لا تهزأ بي فقلت له لا أهزأ بك. فأخذ ذلك كله فاستاقه. ولم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء. وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون» هذا الحديث صحيح مشهور متفق على صحته، قد أسندته الرواة من وجوه شتى. فيه الدلالة الواضحة على وقوع الكرامات بخوارق العادات، وقد أخبر عليه السلام، وهو صادق في قوله أن ثلاثة رهط، قد أووا في مبيتهم إلى غار، فانحدرت عليهم صخرة، سدت الغار فدعوا الله بصالح أعمالهم، فتزحزحت الصخرة عن الباب، غير مزحزح، حتى خرجوا منه وليس التزحزح من طبعها، ولا من صفاتها، ولا يفعل ذلك سوى

قدرة الله تعالى، أكرمهم بها. فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع، ليس فيه لأهل الريب تأويل، ولا لأهل الزيغ تبديل ولا تحويل، وفيه دلالة على إباحة التحدث لكل ولي بما يرد عليه من أنواع الكرامات، مع أهله وكفى بما في هذا الحديث من التصريح، والتبين، لمن له تمسك بعروة الدين، والله تعالى هو القوي المعين، ومنا ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث جابر بن عبد الله[1] عن النبي ﷺ انه **قال تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنه كانت فيهم أعاجيب ثم أنشأ** عليه السلام **يحدث فقال: «خرجت طائفة منهم، فاتوا مقبرة من مقابرهم. فقالوا لو صلينا ركعتين، ودعونا الله تعالى فيخرج لنا بعض الأموات، حتى يخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا. فبينما هم كذلك، إذا أطلع رجل رأسه من قبر، حلاسي بين عينيه أثر السجود، فقال يا هؤلاء ما أردتم إلي، فوالله لقد مت منذ مائة سنة، فما سكنت عني مرارة الموت حتى الآن. فادعوا الله تعالى يعيدني كما كنت»**[2] هذا حديث صحيح ذكره ابن أبي شيبة، في مسنده وفيه دلالة على ان إحياء الموتى، يقع من جملة الكرامات الخارقة للعادات للأولياء، والسادات والمتمسكين بالأعمال الصالحات. وفيه رد على من زعم أن معجزات الأنبياء، لا تقع كرامة للأولياء، فهذه نبذة يسيرة، وهي في الاستدلال كافية ونكتة [باهرة][3] حجج المنكرين واقية من أمراض القلوب [شافية][4]، تقوى عقيدة كل قلب سليم، وتجلى بصيرة من له رغبة في التعليم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[5] وانشدوا:

---

(1) راجع إحالة رقم 14 الفصل الثاني، القطب الاول

(2) راجع كنز العمال، م س ج10، رقم الحديث 42758.

(3) ط.س [بارهة] م [فاهرة] د. [باهرة].

(4) م. [سامية]ط.س.د [شافية].

(5) سورة يوسف 76.

فَيَالَهَا عَجَباً إِذَا صَـارَ وَاحِدُهُـمْ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّاتِ[1]
هَذَا عَجِيبٌ وَفِي الآيَاتِ ظَاهِرَةٌ وَلَيْـسَ ذَا بِعَجِيـبٍ فِي الإِشَارَاتِ
سَقَى الإِلَهُ كِرَاماً حَيْثُ مَا وُجِدُوا وَكَيْـفَمَا وُصِـفُوا أَحْـيَاءٌ وَأَمْوَاتُ

المسلك الثالث: الآثار.

اعلم وفقك الله وإيانا لطاعته، وسهل علينا سبل مرضاته، أن الصدر الأول، هم قدوة الأفاضل، وينابيع الفضائل، ومعدن الفواضل، وكل خير ظهر على من أتى بعدهم، فمن بركاتهم، وكل كرامة لاحت شواهدها على من لاحت، فنقطة من كراماتهم، وقد نقل منها متواترا، ما لا تحمله العقول الخالية عن التوفيق، ولا تعقله القلوب المحجوبة بالحسد عن التصديق، قال الأستاذ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله في براهينهم، لما حرموا ما خصهم الله تعالى به من ذلك قال: والمحروم، من حرم من قبول حقهم وتصديقهم، والإيمان بما يظهره الله تعالى عليهم، من أنواع الكرامات، لا خلاصهم وتحقيقهم، وقال أبو تراب النخشي: إذا بعدت القلوب عن الله، مقتت القائمين بحقوق الله، وقال علي رضي الله [عنه] الناس أعداء ما جهلوا، وأنشدوا.

فَلاَ تَلُمْهُمْ عَلَى إِنْكَارِ مَا نَكَرُوا
فَإِنَّمَا خُلِقُوا أَعْدَاءَ مَا جَهِلُوا[2]

وقد ظهر من كرامات الصحابة، رضي الله عنهم وتواترت به الأخيار وتظافرت عليه الآثار، ما لو حصر لم تحمله أوراق، ولا أحاطت بمجموعه أحداق، مع ما خصوا به من الكتمان، وقوة الإيمان، على أن سترهم وكتمانهم لما أكرموا به، لم يمنع انتشاره وظهوره، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[3] وساورد في هذا المسلك، شيئا مما ظهر من كراماتهم

(1) من البسيط.
(2) من البسيط.
(3) سورة التوبة 32

وأحوالهم، وما اشتهر عنهم من بركات أعمالهم، ما يتبين به جهل المنكرين لهذه الأخبار، ويتحقق به ضعف نظرهم، ووهن عقولهم عن التفكير والاعتبار، ولله در القائل:

وَقَدْ تُبْهِرُ الشَّمْسُ لِشِدَّةِ ظُهُورِهَا
عَيْنَ الخُفَّاشِ فَيَـرَاهَا ظَلاَمًا[1]

حدثنا الشيخ الفاضل الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد ابن محمد الكناني[2] رحمه الله إجازة قال: حدثنا الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري[3] حدثنا عبد الحق بن عبد الملك بن بونة العبدري[4] حدثنا (أبو بحر سفيان بن العاصي الأسودي[5] حدثنا أحمد بن عمر بن أنس العبدري)[6] حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد الهروي[7] أخبرنا أبو بكر بن شاذان[8] حدثنا عبيد

(1) خلل في الوزن

(2) راجع إحالة رقم: 137 من المقدمة

(3) راجع إحالة رقم:138 من المقدمة

(4) راجع إحالة رقم: 139 من المقدمة

(5) هو ابو بحر سفيان بن العاصي بن الاسدي بن العاصي الاسودي وليس الاسودي، ولد سنة 339هـ950م، ونشا ببلنسية، وهو من تلامذة ابي العباس الديلائي وابي عمر بن عبد البر، وأبي الوليد الباجي، والشاسي. وكان يتنقل بين الاندلس وبلدان المغرب الكبير، قبل ان يستقر في قرطبة. وكان من كبار الفقهاء وقد رحل إليه الناس، وتوفي بقرطبة سنة 520هـ1126م، راجع: – القاضي عياض: الغنية، م،س،ص: 205.
– ابن عطية: فهرست ابن عطية دار الغرب الإسلامي،ص: 114 و108.
– التلمساني: ازهار عياض، ج 3، ص: 160.

(6) سقط من د.

(7) هو ابو ذر عبد بن احمد بن عبد الله غفير الانصاري، يعرف بابن السماك. فقيه مالكي وشيخ الحرم، سمع من عدد من الاعلام مثلا الدارقطني وابن حمويه وزاهر بن احمد السرخسي، وكان زاهدا عالما من تصانيفه: الصحيح – دلائل النبوة – شمائل القرآن – ومعجم لشيوخه، وتوفي سنة 434هـ1042.
راجع:
ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م. س، ج، 11، ص: 141.
ـ السيوطي: طبقات المفسرين، م. س، ص، 425.
ـ الدودي: طبقات المفسرين، م/ س، ج1، ص: 372.
ـ ابن العماد: شذرات الذهب، م، س، ج3، ص254.

(8) هو ابو بكر بن شاذان الرازي، من الزهاد المشهورين بالارتحال والتنقل، وجمع حكايات الصوفية، التي استفاد منها أبو عبد الرحمن السلمي كثيرا، توفي بنيسابور سنة: 376هـ: 986م. راجع:
ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م، س، ج5، ص:464.

الله بن محمد[1] من كتابه حدثنا حماد ابن سلمة[2] مولى ربيعة بن مالك بن حنظلة عن ثابت[3] عن أنس أن عباد بن بشير[4] وأسيد بن خضير[5] **«كانا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء، حندس. قال عبيد الله بن محمد[6]، والحندس الشديد الظلمة، فلما خرجا، أضاء عصا أحدهما. فمشيا في ضوئه. فلما افترقت بهما الطريق، أضاء عصا الآخر»**[7] وهذا حديث مشهور مذكور في الصحيحين. ومنها ما خرجه

– سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 2، ص: 486.

(1) راجع إحالة رقم: 118 من المقدمة.

(2) هو حماد بن سلامة بن دينار البصري ابو سلامة، روى عن ثابت وقتادة وانس. وروى عنه ابن جريج الثوري، وابن المبارك والطيالسي وغيرهم. قال العجلي «ثقة رجل صالح حسن الحديث» وتوفي سنة 167هـ 783م، راجع.
– العجلي: تاريخ الثقات، م س ص 135.
– الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م.س ج 1 ص 110.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 32، ص 11.
– ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 1 ص 163.

(3) هو ثابت بن اسلم البناني، ابو محمد البصري من أكبر تلامذة انس بن مالك. روى عن ابن الزبير وبن عمر وعبد الله بن معقل وغيرهم وروى عنه عبد الله بن عبيد وسليمان التيمي وقتادة. وكان عابدا صدوقا، اجمعوا على انه من الثقات. توفي سنة 127هـ 744م، راجع:
– العجلي: تاريخ الثقات، م، س: ص: 89.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م، س: ج 2، ص:2.
– ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م. س، ج 1، ص:65

(4) هو عباد بن بشر وليس بشير بن وقش الانصاري. اسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير، وكان ممن قتل كعب بن الاشرف اليهودي، الذي كان يؤذي الرسول ﷺ، وهو من فضلاء الصحابة. قال ابن الاثير قتل عباد يوم اليمامة، وكان له يومئذ بلاء عظيم، راجع:
– ابن الاثير اسد الغابة، م، س، ج 3، ص:46.
– ابن حجر الإصابة: م. س، ج 2، ص:263.

(5) هو اسيد بن حيضر بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس الانصاري، يكنى ابا يحيا، آخى الرسول ﷺ، بينه وبين زيد ابن حارثة، وكان من احسن الناس صوتا بالقرآن وله في بيعة ابي بكر دور كبير. روى عن انس ابن مالك وتوفي سنة 20هـ 640م، راجع:
– ابن سعد: طبقات ابن سعد، م س ج 2 ص 37 – 38 – 39 – 65.
– ابن الاثير: أسد الغابة، م س ج 1 ص 11.

(6) ط.س، [عبد الله] د.م [عبيد الله].

(7) صيغة هذا الحديث في مسند الإمام احمد بن حنبل، ج 3، ص137 – 138 وهي كالتالي: «عن انس ان اسيد بن خضير ورجلا آخر من الانصار، تحدثا عند رسول الله ﷺ ليلة في حاجة لهما، حتى ذهبا من=

البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن[1] بن أبي بكر (أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء، وان النبي ﷺ قال: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربع فخامس أو سادس. فجاء أبو بكر بثلاثة وانطلق ﷺ بعشرة. وذكر الحديث. وفيه: فما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر. منها، فشبعوا وصارت أكثر مما كانت، وفيه وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل [فعرفنا][2] اثنا عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس- الله أعلم كم مع كل رجل- فأكلوا منها [أجمعون])[3]، ومنها قصة عمر رضي الله عنه في دعائه سارية، وهو على المنبر وتحذيره إياه، فسمعه وهو في الحرب باكناف نهاوند[4]، فانحاز بجيشه نحو الجبل، وسمع جميع الجيش صوت عمر، كما سمعه أهل

=الليل ساعة، وليلة شديدة الظلمة. ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ، ينقلبان وبين يد كل واحد منهما عصية، فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقا بهما الطريق اضاءت للآخر عصاه، فمشي كل واحد منهما في ضوء عصاه، حتى بلغ إلى اهله».

(1) هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ابو محمد، وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عثمان. وهو شقيق عائشة اسلم قبل الفتح، شهد اليمامة مع خالد، وروى عن رسول الله ﷺ، وعن ابيه. وروى عنه ابو عثمان النهدي وعمر بن أوس وابناه عبد الله وحفصة. ذكره العجلي في الثقات، ونقل ابن حجر في تهذيب التهذيب، قول ابن الزبير «كان رجلا صالحا وكانت فيه دعابة». واختلف في تاريخ وفاته بين سنة 53هـ 672م وسنة 54هـ 673م، راجع:

- العجلي: تاريخ الثقات، م س ج1 ص 438.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين، م س ج 1 ص 213.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 1 ص 65.

(2) ط. [فرثنا] س [بياض] د م [فعرفنا].

(3) م [أجمعون] د س ط [جمعون] وعن النص الكامل لهذا الحديث راجع: فتح الباري لابن حجر، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام، م س ج 6 ص587.

(4) نهاوند: مدينة عظيمة تقع جنوب همدان يقال انها من بناء نوح وهي اعتق مدينة في الجبل وكان فتحها سنة 19هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبها بساتين، وجنات وفواكه ومياهها كثيرة وفواكهها تحمل إلى العراق لطيبها وكبرها.

للمزيد راجع:

- الحميري: الروض المعطار م س 580.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان م س ج 5 ص 313.

المسجد بالمدينة. ومنها تسبيح الحصى[1] في كف عثمان. واستحياء الملائكة منه، عند ملاقاته، كما ورد به الخبر ومنها قصة علي ﷺ، على ما رواه القاضي أبو مكين[2] قال: «مررت أنا ورجل من آل بني أمية على دار حي من مراد فقال رأيت هذه الدار؟ قلت نعم فقال: مر بهم علي وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة، فشجته فدعا الله ان لا يكمل بناؤها. فما وضعت عليها لبنة من ذلك اليوم. فكنت أمر عليها وهي لا تشبه الدور»[3] وقصته أيضا في التعزية وفيها (لما توفي ﷺ جاؤوا يسمعون حسه. فقال السلام عليكم أن في الله تعالى عزاء، من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت، فبالله فاتقوا وإياه فارجوا. فإن المصاب من حرم الثواب فقال علي أتدرون من هذا. قالوا لا قال هو الخضر)[4] قد عزاكم: ومنها قصة سعد بن أبي وقاص على ما رواه عيسى بن مسكين عن عامر بن سعد[5] قال قدم سعد من أرض له ذات يوم، والناس مجتمعون، على رجل يسب عثمان وعليا وطلحة والزبير. فنهاه عن سبهم فكأنما أغراه. فقال ما تريد بسب أقوام هم خير منك، اتنتهين أو لأدعون عليك فقال الرجل: تخوفني بدعائك، كأنك نبي. فدعا سعد بماء فتوضأ. ثم صلى ركعتين. فقال اللهم إن كان سب أقواما، سبق لهم منك خير أسخطك بسبهم فارني به الغداة آية تجعله بها

---

(1) عن قصة الحصى في كف عثمان ﷺ، راجع: دعامة اليقين للعزفي، المقدمة الاولى في جواز الكرامة وحقيقتها م س ص 11.

(2) اشار إليه ابن كثير، في البداية والنهاية في الفصل الذي خصصه لذكر شيء من سيرة علي بن ابي طالب ج 8، ص 5، وراجع كذلك إشارة العزفي لابن مكي في دعامة اليقين، م س ص 12.

(3) راجع العزفي: م س دعامة اليقين ص 12.

(4) راجع العزفي، نفس المصدر ص 12.

(5) لعله عامر بن سعد بن ابي وقاص روى عن ابيه وعثمان والعباس بن عبد المطلب وغيرهم من الاعلام. وروى عنه ابنه داوود. ومجاهد والزهري وعطاء بن يسار وعمر بن ابي دينار وغيرهم. وثقه العجلي وابن حبان، وتوفي سنة 104 هـ 722م راجع:

– العجلي: تاريخ الثقات، م س ص 243. – ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج5 ص63.

آية للعالمين قال فخرج نجيبه من دار بني فلان قاصدا الرجل لا يرد رأسه شيء فتفرق الناس عنه فجعله بين قوائمه فوطئه حتي طفى (قال عامر بن سعد فرأيت الناس يتبعونه ويقولون استجاب الله [دعاءك][1] يا أبا إسحاق)[2] . ومنها ما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا[3] مسندا، أن امرأة كانت تطلع على دار سعد [فنهاها][4] فلم تنته فاطلعت عليه يوما وهو يتوضأ فقال [لها][5] شاه وجهك فعاد وجهها في قفاها[6] وقصة جابر[7] بن عبد الله بن عمر بن حرام السلمي الانصاري. قتل ابوه يوم أحد فدعا الله تعالى أن يحييه حتى يكلمه، فأحياه الله تعالى حتى كلمه كفاحا. وهذا مدون في الصحاح[8] . ومنها قصة سعد بن معاذ، فيما رواه أبو القاسم عن مالك عن يحيى بن سعيد، انه قال لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما نزلوا الأرض قبلها[9] وورد أيضا في قصته، أن العرش قد اهتز لموته[10] . ومنها قصة عبد الله بن عمر، وقد مر بقوم حبسهم الأسد، فأخذه بإذنه ثم قاده حتى نحاه عن الطريق. ثم قال

---

(1) ط س [لك] د م [دعاءك]

(2) راجع العزفي: م س دعامة اليقين ص 13 .

(3) هو عبيد الله بن محمد بن عبيد ابو بكر، كان من مؤدبي المكتفي بالله العباسي، ذكر ابن النديم انه كان يجمع بين الورع والزهد والعلم، واخبار الروايات وتوفي سنة 281هـ 894م، مخلفا حسب ابن كثير، العديد من الكتب تزيد عن المائة ومنها: كتاب دم الفحش- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- كتاب آداب اللسان- كتاب الشواذ- كتاب اخبار قريش وكتاب زهد مالك ابن دينار، راجع:
ابن النديم: الفهرست م س ص 262 .
ابن كثير: البداية والنهاية: م س ج11 ص 71.

(4) سقط من م د

(5) سقط من م د وفي س [له].

(6) راجع: العزفي دعامة اليقين م، س، ص 13 . وراجع ذلك محيي الدين بن محمد الطعمي معجم كرامات الصحابة، دار بن زيدون، بيروت، ج 1 ص 61.

(7) راجع: إحالة رقم من الفصل الثاني، من القطب الاول.

(8) راجع ابن حجر فتح الباري، ج 2 كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت، ص 163 .

(9) راجع حياة الصحابة لمحمد بن يوسف الكاندهلوي: دار الفكر، ج 4 ص 400.

(10) راجع : ابن الاثير: أسد الغابة م س ج 2 ص 224.

رسول الله ﷺ «ما سلط الله على ابن آدام إلا من خافه»[1] وقصته في دعائه على زياد حين (كتب إلى معاوية: قد أخذت العراق بيميني. وبقيت شمالي فارغة يعرض بطلب الحجاز. فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال: اللهم اكفنا شمال زياد. فعرضت له قرحة في شماله فقتله)[2] ومنها قصة خبيب[3] بن عمرو بن عوف بن خالد. قالت امرأة ما رأيت أسيرا قط، خيرا من خبيب. لقد رأيته وما بمكة من تمر وفي يده قطف من عنب يأكله وما هو إلا رزق رزقه الله تعالى. وفيها لما قتل وصلب على خشبة، بعث إليه النبي [ﷺ][4] الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود[5] يختفيان حتى أنزلوه من خشبته، وحوله المشركون قائمين. وذلك بعد أربعين يوما، فإذا هو رطب يتثنى لم يتغير ويده على جراحته. وهي تنبض دما. اللون لون الدم، والريح ريح المسك، فحمله الزبير على فرسه، فلما أدركه المشركون حين فقدوه قذفه الزبير عن فرسه فابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض[6] ومنها قصة عامر بن فهيرة[7] وهو من

---

(1) الكاندهلوي: حياة الصحابة م س ج 4 ص 463، وراجع كذلك التشوف لابن الزيات، م س ص 65، ودعامة اليقين للعزفي، م س ص 18.

(2) راجع ابن عبد ربه: العقد الفريد كتاب اللؤلؤة في السلطان ، باب الولاية والعزل، م س، ج 1 ص :82.

(3) هو خبيب بن عدي بن مالك الانصاري، الاوسي الصحابي شهد بدرا مع رسول الله ﷺ، وفيها قتل ابن خبيب اباه:
- ابن عبد البر: الاستيعاب، م س ج1، ص429. - ابن الاثير: اسد الغابة، م س ج 1، ص 597.

(4) ط س [ﷺ] د م [ﷺ]

(5) هو المقداد بن عمرو المعروف بابن الاسود، كان من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى ارض الحبشة، وعاد إلى مكة، غير انه لم يقدر على الهجرة إلى المدينة، مع النبي ﷺ، لكنه شهد معه بدر وقال ابن مسعود اول من اظهر الإسلام بمكة سبعة منهم المقداد، وكانت وفاته في خلافة عثمان، راجع: اسد الغابة، ج 4، ص 475.

(6) راجع ابن الاثير اسد الغابة م س ج1 ص –597 598 وابن حجر في الإصابة، م س ج 1 ص 418.

(7) هو عامر ابن فهيرة، مولى ابو بكر الصديق ويكنى ابا عمرو وكان من السابقين إلى الإسلام قال ابن الاثير «اسلم قبل ان يدخل رسول الله ﷺ دار الارقم. وكان حسن الإسلام وعذب في الله، فاشتراه ابو بكر الصديق فاعتقه وشهد بدرا واحدا، وقتل يوم بئر معونة» سنة 4 هـ 625م، راجع:
- ابن الاثير: اسد الغابة م س ج3 ص32.
- ابن حجر : الإصابة م س ج2 ص 256.

السبعين الذين بعثهم النبي ﷺ إلى بئر معونة[1] وامر عليهم المنذر بن عمرو[2] فقتلهم عامر بن الطفيل[3] فلما قتل عامر بن فهيرة رفع بين السماء والأرض[4] وهو مولى لأبي بكر الصديق، (ومنها قصة عبد الله ابن جحش[5] حين قال: (اللهم إن لقينا هؤلاء الأعداء، فإني أسألك أن يقتلوني ويبقروا بطني، ويجدوا أنفي وأذني، فتقول لي يوم القيامة في من فعل ذلك بك؟ فأقول فيك يارب. فقتل يوم أحد. وبقرت بطنه وجدع أنفه وأذنه. فقال رجل سمعه حين دعا أما هذا. فقد أعطى ما سأل الله في نفسه، والله يعطيه ما سأل في الآخرة)[6] ومنها قصة تميم بن حبيب الداري[7]، مع النار التي استعرت بالمدينة، فاستغاثوا به أن يردها فصغر نفسه، فقال وما عسيت أن أكون، فجعل يحوشها، حتى أدخلها

---

(1) عند ابن الأثير نفس المصدر ج 3، ص33 وكذلك الكاندلهوي: حياة الصحابة، ج 4 ص 459.

(2) هو المنذر ابن عمر ابن خنيس بن حارثة الامصاري، شهد العقبة وبدرا واحدا، وذكر ابن الأثير، ان أهل نجد قتلوه حين دعاهم إلى الإسلام، كما قتلوا جميع رفقائه من أصحاب الرسول ﷺ وهم اربعون:
– ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج 4 ص 494.

(3) هو عامر ابن طفيل بن مالك بن جعفر العامري، ذكر ابن الأثير أنه كان سيد بني عامر في الجاهلية، واختلف في إسلامه: راجع: ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج 3 ص 23.

(4) واجع ابن الأثير: نفس المصدر والكاندلهوني، حياة الصحابة، ج 4 ص 459.

(5) هو عبد الله بن جحش بن رياب بن معمر، أبو محمد الاسدي، امه اميمة بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ. اسلم قبل دخول النبي دار الارقم، كان قد هاجر إلى الحبشة. وهو اول من أمره الرسول على سرية، وغنيمته كانت أول غنيمة غنمها المسلمون، شهد بدرا وقتل في أحد.
– ابن الأثير: أسد الغابة، ج 3 ص 90.
– ابن حجر: الإصابة م س ج 2 ص 296.
– ابن عبد البر: الاستيعاب م س ج 2 ص 272.

(6) راجع العزفي: دعامة اليقين، م س ص 19 وابن الأثير في أسد الغابة م س ج 3 ص 91.

(7) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سواد بن حبيب الداري اسلم سنة 9 هـ 630م روى عن النبي ﷺ وروى عنه ابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وانس بن مالك، وذكر ابن سعد ان تميم كان يختم القرآن في سبع ليالي، مشيرا إلى أنه كان ينوب عن الرسول في الصلاة في بعض الاحيان، وانه انتقل من المدينة إلى الشام بعد مقتل عثمان. ونزل بيت المقدس وتوفي سنة 40 هـ 660 م راجع:
– ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج 5 ص 26 وج 3 ص 500.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب: م. ج 1، ص 511.
– ابن كثير: البداية والنهاية: م س ج 5، ص 87 وج 6 ص 153.

المكان الذي خرجت منه، ثم اقتحم على أثرها. فخرج ولم تضره من شيء، فقال عمر ﷺ : (ما من شهد كمن لم يشهد)[1] ومنها قصة أبي ريحانة[2] حين ركب البحر فجعل يخيط، فسقطت الإبرة من يده في البحر فقال عزمت عليك يارب إلا رددت على إبرتي فطفت على الماء فظهرت فأخذها[3]، ومنها قصة أنس بن مالك، لما أقحطت أرضه فتوضأ ثم خرج نحو البرية، فصلى ثم دعا، فانجابت السحابة وجاء المطر، حتى ملأ كل شيء. فلما سكن المطر نظروا فلم تعد أرضه إلا سيلا[4]، (ومنها قصة خالد ابن الوليد حين أتي برجل معه زق خمر فقال: اللهم اجعله عسلا ففتحوه فوجدوه عسلا)[5]. ومنه قصة عاصم بن ثابت[6] وفيها أنه قتل بكل سهم كان معه رجلا من المشركين وقال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار، فاحم لحمي في آخر النهار. فلما قتله المشركون أرادوا جز رأسه ليبيعوه من سلافة[7] بنت سعد، وكان قد أصاب أباها يوم أحد- فأرسل الله تعالى رجلا من الدبر وهي [الزنابير][8] فحمت عاصما منهم، فلم يستطيعوا أن يقربوه. فسمي حمي الدبر. فاجمعوا

(1) راجع العزفي: دعامة اليقين، م س ص17 وابن كثير: البداية والنهاية: ج 6 ص 153.

(2) هو عبيد الله بن مطير ابو ريحانة. روى عنه كريب بن ابرهة وثوبان بن شهر له كرامات قال عنه الذهبي «تابعي صويلح الحال» راجع:
- ابن الأثير: أسد الغابة م س ج ص287.
- الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج 2 ص 56

(3) راجع العزفي دعامة اليقين، م س 19 وابن الاثير أسد الغابة م س ص 287.

(4) راجع العزفي: نفس المصدر ص16، والكندهلوي حياة الصحابة ج 4 ص 483 ومحيي الدين الطعمي معجم كرامات الصحابة ص15.

(5) راجع العزفي: دعامة اليقين، م س ص19 وابن حجر: الإصابة ج 2 ص414.
الكندهلوي حياة الصحابة م س ج 4 ص 529.

(6) راجع إحالة رقم 4 الفصل الخامس من الصدر.

(7) هي سلافه بنت سعد اشار الطبري أثناء حديثه عن غزوة احد إلى قصتها مع عاصم والانتقام منه: راجع:
- الطبري: تاريخ الرسل والملوك م س ج 2 ص517.
- ابن الاثير: اسد الغابة م س ج 2 ص 8.

(8) م [الدنابير] ط س د [الزنابير].

على اخذ رأسه إذا جن الليل، وذهب الدبر فارسل الله تعالى مطرا فحمل الوادي فاحتمل عاصما. وكان قد أعطى الله تعالى عهدا. ان لا يمس مشركا ولا يمسه. مشرك فابر الله تعالى قسمه حيا وميتا)[1]، ومنها قصة حنظلة[2] بن أبي عامر ويعرف بالراهب، وهو الذي غسلته الملائكة، (ومنها قصة زيد ابن أخطب وكانت له بضع، عشرة شاة وقال كنت احلبهن فافعم الاناء من لبهن كلهن فافعمت الإناء يوما من لبن إحداهن، فالتفتت الشاة إلي وقالت أوجعتني يا يزيد، فاكفيت الإناء ثم أتيت النبي ﷺ فاخبرته فقال أصبت أصاب الله بك[3]. ومنها قصة شريك بن خباشة[4] حين قدم مع عمر على بيت المقدس فخرج يستسقي من جب سليمان فجر دلوه في الجب فنزل يستخرجه فابتدره ملكان فحمله احدهما فادخله الجنة. فجعلا يسيران فيها إلى أن مر بشجرة ذات أفنان وورق نضيد مديده، فأخذ منها ورقتين فوضعه الملك، ثم قال له لو ملكت يدك مازلت أسير بك فيها إلى يوم القيامة، فخرج إلى صلاة الظهر فاتى عمر فاعلمه بذلك وبسط يده عن الورقتين، فقال عمر أضمم يدك وبعث إلى كعب. فقال له عمر: يا أبا إسحاق هل تجد في كتاب الله التوراة أن رجلا من أمة محمد ﷺ يدخل الجنة ثم يخرج منها؟ قال: [نعم][5] قال: هل تسميه؟ قال: نعم، ذاك شريك بن خباشة النميري،

---

(1) راجع: ابن الاثير: أسد الغابة م س ج 3 ص 7، ومحي الدين الطعمي، معجم كرامات الأولياء الصحابة ص 72 مع اختلاف في اللفظ.

(2) هو حنظلة ابن أبي عامر كان ابوه يعرف بالراهب في الجاهلية، واصبح حنظلة من سادات المسلمين استشهد يوم أحد وهو الذي غسلته الملائكة حسب إشارة ابن الاثير راجع.
– ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج 1 ص543.

(3) راجع الغزفي: دعامة اليقين م س ص 19.

(4) ذكره الطبري عند الحديث عن أحداث سنة خمس وثلاثين، مشيرا إلى أن شريك هذا كان من جملة من قام بالبصرة من التابعين ضد سياسة عثمان، راجع:
– الطبري: تاريخ الرسل والملوك، م س 4 ص 352.

(5) سقط من س.

قال: هل تحليه؟ قال: نعم. فجعل كعب يحيله وعمر ينظر إلى شريك فلم يخرج عن حليته، فقال: عمر فهل تراه في القوم؟ فنظر كعب فقال هو هذا. ثم انظروا إلى الورقتين فإن تغيرتا فليستا من الجنة، فمكثت الورقتان عنده إلى أن مات ولم يتغيرا. وأمر أن تحملا مع طول المدة يتبرك بهما ويستشفي بهما من جميع الأمراض والأسقام)[1]، فهذا بعض ما ورد من كرامات الصحابة، على وجه الاختصار، وسنذكر بعض ما ورد عن أزواجه، وأهل بيته ﷺ [ولو باللمع المصار][2]. فمنها ما ورد عن (عائشة رضي الله عنها في شطر من شعير توفي ﷺ، عنه فأكلمت منه زمانا طويلا فلما كالته فني)[3] ومنها ما ورد في (قصة فاطمة رضي الله عنها، وقد أهدت إلى أبيها رغيفتين وقطعة لحم، في طبق فرجع به إليها وقال: هلمي يابنيتي، فكشف عن الطبق، فإذا هو من عند الله فقال ﷺ «الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل»[4] ثم جمع ﷺ علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وأهل بيته فأكلوا منه حتى شبعوا وبقي الطعام، كما هو فأوسعت به فاطمة على جيرانها رضي الله عنها، ومنها (قصة زائدة مولاة عمر بن الخطاب، وكانت كثيرا ما تتردد إلى النبي ﷺ، فأتته ذات يوم فقالت يا رسول الله استأنس. فقال استأنسي يازائدة إنك لموفقة. فقالت بأبي أنت وأمي، يا رسول الله عجنت عجينا لأهلي، فخرجت من وراء دار [شيبة][5] أحتطب فلما شددت حزمتي، سمعت وقع فارس، فالتفت فإذا بفارس، لم أر فارسا أحسن مركبا منه ولا أحسن وجها، ولا أحسن ثوبا، ولا أطيب رائحة،

---

(1) راجع العزفي: دعامة اليقين م س ص22، غير أن العزفي لم يكمل القصة كما وردت في النص حيث وقفت روايته عند «فنظر كعب فقال نعم هذا هو يا أمير المؤمنين».

(2) سقط من م.

(3) راجع العزفي م س ص14 مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(4) راجع: أبو حيان التوحيدي تفسير البحر المحيط م س ج 2 ص444.

(5) ط س [سيبة] د م [تسينة].

منه فقال لي كيف أنت يا زائدة، وكيف محمد. قلت بخير يعبد الله وينذر بايام الله. فقال إن حملتك رسالة بلغيها محمدا. قلت ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] فقال إنك لموفقة. إذا أتيت محمدا فاقرئيه مني السلام وقولي له إن رضوان خازن الجنة يقول لك : يا محمد ما فرح أحد [من أمتك بمبعثك][2] مثل ما فرحت به. وأن الله تعالى قسم الجنة لأمتك ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا. وثلث تشفع فيهم فتشفع. قالت ثم مضى قالت فذهبت لأحمل حطبي فثقل علي وارتعدت فرائصي[3]. فالتفت إلي وقال يا زائدة أثقل حطبك عليك، فقلت نعم قالت فأخذ قضيبا أخضر في يده فهوى به للحطب، فرفعه ثم التفت، فإذا بصخرة تأتيه. فقال أقبلي أيتها الصخرة، فاقبلت فقال احملي هذا الحطب مع زائدة إلى دار عمر. فلو رأيتها يا رسول الله تدكدك بين يدي إلى باب عمر فالقت الحطب ثم رجعت، فقال ﷺ قوموا بنا فأنا لفي أرض فخر. فأتي باب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فنظر إلى أثر الصخرة [ذهابها ومجيئها][4].

ومنها ما رواه عباس الدوري[5] يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة، فخرج إلى البرية، فقالت امرأته، اللهم ارزقنا بما نعجن ونختبز، قال فإذا جفنة ملآنة عجينا. وإذا الرحى

---

(1) البقرة 286.

(2) ط. س. [امتك بمعثك] و الراجع [من امتك بمبعثك] وقد سقط من د.

(3) فرائص: جمع فريصة وهي لحمة بين الجنب والكتف. مختار الصحاح م س 498.

(4) في جميع الأصول [فحيها ودعابها] وفي دعامة اليقين للعزفي، ص: 21 ذهابها ومجيئها، وهو الراجح:
– و عن قصة زائدة راجع ذلك ابن الأثير : أسد الغابة م، س، ج 6، ص:122.

(5) هو عباس بن محمد بن حاتم الدوري، ابو الفضل البغدادي ولد سنة 185هـ 801م، روى عن جماعة منهم ابو داوود الطيالسي وخالد بن مخلف و روى عنه ابو العباس بن شريح، وابن ابي الدنيا، وابن ابي حاتم و قد اتفقوا على صدقه، وحسن حديثه، وتوفي سنة 271هـ 884م. راجع: – ابن حجر: تهذيب التهذيب، م، ص، ج5، ص: 129.

تطحن وإذا التنور مليء [خبزا][1] وشواء. قال فجاء زوجها فقال هل عندكم من شيء، قالت نعم، رزق الله. قال فأتى الرحى فكنس ما حولها، قال فذكر ذلك النبي ﷺ فقال عليه السلام، «**لو تركتها لدارت وطحنت إلى يوم القيامة**»[2] ومنها ما رواه أبو رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه، ان رجلا مؤمنا كانت تحته امرأة مؤمنة، وأنهم أصبحوا يوما، وليس عندهم طعام، فغسلت الخوان الجفنة، وسجرت التنور، وجعلت تعلل زوجها حتى نام فقامت إلى جفنتها فوجدتها ملآنة تدفق عجينا قد اختمر. فذهبت إلى التنور فإذا به جنب لحم. فقال زوجها من تصدق علينا بهذا؟ قالت له الرب تبارك وتعالى][3] فهذا من فضل ما نقل عن بعض الصحابة، وقد ذكرت منه طرفا، وما قصدت به سرفا، وإنما نبهت بالشهير على الخفي، وبالقليل الجلي على الكثير الخفي، لتكون في سماء المعارف نجوما، وللشياطين المنكرين قد أعدت رجوما، فإن اللمحة من ذلك تثبت أفئدة ذوي الألباب، واللمعة منه نور كل بصيرة معصومة من الغشاوة والحجاب، وساذكر مع ذلك طرفا مما نقل عن التابعين. مع ما ورد فيه من حكايات الطائعين، مما يشتد به وثاق عزمك، ويكون حجة لك على قومك، ويذهب منك رجس سهوك ونومك، فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] فمن ذلك ما وردّ في حديث ربعي بن حراش[5] عن

(1) في ط [جنسا] و قد سقط من س. م. [جنوب] ولعل الصواب: خبزا وشواء كما ورد في هامش حياة الصحابة للكاندهولي، م س، ج 4، ص: 511، نقلا عن اليهقي.

(2) الكاندهلوي: نفس المصدر ، ص: 35.

(3) راجع: العزفي: دعامة اليقين، م، س، ص: 35.

(4) هود 120.

(5) هو ربعي بن حراش العبسي ابو مريم الكوفي ، من خيار التابعين المخضرمين. روى عن عمر وعلي، ابن مسعود كان ثقة توفي سنة 100هـ 713م، راجع:

– الدار قطني: ذكر اسماء التابعين، م. س، ج1، ص: 137 =

أخيه. وكان من خيار التابعين، وممن تكلم بعد الموت (لما مات أخي سجي في ثوبه، وألقيناه على نعشه، فكسف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا، وقال: إني لقيت ربي عز وجل، فحياني بروح وريحان، ورب غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر ما تظنون، ولا تغتروا، وأن محمدا ﷺ ينتظرني، هو وأصحابه حتى أرجع إليهم. قال ثم طرح نفسه فكأنما حصاة وقعت في طست فحملناه و دفناه)[1]، ومنها ما ورد في حديث الفقيه الفاضل، رشد الدين أبي الحسن يحي بن علي بن عبد الله القرشي[2] قال: سمعت القاضي أبا القاسم حمزة بن على المخزومي يقول مذاكرة: سمعت أبا القاسم بن علي المعروف بابن الصيقال[3] وأثنى عليه خيرا يقول سمعت شيخي الرحمي المغربي الضرير[4] يقول: كنا ببلاد الشام، إذ جاء زمن الحصاد نجتمع عشرة أضراء، ونأخذ معنا رجلا بصيرا يقودنا، ونخرج إلى الضياع، نستوهب من العشر الذي يخرجه المسلمون، من زروعهم، فاتفق مرة أن خرجنا عشرة أضراء، وأنا واحد منهم. وأخذنا معنا رجلا بصيرا، وقصدنا الضياع، ففتح الله لنا بشيء صالح فبعناه. وتسلم قائدنا جميع الثمن، وعدنا راجعين إلى مواضعنا، فغدرنا الرجل الذي يقودنا، وأخذ الثمن وتركنا بالبرية ومضى. فقلنا ما الذي نصنع وطرق ضياع الشام كثيرة الاختلاف. فأجمعنا على أننا نجتمع، ونتجزأ ختمة نقرأها فإذا فرغنا منها، ابتهلنا إلى الله ودعوناه، أن يفرج علينا.

- العجلي: تاريخ الثقات، م، س، ص: 152
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م، س، ج3، ص: 236

(1) ورد ذكر قصة اخي ربع بن حراش عند العزفي، في دعامة اليقين، م. س، ص:21 لكنه لم يذكر القصة كاملة كما وردت في النص بل اقتصر على أن قال "وقصة اخي ربعي ابن حراش فهو ممن تكلم بعد الموت".

(2) ابو الحسن ابن عبد الله، وردت الإشارة إليه في برنامج التجيبي عند حديثه عن قراءة الشيخ فخر الدين لصحيح البخاري على يد بعض العلماء منهم ابو الحسن هذا راجع:
- التجيبي: برنامج التجيبي، م، س، ص: 70

(3) لم أقف له على ترجمة

(4) لم أقف له على ترجمة

ففعلنا ذلك. وقمنا نمشي وكل واحد منا أخذ بيد صاحبه. فبينما نحن نمشي إذ قال الأول منا: يمينكم قلنا وما الخبر، قال أنتم بقرب عمارة، قلنا وما يدريك، قال قد وقعت يدي على ذنب عجل. وأنا ماسك به، قال وسرنا على ذلك. فبينما نحن نسير إذ سمعنا كلام الناس، وهم يقولون: تعالوا حتى تبصروا هذا العجب. عشرة عميان يقودهم أسد. فلما سمع الأول منا مقالة الناس خاف وترك ذنب الأسد من يده. فمضى الأسد وجاء الناس، وجعلوا يتبركون بنا، ويسالون منا الدعاء. فسمع والي البلد بخبرنا وقصتنا، فقال: قد دخل في بلدنا رجل غريب قد استنكرت حاله. فسجنته فلعله صاحبكم. ثم وجه إليه فاخرجه. واستقره. فإذا هو صاحبنا. فأخذنا متاعنا منه، وتركناه، قال القاضي المخزومي: فما رأيت أعجب من هذه الحكاية. مع صحتها وقرب سندها، ومنها، ما ذكره أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري يرفعه إلى أبي نصر السراج[1] أنه قال (دخلنا تستر[2] فرأينا

---

(1) هو ابو نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج، اصله من طوس، وهو من الصوفية السنين قام برحلة إلى العديد من البلدان، حتى وصل إلى مصر، واثناء ذلك، إلتقى بالكثير من كبار الزهاد، وقد اورد له القشيري العديد من الاقوال، في رسالته، وصاحب كتاب «اللمع في التصوف» وتوفي سنة 378هـ 988م، راجع:

- القشيري: الرسالة القشيرية في عدة صفحات
- السلمي: طبقات الصوفية في عدة صفحات
- ابن العماد: شذرات الذهب، م. ص: ج 3، ص:91.
- الزركلي: الاعلام، ج 4، ص: 241.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، ج 1، ص:487.

(2) تُسْتر: بالضم ثم السكون. كانت من أعضم مدن خوزستان. تقع على مكان مرتفع، فتحها ابو موسى الأشعري. وحسب ابن حوقل فقد اشتهرت تستر بالديباج الذي "يحمل إلى جميع الآفاق. وكانت تعمل بها كسوة الكعبة للبيت الحرام" وكانت أسواقها عامرة و تجارتها رائجة.

- ابن حوقل: صورة الأرض م.س، 231.
- ياقوت الحموي: المعجم م. س، ج 1. 29
- الحميري: الروض م. س، 140.

في قصر سهل بن عبد الله[1] بيتا يسمونه بيت السباع، فسألنا عن ذلك فقالوا: كانت السباع تأوي إلى سهل، وكان يدخلهم هذا البيت. ويضيفهم ويطعمهم اللحم ويتركم إلى أن يذهبوا. قال أبو نصر: فرأينا أهل تستر وهم الجم الغفير والخلق الكثير، متفقون على تصديق[2] ذلك [ولا ينكرونه][3] وقال أبو القاسم الجنيد سمعت أبا جعفر الخطاب[4] يقول: (أكثر أهل الرحبة الإنكار علي في باب الكرامات، فخرجت إلى البادية، وركبت سبعا فدخلت الرحبة، وقلت أين الذين يكذبون أولياء الله فكفوا بعد ذلك عني)[5]، (ومنها ما ورد عن سفيان الثوري وشيبان الراعي[6] رضي الله عنهما وكانا في طريق الحجاز. فتعرض لهما سبع، فقال سفيان لشيبان: ما هذا: فقال لا تخف، فأخذ شيبان بأذنه فعركها فبصبص له بذنبه. فقال سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال شيبان: فلولا

---

(1) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، ابو محمد ولد سنة 203هـ 718م. و يعد من تلامذة ذي النون المصري، وحسب فؤاد سزكين، فإن سهلا هذا كان صوفيا متكلما، وهو استاذ عبد الله محمد بن سالم 297هـ 909م، مؤسس المدرسة الكلامية في العقيدة، وقد خلف سهل بن عبد الله كتبا منها: التفسير – كتاب المعارضة – والرد على اهل الفرق – رسالة في الحكم والتصوف – رسالة في الحروف – مناقب أهل الله عز وجل، وغيرها، وكانت وفاته سنة 283هـ 896م و قيل 287هـ 900م. راجع:

- السلمي: طبقات الصوفية، م. س، ص: 206.
- القشيري: الرسالة القشيرية، م. س، ج 1، ص:92.
- ابو النعيم : حلية الأولياء، م. س، ج 10، ص: 189.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، م. س، ج 2، ص:424.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء: م. س، ص:232.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، م. س، ج 2، ص: 459

(2) راجع: القشيري الرسالة القشيرية، م. س، ج 2، ص: 684

(3) م [لا ينكر فيه] د [لم ينكروه] ط. س. [لا ينكرونه]

(4) هو ابو جعفر الخصاب، و ليس الخطاب كما ورد في النص، و هو من مشايخ الصوفية، قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج 7، ص:176 «من اقران السري السقطي، و هو من جملة البغداديين» كما نجد له، إشارة عند القشيري في الرسالة القشيرية باب كرامات الأولياء. جزء 2، ص: 684.

(5) راجع: القشيري: الرسالة القشيرية، ج2، ص: 684–685.

(6) هو شيبان أبو محمد الراعي، ترجم له أبو النعيم ترجمة قصيرة مشيرا إلى إحدى كراماته «وكان الراعي، إذا أجنب، و ليس عنده ماءه، دعا ربه فجاءت سحابة، فاظلت فاغتسل، راجع ابو النعيم، حلية الأولياء، ج 8، ص: 317.

مخافة الشهرة، لوضعت زادي على ظهره إلى مكة شرفها الله)[1]. ومنها ما ورد عن ابراهيم الخواص[2] قال: (دخلت البادية مرة فإذا نصراني في سوطه زنار[3]. فسألني الصحبة فاجبته فسرنا سبعة أيام. فقال لي عند الإفطار، يا راهب الحنفية هات ما عندك من الابتساط. فقد جعنا. فقمت فدعوت: إلهي لا تفضحني بين يدي هذا الكافر. قال فرأيت طبقا عليه خبز وشواء، ورطب وكوز ماء. فأكلنا وشربنا سبعة أيام. فبادرته عند الإفطار فقلت. يا راهب النصرانية هات ما عندك. فقد انتهت النوبة إليك. فاتكأ على عصاه ودعا. فإذا بطبقين، عليهما أضعاف ما كان على طبقي. قال فتحيرت و تغيرت، و أبيت أن آكل. فالح علي فلم أجبه فقال: كل فإني مبشرك ببشارتين: إحداهما بأني اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وحل الزنار. والأخرى إني قلت حين دعوت: اللهم إن كان لهذا العبد عندك خطر، فافتح علي. ففتح علي بهذا الذي رأيت. قال فأكلنا وسرنا وحججنا. وأقمنا سنة ثم إنه مات فدفناه بالبطحاء)[4]، ومنها ما ذكره [أبو عمر الزجاج][5]: دخلت علي الجنيد، وكنت أريد الحج، فأعطاني درهما فشددته في مئزري. ولم أدخل منزلا إلا وجدت رفيقا من أهله. فلما حججت

(1) راجع: القشيري : الرسالة القشيرية باب كرامات الأولياء، م. س، ج 2، ص: 690.

(2) هو ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الخواص، يكنى بابي إسحاق، كان من كبار المشايخ الزهاد المشهورين في وقته، و توفي سنة 291هـ 903م، راجع ترجمته في حلية الأولياء لابي النعيم، م. س، ج10، ص: 325. طبقات الصوفية للسلمي، م. س، ص: 284.

(3) وسطه زنار والزنار: حزام يشده النصراني في وسطه. المعجم الوسيط م. س، ج 1، ص:404.

(4) القشيري : الرسالة القشيرية باب كرامات الأولياء، م. س، ج 2، ص: 683–684

(5) هو محمد بن إبراهيم، أبو عمر الزجاجي وليس [ابو عمر الزجاج] كما ورد في النص، اصله من نيسابور، وكان من تلامذة الجنيد، وسفيان الثوري، و إبراهيم الخواص، اقام بمكة، واصبح شيخا ذائع الصيت، يرجع الناس الى كلامه، وتوفي في الحرم سنة 348هـ 959م. راجع:

– السلمي : طبقات الصوفية، م. س، ص: 206.
– ابو النعيم: حلية الاولياء، م. س، ج 10، ص: 189.
– ابن الملقن: طبقات الأولياء، م. س، ص: 156.
– الشعراني: الطبقات الكبرى، م. س، ج 1، ص: 117.

ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد فقال: هات الدرهم فناولته إياه فقال: كيف رأيت؟ فقلت: كان [الحتم][1] نافذا[2] فهذا قدر ما يحتمله هذا المختصر. وفيه كفاية، وغنية لكل مقتصر، ولله در القائل:[3]

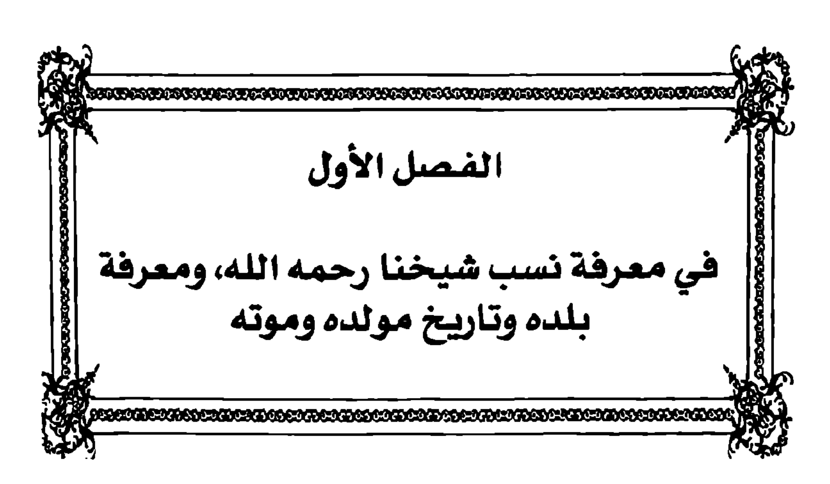
سَأَلَتْنِي عَنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ[3]
وَرَآنِي طَرِبًا فِي إِثْرِهِمْ ... طَرَبَ الوَالِهِ أَوْ كَالْمُخْتَبِلِ

فإياك من إنكار ما لم يبلغه نظرك، ولا أحاط به خطرك، فلا تفلح مدى عصرك، وقل لمن في حلبة الغي بالانكار يتبارى، وعن مناهة الرشد بالحسد يتوارى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾[4]، قال أبو بكر ابن العربي: منكر الكرامات إما أن يجوز وقوعها ويكذب أحوال من ظهرت عليه. فهو داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾[5] الآية وإما أن يستحيل وقوعها وكذب أحوال من ظهرت عليه. فهو داخل في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[6] وأنشدوا:

يَا سَاهِيًا وَهُوَ فِي الأَمْوَاتِ مَعْدُودُ ... وَغَافِلاً وَهُوَ بِالآفَاتِ مَقْصُودُ[7]
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي قَالُوا وَفِي فَعَلُوا ... وَالقَلْبُ عَنْ كُلِّ مَا يُغْنِيهِ مَصْدُورُ
تَهْوَى الصَّلاَحَ وَلاَ عِلْمٌ وَلاَ عَمَلٌ ... شَيْءٌ لَعَمْرُكَ يَا بَطَّالُ مَفْقُودُ
الصَّالِحُونَ لَيَالِيهِمْ مُنَوَّرَةٌ ... فَكَيْفَ تَعْدِلُهَا أَيَّامُكَ السُّودُ
وَجَدْتَ قَلْبًا وَغَابَتْ عَنْكَ رُقْيَتُهُ ... وَرُبَّمَا غَابَ أَمْرٌ وَهُوَ مَوْجُودُ

(1) [الحتم] ط. س. د [الحتم] إحكام الامر.
(2) راجع: القشيري: الرسالة القشيرية باب كرامات الأولياء، م. س، ج 2، ص: 688.
(3) من الرمل
(4) النجم 55
(5) يونس 95 و96
(6) الانعام 33
(7) البسيط

القطب الثاني
وفيه فصول



الفصل الأول

في معرفة نسب شيخنا رحمه الله، ومعرفة بلده وتاريخ مولده وموته

اعلم يا أخي وفقك الله و إيانا لطاعته، و سلك بنا مسلك توفيقه ومرضاته. أن الدين كله نسب فالمسلم أخ المسلم، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] فكل نسب لغير الشريعة فنسب ضائع، وشرف بالمذلة، شائع، وقد جعل الله تعالى في هذه الآية نسب الإيمان أشرف، من نسب القرابة، وأقرب للولاية في طريق الإنابة، قال ﷺ « **إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء مؤمن تقي وكافر شقي أنتم بنو آدم و آدم من تراب** »[2] فهذا هو النسب الأعلى. وهو الذي أردع نفوس الأتقياء من الكبر والخيلاء. قال وهب بن منبه (قرأت اثنين وسبعين كتابا مما أنزل الله تعالى على أنبيائه ورسله فوجدت الرفعة في التواضع، والفخر في الفقر والنسب في التقوى)[3] ولله در القائل:

نَسَبٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نُورٌ وَمِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ عَمُودُ[1]

ولكن قد ندب الشارع أيضا إلى معرفته، من حيث أن يدعى الإنسان بأبويه قال تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾[4] وقال ﷺ « **تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم** »[5] و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا النسب، ولا تكونوا كنبط السودان

---

(1) الحجرات 10

(2) في مسند الإمام احمد ابن حنبل، ج 3، ص: 361، نقرا هذا الحديث في الصيغة التالية: "قال رسول الله ﷺ ، "إن الله عز وجل، قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، و فخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب"

(3) ذكر ابو النعيم في حلية الأولياء، ج 4، ص:24، و ما بعدها، العديد من اقوال وهب بن منبه،لم اعثر من بينها على هذا القول.

(4) الأحزاب 5

(5) النص الكامل، لهذا الحديث ورد عن الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب البر و الصلة، باب ما جاء في تعليم النسب، ج 4، ص:309 ، وهو كالتالي: « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال، منسأة في الأثر »

إذا سئل أحدهم يقول من قرية كذا وكذا»[1]. وقد ورد في الحديث أيضا أنه قال ﷺ «إن الرحم إذا تناسبت تعاطفت»[2] فالنسب رحمك الله سلم للتعارف، وسبب للتعاطف ثم تعاطف الأرحام عند صحيح المعرفة، يبعث على التناصر والألفة، أنفة للعظماء أن تستعلي الأباعد على الأقارب وتوقيا من تسلط الغرباء والأجانب، وفي الحكمة لما حفظت العرب أنسابها لا تحتاج إلى سلطان يسودها ويقهرها، ولا ناصر يمدها ويظهرها، ثم في معرفة النسب أكرام الحسب، وفيه شرف الدنيا واستعظام الدين، وفيه شرف أخرى به تتواصل الأرحام، وتحفظ مراتب الكرام. وفي معرفته معرفة منن الله تعالى علي عباده، واستدعاء للشكر ممن جعله الله تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[3] وفي الآخرة أعظم ما يرتجى من بركاتهم، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[4] وقد ورد في معنى الآية ألحقنا بهم ذرياتهم [في الجنة درجاتهم][5] وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم، درجات آبائهم تكرمه لآبائهم[6] رواه سعيد بن جبير وقال ابن عباس : معنى الآية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، التي تبعت الإيمان بالإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار[7] الذين لم يبلغوا الإيمان، قاله الضحاك[8]، وقال

---

(1) راجع عباس العقاد: عبقرية عمر، دار الكتاب العربي، ص:195.

(2) ورد نص هذا الحديث بصيغة اخرى عند ابن حجر في فتح الباري، كتاب الادب، باب من وصل وصله الله، ج 10، ص: 417. «الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته».

(3) الكهف 82

(4) الطور 21

(5) سقط من د.

(6) الطبري: جامع البيان، م. س. ج 25، ص: 15

(7) الطبري: نفس المصدر ص15.

(8) هو الضحاك بن مراحم البلخي، الخراساني ابو القاسم، روى عن ابن عمر و ابن عباس و ابي هريرة و انس بن مالك، وهو مفسر مشهور، وكان يؤدب الاطفال. له كتاب التفسير. ومات سنة 105هـ723م: راجع :
- الذهبي: ميزان الاعتدال م. س، ج 3، ص: 322.
- الزركلي: الاعلام، م. س، ج 3، ص: 316.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، م. س، ج 1، ص: 49.

ابن عمر: ذريتهم: بغير ألف[1] الذين في حجورهم، وبالألف الأعقاب والنسل فأخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كانوا في الدنيا بعمله من غير أن ينقص الآباء من أجورهم شيئا و أنشد:

رَأَيتُ صَلاَحَ المَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ [وَيعدُّ منهُمْ دَاءَ]الْفَسَادإذَافَسَدَ[2]
يُعَظِّمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلاَحِهِ وَيَحْفَظُ بَعْدَ المَوْتِ فِي الأَهْلِ وَالوَلَدِ

فلولا معرفة النسب لما عرف شريف ولا مشروف، ولا فاضل ولا مفضول، ولا تزال الناس بخير، ما تباينوا بالأنساب. فإذا تساووا هلكوا. وصارت الأشرار في درجة الأخيار. وليس في أدلة النقل وشواهد العقل، ما يجب أن يجعل به المتقون كالفجار. دخل محمد بن الفضل[3] على والي الأهواز[4] فسمعه يقول: إذا كان الحق، تساوى عندي الهاشمي والنبطي، فقال لأن تساوي حالهما عندك فما ذلك بزائد النبطي، رتبة ليست له،ولا نقاص الهاشمي قدرا هو له. وإنما يلتحق النقص بالمسوي بينهما، وقد رأى بعض الحكماء، رجلا ذا نسب شريف. وفعل دنيء فقال: ما أحوج شرفك إلى من يصونه، فيكون فوق من أنت دونه، فالشرف بالنسب وراثة وبالدين اكتساب، فإذا اجتمع الدين والحسب

---

(1) راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن،م. س، ج17، ص:66.

(2) من الطويل.

(3) هو محمد بن الفضل، أبو النعمان، كنيته عازم. روى عن جرير بن حازم ومهدي بن ميمون، وابن مبارك، وروى عنه أحمد ابن حنبل، والأخوص ويعقوب بن ابي سفيان، وثقه العجلي والنسائي، وقال ابن سعد :توفي بالبصرة سنة224هـ 838م.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين، م.س، ج1،ص:330.
- العجلي: تاريخ الثقات، م.س، ج،ص:411.
- ابن سعد: طبقات أبي سعد، م.س، ج7،ص:305.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م. س، ج9، ص:402.

(4) مدينة من مدن خوزستان كان فتحها على يد حرقوص بن زهير السعدي، في خلافة عمر بن الخطاب، راجع:
- ابن حوقل: صورة الأرض، صك 227.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، م. س، ج1، ص: 284.
- الحميري: الروض المعطار، ص: 61.

كان الشرف به أكمل، والرتبة به أعلى وأجمل، قال الشاعر:

تَلْقَى السَّرِيَّ مِنْ الرِّجَالِ بِنَفْسِهِ وَابْنَ السَّرِيِّ إِذَا سَرَى أَسْرَاهُمَا[1]

فأما نسب[2] شيخنا رحمه الله فقرشي، من بني أمية بن عبد شمس من ذرية عمر بن عبد العزيز ﷺ، على ما حدثني به العم الحاج المتصوف. أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبي محمد صالح[3] رحمة الله عليهم أجمعين. وقد سألته عن نسب الشيخ فقال: وجدت في طرة كتاب التشوف[4] عند ابن العم الفاضل أبي القاسم بن عبد الله بن [أبي] [5] محمد صالح نسبه مسطورا، إلى عمر بن عبد العزيز، فحفظته منه، ثم تلاه علي، وكنت حينئذ قليل الخوض في هذا الشأن، صغير السن عديم الفهم، حيث لم أقيدها منه. وحدثني الشيخ الفاضل أبو الربيع سليمان ابن عبد الملك بن موسى بن أبي حبوش[6] رحمة الله عليه، بزاويته المعروفة من قطر بجاية المحروسة قال: سمعت والدك إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح[7] يقول نحن من قريش، من بني أمية بن عبد شمس من ذرية عبد الله، أو قال عبيد الله بن عمر بن عبد العزيز[8] الشك مني في ذلك، وحدثني الشيخ الفاضل الحاج المسن أبو الربيع سليمان بن أبي بكر بن أبي عمار المسيلي[9] بحضرة بجاية المحروسة، وقد

(1) من الكامل

(2) راجع الفصل الخاص لترجمة الشيخ ضمن الدراسة.

(3) لم أقف له على ترجمة غير أن الأستاذ محمد بن شريفة قال عنه: «كان شيخا فاضلا، روى عنه صاحب المنهاج بعض الأخبار» راجع محمد بن شريفة، مرجع سابق، ص:37.

(4) كتاب التشوف، مصدر سابق

(5) سقط من م.

(6) لم يرد ذكره عند الغبريني في عنوان الدراية، كما لم ترد اي إشارة إلى زاويته المشار إليها في النص.

(7) راجع: الفصل الخاص بترجمة المؤلف ضمن الدراسة.

(8) عبيد الله هذا هو ابن عمر ابن الخطاب و المقصود عند صاحب النص، هو عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز، وهو الذي ولاه يزيد بن الوليد على العراق، راجع:

– الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، أحداث سنة ست وعشرين و مائة، ج7، ص:284.

(9) ترجم الغبريني في عنوان الدراية، ص:33، لأبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي المتوفى سنة 580–1185م كما ذكره ابن قنفذ في انس الفقير، ص:34 مشيرا إلى انه «كان قاضيا ومن الذين اجتمع بهم»

ذاكرني[1] في النسب فقال: نسبنا وإياكم واحد إلى عمر بن عبد العزيز، وقد تذاكرته من والدك إبراهيم رحمه الله وكان يقول: ما لنا هناك قرابة، أقرب منكم إلينا أو منا إليكم، حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحي بن داود الجلاوي[2] قال سمعت والدك إبراهيم بن أحمد يقول: جدنا قرشي ونحن من قريش، وأما التواتر المستفاض في بلاد المغرب فهو من عشيرة[3] بني حي فخذ[4] من أفخاذ بني نصر[5] من قبيل بني ماجر[6] وفرهم الله تعالى بالتمسك بطاعته ثم بنو نصر أيضا من عشائر قبائل

=أبو مدين، ولعل ابو الربيع سلمان بن أبي بكر بن عصار المسيلي، المذكور في النص هو احد حفدته، او من الذين ينتسبون إليه بنوع من القرابة العائلية».

(1) د.م [ذكرني] ط. س [ذاكرني].

(2) الجلاوي نسبة إلى قبيلة كلاوة التي تقع في الجنوب الشرقي من مراكش وقسمها الشمالي بدائرة ايت اوربر وقسمها الغربي بدائرة ورزازات، انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بن عبد الله، ملحق2، ص:251.

(3) عشيرة: عشيرة الرجل، بنو ابيه الأدنون، «قيل هم القبيلة، والجمع عشائر، وفي التنزيل: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. راجع:

– ابن منظور: لسان العرب، ج 4، ص:574، والمعجم الوسيط، ج 2، ص:608.

(4) عرف الأستاذ احمد التوفيق الفخذ فقال: «نصطلح ان نسمي بالفخذ ما سماه كل من موتطاني وبيرك «تاقبيلت» لان «تاقبيلت» تطلق في الاصطلاح الشفوي المحلي و عند الموثقين، على كل جماعة يعنيها التداول في شان ما سواء في مستوى قرية واحدة، أو فخذ واحد، أو ربع من الارباع او مجموع اينولتان» وبعد ما ذكر ما جاء في بعض الوثائق، زاد قائلا: «كان الفخذ يجعل اسما مشتركا، ولم يكن بالضرورة منتسبا لاسم بشري، ولا يدعى فخذ من افخاذ اينولتان انحداره من جد مشترك، وكان للفخذ حدوده الترابية لا يتجاوزها اسره المشتبكة بالعظام، وكان يقوم قياما واحد في الحرب، فالحمية تتضح بين الافخاذ اكثر فيما تتضح في مستوى أدنى او اعلى...» راجع:

– احمد التوفيق، اينولتان، 1850–1912، مرجع سابق، ص: 144–145.

(5) بنو نصر ورد ذكرهم عند البيذق حيث قال: ثم قمنا منه لموضع يقال له بنو نصر، يلاحظ ان الاسم اطلق على مجال جغرافي وليس على تجمع بشري: راجع:

– أبو بكر بن على الصنهاجي المكنى بالبيذق، اخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية باب ذكر فيه خروج الخليفة للغزو، دار المنصور للطباعة، الرباط، 71، ص: 49–50.

(6) قال الأستاذ احمد التوفيق في شرح معنى ماجر «و الماجري بجيم مصرية نسبة إلى ماكر من دكالة، وهو بلسان البربر إيماكرن، ومعناه الأكابر أو الأسياد».

وذكر ابن خلدون: «بين الناس اختلاف في انتسابهم إلى المصامدة، او صنهاجة» و اشار الأستاذ محمد بن شريفة ان «موطنهم يدعى موطن بني ماجر او بلاد بني ماجر» راجع:

– احمد التوفيق، هامش تحقيق التشوف رقم 37، ص:41

الهساكرة[1] وفرهم الله تعالى وزعمت الهساكرة أن بني نصر جميعهم هساكرة. وأن بعضهم خرجوا عنهم. وهم نزل بأرض بني ماجر كما زعمت قبائل بني ماجر أيضا أن بني نصر جميعهم من عشائر بني ماجر. وأن بعضهم خرجوا عنهم وهم نزل بأرض هسكورة وقد سمعت ذلك من القبيلتين[2]، والله أعلم بالصواب من قول الفريقين ولقد سمعت والدي إبراهيم بن أحمد ذات يوم وهو يتحدث مع جلسائه فقال: نحن من قريش بني مخزوم يريد بذلك – والله أعلم– ما ذكر في نسب بني ماجر لأن بني حي الذي نسبنا إليهم من القبيل المذكور هو حي [ابن][3] صبيح بن داود بن علي بن نصر بن ماجر بن يرزق بن أبي عمر بن مغيرة بن عبد الله عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي[4] فشيخنا رحمه الله [على هذا][5] قرشي [من][6] كل وجه وعلى كل تقدير. فهذا

(1) ذكر ابن خلدون ان هسكورة إخوة صنهاجة لام اسمها: تصكي العرجاء، بنت زحبيك بن مادغيس، كما نجده يذكرهم تارة مع صنهاجة وتارة اخرى مع المصامدة، وقال عن كثرتهم ومكانتهم. «واما هسكورة فكان لهم بين الموحدين مكان واعتزاز بكثرتهم وغلبيتهم» وعن موطنهم في جبل درن قال: «واعتصموا منه بالآفاق الفدد والبقاع الاشم، والطود الشاهق، لقد لمس الافلاك بيده ونظم النجوم في مفرقه وتلفع بالسحاب في مروطه، وآوى الرياح العواصف الدجوة والقى إلى خبر السماء باذنه، واطل عن البحر الاخضر بشماريخه، واستدبر القفرة من بلاد السوس بظهره، واقام سائر جبال درن في حجره» راجع:
– ابن خلدون العبر، م.س، ص: 552.

(2) لعل ذلك يدخل في إطار التحركات التي كانت تمارسها فروع بعض القبائل داخل المجال الجغرافي للقبيلة الأم وهي تحركات تعج المصادر الإخبارية بالإشارة إليها خاصة في فترات الأزمات الاقتصادية أو فترات ازمة الحكم.

(3) عند ابن الزيات في التشوف ص:213، بنو صبيح وقال الأستاذ احمد التوفيق: «ما زالوا في موطنهم بجبال تغنيست بالاطلس الكبير الأوسط ايت مكون وإمغرن»، راجع:
– أحمد التوفيق: هامش تحقيق «التشوف»، 477 ص 213.

(4) لم يرد عند ابن حزم تواتر هذا النسب بالشكل الذي ذكره صاحب النص، فابن حزم ذكر المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في ص: 144، ويقظة بن مرة في ص: 141، ومرة بن كعب في ص: 149، وكعب ابن لؤي في ص: 12، مشيرا إلى نسبه القرشي، راجع:
– ابن حزم الأندلسي: جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

(5) سقط من م.

(6) م [على] ط.س [من].

قدر ما بلغه في ذلك اجتهادي، والله تعالى يثبتني، على قصدي في ذلك واجتهادي. وأما بلده فهو بلد آسفي[1] المحروسة، وهي مسكنه وفي زمانه [سورت][2] وأما تاريخ مولده. فولد عام وخمسين وخمسمائة وتوفي [رحمه الله][3] ضحوة يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي الحجة [عام إحدى وثلاثين وستمائة. وهو يومئذ من إحدى وثمانين سنة][4] رحمة الله عليه. ودفن في رباطه من البلد المذكور، وهو موضع تعبده، مع ثلاثة من ولده محمد وأحمد وعبد الله نفعنا الله تعالى وجميع المسلمين ببركتهم، في حياتهم وبعد مماتهم وانشدوا:

فَكَالشُّهْدِ وَالرَّاحِ أَعْلاَمُهُمْ وَأَعْلاَمُهُمْ مِنْهَا أَعْذَبُ[5]
وَكَالْمِسْكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

---

(1) سبق التعريف بها راجع إحالة رقم 22 مقدمة القطب الاول.

(2) في جميع الاصول [صورت] والصواب [سورت] ويذكر ابن الخطيب الذي زار آسفي اواسط القرن الرابع عشر الميلادي أنها كانت لبنة التمام للمسورات بالمغرب، وحسب باحثين معاصرين فإن المدينة قد حصنها الموحديون.

اما عن تحديد فترة بناء السور وعلى يد من تم بناؤه، فيرجح الكانوني ان يكون ذلك فترة حكم يعقوب المنصور الموحدي وعلى يديه خاصة. وإن هذا الخليفة اشتهر بإقامة العديد من المآثر العمرانية، يقول الكانوني: موضحا ذلك « ويغلب على الظن ان الذي سوره من هذه الدولة هو السلطان يعقوب المنصور، لانه اغناهم بتخليد الآثار وتحصين البلاد، حيث إنه وجد الدولة ممهدة والاموال موفورة فشيد الآثار وحصن الثغور » راجع:

– ابن الخطيب: نفاضة الجراب، مصدر سابق، ص71.

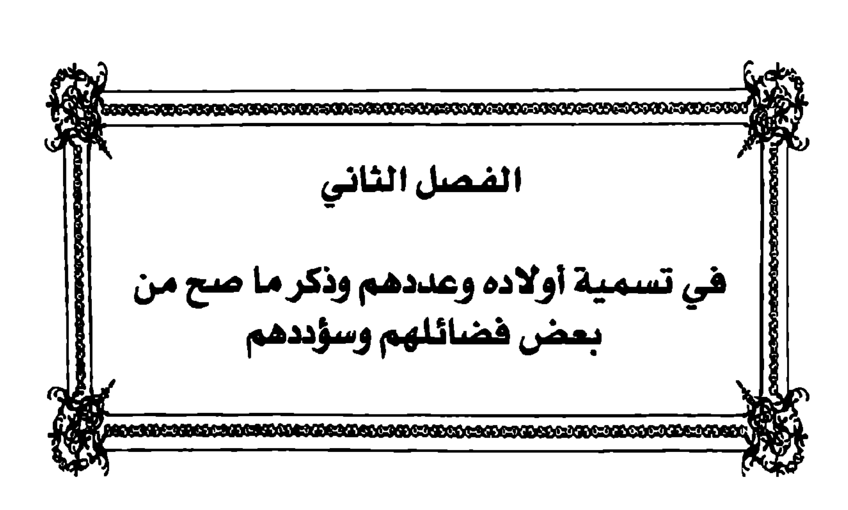
– الكانوني: آسفي وما إليه، م س ص:

– حليمة فرحات وحامد التريكي. آسفي المدينة والرباط في العصر الوسيط، ضمن ابي محمد صالح المناقب والتاريخ، مرجع سابق، ص 7.

(3) د ط س [رحمة الله] م [ؓ].

(4) سقط من د م.

(5) من المتقارب.



الفصل الثاني

في تسمية أولاده وعددهم وذكر ما صح من بعض فضائلهم وسؤددهم

فلهم غايات تقصر عن إدراكها الآجال، ودرجات تزلق فيها عن ثنائهم أقدام الرجال، فلو احتفل زمانهم ما تزين إلا بهم، ولو شرف لما شرف إلا بشرف أنسابهم.

مَا عَايَنَ النَّاسُ فَضْلاً مِثْلَ فَضْلِهِمْ　　وَلاَ يُرَى مِثْلُهُمْ فِي الادنى مِنْ أُمَمِ[1]

هُمْ مَصَابِيحُنَا فِي أَرْضِ مَغْرِبِنَا　　وَهُمْ مَصَابِيحُ أَهْلِ الشَّرْقِ [عَن][2] قَدَمِ

وقد أوردنا من ذلك ما سمعناه، وأثبتناه كما علمناه، أنبانا الفقيه الفاضل محمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكناني[3] رحمه الله تعالى إجازة، قال حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري حدثنا أبو [محمد] عبد الحق بن بونة العبدري[4] حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي حدثنا أحمد بن عمر ابن أنس العذري[5] حدثنا احمد بن الحسن بن بندار الرازي[6] محمد

(1) من البسيط

(2) د [من]

(3) راجع هامش 137 من المقدمة

(4) سقط من س.

(5) هو احمد بن انس العذري وليس العدوي كما ورد في د.م..س ابو العباس المري، ويعرف بابن الدلائي، رحل مع والده إلى مكة، وسمع من ابي القاسم، احمد بن محمد بن عثمان، ومن ابي القاسم عبد الرحمن الشافعي وغيرهم، اشار إليه الوادي آشي عند قراءته المسند الصحيح للإمام مسلم بتونس. وسماه احمد بن عمر بن انس. واشار الضبي إلى انه «كتب هناك قطعة كبيرة من المصنفات والتواريخ وغير ذلك» راجع:

– الوادي آشي: برنامج الوادي آشي، م س ص 192 – 258.

– احمد بن يحيي بن احمد الظبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس، دار الكتاب العربي67، ص 175.

(6) هو احمد بن الحسين بن بندار الرازي ابو العباس ذكره التجيبي في برنامجه، ووصفه بالإمام، وانه من شيوخ ابي محمد بن محمد بن بونة، مشيرا كذلك إلى انه كان لا يزال علي قيد الحياة سنة 409هـ 1018م، راجع:

=

ابن عيسى الجلودي[1] حدثنا أبو إسحاق ابراهيم[2] حدثنا الفضل بن موسى[3] حدثنا الحسين بن واقد[4] عن الردني[5] عن أبي مجلد[6] عن أبيه عن قيس بن عباد[7] قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول، من سمع حديثا فأداه كما سمعه، فقد أسلم. وقال ابن وهب[8] قال لي مالك:

— التجيبي: برنامج التجيبي، م س ص 90.

(1) أشار إليه التجيبي عند الحديث عن قراءة وسماع المسند الصحيح لمسلم وذكر ان الجلودي كان على قيد الحياة سنة 365هـ 975م، راجع:
- برنامج التجيبي، م س صفحات: 84 - 85 - 87 - 90 - 91.

(2) هناك ثلاثة أعلام يحملون نفس إسم اسحاق بن ابراهيم روى البخاري عنهم، وهم إسحاق بن إبراهيم بن نصر أبو إبراهيم السعدي. مات سنة 242هـ 856م، واسحاق بن ابراهيم بن عبد الرحمان البغوي مات سنة 259هـ 872م، وإسحاق بن ابراهيم الصراف البصري مات سنة 253هـ 867م، راجع:
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج1 ص 60-61.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م س ج 1 ص 33.

(3) هو الفضل بن موسى السيناني أبو عبد الله المروزي. روى عن اسماعيل ابن أبي خالد، وهشام بن عمرة، وعبيد الله وعبد الله بني عمر. وروى عنه اسحاق بن راهويه، وإبراهيم بن موسى الرازي والاجادور بن عمر الترمذي وأجمعوا على أنه ثقة صدوق، مات سنة 191 أو 192هـ راجع:
- ابن حجر: تهذيب التهذيب: م س ج 8 ص 286.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م س ج 2 ص411.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 1 ص 293.

(4) هو الحسن بن واقد المروزي أبو عبد الله. روى عن ثابت البناني وابن الزبير وعمر بن دينار، وروى عنه جماعة منهم، زيد بن الحباب وعبد الله بن مبارك قال ابن حجر، نقلا عن ابن حبان: «كان من خيار الناس وربما أخطا» مات سنة 159هـ 775م، راجع:
- الدارقطني: نفس المصدر، ج1 ص106.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب

(5) لعله الردني بن مرة أبو المحجل، أشار إليه ابن سعد في الطبقة الثانية، وهو ممن روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله ابن عباس وبشر، وغيرهم، راجع: ابن سعد: طبقات ابن سعد / م س ج6 ص 232.

(6) ترجم له.

(7) هو قيس بن عباد القيسي الضبعي، أبو عبد الله البصري روى عن عمر بن الخطاب، وعلي وعمار وروى عنه ابنه عبد الله، وعبد الله بن مطر وثقه العجلي، وعده من كبار الصالحين، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص 283.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج1، ص 202.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج6، ص 71.

(8) هو عبد الله بن وهب بن مسلم مولاهم أبو محمد المصري الفقيه، صاحب مالك قال العجلي: «ثقة صاحب سنة رجل صالح» مات سنة 197هـ 812م، راجع:
- العجلي: تهذيب التهذيب،م س ج6، ص71.

ياعبد الله أد ماسمعت وحسبك، ولا تحمل لأحد على ظهرك، واعلم إنما هو خطأ وصواب فانظر لنفسك فإنه كان يقال: أخس الناس من باع آخرته بدنياه، وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره، وقال ابن عرفة[1] في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[2] (معناه يرويه بعضكم عن بعض يقال تلقيت الحديث من فلان إذا أسندته عنه)[3]، وأنشدوا:

وَمَازَالَ يَدْعُونِي إِلَى الصَّدِّ مَا أَرَى فَآبَى وَيُثْنِينِي الَّذِي لَهُ فِي صَدْرِي[4]

فأما عدد ولده رحمه الله فستة: محمد[5]، وأحمد[6]، وعبد الله[7]،

---

(1) يستبعد ان يكون محمد بن عرفة التونسي.

(2) سورة النور15.

(3) راجع: الطبري: جامع البيان، م س ج 18، ص 78.

(4) من الطويل

(5) هو ابو عبد الله بن ابي محمد صالح، لم يرد ذكره عن الكانوني في جواهر الكمال كما لم يشر الأستاذ محمد بن شريفة إلى ذكره في مصدر آخر، غير انه قال «وصف في المنهاج بانه كان فاضلا عالما ذا مال» وكان ملازما لأبيه وللرباط ولم يقم بما قام به والده وإخوته من اداء فريضة الحج وهو مدفون في تربة والده، راجع:

– محمد بن شريفة: الماجريون ضمن أبي محمد صالح المناقب والتاريخ، مرجع سابق، ص 37.

(6) هو احمد بن أبي محمد صالح: ترجم له العباس بن إبراهيم في الإعلام. غير انه لم يضف شيئا آخر لما جاء في نص المنهاج. ويبدو أنه كان صاحب قدر جليل وله كرامات عديدة، قال عنه الأستاذ محمد ابن شريفة «حج إحدى عشرة حجة وزار بغداد ولقي السهرودي والبصيري وغيرهما» وتوفي بآسفي عام 660هـ 1261م. راجع:

– العباس ابن ابراهيم: الإعلام، م س ج2 ص 184.

– محمد ابن شريفة، مرجع سابق، ص 87.

(7) عبد الله بن ابي محمد صالح: جاء ذكره في قصيدة البصري التي نظمها في أولاد ابي محمد صالح والتي نقل قسما منها المجهول في مفاخر البربر. وترجم له العباس بن ابراهيم في الإعلام ونقل ما ذكره عنه صاحب المنهاج الواضح اما الأستاذ محمد بن شريفة فقال عنه: «كان حاجا فاضلا قدمه الهساكرة بعد وفاة والده فقام بأمر الرباط دهرا إلى أن توفي عام 651هـ 1253م. راجع:

– مجهول، مفاخر البربر، م خ ع رقم

– العباس ابن ابراهيم: الإعلام، مرجع سابق، ج 8 ص 211.

– محمد بن شريفة: مرجع سابق ص 37.

ويحيى[1]، وعبد العزيز[2] وعيسى[3]، وهم أشقاء[4] ولكنهم فضلاء حج منهم ثلاثة احمد وعبد الله وعبد العزيز ولم يقع للآخرين. وساذكر من بعض فضائلهم، ما يحقق كرائم شمائلهم:

أَطْـوَادُ[5] حِلْـم بُحُـورُ عِلْم	تَصْغُرُ عَنْ قَدرِهَا الْبُحُورُ[6]
تَـوَحَّـشُوا بِـالْـوَقَـارِ زِيَّـاً	تَعْجُبُ مِـنْ حُسْنِهِ الْبُـدُور
مَـا ضَـرَّ انَّ غَـابَتْ الـدَّرَارِي	عَـنْ مَـلاهِـمْ بِـه حُـضُـورُ
مَـا الْخَـيْرُ إلاَّ بِـهِـمْ وَفـيهِـمْ	وَحَـيْـثُ حَـلُّوا هُـدَى وَنُـورُ
هُـمْ قُـدْوَةُ النَّـاسِ لاَ أُحَاشِي	وَمُـدَّعِــي الغَـيْرِ ذَاكَ زُورُ
بِهِـمْ إذَا اشْـتَـدَّ الْكَرْبُ يَوْما	تُحَـلُّ أَوْ تُـعْـقَـدُ الأمُـورُ
لَـمْ يَغِـبْ الْبَـرُّ عَـنْ كِـتَابٍ	فِـيهَـا لأِسْـمَـائِـهِـمْ سُـطُورُ

فأما محمد فكان فاضلا عالما، ذا مال وكان ملازما لأبيه، من غير أن يقع له حج، ولا حفظت له شيئا، لبعدنا عن سكنى البلد، وأما ولده

(1) لم اقف له ترجمة.

(2) ذكره الكانوني: مشيرا إلى أن ابا محمد صالح كان قد أسند إلى والده عبد العزيز هذا رئاسة ركب الحجاج بمصر قال الكانوني: «وبث أصحابه في المراكز من آسفي إلى الحجاز بل جعل ولده عبد العزيز بمصر حتى توفي بها» وقال الأستاذ محمد بن شريفة: «كان من كبار الأولياء وعاش في القاهرة ومات عام 646هـ ودفن بالمحلة الكبرى.

راجع : الكانوني: آسفي وما إليه، مرجع سابق ص 99.

– محمد بن شريفة: مرجع سابق ص 37.

(3) ذكر الأستاذ محمد بن شريفة اعتمادا على ما جاء في المنهاج الواضح ان عيسى ابن ابي محمد صالح كان على اتصال بالسلطان المريني وربما المقصود هنا هو يعقوب بن عبد الحق الذي امتدت فترة حكمه من سنة 656هـ 1258م إلى سنة 685هـ 1286م، كما انه ولي الإمارة في آسفي وتوفي بفاس وبها دفن سنة 678هـ 1279م. راجع:

– ابن أبي زرع: القرطاس م س ص 299 – 373.

– محمد بن شريفة، م س ص 37.

(4) في جميع الأصول [أشقة] والصواب اشقاء: قال ابن منظور في لسان العرب، ج10 ص 183. « وجمع الشقيق أشقاء».

(5) اطواد: جمع طود وهو الجبل العظيم، مختار الصحاح م س 399.

(6) مخلع البسيط .

أحمد فكان جليل القدر، عظيم الخطر له فضائل عجيبة، وأحوال غريبة، ظهرت منه في بدايته إلى نهايته، وبرزت منه في أحواله وفي إقامته، فمنها ما حدثني به غير واحد ممن أدركت من شيوخ هذه الطائفة قال: سمعت الشيخ رحمه، الله تعالى يقول: لما ولد احمد رأيت نورا نزل من السماء حتى غشي وجهه، وحنكته بريقها جملة وافرة من البدلاء[1].

ومنها ما حدثني به العم الفاضل أبو زيد عبد الرحمن[2] بن أحمد بن أبي محمد صالح، والشيخ الفاضل الفقيه ابو يعقوب، يوسف بن يونس ابن معاوية الهسكوري[3] رحمه الله قال: حدثنا الفقيه العالم العامل أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدكالي[4] رحمه الله بموضع تعبده، من بلد دمشق الشام المحروسة قال حججنا مع الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ أبي محمد صالح رحمه الله [وكان][5] مع صغر سنه، حينئذ قد رزق قوة، في الوصال. وكان لا يفطر إلا عن عشرة أيام. فلما قضى الله لنا مناسك الحج، جاورت تلك السنة. فبينما نحن ذات يوم قعود في الحرم، ونحن عازمون على السفر، في القرب إلى زيارة النبي ﷺ. إذا غشيني شاب تركماني. فقصد نحو الشيخ أبي العباس حتى دنا منه وصافحه وقال صحبتكم[6] لله، صحبتكم لله، فما زال يردد ذلك حتى وقع مغشيا

(1) البدلاء أو الأبدال جمع بديل أو بدل. إحدى المراتب للأولياء عند الصوفية وحسب القاشاني: «فهم رجال يسافر احدهم عن موضع، يترك فيه جسدا على صورته، بحيث لا يعرف احد انه فقد.» وهم أهل فضل وكمال واستقامة واعتدال، تخلصوا من الوهم والخيال ولهم مظاهر أربعة: الصمت والجوع والسهرالعزلة. وللمزيد راجع:
- القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س 37.
- الشرقاني: المعجم م س 29.
- عبد المنعم: المعجم م س 32-33.

(2) راجع: إحالة رقم 21 من الفصل الأول من القطب الثاني

(3) لم اقف له على ترجمة

(4) لم اقف له على ترجمة

(5) م [فكان] ط س د [وكان]

(6) الصحبة: وهي على ثلاثة اقسام صحبة مع من فوقك، وهي في الحقيقة خدمة، وصحبة مع من دونك. وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة. وعلى التابع بالوفاق والحرمة. وصحبة الأكفاء والنظراء.=

عليه فوضع الشيخ رأسه في حجره. إلى أن أفاق. قال له الشيخ متى وقع لنا سفر سرنا جميعا فمضى الشاب، عنا ولم نره بعد فلما توجهنا تلقاء المدينة، بعد ذلك بيوم أو بيومين سرنا على الطريق حتى إذا قربنا من المدينة، فسرنا ليلا حوفا، من شدة الحر، وكان الليل مقمرا فتقدمت، أنا ورفيق لي إذ رأينا تحت شجرة من [شجر أم غيلان][1] شبح إنسان مطروح، فقصدناه. فإذا هو صاحبنا الشاب التركماني. فأعلمنا به الشيخ وأصحابنا، فرجعنا إليه وأخذنا عصينا، وصنعنا له منها محملا، وحملناه عليها. فأصبحنا عند المدينة فدخلنا به إلى منزل بعض المغاربة. [فتركناه][2] في المنزل وأمر الشيخ بعمل حساء له وجعل رأسه في حجره ودهن فمه، وحلقه بدهن، وجعل يقطر ذلك الحساء [في فمه][3] إلى أن أفاق. وقام فلما صلينا الصبح من الغداة،أخذنا في قراءة السبع، حتى إذا بلغنا التشهد، رفع الشيخ رأسه وكان مريغا [أي نائما][4] ورأسه على ركبته، قال: قوموا بنا حتى نقبل على الشاب التركماني فإنه واقف لنا في الاستغفار، بين يدي رسول الله ﷺ. فقام وقمنا فوجدناه واقفا، في الروضة المكرمة، فأخذه الشيخ بالذراعين وعانقه وتماسكا و[هما][5] يتباكيان حتى وقعا. فلما أفاق ورجعنا إلى موضع نزولنا، فما تمالكت أن قلت للشيخ، بالذي فضلك، إلا ما أعلمتني، كيف علمت أن التركماني واقف في الاستغفار. قال كنت كما رأيتموني مريغا، إذ سمعت صوت

=وهي مبنية على الإيثار والفتوة. فمن صحب شيخا فوقه في الرتبة فادبه، ترك الاعتراض، وحمل ما يبدر منه على وجه جميل. وتلقى احواله بالإيمان به. قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ المائدة 8. ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ العصر 3 راجع:

– السهروردي، كتاب عوارف المعارف م س 209. – القاشاني: م س 138. – عبد المنعم: م س 149.

(1) شجر ام غيلان: شجر السمر، ابن منظور، لسان العرب م س ج11 ص513.

(2) د م [فطرحناه] ط س [فتركناه].

(3) في جميع الأصول بفي فيه] والراجح في فمه.

(4) زائد في م.

(5) م [هم] ط س د [هما]

النبي ﷺ وهو يقول، يا أحمد قم فأقبلوا، على أخيكم التركماني، فإنه قد غلب عليه حبي حتى نسي صحبتكم، فقمت مسرعا وقلت، لكم ما قلته. هذه الحكاية صحيحة قد اختصرتها عن طولها وخصصت بالتحرير، ما ذكر في فصولها، والله تعالى هو المنعم بذلك، والمرتجي في الثواب هنالك، ومنها ما حدثتني به بعض فقراء صنهاجة قال: قدم علينا الشيخ أبو العباس، بعد موت الشيخ وهو وارد إلى بلد سجلماسة، المحروسة فانزلته، في غرفة لي صغيرة وفيها شيء من الشعير، قليل فقعد في موضع، بقرب ذلك الشعير، فأخذ منه في يده فقال ما هذا؟ قلت يا سيدي هذا الذي نعلمه، لنفقة سنتنا ما لنا غيره، فرده إلى موضعه وقال: بارك الله تعالى لكم فيه، فما زلنا نأخذ منه، نفقتنا، منذ سنين حتى [كالته][1] العجوز يوما، وأنا مسافر فنفد في تلك السنة، ومنها ما حدثني به بعض فقراء كلاوة، وكان فاضلا يسمى يحيى بن فاطمة قال: لما ورد الشيخ أبو العباس بلدنا انزلته في منزلي، فلما رحل نسي الخادم كرسيه، الذي يتوضأ عليه. فأخذته ودفنته في شعير كان عندنا قليل، فما زلنا ناخذ منه نفقتنا، زمانا طولا والكرسي، مدفون فيه لا يظهر حتى سافرت مرة، أخذت [العجوز][2] الكرسي منه، وحملته ففني في تلك السنة. ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو الربيع سليمان بن ينصارن قال: قدم علينا الشيخ أبو العباس فأنزلته في بيتي فلما أصبح طلب ماء، يتطهر به من عذر أصابه تلك الليلة، فاتيته بماء فاغتسل في موضع داخل البيت فما زال ذلك الموضع، إلى هلم جرا كل امرأة قد عسر نفاسها [في بلدنا][3] تاتي إلى ذلك الموضع، فعند وقوفها فيه، تلد

(1) [اكتاله وكاله] قال تعالى: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ اي اكتالوا منه لأنفسهم، راجع؛ ابن منظور لسان العرب، م س ج11 ص 604.

(2) العجوز: القصد منها هنا امرأته، قال ابن منظور: «والعرب تقول لامرأة الرجل، وإن كانت شابه: هي عجوزه»، راجع: لسان العرب، ج5، ص373.

(3) سقط من م.

مسرعة بقدرة الله تعالى. ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل، أبو يعقوب يوسف ابن مالك الجلاوي، بأرض تمدلين[1] قال: لما قدم علينا الشيخ أبو العباس، نزل عند الحاج أبي عبد الله محمد بن عيسى، وكان هو مقدم الحجاج ببلدنا. وكان وادينا قد أكل جملة من أرض البلد، حتى كان في حيز الثلث وزيادة. وكنا معه على التلف، فأرسل محمد بن عيسى المذكور، إلى قبيلنا وقال: غدا تصبحون على هذا الشيخ، برجالكم وصبيانكم، وتدخلون عليه دخيلا، إلى أن يمشي على أطراف بلدكم من ناحية الوادي ويدعو الله عز وجل لعله، أن يكف عنا باس هذا الوادي. قال: ففعلوا ذلك فركب الشيخ وهدمنا له بالفاس، موضعا نزل منه إلى الوادي، ومشى فيه ونحن معه بالذكر، صغارا وكبارا وطلع معه، حتى تباعد عن البلد. ثم نزل معه فوالله ماعدا علينا الوادي، من ذلك اليوم إلى هلم جرا. ولا جاز المواضع التي مشيناها ببركة دعائه، ومنها ما حدثني به الحاج الأكرم، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الجلاوي، خادم الفقراء بموضع تادولا[2] وكنت معه بموضع تامسنت من وادي ورزازات ونحن [في][3] صحن الجامع، فقال لي: لم يزل هذا الوادي [يعدو][4] على هذا الموضع حتى أكل جله، حتى انتهى إلى هذا الجامع، فبات هنا الشيخ أبو العباس. فقال له أهل البلد، ادع الله لنا ان يرد عنا هذا الجامع، فبات هنا الشيخ أبو العباس، فقال له أهل البلد، ادع الله لنا أن يرد عنا هذا الوادي، ويرده عن هذا الجامع، فإننا قد ايسنا منه. قال فركب وتبعه خادم الزبير وبيده [عصا][5] فحيثما سلك الشيخ خط

---

(1) تمدلين جمع امدل وهو عبارة عن مساحة مائلة وفيها ترعى الدواب والأنعام، وعادة ما نجد هذا الاسم في المناطق الجبلية التي تغطى بالثلوج او السحاب الدائم.

(2) لم اقف عليه

(3) سقط من د.

(4) مكرر ط.س [يعدوا] في م د [يعدر].

(5) م. [عصى] ط س د [عصا]

الزبير بالعصا كأنه يحد له حدا حتى رجع، فوالله ماعدا الوادي، بعد ذلك تلك الحدود إلى هام جرا. هاتان الحكايتان عند اهل القبيلة، قد اتفق على صحتها، صغيرهم وكبيرهم، وخاصهم وعامهم. فكل من سألته، عن هذه الحكاية، أجابني عنها لشهرتها، حدثنا الشاب الكرم يعقوب بن محمد بن يحيى بن عيسى الصنهاجي، الشهير [بوادي دادس][1] قال: سمعت والدي يقول، قدم علينا الشيخ أبو العباس، فدخل عليه ناس من أهل الموضع، على أن يطلب أمانا من أهل الحصن، الذي لنا فطلبهم، فامتنعوا وأبوا عليه، فرحل عنهم مغاضبا. فأرسل الله تعالى سحابا وريحا فأمطرت بردا على زروع أهل الحصن، دون زروع الذين طلبوا الأمان وكانت الفدادين متداخلة، بعضها في بعض، فكان البرد يضر فدانا بين فدانين وفدانا حذاء فدان. فتعجب الناس من ذلك. ودخل القوم من ذلك اعتبار، اضطرهم حتى أعطوا الأمان للذين طلبوا الأمان، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾[2] ومنها ما حدثني به الحاج عبد المؤمن بن ياكريان الهسكوري قال: سمعت رجلا من حجاجهم- ذكر لي أن اسمه شيبة- يقول: سمعت الشيخ الفاضل، المسن بيدار يقول: لما مات الشيخ رحمه الله، اختلفت الفقراء، في تقديم ولديه عبد الله، واحمد. فكانت الهساكرة مع عبد الله، فكشف لي عن دعوات أبي العباس حين دعا على الهساكرة، فكنت أرى دعوته كالربوة العظيمة، وتستقبل بلاد الهساكرة كما يستقبلها حجر المنجنيق، فما علمت موضعا وقعت فيه إلا أهلكه الله. فبينما أنا يوما جالسا إذ رأيت صخرة، قد قبلت نحوي وعلمت حينئذ أنها دعوته فألهمني الله تعالى فأخذت

---

(1) دادس إحدى جماعات دائرة بولمان دادس في اقليم ورزازات. ووادي دادس هو المجرى الأعلى لنهر درعة، راجع: عبد العزيز بنعبد الله: معلمة المدن والقبائل ملحق 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(2) ترد هذه الآية في الكثير من السور مثل سورة آل عمران.

ميزان الصلاة[1] [فتفرست][2] به فردها عني. فمن ذلك اليوم عرفت بركة ميزان الصلاة. فلم أفارقه فدخلت حينئذ، وأخذت عجوزي وحوائجي وشرقت هاربا أمامه وأقمت بالخليل[3] من أرض الشام مدة من سنين، حتى سمعت بموت الشيخ أبي العباس وحينئذ رجعت إلى المغرب. فهذه حكاية صحيحة عن هذا الشيخ الفاضل وكان قديم الهجرة، ومنها ما حدثني به أولاد الشيخ الفاضل أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر الصنهاجي ببلد تجيرماط[4] رحمه الله قالوا: لما قدم علينا الشيخ أبو العباس. وكانت عين بلدنا التي منها سقاؤنا قد يبست منذ سنتين أو ثلاثة سلكنا به علي العين. ودعا الله تعالى. فلما انصرف من بلدنا، نزل مطر فحمل الوادي، حتى دخل في العين. ثم ركد الوادي وجرت العين، وعادت كما كانت. ومنها ما حدثني به جملة وافرة [من][5] فقراء بلد سجلماسة المحروسة قالوا: لما قدم علينا الشيخ، أبو العباس نزل[مرتين][6] خمس من اخماس سجلماسة، بموضع يعرف ببئر [حسن][7] في زمن الخريف. ففرشنا له علي سطح الدار. من شدة الحر. وكان هذا الموضع، كثير الأعناب فسمع عياطا[8] للسكاري، من كل جانب. فقال ماهذا

(1) نعثر عند البيدق، على إشارة تفيد ان عبد المومن «أمرهم بموازين لاوقات خاصة» ربما كان من بينها ميزان الصلاة. وعند ابن مجلات في الاثمد فهو : «ميزان الشمس لاوقات الصلاة»، راجع: البيدق: المقتبس من كتاب الانساب م س ص 71–58.

(2) فتترست: ترس : توقى بالترس: المعجم الوسيط ج1 ص 83.

(3) مدينة في فلسطين تعد من اقدم مدن العالم بها قبر ابراهيم الخليل، وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. كان الصليبيون قد استولوا عليها سنة 494هـ 1100م كما غزاها المغول سنة 659هـ 1260م، غير ان الظاهر بيبرس اعاد بناءها سنة 666هـ 1267م، اشتهرت بزراعة العنب والتين وصناعة الزجاج كما اشتهرت بمسجدها: راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2 ص 387.

(4) تيجرماط تاكرمت او تاكرمت: العنق الطويل واعطت اسم عائلة الجرماطي وتطلق كناية عن البراريد الدقيقة الصنع وهكذا وردت في الشعر الامازيغي.

(5) م [ان] ط س د [من]

(6) سقط من د.

(7) سقط من د.

(8) العياط: الصياح، المعجم الوسيط، ج 2 ص 646.

الصياح، فقلنا سكارى، فقال: اللهم اقلع لهم ما يشوشهم، فما مضت سنتان على ذلك الموضع، حتى لم توجد فيه شجرة واحدة، من عنب بل أرسل الله تعالى عليهم، ريحا ورملا و[يبسا][1] حتى هلكت تلك الدور، والأجنة وأكلها الرمل. فكلما مررت بهذا الموضع يقول الناس: جدك أبو العباس كان سبب خراب هذه البلدة. دعا عليها فصارت كما رأيت، ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل الفقيه أبو محمد عبد الحي[2] إمام الجامع الأعظم[3] ببلد أغمات[4] المحروسة قال: سمعت إسماعيل الدكالي[5] يقول وقد سألته، عن سبب توبته، فقال: كنت في أول أمري من كبار الغرباء، كما عرف من حالي، وكنت أتسلط على أولاد الصالحين، فما

---

(1) سقط من س.

(2) هو محمد بن عبد الحي ترجم له العباس بن ابراهيم في الإعلام، م س ج8 ص 46، نقلا عن المنهاج الواضح ودون ذكر تاريخ وفاته.

(3) الجامع الأعظم: لعله يقصد جامع اغمات وريكة. وقد أشار الأستاذ احمد التوفيق في هامش 4 من تحقيق التشوف لابن الزيات ص 48 ان مسجد أوريكة هو من اقدم مساجد الإسلام في جنوب المغرب راجع كذلك:
- عبد الوهاب بن منصور، هامش 35 من تحقيق أخبار المهدي بن تومرت للبيدق، ص 29.
- عبد العزيز: بنعبد الله معلمة المدن والقبائل : ملحق 2 ص 41.

(4) عن معنى اغمات راجع الشرح الذي قدمه الاستاذ احمد التوفيق إحالة 4 من تحقيق كتاب التشوف، ص 84. «وتقع اغمات شرق مراكش عند قدم جبال الاطلس وعلى بعد حوالي 40 كلم من هذه المدينة وتحفل كتب الجغرافية باخبارها وتدل المعلومات الواردة عنها انها كانت تعرف ازدهارا اقتصاديا وعمرانيا جاء نتيجة ما كانت تعرفه من رواج تجاري كما انها كانت مركز إشعاع ديني وثقافي دائم الصلة باهم المدن والمراكز العلمية والثقافية في بلدان الغرب الإسلامي مثل القيروان ومدن الاندلس وغيرها».
وذكر الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ان فتحها كان على يد عقبة بن نافع، او موسى بن نصير، وتذكر المصادر الإخبارية ان المرابطين كانوا قد استقروا بها قبل تاسيس مدينة مراكش وإليها نقلوا امير إشبيلية المعتمد بن عباد وبها توجد مقبرته.
ورغم إقامة مراكش كعاصمة للمرابطين والموحدين فقد ظلت اغمات محافظة على جانب كبير من أهميتها قال الوازن: «كانت اغمات أيام الموحدين متحضرة جدا وتدعى مراكش الثانية» غير ان اغمات قد أصيبت بخراب في القرن السادس عشر، حسب ما ذكره نفس المؤلف، ومع ذلك بقيت تشكل مركزا دينيا هاما: «ولم يعد يسكن الحصن في هذه الأيام سوى ناسك مع مائة من مريديه» واغمات اليوم عبارة عن مركز تقام به سوق اسبوعية وتدخل ضمن جماعات ايت اوربر راجع:
- الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط 1980 ج1 ص180.

(5) لم اقف له على ترجمة.

تركت فحلا، ممن يذكر في المغرب من الصالحين إلا خالطتهم، وعملت عليهم سوى بيتة أبي محمد صالح، حتى ذكر لي عن الشيخ أبي العباس رواحه في بلد اغمات فقلت: ما أجد مثل هذه الفرصة فقصدت إليه، على وجه الخداع، وسلكت طريق الإرادة، فلما قدمت عليه واخذت بيده. سالني فقال من أين أنت. فقلت من بلد أسفي، ثم ذكرت له من أمورهم، وإخبارهم وعرفته بصبيانهم ونسائهم، حتى كاني أقرب الناس إليهم، فقربني إليه، وجعلني من جملة من يدخل عليه، فاخذت في سرد العبادة من الصيام والقيام، حتى ظهر لي إني قد صرت عنده من الفضلاء. والتحقت بدرجة البدلاء[1]، فخلوت به يوما وقلت له يا سيدي حالتي كما رأيت، وقد القى الله في باطني حب التاهل، فاردت مشورتكم في ذلك، وخاطركم، عسى ان يفتح لي بظعينة، تعينني على ما أنا عليه، وبيدي شيء صالح من هذه الصناعة المعروفة، واريد ان استعمل منها شيئا اتسبب به، في هذا الأمر، فقال كل ما نظرت صالح، والله تعالى يهديك للمصالح، فقلت كنت أشتهي أن تقرض لي بجاهك وعلى يدك ما أجهز به حالي، فقال نعم، فدخل إلى منزله فاخرج لي مائتي دينار، وقال هذا الذي وجدته عند الزوجة، فاقرضته منها، واما انا فمالي شيء، فقبلت يده [وانصرفت][2] فاخذتها ووضعتها في جرابي. وتحزمت وعزمت على الا ابيت إلا حيث استقرت بي قدماي. فلما اردت اخذ الجراب لم اقدر، على الوقوف فتعجبت فقعدت وأخذت الجراب، وحملته على ظهري، فطلبت القيام فلم أقدر، فإذا طرحته، قمت وما بي من شيء، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، ففتحت الجراب وأخذت المال، ثم اتيته بنية خالصة فتضرعت إليه، وطلبت منه الاستغفار، واعلمته بحديثي كله فاقبل علي، وعاهدت الله تعالى على

(1) البدلاء: البديل: الخلف والعوض، وقد تم شرح هذا المصطلح المعجم الوسيط، ج1 ص 43.
(2) ط س [وانصرفت] د م [انصرفت].

التوبة بصدق الإنابة وعلمت أن بيتة[1] الشيخ محفوظة، فودعته، وأخذت بيده، ودعا لي ثم انصرفت، ومنها ما حدثني به غير واحد ممن أدركت من خدامه قال خرج علينا أبو العباس يوما، وهو ضاحك فقلنا وما الذي سررت به، فقال زاد عند ولدي ابراهيم ولد[2] فسماه باسمي، فبعد حين ورد الخبر علينا بذلك من بلد إسكندرية[3] كما قال، ومنها حدثني به الحاج المتعبد بيدار بن سعيد الهنتاتي[4]، قال: سمعت الشيخ الفاضل أبا عبد الله محمد بن عمران الهيلاني[5] يقول وهو من مائة وعشرين سنة نزل عندنا الشيخ أبو العباس بعد موت والده في زمن الخريف، ومعه جملة وافرة من الفقراء، فأنزلتهم بهذا الجنان، ولم يكن بهذا الموضع جنان عنب غيره، ففرشنا مقعدة تحت هذه النخلة وكانت ذكار النخيل، فتوسع الفقراء في الجنان فأكلوا ما وجدوا فيه. فلما عزموا على السفر نظر الشيخ إلى الجنان قد نفد كل ما كان فيه، فقال لي أريد أن أعطيك ثمن غلة هذا الجنان، فقلت: قد وهبت ذلك لله ولرسوله، فقال لي بعدما دعا لي بالبركة اسقه ماء واغلقه ولا تفتحته إلا بعد ثمانية أيام. قال ففعلت ذلك فبعد الثمانية، دخلت فوجدته كما كان،

---

(1) البيتة: هيئة البيت. المعجم الوسيط ج1 78.

(2) المقصود به هنا هو أحمد بن ابراهيم مؤلف المنهاج الواضح

(3) سبقت الإشارة إليها في الدراسة راجع فصل ترجمة المؤلف.

(4) نسبة إلى هنتاتة إحدى القبائل الشهيرة، رتبها ابن خلدون في الرتبة الثالثة بعد هرغة وتنميل في التصنيف الذي وضعه للقبائل المصمودية وحدد كذلك موطنهم في «الجبل المتاخم لمراكش» كما وصفهم ب «الكثرة والباس» اما عن مكانتهم فقال: «ومكان شيخهم ابي حفص عمر بن يحيى من صحابة الإمام والاعتزاز عن المصامدة، وكانت لهم بإفريقيا دولة» يعني الدولة الحفصية بتونس. راجع:
- ابن خلدون: العبر/ م س ج6 ص 562.
- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، مرجع سابق، ج1 ص 326.

(5) نسبة إلى هيلانة ذكرهم ابن خلدون: ضمن بقية قبائل المصامدة وقال الأستاذ عبد الوهاب بن منصور: «كانت مواطنهم بحوز مراكش وإليهم ينسب باب ايلان» احد ابواب مراكش المرابطية واضاف قائلا: «كما ينسب إليهم غمات إيلان ولم يبق لهم اليوم وجود بهذا الاسم» راجع:
- ابن خلدون: العبر م س ج ٥ ص ٥٥٦
- عبد الوهاب بن منصور: مرجع سابق، ج 1 ص 327.

حتى يظن كل من رآه أنه لم تنله يد، في تلك السنة، فأخذنا منه خيرا كثيرا. وقلب الله تلك النخلة الذكار التي قعد في أصلها رطبا أجل ما يكون من الرطب، بعد ما كانت دكار للنخيل، وهي باقية إلى الآن، ولقد غرس الناس بعد ذلك حول هذا الجنان أعنابا كثيرة [وعمروا][1] أجنة حتى أعنبت، ثم انقعر جلها من الجوائح والكبر حتى يبست، والجنان إلى الآن لم يزل غضا يانعا يظنه الظان كما غرس، وما علمت في هذا البلد غرسا قد تقدمه. وذلك كله ببركة الشيخ أبي العباس، وهذا الجنان والرجل والنخلة بأرض مسكيسة من وادي نفيس[2] من حوز [بلد][3] مراكش المحروسة، ومنها ما حدثني به الجم الغفير [والخلق الكثير][4] من فقراء الرباط وغيرهم قالوا: سمعنا الشيخ أبا العباس يقول متى رأى ولده الصغير عليا: أولادي كلهم يحجون سوى علي فإنه لا يحج، ولقد رأيته مرارا قد سافر نحو الحج فما يعدو بلد بجاية المحروسة، ومنها ما حدثني به الجم الغفير والخلق الكثير ممن أدركته من شيوخ

---

(1) ط س [همروا] د م [عمرو]

(2) وادي نفيس: ينبع من الاطلس الكبير الغربي، ويمر من الجنوب الغربي نحو الشمال الغربي لمدينة مراكش. قبل أن يصب في نهر تانسيفت وليس في البحر المحيط كما ذكر البكري. وبذلك يعد احد روافد تانسيفت.

وحسب البكري فإن مدينة نفيس التي كانت تقع عليه كانت تبعد عن البحر بمسيرة يوم. واكد الإدريسي ان «نفيس مدينة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائلها المنسوبين إليها. وبها من الحنطة والفواكه واللحوم ما لا يكون في كثير من البلاد غيرها، وبها جامع وسوق نافقة وبها من انواع الزيت وكل عجيبة من جمال المنظر وحلاوة الذوق وكبار المقدار»

على أن العبدري يرى أن نفيس نهر اقيمت عليه قرى كثيرة ولعه لا يشاطر راي البكري والإدريسي في كونها مدينة يقول مؤكدا ذلك « من ذلك قوله في نفيس بالمغرب الأقصى انها مدينة بينها وبين البحر مسيرة يوم، وإنما هي اسم نهر كبير عليه قرى كثيرة وعمارة متصلة، وبينه وبين البحر ثلاثة ايام » راجع:

– البكري: م س ص 154، 160.

– الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، كتاب «وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية» تصحيح ونشر هنري بيريس الجزائر، 1957، نقلا عن طبعة لندن، 1866 ص 40.

– العبدري، [illegible]: م س ص 159.

(3) د [في بلد].

(4) سقط من د.

الرباط وغيرهم قالوا: سمعنا الشيخ أبا محمد صالح[1] يقول – وقد سئل عمن يكون خليفته من بعده– فقال رضي الله عنه ولدي أحمد، ولقد بلغ في المجاهدة أكثر مما بلغته، ولقد حج أكثر مما حججته. ولقد حج [احدى عشرة][2] حجة، وما حججت أنا سوى واحدة، وزاد على في الوصال إلى حد لم أخبر به،ثم ختم أيضا كلاما في فضائله واستشهد ببيت منها:

وَمَا شَـهِدَ النَّاسُ فـرْعاً سِوَاهُ إِلَى فَضْلِهِ يُعْتَزِى الْمَنْصِبُ[4]

مات الشيخ أبو العباس يوم الأحد الرابع عشر منن شهر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة. وكان مولده عام أحد[4] وستمائة[5] ودفن في التربة على يمين الداخل خلف قبر والده رضي الله عنه، ورحمه، ولله در القائل:

عَزِيزٌ بَيْنَ أهْلِ القُربِ حَتَّى قُبُورُهُمْ عَلَيْهَا تُـرَابُ الْعِزِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ[6]

وأما ولده عبد الله، فكان حاجا فاضلا وله دنيا. وكان ممن قام برباط الشيخ بعده دهرا. ولم أحفظ له شيئا لبعدي، عن سكنتي البلد مات رحمه الله ليلة الثلاثاء مستهل صفر عام إحدى وخمسين وستمائة. ودفن في تربة والده على يسار الداخل أمام أخيه أبي عبد الله رحمة الله على جميعهم، وأما ولده يحيى فمات غريقا، في البحر في حال صغره ولم

(1) ط س د [أبو محمد صالح] م [أبو محمد عبد الله]
(2) مكرر في س.
(3) من المتقارب.
(4) في م [احد] س د ط [إحدى]
(5) ط [ست مائة] س د م [ستمائة].
(6) من الطويل.

أحفظ له شيئا أذكره فهؤلاء الأربعة [أشقاء][1] وأمهم [تلولي][2] رحمة الله عليها وكانت امرأة صالحة جليلة القدر، لها فضائل. ولم تزل معينة للشيخ في جميع أحواله وقبرها الآن يزار وله بركة، وأما ولده عبد العزيز [فكان][3] من كبار الأولياء، ممن له بركات [ظاهرة][4] وصفوة وشاهرة، ولقد حدثني غير واحد ممن أدركته من شيوخ هذه الطائفة أنهم سمعوا الشيخ (رحمه الله يقول: من كانت له عند الله حاجة فليتوسل إليه بولدي عبد العزيز. حدثنا الشيخ الفاضل)[5] المسن الشريف الحسني أبو محمد عبد العزيز الداريني[6] بموضعه [من][7] مدينة مصر المحروسة بزقاق النخالين منها، وكان كبير الشأن [بزيد] على مائة سنة في السن قال: كان عبد العزيز في بلدنا من كبار الأولياء. ولقد صحبته مدة حياته. وربما كان ينام في غالب الأوقات فأضع له ركبتي يتوسدها. فما كنت أتحرك [حتى][8] يستيقظ. ولقد ألفت فيه قصائد ذكرت فيها جملة من أحواله وهي الآن محفوظة في ديوان كتبي ولقد كنت عازما على انتساخها منه فوقع تغريبي على غير [إرادتي][9]. وأما قبر عبد العزيز الآن بالمحلة الكبيرة، فهو عندهم دریاق[10] مجرب مات رحمة

(1) سبق لمؤلف النص ان ذكر ان ابناء ابي محمد صالح كلهم اشقاء من زوجته الاولى وعاد ليؤكد ان الأشقاء هم: «محمد احمد، وعبد الله، ويحيى، اما عبد العزيز وعيسى فهم من الزوجة الثانية، التي تزوجها ابو محمد صالح بعد موت زوجته الاولى، المسماة تلولي كما ورد في النص.

(2) م [تكولي] ط س د [تلولي]

(3) سقط من د م.

(4) ط س [ظاهرات] د م [ظاهرة].

(5) سقط من ط.

(6) لعله عبد العزيز بن احمد بن سعد الدريني وليس الداريني ترجم له السيوطي في حسن المحاضرة، م س ج1 ص: 421، وقال عنه «كان عالما صالحا نظم التنبيه والوجيز وسيرة نبوية وله تفسير. مات سنة سبع وتسعين وستمائة 697هـ 1297م.

(7) د [في]

(8) مكرر في س.

(9) د [حين].

(10) الدرياق : الترياق : قال ابن منظور الترياق اسم تفعال سمي بالريف لما فيه ريق الحيات ولا يقال الترياق=

الله عليه، في شهر صفر عام ستة وأربعين وستمائة، واما ولد الشيخ رحمه الله عيسى، فولى الإمارة، ببلد أسفي المحروسة. وكان على ما حدث به شديد التورع، شديد السطوة، في إمارته. حدثني غير واحد ممن أدركته، من شيوخ هذه الطائفة قالوا: لما توفيت أم أولاد الشيخ، رحمة الله عليهم، تحدث الفقراء في أمر الشيخ. وقد مكث دهرا عازبا. فشاوروا في ذلك الشيخ الفاضل أبا علي عمر بن أبي عمر الصنهاجي[1] وكان من كبار الأولياء، في عصره فقال لهم: أرجعوا فإن الشيخ يتزوج البنت التي ربتها العجوز. ولا بد أن يرزق منها ولدان، أحدهما من البدلاء والآخر من الأولياء، فرجعوا وذكروا ذلك للشيخ، فتزوجها ورزق منه عبد العزيز وعيسى فكان الأمر من الأولاد، كما ذكره. فقلد بلغ عبد العزيز عما حدثت عنه أن يكون من البدلاء، غير أنه لم يحج وكان عيسى في إماراته وورعه من الأولياء تحقيقا لنظر الشيخ أبي علي عمر. غير أنه في بلده وفي رعيته بالحسد مقدوح، والرجل الصالح لم يزل محقورا، في أهله أن رأوا حسنا كتموه، وإن رأوا سيئا أعلنوه، وذلك تحقيق لقوله ﷺ : «**العداوة في الأهل والحسد في الجيران**[2]: ولله در القائل:

إِنْ يَحْسُدُوا فَإِنِّي [غَيْرُ لَائِمِهِمْ] قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا جَحَدُوا

فمما سمعته مما يدل على ورعه، في ولايته. ما حدثه الجم الغفير قالوا: سافر مرة إلى السلطان، وكان له زرع، فاجتمع أشياخ القبيل، الذين خلفهم وأمروا الناس أن يحصدوا ذلك الزرع فحصدوه. فلما وردعاتبهم على ذلك. وتصدق بكل ما حصده القبيل، غيرما حصد

=ويقال درياق، راجع: لسان العرب، ج10 ص 136.

(1) لم اقف له على ترجمة.

(2) محمد ابن عبد الرحمن السخاوي : المقاصد الحسنية م س ص 453.

بالإجارة، ولقد حدثني جملة من الفقراء أن الشيخ أبا موسى[1]، عند موته، بعث إلى قاضي فاس المحروسة، وبعض الشهود، وذكر لهم ما لا بد من ذكره، ثم قال لهم أنا أموت غدا إن شاء الله، وأدفن بعد الظهر، فقال له القاضي من اين لك هذا؟ فقال ما جرى على قط شيء من كل ما جرى علي، من الشدائد حتى اعلمه. فإن والدي رحمه الله، يقف لي في المنام فيعلمني بكل ما ينالني. من مشاق الدنيا. ولقد أعلمني أني أموت غدا. قال فخرج القاضي عنه وهو يقول: ربما أصيب هذا الرجل [في عقله][2] فلما أتى الوقت الذي أعلمهم مات فيه، فعلموا صدقه في حديثه وتحدثوا به ذلك، فلئن صح هذا الخبر، فاني ما سمعته إلا من آحاد، لم يبلغوا حد التواتر. فلقد ثبتت له الولاية قطعا التي لم يدر في زمانه إلا آحاد. فهذا غاية ما بلغني [عنه][3]. مات رحمة الله عليه بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة الثامن من شهر شعبان، المكرم سنة ثمان وسبعين وستمائة، ودفن ببلد [فاس][4] المحروسة رحمة الله على جميعهم. فهذا بعض ما سمعناه في فضائل أولاد شيخنا رحمه الله، وما رويناه إلا عن ثقات مصدقين. والله تعالى على ما نقول وكيل، وبالثواب، على ذلك كفيلا و[لله در القائل][5].

لَعُمْرِكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ بَقَاءِ ... كَفَاكَ بِدَارِ الْمَوْتِ دَارِ فَنَاءِ[6]

فَلاَ تَعْشَقِ الدُّنْيَا أَخِي فَإِنَّمَا ... يَرَى عَاشِقُ الدُّنْيَا لِجُهْدِ بَلاَءِ

حَلاَوَتُهَا مَمْزُوجَةٌ بِمَرَارَةٍ ... وَرَاحَتُهَا مَمْزُوجَةٌ بِعَنَاءِ

---

(1) لقب عيسى ابن ابي محمد صالح.

(2)) سقط م س

(3) م [عنهم] ط س د [عنه]

(4) د م [فارس] ط س [فاس]

(5) سقط من ط.

(6) من الطويل

فَلاَ تَمْشِ يَوْماً فِي ثِيَّابِ مَخِيلَةٍ ... فَإِنَّكَ مِنْ طِينٍ خُلِقْتَ وَمَاءِ

لَقَلَّ [امْرُؤٌ](1) تَلْقَاهُ لِلَّهِ شَاكِراً ... وَقَلَّ امْرُؤٌ يَرْضَى لَهُ بِقَضَاءِ

وَلِلَّهِ [نِعْمَةٌ](2) عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ ... وَلِلَّهِ إِحْسَانٌ وَفَضْلٌ عَطَاءِ

وَمَا الدَّهْرُ [يَوْمٌ وَاحِدٌ](3) فِي اجْتِلاَتِهِ ... وَمَا كُلُّ أَيَّامِ الْفَتَى بِسَوَاءِ

وَمَا هُوَ إِلاَّ يَوْمُ بُؤْسٍ وَشِدَّةٍ ... وَيَوْمَ سُرُورٍ مَرَّةً وَرَخَاءُ

وَمَا كُلُّ مَا لَمْ أَرْجُ أُحْرَمُ نَفْعَهُ ... وَمَا كُلُّ مَا أَرْجُوهُ عِنْدَ رَجَاءِ

أَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ لاَ بَلْ لِرَيْبِهِ ... يُخَرِّمُ رَيْبَ الدَّهْرِ كُلَّ إِخَاءِ

إِذَا مَا خَلِيلِي حَلَّ فِي بَرْزَخِ الْبِلاَ ... فَحَسْبِي بِهِ نَأْياً وَبُعْدُ لِقَاءِ

أَزُورُ قُبُورَ الْمُتْرَفِينَ فَلاَ أَرَى ... بَهَاءً وَكَانُوا قَبْلَ أَهْلِ بَهَاءِ

وَكُلٌّ رَمَاهُ وَاصِلٌ بِصَرِيمِهِ ... وَكُلٌّ رَمَاهُ مُلْطِفٌ بِجَفَاءِ

طَلَبْتُ فَمَا أَلْفَيْتُ لِلْمَوْتِ حِيلَةً ... وَيَعْيِي لِدَاءِ الْمَوْتِ كُلُّ دَوَاءِ

وَنَفْسُ الْفَتَى مَسْرُورَةٌ بِنَمَائِهَا ... وَلِلنُّقْصِ تَنْمَى كُلُّ ذَاتِ نَمَاءِ

وَكَمْ مِنْ مُفَدًّى مَاتَ لَمْ أَرَ أَهْلَهُ ... حَبُوهُ وَلاَ جَادُوا لَهُ بِفِدَاءِ

أَمَامَكَ يَا نَوْمَانُ(4) دَارُ سَعَادَةٍ ... يَدُومُ الْبَقَا فِيهَا وَدَارُ شَقَاءِ

خُلِقْتَ لِإِحْدَى الْغَائِلِينَ(5) فَلاَ تَنَمْ ... وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْهُمَا وَرَجَاءِ

وَفِي النَّاسِ شَرٌّ لَوْ بَدَا مَا تَعَاشَرُوا ... وَلَكِنْ كَسَاهُ اللَّهُ ثَوْبَ غِطَاءِ

---

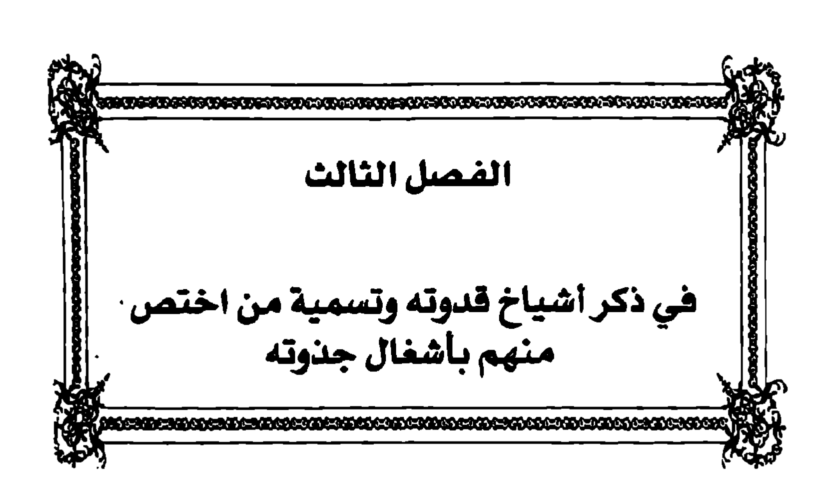
(1) ط [امرء] س د [امرؤ]

(2) م [نعما] ط س د [نعمة]

(3) م [يوما واحدا] ط س د [يوم واحد]

(4) نومان: كثير النوم راجع: ترتيب القاموس المحيط ج7 ص 464.

(5) الغائلون: مفرد: غائلة، والغائلة الحقد الباطن والشر، راجع: ترتيب القاموس المحيط ج3 ص 346.



الفصل الثالث

في ذكر أشياخ قدوته وتسمية من اختص منهم بأشغال جذوته

فاما أشياخه في الفقه فغير محصورة، ولم تكن عند الفقراء مشهورة ولا مذكورة، وما اشتهر عند بعض فضلائهم سوى ابن عوف[1] فانه قد لازمه دهرا طويلا، واقتبس منه علما جليلا وكثيرا ما كان يتردد بعد وروده لبلاد المغرب للفقيه الورع الصالح، أبي عمران موسى بن هارون السفطوري الماجري[2] والفقيه الجليل أبي عيسى المغيطي[3] رحمة الله عليهم أجمعين، حدثني الفقيه الفاضل، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن عمر الدكالي، بحضرة بجاية المحروس قال: سمعت الفقيه الجليل مفتي زمانه، أبو يوسف الزواوي[4] ببلد بجاية المحروس يقول: وقد سألته عن شيخنا أبي محمد صالح وما رأيه فيه فقال: سمعت شيخنا الفقيه العلامة، مفتي السائلين بحضرة تونس المحروسة، أبا عبد الله محمد بن شعيب الهسكوري[5] يقول، وقد ذكرت عنده مشايخ المغرب

---

(1) هو ابو طاهر إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف. رفع ابن فرحون نسبه إلى عبد الرحمن ابن عوف الصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو من بيت مشهور بالعلم في مدينة الإسكندرية، ومن تلامذة أبي بكر الطرطوشي وأبي عبد الله الرازي. وكان ابن عوف قد جمع بين الإمامة في عصره في الفقه المالكي وبين الزهد والورع ألف تذكرة التذكرة في أصول الدين وكان صلاح الدين يوسف يستفتيه ويراسله ومات سنة 581هـ 1185 م. راجع:
- الغبريني: عنوان الدراية م س ص: 130.
- ابن خلكان: وفيات الاعيان: ج 1 ص298 ج 3 ص54، 251، 419.
- ابن فرحون: الدباج المذهب م س ص: 95، 96.
- مجمد بن محمد مخلوق: شجرة النور الزكية مرجع سابق ص 144.
- ابن العماد: شذرات الذهب م س ج 4 ص267.

(2) لم اقف له على ترجمة.

(3) لم اقف له على ترجمة.

(4) اشار إليه الغبريني في عنوان الدراية، ص:137 في ترجمة علي بن أبي نصر، فتح بن عبد الله ووصفه بالفقيه.

(5) ابو عبد الله شعيب الهسكوري، ذكر العبريني ان اصله من المغرب وانه كان يدرس به قبل ان يرحل إلى الشرق. وانه حج ثم استقر بالإسكندرية لمدة ثلاث وعشرين سنة، ووصفه بالفقيه العالم العابد، غير انه لم يشر إلى تاريخ وفاته، راجع:
- الغبريني: عنوان الدراية م س ص 190.

إلى أن ذكر الشيخ أبو محمد، فقلت له، يجوز أن يقتدي به في طريق الآخرة، وكنت حينئذ أظن جهالته. فقال نعم قرأت معه على الشيخ الفضل بقية السلف أبي الطاهر، إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري ببلد إسكندرية[1] المحروس عدة من السنين. وكان عارف متوقفا متورعا في دينه، متمسكا بكتاب تهذيب المدونة[2]. وحدثني الشيخ الفاضل الفقيه أبو محمد عبد الواحد بن تاجريان[3] الجلاوي، قال سمعت الفقيه الجليل الحسيب، أبا علي تاليلت المصمودي[4] يقول، وقد سئل عن الشيخ أبي محمد: كان شيخا عالما عاملا متورعا، وقد قرأ على الشيخ الفاضل عمدة أهل زمانه، أبي الطاهر ابن عوف الزهري ببلد اسكندرية بمدرسة منها، وقد لازمه بها، مدة من عشرين سنة، ولقد زرت بيته في المدرسة المذكورة، ورأيت في تقييد الفقيه، الشاهد العدل أبي عبد الله محمد بن عثمان بن يخلف بن تاعدي[5] حفظه الله، ملازم الشيخ رحمه الله، لأبي الطاهر بن عوف، وذكر أنه صحب بعده ولديه أبا النجم[6] وأبا محمد عبد الوهاب[7]، والفقيه أبا سعيد مخلوف بن جبارة وأبا طالب أحمد بن رجاء اللخمي[8] وأبا العباس أحمد بن محمد السلمي[9] وأبا

(1) راجع: الفصل الخاص بترجمة المؤلف ضمن الدراسة.

(2) لعله يقصد «تهذيب في اختصار المدونة لابي سعيد خلف بن سعيد البرادعي» وحسب إشارة فؤاد سزكين، فإن كان على قيد الحياة سنة 430 هـ 1039م. كما اشار إلى عدة نماذج من مخطوطات هذا الكتاب، بكل من القرويين وباريس، راجع: - سزكين: تاريخ التراث العربي ج 2: 141.

(3) تاجريان: تاكريانت: اسم مؤنث ومذكره اكريان، وتكتب اقفريان «اكريان» وهو يعني الرجل او المراة ذات العيون السود، (كحل لعيون) وهذا المعنى كناية. والأصل فيه ماخوذ عن لغة رعاة صنهاجة الجنوبيين، ولا تزال عائلات تحمل اسم اكريان ايت واكريان.

(4) قال الأستاذ احمد التوفيق: والبل يعني الغوث، وهو مذكرتاليلت. راجع:
- التشرق: لابن الزيات: إحالة 230، ص:396.

(5) لم اقف له على ترجمة

(6) لم اقف له على ترجمة

(7) لم اقف له على ترجمة

(8) هو ابو طالب احمد بن رجا اللخمي، ذكر الغبريني انه كان من جملة شيوخ ابي زكرياء يحي بن ابي علي الشهير بالزواوي، الذي ترجم له ابن الزيات في التشوف، رقم الترجمة156، وقرا عليه واخذ عنه الاصلين «حفظا وإتقانا» راجع: الغبريني: عنوان الدراية م س ص 130.

(9) لم اقف له على ترجمة

عبد الله محمد بن أبي بكر الكركي[1]، والفقيهين الاخوين أبي عبد الله محمد[2] وأبي العباس أحمد ابنا محمد السلمي[3] الحضرميين وأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الكرخي[4] قال: وصحب غيرهم ممن جمع فيهم الفقه والتصوف، مثل أبي محمد عبد الرازق الجزولي[5] وأبي محمد عبد الله المغاوري[6] وأبي عبد الله [السلاوي][7] وغيرهم من العلماء الناسكين والفقهاء السالكين. فنقلت ذلك كما وجدته مسطورا، وإن كانت النفس قد نفرت عن قبوله نفورا، وأراه والله أعلم - وهما لم يصح عندي من ذلك، سوى أبي الطاهر بن عوف، وأبي محمد عبد الرزاق، أو الجز ولي فهما اللذان تواتر فيهما الأخبار، وأما نسبه في طريق التصوف، فهي طريقة[8] مشهورة، وعند الفقراء مشيخة محكية

---

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) لم اقف له على ترجمة

(3) لعله الكروخي: وليس الكرخي.

(4) جاء في هامش التحقيق لكتاب الوفيات لابن قنفذ ص:[illegible]. والكروخي [illegible] إلى كروخ بلد بنواحي هراة، وهراة بلد في خرسان [illegible]
المعطار، ص:594.

(5) هو ابو محمد عبد الرزاق الجزولي من شيوخ أبي محمد صالح ومن تلامذة أبي [illegible] شعيب [illegible] ابن قنفذ في الانس ، وعبد الرازق هذا رفيع القدر وقبره قرب الإسكندرية [illegible]
- ترجمته في التشوف لابن الزيات، م س ص: 327، وابن قنفذ في [illegible]

(6) عند الغبريني ابو عبد الله المغاور وذكره كاحد شيوخ [illegible]
- الغبريني: عنوان الدراية، م س ص:132.

(7) ط س [السلوي] م د [السلاوي].
ولعله محمد بن إبراهيم ابو عبد الله السلاوي الذي ورد ذكره عند الغبريني في ترجمة أبي يحيى بن أبي علي الزواوي، وفي ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن حسن بن إبراهيم [illegible] وفي ترجمة أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي وصفه الغبريني بالفقيه [illegible] الحياة سنة 622هـ 875م. راجع: - الغبريني: م س ص: [illegible].

(8) الطريقة: هي السير بالسير، المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات [illegible] صاحب قوت القلوب، بين الطريق والطريقة فالسنة [illegible] ويقال طريق وطريقة وسنة وسنن وحجة ومحجة. فمن [illegible] في كل شيء. والقناعة من الله تعالى بادنى شيء. والتوقع له بكل شيء.
- ابو طالب المكي: قوت القلوب م س 138 - القاشاني: مصطلحات الصوفية م س [illegible] معجم الفاظ الصوفية م س 200 - عبد المنعم: مصطلحات الصوفية م س [illegible]

وقلما يوجد أحد من تلامذته، رحمه الله إلا وهي مسطورة في نقله، أو محفوظة في عقله، من غير اختلاف يوجد فيها [عندهم][1]، ولا نقل عمن كان قبلهم، أو أتى بعدهم ولقد رأيتها منظومة، في قصيدة الفقيه العلامة القاضي شرف الدين البوصيري المشهور رحمة الله عليه، وسأذكرها في ما بعد، إن شاء الله بعد ذكر أسامي شيوخه على الطريقة المعروفة ببلاد المغرب، إن شاء الله فإذا ثبت هذا فنقول: شيخه الذي كان يعتمد في القدوة عليه، ويعزى في كل فضل متى ذكر ما إليه، شيخ الشيوخ في عصره، وأمام المحققين في دهره ومصره، أبو مدين شعيب ابن الحسين القلجيري الأندلسي، وان شيخه ﷺ على ما وقع به التواتر المشهور، وصح به النقل المذكور، مفتي زمانه، وسراج أوانه، الذي اشتهر في المغرب بالمجاهدة، في أصناف العلوم حتى أظهرها وأبرزها أبو الحسن علي بن حرزهم[2]، وكان شيخه رحمه الله الفقيه العالم الذي صار في فلك الشريعة قطب المغرب أبو بكر محمد(بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد)[3]، بن محمد الشهير ابن العربي. وكان شيخه رحمه الله شيخ التحقيق وإمام التصديق المشهور بالفضائل والمحامد المعروف بالغزالي. هو ابو حامد، وكان شيخه رحمه الله على مانقل في التواريخ

---

(1) م[عنه] ط س د [عندهم]

(2) هو ابو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم من اهل فاس، يرجع نسبه حسب ابن ابي زرع إلى الخليفة عثمان بن عفان، وتتفق المصادر التي ترجمت له، انه كان زاهداً فقيها، عارفا بالحديث والتفسير، وتوفي بفاس سنة 559هـ 1136م. راجع:
- ابن الزيات: التشوف م س ص:168.
- ابن ابي زرع، القرطاس، ص: 265.
- الكتاني: سلوة الانفاس م س ج 3 ص69.
- ابن قنفذ : الانس م س في عدة اماكن.
- ابن فرحون: نيل الابتهاج م س ص: 198
- الناصري: الاستقصاء م س ج2 ص: 206

(3) سقط من ط س

وشهدت له [فهارس][1] المشايخ، الذي سمت مآثره في الفضائل والمعالي وهو إمام الحرمين أبو المعالي. وكان شيخه رحمه الله سيد أهل طائفة التصوف في زمانه، وسيد أقرانه في أوانه الذي فاق في زهده وورعه عمر بن عبيد أبو القاسم الجنيد، وكان شيخه رحمة الله، العالم الزاهد العامل العابد الذي أضاء بذكره كل زمان، وازدهر بمناقبه كل أوان، من لم يزل من صغره إلى كبره بالعناية محفوظا، وبالولاية ملحوظا، وبمنشور الكرامات قد منح وأعطى، السرى بن المغلس السقطي وكان شيخه رحمه الله تعالى الصدر الكبير، والبدر المنير، الذي اهتدى به كل منيب في عصره، ولم يزل المسلمون إلى الآن يلوذون ويستشفعون بقبره، المستقصى في زهده وورعه بالتوقي والتوخي، حتى خرج من الدنيا كما دخلها عريانا من كثرة الجود والتسخي، أو محفوظ معروف ابن فيروز الكرخي[2]، وكان شيخه رحمه الله، الصدر العظيم القدر، الذي لم يزل ذكره مرفوعا، وفضله مسموعا، الذي لم يختلف في فضله ونبله أهل جبل ولا أهل وطاء، أبو سليمان داودبن نصر الطائي. وكان شيخه رحمه الله الصدر الكبير والوالي الشهير، من لم تزل فصائله تزداد على مرور الأيام كمالا، وازداد به عصره حسنا وجمالا، من كان علمه موهوبا لدينا، وفي صفاته من عدم قراءته أميا، أبو حبيب العجمي،

(1) ط. [فمغروسات]د [فهارس] س م [فهرسات].

(2) هو ابو محفوظ بن فيروز الكرخي، وحسب سزكين، فان نسبة الكرخي ترجع إلى اسم منطقة في شرق العراق، او إلى حي عاش به في بغداد والكرخي من المتوصفة المشهورين في وقته، توفي ببغداد سنة 220، 815 م. راجع:

- السلمي : طبقات الصوفية، م. س. ص: 83
- ابو النعيم : حلية الاولياء، م. س. ج 8. ص: 381
- القشيري: الرسالة القشيرية، م. س. ج 1. ص: 65
- ابن الملقن، طبقات الاولياء، م. س. ص: 280
- الشعراني : الطبقات الكبرى، م. س. ج 1.ص: 74
- سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 1، ص 434

وكان شيخه رحمه الله فريد [عصره][1]، ونور زهره المفضل بالحقيقة وعلم الطريقة، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري[2] وقد أدرك أمير المؤمنين أبا الحسن على بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه، وهو اجل وأعظم وأشرف من كل ما يناسب في الوصف إليه، وما يطنب به عليه، وقد أخذ عنه من العلوم السنية والفضائل السنية، ما صار به من الأئمة التي يقتدي بهم، والنجوم التي يهتدي بها. فهذه نسبة مشيخة شيخنا، رحمه الله على التحقيق، وطريقه المبني على قواعد الصدق والتصديق، وقد اتفقت المشايخ، على صحة هذه النسبة بوضعها في فهرساتهم، ونقلتها الثقات، عن التلامذة بالتواتر المستفاض، عن سراتهم، وساذكر [من][3] ذلك طرفا كما ذكروه عند ذكر لبس المرقعة إن شاء الله تعالى ولله در القائل:

وَظَنُّوا بي مَدَحْتهُمْ قدِيما   وأنت بِمَا مدَحْتَهُمْ مُرَادِي[4]

وأما القصيدة التي تقدم ذكرها، فهي ما أنشدنيها الشيخ الفاضل أبو سعيد مخلوف الدكالي، ببلد القاهرة المحروسة، سنة ست وتسعين وستمائة قال أنشدنا الفقيه العلامة شرف الدين أبو عبد الله محمد بن

(1) ط. س [دهره] د.م [عصره]

(2) هو الحسن بن يسار البصري الانصاري مولاهم. ثقة فقيه، يعد من الفصحاء، البلغاء، ولد سنة 21هـ 641م، وهو تابعي زاهد، صنفه ابن سعد في الطبقة الثانية روى عن ابي هريرة وابن عمر وابن عباس وانس بن مالك وغيرهم وتوفي سنة 110 ـ 728م، مخلفا تفسيرا افاد منه الثعلبي في الكشف والبيان.
كما توجد منه نقول في جامع البيان للطبري حسب اشارة سزكين راجع:
- ابو النعيم: حلية الاولياء، م. س. ج2. ص: 131
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، م. س. ج7، ص: 156
- سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج1، ص: 49

(3) سقط م د

(4) من الطويل

سعيد بن حماد [ابن محسن عبد الله][1] البوصيري[2] رحمه الله .

قِفَا بِي عَلَى الجَرْعَاءِ[3] مِنْ جَانِبِ الغَرْبِ ... فَفِيهَا حَبِيبٌ لي يَهِيمُ بِهِ قَلْبِي[4]

قَـرِيـبٌ إِلَـى سِـرِّي بَعِيدٌ مَرَامُهُ ... فَتَنِيتُ بِهِ وَجدًا عَلَى الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ

إِذَا هَبَّتِ النَّكْبَاءُ[5] مِنْ تُرْبِ دَارِهِ ... تَعَطَّرَتِ الأَكْـوَانُ مِنْ ذَلِكَ التُّرْبِ

وَإِنْ سُحِبَتْ فِي الأَرْضِ فَضْلُ ذُيُولِهِ ... وَجَدَتْ لَهَا فِي المَحَلِّ فَضْلاً عَلَى الخِصْبِ

وَإِنْ خَطَرَتْ مِنْهَا سُحَيْرًا بِنَفْحَةٍ ... عَلَى كَبِدِي ظَلَّتْ مُنْعِمَةَ الخُلْبِ[6]

وَتَسْتَرْوِحُ الأَرْوَاحُ مِنْ طِيبِ عُرْفِهَا ... فَيَا نَسَمَاتِ الْقُرْبِ مِنْ نَحْوِهِ هُبِّي

تَهُبُّ فَتَشْفِي السُّقْمَ وَهِيَ عَلِيلَةٌ ... وَتَنْطِقُ أَشْوَاقِي بِزَوْرَتِهَا[7] الغُبُّ[8]

تَجَلَّى فَجَالَتْ هَيبَةٌ دُونَ حُسْنِهِ ... فَوَاعَجَبَا صَارَ التَّجَلِّي مِنَ الحُجْبِ

وَلَيْـلٌ تَعَاطِينَا بِـهِ رَاحَ ذِكْـرِهِ ... فَطَابَتْ بِـذِكْرَاهُ مُنَادَمَةُ الشُّرْبِ

وَقَـدْ وَصَـفَ البَدْرُ الغَمَامُ كَأَنَّهُ ... مُحَيَّا حَبِيبٍ فِي رَقِيقٍ مِنَ الشُّرْبِ

وَبَاتَتْ حُدَاةُ الرَّكْبِ تَسْتَوْفِقُ الكَرَى ... وَبَـاتَ زَفِيرٌ مِنْهُمْ سَائِقَ الرَّكْبِ

يُخَيَّلُ لِي فِي كُلِّ شِعْبٍ سَلَكْتُهُ ... بِأَنَّ شُعَيْبًا[9] قَامَ مِنْ ذَلِكَ الشِّعْبِ

أَبَا مَدْيَنَ[10] غَوْثُ الوُجُودِ وَقُطْبُهُ ... فَنَاهِيكَ مِنْ غَوْثٍ وَنَاهِيكَ مِنْ قُطْبِ

---

(1) سقط من ط. وبياض في س

(2) سقط من م

(3) الجرعاء: الجرعة والجرعة، والجرع، ولاجرع والجرعاء، الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، وقيل هي الرملة المستوية، والجرعة عندهم الرملة الغذاة الطيبة المنبت التي لاوعورة فيها، راجع:
- ابن منظور س م ج8 46 . .

(4) من الطويل ولم يرد ذكر هذه القصيدة في ديوان البوصري الذي حققه الكيلاني، وقد ورد قسم هام منها عند المجهول في مفاخر البربر ، م خ ع.

(5) النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين، أو بين الصبا والشمال، راجع:
- أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط،ج 4، ص: 434

(6) الخلب: جاء في لسان العرب، لابن منظور، ج 1، ص: 364، والخلب ايضا السحاب الذي لا مطر فيه .

(7) الزورة: المرة الواحدة :ابن منظور لسان العرب، م، س، ج 4، ص: 335

(8) الغب: غب الرجل، اذا جاء زائرا بعد ايام. راجع: - ابن منظور: لسان العرب، ج 1، ص: 636.

(9)

(10) لعل المقصود به هنا ابو مدين ابو شعيب .

أَبَا مَدْيَنَ أَوْرَدْتَـنِـي مَـاءَ مَدْيَنَ[1] ... مِنَ الْحُبِّ حَتَّى فُزْتَ بِالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ

وَآنَسْتُ نَارًا مِنْ جَنَابِكَ لِلْهُدَى ... بَدَتْ فَانْجَلَتْ عَنِّي بِهَا ظُلَمُ الْخَطْبِ

فَمِثْلُكَ مَنْ يَدْعُوهُ مِثْلِي لِكَرْبِه ... فَيَنْجُو بِحُسْنِ الظَّنِّ فِيكَ مِنَ الْكَرْبِ

أَخَا سَيِّدِي شَيْخِ الْعِرَاقَيْنِ أَحْمَدُ[2] ... إِمَامَ الْهُدَى سَيْفُ التُّقَى مُرْهِفَ الْغَرْبِ

كَفَانِي مَـرْأَى مَـنْ رَآهـم سَـعَادَةً ... زَحَمْنَا بِهِ الْأَصْحَابَ جَنْباً إِلَى جَنْبِ

لَكَ النَّسَبُ الْأَعْلَى خُصِصْتَ بِفَخْرِه ... فَحَسْبُكَ مِنْ فَخْرٍ وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبِ

لِسَابِقَةِ الْحُسْنَى تَـلاَحَقَ بَعْضُهُمْ ... بِبَعْضٍ فَجَاءَ النَّدْبُ مِنْهُمْ عَلَى النَّدْبِ

وَأَشْـرَقَ نُورُ الْمُصْـطَفَى فِي قُلُوبِهِمْ ... كَإِشْرَاقِ نُورِ الشَّمْسِ وَالسَّبْعَةُ الشُّهُبِ

فَمِنْهُمْ أَبُو حَسَنٍ سَلِيلُ لِحَزْمِهِمْ ... أَتَى فِي الْعُلاَ وَالْفَضْلِ فَاتِحَةَ الْحِزْبِ

وَمِنْهُمْ أَبُـو بَكْرٍ الْعَـرَبِيُّ قَدْ سَمَا ... بِمَا رَسَمُوا فِيهِ عَلَى الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ

وَمِنْهُمْ إِمَامُ الْعَصْرِ فِي الْعِلْمِ وَالتُّقَى ... أَبُو حَامِدٍ حَسْبِي إِمَـامٌ بِـهِ حَسْبِي

وَمِنْـهُـمْ إِمَـامُ الْمِلَّـةِ الْمُنْتَـقَـي أَبُـو ... الْمَعَالِي إِمَـامُ الْحِـلِّ وَالْحَـرَمِ الرَّحْـبِ

أَبُو طَالِبٍ صُبْحٍ قَدْ أَسْفَرَ وَجْهُهُ ... سَفِيرَ قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ إِلَى الْحُبِّ

أَبُو الْقَاسِمِ الْحِبْرُ الْجُنَيْدُ الَّذِي لَهُ ... مَعَالٍ عَلَى عَدِّ الْحَصَى كَثْرَةَ تُرْبِي

وَقُـلْ فِـي سِرِّي مَـنْ تَـرَبَّـى رَبَـاؤُه ... فَيَا فَضْلَ مَنْ رَبَّى وَيَا فَضْلَ مَنْ رُبِّي

وَمَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ بَخٍ بَخٍ بِذِكْرِه ... وَقُـلْ طَرَبـًا يَا لِلتَّعَجُّبِ وَالْعَجَبِ

وَإِنْ نَسَبُـوا دَاوُدَ طَـي إِلَـيْـهِـمْ ... فَقَدْ نَسَبُوا الْبَحْرَ الْعَظِيمَ إِلَى شِعْبِ

وَقُلْ فِي حَبِيبٍ مَا يَغِيظُ عَدُوَّهُ ... نُزُوعًا إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ الَّذِي يُسْبِي

وَبِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَبْصِرْ فَقَدْ بَدَتْ ... مَحَاسِنُهُ دُونَ الْبَرَاقِعِ[3] وَالْحُجُبِ

---

(1) مدين جاء في معجم البلدان: «هي مدينة شعيب سميت بمدين بن إبراهيم، عليه السلام... وقيل، مدين تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل وبها استقى موسى عليه السلام لبنات شعيب وبها بئر بني عليها بيت، وقيل مدين اسم القبيلة» ولهذا قال الله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ عن بقية ما ورد في التعريف بها راجع:

– ياقوت الحموي: معجم البلدان، م س ج 5 ص:77. – الحميري الروض المعطار: م س 525

(2) هو أبو العباس احمد الرفاعي.

(3) البرقع: جمع براقع: قناع النساء والدواب. راجع:

– ابن منظور: لسان العرب، ج 8، ص: 9

– المعجم الوسيط ج 1، ص: 50

وَفَضْلُ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ... تَوَارَثَهُ الْأَشْيَاخُ مِنْ غَيْرِ مَا سلب

وَمِنْ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ فَضْلُ ابْنُ عَمِّهِ ... أَتَاهُ بِهِ جِبْرِيلُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ

فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ دَوْحَةٍ نَبَوِيَّةٍ ... مُوشِيَةِ الْأَلْوَانِ شَامِخَةِ الْقُطْبِ

إِذَا أَلْقَيْتَ مِنْهَا بِقَلْبِكَ حَبَّةً ... أَتَتْ أَلْفَ ضِعْفٍ مِنْ حَدَائِقِهَا الْغُلْبُ

وَجَاءَ إِلَى مَاءِ الْحَيَاةِ الذِي صَفَتْ ... مَوَارِدُهُ وَاسْتَغْنَ عَنْ حِيلِ الطِّبِّ

فَمَنْ كَانَ مِنْ ذَوِدِي شعيب فَذَوْدُهُ ... يَسُقْهُ إِلَى مَاءِ السَّعَادَةِ وَالْعُشْبِ

بِهِ سَعِدَتْ أَتْبَاعُهُ فَتَمَيَّزُوا ... عَنِ النَّاسِ تَمْيِيزَ الصِّحَاحِ مِنْ الْجُرْبِ

فَكَمْ سَامَ فِي رَوْضِ الرِّيَاضَةِ سَرْحُهُ ... لَيَأْمَنَ مِنْ خَوْفٍ وَيُخْصَبَ مِنْ جَدْبِ

فَمَا زَالَ وَالسَّعْدَانِ مَرْعَى سَوَامِهِ ... مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ لَا الْعَصْفِ[1] وَالْغَضْبِ[2]

فَإن [تَقْطعُ][3] لاَ تَنْقَطِعُ عَنْ قَطِيعَةٍ ... وَبَاهِي[4] يسقط مِنْهُ مَا شِئْتَ أَوْ سُقْبِ

فَمَا فَضْلُهُ مِمَّنْ يُحَدُّ بِغَايَةٍ ... وَلاَ فَضْلَ مَنْ يُعْزَى إِلَيْهِ مِنَ الْخِصْبِ

[حَكَى صَالِحًا فِي قِسْمَةِ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ ... وَإِنْ كَانَ مِنْهَا صَالِحٌ كَامِلَ الشُّرْبِ][5]

أَبُو مُحَمَّد غَوْثُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ ... لَهُ فِي الْمَعَالِي أَعْلَى عَالِيَةِ الرُّتَبِ

إِمَامٌ غَدَا رَطْبًا لِسَانِي بِذِكْرِهِ ... عَلَى أَنَّهُ أَذْكَى مِنَ الْمَنْدَلِ الرَّطْبِ

مُرَادٌ يَخُوضُ الْمَوْتَ فِي كُلِّ جَذْبَةٍ ... وَتِلْكَ سَبِيلُ الْوَاصِلِينَ مَعَ الْجَذْبِ

لَئِنْ مَخَضَت رَطْبَ التَّوَكُّلِ نَفْسُهُ ... لَقَدْ خَلُصَتْ مِنْهُ عَلَى زُبْدِ الرُّطَبِ

فَأَسْلَمَ أَطْفَالاً لِأَلْطَافِ رَبِّهِ ... فَبَاتُوا عَلَى خَوْفٍ بِهِ أَمِنِي السِّرْبِ

---

(1) العصف: بقل الزرع: وقد اعصف الزرع و «كعصف مأكول» اي كزرع اكل حبه وبقي تبنه. راجع:
– ترتيب القاموس، ج 3، ص: 239

(2) الغضب: القطع والشتم. راجع: – ترتيب القاموس، ج 3، ص: 244

(3) في س. ط [تستطع] م. د [تنقطع]

(4) ط. س [باه] د.م [باهي]

(5) في م. ورد هذا البيت مكان البيت الذي يليه:

أبو محمد غوث الوجود بأسره ... لعله في المعالي أعلى عالية الرتب

ذُكِّرْتِ بِهِمْ عَادا أَتَتْ بِابْنِ دَأْيَةٍ[1] … وَقَدْ أَجْفَلَتْ عَنْ زَقٍّ[2] أَفْرَاخِهَا الزُّغْبِ[3]

وَمَا بَرِحَتْ تَلْقَى ضُرُوبًا مِنَ الرَّدَى … وتنقل مِنْ ضَرْبٍ لِتَحْيَ إِلَى ضَرْبِ

وَقَدْ الْحَق الدُّنْيَا طَلاَقًا بِأُخْتِهَا … وَلَمْ يَبْغِ مِنْ ثَانٍ مَعَ اللهِ فِي الْحُبِّ

وَشَنَّ عَلَى النَّفْسِ الأَبِيَّةِ غَارَةً … فَعَادَتْ لَهُ مِنْ جُلْمَةِ السَّبْيِ وَالنَّهْبِ

وَمَا سُبِيَتْ إِلاَّ لِتُسْبِيَ عُقُولَنَا … وَحَسْبُكَ مِنْ حُسْنِ السَّبِيبَةِ أَنْ تُسْبِ

وَتَحمِلُ أَثْقَالَ الذِي كَانَ مُثْقَلاً … لَهَا مِنْ اسار حَمْلِ مغري به صَبِ

وَأَصْبَحَ يَأْجُوجَ[4] الْهَوَى خَلْفَ سُدِّهِ … فَمَا مِنْ سَبِيلٍ لِلظُّهُورِ وَلاَ النَّقْبِ[5]

فَقَامَتْ عَلَيْهَا سُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ … حَنِيفِيَّةٌ بِالنَّفْلِ وَالْفَرْضِ وَالنَّدْبِ

تَسَاوَى لَدَيْهَا بُؤْسَهَا وَنَعِيمَهَا … فَلاَ بُؤْسَهَا يُضْبِي وَلاَ حُسْنُهَا يُسْبِي

تُحَدِّثُ عَنْ كَشْفِ الْغِطَاءِ كَأَنَّهَا … بِمَا نَبَّأَتْنَا الأَنْبِيَاءُ بِهَا تُنْبِي

وَتَقْلِبُ أَعْيَاناً وَتَخْرِقُ عَادَةً … وَمَنْ يَسْتَقِمْ يَأْذَنْ لَهُ العَيْنَ بِالْقَلْبِ

وَقَامَتْ مَقَامَ النَّيِّرَيْنِ[6] عُلُومُهُ … مِنَ الظَّاهِرِ الْكَسْبِي وَالْبَاطِنِ الْوَهْبِي

وَعَظَّمَهُ أَتْرَابُهُ فِي سُلُوكِهِ … وَمَنْ مُسْتَطِيعٌ أَنْ يَقُولَ لَهُ تَرْبِي

وَقَدَّمَهُ فِي الْفَضْلِ أَشْيَاخُ وَقْتِهِ … عَلَيْهِمْ كَتَقْدِيمِ الْعَرُوضِ عَلَى الضَّرْبِ

وَغَالَبَ أَشْيَاخَ الرِّسَالَةِ نَاشِئًا … فَدَانُوا إِلَيْهِ فِي الْحَقَائِقِ بِالْقَلْبِ

فَلِلَّهِ لَيْثٌ أَغْلَبُ اعْتَرَفَتْ لَهُ … ثَمَانُونَ لَيْثًا مِنْ لُيُوثِ التقي الْغُلْبِ

---

(1) ابن داية : الغراب، راجع : الزاوي : ترتيب القاموس، ج 2، ص : 143

(2) الزق، مصدر زق، طائر الفرخة، اطعمه بفيه . راجع : – ابن منظور : لسان العرب، م، س، ج 10، ص : 143.

(3) الزغب : صغار الريش والشعر، راجع : الزاوي ترتيب القاموس ج 2، ص : 455.

(4) ياجوج : ياجوج وما ياجوج : في القران انهم قوم مخربون، عاثوا في الارض فسادا، فقام ذو القرنين ببناء سد جعله حاجزا واقيا بينهم وبين الناس عن بقية قصة ياجوج وماجوج، راجع : البداية والنهاية لابن كثير م. س، ج 2، ص : 109

(5) النقب : التقب في أي شيء، ابن منظور : لسان العرب، ج 1، ص: 765

(6) النير العلم : ونيرت الثوبة أخيره إذا جعلت له علما راجع : – ابن منظور : لسان العرب، ج 5، ص: 246

تَنزِلُ فِي الأَطْوَارِ كَالشَّمْسِ أَرْسَلَتْ   حِبَالَ شُمُوسٍ لِلْبِحَارِ وَلِلْقَلْبِ
وَأَيُّ مَقَامٍ لَمْ يَقُمْ بِحُقُوقِهِ   وَلَمْ يَتَبَخْتَرْ فِي مَلاَبِسِهِ القُشْبِ
وَكُلُّ قَلِيبٍ عَادَ مِنْهُ رَشَاؤُهُ   وَقَدْ سَاجَلَ الأَقْرَانَ تَمْتَلِئُ الغَرْبِ
إِذَا اجْتَمَعَ الأَقْرَانُ فِي حَلْبَةِ الوَغَى   تَمَيَّزَتِ الأَبْطَالُ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
أَيَدْرِي ذَوُو الأَلْبَابِ كُنْهَ صِفَاتِهِ   يُعَظِّمُهَا أَضْعَافُ دَائِرَةِ اللُّبِّ
وَمَا قَدَّرَتْهُ كُتُبُهُمْ حَقَّ قَدْرِهِ   وَلَوْ نَطَقَتْ فَالكُتُبُ عَنْ غَيْبِهِمْ تُنْبِي
وَقَدْ صَنَّفَتْ فِيهَا رِجَالٌ كَثِيرَةٌ   تَصَانِيفَ عَنْ رَجْحَانِ فَضْلِهِمْ تُنْبِي
مَوَاهِبُ مِنْ ذِي العَرْشِ أَمَّا مَنَالُهَا   فَلَيْسَ بِمَوْقُوفٍ عَلَى السَّعْيِ وَالْكَسْبِ(1)
وَلَكِنَّهُ لُطْفٌ مِنَ اللهِ نَالَهُ   فَصَيَّرَ كُلَّ الصَّعْبِ لَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ
وَلاَ يُدْرَكُ الفَضْلُ العَظِيمُ بِمُدْرِكٍ   بِغَيْرِ عَذَابِ النَّفْسِ بِالكَدِّ وَالنَّصْبِ
فَلاَ تَطْلُبُوا مِنْ فَالِقِ الحَبِّ وَالنَّوَى   نَبَاتَ نَوًى مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ وَلاَ حَبِّ
لَهُ اللهُ مِنْ مَوْلًى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ   لِشِدَّةِ أَشْوَاقِي سَكِرْتُ بِلاَ شُرْبِ
وَمَا أَطْرَقَتْ عَيْنِي عَلَى أَثَرِ نَظْرَةٍ   إِلَى الغَرْبِ إِلاَّ وَهِيَ دَامِعَةُ الغَرْبِ
وَاجْعَلْ إِجْلاَلاً لَهُ وَمَهَابَةً   يَدِي عَلَى قَلْبِي مِنَ الحُبِّ وَالرُّغْبِ
وَلِمَاذَا غَدَا عَيْنُ الوُجُودِ وَجَدْتُهُ   بِأَبْنَائِهِ كَالعَيْنِ تَزْدَانُ بِالهُدْبِ
فَأَوَّلُهُمْ من كَنَى(2) الشَّيْخَ بِاسْمِهِ   فَجَاوَرَهُ فِي الذِّكْرِ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ(3)
وَكُلاًّ رَأَيْنَا أَوْ رَوَيْنَا حَدِيثَهُ   وَخُلِّدَ فِي الأَوْرَاقِ كَالوَشْيِ فِي العَضْبِ
حَدِيثُ رِجَالٍ جَاءَ نُطْقِي بِمَدْحِهِمْ   فَخَارًا عَلَى مَا حَازَ نُطْقِي مِنْ أَرْبِي
إِذَا اسْتُمْطِرَتْ فِي بَلْدَةٍ بَرَكَاتُهُمْ   سَقَتْهَا سَحَابُ العِزِّ وَالأَمْنِ وَالخِصْبِ
مَتَى مَا انْتَضَتْ فِي حَادِثٍ عَزَمَاتُهُمْ   كَفَتْكَ انْتِضَاءَ المُرْهَفَاتِ مِنَ العُضْبِ
فَمِنْهُمْ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ سَيِّدٌ   لَهُ قَدَمٌ فِي الزُّهْدِ عَالِيَةُ الكَعْبِ

---

(1) يختلف الوضع الترتيبي لهذه الأبيات الأربعة في الأصول المعتمدة.
(2) سقط من س.
(3) سقط هذا البيت من م.

يُذَكِّرُنِي دَاوُدَ فِي الْبَأْسِ وَالتُّقَى ... إِذَا قَامَ فِي الْمِحْرَابِ أَوْ قَامَ فِي الْحَرْبِ

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ سَيْفًا مُهَنَّدًا ... يَشُوقُكَ فِي التَّجْرِيدِ حُسْناً وَفِي النَّدْبِ

يُجَاهِدُ سُلْطَانَ الْهَوَى بِعَزَائِمٍ ... عَلَى الدُّهْمِ مِنْ خَيْلِ الْحَدِيدَيْنِ وَالشُّهْبِ

وَمَنْ بَعْدِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِمَامُنَا ... أَبُو فَارِسٍ بَحْرُ النَّدَى السَّائِغُ الْعَذْبِ

رَأَيْنَا لَهُ فِي مِصْرَ صُورَةَ يُوسُفٍ ... عَلَى سِنِّهِ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجُبِّ

فَخِفْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُقَدَّ قَمِيصُهُ ... وَيَأْتِي عَلَيْهِ إِخْوَةٌ بِدَمٍ كَذِبِ(1)

فَلاَ تَحْسِبُوا ذِكْرَى مَنَاقِبَ يُوسُفٍ ... وَضَرْبِي بِهِ الأَمْثَالَ ضَرْبٌ مِنَ الثَّلْبِ

إِذَا الْمَرْءِ سَادَ الْقَومَ مَعْنًى فَأَلَّبُوا ... عَلَيْهِ فَلَمْ تَخْشَ الأَلْبَابُ مِنَ اللُّبِّ

مَعَاشِرُ لاَ تَرْضَى عُبُودِيَّتِي لَهُمْ ... بِعَتْقٍ وَلاَ بَيْعٍ بِجَبْرٍ وَلاَ غَصْبِ

إِذَا شِبْتُ شَبَّتْ هِمَّتِي فِي هَوَاهُمْ ... فَيَالِّتِي شَيْبِي وَيَا هِمَّتِي شُبِّ

وَمُذْ قِيلَ عَبْدُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ فَلَمْ يَدَعْ ... لِي الحَظُّ مِنْ لَوْمٍ عَلَيْهِ وَلاَ عَتْبِ

مَدَحْتُ بَنِي الدُّنْيَا لأَنْسَى بِمَدْحِهِمْ ... وَلاَ بُدَّ قَبْلَ الْجِدِّ فِي الْحَرْبِ مِن لَعِبِ

أَلَمْ تَرَ مَدْحِي جَاءَ فِيهِمْ مُحَرَّرًا ... وَمَا فِيهِ مِنْ ضَرْبٍ لِعَيْبٍ وَلاَ شَطْبِ

وَمَا أَنَا مِنْ دُكَّالَةَ(2) غَيْرَ أَنَّنِي ... نَسَبْتُ إِلَيْهِمْ نِسْبَةَ الصِّدْقِ فِي الْحُبِّ

---

(1) معاني هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى في سورة يوسف ﴿... إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ الآيتان 26-27. ومن قوله تعالى: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ الآية 17.

(2) دكالة : قديما كانت دكالة، إقليما متسع الأرجاء. مساحته الكبيرة تمتد من نهر أم الربيع شمالا، إلى ما وراء نهر تانسيفت جنوبا. أو ما يعرف حاليا بمنطقتي عبدة ودكالة اليوم تشتمل على سهل من أوسع السهول المغربية الغنية بإنتاجها الفلاحي، وتنقسم إلى دكالة البيضاء ودكالة الحمراء، وتوفرها على طاقات إنتاجية واستهلاكية متنوعة، وحيوية. ومن مدنها المهمة ازمور، والجديدة وأسفي والمشهورة أيضا بمتصوفيها وعلمائها. للمزيد راجع :

- ابن الزيات : التشوف م . س. 51

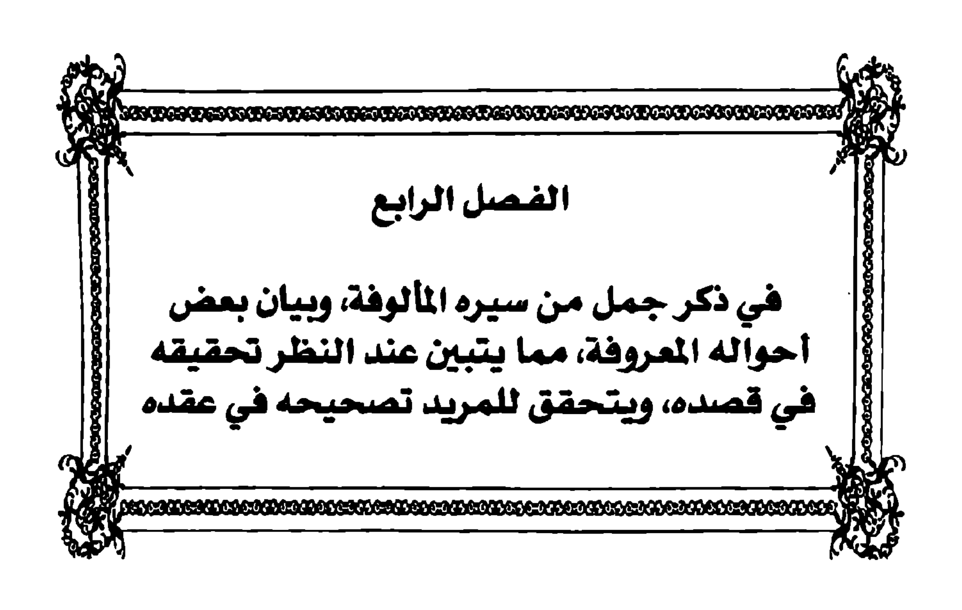
- ابن قنفذ : الأنس م. س. 63

- ابن خلدون : العبر م. س. ج 6. ص : 426 -

- ابن عبد العظيم الازموري : بهجة الناظرين، م، خ، ع 1343

- احمد بوشرب : دكالة والاستعمار البرتغالي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1984 ص : 45

كَنِسْبَةِ سُلَيْمَانَ لِبَيْتِ نَبِيِّهِ   وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي قَبِيلٍ وَلاَ شِعْبِ
جَزَى اللهُ خَيْرًا مِلَّةً أَخْرَجَتْهُمْ   مِنْ النَّاسِ إِخْرَاجَ الْحُبُوبِ مِن اللُّبِّ
لَقَدْ رَضِي الإِسْلاَمُ دِينًا لأَهْلِهِ   وَجَبَ بِهِ مَا قَبْلَهُ أَيَّمَا جَبٍّ
إِلَهِي إِلَهِي بِالنَّبِي الَّذِي إِذَا   دَعَاكَ بِهِ الْمُضْطَرُّ فِي كَرْبِهِ لُبِّي
وَخَيْرُ نَبِيٍّ قَامَ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ   فَأَنْذَرَ بِالْقُرْآنِ وَالصَّارِمِ الْعَضْبِ
وَمَنْ سَابَقَ الأَمْلاَكَ فِي حَلْبَةِ الْعُلاَ   وَجَازَ مَدَاهَا بِالْبُرَاقِ وَبِالْقُرْبِ
وَمَنْ حَمَلَتْهُ بِنْتُ وَهْبٍ فَفُضِّلَتْ   عَلَى آلِ وَهْبٍ كُلِّهِمْ وَعَلَى وَهْبِ
وَبِالآلِ وَالصَّحْبِ الذِينَ أُحِبُّهُمْ   وَمَالِي مِنْ بُغْضٍ وَمَالِي مِنْ سَبِّ
وَسَالَمْتُ فِي حُبِّي لَهُمْ كُلَّ مُسْلِمٍ   وَإِنْ كُنْتُ قَدْ حَارَبْتُ بَعْضَ بَنِي حَرْبِ
وَفَضَّلْتُهُمْ حُبًّا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ   مِنَ النَّاسِ تَفْضِيلَ السِّوَارِ عَلَى الْقُلْبِ
وَبِالسَّادَةِ الْغُرِّ الذِينَ مَدَحْتُهُمْ   بِمِقْوَالٍ عَرَّافٍ بِهِمْ دَرِبٍ الطِّبِّ
وَجَالَ لِسَانِي بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ   يَهُمُّ بِأَنْ يَأْتِي عَلَى الْبَحْرِ بِالْجُبِّ
تَوَلَّى أُمُورِي فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا   لأَحْيَا بِلاَ هَمٍّ وَأَقْضِي بِلاَ ذَنْبِ
وَخُذْ بِي عَلَى آثَارِهِمْ مُتَفَضِّلاً   إِلَيْكَ فَإِنَّ الْفَضْلَ مُتَّسِعُ الدَّرْبِ
وَمَنْ جَمَعَ الإِسْلاَمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ   عَلَى حَالَةٍ فِي الْبُعْدِ مِنِّي وَفِي الْقُرْبِ
وَأَهْلِي وَإِخْوَانِي وَصَحْبِي وَمَنْ لَهُ   عَلَى حُقُوقٌ حِفْظُ ذِمَّتِهِ دَأْبِي
وَسَامِعُهَا يَاللهُ فِي عُصْبَةٍ لَهُمْ   وَحَافِظُهَا يَسْمُو عَلَى الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ
وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ الَّذِي بِهِ   سَأَلْتُكَ أَنْ تَقْضِي عَلَى دِينِهِ نَحْبِي



الفصل الرابع

في ذكر جمل من سيره المألوفة، وبيان بعض أحواله المعروفة، مما يتبين عند النظر تحقيقه في قصده، ويتحقق للمريد تصحيحه في عقده

فمن ذلك اتخاذه للمرقعة رغبة في الاقتصاد، وندبا للفقراء لها على وجه النصيحة والإرشاد، وقد لبسها و[ألبسها][1]، ولبست في حضرته ولم يقع منه انكار عند رؤيته لها، ولا عند مشورته، وما تابعها [كمثل] التسبيح[2] [والشاشية][3] والحلاق، ولزوم العصا والركوة عند توجههم في الآفاق. وقد أنكر ذلك بعض المتعسفين، وبدع فعل ذلك بعض المتخلفين! وقد تنزه عن مقالتهم بتمسكه، في ذلك بحبل الشريعة، كما تنزه عن حسدهم، وجهالتهم بعلو درجته الرفيعة، حتى صار وإياهم في التمثيل كما ذكر وكما قيل:

إذا نَبَحَ الْبَدْرَ الْكِلاَبُ فَلاَ الأذَى   إِلَى الْبَدْرِ بِالسَّارِي وَلاَ فَضْلَ فِي الْكَلْبِ[4]

وفي مثل هذا المثال أيضا مقالة ابن همام[5]:

وَمَا ضَرَّ عَمْروًا قَوْلَ مَنْ غَبَطَ العُلاَ   كَمَا لاَ يَضُرُّ الْبَدْرَ يَنْبَحُهُ الْكَلْبُ[6]

---

(1) سقط من س.

(2) التسبيح : التنزيه. وهي كلمة رضيها الله لنفسه فارصى بها. وهي كذلك تنزيه الحق عن نقائص الإمكان وإمارات الحدوث. وعن عيوب بالذات والصفات. فسبحان الله، معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد. فسبحانك اي انزهك يارب من كل سوء وابرئك.
– ابن منظور : لسان العرب م س ج471 2.
– مختار الصحاح م س 282.   – عبد المنعم: المعجم م س 44.

(3) وعن الشاشية والعصا والركوة والتسبيح راجع طقوس وتقاليد الطائفة الماجرية ضمن الدراسة وكذلك السهروردي: عوارف المعارف م س 93.

(4) من الطويل.

(5) لعله عبد الله بن همام ابن نبيشة وهو شاعر إسلامي ادرك معاوية وبقي على قيد الحياة إلى ايام سليمان ابن عبد الملك وتوفي سنة 718م، قال ابن خلكان في شرح لقب الهمام : « والهمام الكثير الاهتمام » راجع:
– ابن خلكان: رفيات العيان، م س ج4 ص 65.
– الزركلي: الاعلام م س ج4 ص288.

(6) من الطويل.

فهذه ستة أعلام صيرها لهم عوائد، مبنية على الحقيقة قد حوت فوائد، وأدلة الشرع والعقل لها شواهد، يتم لنا بشرحها في ستة أقسام أغراض، ومقاصد، بعد تمهيد قبلها زائد وعاضد، والله تعالى هو المتخذ في ذلك دليلا وراشدا.

التمهيد:

فأقول وبالله التوفيق: قد أنكرت جملة وافرة من طلبة العصر وفقهاء المصر، تمييز الفقراء أنفسهم بلبس المرقعة[1] والحلاق، والشاشية، والعصا، والركوة، والتقليد بالتسبيح وزعموا أن ذلك رياء وسمعة، وإظهار زي خارج عن الناس وشنعة، فهم مغرورون عندهم أو مجانين، متقلدين سبيلا غير سبيل المؤمنين، ولا وجه لهذا الإنكار، إلا عسف متعسف قد غلب حسده جهله، وناقض قوله فعله، وما فعلته المشايخ مع اعتقاد الصلاح فيهم، ودليل الشريعة لا ينافيهم، لا يذيع إنكاره إلا مشاغب، أو طاعن بدينه متلاعب، وكيف ينكر ذلك وقد بلغوا به في القربة أعلى درجات الرتبة، وسابين من ذلك ما يكون به العقل شاهدا والشرع له عاضدا، إن شاء الله تعالى. فأما استعمال ذلك على الجملة دون التفصيل، واتخاذه له وجه من الدليل، فموجود في آيتين من الكتاب. ولا بد من شرحه كي يتبين القول الصواب، من القول المرتاب، الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾[2] وجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله

---

(1) المرقعة: تسمى أيضا خرقة التصوف. وهي ما يلبسه المريد، من يد شيخه، الذي يدخل في إرادته. ويترتب على يده لأمور منها: التزي بزي المراد. ليتلبس باطنه بصفاته. كما يلبس ظاهره بلباسه وهو التقوى ظاهرا وباطنا قال تعالى: ﴿قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير﴾ الأعراف 26
– القاشاني: اصطلاحات صوفية م س 159.
– عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية م س 89.

(2) سورة المائدة 97.

تبارك وتعالى، اعلمنا على وجه التنبيه والإيقاظ، والتذكير والإحسان والامتنان بانه تعالى هو العليم بتفاصيل امورنا من فسادها وصلاحها والخبير بمآل احوالنا من فوزها وإنجاحها، قبل خلقها وإيجادها، ومن بعد حدوثها وإبرازها واتفادها، فمن الحكمة البالغة والنعمة السابغة ان وظف للانام، وظائف جعلها قياما للناس طرا، آمنا [أو خائفا][1]، تقوم بجميع مصالح العباد، عند طلب المنافع، ووجود الموانع، عند التوجه في أقطار البلاد، ثم جعل ذلك عبادة، من حيث لا يتطرف إلى المتلبس بها دواعي الشر، وظتون الفساد. فجعل الكعبة قواما، والهدى قواما، والشهر الحرام قواما. قال أبو محمد عبد الحق بن عطية: جعل الله هذه الاشياء، امورا تقوم للناس بالأمان عند طلب منافعهم، كما جعل الملك قواما للرعية وأمانا، من بعضهم لبعض، وذلك مما سنه تعالى لهم [وهداهم][2] إليه، وألزمهم ذلك الفعل وحرصهم عليه، وشرعه لهم وارتضاه، فكانت العرب متى رأوا هديا مشعرا علموا أن سائقة في عبادة، وكان أمنا لمن يسوقه، ثم جعل القلائد، كذلك فكان الرجل إذا رجع من مكة وزيارته تعلق من شجر الحرم، ليعلم بذلك أنه في عبادة. فكان ذلك امنا له. ثم جعل الشهور الحرام، وهو اسم للجنس. إذ هي أربعة أشهر: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الأصم وسمي بذلك لأنه كان لا يسمع فيه صوت الحديد. فكان دخوله أمنا لجميع الناس، ثم عظم ذلك في نفوس العرب. وكل من هو من أهل الشر والحرب. ومكن ذلك في قلوبهم حتى أنه لا يقدر غير متلبس، بحج أو احرام أن يقلد شيئا، خوفا من الله تعالى. فهذا الذي تضمنته [هذه][3] الآية. وذكره المفسرون، وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ

---

(1) ط س [خالب] د م [خائفا]

(2) م [دعاهم] ط س د [وهداهم]، راجع: ابن عطية، المحرر الوجيز، م س ج5 ص 202.

(3) سقط من ط س.

الله - إلى رضوانا ﴾[1] قال ابن عطية (هذا خطاب متوجه لجميع المؤمنين، مفروض على الأعيان، ألا يتعدوا حدود الله. في أمر من الأمور المذكورة. قال والشعائر جمع شعيرة، وهو ما أشعر الله تعالى بها، أنها حد من حدوده. وطاعته وهي المعالم، والهدى عام في جميع أنواع الهدى. وكل ما اهدى قربة، والقلائد ما كان الناس يتقلدونه أمنا لهم وذكره، تعالى منة وتأكيدا ومبالغة، في التنبيه، على الحرمة في التقليد) قال قتادة: كان الرجل في الجاهلية، إذا خرج من بيته، يريد الحج تقلد من السمر قلادة، فلا يتعرض له أحد بسوء، وقال عطاء وغيره، بل كان الناس إذا خرجوا من الحرم في حوائج، لهم تقلدوا من شجر الحرم، ومن لحائه، فيدل ذلك على أنهم من أهل الحرم، أو من حجاجه، فيأمنون بذلك فنهاهم تعالى عن استحلال، من تحرم بشيء من هذه المعاني، وقوله تعالى : ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ معناه تحلوهم فتغيرون عليهم وقال إبن جريح: «هذه الآية نهى الله تعالى فيها، عن الحجاج أن تقطع عليهم سبلهم، وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ قال ابن عطية: قال فيه جمهور المفسرين: معناه، يبتغون الفضل من الارباح، في التجارة ويبتغون مع ذلك رضوانه، قال سعيد بن جبير : جعل الله تعالى هذه الأمور للناس في الجاهلية وهم لا يرجون جنة ولا يخافون نارا، ثم شدد ذلك بالإسلام[2] قلت يتخرج لنا من تفسير هاتين الآيتين دليل واضح على جواز تمييز أهل الدين والعبادة في الطرقات والمخاوف بسمة وعلامة من كل ما يستوجبون به من أهل الشر على أنفسهم وأموالهم من أمان وسلامة. وقد يجوز لمن قصد بذلك نجاة نفسه، وماله عادة فكيف بمن هو له عبادة. ولما كثر فساد الزمان،

---

(1) المائدة 2.

(2) عن تفسير هذه الآية راجع جامع البيان للطبري، م س ج6 ص 36 والمحرر الوجيز لابن عطية م س ج5 تفسير سورة المائدة ابتداء من ص5.

وانخلع جل الناس من ربقة الإيمان، فتركوا أشياء، كانت مستعملة أولا عونا على العبادة وزهدوا في الدين بطلب الدنيا كل الزهادة، تميز أهل الدين عنهم فتمسكوا بالطريقة القديمة، والوقوف دون الرخص على حد العزيمة، فبانوا عن غيرهم من بني الدنيا بلبس المرقعات، واتخاذ عصّي يتوكؤون عليها في الطرقات واستعملوا ركاوي[1] لا يفارقونها، حفظا لأوقات الصلوات، واستنبطوا تسابيح تذكرهم عند الغفلات والهفوات، فلما تمسكوا بهذه الطريقة، واستعملوها بالصدق والحقيقة، عظم الله هذه الأمور في نفوس العوام، ومكنها من قلوب الأنام، فمتى عاين أهل الشر والبغي من تزني بهذا الزي سالموهم في أنفسهم، وأموالهم مسالمة، وعظموهم بذلك إجلالا ومكارمة، فضلا من الله ونعمة[2]، وتخصيصا منه ورحمة، وبعض هذا الذي ذكرناه ما ورد في السنة من فعله عليه السلام فيما ذكره ابن إسحاق صاحب السيرة[3] وغيره أن النبي ﷺ لما حصر عن دخول مكة عام الحديبية (بعثت إليه قريش الحليس بن عمر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه النبي عليه السلام قال: هذا رجل من قوم يتألهون ويعظمون الحرمة فابعثوا الهدى، في وجهه حتى يراه فلما رأى الحليس الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائد قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قال: ما ينبغي أن يضر مثل هؤلاء فرجع إلى قريش، ولم يصل إلى النبي ﷺ إعظاما لما رأى فقال لهم ذلك فقالوا له: اجلس فإنك رجل أعرابي لا علم لك قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم. ولا على هذا عاقدناكم. أيصد عن بيت الله من جاء معظما له! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين

---

(1) ركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه. المعجم الوسيط ج 1 372 .

(2) من سورة الحجرات الآية :8

(3) د. م [ابو] ط. س [ابن]

محمد، وبين ما جاء إليه، او لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[1]، وفي لفظ ابن عطية فالقوه بالبدن مشعرة. قلت: هذا من السنة دليل فعل لا يتطرق إليه احتمال وليس للتأويل فيه مجال، وقد أمر ﷺ أن يلقي بالبدن مشعرة، دون أن يلقي بالسلاح مشهرة، وفيه دليل على جواز اتخاذ كل ما يقع به الأمان من أهل البغي واستعمال كل ما يكون فيه تعظيم لأهل الشر من جميع أنواع الزي وقد يتبين للناظر المتأمل متى نظر، ويكشف للمتفكر الصادق متى اعتبر جواز ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ - إلى فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[2] فامره الله تعالى أن يأمر نساء ه وبناته ونساء المؤمنين ان يتميزن بهذه العلامة، ويتسمن بهذه السمة كي يعرفن بسمة العفاف والديانة، وعلامة اهل الفضل والصيانة فلا يؤذين. فهذه الآية في أوضح ما يكون من البيان. وأعظم دليل في أدلة التبيان. ولكن من حجب قلبه بقفل الغشاوة، عن تدبر القرآن العظيم، وهو من عظيم جهالته بالسنة فقير عديم، كان كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3] ولله در القائل:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا[4]

القسم الأول:

في ذكر المرقعة الرفيعة، ودليل جواز اتخاذها في الشريعة، قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا

---

(1) – ورد نص هذه القصة في السيرة النبوية لابن هشام، م س ج3 ص326، مع اختلاف في بعض العبارات.

(2) – سورة الاحزاب 59.

(3) – سورة الاحقاف 11.

(4) من الوافر، وقد ورد هذا البيت في إحياء علوم الدين للغزالي كتاب العلم، باب آداب المتعلم والمعلم، م س ج1 ص 52.

﴿يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[1] قيل أنزلنا عليكم أسبابه وقيل ألهمناكم كيفية صنعه، وجه الاستدلال بها ان الله تبارك وتعالى ذكر في معرض الامتنان علينا، ان من جملة النعم التي خلق لنا وأنزلها إلينا لباسا نواري به سوآتنا، ونستر به عوراتنا، وهو اقل ما يلبس، وادنى ما يختلس من أي صنف كان من الأصناف، وعلى اي وصف كان من جميع الأوصاف، والمرقعة هذا المطلوب موجود في لبسها، فهو مشروع في جنسها، قال أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية رحمه الله: هذا عام في جميع ما يلبس ثم قال تعالى: ﴿وريشا﴾ معناه الكثرة، والتوسع في كل شيء. وهو مصدر من قولك: راشه يرشه ريشا ورياشا. بمعنى واحد (ومنه ريش الطائر وهو لباسه وستره وعونه على النفوذ)[2] في المآرب، وقوة في بلوغ المطالب، قال الشاعر:

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ [بَرَيْتَنِي][3] وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ رِيشٌ وَلاَ يَبْرِي[4]

قال (ابن عطية هو عبارة عن سعة الرزق. ورفاهية العيش. ووجود الملابس وقاله السدي والضحاك ومجاهد. فهذا وإن كان على وجه الإباحة، فهو في زينة الدنيا الذي ندب الشرع إلى إنفاذه، وورد ان تركه خير من اتخاذه، وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ هو ستر العورة في قول ابن زيد[5] وقال غيره: هو لباس الصوف وما فيه معنى التواضع[6]

(1) الاعراف 26.

(2) – راجع ابن عطية للمحرر الوجيز، تتفسير صورة العراف، م س ج7 ص89.

(3) م [بريشيني] ط س د [بريتني]

(4) من الطويل ونسب ابن منظور في لسان العرب ج6 ص 309 هذا البيت لعمير بن حباب.

(5) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي المدني، وهو محدث ومفسر اخرج له الترمذي وابن ماجة وله كتاب التفسير، وكتابه الناسخ والمنسوخ، راجع:

– الذهبي ميزان الاعتدال م. ص ج 2، ص 564.

– الداودي: طبقات المفسرين، م س ج 7 ص 88.

(6) راجع: ابن عطية المحرر الوجيز م س ج 7: ص 88.

فالمرتقعة على هذا القول من لباس التقوى، إذ ليس فيها مقصد سوى ستر العورة، ودفع الضرورة، فهذا دليل على جواز كل ما يتخذ من الملابس على اختلاف أنواعها وأوصافها، وتباين أجناسها وأصنافها. كأوبار الأنعام وأشعارها، وأوصافها، مطلقا من غير تقييد، وعموما من غير تخصيص ولا تحديد، أن ثبت هذا فنقول: المرتقعة أفضل ما يلبس وأجل ما يختلس لأنها من لباس الضرورة، وليست من الزينة لرفض أبناء الدنيا لها، ونفورهم [من][1] استعمالها وأنفتهم من اشتمالها، وأجلها عند أهل الطريقة، وأجملها عند أهل الحقيقة، ما اتخذوه من رقاع الصوف لقوله عليه السلام: «**نوروا قلوبكم [بلباس][2] [الصوف][3] فإنه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة**»[4] وذكر طاووس [عن][5] ابن عباس أنه قال: ربما رأيت النبي ﷺ يصلي في جبة صوف وحدها[6]. وذكر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[7] عن عائشة أنها قالت: كان لنا ثوب صنعته من صوف[8] ووبر فكان رسول الله ﷺ يصلي فيه، ويلبسه. وفي الحديث أن موسى عليه السلام، كانت عليه مدرعة[9] زرمانغجة[10] قال له ربه

---

(1) ط س [عن] د م [من]

(2) ط [يلبس] س د م [بلباس]

(3) سقط من س.

(4) لم اقف على نص هذا الحديث وهناك حديث مشابه وهو «عليكم بلباس الصوف تعرفون به الآخرة»: راجع: الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، مصدر سابق ص 192.

(5) سقط من ط.

(6) راجع: ابن حجر فتح الباري م س ج 10 ص 269.

(7) هو عبيد الله بن عتبة بن مسعود، من فقهاء وعلماء المدينة في زمانه، ومحدث ثقة. كان احد اساتذة عمر بن عبد العزيز، مات سنة 95هـ 713م، وقيل سنة 98 هـ 716م. راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص 317.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين/ م س ج 1 ص 221.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 7 ص 23.

(8) مسلم: راجع صحيح مسلم بشرح النووي باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه، م س ج 14 ص57.

(9) راجع: أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق الانباري وآخرين طبعة 72 ص 246.

(10) سقط من د.

«أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ»(1) وهي جبة صوف. ولا يسمى غير الصوف بذلك عند أهل اللغة، قاله الثعالبي. وقال سهل بن سعيد(2): حيكت للنبي ﷺ، جبة انمار صوف [سوداء](3) وجعل حاشيتها بياضا، فخرج فيها على أصحابه. قال أبو موسى الأشعري(4): «لو شهدتنا ونحن مع رسول الله ﷺ، إذا أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنما كان لباسنا الصوف»(5). واما جواز الترقيع، ودليل التشريع، فمن ذلك قول علي رضي الله عنه: أن الله عز وجل، أخذ على ائمة الهدي إن يكونوا أدنى الناس أحوالا، ليقتدي بهم الغني ولا يزدري بالفقير فقره، وقد ورد أنه عليه السلام لبس ثوبا مرقعا، ثم قال هذا اللباس المتقين ثم «قال ياعائشة «لا تستبدلي ثوبا حتى ترقعيه(6) وقال كثير بن قيس(7) «جاء رجل عليه فروة

(1) سورة النمل 12

(2) هو سهل بن اسعد وليس بن سعيد، بن مالك بن خالد بن ثعلبة الانصاري الساعدي، كان عمره يوم توفي الرسول خمس عشرة سنة، قال ابن الأثير: «شهد قضاء الرسول ﷺ في المتلاعنين وانه فرق بينهما» وعاش سهل حتى ادرك الحجاج بن يوسف وامتحن معه، إذ امر الحجاج به فختم في عنقه كما ختم في عنق انس ابن مالك لإدلالهما حتى يتجنبهما الناس ولا يسمعوا منهما. وتوفي سهل سنة 88هـ706م. راجع:

– ابن سعد: الطبقات ابن سعد، م س ج 3 ص 624.

– ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 4 ص 320.

(3) سقط من د.م

(4) هو عبد الله بن قيس بن سليم، المعروف بأبي موسى الأشعري، اصله من قحطان، وكان من اهل السابقة في الإسلام، واحد الولاة الفاتحين استعمله الرسول على اليمن. ثم ولاه عمر على البصرة سنة 11هـ 638م، وولاه الخليفة عثمان على الكوفة وكان احد الحكمين اللذين رضي بهما، علي ومعاوية، بعد حرب صفين، وهو إلى جانب ذلك محدث ثقة، له في الصحيحين اكثر من 350 حديثا، مات سنة 44هـ 664م.، راجع:

– ابن سعد: الطبقات ابن سعد م س ج4 ص 105.

– ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 6 ص 306.

– السيوطي: طبقات الحفاظ، م س ص 15.

(5) في الجامع الصحيح للترمذي ج 4، ص ، نقرأ هذا الحديث في الصيغة التالية: «يابني لو رأيتنا ونحن مع رسول الله ﷺ واصابتنا السماء لحسبت ان ريحنا ريح الضأن».

وقال السهروردي في عوارف المعارف، ص: 181. «وروى ان رسول الله ﷺ لبس الصوف»

(6) في الجامع الصحيح للترمذي ج ص 215 «لا تستخلعي ثوبا حتى ترقعين».

(7) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة وأشار إلى انه روى عن النبي هذا الحديث: من سلك طريق العلم سهل=

وقعد إلى النبي ﷺ ثم جاء رجل عليه أطمار فقعد فضم الرجل بزه[1] فقال ﷺ : «أكل هذا تقذير من : أخيك المسلم أو كنت تظن[2] أن يصيبك من فقره شيء أو يصيبه من غناك شيء فقال الرجل : معذرة إلى الله ورسوله إن النفس لأمارة بالسوء، والشيطان يكيد لي أشهدك يا رسول الله، ان نصف مالي له. فقال الرجل ما أريد ذلك. فقال ﷺ ولم؟ فقال أخاف أن يفسد قلبي كما أفسد قلبه»[3]. وذكر الثعالبي أن النبي ﷺ دخل يوما على أهل الصفة[4]، وهو يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال: «أنتم اليوم خير [أم] يوم [يعدو] أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدي عليه بجفنة ويراح بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة؟ قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير»[5] وأما الآثار

= الله له طريقا إلى الجنة».

(1) البزة: الهيئة: مختار الصحاح م س 51.

(2) ط. [يظن] س دم [تظن]

(3) راجع ابو النعيم : حلية الاولياء م س ج8 ص 53.

(4) أهل الصفة: هي الطائفة الثانية بعد طائفة القراء. والتي كانت تمثل الحياة الزاهدة في عصر الرسول ﷺ في المدينة، وقد حاول بعض مؤرخي التصوف ان ينسبوا التصرف اشتقاقا إليها. وقد بنى الرسول في ضلال المسجد لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والانصار. وقد عاش أهل الصفة عيشة زهد وتقشف، يقضون اوقاتهم في قراءة القرآن وتدبره. وفي الذكر والتفكير.

وقد ذكرهم القرآن فقال: «للفقراء الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا» الحشر8.

ومنهم ابن مكتوم الذي عاتب الله الرسول في شانه فقال: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ عبس1. وقد حدث الوحي الرسول عنهم فقال: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» الكهف28.

ولذلك كان الرسول لا يقوم من مجلسه إذا جلس اهل الصفة حوله حتى يقومون، وكان إذا صافحهم لا ينزع يده من ايديهم قبلهم احتراما لهم.

- ابو النعيم : حلية الولياء م س ج1 347.
- القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س 140.
- النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج 3 ص191.
- عبد المنعم م س 155.
- الشرقاوي م س 191

(5)

فذكر أبو عثمان النهدى قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهن من أدم أحمر، وقال سعيد ابن جبير رأيت عليا رضي الله عنه لما قدم الكوفة – وهو خليفة – عليه إزاران قطريان قد رفع إزاره بخرقة ليست بقطرية من ورائه فجاءه أعرابي وهو ينظر إلى تلك الخرقة فقال يا أمير المؤمنين: كل من هذا الطعام والبس من هذه الثياب فإنك ميت، قال هذا خير لي في صلاتي، وأصلح لي في عملي وأشبه بسنة الصالحين قبلي وأجدر أن يقتدي بي من يأتي بعدي، وروى انه قال لعمر بن الخطاب: إن أردت أن [تلقى][1] صاحبك، فارقع قميصك، واحصف نعلك، وقصر أملك، وكل دون الشبع. «وورد أنه اشترى ثوبا في خلافته بثلاثة دراهم ثم قطع كميه من الرسغين[2]: ثم قال أحمد لله الذي هذا من رياشه[3]» ووجد في ثوب أبي الدرداء بعد موته أربعون رقعة، ولبس أبو هريرة ازارا فيه علق [قد خيط][4] ببالاسطبة][5] وهو مشاقة الكتان[6] قاله أبو عبيد. وكان أويس[7] يلتقط الخرق من المزابل وقطع الأكسية فيغسلها ثم يخصف بعضها إلى بعض. ثم يلبسها ودخل جماعة من أهل المرقعات، على بشر بن الحارث[8] فقال ياقوت، اتقوا الله

(1) م. [تلق] ط س د [تلقى]

(2) الرسغين: ما بين الساعد والكف. المعجم الوسيط م س ج 1 344.

(3) راجع ابن كثير البداية والنهاية، م س ج 8 ص3.

(4) سقط من ط.

(5) م [بالاصطبة] ط س د [بالاشطبة].

(6) حول موضوع لباس الرسول والصحابة، يستحسن الرجوع إلى بعض المصادر منها، صحيح مسلم، باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه ج 1 ص 14. والجامع الصحيح للترمذي، باب ما جاء في ترقيع التربج 4، ص215. وحياة الصحابة لكاندهلوي باب هدي النبي ﷺ وأصحابه في اللباس م.س ج 2، ص 704.

(7) هو أويس: بن عامر القرني الزاهد المشهور أصله من اليمن. وسكن الكوفة وهو من كبار التابعين. روى عن عمر وذكر ابن الاثير انه قتل يوم صفين سنة 37هـ657م في جملة من قتل من أصحاب علي.
– العجلي: تاريخ الثقات ص 74. ابن سعد: طبقات سعد، م س ج 4 ص 132.
– ابن الأثير: أسد الغابة ج 1 ص 179.

(8) هو أبو نصر بشر بن الحارث بن علي المكنى بالحافي أصله من مرو: ولد سنة 150هـ767م، سكن بغداد=

ولا تظهروا هذا الزي، فإنكم ترفعون، به وتكرمون له فسكت القوم، فقام من بينهم شاب، فقال الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به، ويكرم له [فوالله][1] [لظهرن][2] هذا الزي حتى يكون الدين كله لله قال بشر: أحسنت يا غلام، مثلك يلبس المرقعة وكانت مرقعة شيخنا رحمه الله من صوف، وأجل لباسه صوف رغبة منه لما ورد في فضله، ومما يلتحق بهذا الفصل جواز اتخاذ المرقعة ملونة أو مخططة، كما هي مستعملة، عند أهل الربط، فهي جائزة الاستعمال لعموم الآية المتقدمة.

وما ورد من أقوال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[3] قال السدي ومجاهد: هي الثياب الساترة، وقال طاووس هي الشملة[4] والشملة في استعمال أهل اللسان ازار من صوف مخطط، قاله أبو عبيد الهروي وقال مجاهد: الزينة ما تواري به العورة ولو عباءة، والعباء هي الشملة قاله الهروي وذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[5] أن أصحاب النبي ﷺ [كانت][6] فيهم قشافة وفي لباسهم

= وتتلمذ على الفضيل بن عياض وسري السقطي، واصبح من الزهاد المشهورين في عصره إضافة إلى اهتمامه بالحديث وروايته، له كتاب الزهد، ومات سنة 227هـ 841م راجع: - ابن النديم الفهرست، م س ص 261.

- ابو النعيم : حلية الأولياء م س ج 8 ص 336. - السلمي: طبقات الصوفية م س ص 39.

- القشيري: الرسالة القشيرية م س ج 1 ص 73. - ابن الملقن: طبقات الأولياء م س ص 109.

- سزكين : تاريخ التراث العربي، مرجع سابق ج 2، ص 435.

(1) ط س د لا والله] م [فوالله].

(2) د م لالنؤثرن] ط س [لنظهرن]

(3) سورة الأعراف 31.

(4) راجع جامع البيان، للطبري م س ج 8 ص 120.

(5) سورة الكهف 28.

(6) م [كان] ط س د [كانت]

رثاثة فجلس يوما مع بعض فقراء أصحابه، منهم صهيب[1] وخباب[2] وسلمان، وعلى سلمان شملة قد عرق فيها، فرآه عيينة بن حصن[3] قبل أن يسلم فقال يا محمد : أما يؤذيك ريح هؤلاء؟ فنزلت[4] وذكر جابر ابن مسلم[5] قال ركبت قعودي ثم أتيت مكة وطلبت رسول الله ﷺ فأنخت قعودي عند باب المسجد فدلوني عليه فإذا هو جالس وعليه برد من صوف فيه طرائف حمر أورده ابن العربي في الناسخ والمنسوخ[6] وورد في الحديث أنهم كانوا على عهد رسول الله ﷺ ياتونه وعليهم النمار، قال أبو عبيد : النمار هي أزر من صوف مخططة وهي الشملة واحدها نمرة وجمعها أنمار وهي من النمرة التي تكون في السحاب وهي خطوط يستدل بها على المطر، وورد في حديث أسامة بن زيد وفيه

---

(1) هو صهيب بن سنان بن مالك النمري، الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام ومن المستضعفين بمكة، أخي الرسول بينه وبين الحارث بن الصمة، وشهد صهيب بدرا واحدا والمشاهد كلها مع الرسول. وتوفي بالمدينة سنة 38 هـ 658م، وقيل سنة 37هـ 657م، راجع:
- ابن عبد البر : الاستيعاب م س ج 2 ص174. - ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج 2 ص 420.
- ابن حجر: الإصابة، م س ج 2 ص195.

(2) هو خباب بن الإرث اختلف في نسبه فقيل تميمي يكنى ابا عبد الله وهو صحابي من السابقين إلى الإسلام وشهد بدرا واحد، روى عنه ابنه عبد الله. مات سنة 37هـ. راجع: جامع البيان، للطبري م س ج 8 ص 120.
- ابن الأثير : اسد الغابة م س ج 1 591. - ابن حجر: الإصابة ج 1 416.

(3)- هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري يكنى ابا ملك اسلم قبل الفتح وشهدها، وشهد حنينا والطائف، قال ابن حجر « كان ممن ارتد في عهد ابي بكر ومال إلى طلحة، فبايعه ثم عاد إلى الإسلام، فعاش إلى خلافة عثمان » راجع: الاثير: - اسد الغابة، م س ج 4 ص 31.
- ابن حجر: الإصابة م س ج 3 ص 54.

(4) راجع: ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري اسباب النزول، تحقيق الجميلي، دار الكتاب العربي، سورة الكهف، ص 244 والخازن : تفسير الخازن، م س ج 4 ص 209.

(5) هو جابر ابن سليم وليس مسلم الصحابي، ويقال سليم بن جابر سكن البصرة وروى عنه ابن سيرين، راجع:
- ابن عبد البر: الاستيعاب م س ج 1 ص 225. - ابن الاثير: أسد الغابة م س ج 1 ص 303.
- ابن حجر: الإصابة م س ج 1 ص 211.

(6) راجع: ابن العربي الناسخ والمنسوخ، تحقيق عبد الكبير العلوي المدغري طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 88، ج 1 ص 223.

فإذا تكلم أولياء الله وعليهم العباء[1]، ومعناها الشملة المخططة قاله ابو عبيد في كتاب الغريبين[2]، وورد ان أبا بكر أنفق على النبي ﷺ حتى تخلل بالعباء وكانت للنبي ﷺ عباءة[3] تفرش له حيثما انتقل تثنى طاقتين تحته، قال انس ربما رأيته ﷺ يصلي الظهر بثلاث شملات عاقدا بين طرفيها[4] وفي صفة أهل بيت المصطفى عليهم السلام بأنهم أهل العباء على ما ذكر عمر بن أبي سلمة[5] في مسند الترميذي قال: «لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[6] جمع النبي ﷺ ابنته فاطمة والحسن والحسين. وجعل عليا خلف ظهره، ثم جللهم بكساء فقال: اللهم ان هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فسموا بذلك أهل العباء ومن ذلك قول الشاعر:

حَكَى العَبَاءَةَ قَلْبِي حِينَ كَانَ بِهَا ... لِلآلِ تَغْطِيَة وَالصَّحْب تَخْلِيلُ[7]

فهذه أدلة واضحة، وأقوال راجحة، فكثيرا ما وقع من [العامة][8] ومجاهل الفقهاء النكير على أصناف الفقراء في هذا الزي، ولم يعتبروا فيه

(1) قال ابن منظور: وفي الحديث: «فجاءه قوم مجتابي التمار» راجع لسان العرب، ج5 ص 252.
(2) لم اقف على نص هذا الحديث
(3) هو الكتاب الذي جمع فيه ابو عبيد غريب القرآن وغريب الحديث، تمت الإشارة إليه ضمن التعريف بمؤلفه راجع: إحالة رقم   من الفصل الاول من صدر الكتاب
(4) نص الحديث الذي يؤكد هذه الإشارة هو : «عن الحسن ابن عرفة عن عائشة قالت: دخلت علي امراة من الامصار فرات فراش رسول الله عباءة مثنية ... الحديث» راجع:
– الكاندهلوي: حياة الصحابة، كتاب هدي النبي ﷺ، م س ج 2 ص 705.
(5) هو عمر بن ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي المدني ربيب النبي ولد سنة 2هـ 623م بالحبشة حديثه في كتب السنة وهو من الثقات. مات بالمدينة سنة 83هـ 702م راجع: – العجلي: تاريخ الثقات م س ص 158.
– ابن القيسراني: رجال صحيح البخاري ج3 ص 507.
– ابن سعد: طبقات ابن سعد م س ج 3 ص 297 و 456 ج 8 ص 92.
(6) سورة الاحزاب 33.
(7) من البسيط.
(8) ط. [العلامة] س د م [العامة]

الرشد من الغي . فواعجبا كيف ينكر هذا فقهاء العصر، وعلماء القطر، مع اتخاذهم النباطي من الوجوه العتابية، والطروحات الاسكندرية، والازراء اليمانية، والزرد خانات [النهدية][1]، مخططة بالقطن والحرير، مزخرفة في [الشقين][2] بالتزويق والتشكير، وقد اتخذوها لأنفسهم وأزواجهم وأولادهم، واستعملوها في جمعهم وأعيادهم، وينكرون على الفقراء لباس المرقعة المخططة [من][3] الصوف [كالتلابيس والطنافس][4] وما ذاك إلا جهل عميم، أو حسد ذميم. وقد كفانا ما أوردناه في ذلك جملة وتفصيلا ﴿وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾[5]

استدراك لهذا القسم:

وهو ان نقول: اللباس للنفس من ضروراتها المطلوبة، ولوازمها المحبوبة، كما أن الطعام والشراب من حاجاتها الأكيدة، وأسبابها المفيدة، فكما لا تقصر في الطعام والشراب من حاجاتها، كذلك لا تنحصر في الملابس أغراضها لجهلها بنجاتها، بل لها في ذلك هوية متبوعة، وأغراضها محظورة ممنوعة، ولا يسلم من ذلك إلا عالم حاذق، أو جاهل صادق، فمقصود نفوس ذوي البصيرة، ومطلوب أرباب العقول المنيرة، الفوز بسعادة الأبد، والتنعم بالنعيم السرمد، وهو لا ينال إلا بوسائل، ولا يدرك إلا بخصائل، منها حمل النفس على التخلق بالفضائل، وحفظ

---

(1) د م [الهندسية] ط س [الهندية].

(2) س [الشصين] م د [الشقين] سقط من ط.

(3) [من] سقط من د م.

(4) التلاليس: لعله جمع « تليس » وفي القاموس المغربي يطلق ايضا على نوع من الاكياس ذات الحجم الكبير تستخدم لحمل حبوب المحصول الزراعي إلى الأسواق أو إلى اماكن الاستهلاك، كالقمح والشعير.
اما الطنافس فلم يرد ذكرها في المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب لدوزي: مرجع سابق ص 211 وما بعدها.

(5) سورة الإسراء 84.

البدن من آفات الغوائل[1] ولله در القائل:

إذَا كَانَتْ الأعْضاءُ لِلنُّفْسِ عِلَّة ... وَلَمْ تَحْمِلْهَا عَنْهَا فَمنْ أيْنَ تَبْرَا[2]

فهذا القدر موجود، في النذر اليسير من الثياب، وفي أدنى الطعام والشراب وماسواه حظ من الحظوظ الدنيوية، وغرض من أغراض النفوس الدنية، وغنما يلزم الفقير المقتصد في ذلك نظران أحدهما: أن يكونا بعد الطهارة من وجه حلال فهذا النظر في حق المعبود والعبادة، والثاني: أن يكونا دافعين للضرورة كالجوع والعطش، والحر والبرد، فهذا النظر وإن كان من حقوق النفس فهو مما يعنيها على المجاهدة ويستحب أن يكونا متلازمين، فمتى كان لباس الفقير من خصيف[3] الثياب، كان قوته من غليظ الطعام والشراب، وكان السلف الصالح يراعون هذه الملازمة ولما كان [اويس][4] رضي الله عنه لباسه من المزابل، كان كسبه جمع النوي من الطرقات، فمتى وجد معها من الحشف[5] ما يقوته تصدق بالنوى وإلا باعه وابتاع به قوته، وكان أبو عبد الله الرفاعي[6] لباسه من المزابل وقوته من الأبواب، وكان إذا أحضر الفقراء الطعام من أوقافهم لا يأكله ويقول (أنتم تأكلون بحق التوكل وانا آكل بحق المسكنة ثم

---

(1) الغوائل جمع غائلة، الفساد والشر. للعجم الوسيط م س ج 2 673.

(2) من الطويل

(3) خصيف: خصف النعل خرزها وفي الحديث ان النبي عليه السلام كان يخصف نعله. وقوله تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ اي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما.
- ابن منظور، لسان العرب م س ج9 81.
- الرازي: مختار الصحاح م س 177

(4) س [اويسا] ط م د [اويس]

(5) الحشف: اردأ الثمر او اليابس الفاسد من الثمر.
- ابن منظور م س ج9 47.
- المختار الصحاح م س 138.

(6) هو الشيخ احمد بن ابي الحسن الرفاعي، اشار إليه السهروردي في عوارف المعارف الباب الرابع والأربعين في ذكر ادبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه ص: 179 وترجم به الشعراني في الطبقات الكبرى ج 1 ص 140 وذكر انه توفي سنة 507هـ 113م

يخرج بين العشاءين فيتصدق عليه بالكسر من الأبواب)[1]

قال الإمام الفاضل شهاب الدين السهروردي ﷺ (متى اختلف الملبس والمأكل دل على وجود انحراف لوجود هوى كامن، في أحد الطرفين أما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق، واما في طرف المأكول [لفرط][2] شره الشهوة. وكل ذلك مرض يحتاج إلى المداواة[3]، وقال أبو سليمان الداراني[4] «يلبس احدكم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته في بطنه بخمسة دراهم، انكر ذلك لعدم التناسب»[5] فالكفاية من الطعام واللباس على وجه الاقتصاد، للإعانة به على الدين فائدة محمودة، وما لا يتوصل في الغالب للعابدة إلا به فهو عبادة، وما عداه فضول وغرور، ولهو ولعب وزور، ولله در القائل:

يَا أهْلَ [الذَّاتِ] دُنْيَا لاَ بَقَاءَ لَهَا ... فَالاغْتِرَارُ بِظِلٍّ زَائِلٍ حُمْقٌ[6]

وقال غيره:

أحْــلاَمُ نَــوْمٍ أوْ كَظِلٍّ زَائِــلٍ ... إنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهِ لاَ يَخْدَعُ[7]

فمتى استقام الفقير في سره ومحسوسه، صح اعتقاده في مأكوله وملبوسه فهذا القدر في مرض القلب مجزئ وكافي، والله تعالى هو الشافي والمعافي.

---

(1) راجع السهروردي: نفس المصدر ص 179.

(2) ط س [بفرط] د م [لفرط]

(3) السهروردي : نفس المصدر ص 179.

(4) هو عبد الرحمن بن عطية ويقال عبد الرحمن احمد بن عطية أبو سلمان الدراني، من درايا، قرية من قرى دمشق وكان أحد الاقطاب، كبير الشان في عصره مات سنة 211هـ826 م راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية م س ص 75.
- ابو النعيم : حلية الأولياء و م س ج 9 ص 254.
- ابن الملقن : طبقات الاولياء م س ص 386.
- الشعراني: الطبقات الكبرى م س ج1 ص 79.

(5) راجع: عوارف المعارف للسهروردي: مصدر سابق ص 179.

(6) من البسيط

(7) من الكامل

تميم لهذا القسم

في جواز لباسها واسناد من البسها، باجل الرواية وانفسها، فأقول وبالله التوفيق: أما جواز لباسها من السنة فمنها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أسحاق بن سعيد[1] [عن أبيه][2] «عن أم خالد[3] أنها قالت أتى النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: من ترون أكسوه هذه فسكت القوم، فقال ائتوني بأم خالد [فاتى بها[4] فالبسينيها بيده[5] فقال] أبلى وأخلفى معا يقولها مرتين وجعل ينظر إلى علم [في][6] الخميصة أصفر واحمر [وقال][7] يا أم خالد هذا سنه هذا سنه، والسنه هو الحسن بلسان الحبشة»[8] قال الحاكم[9] في المستدرك هذا حديث صحيح حسن والخميصة، كساء صوف رقيق

---

(1) هو إسحاق بن سعيد بن العاص الاموي القرشي السعدي الكوفي، روى عن ابيه وروى عنه ابو النعيم وأبو الوليد وهو ثقة. وذكر البخاري، انه مات سنة 196هـ 802م. راجع:
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 1 ص85.

(2) سقط من ط.

(3) اسمها امة وهي بنت خالد بن سعيد ابن العاص القرشية الاموية وتزوج أم خالد الزبير بن العوام وولدت له عمر بن الزبير وخالد بن الزبير وروى عنها موسى وإبراهيم ابنا عقبة، راجع:
- ابن الأثير : اسد الغابة، م س ج 6 ص 325 . 24

(4) س ط [بي] م [بها]

(5) ط س [وقال] د م [فقال]

(6) سقط من م

(7) ط س [وقال] د م [فقال]

(8) سقط من م

(9) - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابو عبد الله الحاكم يعرف بابن البيع ولد سنة 321هـ 933م بنيسابور تتلمذ على ابن سهل ابن محمد بن سليمان الفقيه الشافعي ثم انتقل إلى العراق وتفقه على ابي علي ابن ابي هريرة كما سمع من العديد من الشيوخ، قال ابن خلكان : «ثم طلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به» من مصنفاته: الصحيحان - العلل- الأماني- فوائد الشيوخ- تراجم الشيوخ- تاريخ علماء نيسابور والمدخل إلى علم الصحيح والمستدرك على الصحيحين، توفي بنيسابور سنة 405هـ 1014م راجع:
- ابن خلكان : وفيات العيان، م س ج 4 ص 208
- ابن الأثير: البداية والنهاية، م س ج 12 ص 355 .
- ابن العميد : شذرات الذهب، م س ج 3 ص 176 .

له علم. ويكون أيضا بغير علم. وكان من لباس الأشراف. ويكون علمه أصفر وأحمر وأخضر. وقيل الخميصة أسود، مربع له علمان. قاله أبو عبيد. وقال الأصمعي، ملاءة معلمة من خز كان أو صوف، وقال مكحول الدمشقي: «لما حضرت الوفاة معاوية بن أبي سفيان ﵁ قال لبعض أهله ائتوني بالسقط. فأتوه به ففتحه فإذا فيه منديل، فيه ثلاثة أثواب. ثم قال هذا قميص رسول الله ﷺ كسانيه يوم كذا: وهذا غزاره ﵇ كسانيه، يوم كذا ثم سألته ان يكسوني ثوبا رأيته، عليه فقال نعم فذهب إلى البيت وأرسل به إلي. ثم دخل الحجاج عليه فأخذ من شعره، فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله هب لي هذا الشعر قال خذه يا معاوية، وهذا هو فإذا أنا مت فكفنوني في قميص رسول الله ﷺ وأدرجوني في بقية الأثواب، واحشوا شدقي ومنخري من شعره ﵇. واجعلوا باقيه على سائر جسدي. وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين»[1] وقد كسا ﵇ قرة بن هبيرة[2] ثوبين من ثيابه لما سأله ذلك. واما إسناد من ألبسها من المشايخ فمن ذلك، ما حدثني به الشيخ الفاضل المحدث أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي الإشبيلي الفبتوري رحمه الله سنة خمس وتسعين وستمائة وقد ألبسنيها [وحدثني][3] بها عن الشيخ الفاضل أبي محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي[4] وقال ألبسنيها وحدثني بها عن

(1) قصة جزع معاوية من الموت، وردت بصيغة اخرى عند ابن عبد ربه، انظر ذلك في كتابه العقد الفريد كتاب الدرة في النوادب والتعازي والمراثي، م س ج 3 ص 232.

(2) هو قرة ابن عامر بن سلمة العامري، القشيري، له صحبة، قال ابن الأثير: « ...وكساه رسول الله ثوبين كان يلبسهما » وهي رواية توافق رواية النص غير انه ابن حجر ذكر ان قرة كان قد ارتد ثم أسره خالد ابن الوليد وبعث به إلى الخليفة ابي بكر فاعتذر عن ارتداده فاطلق» راجع:
– ابن الاثير: اسد الغابة م س ج 4 ص 120.
– ابن حجر: الإصابة م س ج 3 ص 234.

(3) س [حدثني] ط د م [وحدثني]

(4) هو ابو محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاصي وليس الخلاسي، كما ورد في النص. ذكره العبدري مشيرا إلى انه كان من جملة شيوخه الفقهاء السنيين الزهاد. كما اشار إليه التجيبي، في برنامجة في=

الشيخ الفاضل أبي بكر محمد بن يوسف بن مسدي[1] وقال ألبسنيها وحدثني بها عن الإمام الفاضل فخر الدين أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن طاهر بن احمد بن أبي الفوارس الخيري الفارسي[2] سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقال ألبسنيها، (وحدثني بها عن الشيخ الفاضل نصر بن خليفة البيضاوي وقال ألبسنيها[3]، وحدثني بها عن الشيخ المرشدي أبي إسحاق ابراهيم بن [شهريار][4] الكازوري وقال ألبسنيها وحدثني بها عن الإمام أبي محمد الحسين[5] الأكار وقال ألبسنيها وحدثني بها عن الشيخ الفاضل أبي عبد الله محمد بن خفيف[6] الشيرازي وقال ألبسنيها وحدثني بها عن الإمام أبي خالد جعفر بن محمد الحذاء[7] وقال ألبسنيها وحدثني بها عن الإمام أبي

عدة اماكن واصفا إياه بالزاهد العابد الناسك راجع:

- العبدري: رحلة العبدري، م س ص 245.
- التجيبي: برنامج التجيبي في صفحات 136 - 165 - 172 - 332 - 333.

(1) لم اقف له على ترجمة.

(2) لعله هو محمد بن ابراهيم ابن احمد بن محمد بن احمد بن أبي الفوارس الخيري الفارسي، أصله من شيراز ولد سنة 522هـ 1039م، سكن مصر، كانت كتاباته على طريقة فلاسفة الصوفية له كتب منها، تذكرة مناهج السالكين- كتاب الاسرار وسر الاقصار- الفرق بين الصوفي والفقير، بعض هذه الكتب طبع في طبعات مختلفة، ومات بمصر سنة 622هـ 1225م. راجع:

- الذهبي : ميزان الاعتدال م س ج 3 ص452.
- ابن الملقن : طبقات الأولياء : م س ص 466
- التجيبي: برنامج التجيبي م س ص 232.

(3) سقط من د م وكان يدعى شيخ الشيوخ حسب ما جاء في طبقات الولياء لابن الملقن، ص 498.

(4) في جميع الأصول: شهريان، وفي طبقات الأولياء شهريار، ذكره ابن الملقن عند الحديث عن سلاسل لبس الخرقة ص 498.

(5) م د [الحسين]ط س [حسن] وهو عند ابن الملقن الشيخ ابو محمد الحسين بن الاكار، وجاء في إحالة التحقيق « لعله أبو محمد الحسن الاكار» راجع: ابن الملقن: نفس المصدر، ص 498.

(6) أشار إليه ابن الملقن في سلاسل لبس الخرقة وترجم له ياقوت الحموي وقال: « ومن الزهاد أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي شيخ الصوفية ببلاد فارس وواحد الطريقة في وقته. كان من أعلم مشايخ بالعلوم الظاهرة صحب ابا العباس بن عطاء وطاهر المقدسي. وصار من اكابرهم وتوفي بشيراز سنة 371هـ 981م عن نحو مائة واربع سنين وخرج مع جنازته المسلمون واليهود والنصارى» راجع: ابن الملقن: م س ص 498.

(7) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الحذاء الانباري، عده السمعاني من الثقات وتوفي سنة 360، 970م وورد=

عمر الاصطخري[1] وقال ألبسنيها وحدثني بها عن الشيخ الفاضل أبي تراب النخشي وقال ألبسنيها [حدثنا بها عن شفيق البلخي][2] وحدثني بها عن إبراهيم بن أدهم وقال ألبسنيها وحدثني بها عن موسى بن زيد[3] الراعي البلخي وقال ألبسنيها وحدثني بها عن إويس القرني ﷺ وقال ألبسنيها. ومما أرويه في ذلك ما أسنده الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن سهيل[4] قال ألبسنيها الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المعافري الشاطبي[5] وقال ألبسنيها أبو الفضل جعفر بن علي بن [أبي][6] البركات جعفر بن يحيى الهمذاني[7] وقال ألبسنيها أبو أحمد محمد بن عبد الله بن حنة المصري[8] أمام الجامع العظم بأصبهان[9] وقال ألبسنيها الشريف حمزة بن علي بن العباس المعروف بابن برطلة[10] وقال ألبسنيها الشريف أبو هاشم

=ذكره عند ابن الملقي باسم (جعفر الحذاء) راجع السمعاي الأنساب م س ج2 ص 191. راجع: ابن الملقن/ م س ص498.

(1) هو ابو عمر الاصطخري له إشارة عند ابن الملقن في ترجمة يوسف بن عبد الله العجمي راجع ابن الملقن م س ص 494.

(2) سقط من د م.

(3) في طبقات الأولياء لابن الملقن ص 494، هو ابو عمران الراعي، هو من شيوخ العجمي الذين لبس عنهم الخرقة.

(4) لم اقف له علي ترجمة

(5) هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان الشاطبي اشار إليه التجيبي حيث وصفه بالشيخ الصالح نزيل الرباط بالإسكندرية، دون ذكر تارخ وفاته راجع التجيبي برنامج التجيبي، م س 201.

(6) سقط من ط.

(7) هو ابو الفضل جعفر ابن علي بن ابي البركات بن جعفر بن يحيى الهمذاني، وحسب الوادي آشي كان احد شيوخ عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة الذين اجازوه راجع: الوادي آشي: م س ص 75.

(8) لم اقف له علي ترجمة.

(9) اصبهان المدينة القديمة المشهورة في إيران تقع بين شيراز وطهران، ذكر الحميري ان اصبهان بن نوح هو الذي بناها، وكان فتحها في خلافة عمر بن الخطاب، نبغ فيها عدد من العلماء والدباء وكان لها دور مهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. عن هذه الاهمية راجع: معجم البلدان للحمري، ج1 ص 206 والروض المعطار لعبد المنعم الحميري، م س ص 43.

(10) هو الشريف حمزة على بن العباس المعروف باب برطلة، وهو احد تلامذة ابي هاشم العلوي اشار إليه ابن الملقن في سلاسل لباس الخرقة، راجع: ابن الملقن: طبقات الأولياء م س ص 503.

العلوي وقال ألبسنيها أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني[1] وقال ألبسنيها أبي وقال ألبسنيها أبو القاسم الجنيد وقال ألبسنيها السري السقطي وقال ألبسنيها (حبيب العجمي وقال ألبسنيها الحسن البصري وقال ألبسنيها)[2] علي بن أبي طالب رضي اله عنه وأرضاه ومنها ما رواه الشيخ الفاضل مروان عبد الملك بن علي الدمياطي[3] عن الشيخ أبي [عبد الله][4] محمد بن محمد بن عثمان بن صحين السميري عن اسماعيل بن الحسين عن احمد بن ماتكيد[5] عن داود محمد[6] عن أبي العباس أحمد بن ادريس[7] عن أبي القاسم بن عبد الرحمن[8] عن أبي يعقوب الطبراني[9] عن محمد بن عثمان[10] عن أبي يعقوب

---

(1) هو أبو القاسم سليمان ابن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي كان حافظ عصره، ومن اهم مؤلفاته المعاجم الثلاثة الكبير- الأوسط- وكتاب دلائل النبوة- توفي باصبهان سنة 360.970 راجع:
- ابن خلكان: وفيات الاعيان م س ج 2 ص 407.
- ابن الكثير: البداية والنهاية ، م . س ج11 ص 270.
- الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج 1 ص 204.
- الداودي: طبقات المفسرين ج 1، ص 204.

(2) سقط من ط.

(3) هو مروان بن عبد الملك ابن نقل ذكر ابن الملقن أنه لبس الخرقة من ابي عبد الله محمد بن عثمان السميري، وهذه الإشارة توافق ما جاء في النص، راجع: ابن الملقن م س ص 502.

(4) سقط من د م.

(5) في جميع الأصول « ماتكليد » وعند ابن الملقن في طبقات الاولياء ص 502 « ماتكيل »

(6) هو داود بن محمد المعروف بخادم الفقراء، حسب إشارة ابن الملقن في طبقات الأولياء ص 502.

(7) هو احمد بن ادريس بن الرحمن يكنى بأبي العباس شهاب الدين الصنهاجي وهو من العلماء الذين انتهت إليهم رسالة الفقه على مذهب مالك في عصره، توفي سنة 684هـ 1285م، بعد ان خلف مؤلفات منها: انوار البروق في أنواء الفروق، يقع في أربعة اجزاء- الاحكام في تمييز الفتاوي عن الاحكام وتصرف القاضي والإمام- الذخيرة في فقه المالكية في 6 مجلدات : راجع:
- ابن فرحون: الديباج المذهب، م س ص62.
- مخلوف: شجرة النور الزكية، مرجع سابق ص 188.
- الزركلي : الأعيان ج 1 ص 90.

(8) لم اقف له على ترجمة

(9) في جميع الاصول [الطبراني] وعند ابن الملقن في طبقات الأولياء ص 502. [الطبري]

(10) هو أبو عبد الله محمد بن محمد السميري. راجع إحالة 117 اعلاه.

النهرجوري[1] عن أبي يعقوب السوسي[2] عن عبد الواحد بن زيد[3] عن كميل بن زياد[4] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ومنها ما رواه الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه[5] بدمشق المحروسة عن عمه سهيل بن أبي سعيد عبد الرحمن ابن علي بن محمد بن عمار بن أبي الفتح عمر بن علي[6] عن محمد بن حمويه عن الحسن بن محمد [الفارمدي][7] عن [أبي][8] القاسم عبد الله

(1) هو اسحاق بن محمد النهرجوري، كنيته ابو يعقوب من تلامذة الجنيد وسفيان الثوري اقام بمكة مجاورا ومات بها سنة 330هـ 941م، وقيل سنة 333هـ 944م راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية م س ص 378.
- ابو النعيم : حلية الأولياء م س ج 10 ص 356.
- القشيري: الرسالة القشيرية، ج 1 ص 167.
- ابن الملقن: م س ص 105.

(2) له إشارة عند ابن الملقن في طبقات الأولياء ضمن سلاسل خرقة ابن الملقن ص 502.

(3) ذكره القشيري في رسالته في عدة اماكن، ج 1 ص322. وج 2 صفحات: 686 - 697 - 706 وجاءت بعض أحواله ضمن الترجمة التي خصصها ابن الملقن لحبيب العجمي في طبقات الولياء، ص 183، ونقرأ في هامش التحقيق في نفس الصفحة ما يلي:
« عبد الواحد بن يزيد وقيل بن زياد العبدي مولاهم ابو بشر البصري أحد الاعلام، روى عن ليث بن ابي عامر ويونس بن عبيد وغيرهما وروى عنه عفان بن مسلم وهو شيخ الصوفية، واعظم من لحق الحسن وغيره».

(4) هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي. روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة. وروى عنه ابي العباس وعبد الرحمن بن عباس، وآخرون. قال العجلي: «كوفي تابعي ثقة»، وذكر الذهبي كميل وقال: تتقى روايته ولا يحتج به» وقد شهد كميل صفين مع علي، واختلف في تاريخ وفاته، فقيل سنة 82هـ 701م، وقيل 88 هـ706/ راجع:
- العجلي : تاريخ الثقات م س ص 398.
- الذهبي: ميزان الاعتدال ج 3 ص 415
- ابن حجر: تهذيب التهذيب م س ج 8 ص 447.

(5) في شذرات الذهب لابن العماد: أبو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه بن يوسف بن اعين السرخي محدث ثقة. مات سنة 381هـ 991م راجع:
- ابن العماد: شذرات الذهب، ج 3 ص 100.
- الغبريني: عنوان الدراية م س ص 139.

(6) لم اقف له على ترجمة

(7) د.م [الفارمري] ط.س [الفارمدي] وهو ابو علي الحسن بن محمد الفارمدي تتلمذ على القشيري وأبي القاسم الجرجاني، واصبح من كبار شيوخ خراسان وكان الغزالي قد تتلمذ عليه، وتوفي الفارمدي سنة 477هـ 1084م راجع: الهجويري: كشف المحجوب، م س ص 37.

(8) سقط من م.

ابن علي الطوسي عن الجنيد[1] عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن علي [الرضا][2] عن موسى الكاظم[3] عن جعفر الصادق عن محمد الباقر[4] عن زين العابدين عن الحسين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، ومنها ما رواه الشيخ العارف شهاب الدين أبو حفص عمر ابن محمد بن عبد الله السهروردي[5] عن عمه أبي النجيب عبد القادر

(1) لعله هو الذي اشار إليه ابن الملقن، مكتفيا بذكر لقبه الطوسي. راجع: ابن الملقن، طبقات الاولياء، م س ص 496.

(2) م. د [الرضى] ط. س [الرضا] وهو علي الرضا ابو الحسن بن موسى بن جعفر ولد بالمدينة واختلف في تاريخ ولادته فقيل سنة 148 هـ وقيل 153 هـ وهو الإمام الثامن من ائمة الشيعة، قال فؤاد سزكين: «وهب حياته للعلم، ولم يشتغل بالسياسة، إلى ان طلبه الخليفة المامون سنة 201هـ 816م، وانعم عليه باسم الرضا آل محمد وعينه خليفة لبني العباس مما اثار غضب الناس. وتسبب في قيام ثورات مختلفة إلى ان عين ابراهيم بن المهدي خليفة» وتوفي في طوس سنة 203هـ 818م. من آثاره: اصول الدين– الرسالة الذهبية في اصول الفقه الطب وفروعه– شعائر الإسلام– قصائد في مدح أهل البيت، راجع:

– الطبري: تاريخ الرسل والملك، م س ج 8 ص 554.

– المسعودي: مروج الذهب، م س ج 4 ص 28.

– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 7 ص 387.

– سزكين: تاريخ التراث العربي، ج 2 ص 552.

(3) هو موسى الكاظم بن جعفر بن محمد الصادق الإمام السابع، من ائمة الشيعة الاثنى عشرية ولد سنة 128هـ 745م ونشأ بالمدينة. اصبح إماما بعد موت والده، وكان عالماً بمختلف علوم عصره، غير ان الخليفة العباسي هارون الرشيد أودعه في السجن، مخافة خروجه عليه، والقيام ضده. ومات في السجن، سنة 183هـ 722 من آثاره: دعاء الجوشن الصغير – ادعية الايام السبعة – مسند راجع:

– الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ص 27.

– ابن خلكان وفيات الأعيان، م س ج5 ص 308.

– ابن كثير: البداية والنهاية ج 10 ص 183.

– سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 2 ص 251.

(4) هو ابو جعفر محمد بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالباقر. وهو أحد الائمة الاثنى عشر الإمامية، وكان من كبار علماء عصره، وقال ابن الاثير: «سمي الباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، وكان معرضا عن الجدل والخصومات. مات سنة 113 هـ 731م راجع:

– ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9 ص 309.

– ابن خلكان وفيات الأعيان م س ص 262.

(5) هو ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد اسمه عبد الله ويلقب بشهاب الدين السهروردي البغدادي وهو الفقيه الشافعي الزاهد صاحب كتاب «عوارف المعارف». كانت ولادته سنة 539.114م، وتوفي سنة 632هـ 1234م، راجع: ابن خلكان: وفيات الاعيان، م س ج 3 ص 446.

– ابن كثير: البداية والنهاية ج 13 ص 138.

– ابن الملقن: طبقات الأولياء، م س ص 262.

– جمال الدين: طبقات الشافعية، م س ج 1 ص 342.

ابن عبد الله[1] عن عمه القاضي رحمه الله وجيه الدين عمر بن محمد بن عبد الله[2] عن [والده][3] محمد بن عبد الله عن الأسود الدينوري[4] عن ممشاد الدينوري[5] عن أبي القاسم الجنيد بالطريقة المعروفة إلى الحسن البصري، ومنها مارواه الشيخ العارف أبو حفص عمر بن أبي بكر بن التبان الحنبلي[6] عن الشيخ أحمد بن كادش العشكري[7] عن أبي الحسن علي ابن محمد الزوراني[8] عن محمد بن الحسين السلمي[9] عن عمار الرجاء[10] عن أبي بكر محمد بن خلف بن محمد السهلي[11] عن الجنيد

= - الداودي: طبقات المفسرين، م س ج 2 ص 12.

(1) في كل الأصول عبد القادر وفي طبقات الشافعية، عبد القاهر ولد سنة 490هـ 1096م، بسهرورد ثم انتقل إلى بغداد واقبل على الاشتغال بالعلم فاصبحت له دراية بأصول الدين والفقه خاصة بعد حفظ الوسيط في التفسير، كما اشتهر بالوعظ والتذكير، واشتغل كذلك بالتدريس بالمدرسة النظامية، واصبح شيخ العراق في وقته، ورحل إلى الشام ثم عاد إلى بغداد وبها توفي سنة 563هـ 1167م راجع:
- السمعاني: الأنساب، م س ج3 ص 340. - السهروردي: عوارف المعارف م س ص 46.
- جمال الدين: طبقات الشافعية، م س ص 343.

(2) لم اقف له على ترجمة

(3) س [ولده] ط م د [والده]

(4) اشار إليه ابن الملقن في سلاسل لبس الخرقة، راجع: ابن الملقن: م ص ص 495.

(5) هو مشاد الدينوري، تتلمذ على ابن الجلاء، وكان من كبار المشايخ في وقته، توفي سنة 299هـ 911م.
- السلمي: طبقات الصوفية 316. - ابو النعيم: حلية الأولياء ج 10 ص 353.
- القشيري: الرسالة القشيرية، ج 1 ص 155.

(6) لم اقف له على ترجمة

(7) لم اقف له على ترجمة

(8) لعله كان كثير الزيادة اضرحة الولياء.

(9) هو ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي ولد سنة (395هـ 936م) بنيسابور، تتلمذ على أعلام منهم الدارقطني، وأبو نصر السراج ثم زار العراق والحجاز والتقى هناك بالعديد من علماء الحديث، وشيوخ التصوف فاصبح السلمي أحد العلام البارزين في عصره، وتوفي سنة 412هـ 1021م، مخلفا العديد من الكتب منها:
- طبقات الصوفية، والذي كان وراء شهرة مؤلفه، مناهج العارفين، جوامع آداب الصوفي، كتاب عيوب النفس ومداواتها، راجع: - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد كم س ج 2 ص 248.
- ابن كثير: البداية والنهاية ج 12 ص 12-13.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص 313.
- شريبة: مقدمة تحقيق طبقات الصوفية.

(10) لم أقف له على ترجمة

(11) لم أقف له على ترجمة

عن السقطي بسنده المعروف إلى الحسن البصري، ومنها ما رواه الشيخ أبو البركات محمد بن أبي الفضائل عبد المنعم بن محمد بن طاهر الساجي[1] عن والده أبي الفضائل عن جده أبي الفتح[2] طاهر عن جده أبي سعيد فضل الله[3] عن الفضل بن [الحسن][4] السرخسي عن أبي نصر السراج الطوسي[5] عن أبي محمد المرتضي[6] عن الجنيد عن السري بسنده المعروف إلى الحسن البصري ومنها ما رواه الصدر الكبير والإمام الشهير، أبو العباس، احمد الرفاعي[7] عن شيخه أبي الحسن علي ابن القارئ الواسطي[8] عن أبي الفضل بن كامخ[9]، عن أبي علي[10] عالم بن نوكان، عن علي بن ياربان[11]، عن علي العجمي[12] عن أبي

---

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) لم اقف له على ترجمة

(3) لم اقف له على ترجمة

(4) م [حسن] ط س د [الحسن]

(5) لعله هو ابو القاسم سهل بن ابي نصر عبد الرحمن المعروف بالسراج، نزيل طوس، كان عالما فقيها، زاهدا مات سنة 547هـ 1152م راجع: جمال الدين: طبقات الشافعية: م س ج 1 ص 334.

(6) هو ابو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر، بن علي بن القاسم الشهرزوري الملقب بالمرتضى، ولد سنة 465هـ 1072م، اشتهر بالورع وكان له اهتمام بالفقه والحديث ونظم الشعر، اقام في بغداد مدة، ثم استقر بالوصل وتولى بها القضاء وبها مات سنة 510هـ 1116م راجع: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 3 ص 49.

(7) هو ابو العباس احمد بن الحسن على الرفاعي، يرفع نسبه إلى علي بن ابي طالب، اصله من المغرب، وكان فقيها شافعيا عرف بالزهد، وتراس الطائفة الرفاعية البطائحية المعروفة بالعراق، ومات سنة 578هـ 1182م راجع:

– ابن خلكان: وفيات الاعيان م ج 1 ص 171. – ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 12 ص 312.

– ابن الملقن: طبقات الولياء، ص 93. – الشعراني: طبقات الكبرى م س ج 1 ص 140.

(8) هو الشيخ ابو الحسن علي القارئ وليس القارئ الواسطي وهو من شيوخ ابي العباس الرفاعي، راجع:

– ابن الملقن: م س ص 94.

(9) له إشارة في طبقات الأولياء لابن الملقن، ص 94 كاحد شيوخ ابي العباس الرفاعي.

(10) لم أقف له على ترجمة

(11) يورو: انجب، ولد، اعطى، اربان الأطفال الذكور، وقد وقع فيها الإدغام في كلمتين على عادة النطق. وقد يكون من آرب على القوم فار عليهم وفلح. ابن منظور م س ج 1 ص 212.

(12) اشار ابن الملقن: إلى ان علي العجلي كان من بين شيوخ الرفاعي وعنه اخذ الطرقة راجع ابن الملقن م س ص 94.

مظفر السفطي بسنده المذكور إلى الحسن البصري ومنها ما رواه الشيخ الفاضل محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الكيلاني[1] عن أبي سعيد بن المبارك المخزومي عن علي بن محمد القرشي[2]، عن أبي الفرج الطوسي[3] عن عبد الواحد بن عبد العزيز البيهقي[4]، عن أبي بكر دلف بن محمد الشبلي[5]، عن الجنيد عن السري السقطي بسنده المذكور إلى الحسن البصري، ومنها ما رواه الشيخ العارف أبو الحسن علي[6] بن أبي الحسن الطوسي، عن أبي الأسعد هبه الله بن أبي سعيد عبد الواحد بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، عن أبي علي الدقاق[7] عن أبي القاسم ابراهيم عن محمد النصربادي[8]،

(1) الجيلاني

(2) لعله هو ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عبد الله القرشي وهو من الشيوخ الذين لبس عنهم الخرقة ابن الملقن كما أشار إلى ذلك في كتابه طبقات الاولياء ص 495.

(3) في كل الاصول الطوسي ولعله أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الله الطرسوسي كما ورد عند ابن الملقن ص 495.

(4) هو عند الملقن ابو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز البيهقي، نفس المصدر ص 495.

(5) هو ابو بكر بن دلف حجدر الشلبي ولد في سمراء سنة 247هـ 861م، ينحدر اصله من بلاد ما وراء النهر عينه الخليفة العباسي الموفق واليا على دماوند غير انه تخلى عن هذه الوظيفة، ومال إلى الزهد والتصوف وانضم إلى أصحاب الجنيد والحلاج، وتوفي سنة 334، 946م راجع:
- السلمي : طبقات الصوفية، م س ص 337.
- الأبو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 10 ص366.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 14 ص 389.
- ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 11 ص 215.
- سزيكين : تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج2 ص 476.

(6) لم اقف له على ترجمة.

(7) هو أبو علي الحسين بن محمد بن علي الدقاق، استاذ ابي القاسم القشيري، وصهره، وهو من الزهاد المشهورين في وقته، توفي سنة (405هـ 1013م) راجع:
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م س ج 7 ص 244.
- الهجويري : كشف المحجوب، م س ص 377.
- ابن العميد : شذرات الذهب / م س ص 178.

(8) هو ابراهيم بن محمد بن محموية، كنيته ابو القاسم النصراباذي كان شيخ خراسان في وقته، وثقه الخطيب البغدادي، ومات سنة 337هـ 948م راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية، م س ص 484
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 6 ص 169.

=

عن أبي بكر دلف بن محمد الشبلي عن أبي القاسم الجنيد عن سري السقطي بالنسبة المذكورة إلى الحسن البصري، فهذه طرق مشهورة عند أئمة الطريقة وعلماء الحقيقة قد أوردها في فضل [لبس][1] الخرقة، على وجه التبرك والاقتداء بسنن أئمة هذه الفرقة. ولولا خشية الاستكثار والخروج عن حد الاختصار لأوردت في ذلك ما يطول به الكتاب، ويذهب بظلمة الارتياب عن كل قلب مرتاب، ولكن في هذا القدر للمريد كفاية، ومن الله تعالى أرجو عن الذلل في ذلك عصمة وحماية، ولله در القائل:

يَلُومُونِي لِرُؤْيَتِهِمْ خُمُولِي ... وَإِقْبَالِي عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ[2]

وَقَالُوا إِذَا رَأَوْا مَالِي قَلِيلاً ... إِلَى كَمْ ذَا تَمِيلُ إِلَى الْقَلِيلِ

أَلاَ تَسْعَى إِلَى حَظٍّ جَزِيلٍ ... فَأَنْتَ الآنَ ذُو حَظٍّ ضَئِيلِ

فَقُلْتُ لَهُمْ ذَرُونِي وَاخْتِيَارِي ... لَقَدْ أَكْثَرْتَ مِنْ قَالَ وَقِيلِ

فَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ سَاعٍ بِحِرْصٍ ... إِلَى الْعَلْيَاءِ وَالْمَجْدِ الأَثِيلِ

تَوَسَّدَ مَا أَتَى مِنْ خَفْضِ عَيْشٍ ... وَمِنْ عِزٍّ وَمِنْ تَبْلِيغِ سُولِي

فَلَمَّا قِيلَ قَدْ بَلَغَ الأَمَانِي ... بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ الأَثِيلِ

سَقَاهُ الْمَوْتُ مِنْ كَفَّيْهِ كَأْسًا ... مُعَتَّقَةً مِنَ السُّمِّ الْقَتِيلِ

فَعَادَ سُمُوُّهُ ذُلاًّ وَهَوْنًا ... كَهَامِ الْحُرِ مَذْمُومِ الْمَقِيلِ

وَهَلْ تَحْمِي الْمَنَازِلُ مُرْتَقِيهَا ... إِذَا طَلَبَت بِعِصْيَانِ الْجَلِيلِ

لَعَمْرُكَ مَا الْغِنَى وَالْعِزُّ ... إِلاَّ بِدَارِ الْخُلْدِ فِي الظِّلِّ الظَّلِيلِ

ــ ابن الملقن: طبقات الاولياء، م س ص 26

(1) ط [لباس] س د م [لبس].

(2) من الوافر

(3) ط س د [كفاك] م [كفاني]

(4) ط س د (خمول] م[خمولي]

[كَفَافٌ](3) مِنْ حَلاَلٍ فِي[خُمُولٍ](4) — جَمِيلٌ عِنْدَ أَرْبَـابِ العُقُولِ
فَكُفُّوا عَـنْ مَـلاَمِي فِـي خُمُولِي — وَدَعْ [عَنْكَ المَلاَمَةَ](1) يَا عَذُولِ
فَلَسْتَ [بِبَائِعٍ](2) رُشْـدًا بِغَـيٍّ — مَـعَـاذَ اللَّـهِ مِـنْ دَاءٍ قَـتُولِ

القسم الثـاني:

في جواز استعمال السبحة واتخاذها والتقليد بها، لطلب المآرب في بلوغها وإنفاذها، فنقول وبالله التوفيق: لفظ السبحة مشتق من التسبيح تفعيل من السبح الذي هو المجيء والذهاب، لأن لها في اليد مجيئا وذهابا،[وإقبالا وإدبارا(7) ماخوذ من قوله تعال ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾(8) معناه مجيئا وذهابا، وإقبالا وإدبارا(9) عند تصرفك في حوائجك، واصله في اللغة سرعة الذهاب يقال فرس سابح، إذا كان شديد العدو، وقال الشاعر:

أَبَـاحَ لَكُمْ شَرْقَ البِلاَدِ وَغَرْبَهَا — فَفِيهَا لَكُمْ يَا صَاحِ سَبْحٌ مِنَ السَّبْحِ(6)

وفيها إعانة للمتعبد على العبادة، لأنها محركة له عند اللغوب(11) طلبا للزيادة، فاتخاذها عبادة، واستعمالها إفادة وإرادة، إذ هي مذكرة لمن هي في يديه، ولا يحمله على السهو والغفلة وجودها لديه، فهي كالمذكر للغافل، وكالمنبه للذاهل، والمعلم للجاهل، وماكان هذا شانه فاستعماله جائز مندوب إليه في الطريق الإنابة، واصالته من افعال العبادة في الصلاة تحريك السبابة، ويعضد هذا الاحتياط ما في السنة من تاويل الاستنباط وهو ما ورد في حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص(12) عن

(5) ط س [العدل عنك] م [عنك الملالة]
(6) ط [بائعا] د م [ببائع]
(7) زائد في م د
(8) (مكرر) المزمل 7
(9) سقط من د م
(10) من الطويل
(11) اللغوب: التعب والاعياء، ابن منظور لسان العرب ج 1، ص: 742.
(12) هو مصعب بن سعيد بن ابي وقاص الزهري المدني، روى عن ابيه وعن طلحة، ذكره ابن سعد في الطبقة-

أبيه سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ «**أيمنع أحدكم أن يكبر في دبر كل صلاة عشراً ويسبح عشراً ويحمد عشراً فذلك في خمس صلوات خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان فإذا آوى إلى فراشه كبر أربعا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وسبح ثلاثا وثلاثين فذلك مائة في اللسان وألف في الميزان ثم قال: وأيكم يعمل في اليومين ألفين وخمسمائة سيئة**»[1] .

وجه الاستدلال به: أن النبي عليه السلام، ندب الناس إلى عبادة مخصوصة بذكر المعبود، وأمرهم فيها بإحصاء الذكر المحدود، ولابد من الإحصاء امتثالاً للأمر وطلبا للأجر فهذه عبادة مركبة من أربعة أجزاء، ولا يحصل بدونها الأجزاء، عد، وعاد، ومعدود، وما به يحصى العدد، والذي يحصى به مجمل في الحديث فلابد من تأويله، والعمل به بعد توجيهه وتعليله، فالذي يقع الإحصاء، والعد يحتمل أن يكون مرادا بالأصابع كالحساب، ويحتمل أن يكون بالحصباء وما شاكلها، كرمي الحجارة، ويحتمل أن يكون بهذه السبح المصنوعة، وحيثما كان فهو مندوب إليه، ومحرض عليه، ثم تترجح السبحة على غيرها لخفتها في الاستعمال، وضبطها لما يراد من حصر العد عند الأعمال، والثواب على اتخاذها موجود وواقع، وليس في دلائل العقل والنقل ما يكون له مانع، فلو قلنا في ذلك بعدم الثواب، عدولا عن الصواب، لأن هذا الفعل جزء من أجزاء المندوب، وحده ما الثواب فيه مطلوب، وقد يترجح ذلك أيضا باستعمال الجم الغفير والخلق الكثير من العلماء والصالحين، وهي سمة

= الثانية من أهل المدنية، وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة 103 هـ 721 م. راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص 429.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين م س ج 1 ص: 362.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 16 ص: 160.

(1) علاء الدين: كنز العمال، م س ج 2 رقم الحديث 4965

من سمات الخير وما ظهرت في يد أحد إلا ونسب إلى طاعة وعبادة، وتميز بذلك عن جملة الشر بالطبع والعادة، وقد سئل الجنيد وهي في يديه فقال طريق عرفت به ربي لا أفارقه.

وأما جواز التقليد بها، فهو مأخوذ مما ورد في الآيتين المشروحتين. إذا هو من فعل القلائد. وهو أرجح من لزومها في اليد، ولا سيما عند التوجه في الطرقات، كما يفعله فقراء العرب، ولأن العنق محل الطهارة، دائما بخلاف اليد فربما تكون اليد غير طاهرة فتعرق فيها السبحة، فيدركها من الأذى، ما تمنع به صحة الصلاة، فالتقليد أرجح لهذا السبب، فالله تعالى يستعملنا وجميع المسلمين فيما يحبه ويرضاه، ويعصمنا مما قد كتبه على أهل البدع والضلال وقضاه، وأنشدوا:

اغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ ... إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحًا[1]
وَإِذَا مَا هَمَمْتُ بِالنُّطْقِ فِي البَاطِلِ ... فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا
فَاغْتِنَامُ السُّكُوتِ أَفْضَلُ مِنْ ... خَوْضٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالحَدِيثِ فَصِيحًا

القسم الثالث

في جواز لزوم العصا واتخاذها إذ هي [عون][2] ولا سيما عند من تعلم[3] اعتيادها كالشيخ الكبير، فإنها عونه وعليها توكؤه واعتماده، كما قال الشاعر:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزُومُ الْعَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ[4]
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ ... أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ

---

(1) من الخفيف.
(2) ط [عنوذ] س.د.م [عون].
(3) من الطويل.
(4) البحر.

قوله: ورائي يريد أمامي فاتخاذ العصا، والتوكؤ عليها سنة من سنن الأنبياء عليهم السلام، من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، وقد ورد أن شعيبا عليه السلام كان له بيت فيه عصا الأنبياء. وقال ابن عباس التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء، وكان لرسول الله ﷺ عصا يتوكأ عليها ويامر بالتوكؤ على العصا. وفي حديث معاذ بن جبل قال: قال عليه السلام «إن اتخذت منبرا فقد اتخذه إبراهيم، وإن اتخذت عصا، فقد اتخذها موسى صلوات الله عليهم أجمعين»[1].

وورد أن موسى عليه السلام كان يوم الزينة متوكئا على عصاه ويده في يد أخيه، وفي التنزيل «وما تلك بيمينك يا موسى؟ قال هي عصاي»[2] وقد ورد أنها عصا آدم عليه السلام، وفي اتخاذها معنى آخر، وهو ما ذكره بعض الفضلاء من الزهاد، وقد سئل فقيل له مالك تمشي بعصا ولست بكبير في السن ولا ضعيف في الجسم؟ فقال: لما تيقنت أني مسافر ولست بدار إقامة أخذت العصا تذكرة تذكرني متى غفلت، لأنها آلة المسافر وعدة للسفر، ثم أنشد [بيتين][3].

حَمَلْتُ العَصَا لِضُعْفٍ[4] أَوْجَبَ حَمْلَهَا ... عَلَيَّ وَلاَ أَنِّـي تَحَنَّيْتُ مِنْ كِبَرِ[5]
وَلَكِنَّنِي أَلْزَمْـتُ نَفْسِي حَمْلَهَا ... لأُعْلِمَـهَا أَنَّ الْمُقِيـمَ عَلَى سَفَرِ

هذا وإن كانت مما يستعان به على الطاعة، فهي من متاع الدنيا قال عمر رضي الله عنه لعمير بن سعيد[6]– وهو أميره على بلد حمص – يا عمير

(1) ورد هذا الحديث عند ابن كثير في صيغة مماثلة: «قال رسوله الله ﷺ: «ان اتخذ المنبر، فقد اتخذه ابي إبراهيم، وان اتخذ العصا فقد اتخذها ابي إبراهيم» راجع:
– ابن كثير: تفسير ابن كثير، م.،س،ج1، ص: 291.

(2) طه: 17، 18 وعن شرح هذه الآية راجع ابن جرير الطبري جامع البيان، م،س، ج 16، ص: 116 و117.

(3) سقط من ط.س.

(4) سقوط في الوزن، ولعه يستقيم هكذا، حملت العصا لا لضعف حملها.

(5) من الطويل.

(6) هو عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان، بن قيس وقيل عمير بن سعيد بن شهيد الأنصاري، كان من فضلاء الصحابة وزهادهم، شهد فتوح الشام، واستعمله عمر على حمص إلى ان مات قال ابن الأثير:=

ما معك من الدنيا، قال عصا أتوكأ عليها وأقتل بها حية متى ما لقيتها وجرابي أحمل فيه طعامي، وقصعتي [آكل][1] فيها، وأغسل منها رأسي وثوبي ومطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما بقي، فقال صدقت يا عمير[2]، ولله در القائل:

تَمَتَّــعْ مِـنَ الأَيَــامِ قَبْـلَ وَدَاعِــهَا	فَإِنَّ وَدَاعَ اليَومِ لَيْسَ إِلَى لُقْيَا[3]
وَأَبْقِ عَلَى النَّفْسِ النَّفِيسَةِ بالتُّقَى	وَلاَ تَـرْجُ مِمَّــنْ لاَ بَقَــاءَ لَـهُ بَقْيَا
وَمَا أَقْـرَبُ الحَالَتَيْنِ نَـوْمٍ وَيَقَظَة	لِمَنْ عَلِمَ الآمَـالَ أَوْ جَهِلَ الدُّنْيَا
لَقَدْ أَسْرَعَتْ فِي هَدْمِ عُمْرِكَ لَيْلَةٌ	وَيَوْمٌ تَسَاوَى فِيهِ شَأْوُهُمَا جَرْيَا
سَفِيرَ أَحْمَامٍ لاَ عِتَابَ عَلَيْهِمَا	فَكَمْ أَوْسَعَا وَعْظًا وَكَمْ أَسْمَعَا نَعْيَا
وَمَا الحَزْمُ فِيَّ شَدُّ الجَوَادِ لِهَارِبٍ	وَطَالِبُـهُ بِالدِّيْنِ يُدْرِكُـهُ سَعْيَا

القسم الرابع:

في جواز اتخاذ الركوة، وهي أفضل ما سنته القدوة، أذهي عون على الدين، وقلما يستغني عنها أحد من المتعبدين، فاتخاذها عبادة، واقتفاؤها قربة وإرادة، وتسمى مطهرة، كما ورد في حديث عمير بن سعيد في جواب عمر بن الخطاب حين ساله ما معه من الدنيا، وتسمى تورا، كما ورد في الحديث، فيما رواه شعبة[4].عن

= كان عمر يقول: وددت لو أن لي رجلا مثال عمير، استعين به على اعمال المسلمين، راجع:

- ابن سعد: طبقات ابن سعد، م.س، ج 3، ص: 458 .
- ابن عبد البر: الاستيعاب، م.س، ج 2، ص: 486.
- ابن الأثير: اسد الغابة، م.س، ج 3، ص: 789.
- ابن حجر: الإصابة، م.س، ج 3، ص: 32.

(1) سقط من س.

(2) راجع: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي: اخبار عمر واخبار عبد الله بن عمر، دار الفكر، ص: 166 .

(3) من الطويل.

(4) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الازدي، ابو بسطام الواسطي، سكن البصرة، روى عن جماعة منهم أبي بن ثعلب، وإبراهيم بن عامر بن مسعود وحصن بن عبد الرحمن، وروى عنه خلف كثير، وكان الثوري يقول: شعبة امير المؤمنين في الحديث، وقال الشافعي، لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، مات سنة (166 هـ 776م)، راجع:

حصين[1] عن سالم عن جابر انه قال: **كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية فأصابنا عطش حتى جهشنا إليه، فأتى بتور من ماء، فجعل يده فيه، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأنها العيون»**[2] وقد فسر ذلك بالركوة، وقد ورد بهذا اللفظ، وهو ما خرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال:

«عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ إذ جهش الناس نحوه قال عليه السلام ما بالكم؟ قالوا ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا»[3] فاتخاذ الركوة في السفر سنة وعبادة، وهي للفقراء قربة وعبادة معتادة، وكل ما يتوصل به إلى العبادة فهو عبادة، قال الجنيد رحمه الله: إذا رأيتهم الفقير يسافر بلا ركوة فقد عزم على ترك الصلاة وفي قول آخر عنه فاشهدوا له بترك الصلاة، فهذا [في][4] التعريض أشد على التحريض.

= العجلي: تاريخ الثقات، م.س، ص: 220.
- الدار قطني: ذكر اسماء التابعين م.س، ج 1، ص: 173.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج 4، ص: 338.

(1) هو حصين بن عبد الرحمن السلمي ابو الهزيل الكوفي روى عن جابر بن سمرة ومجاهد وعطاء وسالم ابن ابي الجعد وروى عنه شعبة والثوري وسلمان التمي، وغيرهم وقد اتفقوا على توثيقه، ومات سنة 163 هـ 779م، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م.س، ص: 122.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين م.س، ج 1، ص: 109.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج 2، ص: 381.

(2) هناك احاديث وردت عند مسلم، تتعلق بنفس الموضوع، لكنها رويت بروايات مختلفة، راجع ذلك في صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ ج 15، ص:38، وانظر كذلك حياة الصحابة للكاندهلوي باب البركة في الماء، ج 3، ص: 619، 620.

(3) راجع: ابن حجر: فتح الباري، كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ص: 441.

(4) سقط من ط.

مَقَالَةُ ذِي نُصْحٍ وَذَاتُ فَوَائِدُ ... إِذَامِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ كَانَ اسْتِمَاعُهَا[1]
عَلَيْكُمْ بِآثَارِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ ... مِنْ افْضَلِ أَعْمَالِ الرَّشَادِ اتِّبَاعُهَا

القسم الخامس

في فضل الحلاق ودليل جوازه وهو سمة تميزت به طائفة شيخنا رحمه الله في المغرب عن الطوائف، ووظيفة تمسكوا بها من أجل الوظائف وقد استحسنه شيخنا رحمه الله وندب الفقراء إليه، وألزمهم فعله وحرضهم عليه، على ماحدثني به الشيخ الفاضل أبو الربيع سليمان بن ينصارن ببلد سجلماسة المحروسة قال: قدمنا على الشيخ جماعة وفينا رجل له شعر فجلستنا بين يديه ذات يوم وهو يحدثنا إذ خطر ببال الرجل التوبة ومنعه من اخذ يد الشيخ مخافة الحلاق لعزة وفرته عليه. فتفرس فيه الشيخ فحسر الشاشية عن رأسه حتى ظهر لنا رأسه محلوقا وقال من أحبنا فعل كما فعلنا فقام الرجل مسرعا وأخذ بيده فحلقنا رأسه وكساه شاشية بيده إذا ثبت لنا أن الحلاق كان من فعل شيخنا رحمه الله واستحسانه تمسك به. الفقراء بعده كما كانت في عصره وزمانه، فلابد من الاستدلال على جواز فعله بأدلة الشريعة، حتى يلتحق بالأعمال السنية الرفيعة، طلبا للثواب، وإثباتاً للصواب، فنقول وبالله التوفيق: الحلاق من جملة ماوقع به التعبد في أفعال الحج على وجه القربة فوجب أن يكون فعله تعبدا وقربة، متى قصد به التعبد والقربة في غير الحج استصحابا للأصل ولزم أن يمتنع استعمال كل فعل من أفعال الحج عند انفراده في غير الحج على وجه التعبد والقربة كالتلبية والإحلال والإحرام والطواف ولم يقل به أحد إجماعا، فوجب أن يكون القول في التعبد والقربة بالحلاق قولا مشاعا، وقد ثبت أن النبي ﷺ حلق[2] هو

(1) من الطويل.

(2) نقرا في حياة الصحابة ما يثبت ذلك «فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لاصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»
=

وأصحابه بالحديبية لما حصروا عن الحج تعبدا وقربة فثبت بهذا أن الحلاق في غير الحج قد يكون تعبدا وقربة متى قصد به ذلك لأن أفعاله ﷺ [محمولة كلها][1] على العبادة ولا يعترض على منع الحلاقة بقول من يقول إنه مثله وعقوبة لشاهد الزور، لأن الحصب بالحجارة عبادة وقربة في رمي الجمار، مع انه عقوبة للزاني المحصن، ولا بما ورد في الحديث بأنه سمة تعرف بها الخوارج، لأنه أيضا قد اتصف به المتقون، وعلامة قد عرفت بها الصالحون، وقد ورد أن عيسى عليه السلام، خرج يوما على أصحابه، وعليه جبة صوف وكيسا صوف، وتبان صوف، [مجزوز][2] الرأس [متغير][3] اللون، وفي سنن أبي داود، [كان][4] علي رضي الله عنه يحز شعره[5]، وذكر هرم بن حبان[6] في صفة أويس فقال سقطت عليه وهو جالس على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه فإذا هو رجل لحيم، شديد الأدمة، محلوق الرأس، كث اللحية، متغير اللون، كريه الوجه، مهيب المنظر، فسلمت عليه[7] – وذكر باقي القصة والمراد بذكر هذا القدر الاستشهاد بأن الحلاق من صفات أهل الخير، وقد ورد في ذكر، من حلق من الصحابة والتابعين مالو تتبعناه لخرجنا به عن حد

= الكاندهلوي: حياة الصحابة باب الدعوة إلى الله ورسوله قصة صلح الحديبية، ج 1 ض: 154.

(1) م [كلها محمولة] ط س د [محمول كلها]

(2) س [متغيرون] ط د م [متغير].

(3) س [متغيرون] ط د م [كان]

(4) ط [قال] س د م [كان].

(5) ابو داود: راجع سنن ابي داود، كتاب الترجل، باب في حلف الراس، م س ج4 ص 83.

(6) لعله هو هرم بن حيان– وليس بن حبان – العبدي قال ابن عبد البر: «من صغار الصحابة، وجه عثمان ابن أبي العاص، هرم بن حيان العبدي، إلى فعلة الشيرخ، ففتحها عنوة، وسبى اهلها وذلك سنة 26هـ 646م» وذكر ابن حجر نقلا عن ابي حيان أن هرم بن حيان« ادرك عمر وولى الولايات في خلافته راجع:
– ابو النعيم: حلية الاولياء، م س ج 2، ص: 119.
– ابن عبد البر: الاستيعاب، م س ج3 ص: 611.
– ابن الاثير: اسد الغابة، م س ج 4 ص: 615.
– ابن حجر: الإصابة، م س ج 3، ص: 601.

(7) راجع ابو النعيم، حلية الأولياء، م س، ج2، ص:84.

الاختصار ولعجزنا فيه عن الضبط والانحصار، وفي هذا كفاية لكل مريد إذا «ألقي وهو شهيد»[1]. ولله در القائل:

مُحَلِّقِي أَرْؤُسٍ زِيدَتْ وُجُوهُهُمْ ... حُسْنًا بِهِ فَكَأَنَّ الحَلْقَ تَرْجِيلُ[2]

إذا ثبت هذا فنقول: يحتمل أن يكون شيخا رحمه الله قد اختاره، وفضله على التقصير، لفضيلة التقدم في قوله تعالى ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[3].

ثم تأكد عليه الفضل وترجح الفعل بقوله ﷺ في دعائه، غفر الله للمحلقين مرتين أو ثلاثا، ثم قال بعده وللمقصرين[4]، ولا يلزم من كون الدعاء كان في موضع مخصوص، وسبب مقصود أن لا يعم، لأن أحكام الشريعة كلها إنما وردت في أوقات مخصوصة، وأسباب منصوصة، ولم يمنع ذلك من عمومها واستمرارها، فترجح الحلاق على هذا بفضيلتين (الأولى) بالتقدم (والثانية) بتكرار الدعاء دون المقصرين، فإذا ثبتت فضيلة الحلاق، على التقصير في قضية، وجب حمل تلك الفضيلة على الإطلاق استصحابا للأصل، واستعمالا لعموم اللفظ، وقد يحتمل أن يراعي فيه رحمه الله وجها آخر من طريق الاستنباط، وهو ما يدل لفظ التقصير من القصور ولاسيما في حق التائب، أن يقال مقصرا في أول بدايته، أو كونه رحمه الله يأمر التائب بالتقصير، بخلاف لفظ الحلاق، فتركه لما في هذا اللفظ من هذا المعنى، وقد كان ﷺ يحب الفال الحسن، ويكره ما كان فيه قبح، كان يغير أسماء الأعلام إذا كانت من هذا القبيل، قال ابن عمر غير [ﷺ][5] اسم بره[6] وسماها جويرية،

---

(1) ف37

(2) من البسيط .

(3) سورة الفتح 27.

(4) راجع ابن ماجة: سنن ابن ماجة كتاب المناسك، باب الحلق، م س ج2 ص:1012 .

(5) سقط من م

(6) هي برة بنت الحارث، لما تزوجها الرسول سماها حويرية، راجع: ابن الأثير: أسد الغابة، م.س، ج6، ص:56 .

وعاصية[1] وسماها جميلة، وغير اسم زيد الخيل[2] وسماه زيد الخير، وغير اسم الحباب[3] بن عبد الله بن أبي سلول وسماه عبد الله بن عبد الله، وقال الحباب هو الشيطان، وقد احتج أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة الطحاوي[4] رحمه الله، على أن الحلاق أفضل من اتخاذ الشعر مطلقا **بما ورد أن وائل[5] إبن حجر أتى رسول الله ﷺ، وقد جز شعره فقال عليه السلام هذا أحسن[6]**. قال أبو جعفر قوله عليه السلام هذا أحسن. معناه أفضل ولا شيء أحسن منه، فهذا تأويل حسن يوجب فضيلة الحلاق على وجه الإطلاق، لا يقال [الحلاق][7] عند هذا إنما استحسانه عليه السلام لغرض عادي فيه احتمال، لا لكونه أفضل من اتخاذ الشعر، لأنا نجيب عنه

(1) هي جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح الانصارية، امراة عمر بن الخطاب، قال ابن الاثير: كان اسمها عاصية، فلما اسلمت، سماها رسول الله ﷺ، جميلة، تزوجها عمر سنة سبع هجرية، فولدت له عاصما، ثم طلقها عمر فتزوجها يزيد بن جارية، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد، فهو اخو عاصم لامه. راجع:
– ابن الاثير: اسد الغابة، م.س، ج 6، ص:52. – ابن حجر: تهذيب التهذيب، م.س، ج 4، ص: 262.

(2) هو زيد بن مهلهل بن منهب الطائي، ذكر ابن عبد البر، ان زيدا هذا كان قد «قدم على الرسول ﷺ، في وفد من اليمن سنة 9 هـ 630م وكان شاعرا خطيبا، فاسم. فسماه رسول الله زيد الخير، ومات في خلافة عمر بن الخطاب». راجع: – ابن عبد البر: الاستيعاب، م.س، ج 1، ص: 563.
– ابن حجر: الإصابة، م.س، ج 1، ص: 572. – ابن سعد: طبقات ابن سعد، م.س، ج 1، ص: 321.

(3) هو الحباب بن عبد الله بن ابي جاء في أسد الغابة: «وكان اسمه الحباب وبه كان ابوه يكنى، فلما اسلم سماه النبي ﷺ عبد الله، وهو الذي استاذن الرسول عليه السلام في قتل ابيه، لما كان يظهر منه من النفاق، فلم ياذن له». راجع: – ابن الاثير: اسد الغابة، م.س، ج 1، ص: 435.

(4) هو ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الإمام الفقيه المحدث من مصنفاته، العقيدة الطحاوية. ومعاني الآثار، واحكام القرآن، وشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وجل هذه الكتب طبع في طبعات مختلفة، ومات سنة 321 هـ 933 مراجع:
– ابن خلكان: وفيات الاعيان، م.س، ج 1، ص: 71.
– إبن كثير: البداية والنهاية، م.س، ج 11، ص:184.
– الداودي: طبقات المفسرين، م.س، ج 1، ص: 74.

(5) هو وائل بن حجر بن ربيعة بن يعمر الحضرمي، كان ابوه من ملوك حضر موت، قال ابن الاثير: استعمله النبي ﷺ على الاقيال من حضر موت، واقطعه ارضا ... وكان قد نزل الكوفة في الإسلام، وعاش إلى ايام معاوية. وشهد مع علي صفين، وكان على راية حضر موت يومئذ. راجع:
– ابن الاثير: اسد الغابة، م.س، ج 4، ص: 695.

(6) لم اقف على هذا الحديث

(7) سقط من د.م

بعد تسليم الاحتمال بأن نقول، قوله عليه السلام هذا أحسن، يحتمل معنيين، أحدهما التفضيل متى ورد في المباحين، وهذا على القول بأن صيغة أفعل في التفضيل، لا تطلق إلا على الاشتراك في المفضل، والمعنى الثاني، أن يريد بالأحسن المأمور به بالإضافة إلى المنهى عنه، وهو مذهب الطبري. وبيانه أن قوله عليه السلام –أحسن– مرجح، والمباح ليس فيه ترجيح. فوجب حمله على الندب، لأن المندوب، ما كان راجح الفعل مسوغ الترك. وقاعدة الشريعة، أن كل من فعل فعلا، بمحضره عليه السلام، ولم ينكره، فهو دليل على جوازه، إذ لو كان منكرا لبادر إلى إنكاره، وأما إذا استحسنه، فهو دليل على رجحانه كما ذكرناه أولا، فثبت لنا بهذه التأويلات وأن الحلاق إما فضيلة، وإما من المندوبات، ففعله جائز، والمتسم به قصدا للتعبد به والقربة سعيد وفائز، وقد قبض عليه السلام على أثر الحلاق، (وإنما قبض على أفضل الأعمال، لا يقال عند هذا الحلاق)[1] إما أن يكون معناه معقولا، فلا يفتقر إلى نية، [وحينئذ تبطل كل من نوى به التعبد في غير الحج][2]، وإما أن يكون معناه غير معقول، فيفتقر إلى نية. ولم يقل به أحد، فوجب بطلان القول به، لأنا نقول: بل فيه شائبتان، شائبة يعقل معناها، وهي التنظف، لقوله تعالى ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾، والمفسرون على أنه طرح الأدران بحلق الشعر، وشائبة معناها غير معقول، وهي تعبد كامرار الموسى على رأس الأصلع والأقرع، والمحلوق آنفا، حجا كان أو عمرة، فأشبه الوضوء في أنه يفتقر إلى نية والله أعلم، ويحتمل أن يراعي فيه الشيخ رحمه الله ما فيه من كثرة الأجور، على القول بأن فاعله مثاب مأجور، لأن كل شعرة سقطت له بها أجر، وليس في اكتساب مثل هذه الحسنات على المريد مشقة، ولا ضجر، وهي تتكرر مع تكرر الحلاق دائما، ومقصوده رحمه الله [أن يمنح

---

(1) سقط من د

(2) سقط من د

ذلك في أول البداية من قصده تائبا، وهذا مفهوم من قوله رحمه الله][1] في التحريض عليه لجميع الناس أول قدم للمريد في الإرادة حلق الرأس ومعناه أنه قد نال به في أول التوبة كثيرا من الحسنات، والتوبة تجب ما قبلها من السيئات، لقوله ﷺ «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[2]، والقدم هي المنزلة الرفيعة وسابقة في الخير، والقدم في اللغة الشيء تقدمه أمامك ليكون عدة لك، حتى تقدم عليه، قاله الأزدي، ويؤيد ما ذكرناه -من إثبات الحسنات بسقوط الشعر- ما ذكره القاضي أبو الحسن بن صخر[3] [في] فوائده[4] مسندا عن مجاهد، عن ابن عمر، **أن رسول الله ﷺ قال: للسائل الذي سأله عن الحاج، وماله من يوم خروجه من بيته إلى آخر مناسك حجه، فذكر حلق الرأس، فقال** ﷺ: «**وإذا حلق رأسه كان له بكل شعرة سقطت نور يوم القيامة**»[5]، وسياتي هذا الحديث بكماله في موضعه إن شاء الله، وقد يحتمل أن يترجح فعله عنده رحمه الله لما احتوى عليه من الفوائد وقد شهدت بها شواهد الشرع والعوائد، منها حفظ الأبدان بطرح الأدران، وبه فسر قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**﴾[6] أنه التنظيف من الوسخ بقصر الأظفار وحلق الشعر، وفي حلقه حفظ للبصر وحدة النظر واستبقاء لماء الوجه، لأن الشعر يسف ماء الوجه، حتى يذهب بنوره عند حذاق الأطباء، وفيه مسام الرأس بخروج الأبخرة المضرة بالدماغ وفيه عون على الطهارة، بقلة الكلفة، والرفق بقلة الماء، ولا سيما لمشتريه مع عدم الضرر الموجود فيه، من لزوم الماء على الرأس، وقطره على الجسد ولا سيما مع شدة البرد

---

(1) سقط من د

(2) ابن ماجة: راجع: سنن ابن ماجة كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ج 2، ص: 1420.

(3) لم اقف له علي ترجمة.

(4) [في] سقط من د

(5) المندري: الترغيب والترهيب، دار احيا التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة، 1968، ج 2، ص: 177.

(6) الحج 29.

للفقير، وفيه عدم المشقة الموجودة في الشعر، بالتسرح والترجيل، وفيه مذلة للنفس ومخالفة للهوى، وترك للزينة ولا سيما في حق الشبان، ومن سمته التبرج، كأجلاف البرابر والعربان، ولله در القائل:

إِنَّ شَرَخَ الشَّبَابُ وَالشَّعَرُ الأَسْوَدُ ... مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونَا[1]

وفيه عصمة النفس والمال من قطاع الطرق[2]، ولا سيما عندنا ببلاد المغرب، فإنهم يعظمون أهل الحلاق، لأنه عندهم سمة لأهل الدين وعلامة للمريدين، وفوائد الحلاق لا تنحصر بالعد، ولا تقيد بالحد، ولا ينكرها إلا جاهل حاسد، أو غافل معاند، ففي هذا القدر كفاية للغرض المطلوب، وشفاء من أمراض القلوب، والله تعالى هو المشكور على هذا الفضل الموهوب.

دَعُوا مَعْشَرَ العُذَّالِ عَنَّا حَدِيثَكُمْ ... فَلاَ خَطَأٌ مِنْهُ يُجَابُ وَلاَ عَمْدُ[3]

فَلَمْ تُدْرِكُوا بِالجَهْلِ رُشْدَا وَإِنَّمَا ... يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّيْفِ وَالجِيدِ النَّقْدُ

غَنِيتُمْ عَنِ التَّأْوِيلِ مِنْهُ بِظَاهِرٍ ... وَمَنْ تَرَكَ الصَّمْصَامَ لَمْ يُغْنِهِ الغَمْدُ

رَدَدْنَا عَلَيْكُمْ بِالعُيُوبِ مَقَالَكُمْ ... وَبِالعَيْبِ فِي أَحْكَامِنَا يَثْبُتُ الرَّدُ

أَلاَ رُبَّمَا ازْدَادَ الحَبِيبُ مَلاَحَةً ... إِذَا شَقَّ عَنْهُ الدِّرْعُ وَانْتَشَرَ العِقْدُ

فَكَمْ سُتْرَةٍ لِلْحُسْنِ بِالحلى مِنْ حلَى ... وَكَمْ جَسَدٍ غَطَّى مَحَاسِنَهُ البُرْدُ

فَلِلَّهِ سِرُ الكَائِنَاتِ وَجِهْرِهَا ... فَكَمْ حِكَمٍ تُخْفَى وَكَمْ حِكَمٍ تَبْدُو

يُضِلُّ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنَ الوَرَى ... وَمَا بِيَدِ الإِنْسَانِ بَغْيٌ وَلاَ رُشْدُ

---

(1) من الخفيف

(2) عن هذه الظاهرة راجع فصل عمل الطائفة الماجرية في المجال الديني ضمن الدراسة.

(3) من الطويل: هذه الأبيات مقتطفة من قصيدة طويلة للبوصيري في مدح النبي ﷺ، ويلاحظ القارئ خلافا في بعض الكلمات بين ما هو مرسوم في النص وما هو وارد في الديوان المحقق، مرجع سابق، ص: 63.

القسم السادس

في جواز استعمال لبس الشاشية، إذ هي سمة من سمات هذه الطائفة الناشئة، وقد صيرها شيخنا رحمه الله للفقراء عادة، حتى نالوا بها من المصالح إفادة، وجواز ذلك جائز في حكم العقل، معضود بدليل النقل وبيانه ان نقول: الأصل في المنافع الأذن في قاعدة الشرع، والمضار هي المقصودة بالمنع، ومقصود الشارع إرشاد الخلق إلى مصالحهم الدنيوية والدينية، فيحصل بها لهم التمكن من خدمة الله تعالى وعبادته المنوطة بالسعادة الأبدية، ومراعاة هذا الإرشاد، فضل من الله ورحمة على العباد، فمن المصالح الشرعية مراعاة الديان [لحفظ][1] الأبدان، باستعمال كل ما يتضمن لها من ذلك منفعة عاجلة، أو ما يدفع به عنها مفسدة حاصلة فكل مصلحة قد شهد الشرع باعتبارها، وجوزها العقل عند اختبارها فهي من المندوبات المقصودة، والفعال المطلوبة المحمودة، والقول الصالح، العمل بالمصالح، متى خلت عن جميع المفاسد، ولم يشهد بردها في الشرع شاهد، محافظة على اتباع الشرع في مصادره وموارده، باستعمال المصالح المخصوصة بمقاصده، فمتى تعينت في حكم أو جبناه تعمدا ومتى خفيت سميناه تعبدا، فمن فوائد الشاشية الشاهرة، ومصالحها الظاهرة، ما عرفت به من حفظ الرأس وتوقيته من جميع الأوساخ والدناس، وما يتولد من كشفه من الضر، ولاسيما في شدة الحر والقر، فعلل الرأس كثيرة، والحاجة إلى دفعها مصلحة كبيرة، وفيها قلة المؤنة، يدركها القوي والضعيف، ولا يلبسها الوضيع ولا السخيف، قد استنبطها العقلاء، وتميزت بلبسها الفضلاء، تنوب مناب العمائم، وتحفظ الرأس كحفظ التمائم، وفيها معنى التقلل والاقتصاد، وأجر لمن اعتقد هذا الأعتقاد، وهي أقل ما يجزي في سترة الرأس عند

---

(1) ط س [يحفظ] د.م [لحفظ]

الحقل، وامانها معروف بين الخلق، لا يطرقها طارق، ولا يطمع فيها سارق وقد عظم الله تعالى حرمتها في نفوسهم، حتى لا يستطيعون حطها عن رؤوسهم، وفيها كسر للنفس، واقل تعبا في اللبس، فهذا من بعض فوائدها المعروفة، وفضائلها الموصوفة، ولا يقال عند هذا ان هذه [الشاشية][1] المنسوخة بالابرة والخيط - وإن كانت للرأس جنة[2] من البرد والقيظ- إنما استنبطها رهبان النصارى سمة لهم فيتميزون بها مع الزنار فيكره لبسها، لكي يمتاز عنهم، وإلا اندرج لابسها في قوله ﷺ «من تشبه بقوم فهو منهم»[3] لأنا نقول: من صفات الرهبان المعروفة وسيماهم الموصوفة، لباس الصوف مطلقا، والعزلة في الصوامع، وكون الباب مغلقا، والزهد في كل ما سوى الضرورة، والبعد عن ملابسة الأفعال المحظورة، وهذا هو المحمود في نظر الشرع والمطلوب في كل ملة، إذا سلم فاعله من كل علة، ولم يزل دأب الصالحين والزهاد في كل بلدة، ولا يقع لهم بذلك تشبيه، ولا ورد بالكراهة فيه تنبيه، بل انكاره محمول على تحسين العقل وتقبيحه، ولم يقل أحد من علماء السنة بجوازه وتصحيحه، فهذا القدر كاف لكل مريد في التنبيه والتعليم. وأما الحاسدون المنكرون فلو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، وحسبنا في العصمة والبعد عن المهالك، أن نقول بالافتقار والتضرع في ذلك:

إلهي قد توسمنا من زي المتقين بهذه الملابس، وتقربنا إليك في زعمنا ، بفعلنا والفعل متلابس، وخوادع آمالنا قد صيرتنا في أسر الذنوب محابس، وغرور هوانا، قد غر عقولنا، فهي على المهالك كوابس، فيا ملاذ العارفين، ويا أمان الخائفين، خذ بيد من قد زلت به قدم الفطنة

(1) س [الشاشية] ط د م [الشواشي]

(2) الجنة بالضم : السترة ، الجمع جنى. المختار الصحاح م س 114.

(3) المناوي : راجع فيض القدير بشرح الجامع الصغير، م س ج6 ص 104.

في مزالق فتنة [المجالس][1]، فهو لديك رهين ، فقير عديم من جملة المفالس، وأنشدوا:

وَإِنِّي لأَسْتَنْشِقِي بِرِيَّاكِ كُلَّمَا ... ظَمِئْتُ وَقَدْ يُغْنِي النَّسِيمُ عَنْ الرِّيِّ[2]

وَأَنْشُرُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَطَالَمَا ... طَوَيْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الطَّيِّ

سَكَبْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ وَالرُّوحَ أَدْمُعًا ... غَدَاةَ افْتَرَقْنَا وَانْسَلَمْت بَلاَشَيِّ

ضَمَمْتُ إِلَى صَدْرِي قَمِيصَكَ ضَمَّةً ... عَرَفْتُ عَلَيْهَا فُجْعَةُ الْحَيِّ بِالْحَيِّ

إِذَا لَمْ تَجِدْ نَحْوَ الأَحِبَّةِ مَسْلَكًا ... وَلِلزَّيِّ إِمْكَانٌ فَحَسْبُكَ لِلزَّيِّ

(1) س د م [المجالس] ط [المجالسين]

(2) من الطويل.



الفصل الخامس

في بيان سيرته المعروفة، وشرح جمل من أفعاله المألوفة، مما تمسكت الفقراء فيه بطريقه، واتبعوا فيه آثار صدقه وتحقيقه

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1] قال ابن عباس، هو أمامهم[2] الذي كان يدعوهم في الدنيا إلى هدى أو ضلالة، قال علي بن طلحة[3]، في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[4] وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[5] وقال تعالى﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[6] قيل معناه نكتب ما قدموا من حسناتهم وأوزارهم[7] أو ما خلفوا من سنة يتبع فيها أثر من آثارهم، وقال تعالى﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[8] قيل معناه ما أخر من سنة يعمل بها بعده من خير أو شر[9] وقال ﷺ « **من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة** »[10] والسنة هي الطريقة المتبوعة، وسنة

---

(1) الإسراء 71

(2) الفيروزبادي: راجع التنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص:180.

(3) هو علي ابن أبي طلحة اسمه بن الخارق الهاشمي، يكنى أبا الحسن، روى عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وروى عنه سفيان الثوري وصفوان بن عمر وآخرون وثقة العجلي، ومات سنة 143هـ766 م، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م، س، ص:348.
- الدار قطني: ذكر أسماء التابعين، م س ج 2، ص:172.
- ابن كثير: البداية والنهاية، س ج 6، ص:75.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج7، ص:337.

(4) الأنبياء 73.

(5) القصص 28.

(6) يس 12.

(7) الطبري: راجع: جامع البيان، م س ج 22 ص: 99.

(8) القيامة 28.

(9) الطبري: رجع: جامع البيان، م س ج 22 ص: 116 - 115.

(10) نص هذا الحديث عند مسلم هو كالتالي « من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء »راجع:
- مسلم: صحيح مسلم كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار، ج 7، ص 104.

الإنسان هو عمله المتبوع بعده، قال لبيد[1]

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ   وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا[2]

فمما سنه رحمه الله حتى اشتهر واتبع فيه أثره حتى انتشر - هذا الذكر الموصوف بالرحمة والترحيم، وهو [قولهم][3] يا الله يا رحمن يا رحيم، فكثيرا ما يستعملونه في أسفارهم عند ورودهم وعند إصدارهم، ويجهرون به غاية الإجهار، عند قدوم العمارة أو عند المخاوف في الفيافي والقفار، أما سبب استعماله لهذا الذكر على ما حدثني به غير واحد ممن أدركته من شيوخ هذا الطريق، وقد توغل فيه الصدق والتصديق، قالوا: سمعنا الشيخ رحمه الله يقول: سافرت مرة في البحر، [فهاج][4] علينا بشدة الريح حتى أشرفنا فيه على الغرق، ووقع علينا اليأس من النجاة، فأخذنا في قراءة القرآن والتشهد والتسبيح والتقديس، وكل إنسان بما ألهم إليه، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتا في جو السماء يقول: يا الله، يا رحمن يا رحيم، يردد ذلك، فأطلق الله تعالى هذا الذكر على ألسنتنا، وعمر به أفئدتنا، فضججنا به ضجة واحدة، فبينما نحن نردده، إذ سكن الريح وهدأت الأمواج، وفرج الله تعالى ماكنا فيه من الشدة، فاتخذته لي عدة في الشدائد، فكثيرا ما تظهر بركته علي، وأمرت الفقراء أن يتخذوه في أسفارهم وإقامتهم، لينالوا بركته ويفرج الله عنهم به من الشدة كما فرج عنا، هذا هو الذي سمعته من السيخ رحمه الله، في قصة هذا الذكر، وأما استعمال الفقراء، لهذا الذكر عند قدومهم على العمارة، وعند خروجهم منها فهو مستحسن، وقد بلغني عن الشيخ رحمه الله، فيه معنى آخر، وهو ما حدثنيه الشيخ

---

(1) هو لبيد بن ربيع اصله من بني عامر، الشاعر المخضرم المشهور، وهو من اصحاب المعلقات توفي حوالي 611 م.

(2) من الكامل

(3) [وقوله] س د م [قولهم]

(4) ط .د[فهال]س[فهل] م [فهاج]

الفضل أبو الأعلام يامين التقى الهزالي التركوني[1] يقول:

سمعت الشيخ أبا محمد صالح يقول ببلد شاكر[2] في الموسم- وقد سئل عن إجهار الفقراء بالذكر، عند دخولهم العمارة، وتركهم له في الفلاة- (فقال إن الشياطين ملازمة للعمارة طمعا في أهواء الناس دون الفلاة)[3] فإذا قدموا على موضع جهروا بالذكر لتفر الشياطين امامهم، فيجد أهل ذلك البلد بركتهم، فإن الشياطين تفر حيث يجهر بالذكر وكذلك عند خروجهم، فهذا مقصد جميل، وعقد جليل، منسوب إليه، وهو في الشريعة جائز وماجور عليه، وقد انكر بعض المتعسفين على الفقراء إجهارهم بالذكر وتعبدهم، وزعم أن ليس في الشريعة دليل يعضدهم ويرشدهم، فياله من جاهل غافل وياله من قول ذاهب آفل ولله در القائل:

حُجِبَتْ عَنْهُمْ السَّبِيلُ فَتَاهُوا حَكَمَ العَقْلُ فِيهِمْ بِالضَّلَالِ[4]

---

(1) لم اقف له على ترجمة، وعن شرح لفظ الهزالي من قبيلة هوزالة المعروفة اليوم بإداوزال بقيادة اركانة بسوس. انظر روضة الأنس، إحالة 49 ص 99..

(2) هو رباط شاكر المشهور اليوم «بسيدي شيكر» يقع على واد تانسيفت، بين سيدي المختار جنوبا ومدينة اليوسفية شمالا، قال الاستاذ احمد التوفيق: «ويقال إنه ينسب لشاكر، من اصحاب فاتح المغرب-عقبة بن نافع. الذي تركه هناك» ثم اشار إلى مختلف الآراء الواردة، في موضوع تاسيس هذا الرباط، مذكرا باهميته الدينية فقال: «ومحله اليوم قرية تسمى سيدي شيكر بجانب المسجد العتيق، المعروف بالرباط، حيث كان اجتماع صالحي المغرب ولاسيما في شهر رمضان من اجل ختم القرآن، حيث كانت منابر الوعظ من اجل نشر الإسلام، وتثبته في اوساط المناطق السهلية التي كانت تحتلها قبائل برغواطة التي وردت الاخبار بانها كانت تتبع نحلة مخالفة لشعائر الإسلام لمدة تزيد عن ثلاثة قرون سابقة عن الموحدين».

«هذا الرباط الذي عرف ازدهاره كمركز للجهاد والتربية الإسلامية والارتباط القلبي قرونا عديدة مابين منتصف القرن الرابع الهجري ومنتصف القرن الثامن الهجري على الأقل» راجع:

– احمد التوفيق: إحالة رقم 34 من تحقيق التشوف لابن الزيات،ص:51.

– من رباط شاكر إلى رباط اسفي، «ضمن: ابو محمد صالح ، المناقب والتاريخ» ص: 47. وفيه ذكر العديد من المصادر التي تهتم بنفس الموضوع.

(3) سقط من م

(4)من الخفيف

فمن دلائل الشريعة على إباحة الإجهار، في جميع الأذكار، قوله تعالى﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[1] فنقول: الجهر لغة إظهار الشيء وإبرازه، ومنه قوله: أجهرت الماء إذا كشفت عنه ومعناه في القول رفع الصوت: قال الله تعالى ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾[3] وقال ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[4] فالجهر رفع الصوت بالكلام وهو مباح، على وجه الإطلاق، بالبراءة الأصلية وعند التعبير بالحكم، فهو في نظر الشرع على ثلاثة أضرب: مباح، ومحمود، ومذموم، فالمحمود الإجهار بكل قول مطلوب شرعا نظما كان أو نثرا من كل ما كان فيه معنى من معاني العبادة، والمذموم الإجهار بالسوء مطلقا، نظما كان أو نثرا، من غير المظلوم، والمباح هو الكلام الضروري، وغير الضروري مكروه، لنهيه ﷺ عن القيل والقال، **لأن الجارحة المستعملة فيه إنما خلقت لاستعمال ما كان فيه قربة للخالق، ثم حالات الجهر تتنوع ثلاثة أنواع، إفراط في الإجهار وهو مشروع في الأذان والتلبية.** والقول بالنصيحة، وقد قال ﷺ [**بأعلى صوته**][5] «**ويل للأعقاب من النار**»[6] حين رآهم يمسحون على الأعقاب، ومتوسط وهو مشروع في التدريس والمواعظ والخطب، ومالا يتوصل إلى إسماع الناس في التذكير إلا به، وفي الصحيح واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه**

(1) سورة النساء 148

(2) سورة الرعد 10

(3) سورة الملك 13

(4) سورة الحجرات 2

(5) سقط من س.

(6) راجع: ابن حجر: فتح الباري كتاب العلم باب من رفع صوته بالعلم، م س ج1، ص:143.

حتى كأنه منذر بجيش يقول صبحكم ومساكم»[1]، وهو مشروع في القراءة في صلاة الليل فرضا ونفلا، وفي بعض صلاة اليوم، كالصبح والجمعة والعيدين» أخرجه أبو داود في سننه عن معاوية بن صالح[2].

عن عبد الله بن أبي قيس[3] أنه قال: سألت عائشة عن وتر رسول الله ﷺ، كيف كانت قراءته فيه، أكان يسر القراءة فيه أم يجهر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، وربما أسر وربما جهر»[4]، وقال أبو هريرة، كانت قراءة الرسول الله ﷺ [بالليل] [5] ويرفع طورا ويخفض طورا[6] » وقال ابن عباس كانت قراءة رسول الله ﷺعلى قدر ما يسمعه من في البيت وهو الحجرة»[7] وخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تهجد رسول الله ﷺ في بيتي وسمع صوت عباد بن بشير الأنصاري يصلي في المسجد فقال يا عائشة

---

(1) راجع: ابن ماجة: سنن ابن ماجة المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، م س ج1 ص:17.

(2) هو معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد الحضرمي، احد الاعلام وقاضي الاندلس، روى عن إسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة، ويحيى بن سعد، فكحول الشامي، وروى عنه سفيان الثوري والليث بن سعد وآخرون.

وثقه العجلي والنسائي، كان قد انتقل من الشام إلى الاندلس، قال النبهاني: «فوصله سنة 123 هـ فاستوطن مدينة مالقة، وبنى بأسفل قصبتها مسجدا ثم انتقل إلى إشبيلية فسكنها. ثم ولاه الامير عبد الرحمن ابن معاوية القضاء قرطبة، وكان حلية اهل العلم، وكبار رواة الحديث» وتوفي سنة 188هـ 784م، راجع:

- العجلي: تاريخ الثقات: م س ج 2، ص432.
- الدار قطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 2، ص:244.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 16، ص:29.
- النبهاني: تاريخ قضاة الاندلس،ص:43.

(3) هو عبد الله بن ابي قيس، ابو الاسود النصري، وثقه العجلي والنسائي، راجع:

- العجلي: تاريخ الثقات: م س ج 2، ص273.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 2، ص:365.

(4) أبو داود: راجع: سنن ابي داود، كتاب الصلاة باب في وقت الوتر، م س ج 6 ص:66.

(5) سقط من د. م

(6) راجع: أبو داود: راجع سنن ابي داود، م س ج 2 ص:37.

(7) أبو داود: راجع سنن ابي داود، م س ج 2، ص: 37.

أصوت عباد هذا؟ قلت نعم، فقال اللهم [ارحم][1] عبادا [2]، وروى عن عباس بن الصامت[3] قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فإنه يطرد بقراءته مردة الشياطين، وفساق الجن وإن الملائكة الذين في الهواء. وسكان الدور يصلون بصلاته ويستمعون بقراءته»[4] إذا ثبت هذا فنقول: الإجهار بالقول ورفع الصوت به مشروع في العبادات كلها، إفراطه، ومتوسطه، وخفضه، وهي عبادة مستحبة في حق الخواص من الأولياء، والعلماء الأتقياء، لما فيه من دواعي الاقتداء، وسببه الباعث على الاهتداء، وقد علل في حق الضعفاء بما ينافيه، لأجل الرياء وعدم الإخلاص فيه، والخواص منزهون عن ذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[5] قد أجمع المفسرون على أن المراد بهذا الذكر ذكر اللسان والكاف متعلقة بمحذوف على أنها في موضع صفة لمصدر، تقديره أذكروا الله ذكرا كذكرهم آبائكم. والتشبيه في قوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ يستدعي الصوت والإجهار لأن ذكركم آبائكم حينئذ، إنما كان على وجه المجاهرة بالثناء عليهم بمكارم أفعالهم في مجالسهم[6] ولا يكون

(1) سقط من م.

(2) لم اقف له على ترجمة.

(3) هو عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري ابو الوليد، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله النبي علي بعض الصدقات، وارسله عمر إلى الشام ليعلم الناس القرآن، ويفقههم في الدين، كما تولى القضاء في فلسطين، وروى على انس بن مالك وعائشة وابي سعيد الخدري وغيرهم، وروى عنه عبيد الله بن عمر وعدد من التابعين، وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات وتوفي سنة 34هـ 654م، راجع:

– الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م، س ج 1، ص: 285.

– ابن الأثير، أسد الغابة. م س ج 1 ص: 285.

– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 5، 114.

(4) راجع: المنذري: الترغيب والترهيب، ج 1 ص: 431 – 432 – 433 – 434.

(5) سورة البقرة 200.

(6) راجع: الطبي، جامع البيان، م س ج 2 ص، 172.

ذلك إلا بالصوت، لأن الشدة صفة للقول، وشدة القول إعلانه وإجهاره وتقييده بأثر المناسك لا يمنع من الدوام على فعله، والأمر هنا بالإجهار في الذكر محمول إما على الوجوب أو الندب أو الإباحة، وحيثما كان فهو مشروع والقول به مقطوع، والأجر فيه مطموع، قال أبو بكر ابن العربي: أعمال الظاهر للتأسي والقدوة متضاعفة، كما أن أعمال السر للتحرز من القوادح فاضلة، إذا ثبت هذا فنقول: الفرق بين السر والجهر في العبادة، فرق مابين الفاضل والأفضل، لقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا [الصَّدَقَاتِ][1] فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2] وبما ورد في الحديث عقبة بن عامر الجهني[3] قال: قال رسول الله ﷺ «المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة»[4] وليس ذلك من باب الفرق بين المحمود والمكروه، كما ظنه بعض الجهلاء وانتمى إليه من اغتر به من الحمقاء والغفلاء، ثم عبادة السر وعبادة الجهر غير متباينتين ولا مختلفتين في حقيقة علم الله تعالى، لا يزيد إجهار المجهر [بيانا][5] في علمه، كما لا يعزف بأسرار المسر حقيق ما يتلجلج في وهمه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[6] ثم هاتان العبادتان، كلاهما منوط بسوط الوعيد، ومحتوم على القهر بخوف التهديد، لا يقع الأمن لمن تعبد سرا، كما لا يسلب الخوف عمن تعبد جهرا، وكل علة فساد

(1) ط [الصدقت] س د م [الصدقات]

(2) سورة البقرة 271

(3) هو عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني الصحابي المشهور، روى عن النبي ﷺ كثيرا، وروى عنه جماعة من التابعين مثل ابن عباس وأبي أمامة وغيرهم، وهو أحد من جمع القرآن، وكان قارئا فقيها عالما بالفرائض شاعرا فصيح اللسان، قال ابن الأثير: «شهد فتوح الشام، مات في خلافة معاوية». راجع:
- ابن الأثير: أسد الغابة، م س، 3 ص: 550.
- ابن حجر: الإصابة، م س ج 2، ص: 489.

(4) راجع: أبو داود: سنن أبي داود كتاب الصلاة باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل.

(5) سقط من س د م.

(6) سورة آل عمران 29.

يقاس بها على الجاهر في جهره، يحاسب به المسر في سره لا غير، وفي العقل والنقل، لأنها قد تكون علة للمسر في سره، وكل ما يحاسب به الجاهر في جهره، يحاسب به المسر في سره، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾[1] وقد أثنى الله تعالى على الجاهر والمسر وجعلها سواء في عظيم الأجر قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

فكل عبد صادق في فعله، مخلص في قوله مؤيد في صدقه، فالإسرار والإجهار قد تساويا في حقه، قال الفقيه أبو بكر بن العربي رحمه الله: لايصلح الإخفاء إلا لمن يصلح له الإجهار، لما في الإخفاء أيضا من الآفات المهلكة، كالعجب والدعاوي في النفس بالإصابة والاستحلال للعمل بذلك وقد تبين للناظر المتأمل في أدلة السمع، أن عبادة الجهر أرجح للتخلص في نظر الشرع وقد يستفاد نوع من الترجيح بقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[3] وجه الإفادة.

الترجيح الأول:

أن التخافت هو عدم الصوت يقال جفت الميت، إذا برد وانقطع صوته وقد يعبر به عن حديث الجماعة على وجه السر بينهم، فإن حملنا الآية في النهي عن التخافت على الحقيقة الأولى اللغوية فمعناه مطلقا- لعدم تبعيض السر ومقتضى الاهي- الا يدخل فرد من أفراد المنهي عنه

(1) سورة البقرة 284.
(2) سورة البقرة 274.
(3) سورة الإسراء 110.

في الوجود وإن حملناها على المعنى الثاني فهو الخفض الذي هو أحد أنواع الجهر وقد فسر به قوله تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾[1] قيل معناه يتحدثون على [وجه][2] السر عن غيرهم[3] ولما جاز في الجهر التنويع والتبغيض، جاز أن يقال أن الجهر المنهي عنه هو إفراط الجهر والتخافت هو حفضه على ما بيناه، فيكون المتوسط هو القدر المطلوب في قراءة الصلاة وقد ورد في الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يتخافتون بينهم﴾[4] قال نزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة، فكان إذا صلى باصحابة رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون ذلك سبوا[5] القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال تعالى لنبيه ﷺ، ولا تجهر ذلك الجهر، ففي هذا الخبر دليل على أن التخافت هو عدم الصوت ويؤيد أيضا قولنا: بأن توسط الجهر في الصلاة مراد ما خرجه أبو داود في سننه عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح[6] عن أبي قتادة «**أن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا هو بابي بكر يصلي يخفض من صوته ومر بعمر يصلي وهو رافع صوته، فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قال مررت بك يا أبا بكر وأنت تصلى رافعا صوتك فقال يا رسول الله أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان فقال ﷺ لأبي بكرا رفع من صوتك شيئا وقال لعمر اخفض من صوتك شيئا، وزاد في**

(1) سورة طه 103.

(2) سقط من ط.

(3) راجع: الطبري: جامع البيان، م س ج16، ص:155.

(4) سورة الإسراء 110.

(5) راجع: السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، م س ص: 182.

(6) هو عبد الله بن رباح الانصاري المدني، ابو خالد سكن البصرة، روى ابي بن كعب وعمار بن يسار وعمران بن حصن وأبي قتادة وروى عنه ثابت البناني، وعاصم الأحول وابو عمران الجوني وغيرهم، وثقة العجلي والنسائي، وتوفي سنة (90هـ 708م) راجع:

- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص: 255.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م س ج1، ص: 272.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج1، ص: 206.

تخريجه عن أبي هريرة وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال كلام طيب يجمع الله بعضه، قال: فقال ﷺ كلكم قد أصاب»[1]، فظاهر الحديث أنه ﷺ قد نقل أبا بكر عن قراءة السر إلى ماهو أفضل منها، وهو أحد أوصاف الجهر، ولم يخرج عمر عن كل الجهر، بل عن إفراطه، وحينئذ يكون استعمال الجهر مشروعا، في جميع العبادات مرجوحا، على الأسرار في جميع الطاعات في حق الأقوياء، وما ورد في الشريعة من الندب إلى الأسرار فيما سوى الفرائض، وما ورد فيه من الفضيلة إنما يعتبر ذلك في حق الضعفاء، لا لكونه أفضل من الجهر، قال أبو طالب: إنما تكون المخافتة أفضل من الجهر، إذا لم يكن للعبد نية في الجهر لذهوله عن همة المعاملة قال وفي الجهر سبع نيات، منها الترتيل المأمور به، وتحسين الصوت المندوب إليه بالقرآن، ومنها أن يسمع أذنيه ما يوقظ قلبه، ليتدبر الكلام ويفهم المعاني. ومنها طرد نومه برفع صوته ومنها أن يرجو يقظة نائم وتذكير غافل، ومنها أن يراه بطال عند سماعه لصوته فيشتاق إلى العبادة، فإذا كان العبد معتقدا لهذه النيات فجهره أفضل، وإنما تتفاضل الأعمال بكثرة النيات، وقد كان ﷺ يسمع جملة من أصحابه يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فصوب لهم ذلك وقد كان يستمع إليهم، وقد أمر بالجهر **فقال «إذا قام أحدكم فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إليه»**[2] ولا يعترض على هذا بقوله تعالى ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾[3] لأن التضرع هنا بمعنى الجهر ومعنى الآية ادعوا

---

(1) راجع: ابو داود: سنن ابي داود كتاب الصلاة بالقراءة في صلاة الليل، م س ج 2، ص: 37-38.

(2) نص هذا الحديث هو كالتالي: «إذا قام احدكم من الليل فليجهر بقراءته، فإنه يطرد بقراءته مردة الشياطين ونساق الجن، وإن الملائكة الذين في الهواء وسكان الدار يصلون بصلاته» راجع:
- الشوكاني: الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة، م س ص، 305.

(3) سورة الاعراف 55.

ربكم سرا أو جهرا قاله ابن عطية ولا بقوله تعالى ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[1] إذ ليس بين الآيات تعارض بل فيها تعاضد[2] قال أبو بكر بن العربي: «الكلام على قسمين، قسم في النفس وهو الحقيقة، وقسم باللسان، وهو ثلاثة أنواع: نوع منه خفض وهو ما يسمع الإنسان به نفسه ونوع يسمع به غيره، ونوع عال وهو الجهر»[3] فالثاني هو المذكور في الأعراف، ودون الجهر من القول، [هو] الذي يسمع المرء به نفسه، وهو الثاني المذكور في السورة بني إسرائيل وليس بينهما تعارض بل وردتا موردا واحدا.

الترجيح الثاني:

أن نقول: عبادة الجهر محتوية على عبادة السر وزيادة وهو التعبد برفع الصوت، والحلق من جملة الجوارح المطلوبة بالعبادة المنوطة مناط التكليف، فالتعبد بقراءة الجهر، تزيد على التعبد، بقراءة السر، بهذه الزيادة وما زاد على الشيء كان أرجح منه، والدليل عليه ما ورد في القراءة المصحف من الفضيلة، ولم تعلل تلك الفضيلة سوى بزيادة التعبد بالنظر حتى قال محمد بن كعب [القرظي][4] في ذلك «من قرأ المصحف فكأنما رأى النبي ﷺ ثم تلا قوله تعالى ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[5].

الترجيح الثالث:

ما في الجهر من معنى السخاء والجود والفتوة والإيثار والتفضيل

---

(1) سورة الاعراف 205.

(2) عن التفسير هذه الآية راجع المحرر الوجيز لابن عطية تفسير سورة الاعراف، م س ج 7، ص: 238.

(3) عن تفسير هذه الآية راجع احكام القرآن لابن العربي سورة الاعراف للمجلد الثاني ابتداء م س، من ص:238.

(4) س [الغرض] ط م د [القرظي].

(5) سورة الانعام 19.

ولا فضال وهذه كلها أوصاف محمودة طبعا، ومطلوبة شرعا، من مكارم الأخلاق، مطهرة للباطن من سمة أهل النفاق، ودليل ماذهبنا إليه قوله ﷺ «القارئ والمستمع شريكان في الأجر»[1] وليس هذا المعنى بموجود في قراءة السر، بل فيه معنى الشح، والإمساك والبخل والحسد، ولاسيما في حق من يضمر شيئا، من ذلك من الأوضاع [لحسده][2] أن ينتفع به أحد ممن قصد بسماعه الانتفاع، وهذا مذموم في الطبع، محظور في الشرع، «والراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وقد يترجح السر في حق الضعفاء حتى يكون في القوة كالمجاز ولكن متى جاءت الحقيقة وهي مرجوحة عادلته.

الترجيح الرابع:

العبادة متى تعدت كانت أفضل إجماعا فكل عبادة تعدى نفعها إلى أحد من المسلمين كانت أفضل إجماعا وأرجح من الموقوفة على صاحبها لقوله ﷺ «الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»[3] فالجهر يتعدى أجره، والسر معلوم قصره ومشهور حصره.

الترجيح الخامس

ما في الجهر من تنبيه الغافل، وتذكير الذاهل، وتحريص الجاهل، وتنشيط العاجز، وبيان ذلك أن الجاهر متى قال «اللهم صل على محمد» فكل من سمعه قال ﷺ فكأنه أيقظ غافلهم وحرض جاهلهم، وكذلك في جميع الأذكار، ثم له أجر كل من قال ذلك مضافا إلى أجره ولم

---

(1) في كنز العمال: لعلاء الدين، م س ج: 4 ص:28 نقرأ هذا الحديث بصيغة مشابهة: «العالم والمتعلم شريكان في الخير»

(2) س [الحسد] ط م د: [لحسده]

(3) راجع: ابن ماجة: سنن ابن ماجة كتاب الفتن باب الوقوف عند الشبهات، ج 2، ص:1319.
– مكرر: في اسنى المطالب: «الخلق عيال الله واحب الخلق إلى الله من احسن الى عياله» راجع:
– محمد بن السيد درويش اسنى: المطالب، المكتبة الادبية، حلب، ص: 105.

ينقص من أجورهم شيئا لقوله ﷺ «من دعا إلى هذا الأمر وسن سنة حسنة، كان له أجرها. وأجر من عمل بها، وذلك على عدد العاملين»[1] ـ الحديث »، وليس هذا بموجب في السر.

الترجيح السادس

شهادة الأحجار والأشجار، وجميع الجمادات والحيوانات، والملائكة والجن، وكل من سمعه، بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، على ماأورده [النفزي][2] في مسنده[3] من قوله ﷺ لأبي سعيد الخدري «[إني][4] أراك تحب الغنم، والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لايسمع مدى صوت المؤذن، جن ولا إنس، ولاشيء إلا شهد له يوم القيامة»[5] وفي حديث عمرو بن شعيب[6] عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ما أهل مهل،

---

(1) عند أبي داود نقرأ حديثا مشابها لهذا الحديث «من دعا إلى هدى، كان له من الاجر، مثل اجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك، من آثامهم شيئا» راجع:
– أبو داود: سنن أبي داود، كتاب السنة باب لزوم السنة، م س ج 4،ص: 201.

(2) هو ابو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن فتوح النفزي: من اهل شاطبة، روى عن أبيه وابي عمر قال ابن الأبار لقيته بإشبيلية سنة 618 ثم انصرف إلى بلاده فلزم داره واعتزل الناس، واقبل على العبادة والزهد، وكان حافظا للفقه والحديث مشاركا «وقال الغبريني» كان من اهل الفضل والعلم والدين، عالما بالفقه وأصوله وعلم العربية والنحو واللغة والأدب، وكان له تقدم في علم المنطق له «تقيد» على «كتاب المفصل» وله «اختصار» حلية الأولياء لأبي النعيم «مات ببجاية سنة 642 هـ 1244م. راجع:
– الغبريني: عنوان الدراية، م س ص:193.

(3) لم يشر الغبريني إلى هذا المسند في الترجمة التي خصصها للنفزي. كما لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون.

(4) سقط من ط.

(5) راجع: فتح الباري كتاب الآداب باب رفع الصوت بالنداء، م س ص: 87 ـ 88

(6) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص يكنى ابا ابراهيم، ويقال ابا عبد الله المدني روى عن أبيه جل روايته، وعن مجاهد وعطاء والزهري وروى عنه عمرو بن دينارو ويحيى بن سعيد وقتاده ومكحول، وثقه العجلي والنسائي، وضعفه ابن حبان، راجع:
– العجلي: تاريخ الثقات، م س ص: 365.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 8، ص: 48.

ولا كبر مكبر على شرف من الأشراف، إلا أهل وكبر بتهليله وبتكبيره، مابين يديه حتى ينقطع التراب »[1] قال بعض عباد البصريين: لقد كنت امشي بالليل، أستمع المجتهدين كأنها أصوات الميازيب. فكان ذلك [أنسا وحثا][2] على الصلاة والقراءة حتى جاء البغداديون بدقائق الرياء، فسكت المتهجدون. فلم يزل ينقص الأمر بذلك حتى ذهب وانقطع وترك إلى هلم جراء فهذه جملة فوائد حوى عليها المجهر، وقصر عن إدراكها المسر، عرفها من حفظها، وجهلها من رفضها، فيها دلالة على الترجيح، وعلامة للفوز والتنجيح، قد وفت بالمقصود والله تعالى هو المحمود.

تَـزَوَّدْتُ مِنْ نُعْمَانَ عُودَ أَرَاكَـة   لِهِنْدِ وَلَكِنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْد[3]

تتميم لهذا الفصل

قال ابن عباس: لم يفترض الله تعالى على عباده فرضا، إلا جعل له حدا معلوما يعذر أهله في حال العذر، إلا الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحد في تركه إلا مغلوبا على عقله، وأوجبه على اختلاف الأحوال[4] فقال تعالى: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾[5] قال ابن عطية ذهب جمهور العلماء إلى أن هذا الذكر المأمور به إنما هو أثر صلاة الخوف على حدما أمروا عند قضاء المناسك بذكر الله فهو ذكر باللسان[6] وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[7] معناه بالليل والنهار، بالسر والعلانية في البر

(1) المنذري: الترغيب والترهيب، م س ج

(2) س[انس وحث] ط م د [انسا وحثا].

(3) من الطويل.

(4) راجع: الخازن: تفسير الخازن، م س ج 5 ص: 265.

(5) سورة النساء :103.

(6) راجع: ابن عطية: المحرر الوجيز تفسير سورة النساء، م س ج، 4 ص:243.

(7) سورة الاحزاب41.

والبحر، والسفر والحضر، والصحة والمرض»[1] قال قتادة: قد افترض الله تعالى ذكره عند أشغل ما يكون الناس وأذهل، وهو عند ضرب الرقاب في الحرب، فقال تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2] وقال ﷺ «أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون»[3] أسنده الثعالبي عن أبي سعيد، فظاهر الحديث أنه ذكر الجاهر لأن المسر لا يعلم أنه ذاكر أو ذاهل حتى يقال فيه مجنون، والعادة تشهد أن الجاهر بالذكر عند الناس غالبا مجنون. فهذا القدر[كاف][4] لكل قلب صاف، والله تعالى من أمراض الجهل شاف ومعاف، بمنه وفضله، وأنشدوا:

فَكَمْ قَدْ سَمِعْتَ إِثْرَهُمْ مِنْ نَصِيحَةٍ ... وَقَدْ يَسْتَفِيدُ البَغْضَةَ المُتَنَصِّحُ[5]

وأما اجتماعهم على الإجهار بالذكر، فهو جائز، عقلا وشرعا، لأن ماهية الاجتماع على الإجهار، مركبة من أفراد، جائزة والجواز في أفراد المركب نص في جواز الماهية المركبة، لاستحالة وجود المنع، في المركب مع وجود الجواز في أفراده، فثبت بهذا جواز الاجتماع، وعدم الامتناع، ولله در القائل:

لاَشَيْءَ آكَدُ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ ... مِنْ ذِكْرِ رَبِّكَ فِي النَّعْمَاءِ وَالْبُوسِ[6]
فَاجْعَلْ شِعَارَكَ تَقْوَى اللَّهِ مُبْتَدِئًا ... وَاخْتِمْ بِهِ كُلَّ مَأْكُولٍ وَمَلْبُوسِ
وَمَنْ يَكُنْ لِنَفِيسِ الدُّرِّ مُكْتَنِزًا ... فَاكْنِزْ نَفَائِسَ سُبُّوحٍ وَقُدُّوسِ
فَلَيْسَ فِي تَرْكِ ذِكْرِ اللَّهِ مُتَّسَعٌ ... إِلاَّ لِقَلْبٍ عَنِ التَّوْفِيقِ مَعْكُوسِ
وَفِي بِشَارَةِ يَحْيَى عِنْدَ وَالِدِهِ ... أَمْرٌ بِذِكْرَيْنِ مَعْقُولٍ وَمَحْسُوسِ

(1) راجع: الخازن: تفسير سورة الأحزاب، م س ج 5، ص: 265.
(2) سورة الأحزاب 45
(3) راجع: ابن كثير: تفسير ابن كثير، م س ج،5، ص: 474.
(4) ط س د. [كاف] م [كان].
(5) من الطويل.
(6) من البسيط.

لَمْ يَسْمَعِ الخَلْقُ حَرْفًا فِي تِلاَوَتِه مِنْهُ وَكَانَ فَصِيحًا غَيْرَ مَخْرُوسِ[1]
قَدْ يَصْمِتُ الجَهْرُ وَالأَسْرَارُ نَاطِقَةٌ وَلِلْخَوَاطِرِ ذِكْرٌ غَيْرَ مَدْرُوسِ
وَفِي المَجَاهِرِ تَنْبِيهٌ لِمُسْتَمِعٍ يَرَى الصَّوَابَ بِعَقْلٍ غَيْرَ مَطْمُوسِ
يُكَلِّفُ الذِّكْرَ وَالأَرْوَاحُ رَائِحَةٌ وَالمَوْتُ يَجْمَعُ بَيْنَ البِيضِ وَالرُّوسِ
فَافْهَمْ بِذَا أَنَّ ذِكْرَ اللهِ مُفْتَرَضٌ فَاعْكُفْ بِرَوْضٍ بِزَهْرِ الذِّكْرِ مَغْرُوسِ
وَالذِّكْرُ يَسْلُبُهُ مَنْ لاَيَلِيقُ بِهِ لاَ يُحْرَمُ الرِّبْحَ إلا كُلُّ مَنْحُوسِ
فَرُبَّ حَيٍّ وَبَطْنُ الأَرْضِ تَحْجِبُهُ وَرُبَّ مَيْتٍ عَلَيْهَا غَيْرِ مَرْمُوسِ[2]

السيرة الثانية من سيره رحمه الله:

وهي إجهارهم بالذكر، عند خروجهم في الأسفار عند قدومهم عند قضاء الأوطار، وذلك جائز شرعا، وليس فيه ما يقتضي كرها ولا منعا.

ودليله من السنة ماورد في الصحيح واللفظ لمسلم عن نافع[3] **عن عبد الله ابن عمر أنه قال: «كان رسول الله ﷺ، إذا قفل من الجيش أو السرية، أو الحج أو العمرة، إذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا، ثم قال لاإله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا**

(1) مكرور: مخروس اي منعقد اللسان عن الكلام ترتيب القاموس م س ج 2 ص: 36.

(2) المر موس: من الرمس: وهو القبر مستويا مع الارض والجمع رموس وار ماس. المعجم الوسيط م س ج 1 ص: 373.

(3) هو نافع، ابو عبد الله المدني مولى ابن عمر، روى عن ابن عمر وابي هريرة وابي سعد الخدري وعائشة وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم، اولاده ابو عمر، وعبد الله، وعبد الله بن دينار، وصالح بن كيسان وغيرهم وكان كثيرا الحديث ثقة، وذكر ابن حجر قول البخاري «اصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر».

وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل (116هـ 734م) او (117هـ 735م) او 120هـ 737م، راجع:

- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص: 447.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 10، ص: 412.
- السيوطي: طبقات الحفاظ، م س ص: 47.

حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[1]، وماخرحه أيضا عن أنس بن مالك أنه «قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ أنا وأبو طلحة[2] وصفية[3] رديفته على ناقته حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: آئبون تائبون عابدون، لربنا حامدون، فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة»[4] فهذا دليل جواز ذلك عند خروجهم ماورد في الصحيح واللفظ لمسلم عن علي الأزدي[5] أن ابن عمر أعلمه «أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا لإلى ربنا لمنقلبون»[6] اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال. وإذا رجع قالهن وزاد فيهن آئبون عابدون لربنا حامدون»[7] فهذه أدلة واضحة على جواز ما استعملوه في سيرهم من التلبس بذكر الله تعالى.

---

(1) ابن حجر: راجع: فتح الباري كتاب العمرة باب ما يقول إذا رجع من الحج والعمرة او الغزو، ج3، ص: 619-618

(2) هو زيد بن سهل، ابو طلحة الانصاري كان من فضلاء الصحابة، توفي سنة (51هـ 671 م) راجع:
- ابن الاثير: اسد الغابة، م س ج 2 ، ص: 127.

(3) مكرر: لعلها صفية خادم الرسول ﷺ، راجع:
- ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج 6 ص:

(4) راجع: ابن حجر: فتح الباري، نفس المصدر، ص: 619.

(5) هو علي بن عبد الله الازدي ابو عبد الله بن ابي الوليد، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وروى عنه مجاهد بن جبر وابن الزبير وقتادة وآخرون، قال العجلي: مكي تابعي ثقة، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص: 351.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، ج 2، م س، ص: 172.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 7، ص: 358.

(6) سورة الزخرف 13و14.

(7) راجع: الإمام احمد بن حنبل: مسند احمد بن حنبل، م س ج 2، ص:144.

عند خروجهم وقدومهم من سفرهم وفيها دلالة على جواز الذكر راكبا وماشيا وكل هذه الأفعال جائزة متى استعملت بالصدق والتحقيق وبالله التوفيق.

ولقد حدثني من استوثقت بحديثه، لصدقه وأمانته أنه قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن ياسين[1] الرجراجي المشهور ببلد [كوابن][2] من ساحل رجراجة وفرهم الله تعالى لطاعته. وقد رأى جماعة من [الفقراء][3] يذكرون الله تعالى وهم سائرون في طريقهم فوقف ينظر إليهم وهو يقول طوبى لهم أن صدقوا، الويل لهم إن كذبوا، فما زال يردد ذلك حتى غبوا عنه والله در القائل:

الذِّكْرُ أَفْضَلُ بِرٍّ أَنْتَ كَاسِبُهُ ... وَأَسْبَقُ النَّاسِ يَوْمَ الحَشْرِ صَاحِبُهُ[5]

فَاسْتَعْمِلِ القَلْبَ فِيهِ وَاللِّسَانَ مَعًا ... ذِكْرِ اللِّسَانِ حُضُورُ القَلْبِ وَاجِبُه

مَنْ شَاهَدَ الحَقَّ لا يَنْفَكُّ يَذْكُرُهُ ... شَتَّانَ شَاهِدُ مَحْبُوبٍ وَغَائِبُهُ

فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ الذِّكْرِ مُعْتَصِمًا ... فَإِنَّهُ السَّبَبُ المَرْعِيُّ جَانِبُهُ

لاَ الصَّفُّ فِي الزَّحْفِ يَوْمَ الحَشْرِ يَعْدِلُهُ ... وَلَوْ مَضَتْ قُدُمًا فِيهِ كَتَائِبُهُ

وَلاَ القَنَاةُ إِذَا اهْتَزَّتْ مَعَاطِفُهَا ... وَلاَ الحُسَامُ إِذَا فُلَّتْ مَضَارِبُهُ

قَدْ قَالَ ذَاكَ مُعَاذٌ فِي رِوَايَتِهِ ... وَلَمْ يُعَارِضْهُ فِيهِ مَنْ يُخَاطِبُهُ

وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ تَزْكِيَةٌ ... لِمَا رَوَاهُ مُعَاذٌ وَهُوَ صَاحِبُهُ

تَعَاضَدَ النَّقْلُ حَتَّى لَيْسَ يُنْكِرُهُ ... عَلَيْهِ مَادَامَتِ الدُّنْيَا وَكَاتِبُهُ

فَمَنْ أَرَادَ طَرِيقًا لاَ يَضِلُّ بِهَا ... فَالذِّكْرُ أَفْضَلُ مَا تَهْوَى مَذَاهِبُهُ

---

(1) م [ابن ياسين] ط. س.د [ابن ياسين]

(2) سقط، من د

(3) س د م [الفقهاء] ط [الفقراء]

(4) من البسيط

السيرة الثالثة: ما سنه رحمه الله الفقراء اهتداء، وتمسكوا به [بعده][1] اقتداء، اجتماعهم على الذكر من بعد صلاة المغرب إلى وقت العشاء الآخرة وهي خمسة أذكار.

أول [ذكر][2] منها: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد**[3] **وهو على كل شيء قدير**»[4].

الثاني: اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله.

الثالث: أستغفر الله إن الله غفور رحيم.

الرابع: يا ألله يا رحمن يا رحيم.

الخامس: الحمد لله رب العالمين[5]

هذه الأذكار الخمسة تكرر خمسين مرة لكل ذكر منها على ما أدركت عليه فقراء الرباط، وصفة استعمالهم لها أنهم ينقسمون جمعين فيذكر الجمع الأول ويرد عليهم الجمع الثاني، والثلاث الأول تقال مفردة، والذكران الآخران يقالان مكررين، في قول كل جمع وهذا عندهم معتاد، حتى أن فضلاءهم إذا لم يجد أحدهم، من يذكر معه ذكر وحده هذا العدد المذكور، ولا يتركه، وبه يعرفون وقت ما بين العشاءين ولاسيما في زمن الغيم، وهي أجل وظائفهم، وأما وظيفة الذكر قبل صلاة الصبح، فإنها أيضا من سيرته رحمه الله، وهي ثمانية أذكار. أول ذكر منها: «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله الثاني منها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لنا، الثالث سبحان**

---

(1) سقط من م.

(2) د [ما ذكر] ط س م [ذكر].

(3) التغابن 64.

(4) الملك 67.

(5) الفاتحة 2.

الدائم القائم، سبحان الباعث الوارث، الرابع ربنا اغفر لنا وتب علينا، الخامس اللهم صل على محمد وعلى آله، السادس أستغفر الله إن الله غفور رحيم، السابع يا الله يا رحمن يا رحيم، الثامن الحمد لله رب العالمين»، يفعلون في هذه الأذكار كما يفعلون في الأذكار التي بين العشاءين، من العدد والصفة، ولقد أدركت كبار الفقراء من شدة التحفظ والمواظبة على هذه الأذكار أنهم متى ذكروا بعضها وانفجر الفجر، لا يتركونها حتى يتموا عددها. وحينئذ ينهضون لصلاة الصبح فهذه صفة وظائف الأذكار التي وظفها رحمه الله للفقراء وليس في تركها متى صح الاعتقاد والاقتداء وسيلة، بل هي في حقهم فضيلة ومنقبة جليلة وسيرة جميلة، وأما جوازها في نظر الشرع فلها أدلة واضحة، وأفعال راجحة، فمن أدلة اجتماعهم على الذكر، ورد بعضهم على بعض ماورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[1] قيل معناه سبحي معه متى سبح، قاله أبو ميسرة[8] ، وذكر أنه بلسان الحبشة، وقال قتادة وأبو عبيد[2] رجعي معه بالتسبيح[3] وقال العتبي[4] إذ أبى النهار كله معه بالتسبيح[5] وقال وهب بن منبه كان داود عليه السلام إذا مر على الجبال مسبحا جاوبته، وكذلك الجن والإنس، وقيل كان عليه السلام

(1) سبا 10.

(2) هو ابو عبيد القاسم بن سلام، البغدادي، اخذ عن جماعة بن الاعلام مثل الاصمعي، وابن الاعرابي والفراء الكسائي، قال عنه السيوطي: «كان ابو عبيد إمام عصره في كل فن وعلم، وولي القضاء بطرسوس...وروى الناس من كتبه نيفا وعشرين كتابا» منها الغريب المصنف، غريب الحديث، المقصور والممدود الامثال السائرة، وتوفي بمكة 223 هـ وقيل سنة 224هـ 838م راجع:
- ابن النديم: الفهرست، م س ص: 106.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م س ج 12، ص: 403.
- ابن سعد : طبقات ابن سعد، م س ج 7 ص: 355.
- ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 10 ص: 291.
- السيوطي: بغية الوعاة، م س ج 2، ص: 253.

(3) راجع: أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تفسير سورة سبا، م س ج 7، ص: 262.

(4) هو عند الخازن القتيبي. ج 5، ص: 283.

(5) سقط من ط. س د.

إذا تخلل الجبال فسبح جاوبته الجبال بالتسبيح، بنحو ما يسبح[1]، وقد ورد أيضا أن الاجتماع والمجاوبة بالذكر من أفعال الملائكة، على ماذكره أحمد بن محمد الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى، حكاية عن موسى عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[2]-إلى آخر الآية) قال: «قال وهب ابن منبه لما سأل موسى عليه السلام الرؤية من ربه تعالى- وهو على جبل الطور- أرسل الله على الجبل الرعد والصواعق والبرق والظلمة فأحاطت بالجبل وأمر ملائكة السموات السبع أن يعرضوا عليه قال فمرت به ملائكة سماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة ثم مرت به ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور، لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع، بالتسبيح والتقديس، كلجب الجيش العظيم، وكلهب النار، ثم مرت به ملائكة السماء الرابعة ألوانهم كلهب النار وسائر صورهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء، من أصوات الذين قبلهم، ثم مرت به ملائكة السماء الخامسة سبعة ألوان، فلم يستطع موسى عليه السلام أن ينظر إليهم، ولم يسمع مثل أصواتهم، فامتلأ قلبه رعبا ثم به مرت به ملائكة السماء السادسة، وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوءً من الشمس الضاحية، ولباسهم كلهب النار فإذا سبحوا وقدسوا أجابهم من كان قبلهم من ملائكة السموات، كلهم يقولون بشدة أصواتهم قدوس قدوس، رب الملائكة والروح، رب العزة أبدا لا يموت، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى عليه السلام رفع صوته يسبح معهم، وهو يبكي فقال له جبريل عليه السلام، قد أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك، وينخلع قلبك فاصبر لما سألت

(1) عن هذا الشرح المقدم في النص، راجع القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، سورة سبا، م س ج 14، ص: 265، وكذلك الخازن، م س ج 5 ص: 283.

(2) سورة الأعراف 143.

فأمر الله تعالى أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة.

فلما بدا نور العرش انفرج من عظمة الرب، ورفعت الملائكة أصواتها جميعا فارتج الجبل فاندك وخر موسى صعقا »[1].

وذكر أيضا عن وهب ابن منبه أنه قال: حول العرش سبعون ألف ملك من الملائكة يدورون حول العرش يطوفون به، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء[2] فإذا استقبل بعضهم بعضا، هلل هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم، قد وضعوها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير هؤلاء وتهليلهم، رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك وبحمدك ما أعظمك، وأجلك أنت الله لا إله غيرك أنت الأكبر. الخلق كلهم راجعون إليك. (وذكر ابن عطية في تفسير سورة الأنعام عن ابن عباس أنه قال نزلت سورة الأنعام وحولها سبعون ألف ملك [يجازون[3] بالتسبيح][4] والجأر رفع الصوت دائما عند الطرب قاله ابن قتيبة[5] والإجهار تقدم، فهذا دليل على أن عبادة الملائكة في السموات السبع الإجهار، بالذكر ورفع الصوت به، وفيه دلالة على جواز الاجتماع، عليه ورد بعضهم علي بعض وفيه دلالة على أن هذا فعلهم دائما لقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ

---

(1) راجع النيسابوري: قصص الأنبياء المسمى عرائش المجالس الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الجبل لميقات ربه وصفة إيتاء الله تعالى له وإنزاله التوراة وما يتعلق بذلك، م س ص: 177.

(2) سقط من ط.

(3) م [يجارون] ط س د [يجزون] وفي المحرر الوجيز يجازون.

(4) راجع: ابن عطية، المحرر الوجيز مصدر سابق، سورة الأنعام، ج 6 ، ص:1.

(5) لعله عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ابو محمد، ولد ببغداد سنة 213 هـ 828 م ، ثم سكن الكوفة وتولى قضاء الدينور، وهو من ائمة الأدب عالم باللغة وغريب القرآن ومعانيه، وتوفي ببغداد سنة 276 هـ 889 م، مخلفا العديد من الكتب منها: ادب الكاتب ، عيون الشعر والشعراء، الإمامة والسياسة، وجلها تم طبعه، راجع:

– ابن النديم: الفهرست، م س ص: 115.

– ابن خلكان: وفيات الاعيان، م س ج 3، ص: 42.

– الزر كلي: الاعلام، م س ج 4، ص:280.

وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[1] وما ورد في السنة أيضا مما يعضد هذه العبادة العظيمة وهو رفع الصوت بالأذكار، وهو ماورد في الصحيح واللفظ لمسلم عن عمرو بن دينار[2] أن أبا معبد[3] أخبره أن رفع الصوت بالذكر، حين ينصرف الناس من المكتوبة، كان على عهد رسول الله ﷺ، قال ابن عباس كنت أعلم، إذا انصرفوا بذلك[4]، وفي صحيحه أيضا عن أبي الزبير[5] أنه قال: كان ابن الزبير يقول دبر كل صلاة حين يسلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة والفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وقال كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة»[6] وخرج أيضا في صحيحه «عن هشام [بن عروة][7] عن ابن الزبير مولى لهم أن عبد الله بن الزبير كان يهلل بهن دبر كل صلاة»[8] والإهلال لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته قاله أبو

---

(1) سورة الانبياء 20.

(2) هو عمرو بن دينار المكي، ابو محمد الاشرم، احد الاعلام روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابي هريرة، وروى عنه قتادة وجعفر الصادق ومالك وشعبة، وغيرهم وثقة النسائي، كما ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة 125 هـ 742 م، وقيل 126 هـ 747 م.
- الدارقطني: ذكر أسماء التابعين، م س ج 1 ص:262.
- ابن قيسراني: الجمع بين جال الصحيحين، م س ج 1 ص: 366.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 8، ص: 28.

(3) لعله أبو معبد، قال ابن الاثير «إنه سمع حديثه من ام معبد في صفة النبي ﷺ» وتوفي ابو معبد في حياة الرسول، راجع:
- ابن الاثير: أسد الغابة، م س ج 5، ص: 292.

(4) مسلم: راجع صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الذكر بعد الصلاة، م س ج 5، ص:84.

(5) ورده ذكره في رواية مسلم، نفسه المصدر، ص: 92.

(6) مسلم: راجع نفس المصدر، ص: 92.

(7) سقط من س.

(8) مسلم: راجع نفس المصدر، ص: 92.

بكر[1] محمد بن القاسم بن بشار الأنباري[2] في كتابه المسمى بالزاهر[3] قال ابن عبدوس[4] تقول العرب قد أهل الرجل واستهل إذا رفع صوته قال الشاعر:

كَمْ فيهِمْ مَنْ فارِسٍ يَوْمَ الْوَغَى ثَقِف اليَدَيْنِ يُهِلُّ بِالإِقْصَاءِ[5]

يريد كلما قتل قتيلا رفع صوته يكبر ويرتجز فهذا قدر يستغني به عن الإكثار، قد حوى فوائد كما حوته الأمهات الكبار، فالله تعالى يؤيدنا في ذلك بالصدق والإخلاص، ويجعله ذخيرة مدخرة ليوم القصاص، وسببا من أسباب النجاة والخلاص، بمنه وكرمه وأنشدوا:

مَنْ كَانَ عَادَتُهُ تَضْعِيفَ طَاعَتِهِ بِغَيْرِ عَدٍّ فَذِكْرُ اللهِ يَكْفِيهِ[6]
فِي العِتْقِ فَضْلٌ وَلَوْ اعتقت مُحْتَسِبًا ثَمَانِيًا نَسَقًا مِنْ بَيْتِ تَنْوِيهِ
أَسْوَامُهَا كَالذِّي صَحَّ الحَدِيثُ بِهِ سِتٌّ وَسِتُّونَ ضِعْفًا دُونَ تَنْبِيهِ
لَمْ تَبْلُغِ الذِّكْر فِي وِرْدٍ وَلَا صَدَرْ فَاعْلَمْ مَزِيَّةَ هَذَا وَاجْتَهِدْ فِيهِ

(1) سقط من س.

(2) هو محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن الانباري ابو بكر ولد ببغداد سنة 271 هـ 884 م، تادب علي يد ابيه، وعلى يد جماعة من العلماء، وروى عنه علماء من امثال: ابي علي الغالي، والدارقطني والحسن بن حالويه قال ابن كثير: «كان من بحور العلم في اللغة والعربية والتفسير والحديث» وقال ابن خلكان: «وكان صدوقا ثقة دينا خيرا من أهل السنة» وله كتب كثير منها: غريب الحديث - الاضداد في النحو - ادب الكاتب - الواضح في النحو - شرح شعر النابغة - المقصور والممدود - وغيرها... وتوفي ببغداد سنة 328 هـ 939 م: راجع:
- ابن النديم: الفهرست، م س ص: 112.
- الخطيب: البغدادي: تاريخ بغداد، م س ج 3، ص: 181.
- ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 3، ص:181.
- ابن خلعان: وفيات الأعيان، م س ج 4، ص: 341.

(3) ورد ذكره عند حاجي خليفة في كشف الظنون ان الإمام ابا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي قد قام بشرحه، راجع كشف الظنون، مرجع سابق، ج 2، ص: 948.

(4) لعله هو ابو احمد محمد بن عبدوس بن كامل السلمي البغدادي السراج، كان يوصف بحسن المعرفة وحسن الحفظ وتوفي سنة، 293 هـ 905 م، راجع:
- السيوطي: طبقات الحفاظ، م س ص: 301.

(5) من الكامل.

(6) من البسيط.

وَاحْضُرْ بِقَلْبِكَ فِي نُطْقِ اللِّسَانِ بِه فَأَفْضَلُ الذِّكْرِ ذِكْرٌ أَنْتَ تُخْفِيهِ
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الأَذْكَارَ مَنْزِلَةً لِعَارِفِيهِ يَقِيناً أَوْ مُحِبِّيهِ

السيرة الرابعة:

قراءة السبع بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر

وهي ماسنها رحمه الله للفقراء، وجمعها وظيفة من وظائفها وتمسكوا بها إلى هلم جرا ودليله من الشريعة قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[1] فالغادة بعد صلاة الصبح والعشي بعد صلاة العصر، وفيه دلالة على ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون الذكر، وأما من السنة فهي من تعليم الخضر عليه السلام، وقد علمها إبراهيم التيمي[2] على ما رواه سعيد بن سعيد[3] عن أبي ظبية كرز بن وبرة[4] عنه وذكر أن الخضر عليه السلام تعلمها من رسول الله ﷺ كما أعلمه الخضر، وذكر إبراهيم التيمي، انه رأى رسول الله ﷺ في المنام، وساله عن قول الخضر عليه السلام في ذلك، وصدقه وقال عليه السلام: «لا يداوم عليها السعيد ولا يتركها الشقي»[5] كل ذلك عن كرز بن وبرة

---

(1) سورة الكهف 28.

(2) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي كان زاهدا عابده وثقه رواد الحديث غير انه كان يرسل ويدلس وتوفي سنة 192هـ 867 م، راجع:
- ابو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 1، ص: 53.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 1، ص: 53.

(3) هو سعد بن سعد بن قيس بن عمروا الانصاري، روى عن انس، والسائب بن يزيد وعمر بن كثير، روى عنه اخوه يحيى والثوري وسليمان بن بلال وآخرون، وثقه العجلي، وقال النسائي ليس بالقوي، توفي سنة 141 هـ 758 م، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص: 179.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 3، ص: 470.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 1 ص: 470.

(4) هو كز بن وبرة ابو ظبية الحارثي كان عابدا زاهدا وهو من اتباع التابعين راجع:
- ابن حجر: الإصابة، م س ج 3، ص: 321.
- ابن الاثير: أسد الغابة، م س ج 4، ص: 170.

(5) لم اقف على مصدر هذا الحديث.

وهي عشرة أشياء، الفاتحة، والمعوذتان، وسورة الإخلاص، وسرة الكافرون، وآية الكرسي، والباقيات الصالحات، والصلاة على النبي عليه السلام، بالصلاة المروية، والاستغفار للوالدين والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات والعاشرة أن يقول اللهم افعل بي، وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة، ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل»[1] إنك غفور رحيم، يقرأ كل جزء من هذه الأجزاء العشرة سبع مرات كما روى وزاد شيخنا رحمه الله الشهادتين، وهو قولهم: أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان رحمه الله يكررها ألف مرة، ولقد رأيت في التسبيح، الذي كان يعد به ألف حبة، وكان الخادم يمسكها بين يديه فإذا ختم [الألف][2] جمعها وحطها بين يديه رحمه الله، فيعلم أنه ختم فيعوذ لهم والتعويذ مما زاده رحمه الله ليتخم به التشهد والبسملة، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار والحوقلة والتحميد، كل ذلك عشر مرات، وعلى ذلك أدركت أهل الرباط، فهذه جملة الوظائف المستعملة، في القراءة والأذكار، محررة جهد الاستطاعة والاقتدار، والله تعالى هو المثيب على ذلك، بحط الأوزار، وسدل الأستار، في هذه الدار، وفي تلك الدار، ويجعلها حجابا من النار بمنه ويمنه،

تَعَوَّذْتَ سَهْوًا وَادَّعَيْتَ مَحَبَّةً ... تَنَاقَضْتَ أَنَّ الحُبَّ يَتْبَعُهُ الذِّكْرُ[3]
فَلَوْ صَحَّتِ الدَّعْوَى لَدَيْكَ لَمَاوَنَى ... لِسَانٌ عَلَى الأَذْكَارِ مِنْكَ وَلاَ فِكْرُ
وَهَلْ أَنْتَ إِلاَّ مُحْسِنٌ أَوْ مُخْلِطٌ ... فَهَا أَنْتَ لاَ حَمْدٌ لَدَيْكَ وَلاَ شُكْرُ
تَطَايَرَتِ الأَسْرَارُ شَوْقًا وَهَيْبَةً ... وَسِرُّكَ لَمْ يَلْفَظْهُ مِنْ صَدْرِهِ وَكْرُ
تَعَلَّلْتَ بِالتَّسْوِيقِ حَتَّى أَلِفْتَهُ ... فَقُلْ لِي مَتَى تَصْحُو وَقَدْ غَلَبَ السُّكْرُ

(1) راجع: إحياء علوم الدين كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل إحياء الليل الباب الأول في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها: بيان إعداد الاوراد وترتيبها، م س ج، 1 ص: 336.

(2) سقط من د م.

(3) من الطويل.

السيرة الخامسة الدعاء بعد القراءة.

فهو مما سنه رحمه الله للفقراء، ويشوبه رحمه الله بالفاظ من التذكير والوعظ، وقد اعتاد ذلك بعض من انتسب إلى الهداية بعده، وصح في المتابعة والاقتداء قصده، وهو طريق مشروع محمود، والثواب فيه للمخلصين مضاعف موجود، فالدليل على جواز الإجهار بالدعاء ماخوذ من قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[1] فالتضرع صفة للداعي، في حالة دعائه ومعناه الخشوع والاستكانة، فالتذلل والتملق والتضرع الفاظ مترادفة، وهي من صفات الجهر لغة، يقال تضرعت لفلان إذا تذللت له في المسالة، قال أبو محمد عبد الحق بن عطية «التضرع لفظة تقترن بالطلب، لأن التضرع إنما يكون بإشارة جوارح وهيئات أعضاء تقترن بالطلب»[2] وقال أبو بكر بن العربي: (معناه الخشوع] [بالسكون القلبي][3] على المقصود من غير التفات إلى غيره وسكون الجوارح عن لقلب في غير المعقول قصدا للقربة في الوجهين)[4] والخفية هو خفض الصوت، وذلك أن الدعاء في أصل الوضع مدلوله الإجهار قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾[6] والأصل هو حمل الألفاظ على موضوعاتها [اللغوية][7] [الأصلية][8]، فاستعمال الدعاء في الإجهار حقيقة وفي الإخفاء مجاز، وكلاهما مشروع، والدليل الثاني في قوله تعالى ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

---

(1) سورة الأعراف 55.

(2) راجع: ابن عطية: المحرر الوجيز سورة الأعراف، م س ج 7، ص: 77.

(3) ط س [بسكون القلب] د م [بالسكون القلبي].

(4) ابن العربي: راجع أحكام القرآن، سورة الأعراف، م س ج 2، ص: 784.

(5) سورة الإسراء 52.

(6) سورة القمر 8.

(7) سقط من س.

(8) سقط من د م.

﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[1] جؤار البقر قال الشاعر يصف بقرة.

فَطَافَتْ ثَلاَثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَكَانَ نَكِيرًا أَنْ تَطُوفَ وَتَجْأَرَ[2]

قال أبو حاتم[3]: هو مدة الصوت والصياح، وقيل هو رفع الصوت بالخشوع والاستكانة على قدر لا يوصف بالاعتداء، ولا يخل بالمقصود في الدعاء، قال الشاعر:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ ... طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْراً جُؤارًا[4]

ما ورد في الصحيح واللفظ للبخاري «عن أبي وائل أنه قال: **«كان عبد الله بن عمر يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل يا أب عبد الرحمن، لوددت أنك تذكرنا كل يوم فقال له إنه ليمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»**[5] وقال الحسن: إن هذه النفوس ظلعة فاقرعوها بالمواعظ، وإلا نزعت بكم إلى شر غاية، وأما رفع أيديهم بالدعاء، فهو جائز وذلك أن الله تعالى ليس هو في جهة مخصوصة، ولا في وجهة منصوصة، مرتفعة كانت أو نجوية، أرضية أو سماوية، ولما كانت النفوس من طبعنا التشوق والاسترسال، قصرها الشارع على جهة في الدعاء [ليكون][6] كالصلاة ليكون ألزم لها في التكليف، وخصت لها جهة السماء باستقبالها، ورفع الأيدي لها إشارة، إلى تعظيم علو

(1) سورة النحل 53.

(2) الجؤار: رفع الصوت .تجار: جار الثور، يجار جؤارا اي صاح، وجار إلى الله تضرع بالدعاء، مختار الصحاح م س 90، من الطويل. وقد نسبه الطبري للاعشى" جامع البيان م س ج14 ص 82.

(3) لعله هو أبو حاتم بن جاق احد الذين سمع منهم الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم النسابوري الواعظ المفسر المتوفى 406 هـ 1063 م، راجع:

– السيوطي راجع طبقات المفسرين، م س ص: 36 الطبري الاعشى.

(4) نسبه الطبري للاعشى راجع جامع البيان، م س ج 14، ص:82.

(5) ورد هذا الحديث بصيغة مخالفة في فتح الباري كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، ج 11، ص: 228

(6) [زائد] في م.

المسافة المحسوسة، لتكتسب من ذلك علو المكانة المعقولة، ولانها محل الأزرق، ومستقر دار النجاة، فهذا التأويل وإن كان مرجوحا، فله وجه من السنة، وهو ما انبأنا به الفقيه الفاضل الخطيب أبو عبد الله محمد ابن صالح بن أحمد بن محمد بن عيسى الشاطبي رحمة الله عليه إجازة قال: حدثنا الشيخ الفاضل أبو الحسن على بن عبدالله بن يوسف بن قطران الأنصاري القرطبي قال: حدثنا أبو محمد عبدالحق بن بونة وأبو القاسم أحمد بن رشد القيسي[1] قراءة، عليهما قالا: حدثنا أبو بحر سفيان بن أبي العاصي الأسدي[2]، حدتنا أبو العباس العذري[3]، حدثنا أبو ذر عبد [الله][4] بن أحمد الهروي [أخبرنا][5] أبو منصور محمد ابن أحمد الأزدي املاء، حدثنا محمد بن سعيد البوسنجي[6]. حدثنا الحسن بن علي الحلواني[7] حدثنا يزيد ابن هارون[8] أخبرنا حميد[9] قال: قلت لأنس بن مالك: **أسألك هل كان رسول الله ﷺ يرفع**

---

(1) لم اقف له على ترجمة.

(2) لم أقف له على ترجمة.

(3) لم أقف له على ترجمة.

(4) لفظ الجلالة سقط من م د.

(5) ط [حدثنا] س د م [اخبرنا].

(6) لم اقف له على ترجمة.

(7) لعله هو الحسن بن علي بن محمد الهذلي، وقيل أبو علي الخلال الحلواني نزيل مكة روى عن ابي أسامة وعن يحيى بن آدم وعبد الوارث وغيرهم، وروى عنه البخاري ومسلم والترمذي وكان ثقة توفي 242 هـ 856 م، راجع:
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م س ج 1، ص: 81.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 5، ص:302.

(8) هو يزيد بن هارون ابن وادي ابو خالد الواسطي اصله من بخاري كان احد الاعلام المشاهر الثقات توفي سنة 206 هـ 821 م، راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات، م س ص، 481.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م س ج 2، ص:576.

(9) هو حميد بن تيرويه ابو عبيدة الطويل سمع من انس بن مالك، وجماعة من التابعين، وروى عنه مالك والثوري وابن عيينه، وهو تابعي بصري يعد من الثقات توفي سنة 143 هـ 760 م، راجع:
- ابن العماد: شذرات الذهب، م س ج 1، ص: 211.
- ابن قنفذ: كتاب الوفيات، م س، ص: 125.

يديه إذا دعا قال نعم، ثم قال « قيل له ذات يوم جمعة قحط المطر، وأجدبت الأرض، وهلك المال، فرفع يديه، حتى رأيت بياض إبطيه، وما رأى في السماء سحابة، فاستسقى فما قضينا الصلاة، حتى أن الشاب القريب الدار، ليهمه الرجوع إلى أهله، فدام جمعة، فلما قضينا الصلاة، حتى أن تليها، قالوا يا رسول الله تهدمت البيوت، واحتبس الركبان، وهلك المال، قال فتبسم رسول الله ﷺ، ثم رفع يديه نحو السماء وفرق بين يديه وقال: اللهم حوالينا، ولا علينا، قال فانكشف عن المدينة هذا حديث صحيح خرجه مسلم عن يحي بن يحيى ويحيى بن أيوب وقتيبة بن حجر كلهم عن إسماعيل بن جعفر عن شريك بن أبي نمير عن أنس»[1] وفي حديث مسلم عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ، تلا قول إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وقول عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3]

فرفع يديه وقال اللهم أمتي »[4] وبكى، وذكر بقية الحديث، وذكر أبو داود بن أحمد محمد الهروي، في دلائل المعجزة، حدثنا يرفعه إلى ابن عباس، أنه قال: قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شأن العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، في قيظ شديد، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش، حتى ظننا إن رقابنا ستقطع، حتى كان الرجل يخرج لحاجته، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع وأن

(1) مسلم: راجع صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء، م س ج: 6 ص: 191–192

(2) سورة إبراهيم 36.

(3) سورة المائدة 118.

(4) مسلم: راجع صحيح مسلم، الشفاعة باب دعاء النبي ﷺ لامته وبكائه شفقة عليهم، م ش ج 3، ص: 76–77.

الرجل لينحر رقبة بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل باقيه على كبده، فقال أبو بكر يا رسول الله، إن الله قد عودك من الدعاء خيرا، فادع لنا فقال، أتحب ذلك؟ قال نعم، فرفع ﷺ يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكب فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جازت العسكر»[1]، وورد عن الحسن رضي الله عنه، أن أنساً بن مالك قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من البيت إلى المسجد فإذا قوم جلوس رافعي أيديهم يعون الله تعالى، ثم قال: يا أنس أسرع بنا فلنشارك القوم قال: فاسرعت مع رسول الله ﷺ حتى جلسنا فرفعنا أيدينا وذكر أبو عبيدة في قوله ﷺ «وتقنع يديك بالدعاء»[2] قال معناه ترفعهما وذكر الواقد[3] عن محمد بن عبد الله بن اسلم الزهري[4] وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن[5] ومحمد بن يزيد[6] كلهم أن عبد

(1) في فتح الباري نقرأ احاديث بصيغ مخالفة لهذا الحديث لكنها متشابهة المعنى، راجع:
- ابن حجر: فتح الباري، الاستسقاء الابواب، 8-9-10 وما بعدها.

(2) حديث رفع اليد بالدعاء ورد عند الترمذي، كتاب الدعوات باب ما جاء في رفع الايدي عند الدع م س ج 5، ص: 432.

(3) هو ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، صاحب كتاب فتوح الشام ولد سنة 130هـ 747م، في المدينة وانتقل إلى بغداد سنة 186هـ حطني بمكانة رفيعة، لدي الخليفة هارون الرشيد، ووزيره خالد البربكي، وفي فترة المامون العباسي تقلد القضاء، ويعد الواقدي من مؤرخي المدن خاصة في الفترة الإسلامية، اقتبس كثيرا عن مؤرخي الغزوات مثل موسى بن عقبة ومعمر بن راشد، وخاصة عن ابن إسحاق، وقد اعد سزكين لائحة تضمنت اسماء الكتب التي الها الواقدي ومنها: كتاب المغازي- مولد النبي- كتاب الردة- كتاب فتوح الشام - كتاب فتوح الجزيرة وغيرها، وتوفي ببغداد سنة 207هـ 823م، راجع: - ابن النديم: الفهرست لابن النديم، م س ص:144.
- ابن سعيد: طبقات ابن سعد، م س ج 5 ص: 425. - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 3 ص: 2. - ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج ص: - الزركلي: الاعلام، م س ج 7 ص:200.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، م س ج 1، ص: 470.

(4) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية عند الحديث عن سرية كعب بن عمر إلى بني قطاعة من أرض الشام، راجع: - ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 1 ص: 470.

(5) عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن الزهري المخزومي ابو محمد المدني، روى عن عمه ابي بكر وإسماعيل ابن محمد وآخرون وروى عنه أبو سلمة الخزاعي وخالد بن مخلد، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وثقه الترمذي والعجلي، وقال النسائي ليس به باس. توفي سنة 170 هـ 786 م، بالمدينة راجع:
- العجلي: تاريخ الثقات م س د، ص: 252.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س د 5، ص: 171.

(6) لم اقف له على ترجمة.

الرحمن بن قرض[1] قال لما قرأ عمر بن الخطاب كتاب أبي عبيدة ومن معه من المسلمين كتب لهم جوابا ودفعه إلى [ووعدني][2] فقصدت حجرة عائشة لأسلم على قبر النبي ﷺ فإذا هي قاعدة عند القبر والحسن في حجر العباس، وهو يتلو سورة الأنعام، والحسين في حجر علي وهو يتلو [في][3] سورة هود، فسلمت على القبر وودعته، ثم قلت لعلي : ادع لي عند القبر المعظم فرفع يديه والحسن والحسين وعائشة، وكانوا عند بيت حفصة[4] وأم سلمة.

فقال اللهم إني أتوسل إليك بهذا النبي المجتبى إلا ما سهلت على ابن قرض طريقه وطويت له البعيد، وبأصحاب نبيك بعده، يا ذا الجلال والإكـرام، قال، فامنوا على دعائه، ثم قال لي سر يا بن قرض، فإن الله أكرم من أن يرد دعاء عمر وعلي والعباس والحسن والحسين وأزواج رسول الله ﷺ »[5] ومن سيرهم المعتادة عند فراغهم من الدعاء أن يمسحوا بها على وجوههم، وذلك جائز، دليله من السنة ما خرجه أبو نعيم[6] وأبو بكر[7] بن خلاد والحارث بن أسار[8] كلهم عن الوليد بن

---

(1) لعله هو عبد الرحمن بن قرط الشمالي ذكر ابن الاثير انه مذكور في الصحابة وانه سكن الشام، وذكر ابن حجر ان عبد الرحمن هذا روى عن النبي ﷺ، وروى عنه سليم بن عامر وعروة بن رويم وانه كان من أهل الصفة، راجع: – ابن الاثير: أسد الغابة، م س ج 3، ص: 386.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 6، ص: 255.

(2) ط س د[ودعاني] م [وودعني].

(3) زائد في ط س.

(4) حفصة بنت عمر بن الخطاب وإحدى زوجات الرسول تزوجها بعد عائشة، توفيت سنة 45 هـ 665م، راجع: – ابن الأثير الغابة، م س ج 6، ص: 65.

(5) الواقدي، راجع فتوح الشام، م س ، ج 1، ص: 180 .

(6) أشار الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال إلى ثلاثة أعلام يحملون نفس الاسـم وهم :
– أبو نعيم وهو مجهول– أبو النعيم النخعي وهو عبد الرحمن بن هانئ– أبو نعيم الطحان وهو ضرار بن صرد وهو ليس أبو النعيم صاحب حلية الأولياء. راجع:
– الذهبي: ميزان الاعتداء م س ج 2، ص: 327 وج4 ص: 580.

(7) له إشارة عند ابن كثير في البداية والنهاية، م س ج 8، ص: 59، حديثه عن ذكر من توفي سنة 52 هـ

(8) لم اقف له على ترجمة.

عبد الله بن أبي مغيث[1] أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا رفع أحدكم يده يدعو فإن الله جاعل فيها بركة، ورحمة، فإذا فرغ من دعائه فليمسح بها وجهه**»[2] إذا ثبت هذا فنقول للدعاء آداب، وهي للإجابة أسباب، فأولاها الخشوع والاستكانة والإخلاص والإنابة قال تعالى ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[3] وترك الاعتداء في لقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[4] هذا اللفظ وإن اقتضى العموم، ففيه إشارة إلى الاعتداء في الدعاء، قاله جمهور المفسرين، وقال ابن عطية (الاعتداء في الدعاء يكون سرا كالدعاء بالمستحيل، وكالدعاء بما لا يحل، والدعاء به لا يجوز ويكون الاعتداء جهرا، أن يجاوز الحد في ذلك، كإفراط الجهر)[5]، قالت عائشة رضي الله عنها، هو رفع الصوت الشديد، ولقد رأيت فقراء عصرنا من أهل الآفاق والبوادي [يفرطون][6] في الدعاء يكون باعلى أصواتهم في دعائهم وفي التامين على الدعاء، وقد نهيتهم فلم ينتهوا، لأن ذلك قد صار لهم سيرة، وفي الحديث: « **سيكون قوم يعتدون في الدعاء**»[7] ولا شك أنهم أهل عصرنا، والاعتداء لغة مجاورة الحد في كل شيء وقد سمع ﷺ **قوما يرفعون أصواتهم في الدعاء، فقال «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا»**[8]

---

(1) الوليد بن عبد الله بن ابي مغيث، مولى بني عبد الدار، روى عن يوسف بن مالك ومحمد بن الحنفية، وروى عنه عبد الله بن عبيد ويعد من الثقات حسب ما ذكره ابن حجر نقلا عن الدار مي، وابن حبان راجع:
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 11، ص: 139.

(2) هناك حديث مشابه ورد عند الترمذي في الجامع الصحيح كتاب الدعوات باب ما جاء في رفع الايدي عند الدعاوي، م س ج 4، ص: 432.

(3) سورة الاعراف 197.

(4) سورة الاعراف 55.

(5) ابن عطية، مصدر سابق، م س ج 7، ص: 78.

(6) ط س [يفرط] د م [يفرطون].

(7) ابن ماجة، راجع: ابن ماجة كتاب الدعاء باب كراهية الاعتداء في الدعاء، م س ج 3، ص: 1271.

(8) ابن حجر: راجع: فتح الباري كتاب التوحيد باب ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ م س ج 13، ص: 372.

قال الحسن كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم، ومن آداب الدعاء أن يبتدئ الداعي في دعائه بنفسه، بعد الثناء على ربه، والصلاة على نبيه، قال تعالى لنبيه عليه السلام ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1] وهي سنة المرسلين، قال نوح عليه السلام ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2] وقال إبراهي ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[3] ومن الآداب ألا يعجّل في طلب الإجابة، قال عليه السلام : **«يستجاب للعبد وفيه سهام قاتلة وصوارم قاطعة فاصلة»**.

أَتَلْعَبُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... وَمَا يُدْرِيكَ مَاصَنَعَ الدُّعَاءُ[4]
سِهَامُ اللَّيْلِ لاَ تُخْطِي وَلَكِنْ ... لَهَا أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ انْقِضَاءُ

وقد يستحب فيه تقديم الغير، على وجه الإيثار والتفضيل، وليس ذلك مما يعارض به ما ذكرناه أولا، وهو من باب الفاضل والأفضل ولا غروان الإنسان قد يؤثر بما يجب له حقيقة، وفي تقديم الغير زيادة التضعيف، ولاسيما إذا كان في ظهر الغيب، فانه فطنة للقبول وقد وردت به الأخبار، وتواترت به الآثار، وفي معناه أنشدوا :

الخَيْرُ مُتَّسِعٌ وَأَوْضَحُ سُبْلِه ... تَقْدِيمُ غَيْرِكَ فِي دَعَائِكَ كُلِّه[5]
فَإِذَا دَعَوْتَ فَعُمَّ كُلَّ مُوَحِّدٍ ... بِجَلِيلِ مَا تَدْعُو بِهِ وَأَجَلِّهِ
الْمَرْءُ إِنْ قَصَرَ الدُّعَاءَ لِنَفْسِهِ ... يَجِدُ الثَّوَابَ عَلَى الدُّعَاءِ بِمِثْلِهِ
وَكَفَاكَ مَفْعَلَ جُنْدُبَ بْنُ جُنَادَةَ ... خَيْرُ الصَّحَابَةِ إِنْ هُدِيتَ لِفَعْلِهِ
وَرَأَى حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ أَكِيدَةً ... فَاخْتَصَّهُمْ بِدُعَائِهِ مِنْ قَبْلِهِ

(1) سورة محمد 19.
(2) سورة نوح 38.
(3) سورة إبراهيم 41.
(4) من الوافر: والبيتان للشافعي، والبيت الأول هو في الديوان كالتالي:
أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
(5) من الكامل

وَلِنَفْسِهِ كَانَ الدُّعَاءُ حَقِيقَةً ... وَالضَّعْفُ يَرْقُبُهُ الفَتَى فِي بَذْلِهِ
فَاعْجَبْ لِتَارِكِ كُلِّ فِعْلٍ دُونَهُ ... فِي حُسْنِ مَوْقِعِهِ وَصِحَّةِ أَصْلِهِ
مَا اخْتَارَ إِلاَّ الخَيْرَ فَافْهَمْ قَصْدَهُ ... وَالمَرْءُ يُؤْثِرُ غَيْرَهُ مِنْ أَجْلِهِ
وَالفَضْلُ فِي الإِيثَارِ لَيْسَ بِمُشْكِلٍ ... فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ

ومن سيرهم المعتادة، عند ختم الدعاء تقبيل يد الشيخ وكل محترم من الفقراء، قصد للتبرك بذلك، وتعظيما وتوفير للمتوسمين بالديانة هناك، وهو جائز في الشريعة استعماله، ولا يقدح في الطريق إهماله، وهو من الآداب، في مقام الإحسان، معين على الصواب عند شواهد الامتحان وفي الآثار ما رواه عبد الرحمن بن كعب بن مالك[1] عن أبيه كعب أنه وقال: (لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يديه وركبتيه)[2] قال سلمان بن الأكوع[3]، بايعت بيدي هذه يد رسول الله ﷺ فقبلتها ولم ينكر ذلك علي[4] وقال صهيب مولى ابن عباس رأيت علينا يقبل يد العباس ورجله ويقول يا عم ارض عني، وقال[رواد][5] بن

---

(1) هو عبد الرحمن بن كعب بن مالك الانصاري، شهد احدا والخندق، وما بعدهما قال ابن الأثير: هو أحد البكائيين، الذين لم يقدروا على المسير إلى تبوك مع الرسول فنزل فيه وفي اصحابه: ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ راجع:
– ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج 3، ص: 286.
– ابن حجر: الإصابة، م س ج، 2 ص: 420.

(2) ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج2، ص: 286.

(3) هو سلمة بن الاكوع، وقيل سلمة بن عمرو بن الاكوع صحابي، كان ممن بايع تحت الشجرة، وسكن المدينة، وغزا مع الرسول سبع غزوات وتوفي سنة 74 هـ 693 م، راجع: ابن الاثير: أسد الغابة، م س ج 2، ص: 271.

(4) نص الحديث في فتح البارب هو كالتالي:
« حدثنا ابو عاصم عن يزيد بن ابي عبيد، عن سامة قال: بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال لي: يا سامة الا تبايع؟ قلت يا رسول الله قد بايعت في الأول، قال وفي الثاني » راجع:
– ابن حجر: فتح الباري كتاب الاحكام من بايع مرتين.

(5) ط. [رداد] س د م [رواد] هو رواد بن الحجاج ابو عاصم العسقلاني أصله من خراسان روى عن الثوري وابن سعيد الساعدي وسعيد بن عبد العزيز وروى عنه ابو بكر بن ابي سيبة وابن راهويه وقد اختلف بعض أعلام الحديث في الحكم على ابن الجراح، قال احمد بن حنبل: « لا باس به صاحب سنة » وقال الدارقطني « متروك » وقال ابن حبان: « من الثقات يخطئ ويخالف » راجع:
– الذهبي: ميزان الاعتدال، م س ج 2 ص: 55.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 3، ص: 288.

الجراح سمعت سفيان الثوري يقول: تقبيل يد الإمام العادل سنة وقال الشعبي: (صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فأخذا ابن عباس بركابه فقال زيد خل عنك يا بن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا)[1] عليه السلام وكانت جنازة أم زيد ثابت[2].

السيرة السادسة:

المداومة على صلاة الضحى، وهي صلاة الأوابين، ووقتها أول الربع الثاني من أول النهار، ونسبت هذه الصلاة إلى اسم الساعة التي هي وقتها كما ورد عن أهل اللغة، في أسماء ساعات النهار، قال حمزة ابن الحسين[3] أول ساعات النهار الشروق، ثم البكور، ثم الغدو، ثم الضحى، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم القصر، ثم العصر ثم الأصيل ثم العشي، ثم الغروب، وأسند الطبري عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[4] قال هي ساعة من ساعات النهار[5] وبه فسر قوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[6] وقال السهروردي رحمه الله «صلاة الضحى إذا ضحجت الأقدام بحر الشمس»[7]، ووقته ربع النهار وهو انتصاف ما بين

---

(1) ابن عبد ربه راجع العقد الفريد، كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك، م س ج 2، ص: 127.

(2) أم زيد بن ثابت، هي النوار بنت مالك بن معاوية بن عدى وكان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره كما كتب لأبي بكر وعمر راجع: ــ ابن الأثير: أسد الغابة، م س ج 2، ص: 126.

(3) لعله هو حمزة بن عمر ابو السمار وثقه الخطيب، توفي سنة 328هـ راجع: الخطيب البغدادي م س ج 8 ص 185.

(4) سورة الضحى 1 و2.

(5) الطبري: راجع جامع البيان م س ج 30 ص147.

(6) سورة طه 59.

(7) السهروردي: راجع كتاب المعارف الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الوقت، ص 195.

صلاة الصبح والظهر، كما ينتصف وقت ما بين العصر والمغرب[1] أراه والله أعلم [وهما]، وأن الصواب فيه [كما ينتصف] وقت ما بين الظهر والمغرب، ولكني نقلته كما وردت الرواية وتواترت به القراءة، ولا شك انه وهم إما من الناسخ او القارئ لأن نصف ما بين العصر والمغرب ليس بربع النهار، وإنما هو نصف الربع ولقد رأيته كذلك في عدة نسخ مقررة، وهو الذي منعني من تبديله وتغييره، ولقد رأيت فضلاء عصرنا من فقرائهم ومن استعمل ذلك من فقهائهم يعجلون الصلاة فندبتهم إلى التأخير في ذلك.

كما ورد في صحيح مسلم فيما ورد عن زهير بن حرب[2] وابن نمير كلاهما عن اسماعيل بن علي عن أيوب عن قاسم الشيباني ان زيد بن أرقم رأى قوما يصلون من الضحى فقال: أما [لقد] علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، أن رسول الله ﷺ قال: « **صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال**»[3] ومعناه أن ينام في ظل أمه من حر الأرض والرمضاء الرمل الحار من شدة حر الشمس قال أبو بكر بن العربي لا تصلي حتى تبيض الشمس وهي مرتفعة ويرتفع كدرها، ويشرق نورها كما يصلي العصر إذا [اصفرت] الشمس أداء، قال ومن الناس من يعجل [بذلك] فيبادر بها لأجل استعماله فيخسر عمله لأجل صلاته في الوقت المنهي عنه ثم يأتي بعمل هو عليه لا له، ففي قول أبي بكر بن العربي اشارة إلى

(1) السهروردي: نفس المصدر ، ص 195.

(2) هو زهير بن حرب بن شداد ابو خيثمة النسائي، نزيل بغداد، ولد سنة 160هـ776م، روى عن عبدالله بن ادريس وعبد الله بن نمير، وروى عنه البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجة، وكان ثقة وتوفي سنة 234هـ848م، وقيل سنة 232هـ846م، راجع:
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 1 ص 143.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين، م س ج 1 ص 153.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 3 ص 342.

(3) مسلم: صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الاوابين حين ترمض الفصال، م س ج 6 ص 29.

أن وقت صلاة الضحى ما بين الصبح والظهر كما العصر ما بين الظهر والمغرب وهو الصواب والله أعلم، وأقل صلاة الضحى ركعتان، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة. فهذا قدر كاف في هذا الموضع إن شاء الله تعالى:

يَا مُؤْثِرِ الرَّاحَاتِ وَهِيَ بِضَاعَةٌ ... ذَهَبَتْ بِرَوْنَقِ نُسْكِهِ فِي سبكه[1]
وَرُطْتَ نَفْسَكَ فِي المَطَامِعِ فَارِغاً ... وَاضَعْتَ عُمْرَكَ فِي [الباطلة] فَابْكِهِ

السيرة السابعة:

مما تمسكت به الفقراء بعده برهة ثم تركوه حتى لم يبق من له فيه وجهة وهو الوصال[2] وذكروا عنه رحمه الله بأنه بلغ فيه أربعين يوما. وقد اشتهر ذلك عنه كثيرا ولم يذكر أنه جاوزها وهو فعل مشروع، ودليله مسموع مقطوع، ماخوذ مما ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وذلك أن موسى عليه السلام لما سال من ربه الكتاب الذي وعد به نبي اسرائل أن ياتيهم به من عند الله بعد هلاك عدوهم، امره الله تعالى بصيام ثلاثين يوما، وهو شهر ذي القعدة، فلما فعل ذلك أنكرَ خلوف فمه تمام الثلاثين، فاستاك بعود خرنوب فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك، فامره الله تعالى ان يصوم عشرة أيام، وهي عشر ذي الحجة وقال تعالى: **أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب [عند الله]**[3] **من رائحة المسك**، قال المفسرون: ولم يكن صيامه عليه السلام

---

(1) من الطويل.

(2) الوصال: مرادف للوصل والاتصال، وهو عند الصوفية، الانقطاع عما سوى الحق. وليس المراد به اتصال الذات بالذات. لأن ذلك، إنما يكون بين جسمين. وهذا التوهم، في حق الله تعالى كفر. وادنى الوصال، مشاهدة العبد ربه تعالى، بعين القلب. فإذا وقع، رفع الحجاب عن قلب السالك. وتجلى له فيقال إن السالك الآن وصل.

ـ القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س50

ـ عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية م س 217.

(3) ط د م [عندي] س [عند الله]

ترك الطعام بالنهار وأخذه بالليل وإنما طوى الأربعين كلها من غير أكل[1] قال النقاش[2] وفي خصوص الليالي بالذكر، إشارة إلى صلة الوصال بالصوم لأنه لم ذكر الأيام لأمكن أن يعتقد انه كان يفطر بالليل، فلما نص على الليالي، فقضى الكلام وحكمة النظام أنه عليه السلام واصل أربعين ليلة بأيامها، قال القاضي أبو محمد بن عطية حدثني أبي رحمه الله أنه سمع الشيخ الزاهد أبا الفضل بن الجوهري[3] يعظ الناس بهذا المعنى في الخلوة بالله والدنو منه في الصلاة، وان ذلك مشغل عن كل طعام وشراب ويقول أين حال موسى في القرب من الله تعالى بوصال ثمانين من الدهر من قوله- حين سار إلى الخضر لفتاه في بعض يوم- ﴿آتنا غداءنا﴾ وقال وهب بن منبه، أمر الله تعالى نبيه زكريا عليه السلام أن يصوم ثلاثة أيام يواصلها من غير أكل فيها، وقد واصل نبينا محمد ﷺ وفي الحديث أنه عليه كان يواصل [4] فيصبح وهو أليث أصحابه، قال أبو عبيد: معناه أجلدهم، وأشدهم وبه سمى الليث ليثا، وقد واصل أبوبكر الصديق ثلاثة أيام وقيل ستة أيام قاله الغزالي [5] [وذكر] [6] حماد بن

---

(1) ليس من القرآن وغنما هو حديث انظر ابن حجر: فتح الباري كتاب الصوم باب هل يقول إني صائم إذا اشتتم ج 4، ص 118.

(2) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش ولد ببغداد سنة 266هـ 266هـ قرا القرآن على هارون ابن موسى الاخفش وان ابي مهران، وروى عن ابي مسلم الكجي والحسن بن سفيان، وروى عنه الدارقطني، وابن شاهين وأبو علي بن شاذان، قام برحلة إلى مصر وبلاد ما وراء النهر ومكة والشام، وكان إمام أهل العراق في التفسير والقراءات صنف العديد من الكتب مثل التفسير وسماه شفاء الصدور، المرضح في معاني القرآن، دلائل النبوة، العقل، المناسك، وتوفي سنة 351هـ962م، ص 201.
– ابن النديم: الفهرست، م س ص : 58. – ابن خلكان: وفيات والنهاية، م س ج11، ص 298.
– ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج11، ص :242. – سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 2 ص75.

(3) له إشارة في فهرست ابن عطية، وهو من شيوخ أبيه، ص 77.

(4) إبن حجر: فتح الباري كتاب الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال، م س ج 4، ص: 205.

(5) الغزالي: نفس المصدر، ص: 90.

(6) مكرر في س.

سلمة (1) بن سلمة عن عمار بن أبي عثمان أن عبد الله بن الزبير كان يواصل سبعة أيام (2) فإذا كانت السابعة دعا بإناء من لبن فشربه، وقال علي بن حازم (3) كان عبد الرحمن بن أبي نعيم (4) لا يأكل في الشهر إلا مرة، فادخله الحجاج (5) بيتا وأغلق بابه فتحه بعد خمسة عشر يوما ولم يشك أنه مات فوجده قائما يصلي، فقال يا فاسق أتصلي، بغير وضوء فقال إنما يحتاج إلى الوضوء من يأكل فيشرب وأنا على الطهارة التي دخلت عليها(6)، وقال أحمد بن محمد الثعالبي: بلغني أن امرأة من حلب(7) أسرت في أيام سيف الدولة(8) فهربت منه فمشت مائتي فرسخ

(1) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري ابو سامة، روى عن ثابت البناني وقتادة وخالد الحداد وغيرهم وروى عنه ابن جريح والثوري وابن المبارك قال العجلي: ثقة رجل صالح حسن الحديث، وتوفي سنة 167هـ 783م، راجع:
- العجلي: مصدر سابق، ص:131.
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 1، ص: 110.

(2) الغزالي: نفس المصدر، ض: 90،
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 3، ص:11

(3) لم أقف له على ترجمة.

(4) عبد الرحمن بن أبي نعم ترجم له ابو النعيم في حلية الاولياء، وذكر انه كان يواصل خمسة عشر يوما، لا يأكل ولا يشرب وكان يفطر في الشهر مرتين: راجع:
- ابو النعيم: حلية الاولياء، م س ج 5 ص، 69.

(5) هو الحجاب بن يوسف الثقافي يكنى ابا محمد، من قادة بني أمية الدهاة، ولد في الطائف وانتقل إلى الشام، وعمل أولا في الشرطة ثم أصبح قائد جيش عبد الملك بن مروان، ولما خرج عبد الله بن الزبير على بني امية، في الحجاز أمره عبد الملك بقتاله فحاصره وقتله وصلبه ثم ولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنوات، ثم ولاه العراق فبقى في ولايتها عشرين سنة وحاول إخضاع اهلها وبني مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وتوفي سنة 95.714 م، راجع:
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، م س ج 8: ص: 382.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، م س ج 4، ص: 298.
- الزركلي: الأعلام، م س ج 2، ص: 175.

(6) ابو النعيم: راجع حلية الأولياء، م س ج 5، ص: 70، وقد وردت هذه القصة بصيغة مخالفة لما ورد في النص.

(7) حلب من اقدم مدن الشام، ذكر الحموي آراء كثيرة عن أصل تسمية حلب ومؤسسها، ومن توافد عليها من الملوك البلدان والدول واشار إلى ان فتحها كان على يد أبي عبيدة بن الجراح، وان صلاح الدين الايوبي كان قد اعتنى بها «فكانت مدينة عظيمة، واسعة كثيرة الخيرات» ولها سبعة ابواب، راجع:
- ياقوت الحموي: معجم، م س ج 2، ص: 282.

(8) هو أبو بكر الحسن علي بن عبد الله بن حمدان سيف الدولة الأمير المشهور، ولد سنة 303 هـ 949 م=

لم تطعم شيئا فقال لها سيف الدولة كيف قويت على المشي وعشت بلا طعام فقالت كلما جعت أو عييت قرأت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] ثلاث مرات فاشبع، وأروى، وأقوى، وذكر أبو القاسم بن هوازن القشيري عن الغضائري[2] قال، سمعت المتحي[3] صاحب سهل ابن عبد الله[4] يصبر على الطعام سبعين يوما، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوى، وكان أبو عبيد البسري[5] إذا كان أول يوم من رمضان دخل بيتا فطنب عليه ويلقى إليه كل ليلة رغيف خبز من الكوة فإذا كان يوم الفطر فتح الباب وخرج، فإذا دخل أهله البيت وجدوا فيه ثلاثين رغيفا كما هي، فما أكل ولا شرب، وما فاته من الصلوات شيء ولا من أوراده وقد ورد عن التابعين من ذلك ما لا يحصى كثرة، وقد ورد أن سفيان الثوري وابن أدهم يطويان ثلاثا وذكر أبو الجوزاء[6] صاحب ابن عباس أنه كان يطوي سبعا، وقد طوى من العلماء الأجلة جماعة يطول ذكرهم كمحمد بن

= بالموصل ملك حلب سنة 333هـ 944م وكان قد انتزع ملكها بن أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيد يقال ابن خلكان «وكان اديبا شاعرا محيا الجيد الشعر شديد الاعتزاز به» توفي سنة 336هـ 949م بالوصل. راجع:

– ابن خلكان: وفيات الأعيان، س ج 3، ص: 401.

(1) سورة الإخلاص.

(2) لم اقف له على ترجمة.

(3) لم اقف له على ترجمة.

(4) هو سهل بن عبد الله التستري، ذكر الغزالي أنه كان من اولئك الذين كانوا يصبرون على الطعام اربعين يوما، راجع:

– الغزالي: إحياء علوم الدين، م س ج 3 ص:90.

(5) هو أبو عبيد محمد بن حسان البصري من قدماء مشايخ الشام، من أصحاب أبي تراب النخشي، توفي سنة 245 هـ 859 م، راجع:

– القشيري: الرسالة القشرية، م س ج 1، ص: 135

– السلمي: طبقات الصوفية، م س ص: 176.

– ابن الملتقى: طبقات الكبرى، م س ج 1 ص: 90.

(6) له إشارة في طبقات ابن سعد، عند الحديث عن فتنة ابن الأشعث وحربه مع الحجاج، راجع:

– ابن سعد: الطبقات الكبرى، م س ج 7: 163.

[عمرو][1] القرني وعبدالرحمن بن إبراهيم[2] وإبراهيم التيمي وحجاج ابن فرافمة[3] وحفص العابد المصيصي[4] ومسلم بن سعيد وزهير وسلمان الخاص[5] وسهل بن عبد الله وإبراهيم بن أحمد الخواص[6] وغيرهم قال السهروردي، أقصى ما بلغ هذا المعنى من الطي ما بلغنا عن رجل أدركنا زمانه وما رأيته وكان في أبهر[7] واسمه خليفة الزاهد أنه كان يأكل في شهر لوزة ولم يزل حتى انتهى في اللوزة إلى الأربعين هذا الذي ذكره السهروردي رحمه الله أنه لقصى ما بلغ، إنما أراد قلة الأكل وليس مراده إن الأربعين أقصى ما بلغ في ذلك وقد ذكر الغزالي في كتاب

---

(1) ط س [بن عمرو] د م [عمر].

(2) لعله هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحي النيسابوري اشار إليه ابو النعيم في سياق ترجمة ابي سلمان الداراني ، راجع:
– ابو النعيم: حلية الأولياء، مصدر سابق، ج 9، ص: 259.

(3) لعله هو حجاج بن قرافصة – وليس فرافمة– ترجم له الذهبي يقال « من عباد البصرة، روى عنه الثوري، ومعتصم قال ابن معين « لا باس به » وقال ابو زرعة « ليس بالقوى » وقال ابو شيخ « صالح متعبد » راجع:
– الذهبي: ميزان الاعتدال م س ج 1 ص: 463.

(4) ذكره الهجويري في كشف المحجوب باب الصوم، ص: 567 وقال « ويروي عن علي ابن بكار انه قال: رايت حفصا المصيصي لم ياكل في شهر رمضان شيئا قط إلا في اليوم الخامس عشر»

(5) هو سلمان الخواص: ترجم له ابو النعيم في حلية الأولياء ووصفه بانه كان ازهد الناس في عصره، مشيرا إلى انه كان على قيد الحياة، في فترة الخليفة عمر بن عبد العزيز.
– أما القشيري في رسالته فذكر في فصل كرامات الاولياء، ان الخواص كان احد شيوخ الحسين بن أحمد الرازي، وذكر ابن الأثير قول بشر بن الحارث الحافي: « اربعة رفعهم الله بطيب المطعم إبراهيم ابن ادهم، وسامان الخواص، ووهيب بن الورد، ويوسف بن اسباط، أما النبهاني فقد اقتصر على نقل ماذكره القشيري عن الخواص، راجع:
– أبو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 8، ص: 276.
– القشيري: الرسالة القشيرية، م س ج 2 ص:676.
– ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 10، ص: 137.
– النبهاني: جامع كرامات الاولياء، م س ج 1 ص: 459..

(6) ابراهيم بن أحمد ابن اسماعيل الخواص كنيته ابو اسحاق الزاهد المشهور توفي سنة 291هـ 903 م، راجع:
– السلمي: طبقات الصوفية، م س ، ص: 276.
– ابو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 10 ص 325.
– القشيري: الرسالة القشيرية، م س ج 1، ص: 147

(7) ابهر بلدة من نواحي اصهبان: معجم البلدان م س ج 1' 83.

الأحياء[1] إن بعض هذه الطائفة وقف على راهب فعجب باعماله وطمع في إسلامه فتاذكرا صبر العباد وقوتهم على الاجتهاد إلى أن قال الراهب إن المسيح كان يطوي أربعين يوما وهي معجزة لا تكون إلا لنبي صادق، فقال له صاحبه وهو يحاوره فإن طويت انا خمسين يوما أتترك ما انت عليه وتدخل معي في الإسلام، قال نعم فعقد معه الا يبرح حيث يراه حتى طوى خمسين يوما، ثم قال اتريد أن أزيدك عشرا فطوى ستين، يوما فتعجب الراهب من ذلك وكان سبب إسلامه[2] فهذه أدلة واضحة على جواز استعمال الوصال، وأعلم أن هذا المعنى من الطي والتقليل لو كان عين الفضيلة لما فات أحدا من الأنبياء، ولكان رسول الله ﷺ قد بلغ من ذلك إلى اقصى غايته، ونال منه نهايته، ولكنه فضيلة لا تنكر ومرتبتة لا تجحد فكم من آكل أفضل ممن طوى أربعين يوما، وكم من غير مكاشف [الأسرار][3] الملكوت، ولا مؤيد بانواع الكرامات افضل ممن كوشف بذلك، وفضل الله يؤتيه من يشاء، ولكن متى أخلص عبد لله تعالى في ذلك عادت عليه بركات ظاهرة ، وكرامات شاهرة، ولا يقصد بالعمل تلك البركات، ولا تلك الكرامات، وإنما المطلوب في استعماله ماتؤول إليه فائدته من صفاء القلب، وتنوير اللب، وإيقاد القريحة، ونفوذ البصيرة، ليتلذذ بالمناجات عند الأذكار، ويتصرف في عجائب الحكمة بدلائل الاعتبار، وفيه قمع الجوارح بالذل والانكسار، وقهر للشهوات، التي هي حجاب الأنوار، وبه تتيسر المواظبة على العبادة، وتنتقل الطبائع عن العادة، وفيه صحة للأبدان، وحفظ للأديان، وفوائد لا تحصى ومما يستحب في استعماله التجرد عن أشغال الدنيا، ومهام الحياة، وحضور الفكر ومهام الآخرة، ثم عليه ثلاث وظائف :

---

(1) كتاب إحياء علوم الدين، الذائع الصيت، طبع في العديد من الطبعات.

(2) الغزالي : مصدر سابق، م س ج 3 ص:90.

(3) ط س [باسرار] د م [الاسرار].

الوظيفة الأولى:

قدر المأكول والتدريج [فيه][1] وذلك بأن يبدأ بالفطور على رطل من الطعام فينقص منه كل ليلة جهده لا يتفطن بالنقص، وقد كان يستعين[2] على ذلك بنوى التمرد، وبالعود الرطب، ولقد ذكر أبو طالب في كتابه المسمى بقوت القلوب[3] طريقا حسنا في التدريج فقال (عملت من طوى أربعين يوما برياضة النفس في تأجير القوت، فكان يؤخر فطوره في كل ليلة إلى نصف سبع الليل حتى يوطي ليلة في نصف الشهر فيطوي الأربعين هي ستة وأربعة أشهر فتتدرج الأيام والليالي فتصيرعنده بمنزلة يوم واحد)[4] فهذا الذي ذكره أبو طالب رحمه الله وليس فيه علاقة للنقص في الأكل وإنما فيه مداومة على قدر معلوم ويبلغ القصد في التأخير.

الوظيفة الثانية:

صفة المأكول: فمن عادات سالكي طريق الآخرة الامتناع من التلذذ بأكل الشهوات تضييقا على النفس، لتنفر عن السكون إلى الدنيا، وترغب في الخروج منها، وذلك يثمر حب لقاء الله تعالى، وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم من تناول لذيذ الأطعمة ورأوا أن ذلك علامة للشقاوة فلا عبادة لله أعظم في مخالفة الشهوات قال يسار[5] ابن نمير مانخلت لعمر دقيقا قط إلا وأنا له عاص وقال قاسم الجوني[6]:

---

(1) س ط د [فيه] م [به].

(2) ط س [يعير] د م [يعين] ولعل الصواب يستعين.

(3) العنوان الكامل لهذا الكتاب هو قوت القلوب، في معاملة المحجوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، طبعته ومؤخرا دار صادر بلا تاريخ.

(4) ابو طالب المكي: راجع قوت القلوب، مصدر سابق، ج 2 ص: 166.

(5) ذكره ابن سعد في الطبقات، في ترجمة ابي وائل وعده من الرواة الذين روى عنهم هذا الأخير، راجع:
– ابن سعد: طبقات ابن سعد، م س ج 6، ص: 102.

(6) لعله القاسم عثمان الجوعي من شيوخ ابي سليمان الداراني، وقد ترجم له ابو النعيم في حلية الأولياء، راجع: م س ج 9، ص: 322.

البطن دنيا كل إنسان فبقدر إنسان ما يملك منها يملك من الزهد .

الوظيفة الثالثة:[1]

صفة العمل في الدخول فيه: يستحب مع اعتقاد التوبة مع الله تعالى، بندم وبكاء، أن يغتسل غسلا كاملا، ثم يصلي ركعتين ثم الخلوة لا يخرج منها إلا لقضاء حاجة الإنسان، أو لصلاة جماعة أو جمعة فإنه يخشى [عليه][2] بترك الجمعة والجماعة آفات ثم يلازم لذكر، ولا يفتر عنه، فله بركة ظاهرة في القوة على المجاهدة قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام لما بعثهما إلى فرعون[3] ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[4] لأنهم يجدون به قوة ومظاهرة ويستحب له في الأذكار لفظ لآ إله إلا الله ، فإن له خاصية في تنوير الباطن وجمع الهمة متى دام قال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت أبا تميم المغربي[5] يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأذكار، إلا ذكر ربه ومن جميع المرادات إلا مراد ربه، وفي جميع مطالبات النفس في جميع الأسباب، فمن لم يكن بهذه الصفة في خلوته فلاغرو توقعه في بلية أو فتنة، وينبغي له أن يستعمل من الذكر، أخفه عليه فمتى ثقل عليه استعمل القراءة، فإذا ثقلت عليه استعمل الصلاة، فإذا سئمت نفسه في ذلك كله نام وكذلك متى سئم في ذكر اللسان لازم الذكر بالقلب وينبغي له أن يلازم الطهارة بحيث لا ياتي عليه وقت من الأوقات الا

(1) ط [الثانية] س د م [الثالثة

(2) ط [عليك] س د م [عليه

(3) عن فرعون موسى راجع: ماكتبه الطبري في جامع البيان تفسير سورة القصص، ج 20، ص: 18 وما بعدها. راجع: كذلك الإشارات الواردة في تااريخ الرسل والملوك، ج 2 ص: 411، ج 3، ص: 31. وعن باقي قصص موسى، وفرعون راجع ايضا لبن كثير البداية والنهاية 1، ابتداء من ص: 237، وكذلك قصص الانبياء للنجار ابتداء من 219.

(4) سورة طه 42.

(5) لم اقف له على ترجمة، لعله هو ابو تميم، الذي اشار إليه التلمساني: في نفح الطيب، عند الحديث عن ذكر « شيوخ المقري الجد » راجع: نفح الطيب، م س ج 5، ص: 241.

وهو على طهارة لأنه في حال المراقبة لمواهب الله تعالى الواردة عليه وهي لا تاتيه إلا في حال الطهارة وينبغي له أن يكون نومه [عن][1] غلبة لئلا يفوته نصيبه من الأقسام التي فتح الله بها على أمثاله وينبغي له في جميع حركاته أن لا يرسل طرفه إلى كل ما يقابله ولا يصغي بسمعه إلى كل ما يسمعه فإنه سبب لدخول الوسواس عليه، فهذه جملة آداب محبوبة في طريق الوصال لا يملكها العامل إلا بعد خروج النفس من طاعة الهوى وعتقها من رق العادة، فهذه جملة وافرة من سير شيخنا رحمه الله، قد حفظناها تبركا، وإن لم نحافظ عليها، وتحققناها وإن لم نتحقق بالفعل إليها قد أوردناها على وجه الاستشهاد لتتضح طريقه رحمه الله في قوة الاجتهاد، ويتبين بذلك عجزنا بالتخلف، عن طريق الرشاد [حتى تنفتح][2] إذا كثرت الدعوى بين الأشهاد، فلسنا من خيل هذا الميدان، ولا لنا في فتح بابه طاقة ولا يدان، فلا حول ولا قوة في ذلك، إلا أن فضل الله هو الموجود، هنالك، وأنشدوا:

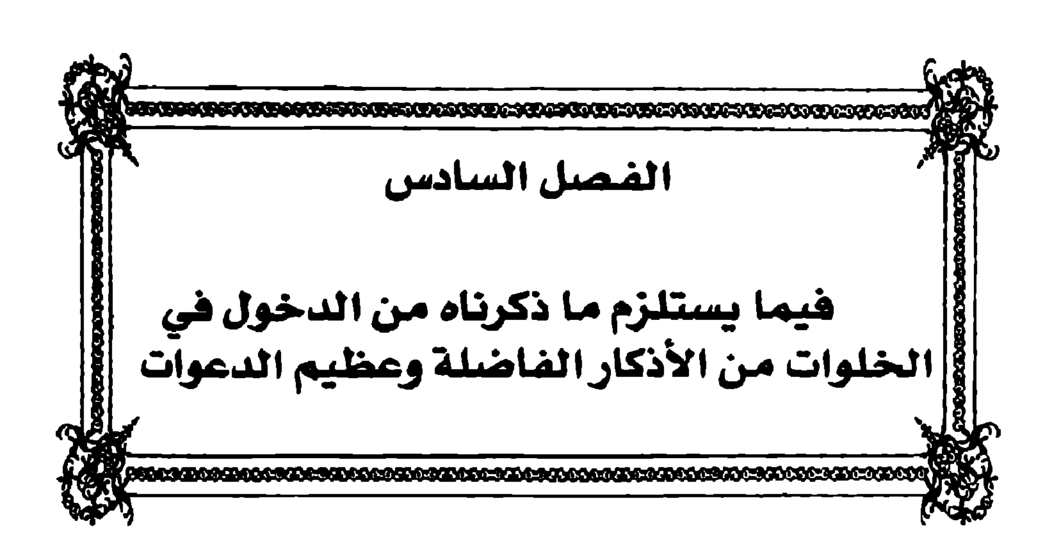
أَهْـلاً بِطَيْفٍ زَائِـرٍ مُسْتَعْجَلٍ ... يَبْغِي الرَّحِيلَ فَلَيْتَهُ لَمْ يَرْحَلِ[3]
صَحِبَ الصَّحَابَةَ بُرْهَةً فَأَصَابَهُمْ ... فَـازُوا بِكُلِّ فَرِيضَةٍ وَتَنَفُّلِ
عَطَفُوا القِيَّامَ عَلَى القِيَّامِ وَسَهَّدُوا ... أَجْفَانَهُمْ قَصْدَ النَّعِيمِ الأَفْضَلِ
وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ وَكَانُوا مِثْلَهُمْ ... مُتَسَابِقِينَ إِلَـى الرَّعِيلِ الأَوَّلِ
ثُمَّ انْقَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ وَأَهْلَهُ ... الحَالُ فِي الأَحْـوَالِ ذَاتُ تَنَقُّلِ
وَالآنَ وَافَانَـا وَنَحْنُ كَمَا تَرَى ... نَفْنِي الـزَّمَانَ بِعِلَّةِ المُتَعَلِّلِ
تَجْرِي جَوَارِحُنَا عَلَى مُعْتَادِهَا ... مِنْ سُوءِ فِعْلٍ بِعِلَّةٍ وَاغْتِيَابِ مُقُولِ
صِنْفَانِ إِمَّـا تَـارِكٌ لِتِلاَوَةٍ ... فِي الصَّـوْمِ أَوْتَـالٍ بِغَيْرِ تَأَوُّلِ
لاَهَـمَّ إِلاَّ فِي تَخَيُّرِ مَسْكَنٍ ... أَوْ مَلْبَسٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ مَأْكَلِ

(1) ط م [على] س د [عن]
(2) م [فتنفضح] ط س د [حتى تنفتح].
(3) من الكامل.

وَضِعَافُنَا [مُسْتَقبِلِينَ] [1] لَمَا بِهِمْ — ضَاعَتْ وَسَائِلِهِمْ كَمَا لَمْ تَقْبَلِ
لَسْنَا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ — مَا عِزَّةُ الأَعْلَى كَذُلِ الأَسْفَلِ
أَيْنَ الَّذِينَ لَهُمْ بِشَهْرِ صِيَامِهِمْ — [سَبْعَانَ] [2] مِنْ فَضْلٍ بِهِ وَتَفَضُّلِ
وَافَاهُمْ مِنْهُ رَسُولٌ مُكَرَّمٌ — رَاعَوْهُ إِجْلاَلاً لِحَقِّ المُرْسَلِ
فَاسْتَقْبَلُوهُ بِأَدْمُعٍ مُنْهَلَّةٍ — وَبِأَوْجُهٍ بِالبِشْرِ ذَاتِ تَهَلُّلِ
يَا نَائِمَ الأَجْفَانِ فِي يَقَظَاتِهِ — بَادِرْ فَشَهْرُ الخَيْرِ لَمْ يَتَرَحَّلِ
وَدَعْ التَّشَهِّي وَالتَّعَلُّلَ بِالمُنَى — فَنَتَائِجُ التَّسْوِيفِ عَضُّ الأَنْمُلِ
وَقُمْ الدُّجَا وَصُمْ النَّهَارَ وَلاَ تَكُنْ — مِمَّنْ يَبِيتُ عَنْ النَّعِيمِ بِمَعْزَلِ
وَاعْطِفْ عَلَى الفُقَرَاءِ عَطْفَةَ مُشْفِقٍ — يَرْجُو مِنْ الرَّحْمَنِ أَفْضَلَ مَنْزِلِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ وَرُبَّمَا — غَلِطْتَ فِي النُّصَاحِ بِإِسْمِ العَذْلِ
إِنْ كَانَ سَعْيُكَ صَالِحًا فِيمَا مَضَى — فَعَسَى يَكُونَ كَذَاكَ فِي المُسْتَقْبَلِ

---

(1) م [مستقلين] ط د س [مت]
(2) م. سبعان ط.س سبقان.



الفصل السادس

فيما يستلزم ما ذكرناه من الدخول في الخلوات من الأذكار الفاضلة وعظيم الدعوات

---

(1) الخلوة، تعتبر الخلوة من المستلزمات الروحية، التي يؤديها المريد في الطريق الصوفي. والتي يهتم بها، مشايخ الطرق، لتربية النفس وتزكية قلوب مريديهم.

ويعتقد الصوفية، ان الخلوة هي تدعيم للتوبة. وتثبت للإخلاص وسير في طريق الله.. وهي عزلة عن الناس وقربة إلى الله.

راجع: - عماد الدين الاموي: حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب. م س 93.

- عبد الكريم القشيري: الرسالة م س ج1 ص 298. - القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س 161

- الشرقاوي: معجم الفاظ الصوفية م س 130.

مما قد انتخبه في ذلك علماء التصوف، وكتموه عن غير مستحقة، غيرة أهل الخوف والتخوف، لئلا يقع الإهمال له والملل من كثرة استماعه، ويتكرر على النفوس فلا تكترث بانتفاعه، على أنهم لوحوا في ذلك بإشارات[1] وعبروا عنه بما قد ادركوه من رموز العبادات ليفهم ذلك عنهم كل عقل راجح، ويتدبره رغبة في استعماله كل قلب ناجح، والرمز في الكلام من أجل ما يستعمل في كل ما يراد تفخيمه، [بكل][2] ما يقصد تعظيمه، ليكون أعظم في القلوب موقعا، وأكثر بالنفوس مولعا، فلا غرو أن المحجوب عن الأفهام والخواطر[3]، كالمحجوب عن الأبصار النواظر، فيما يحصل في النفوس من التعظيم، وفي القلوب من التفخيم، فلم تزل هذه الطريقة تموت بموت الشيوخ القدماء، وبموت السالكين لفوت تربية العلماء، حتى صارت الخلوات عند كل سالك، من أوهن المطالب وأهون المسالك، لا جرم قد انفتحت لهم أبواب حفظ الدعوات في طريق الإنابة، كما سدت عنهم أبواب القبول في سرعة

---

(1) سقط من د.م

(2) سقط من د.م.

(3) الخواطر: ما يرد على القلب من الخطاب. فالخاطر كما يعرفه أئمة الصوفية على اربعة أوجه: خاطر من الله تعالى. وخاطر من الملك. ثم خاطر من النفس واخيرا خاطر من العدو. وقد يكون ربانيا أو ملائكيا او شيطانيا او حديثا للنفس، ويرى القشيري، ان الخاطر الذي يلقى من الله في القلب هو خاطر عقل. اما الخاطر الذي يرد من الملك، فهو الإلهام. وإذا كان الخاطر من النفس قيل الهاجس. اما الخاطر الشيطاني يقال له الوسواس. راجع:
- القشيري: الرسالة م س 263.
- القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س 158.
- الشرقاوي: معجم الفاظ الصوفية م س 131.
- محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب اهل التصوف، دار الكتب العلمية، لبنان 90.
- عماد الدين الأموي: حياة القلوب م س 286.

الإجابة، إلا لمن ساعده التوفيق بخصوص الهداية، وأيده التصديق بسبق العناية، ولما أبصرت هذا العلم عن جانبه، وقل في العصر صدق طالبه، أودعته هذا الفصل إلحاقا بما قبله، وأبهجت به من طريق الوصال مناهج سبله، فمن لطائف الحكمة، وسوابغ النعمة، أن الله تعالى جعل مصالح العباد في خزائن الغيب، وجعل مفتاحها الدعاء بلا شك ولا ريب، ثم أمرنا عند فقدها بالدعاء مطلقا في جميع الأوقات، ووعدنا بالإجابة عقب الدعوات، فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] ثم علمنا بما يكون سببا للإجابة في طريق التوسّل، متى استعملت بالإخلاص وصدق التبل، فقال عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2] ثم من أعجب الأعاجيب أن أسماءه تعالى مختلفة التراكيب ليدل كل اسم منها على نوع من أنواع أفعاله، ويتضمن للسائل ما يقترن بموافقة سؤاله، فيستدعي ذلك معرفة الوقت، والاسم المناسب للوقت، والطلب المناسب للاسم مع توجه القلب لذلك، وتنوع المخصوص بالطلب لتقع الإجابة مطابقة للدعاء، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**إن لله في أوقات دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها**»[3] واعلم أن أهل الأرصاد متفقون في أعمالهم على اختيار الأوقات السعيدة، ليسرع لهم النجح بها في غالب العادة، فكذلك الأوقات التي اختارها واضع الشرع ﷺ في استعمال القربات، فهي أفضل الأوقات، واعلم أن لكل اسم من أسماء الله تعالى حروفا وأعدادا، ولكل عدد وفقا أزواجا وأفرادا، فمن جمع بين حروف الاسم وعدده في وفقه فقد وفق لكشف السر في حله وفتقه، واعلم أن لكل اسم مسمى ولكل مسمى صفة في معنى ذلك الاسم على

---

(1) غافر 60.

(2) الأعراف 180.

(3) هناك حديث مماثل: «ان في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله فيها خيراً إلا اعطاه الله إياه» راجع: المناوي: فيض القدير، م س ج4 ص 463.

اختلاف أنواعها، وتباين أوضاعها، تتنوع بتنويع المسميات، وتتباين بتباين الصفات جميع المسؤولات، فظهر من الترايب المحكم تعلق المعاني الروحانية بالألفاظ الموضوعة الموضعة الرسمية، لامتزاج الحروف بعضها ببعض في مطلق التسمية، فتدبر متفهما، تَرَ عجبا، واستعمل ما قدرت على استعماله ترق طربا، إذا ارتفع لك حجاب الغفلة عن جواهر الآلاء بفتح باب الكشف عن معاني الأسماء، وإياك والطمع في إدراك ما تقر عيناك بنيله، إلا أن تتصف بصفات أهله، والله تعالى في جميع ذلك ولي التعليم ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وساورد عليك من الأدعية والأذكار ما تجده عونا عند التفكر والتذكار، موزعا على أجزاء الليل وساعات النهار، فالمقصود من الأذكار[1] اقتباس انوار المعرفة، لأنها أدل دليل، والمقصود من الأدعية وجود الاستقامة على سواء السبيل، ﴿فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ

---

(1) الذكر: هو استحضار الله تعالى في القلب مع التدبر، وهو بساط العارفين، ونصاب المحبين وشراب العاشقين. وحقيقته ان تنسى ما سوى المذكور. واقسامه:

ذكر اللسان المستمد من القلب. يردده المحب ويستعذب ترداده ويحب سماعه.

ذكر الخواص: وهو ذكر القلب. ومعناه تصور حقيقة المحبوب في القلب.

ذكر السر: وهو من مقامات الواصلين من خاصة الخاصة. ومعناه غيبة للذاكر في المذكور بالجملة حتى لا يبقى له رسم.

وعموما فالذكر نوع من التقرب إلى الله تعالى ومجالسته من غير حجاب، ولقد وردت آيات كثيرة في الذكر منها على سبيل المثال: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ البقرة 152. ﴿والذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ آل عمران 191. ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ طه :124. راجع:

- الكلاباذي: التعرف لمذهب اهل التصوف م س 103.
- ابو طالب المكي: قوت القلوب م س 4.
- القشيري: الرسالة م س ج 2 464.
- الغزالي: إحياء علوم الدين م س ج 4 43.
- عبد المنعم: معجم مصطلحات صوفية م س 103.

﴿لَوْلَا أَنْ هَدَانَا[1] اللَّهُ[2] لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[3].

الساعة الأولى: من يوم الأحد: دعاؤها القائم بها: «رب اغمسني في بحر نور هيبتك حتى أخرج منه وفي وجهي شعاع من هيبتك يخطف أبصار الحاسدين، من الجن والإنس فيعميهم عن رمي سهام الحسد، في قرطاس نعمتي، واحجبني عنهم بحجاب النور، الذي باطنه النور وظاهره النور، أسألك يانور النور باسمك النور، وبوجهك النور ان تحجبني في نور اسمك بنور اسمك، حجابا يمنعني من كل نقص يمازح مني جوهرا وعرضا انك نور الكل، ومنور الكل، بنورك يا حق يا مبين يا نور»، من دعا بهذا الدعاء ثمانية وأربعين مرة في هذه الساعة على وضوء بعد صلاة ركعتين رزقه الله تعالى هيبة في قلوب الخلق وسبغ عليه سوابغ الرزق ويناسبه من اذكار القرآن﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[4] ومن الأسماء الحسنى اسمه تعالى النور وماشاكله، من قرأ هذه الآذكار العدد المذكور في بيت مظلم وعيناه مغلوقتان شاهد أنوارا عجيبة قد ملأت قلبه ومن كتب ذلك في الساعة المذكورة العدد المذكور وعلقه على نفسه ظهرت عليه قوة وهيبة وقهر لكل من يغالبه وربما برئت به العلل المخصوصة بالرأس متى علق عليه فتبرأ بإذن الله.

الساعة الثانية: دعاؤها القائم بها: رب فرحني بما ترضي به عني فرحا يبهجني بجميل المسار حتى لا ينشط من وجودي إلا بما نشط به وجودك العلي، رب فرحني بنيل المراد منك بفناء ارادتي حتى لا يكون في كوني ارادة إلا ارادتك محفوظة من عوارض التلوين وابهج لي بذلك سريان الأفراح في الوجودين برزق الباطن والظاهر انك باسط

(1) ط س [هدنا] د.م [هدانا]

(2) سقط من ط س.

(3) الاعراف 43.

(4) النور 35.

الرزق والجود، من دعا بهذا الدعاء تسعة وأربعين مرة في هذه الساعة على طهارة بعد صلاة ركعتين أذهب الله تعالى عن قلبه كل هم وحزن وحرج وضيق وهو دعاء يصلح للمسجونين والماسورين ويناسبه من أذكار القرآن العظيم ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[1]. ومن الأسماء الحسنى الباسط والفتاح. من قرأ هذا الذكر العدد المذكور رزقه الله من السرور والانشراح، ما تتعجب نفسه منه ولا يدري ما سببه. ومن كتب هذا العدد المذكور في هذه الساعة، وعلقه على نفسه انشرحت له القلوب المقبوضة عند رؤيته بإذن الله تعالى.

الساعة الثالثة: دعاؤها القائم بها رب قلبني في أطوار معارف أسمائك تقليبا يشهد لي به في دورات وجودي ماأودعته دورات وجود الملك والملكوت حتى أعاين سريان سر قدرتك في معالم المعلومات، فلا يبقى معلوم إلا وبيدي سر دقيقة منه مجذوبة بيد كمال نور الطوع حتى تذهب ظلمة الاكراه فاتصرف في المهج[2] بمبهجات المحبة انك انت المحب والمحبوب يا مقلب القلوب من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة ست عشرة مرة على طهر بعد صلاة ست ركعات قلب الله تعالى له قلب كل من خطر له فيه خاطر سوء إلى كل خاطر جميل وهو دعاء يصلح لهل الاستخارة وقضاء الحوائج ويناسبه من أذكار القرآن العظيم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾[3] إلى آخر الآية. ومن الأسماء الحسنى اسمه تعالى الودود، من قرأ هذه الأذكار العدد المذكور في هذه الساعة أو كتبه وعلقه على نفسه عصمه الله تعالى في جميع تعلقاته من آفات الوجود حسا ومعنى وهو ذكر يصلح لآرباب التلوين.

(1) آل عمران 170.

(2) المهجة: دم القلب وتبل المهجة خالص النفس. ابن منظور م س ج370 2.

(3) إبراهيم 32.

الساعة الرابعة: دعائها القائم بها: رب قابلني بنور اسمك العظيم مقابلة تملأ بها وجودي ظاهرا وباطنا حتى تمحو مني خطوط الأشكال كلها فيبدو لي وجودي من وجود سر ما كتبه سر تقديرك، من كل مودع في مستقر ومستقر في مستودع، فلا يخفى على ما غاب عني فانظرني بك، وانظر من سواي بنور اسمك حتى أرى الكمال المطلق يا مودع الأنوار قلوب عبادة الأبرار، يا سريع، يا قريب، يا مجيب، من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة ست عشرة مرة على وضوء بعد صلاة ركعتين ثم سمى أي حاجة أراد أسرع الله تعالى له قضاءها ومن خواصه وضع البركة في كل ما يوضع عليه ويناسبه من أذكار القران العظيم، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[1] ومن الأسماء الحسنى- اللطيف الخبير، من قرأ الذكر [المذكور] العدد المذكور أو كتبه وعلقه على نفسه لم يعسر عليه شيء مما يؤمله ويرجوه وهو وذكر يصلح لأهل المكاشفات والحضور والمراقبة.

الساعة الخامسة: دعاؤها القائم بها: رب أسالك مددا روحانيا تقوى بها قواي الكلية والجزئية، حتى أقهر بما [في][2] نفس منفوسة قاهرة فينقبض لي بابها انقباضا يسقط [به][3] قواها فلا يبقى في الكون ذو روح إلا ونار القهر أخمدت ظهوره ياقهار، يا ذا القوة يامتين، أسالك بما اودعته عزرائيل من قوة أسمائك القهرية فانفعلت له النفوس بالقهر أن تكسوني ذلك السر في هذه الساعة حتى ألين به كل صعب واذلل به كل مانع بقوتك ياذا العزة يامتين، من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة تسعة وثمانين مرة على ظهر بعد صلاة عشر ركعات بالفاتحة لا غير ثم دعا على ظالم أخذ لوقته لا تدعو به على من عليه وهن الشيخوخة

(1) الانعام 59

(2) سقط من د.

(3) م [به] ط س د [بها]

إلا وجد في وقته خفقانا بالخاصية ويناسبه من أذكار القرآن العظيم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1] ومن الأسماء الحسنى القاهر والقادر، من قرأ هذا الذكر في هذه الساعة العدد المذكور أو كتبه، وعلقه على نفسه ذل له كل جبار عنيد، وفيه تسكين ما يهيج على العبد من ما ورد الشهوات، ومن نقش اسمه تعالى القادر المقتدر في خاتم في هذه الساعة وتختم به ألبسه الله تعالى مهابة في خلقه.

الساعة السادسة: دعاؤها القائم بها: رب صفني من كدورات الأغيار صفاء من صفته يد عنايتك من نقص التلوين، حتى ينجلي في مرآة قلبي ومستوى نفسي، كل اسم انطبع في قوة جبريل فقوني به على كشف ما في اللوح، من أسرار أسمائك ومجامع رسائلك، الهي حل منطقي بالدقيقة العظمى حتى أتلقى عنك ما به تلقى فهم تملأ به وجودي حتى أتلذذ بمناجاتك تلذذ جبريل برسائلك أنك علام الغيوب. من دعا بهذا الدعاء خمساً وعشرين مرة في هذه الساعة على طهر بعد صلاة ركعتين ألهمه الله رشده في عواقب أموره وله تأثير في حفظ ما عسر عليه حفظه ويناسبه من أذكار القرآن العظيم: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ [يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ][2] عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[3] ومن الأسماء الحسنى. الهادي والرشيد. من قرأ هذه الأذكار في هذه الساعة العدد المذكور فتح الله عليه أبوابا من المعارف ورزقه علما لدنياه وله تأثير عجيب في فهم المشكلات، وهو ذكر يصلح للسالكين بطريق الرياضيات.

(1) هود 102.
(2) سقط من ط س
(3) سورة الأنعام 73.

الساعة السابعة: دعاؤها القائم بها: رب أوقفني موقف العز والكمال والبهجة والجمال حتى لا أجد في نفسي ذرة ولا دقيقة إلا وقد غشاها من عز عزتك مامنعها من الذل لغيرك حتى أشاهد ذل من سواي لعزتي بك، مؤيدا مؤثرا بدقيقة من الرعب يخضع لها كل جبار عنيد وشيطان مريد، وأبق على ذل العبودية في العزة ابقاء، يبسط لسان الاعتراف، ويقبض لسان الدعوى أنك أنت العزيز الجبار، من دعا[1] بهذا الدعاء في هذه الساعة ست عشرة مرة، على طهر وبعد صلاة بحضور قلب وخلو، معدة كساه الله ثوب العزة، ورداه برداء المهابة ويناسبه من أذكار القرآن العظيم: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[2] ومن الأسماء الحسنى، العزيز، الجبار، الكبير، القهار، من قرأ هذه الأذكار في هذه الساعة العدد المذكور وكان في نفسه مهانة وضعف، قوى وعز. وهو ذكر يصلح لأرباب الملك من دوام على قراءة هذه الأذكار انبسط ملكه، وقامت [سطوته][3] وقد ينتصر به من لا ناصر له.

الساعة الثامنة: دعاؤها القائم بها: الهي اطلع على [وجودي][4] شمس مشهودي منك في الأكوان والأكوان والأوان، حتى أمشي بما أشهدتني به في آفاق الملكوت فاكشف منه معنى كلمة التكوين حتى ينفعل لي كل مكون انفعاله الكلمة بإذنك الذي سخرت به ما في الوجودين بلا ظلمة وضع ولا ظلم طبع إنك منور الكل بكمالك، ومنور الأنوار بنورك، الذي صدوره على اسمك النور يانور النور، من دعا بهذا الدعاء على

(1) سقط من س.
(2) الإسراء 111.
(3) س [صطوته] ط.د.م [سطوته].
(4) ط [وجود] س د م [وجودي]

طهر وبعد صلاة تسعة وأربعين مرة كساه الله نورا يمشي به في الناس يشاهده من نفسه، وتسري بذلك كلمته في انفعال الموجودات سريانا يتعجب منه ويناسبه من أذكار القرآن العظيم، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ [يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ][1] عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[2] ومن الأسماء الحسنى: العلي، العظيم، الكبير، المتعال، من قرأ هذه الأذكار في هذه الساعة العدد المذكور رزق علما يطلع به على عجائب المصنوعات، وأسرار المخلوقات، ويعاين تصريف المقدورات، فسبحان من حجب السر القدري][3] عن الأبصار بنوره، وأخفاه عن البصائر بشدة ظهوره.

الساعة التاسعة: دعاؤها القائم بها: رب أدخلني في سر بواطن أسمائك الحسنى من الباب الخاص الذي لا يحجب بنور ولا ظلمة. ولا بشيء منه ولا بشيء خارج عنه، وأطلق به قواي في نيل أنعمه، وأذقني ذوق كل مذوق فيه، حتى أكون بك فيه وأكون فيه بك مبتهجا بحلاوة ذلك منك وبك عنك لطيف عطوف، رحيم رؤوف، من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة أربعين مرة على طهر وحضور بعد صلاة رزقه الله من السرور والأفراح بوجود الروح والأرياح ما يتعجب منه، ويناسبه من أذكار القرآن العظيم ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[4] من الأسماء الحسنى الظاهر، والباطن، اللطيف، الخبير، من قرأ هذه الأذكار في هذه الساعة العدد المذكور انبسطت أخلاقه، واتسعت أرزاقه، وهو من أذكار أهل القوة المتصرفين في العالم بالحكمة الأزلية:

---

(1) ط س [يتفيؤ اظلاله] د م [يتفيأ ظلاله].

(2) النحل 48.

(3) ط س د [سر القدر] م [السر القدري].

(4) فاطر 2.

الساعة العاشرة: دعاؤها القائم بها: يامن نسبة العلوم إلى علمه نسبة لاشيء إلى شيء لا يتناهى أظهرت الحروف بالقلم. فكان لها تصريف في الرواح الملكوت قام لها مقام مخارج الحروف من الحلق والصدر، واللسان واللبات[1]، كل اسم منها وجد عنده اسم لا يعلم تركيبه، ملك قلمك وكل نوع صدر عنه مركبا بروح اسرافيل أظهره بقوة في إيجاد كلياته من جزئيات تراكيبه أسألك بهذا السر الخفي الذي وقف العقل دونه، وتقدم إليك السر بسر أودعته فيه يوم إمكان وجوده، [أسالك][2] كشف حجاب الغيب حتى أشاهد الغيب به من الروح الفاني، [ياه ياه][3] ياخالق، يا بارئ أنت هو أنت هو من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة مائة مرة على طهر وبعد صلاة [لا يسال][4] الله تعالى حاجة إلا قضاها، وهو ذكر يصلح لأهل البلادة والبله، فإنهم يرزقون فتح معاني العلوم المشكلة، ويناسبه من أذكار القرآن العظيم ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾الآية[5] ومن الأسماء الحسنى العالم الشهيد. والحكيم والمحصى، من قرأ هذه الأذكار في هذه الساعة العدد المذكور فتح الله تعالى عليه بفهم لا يستطيع فهمه قبل ذلك، وعلمه ما لم يكن يعلم، وهو من أذكار العزلة والوحشة، فإنهم يجدون به أنسا في خلواتهم، وقوة في الباطن، مما يغنيهم عن ملاحظة انس العالم.

الساعة الحادية عشرة: دعاؤهم القائم بها: يا من لوجوده العلي باعتبار حكمته إلى كل موجود حصل من وجوده اسم يليق به هو مفتاحه الخاص، ومعناه الغيب، وحقيقته الوجودية، فما في الأكوان

---

(1) اللبات جمع لبة: موضع القلادة من العنق. المعجم الوسيط م س ج2 818.

(2) س.ط [اسئلك]د م [اسالك].

(3) كذا في كل الاصول.

(4) س.ط [يسئلك]د م [يسالك].

(5) يوسف 101.

جوهر فرد من جواهر آحاد العالم العلوي والسفلي، إلا ومقاليد أحكامه متعلقة باسم من أسمائه واجتماعها [بدقائقها][1] في سر اسمك الذي استأثرت به عن جميع خلقك، فلم يظهر لهم إلا ما ناسب الأفعال، فاسماؤك إلهي لا تحصى، ومعلوماتك لا تتناهى، أسالك غمسة في بحر نور أسمائك، حتى أعود به إلى الكمال الأول، فاتصرف به في الكون بوصف الكمال تصرفا ينفي النقص عني بالوقف على عبودية النقص، إنك المعز المذل، والحكم العدل من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة ست عشرة مرة على وضوء وبعد صلاة بحضور وجمع همة عصمه الله تعالى من طريان الوسواس وهو من أذكار أهل التلوين والأحوال، ويناسبه من أذكار القرآن العظيم : ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[2] ومن الأسماء الحسنى: المغيث، والقوي، والحسيب، من قرأ هذه الأذكار في هذه الساعة العدد المذكور ثبت الله عقله وشرح صدره.

الساعة الثانية عشرة: دعاؤها القائم بها : تعاليت يا من تقاصر كل فكر عن حصر معنى من معاني اسمائك بكل علو ورفعة، فمن ذلك العلو والرفعة، صدوره ظاهرا أو باطنا تقدس مجدك، يا من استنار عرشه، قد ظهر فيها كبرياؤه ومجده، أسالك بالصفات التي لا تعلق لها بموجود يا ذا العظمة والكبرياء، والجلال والجمال والبهاء، أسالك الأنس بمقابلة سر القدر أنسا يمحو آثار وحشة الفكر، حتى [يطيب][3] وقتي بك، وأصيب طوقتي لك، فلا يتحرك ذو طبع لمخالفتي إلا صغر لعظمتك، وانقصم لكبريائك إنك جبار الأرض والسماء، من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة سبعا وعشرين مرة، أحيا الله تعالى ذكره وان كان

(1) ط.س [برقائقها] د، م [بدقائقها].

(2) هود 120.

(3) سقط من س.

خاملا، ويناسبه من أذكار القرآن العظيم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا [اسْتَيْئَسَ][1] الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا[2]- الآية﴾ ومن الأسماء الحسنى، الحي القيوم، الحافظ المانع، من قرأ هذه الأذكار في هذه الساعة العدد المذكور ثم دعا به على من قصد هلاكه أخذ لوقته، وهو من أذكار الأولياء المدلين، وبه يستنصرون على من قصد ضرهم ومن نقش اسمه تعالى الحي القيوم عند طلوع الشمس من يوم الجمعة وهو على طهارة في خاتم فضة وتختم به أحيا الله تعالى في الأنام ذكره، ومن نقش اسمه تعالى الحافظ والمحيط في خاتم فضة في الساعة وحمله معه لم ينله مكروه من جميع ما يخافه في ظعنه واقامته، والله تعالى ولي الحفظ والكلاءة والتوفيق والهداية بمنه وكرمة.

فصل: في توزيع الساعات على هذه الدعوات بالغاية في التفصيل والنهايات، فافهم هذا الترتيب، تنل من مقصودك كل عجب عجيب، أول ساعة من يوم الاثنين، دعاؤها القائم بها: هو دعاء الساعة الرابعة من يوم الأحد ثم هي على التوالي إلى آخر ساعة منه، وأول ساعة من يوم الثلاثاء: دعاؤها القائم بها. هو دعاء الساعة السابعة من يوم الأحد ثم هي على التوالي إلى آخر ساعة منه وأول ساعة يوم الأربعاء: دعاؤها القائم بها هو دعاء الساعة العاشرة من يوم الأحد ثم هي على التوالي إلى آخر ساعة منه، وأول ساعة من يوم الخميس: دعاؤها القائم بها هو دعاء الساعة الأولى من يوم الأحد ثم هي على التوالي إلى آخر ساعة منه. وأول ساعة من يوم الجمعة دعاؤها القائم بها هو دعاء الساعة الرابعة من يوم الأحد ثم هي على التوالي إلى آخر ساعة منه، وأول ساعة من يوم السبت دعاؤها القائم بها هو دعاء الساعة السابعة من يوم الأحد ثم هي

---

(1) ط.س [استينس] د.م [استياس]
(2) يوسف 110.

على التوالي إلى آخر ساعة [منه][1] والله تعالى هو الموفق للصواب بمنه وكرمه.

فصل : في ذكر ما انتخبوه من الدعاء في الأسحار، بعد الذكر والاستغفار، أن يقول في أول الثلث الأخير من ليلة الأحد: يا رب الأرباب، مربي الكل بلطيف ربوبيته، أسرع لي بسريان من لطفك الخفي بلا محنة، وقلبني بين أصبعين من أصابع لطفك حتى أشاهد لطيف اللطف من كل جهة وقعت إشارة عليها، حتى أغرق في بحار لطفك: مبتهجا بحلاوة ذلك البحر،حلاوة تغذي أرواح المرتاحين بفهم أسرارك، وامنحنى اسما من أسماء قدرك الذي من تدرع به وقي شر ما ذرأ في الأرض ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[2] إنك حفيظ عليم: من كتب هذا الدعاء في هذه الساعة وعلقه على نفسه كان له حصنا منعا، وان محاه وشربه دامت صحته وذهب سقمه، وأول الثلث الأخير من ليلة الاثنين يستحب فيه الدعاء أن يقول الإنسان: إلهي بماوارته سرادقات[3] الجلال، من مصون أسماءك، وبديع صفاتك، اسألك بتقديس الكربيين[4] وبهيمنة الصافين، وتسبيح المقربين، ياسبوح، ياسبوح، ياسبوح، ياسبوح، ياسبوح، ياقدوس، ياسبوح، ياقدوس، ياقدوس، ياقدوس، رب الملائكة والروح، يامؤنس الأرواح في البرازخ[5]، ومنور أجزاء المركبات بروح التخصيص وروح

(1) سقط من ط.

(2) سبا2.

(3) السرادقات : جمع السرادق وهو ما احاط بالبناء وفي التنزيل: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ الكهف29. ابن منظور: لسان العرب ج10 ص157.

(4) الكروبيون : المقربون إلى الله من الملائكة. ومنهم: جبرائيل ومكائيل وإسرافيل. المعجم الوسيط ج 2، ص787.

(5) جمع برزخ وهو الحاجز بين شيئين والبرزخ ايضا ما بين البعث والموت فمن مات فقد دخل البرزخ. قال تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ المؤمنون 100.

وفي علم الجغرافية قطعه موصلة بين ارضين، أو أرض ضيقة محصورة بين بحرين. قال تعالى:—

الأسماء، حتى أشرقت أنواره في كل مكون إشراقا ظهر منه وجوده بشهوده، فاعترف لك بك اعتراف عبودية وقهر يامنور الأنوار، نورني بنور يبهر أعين الحاسدين، فتنقبض قواهم مني انقباض عين الخفاش من نور الشمس حتى لا يطيقون مقابلتي، بتأييدك فانت النور، ووصفك النور وكلامك النور، واسمك النور ، وعرشك النور، فاجعل شعري وبشري، وبطني، وظاهري نورا، وكل نعمة منك على نور على نور إنك أنت العلي الكبير، وأنت على كل شيء قدير. هذا الدعاء له تأثير عظيم وهو من النفحات التي من تعرض لها فتح له باب من أبواب القرب فيفهم فيه عن الله تعالى بمخاطبات الخواطر، وإشارات الهواتف أسرار الحكمة الربانية، ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1] وأول الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء يستحب فيه من الدعاء أن يقول: إلهي ما أسرع التكوين بكلماتك وأقرب انفعالاتك بأمرك، أسالك بما أظهرت في العرش من أنوار اسمك بالعلي العظيم]، فانتشت ملائكتك انتشاء مناسبا لتلك الحضرة فكل ملك منهم روح، وكل ذكر من أذكارهم روح، وكل منهم أذهلته عظمة جلالك في أسمائك، فانفعلت ذواتهم بتلك الأذكار فهم ذاكرون من الذهول، وذاهلون من الذكر، فذكرهم من حيث الاسم، أنت أنت ومن حيث الذهول، هو هو، ومن حيث العظمة [أه أه][2]، ومن حيث التجلي، [هاها]، ومن حيث الستر سبحانك سبحانك، ما أعظم سلطانك وأعز مكانك، أحاط علمك، وسبق تقديرك، ونفذت إرادتك، وجهني وجهة مرضية، من تصريف قدرك، في كل فعل بعزم أو فكر ظاهرا وباطنا، فإن حضرتك لا تقبل الغير، ولا غير حتى أصدر إلى أفعال الأكوان ومن فيهن، وأجد الظهور من غير ستر كالمقبل والمدبر مأخوذ عن

=﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ الرحمان 20. المعجم الوسيط ج 1 ص 48.

(1) البقرة 105 .

(2) كذا في جميع الاصول.

وصف اسمه وإرادته، محكوم عن عزم شهوته، مقهور بباطن ما ظهر من طلفك يا ألطف اللطفاء وأرحم الرحماء من دعا بهذا الدعاء إلى طلوع الفجر له من عجائبه أنوار تخرج من فيه لها شعاع يضيء به كل ما حوله فمتى ما علته رعدة ترك الدعاء وسال من حوائج أخراه ودنياه وما يليق بوقته فإذا ارتفع عنه ذلك عاد من لطفك يا ألطف اللطفاء وارحم الرحماء من دعا بهذا الدعاء إلى طلوع الفجر إلى الدعاء ومن كتبه في هذه الساعة وعلقه على نفسه تسارعت إليه الخيرات وتكتب الأسماء المذكورة فيه كقوله انت أنت وما عداها ثلاث، وستون مرة كل اسم منها، وإياك وحمله وأنت جنب والله تعالى ولي التوفيق، واول الثلث الأخير من ليلة الأربعاء يستحب فيه من الأذكار أن يقول، إلهي الهي أسالك باسمك المكنون الذي فضلت به فواضل التفضيل في الوجودين فتفصل كل شيء تفصيلا ظهر في تباينه حكمة العدل فاحتلفت اللغات وظهرت الأسماء وتقابلت الفعال وتنوعت الأنواع وتجنست الأجناس وترتبت الأفلاك فكل فلك يسبحون([1] وبقهر عدلك معتدلون، اقبض على ظل جسمي إليك قبضا يسيرا وابسط على نور عنايتك بسطا يسيرا فانت المصرف المطلق وأنت المصرف المقيد حتى اتلقى عنك بما في سرك معنى من معاني علمك فاتانس به في غرة الدنيا انسا يغنيني عن كل مؤنس ويبقيني مع كل مانوس به من العوالم [أجمهعها][(2)] حتى تتقرب إلى قلبي قوالب الموجودات ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهَا﴾ وبصائرها مضطرة لذلك بسر القهر وكل موجود سري لشهود سر معناه محكما فيك بحكمك الذي لا يرد ولا يدفع إنك تقضي بالحق ولا يقضي عليك ياقاضي بالحق أنت الحق واسمك الحق وفعلك الحق حقق لي الحق من نسبة ما أفهم

---

(1) من قوله تعالى : ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ يس:40.

(2) كذا في جميع الاصول

حتى أعلم ما لم أكن أعلم إنك علام الغيوب، من تمادى على هذا الدعاء إلى طلوع الفجر ألهمه الله تعالى أسباب الخير أجمعها ومن كتبه وعلقه على نفسه ظهر عليه من جميل الصفات وحسن الحالات ما لم يعاهده من نفسه قبل ذلك وأول الثلث الأخير من ليلة الخميس يستحب فيها من الدعاء أن يقول سيدي ما أجمل من تجمل بك وأعز جناب من تعزز بك الفرح والسرور والغبطة والحبور والعطاء والأفضال والأنعام والبسط خزائن من خزائن أسمائك الطيفة مفتاحها باسمك الفتاح وما تولد عنه ومنه خواص أسمائك أسألك بما حوته هذه الخزائن من لذات لا مقياس لها ونعمات لاممائلة لها وانبساطات لا مناسبة لها، وطيب حالات لا مجانسة لها، وأسماء مكنونات سريعة الإجابة بسرعة تجلياتها، أن تملأ وجودي لذة تصرفني في الوجود تصرفا تفني به قصور الاعراض في السكن والحركات فإنه لا مانع لما اعطاه منك ولا معطي لما منعه منك وامر لي من عوالم أسمائك من يشكر كمالك عن تقصيري فتستديم نعمتك علي بذلك الشكر الوفي من العالم الوفي معدودا بكمالك إلى ما لانهاية له في كل شيء بك ابتداؤه وإليك انتهاؤه.

فلا بداية إلا التفهم، ولا نهاية إلا التعلم، ما ألذ سماع الفهم عنك، ياروح الأرواح، وراحة الارتياح، وريحانه قلب المرتاح، ومفتاح كل اسم لا يجود له من جنسه مفتاح، من استدام على هذا الذكر إلى طلوع الفجر رزقه الله من الفرح والسرور ما يخرج به إلى خرق العادة وهو من أذكار المولهين ومن كتبه وعلقه على نفسه ظهر له من عجائب الحفظ والكلاءة ما يرغبه في الدرس والتعليم، وربك ﴿الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[1] وأول الثلث الأخير من ليلة الجمعة يستحب فيها من الأذكار أن يقول: تعالى مجدك تعالى مجدك تعالى قدسك تعالى قدسك تعالى قدرك

(1) سبا 26.

تعالى قدرك تعالى اسمك تعالى اسمك تعالت صفاتك تعالت أفعالك تعالت حضرة جلالك، جلت حضرة كمالك كملت حضرة جمالك يا جميل الأسماء يا جليل الأفعال يا متعالي على كل متعال، كل معراج فإلى بابك العلي انتهاؤه، وكل اسم للصعود فباسمك عروجه وابتداؤه، وتجليت في أسمائك فظهر التجلي في أفعالك، حتى أشرق كل مكنون بإشراق تجليك فكل موجود إنما يوحدك بما ظهر له من تجليك، ويتصرف بسر ما أسررت [به][1] من معرفة أسمائك، ويعرفك بما تعلق بما تعلق به من تعليم علمك فانت رفيع الدرجات، فالكل بك ترتيبه، ومنك تقريبه، أسألك بما حواه هذا الذكر من أسرار علمك، وخصائص اسمك أن ترفع وجودي إلى سماء عدتي بك على معراج من معارج عنايتك واسمك الرفيع فوقي واسمك القوي تحتي واسمك العلي أمامي واسمك الهادي خلفي واسمك الحفيظ عن يميني واسمك المنيع عن شمالي، فلا أزال في حضرة أسمائك مستشرفا على من سواي استشراف الغيب على الشهادة فلا تصل إلى خواص النفوس بتأثير غير ما تبهجني به ولا تنال من انفعالات منالا مني إلا يبسطني وشهب حمايتك ترمي من رامني، رب إسرافيل وعزرائيل وجبريل، لا قوة لي إلا بك، من استدام على هذا الذكر إلى طلوع الفجر ظهر له من عظمة الله وقدرته ما يذهله عن عوالم حسه وعلامة ذلك أن تبدأه صفة إيحاش وارتجاف ولا سيما في الليلة المظلمة ومن علقه على نفسه لا يمر على من يريد ضره إلا انبهرت عيناه عند رؤيته، وأول الثلث الأخير من ليلة السبت يستحب فيه من الأذكار أن يقول: سبحانك إلهي من قاهر ما أقهرك ملأت عظمتك خزائن ما أحاط به علمك وتضائل لكبريائك كل من سبق عليه تقديرك ونفذ قهرك، في كل ماتقدمت فيه إرادتك، أظهرت شدة بطشك للجبال فسكنت، وللبحار فاضطربت، وللنيران فاضرمت، فالذي به سكنت، به

(1) ط.س [فيه] د.م [به]

تحركت، ما أعظم شانك، وأعز سلطانك، وأبدع خفيات أسرارك، إلهي هب لي من قوة اسمك القوي قوة أرزق فيها التمكين حتى لا ينغلق في وجه توجهي إليك من عالم فعل أو قول منك ولا شر إلا وعندي مفتاحه، وكشف عن وقت افتتاحه حتى لا يمتنع مني إجابة دعوة ولا يبعد عني مراد عزم فأنال مقاصدي بنيل الفضل منك كما تفعل ذلك بعبادك الصالحين، سبحان ربي الأعلى، سبحان من أدار الأفلاك بأذكار الأملاك، كما سكن الأرض بأذكار الذاكرين، فالأذكار حاملة للمحمولين، ومسكنة للساكنين، ومتحركة للمتحركين، سبحان من ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] أغثني يا غياث المستغيثين من استدام على هذا الذكر إلى طلوع الفجر ويقول في أثره أغثني يا غياث المستغيثين مائة مرة إلا أغاثه الله بلطائف من اللطف تذهل منه العقول، ومن علقه على نفسه أمن من كل ما يخافه وهو آخر الأذكار والدعاء المذكور، والله تعالى هو المحمود والمشكور، واعلم أن هذه الدعوات المأثورة والأذكار المنثورة وإن كانت غير مرتبة في اللفظ، عسيرة الحفظ، فإنها جليلة في الاعتداد، مركبة من حروف وأعداد، مما يناسب أسمائها وأوقاتها، موقوفة على وفق حروفها وميقاتها، لا يستعملها عبد طائع، له قلب خاشع، وطرف دامع، وبطن جائع، على طهارة عقب صلاة في بيت مظلم على حصير لا شيء عليه جالس على ركبتيه جلوس العبد الذليل مطرق الرأس، بعيدا عن الأصوات والأنفاس، ومعه طيب فائق، وفؤاد تائق، إلا عاين من أسرار الملك والملكوت ما لا يستطاع نشره، ولا يحل أن يباح سره، فاقنع بما فتح الله به عليك من فضله والعق العسل ولا تسل الشهد عن نحله، فقد آتتك بيضاء نقية قد نقلتها أئمة تقية، فهي من الكمال في غاية لا تحيط بها العبارات، ونهاية لا تدركها الإشارات، على أكمل البيان

---

(1) الرحمن 29.

والتحصيل، وعلى الله قصد السبيل نفعنا الله تعالى وإياك بالعلم وأهله، وجعلنا وإياك ممن أيده بالصدق في نقله، حتى حمله على ما يجب في حمله،بمنه وكرمه وفضله، فسبحان من لا تخفى عنه ضمائر القلوب، حتى يفصح له [عنها] بالنطق والبيان ولم تستتر عنه مضمنات الغيوب، حتى يعبر له عنها بحركة اللسان، لكنه انطق الألسن بذكره، مفصحة بحمده وشكره، ليستمر بذلك على أول العبودية وتظهره شواهد اعلام الربوبية، وصلى الله على نبينا محمد الناطق بالحق والشاهد بالصدق، وعلى آله وسلم كثيرا وأنشدوا:

مَنْ مُبَلِّغٌ قَوْمِي عَلَى قُرْبِهِمْ ... وَبُعْدِ اسْمَاعِي عَنِ الْوَاعِظِينَا[1]
هُبُّوا فَقَدْ طَالَتْ بِكُمْ نَوْمَةٌ ... وَانْتَبِهُوا مِنْ رَقْدَةِ الغَافِلِينَا
[حَثُّوا][2] مَطَايَ الْجِدِّ تَزْفُلُ بِكُمْ ... نَاجِينَ فِي النَّاجِينَ اَوْ مُعْذَرِينَا
سَلُوا قِبَابَ الْمُلْكِ عَنْ مَعْشَرٍ ... كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِكُمْ مُبْتَجِينَا
تُخْبِرُكُمْ عَنْ زَمَنٍ لَمْ يَزَلْ ... يَحْدُو بِقَوْمٍ مَضَوا اَجْمَعِينَا
قَدْ صَارَ جِدَّ النَّاسَ فِي بَاطِلٍ ... وَضَرَبُوا فِي غَمْرَةٍ حَائِرِينَا
وَأَطْبَقَ الشَّرُّ عَلَى اَجْمَعِهِمْ ... وَدَقَّ شَخْص الْحَقِّ فِي الْعَالَمِينَا
وَرَكَضُوا فِي الْجَوْرِ رَكْضًا فَمَا ... يَكُفُّهُمْ تَقْوَى حَيَاءٍ وَلَادِينَا
تَسُرُّهُمْ خَضْرَاءُ دُنْيَاهُمْ ... وَآمَنُوا الدَّهْرَ وَبِئْسَ الامِينَا
فَإِنْ تَكُونُوا مِنْ اُنَاسٍ عَقْلٍ ... فَلَيْتَنِي كُنْتُ مِنَ النَّاصِحِينَا
مَعْذِرَةٌ مِنِّي إِلَى حَاضِرٍ ... وَاثَرُ فِي صُحُفِ الْغَابِرِينَا
يَاعَجَبًا مِنْ نَاصِحٍ لَمْ يُطَعْ ... كَمْ حَازِمٍ قَدْ ضَاعَ فِي الْجَاهِلِينَا

(1) من السريع
(2) ط.س.م [حثوا] د [حطوا]



المنهاج الواضح
في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

تأليف أحمد بن ابراهيم الماجري

تحقيق

د. عبد السلام السعيدي

الجزء الثاني



1434هـ / 2013م

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

المنهاج الواضح
في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

المنهاج الواضح

في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

تأليف أحمد بن ابراهيم الماجري

تحقيق

د. عبد السلام السعيدي

الجزء الثاني

1434هـ / 2013م

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الكتاب : المنهاج الواضح

في تحقيق كرامات أبي محمد صالح

تأليف: أحمد بن ابراهيم الماجري

تحقيق : عبد السلام السعيدي

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطبعة الأولى : 1434 هـ/ 2013 م

الإيداع القانوني : 2013MO2092

ردمك : 978-9954-601-21-1

الإخراج الفني والطباعة

دار أبي رقراق للطباعة والنشر

الهاتف : 05 37 20 75 83 - الفاكس : 05 37 20 75 89

البريد الإلكتروني : editionsbouregreg@gmail.com

القطب الثالث

في ذكر كرامات شيخنا رحمه الله المشهورة، وتفاضل علامات ولايته المنشورة

وفيه تمهيد واثنا عشر فصلا.

التمهيد

في ذكر الرؤيا[1] وفضلها ومدلول حقيقتها وأصولها لأنها من مثمرات الحق، ودلالة من أدلة الصدق، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2] قال عليه السلام: «هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو تُرى له»[3] قاله ابن عباس وعمران بن حصين وأبو هريرة وعبد الله ابن عمر وفي لفظ عبد الله بن عمر هي الرؤيا الصالحة وقال ﷺ: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا»[4] فجعل صدق الرؤيا موقوفا

(1) الرؤيا : الرؤيا مصدر لما يراه النائم. وقد وردت في القرآن الكريم بمعان متعددة مثل قوله تعالى: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ الانفال 48. وقوله: ﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ يوسف 43. وقوله: ﴿يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ يوسف5.
ويرى الصوفية أن الرؤى الصادقة، هي علامة من علامات الورع والتقوى. ومن علامات صدق الرؤيا، تكرارها وتواترها، وكذلك أن ترد مطابقة للشريعة. فإن الرؤيا الصادقة هي التي لا تخالف نصا صريحا او سنة مطابقة.

للمزيد راجع: الغزالي: إحياء علوم الدين، م س ج 4، 543.
– الكلاباذي: التعريف لمذهب أهل التصوف، م س 42.
– الشرقاوي، معجم الفاظ الصوفية، م س 154 .
– عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية، م س 116 .

(2) يونس 64.

(3) في سنن ابن ماجة، ج 2، ص: 1283، «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له»

(4) مسلم: راجع صحيح مسلم، كتاب الرؤيا ج 15، ص: 20.

على صدق الحديث فصدق الحديث إمارة دالة على صدق الرؤيا وفي الصحيح واللفظ للبخاري في ما أسنده إلى أبي هريرة قال، قال ﷺ: **«إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»**[1] وفي صحيح مسلم قال ﷺ: **«لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة»**[2] وفي لفظ آخر «ذهبت الرؤيا وبقيت المبشرات»[3] فإذا ثبتت فضيلة الرؤيا فهل يثبت بذلك فضل السبب الموصل إليها وهو النوم فقد اختلف الناس في ذلك فمن ذاهب إلى أنه فضيلة وقد تخاصم رجلان إلى حكيم فقال أحدهما النوم [خير][4] من السهر، لأنه عصمة عن المعاصي، وقال الآخر هو غفلة عن ذكر الله تعالى ومعرفته فقال الحكيم لمن فضل النوم: الموت خير لك من الحياة، وقال للآخر: الحياة خير لك من الموت. وقد كان شاه الكرماني[5] تعود السهر [فغلبه النوم مرة فرآى الحق][6] في النوم. فكان بعد ذلك يتكلف النوم

---

(1) لم يرد في البخاري كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة، إلا الشطر الثاني من هذا الحديث أما عند ابن ماجة فقد ورد نص الحديث في الصيغة التالية: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا، ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزء من النبوة، راجع:
- ابن ماجة، مصدر سابق، كتاب الرؤيا، باب أصدق الناس رؤيا اصدقهم حديثا، ج 2، ص1289.

(2) ورد هذا الحديث عند البخاري ونصه هو: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة: راجع: - ابن حجر: فتح الباري، كتاب التعبير، باب المبشرات، م س ج 12ص 375.

(3) ابن ماجة: مصدر سابق، ج 2، ص: 1283.

(4) س [افضل] ط د م [خير]

(5) شاه الكرماني ابو الفوارس، كان من ابناء الملوك ومن تلامذة ابي تراب النخشبي، وابي عبيدة البسري، قال الشعراني: «كان من أجل الفتيان وعلماء هذه الطريقة وله رسالات مشهورة وهو صاحب المثلثة التي سماها: «مرآة الحكماء» وتوفي قبل الثلاثمائة هجرية، راجع: - السلمي: طبقات الصوفية، م س ص: 192.
- القشيري: الرسالة القشرية / م س ص: 136. - ابو النعيم: حلية الاولياء، م س ج 10، ص237.
- الشعراني: الطبقات الكبرى، م س ج 1، ص: 90.
- ابن الملقن: طبقات الأولياء، م س، ص: 360.

(6) راجع: الهجويري: كشف المحجوب، م س، ص: 350.

فقيل له في ذلك فأنشأ يقول:

رَأَيْـتُ سُـرُورَ قَلْبِي فِي مَنَامِي   فَأَحْبَبْـتُ الْمَنَـامَ وَالنُّعَاسَـا[1]

ففي هذه الرؤية درجة ومزية كريمة. وليس ذلك موجودا في اليقظة. وأفضل درجات أهل الجنة وهو النظر إلى مولاهم. والذي ظهر لي في ذلك أن الإنسان، متى غلب عليه في حالة النوم رؤية الحث سبحانه، والأنبياء عليهم السلام والملائكة والعرش والكرسي وما ناساب ذلك، فينبغي أن يكون النوم في حقه فضيلة، وكرامة وإلا فاليقظة فضيلة في حقه، وقد رأى ابو بكر الأجوري[1] الحق تعالى في المنام، فقال، اسئل حاجتك، فقال اللهم اغفر لعصاة امة [سيدنا ي محمد فقال أنا أولى بهذا منك سل حاجيتك، وقال أبو يزيد رأيت ربي في المنام فقلت كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال، وقيل رأي أحمد بن حضرويه[2] ربه في المنام فقال يارب كم لي أدعوك فلا تستجيب لي فقال يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني، وقال يحيى ابن سعد القطان[3]: رأيت ربي في المنام فقلت يارب كم لي أدعوك فلا تستجيب لي فقال يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك. فإما حقيقة الرؤيا فهي خواطر، ترد على القلب من خيالات تتصور في الوهم. فتارة

(1) هو ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجوري الفقيه الشافي العابد المشهور، له كتاب الاربعين حديثا كان يحدث في بغداد، قبل إقامته في مكة التي توفي بها سنة 360هـ 970م، راجع:
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، م س ج 4، ص/ 292.
- ابن العماد: شذرات الذهب، م، س ج 3 ص: 35.

(2) هو احمد بن حضرويه البلخي ابو حامد، من كبار زهاد خراسان، وتلميذ ابي تراب النخشي وحاتم الاصم، كما كان له اتصال بابي زيد البسطامي وزار ابا حفص الحداء، وتوفي سنة 240هـ 854م: راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية، م س ، ص: 103 .
- القشيري: الرسالة القشرية، م س، ج 1، ص: 103 .
- ابو النعيم: حلية الأولياء/ م س ج 10، ص: 42. الشعراني: الطبقات الكبرى، م س ج 1، ص: 82.
- ابن الملقن: طبقات الاولياء/ م س ، ص: 37.

(3) ترجم له في الفصل الأول من الصدر

تكون من هواجس النفس، وتارة تكون من لمة الشيطان. وتارة تكون من لمة الملك. وتارة تكون تعريفا، وإلهاما من الله تعالى، كما ورد في الحديث: «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**»[1] قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام، فيخطر لهم على سبيل الورود علم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة لأنها، من أجزاء النبوة وتارة في اليقظة. على سبيل كشف المعاني، بمشاهدة الأمثلة. كما يكون في المنام. وهي أعلى الدرجات، لأنها من درجات النبوة، واعلم أن من الشروط اللازمة، والأحكام الجازمة عند علماء الآخرة، وجميع شيوخ المتصوفة المتقدمة منهم والتاخرة، انه متى ورد بعض هذه الواردات في منام أو يقظة عند من يجد ذلك بمخاطبات في الباطن، أو مطالبات ترد على الظاهر بقول كالهواتف، أو إشارات كالإمارات، ان توزن بميزان الشرع، فما كان منها لطلب حق استعمله، وما كان منها لطلب حظ أهمله، لأن إمضاء خاطر الحظ ذنب من ذنوب الأحوال، تجب منه التوبة والاستغفار، كما تجب من ذنوب الأفعال والأقوال، وقد يرد منها ما يجب نفيه متى ورد بفضول المباح، وقد يرد ما يجب اتباعه، وهو ما كان من أسرار المعاملات كفرض أمر به، أو فضل ندب إليه، أو مباح يعود صلاحه عليه، وقد يرد تارة سرور، وتارة بوارد سرور، وتارة بوارد حزن، وتارة بوارد بسط، وتارة بوارد قبض، على قدر منح ومواهب من معط كريم، وجواد حكيم وَ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا

(1) في البخاري: الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان راجع: ـ ابن حجر: فتح الباري، م س ج 12، ص: 373.

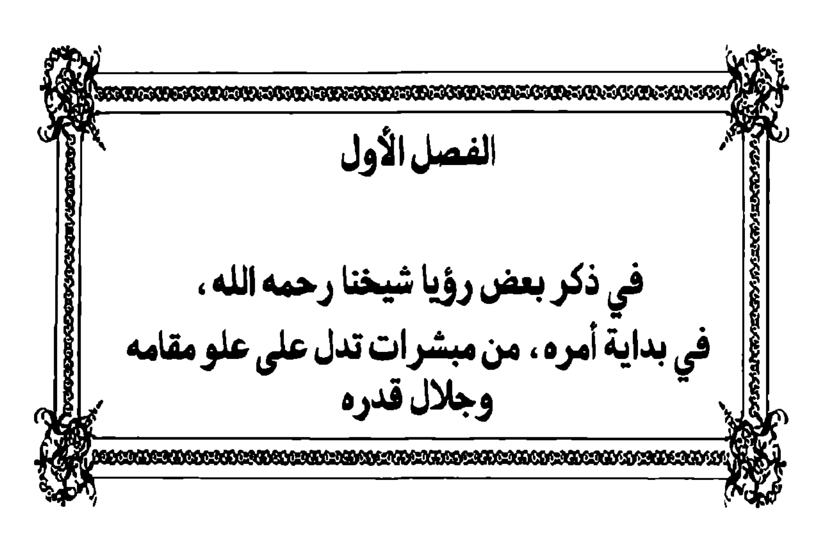
تَمِيكَ لَمَّا ﴾[1] وأنشدوا:

تَكَلَّفْتُ لِلنَّوْمِ أَزْجُرُ الْخَيَالَ   فَمَاذَا عَلَى طَيفِهِمْ لَوْ سَرَى[2]
وَسَاوَمْتُهُمْ فِي شِرَا مُهْجَتِي   فَقَالُوا لِي الْوَقْفُ مَا يُشْتَرَى
إِذَا لَمْ يَزُرْ طَيْفُكُمْ مُهْجَتِي   حَرَامٌ عَلَى مُقْلَتِي الْكَرَى

---

(1) في البخاري: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان» راجع: ابن حجر: فتح الباري، م س ج 12، ص: 373.

(2) من المتقارب



الفصل الأول

في ذكر بعض رؤيا شيخنا رحمه الله، في بداية أمره، من مبشرات تدل على علو مقامه وجلال قدره

فمن ذلك ما حدثني به غير واحد، ممن أدركته من شيوخ تلاميذه، وقد أضربت عن ذكر أسمائهم، لاختلافهم في تحرير ذلك وتقييده، وقد اعتمدت فيما أذكره من ذلك على نقل، ما وجدته في ذلك مسطورا، ورجوت أن يكون المؤلف، قد حرره تحريرا، وقلما يوجد مؤلف، يعتمد تقصيرا، ثم اعتمدت في النقل على نسخة[1] كانت بيد الشيخ الصالح أبي يعقوب بن أبي بكر الصنهاجي الشهير [ببلد] تنكرماط موضع من عمل سجلماسة المحروسة. وقد اجتهد رحمه الله في نسخها وتصحيحها في رباط الشيخ مع من حضر معه من كبار أصحابه وشيوخ أترابه. فمما نقلته من كلام الشيخ رحمه الله في التصنيف المذكور، أنه قال لما قدمت من بلاد المشرق وأخذت في استعمال هذا الطريق، أنكر على ذلك فقهاء الوقت وبدعوى حتى ضاق صدري، وعيل صبري، فدعوت الله تعالى، أن كان ما أنا عليه من هذا الطريق مما يقربني إليه، فييسره على. فرأيت فيما يرى النائم قائلا يقول [الى][2] لا تلتفت إلى هؤلاء الفقهاء المنكرين، ولا تسألهم إلا في مسائل، الفقه فكلهم أرضيون، ما فيهم سماوي ثم عليك برسالة القشيري وحقائق[3] السلمي ومنهاج[4] العابدين: ففيها ما تطلبه وخذ الطريق عن أربابه مثل محمد بن واسع وسفيان الثوري،

---

(1) لم اقف على هذا الكتاب.

(2) سقط من س.

(3) لعله يقصد « حقائق التفسير » ذكره نور الدين شريبة، ضمن الكتب التي الفها السلمي مشيرا إلى عدد نسخه الموجودة في مصر، والمتحف البريطاني، راجع: نور الدين شريبة، مقدمة تحقيق طبقات الصوفية، للسلمي، م س ص: 35.

(4) ذكره محقق طبقات الصوفية، مع ذكر عدد نسخ المخطوطات المحفوظة في خزانة برلين وميونخ، راجع: نور الدين سربية، نفس المرجع، ص:42.

ومالك بن دينار، والجنيد وشقيق[1] وابراهيم والفضيل[2] وغيرهم، فاستخرت الله في ذلك. واستعانته وعالجت منه ما قدر، حتى فتح الله لي بما هو حظي منه، فهذه حكاية، مشهورة، وفضيلة مجهورة، وقد تداولها الجم الغفير، والخلق الكثير، ولقد سمعتها من لفظ الشيخ الفاضل الصالح أبي الربيع سليمان بن ينصارن، وقال سمعته يقول ذلك بهذا المساق المذكور وفيها دلالة على قوة عزمه، وجلادة حزمه، والتأييد في حال البداية، وحفظ الله تعالى له بالتوفيق والهداية، ولقد رزق في هذه الرؤيا، من الثبات في التعليم، ما اوجب لقدره العلي التشريف، والتعظيم، ومتابعته في هديه المستقيم، ولكنه أفرد في بدايته [ليتثني][3] له الأنس في نهايته، ومتى عز المطلوب قل الطالب، ولما عظم مهر الحسناء فقد الخاطب، ولله در القائل:

فَرِيدٌ عَنِ الْخَلاَنِ[4] فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ[5]

ومنها ما نقلته من هذا التاليف، لما عرفت على هذا التاليف انه قال رحمه الله: نمت ليلة في ابتداء أمري فدفعت لي رقعة في النوم فأخذتها

---

(1) شفيق البلخي، ترجم له.

(2) هو ابو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، ولد سنة 105هـ 723م، كان يقطع الطريق في بداية أمره، غير انه تاب وكرس باقي حياته للزهد، فدرس الحديث وروى عن جماعة مثل الأعمش وعبيد الله بن يحيى بن سعيد وروى عنه الثوري وابن مبارك فأصبح له جاه كبير عند الخليفة العباسي هارون الرشيد. ثم انتقل إلى مكة وبها الف كتاب حجاب الأقطار، وتوفي سنة 187هـ 802م، راجع:
- السلمي: طبقات الصوفية، م س، ص: 6.
- ابو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 8، ص:84.
- ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 10، ص: 198.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 2، ص:432.

(3) د.م [ليثني] ط س [ليتسنا]

(4) الخلاق: النصيب187 ومنه قوله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ البقرة: 102 مختار الصحاح م س 187. البيت للمتنبي.

(5) من الطويل

فإذا فيها مكتوب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[1] على الله توكلنا ربنا لا رب غيره رضينا بما قسم الله لنا من الرزق، وما قسم الله لنا من الرزق لا يفوتنا ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2] في هذه الرؤيا من التنبيهات الباهرة، والمعجزات الظاهرة، ما لا يسعه قلب غافل، ولا يفهمه عقل جاهل، مما لا يمنحه إلا سعيد تقي، ولا يجحده إلا غوي شقي، قد انطوت على سر منن أسرار التوحيد، وحوت علما من علوم التسديد، وهو أصل ينبعث منه كل حال علي، ومقام جلي، متى انجلى بنور اليقين عن القلب صدأ الفهم، وأشرق بضياء الحقيقة سراج الوهم، فيستقر به في القلب، ويرسخ في اللب أن الله تعالى لو خلق الخلق جميعا على عقل أعقلهم، وصورهم على كمال أكملهم، ثم منحهم أضعاف ذلك حكمة وعلما، وزادهم في اللطف قوة وحلما، ثم كشف لهم، عن عواقب المصالح، وأمرهم أن يدبروا ذلك بالتدبير الصالح، لما دبروه بأحسن ولا أحكم ولا أتقن ولا أعدل مما هو عليه، ولا أضافوا له من الأحكام العجيبة أكثر مما أضيف إليه، من غير نقصان فيه ولا زيادة، ولا إكمال بتحسين ولا إجادة، ولا عدلوا في القسمة عن قسمة ما قسمه من الرزق والأجل، ولا صدروا عن تقدير ما قدره وقضاه في القول والعمل، بل جرى جميع ذلك عدلا لا جور فيه، وحقا صادقا لا عقل ينافيه، محكم بحكمة حكيم عليم، ومقدر بقدرة قدير عظيم، ومبدع بإبداع متفضل كريم، لم يبخل عليهم بشيء يستحقونه، من كل ما قسم لهم حورا[3] كان أو كورا، ومن أصلح المصالح المدبرة، أن جعل لكل شيء قدرا، فهذا من أسرار القدر الذي لا يطلع عليه إلا العالمون

---

(1) الفاتحة.

(2) التغابن 13.

(3) حار الشيء نقص ويقال حار بعد ما كار: نقص بعد ما زاد وأعوذ بالله من الحور بعد الكور: المعجم الوسيط م سج 204.

العاملون، ولا يدركه بالتوفيق [والهداية][1] إلا المقربون الواصلون، فيثمر لكل سعيد من التوكل، والرضا ما تطمئن به نفسه، عند مجاري القضاء. وهي الحالة التي فضل بها شيخنا رحمه الله، ومنح بها وخص بالندب إليها، ولم يفارقها، حتى قبض عليها، ألحقنا الله تعالى بهديه وسننه، ولا خالف بنا عن طريقته، في الحياة والممات، بفضله ومننه.

وأنشدوا:

قَلْبِي عَلَى حُبِّكَ المَقْصُودُ مَوْقُوفُ ... وَالْعَيْنُ [عِبَرِي][2] وَالدَّمْعُ مَذْرُوفُ[3]

إنْ كُنْتَ [بِالْحُسْنِ][4] قَدْ وَصَفْتَ لَنَا ... فَإِنَّنِي بِالرَّجَاءِ فِيكَ مَوْصُوفُ

يَاحَسْرَتِي حَسْرَةً أَمُوتُ بِهَا ... إنْ لَمْ يَكُنْ لِي لَدَيْكَ حَظٌّ مَعْرُوفُ

ومما نقلته مما قد ذكرته من التاليف، وأودعته مقررا في صحف هذا التصنيف، انه قال رحمه الله نمت ليلة في ابتداء أمري. فقيل لي في النوم خزائن الأرزاق، في جميع الآفاق، بيد الرزاق ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ﴾[5] هذه الرؤيا من التحريض على [التسليم][6]، وآداب التعليم، [برهان][7] التكريم، ما اوجب له التوقير والتعظيم، ويشهد له عند الاعتبار بصدق الولاية ويعترف له بقوة الحفظ و[الكلاية][8]، وفيها تسكين للنفس عند الحزن والاغتباط، حالتي القبض والانبساط، وهي من رؤياه الفاضلة، ومن عجائبه الكاملة، وكراماته الجليلة، وحالاته الجميلة، قد انطوت مع علم التوحيد، على تعليم التوكل والتزهيد، بطلب السكون في الباطن،

(1) سقط من ط.
(2) ط س [عبر] د م [عبراء]. والعين عبراي: اي جرى دمعها، مختار الصحاح، م س 408.
(3) من المنسرح
(4) ط س [بالحسن] م [في الحسن].
(5) البقرة 115.
(6) م بالبشاشة] ط س د [التسليم]
(7) م [بركان] ط س د [برهان]
(8) ط س د [الكلاية] م [الكلاءة]

بقطع النظر عما سوى الرزاق، في جميع أسباب الأرزاق، وطلب السكون في الظاهر بقطع النظر عن ملاحظة حركات الآفاق، ليكون في حضرة القرب حاضرا مراقبا، وشاهدا لمنح المواهب لا غائبا، فهذه درجة عظيمة، وصفة كريمة، قد ندب إليها في أول بدايته، فناهيك بمواهب الله [له][1] في نهايته، وانشدوا:

فَأَصْبَحَتْ مَوْلَاهَا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ   وَاحْظَى وَلِيّاً أَنْ يَهَابَ وَيَكْبُرَا[2]

ومنها، ما نقلته من التاليف المذكور ولم أزل أسمعه من الفقراء مذكورا أنه قال رحمه الله: مكثت مدة في ابتداء أمري مقتصرا فيها على ثمان أواق من الطعام ثم عزم على ترك ذلك. فرأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لي: من أكل أكثر من ثمان أواق[3] من الطعام، فإنه يصلي إلى غير القبلة، في هذه الرؤيا حكمة عظيمة ومنحة كريمة وفي طيها، سر من أسرار الملاحظة وتأييد بالكلاية، وتمام المحافظة، وهي من الأسرار التي ترد مترجمة بظاهر اللفظ، على وجه الاستعارة والرمز توغلا في الحفظ وتسددا في الحرز[4] وفائدتها التمكن بالوقوع في القلب، بواسطة البحث عن جواهر اللب. والرمز متى اشتد خفاؤه، وبلغ أشده في التستر وحان استواؤه، ظهر خالصه وصفاؤه، وهو من اختيار البواطن تفضلا منه تعالى ومننا، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾[5] فسماع القول من حيث الفهم، على قدر المعرفة، بالكلام والمعرفة بالكلام، على قدر المعرفة بالمتكلم، ووجوه الفهم لا تنحصر اتساعا، وكذلك معاني الكلام. لا تنحصر اختراعا، وإنما يفتح لكل قلب بقدر ما يرزق من

(1) سقط من س.

(2) من الطويل.

(3) ذكر الأستاذ المنوني أن يعقوب المنصور بن عبد الحق المريني حدد الأوقية بمقدر تسعة وستين درهما من الدراهم. راجع: ورقات الحضارة المغربية، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطابع الأطلس 104.

(4) من حرز حرزا اشتد ورعه. والحرز الوعاء الحصين يحفظ فيه الشيء. المعجم الوسيط م س ج 1 ص 166.

(5) الأنفال: 17.

نور الهداية، وتوفيق العناية وتصديق الولاية، وقد يحتمل أن يكون من بعض أسرار، ما خوطب به في منامه، ويلحظ على وجه الظاهر، من تاويل ما رمز له في كلامه، أن القبلة هي الجهة وسميت قبلة لأن المصلي يقابلها وتقابله، وكان رحمه الله قد استقبل وجهة مخصوصة، بالتوفيق وقد أبلغته إلى كعبة التحقيق، وأنزلته في حرم التصديق، فعندما وقعت من نفسه التفاتة بطبعها إلى انحصارها، وهمت بالركون إلى سعة من شدة قبضها واقتصارها، خوطب بلفظ الصلاة التي هي صلة الوصول، ووسيلة الحصول، ونسبه في ذلك على أنه متى رجع عما كان [استقبله][1] إلى ما خلفه، وعطف على ما تركه، رغبة عما أسلفه طالبا لراحة النفس ركونا إليها كان كمن تحول في صلاته عن قبلته التي كان عليها وفي هذه المخاطبة إشارة إلى أن هذا الفعل كان منه مرادا محبوبا، وحقا لازما مطلوبا مندوبا لاستغراق لفظ الصلاة. فهذا من صنع الله تعالى بأوليائه، وخاصة أصفيائه، ينبههم مع ما ستر عليهم من صحة أحوالهم، ويوقظهم مع ما حجب عنهم من رؤية أعمالهم، ليقع اجتهادهم حقا من حقوق الربوية، وسمة ظاهرة من سمة العبودية، غير معلول بعلة الطمع، ولا مشوب بشوائب الهوى المتبع، فيفهمون في مخاطباتهم ما يلهمون إليه مما لا يفقهه إلا العاملون، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ولله در القائل:

لَعَمْرِي مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهُ ... سِوَانَا حِذَاراً أَنْ تَذَاعَ السَّرَائِرُ

وَلاَ لاَحَظَتْهُ مُقْلَتَايَ بِنَظْرَةٍ ... فَتَشْهَدُ نَجْوَاهَا الْعُيُونُ النَّوَاظِرُ

وَلَكِنْ جَعَلْتُ الْوَهْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... رَسُولاً لِكُلِّ مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ

ومنا ما حدثني به غير واحد ممن أدركته من فضلاء عصره، وشيوخ مصره، ولم أتبع في النقل، إلا ما وجدته مقيدا في التاليف المذكور،

(1) م [مستقبلة] ط س د ل [استقبله]

والتصنيف المشهور، قال رحمه : نمت ليلة في بداية أمري فرأيت في المنام قائلا يقول لي قم يا صالح واطرح ما عليك لله فقمت وأسبغت الوضوء وصليت ركعتين واستخرت الله في ذلك، ثم نمت فقيل لي إنما تطلب الخير فيما تجهل عواقبه، فقلت وما أستر به نفسي فقيل لي الأديم الذي تحت جنبك وكان تحت جنبي أديم جراب قد شققته ليحول بيني وبين برد الأرض فأخذته وتحزمت به وخلعت ما على وطرحته بين يدي فكلمتني أهلي وقالت: ياصالح هل سمعت ما قد سمعته؟ فقلت وما الذي سمعت؟ قالت سمعت قائلا يقول: بالصبر والقناعة والسخاء يدرك ما عند الله تعالى، ثم لمستني فقالت: وأين لباسك؟ فاعلمتها بما رأيت، فقامت حينئذ وخلعت ما عليها واستترت بشق غرارة خلق كانت تحت جنبها فلما أصبحت أرسلت إلى الفقراء فباعوا تلك الثياب واشتروا بثمنها بقرة صفراء ودقيقا وعسلا فذبحوا البقرة وكانت أول بقرة ذبحت للفقراء بالرباط بسببي فلم تزل البقر تذبح بعدها إلى هلم جرا. هذه رؤيا صحيحة في طيها حكمة ونصيحة تدل على صدق الولاية، وتحقيق العناية، وقوة العزم، وشدة الحزم، وكثرة الفهم، واتساع العلم، حسبما زرقا في هذه الرؤيا بما خصه الله تعالى به من الفضل والمنة، باستعماله مندوبات السنة من الطهارة والصلاة والاستخارة، قارعا بذلك باب الإذن والاستشارة حتى تحقق بذلك صدق رؤياه، واختبر بمحك الشرع صحة ما رأياه، وقد قال عليه السلام **«من هم بأمر فشاور فيه وفّقه الله لرشده»**[1] فوقع منه التردد استئذانا ومشاورة وانتظارا لما يرد عليه وحيا أو إشارة. قال أحمد ابن حنبل: كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت خبر رسول الله ﷺ **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا**

(1) عند ابن ماجة في السنن، كتاب الادب، ج 2، 1233، نقرا حديثا في نفس المعنى: «إذا استشار احدكم اخاه فليستشر عليه»

يدخل الحمام إلا بمئزر»[1] فلم أتجرد، فرأيت في تلك الليلة في المنام قائلا يقول لي: ابشر يا أحمد فإن الله قد غفر لك باستعمال السنة فقلت من أنت؟ فقال: جبريل وقد جعلك إماما يقتدى بك. وقد اختلف قول المشايخ في هذه الواردات متى وردت أيهما يتبع فقال الجنيد: الأول، لأنه إذا بقي رجع صاحبها إلى التأمل بشروط العلم. وقال عطاء: الثاني أولى لأنه زاد قوة بالأول فلأجل هذا تردد شيخنا رحمه الله فلما أذن له ثانيا في اقتحام الفعل الذي ندب إليه بالأمر، لم يمنعه ما هو فيه من القلة والفقر عن السهر باقتحامه إلى درجات اليقين والصبر، قال سهل بن عبد الله لا يتمكن العبد من العبادة حتى لا يجزع من أربعة أشياء: الجوع، والعري، والفقر، والذل. وقال أيضا لا يصلح تعبد العبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم ولا أثر الوجود في الغنى ولله در القائل:

وَشَاهد وَعْد اللهِ عَيْنَ يَقِينِهِ ... فَلاَ وَفْرَفِي أمْنٍ وَلاَ خَوْفَ فِي فَقْرِ[2]

فلما بادر إلى ما أمر به بطرح كل ما كان عليه اجتباه، ربه فجعله من الصالحين، وتقبل فعله فكان مثبوتا في الرباحين، ورفع ذكره فارتع في [أسماع][3] السارحين والرائحين، فإن قلت كيف استعمل الشيخ رحمه الله مع قوة علمه، وسعة فهمه، ما يخالف ظاهر الشريعة وهو من الطرق المذمومة الشنيعة، لما تحتمله الرؤيا من تلاعب الشيطان، في أضغاث الوسنان[4]، وكثيرا ما يتمثل للأولياء، ويأتيهم من باب البر وطريق الخير. فإن كان في تلك الرؤيا من الندب إلى السخاء والزهد والصبر على شدة

(1) النسائي، راجع: سنن النسائي كتاب الغسل باب الرخصة في دخول الحمام، ج 1، ص:198.

(2) من الطويل

(3) م [اسماء] ط س د [اسماع].

(4) الوسنان: الوسن والسنة النعاس وقد وسن الرجل يسن وسنا فهو وسنان، وقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ البقرة 254. المختار الصحاح م س 722.

الفقر والجهد، ففيها من الإسراف والتبذير ما يؤدي بصاحبه إلى التحوج والتقتير. وهو فعل مذموم منهي عنه، وتركه أفضل منه، قلت قد تمسك رحمه الله بأفعال الزاهدين، وسلك طريق العابدين، لوثوقه بضمان مولاه ونيته خالصة داخل بفعله في مدح ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] وله في ذلك إسوة حسنة، وطريقة مشروعة وسنة، وهي مبادرة الخليل عليه السلام إلى ذبح ولده تصديقا لما أمر به في رؤياه، وتحقيقا منه لصحة ما رآه، لا يقال إن الرؤيا في حقه عليه السلام كانت وحيا حينئذ وقد كان بعض الأنبياء يوحي إليهم منا ما يومئذ، لأنا نقول لو كانت وحيا لما عبر عنها بالمنام والرؤيا في قوله تعالى: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾[2] معناه اعتقدت صدق الرؤيا فبادرت إلى فعل ما أمرت به قاله أهل التأويل[3] فكان ابتلاؤه عليه السلام بذلك اختبارا، ومبادرته لما أمر به اختيارا، لتعجب الملائكة من قوة صبره مع صدق ولده عليه السلام في حال صغره فتدبروا ما في القدرة والعلم من الحكمة واللطف بالتمييز لما بين القوة والضعف فالقوي مأمور بذبح الولد ولم يؤثر ذلك في أحواله والضعيف مأمور بخلع ما هو نسبة لشكله وأمثاله طلبا لتشريع الاقتداء وتحريضا على سبيل الاهتداء، فلا حرج في فعله عليه السلام، ولا في فعل من اتبعه لقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾[4] وأما الطريقة المشروعة، والسنة المتبوعة، فقد ورد أن ثابت ابن قيس[5] لما استشهد رآه رجل من بعد

(1) الحشر 9

(2) الصافات 104، 105.

(3) القرطبي: راجع : الجامع لاحكام القرآن، سورة الصافات، ج 15، ص: 102.

(4) الممتحنة 4.

(5) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الانصاري كان خطيب الانصار، وخطيب الرسول شهد احدا وما بعدها روى عنه انس بن مالك، واستشهد يوم اليمامة في خلافة ابي بكر، راجع:

– ابن عبد البر: مصدر سابق، ج 1، ص195.

– ابن الأثير: مصدر سابق، ج 1، ص:274.

موته، في المنام فقال له: اعلم أن فلانا رجل من المسلمين، نزع درعي فذهب بها، وهي في ناحية من العسكر، وعنده فرس يستن وعلي درعي برمة فأت خالد بن الوليد فأعلمه حتى يسترد درعي وليأت أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ ويقل له إن علي دينا حتى يقضيه عني وأن فلانا من عبيدي عتيق. فأخبر خالد أبا بكر رضي الله عنهما بتلك الرؤيا فقضى دينه وأجاز وصيته. قال مالك(رحمه الله)[1] لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه »[2] ولما واخى رسول الله ﷺ، بين مصعب وبين عوف بن مالك[3] قال أحدهما لصاحبه من مات منا يتراءى له الآخر فمات مصعب قبل عوف، فرآه في منامه فقال: كيف أنت يا أخي؟ فقال بخير، فقال له ما صنعت؟ فقال: غفر لنا يوم دعونا الله تعالى عند حانوت فلان ولم يكن في أهلي (مصيبة)[4] إلا لحقني أجرها حتى هرة ماتت منذ ثلاثة أيام وابنتي تموت إلى ستة أيام، وإذا بحلقة سوداء في عنقه مطوق بها فقال ما هذه الحلقة [دين] [5] على دنينيرات أخذتها من فلان اليهودي جاري، وهي بخاتمها في قرن معلق فخذها، وادفعها له. فلما قص عوف ذلك على أهله، وجدوا ذلك كله حقا فدفعوا إلى اليهودي دنانيره. وجه الاستدلال بكل ما ذكرناه وجملة ما أوردناه خروج المال عن المالك برؤية منام، وأضغاث أحلام، كما قدرتموه وزعمتموه. وقد أنفذت تلك الوصايا، وأجيزت تلك العطايا من غير تردد ولا ريب ولا

= – ابن حجر: الإصابة، م س ج 1، ص:195.

(1) [رحمه الله] س د م [رحمه الله]

(2) عن هذه القصة انظر الإصابة، لابن حجر، م س ج 1، ص: 274.

(3) هو عوف بن مالك الاشجعي ابو عبد الرحمن، شهد خيبر وسكن الشام، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه ابو هريرة والمقدام وابو ايوب النصاري وغيرهم، وتوفي سنة 73هـ 692م.

– ابن الاثير: مصدر سابق، ج 4، ص: 12.

– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س : 8، ص:168.

(4) م [معيبة] ط س د [مصيبة].

(5) سقط من م

إنكار ولا عتب، ولو استقصينا، ما ورد في ذلك من حكايات الصالحين، والتابعين لعجزنا، فيه عن الحصر والعد، ولخرجنا في الاختصار عن الحد، والزيادة على هذا خروج في الاختصار عن الغرض المقصود، والله تعالى هو المشكور والمحمود، وانشدوا:

يَقُولُ صَحْبِي اتَرَى اثَرَهُمْ ... نَعَمْ وَلَكِنْ لاَ رَأْيَ القَطِينَا[1]

لَوْ لَمْ تَجِدْ رُبُوعَهُمْ كَوَجْدِنَا ... لِلْبَيْنِ لَمْ تُبْلَ كَمَا بُلِينَا

اكُلَّمَا لاَحَ لِعَيْنِي بَارِقٌ ... [(مكي[2])] أَبْدَتْ سِرِّي الْمَصُونَا

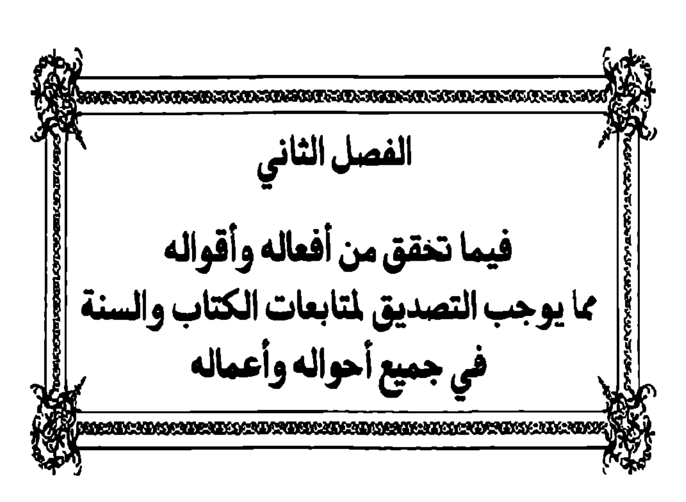
لاَ تَاخُذُوا قَلْبِي بِذَنْبِ مُقْلَتِي ... وَعَذِّبُوا الخَائِنَ لاَ الأَمِينَا[3]

---

(1) القطين: قطن المكان اقام به وتوطنه نهو قاطن والجمع قطان وقاطنة وقطين. مختار الصحاح م س 544.

(2) كذا في كل الاصول.

(3) من الرجز



الفصل الثاني

فيما تحقق من أفعاله وأقواله
مما يوجب التصديق لمتابعات الكتاب والسنة
في جميع أحواله وأعماله

فمن ذلك ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الواحد ابن يا جريان الجلاوي[1] قال: سمعت الفاضل الفقيه أبا علي تاليت ابن علي ابن صالح بن عبد الرحمن بن إسماعيل الصودي[2] يقول: سمعت إبراهيم ابن أحمد بن أبي محمد صالح يقول: وقد سئل عن القصر في الصلاة في السفر، أهو أفضل من الإتمام؟ فقال: نعم. فقالوا لأي شيء كان الشيخ رحمه يأمرنا. عند توجهنا إلى الحج بالإتمام. وهو سفر طويل وفيه مشقة فقال: كان جدي رحمه الله رجلا عالما لا يصح عنه هذا النقل، ولئن صح عنه ذلك فإنما راعى مقالة بعض فقهاء المغرب أن سفر [الحجاج][3] من المغرب معصية، لعدم شروط الاستطاعة فراعى هذا القول، على أن العاصي لا يرخص له. والقصر رخصة على بعض الأقوال فأمر بالإتمام لوجود الخلاف في ذلك ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو الربيع سليمان بن ينصارن رحمه الله قال، كنا في بداية أمرنا، عند عقد توبتنا على الشيخ رحمه الله، لحقنا فتور في أورادنا، من أشغالنا، ونحن إذ ذلك قلة فاجتمع رأينا على أن نرتبط ونلتزم، على كل من فاته الحزب منا أو صلاة الجماعة حقا يؤديه لنا طوعا أو كرها، لعل ذلك يوجب اجتهادنا على محافظة أورادنا، ثم أوقفنا ذلك على مشورة الشيخ رحمه الله فلما قدمنا عليه، وأعلمناه بحالنا وما شرطناه على أنفسنا، منعنا من فعل ذلك، ولم نجد فيه عنده رخصة، وقال لنا:

---

(1) ترجم له

(2) الصودي: قال الاستاذ احمد التوفيق: الصودي بنطق الصاد زايا واصله او زوض والقبيلة التي ينسب إليها من قبائل المصامدة، مازالت تحتل جزءا من المنطقة التي كانت فيها، وتسمي مزوضة، راجع: إحالة رقم 417 من تحقيق التشوف، ص: 194.

(3) ط. س [الحجاز] د م [الحجاج].

يا أولادي لا يحل أكل مال المسلم إلا بطيب من نفسه، قال فتركنا ذلك فالقى الله تعالى ببركة كلام الشيخ في قلوبنا، الاجتهاد حتى كان مسجدنا أكثر المساجد جمعا وجماعة وأفضلهم ملازمة ومحافظة، هذه حكاية صحيحة النقل، قد حوت فوائد متى اعتبرت بالعقل، فمنها ما يأخذه الفقراء من الفقير متى وقعت منه زلة، أودعته إلى إهمال آداب الطريق غفلة، ثم استغفر وتاب، وندم على ما وقع منه وأناب، وقد اصطلحوا عليه وسموه شكرا فهو جائز متى وقع على ما أذكره ولا أنكره واري جوازه والله أعلم من الشريعة، ما ورد من أقوال المفسرين، في قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1] فسبب نزول هذه الآية، أن أقواما تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد وطلبوا الاعتذار من رسول ﷺ وأن يطلقهم فابى عليهم حتى يؤمر بذلك فنزل فيهم قوله تعالى ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[2] فارسل إليهم عليه السلام فأطلقهم وأعذر إليهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك تصدق بها عنا وطهرنا بها واستغفر لنا فقال عليه السلام : ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئا[3] فنزل قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[4] قال ابن عباس كانوا عشرة رهط سبعة قد ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وتخلف منهم ثلاثة دون ربط قال

(1) سورة التوبة ص: 103.
(2) سورة التوبة ص: 102.
(3) ابن العربي: راجع: احكام القرآن، م س ج 2، ص:1009.
(4) سورة التوبة 103.

زيد بن أسلم[1] منهم كردم[2] وأبو قيس وأبو لبابة[3] وقال قتادة: وفيهم الحر بن قيس وأما الثلاثة ففيهم كعب بن مالك وهلال ابن أمية الواقفي، ومرارة بن الربيع العامري قال ابن عباس فأخذ عليه السلام ثلث أموالهم مراعاة لما في الآية من التبعيض[4] فكان ذلك كفارة للذنوب، التي أصابوها قاله الحسن وقتادة[5] فهذا على جواز ما ذكرنا من أخذ الشكر من التائب، إذا أعطاه بطيب من نفسه. وهذا كله من الذنب الشرعي إذا كان على وجه التعمد، دون الخطأ وأما ما اعتاده الفقراء في زماننا من أخذ ذلك كرها. من صاحبه فلا خفاء في تحريمه، ويفهم من فعل النبي عليه السلام في أخذ ثلث المال، مع خروجهم عنه أنه القدر الذي يجوز للفقراء أخذه وان تبرع الفقير بنصف ماله، أو كله فلا باس أن يرد إليه ويؤخذ منه ثلثه تبركا باتباع السنة، ولقد عاينت فقراء عصرنا متى تاب الفقير واستغفر عن ذنب أصابه وليس له ما يستر به عورته، أو ثياب ضرورته لدفع حره أو برده ينتزعون ذلك قهرا، وتباع ويمد بها سماطا ويأكلونه ويفي الفقير بينهم عريانا، وربما ألجأوه إلى أن يسأل ولم يكن ذلك منه عادة

---

(1) زيد بن أسلم العدوي ابو اسامة، ويقال ابو عبد الله المدني مولى عمر، روى عن ابيه وابن عمر وابي هريرة وعائشة، وعنه جماعة منهم عبيد الله بن عمر وابن جريج ومحمد جعفر، وكان فقيها ثقة عالما بالتفسير وتوفي سنة 133هـ 799م، راجع:
- الدارقطني: ذكر اسماء التابعين، م س ج 3، ص:139.
- ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج ص: 391.
- ابن القيسراني: الجمع بين رجال الصحيحين م س ج 1 ص: 144.

(2) كردم بن سفيان الثقفي روت عنه ابنته وعبد الله بن عمرو بن العاص، راجع: ابن الاثير: اسد الغابة، ج 4.

(3) ابو لبانة رفاعة بن عبد المنذر استخلفه الرسول على المدينة عند خروجه إلى بدر وشهد العقبة، وكان من جملة من تخلف عن غزوة تبوك فربط نفسه.
ورد عند ابي الاثير: «فجاء النبي ﷺ وحله بيده» بعد ان نزلت فيه وفي باقي اصحابه: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية : وتوفي ابو لبانة في خلافة علي راجع: ابن الاثير: مصدر سابق، ج 5 ص: 2650.

(4) السيوطي راجع: لباب النقول في اسباب النزول 157.

(5) البغوي: راجع معالم التنزيل، هامش الخازن، م س ج ص: 143.

ويعلمونه بذلك الإلحاح في السؤال والتبرم وأكل الغصب، وهذا كله مخالف لطريق شيخنا رحمه الله، بل هو مخالف لأصل الشريعة، لا ينبغي لمتورع ولا لشرعي الحضور عليه فكيف استعماله فمن تمسك من الفقراء بهذا الأصل، وقاس عليه كل فعل من عير جامع بينهما ومن غير فرق ولا فصل، فقياسه ساقط عند الانتقاد، واجتهاده غلط في الاعتقاد، قال أبو بكر بن العربي في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[1] (نهى الله تعالى أن يؤخذ من أحد ماله على وجه لا يجوز شرعا كالتعدي، والتسبب إليه مما لا يحله الشرع، ولا يجوز ذلك وأن طابت به نفسه)[2] والله تعالى يعصمنا وإياهم من جميع المهالك، ويسلك بنا أوضح الطريق وأنهج المسالك، بمنه وكرمه، وأما مهاجرة الشيخ للفقير على ما يعتريه من الأوزار، وما يتصف به من أفعال الأشرار، فله في الشريعة دليل ؛ وهو ما ورد من فعل النبي ﷺ بثلاثة الذين خلفوا وقد تقدم ذكرهم وأسماؤهم وكلهم من أهل بدر فهجرهم ﷺ خمسين يوما ونهى الناس عن مكالمتهم ومجالستهم وأمر نساءهم باعتزالهم حتى شفهم القلق وضاقت عليهم الأرض بما رحبت قال كعب بن مالك الساعدي لما مضت خمسون ليلة من حين هجرنا رسول الله ﷺ ونهى الناس عن كلامنا صليت الفجر على ظهر بيت لنا ثم جلست وأنا كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[3] إذ سمعت النداء من ذروة سلع[4] أبشر يا كعب بن مالك فخررت لله تعالى ساجدا. وعلمت أن الله تعالى قد أتى بالفرج. ثم جاء رجل يركض فرسا له فبشرني، فأعطيته ثوبيَّ، بشارة، ولبست

---

(1) سورة البقرة 188.

(2) ابن العربي: راجع: احكام القرآن تفسير سورة البقرة م س ج 1 ص:97.

(3) سورة التوبة 25.

(4) سلع: جبل متصل بالمدينة المنورة. راجع: الروض المعطارم س 318.

ثوبين آخرين، فانطلقت حتى أتيت النبي ﷺ وهو قاعد في المسجد وحوله المسلمون، فسلمت عليه ووجهه يستنير كاستنارة القمر، **فقال أبشر يا كعب بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك، فقل يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك؟ فقال بل من عند الله ثم تلا** ﷺ : ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾[1] إلى آخر الآية- **فقلت يا رسول الله إن من توبتي ألاّ أحدث الأصدقاء وأن أنخلع من مالي كله فقال له أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت يا رسول الله إني أمسك سهمي الذي بخيبر**[2] ففي هذا دليل على جواز مهاجرة من هاجره الشيخ رحمه الله. وإن طالت مدته وإباحة ما يخرجه التائب من ماله بعد التوبة على وجه التبرع. وقد ورد في قول ابن عباس نوع من هذا وهو قوله من أحدث حدثا ثم استجار بالبيت فهو أمان له وهذا في قوله تعالى ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[3] قال وإن الأمر في الإسلام على ما كان في الجاهلية، ولم يزد الإسلام البيت إلا تعظيما وتشريفا، ألا يجب على المسلمين ألا يبايعوه ولا يكلموه ولا يؤووه حتى يتبرم ويخرج من الحرم فيقام عليه الحد[4] وقاله عبيد بن عمير[5] والشعبي وعطاء والسدي وغيرهم فهذا أيضا دليل على جواز، المهاجرة للفقير المذنب وفيه شرط أن يكون ذلك المذنب مما يتعلق بحق المعبود وأما إن كان للشيخ فيه هوى كما إذا قلل[6] معه الأدب أو أمره بماله فيه

---

(1) سورة التوبة 117

(2) ابن الأثير: راجع: أسد الغابة، م س ج 4 ص: 189.

(3) آل عمران 97.

(4) الطبري: راجع جامع البيان، م س ج 4 ص: 9

(5) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم، قاضي أهل مكة، وهو من كبار التابعين الثقات توفي سنة 68هـ 687م راجع: – العجلي: تاريخ الثقات، م س ص: 321. – الدارقطني: ذكر أسماء التابعين، م س ج 1، ص 258.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج 7، ص: 71.

(6) قلل: الشيء: جعله قليلا وفي التنزيل: (ويقللكم في أعينهم) راجع: المعجم الوسيط، ج2 ص 762.

منفعة فخالفه فهذا هو الهوى المتبع فلا ينبغي ذلك فهذا القدر كاف، لكل قلب صاف، وانشدوا:

فَلَوْ كُنَّا إِذَا مُتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ ٱلْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيٍّ[1]
وَلَكِنَّا إِذَا مُتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

ومنها ما حدثني به الحاج الفاضل المتبعد ويسعدن[2] بن الحاج الفاضل أبي زكريا يحيى الصنهاجي الملقب بلفظ أعبون قال سمعت والدي يحيى يقول: سمعت الشيخ أبا محمد رحمه الله يقول: هي وصية قد أوصانا بها: اتركوا ثلاثة أشياء مخافة من الوقوع في ثلاثة أخر فقلنا وما هي قال اتركوا شراب الرُّبّ[3] مخافة أن يجركم شرابه إلى شرب الخمر واتركوا الاشتغال بصنعة الكيمياء[4]، لأنها توقع في الغش، والتدليس وإياكم ومجالسة العجائز، فإنها تستدعيكم إلى مجالسة الصغار منهن قلت هذه وصية جليلة تدعو إلى التمسك بالشريعة، ووسيلة تبلغ إلى الطريقة الرفيعة، مبنية على مذهب مالك رحمه الله في سد الذريعة، يعرف بيان حقيقتها عند بيان فصولها، ويعلم صحة قواعدها عند الوقوف على أصولها، حتى يشهد لها بالاستقامة والصواب، ويعقل متابعتها للسنة والكتاب، فمن الدليل على الجملة في سد الذرائع، والاحتماء عن الوقوع في الموانع، إذ هو عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه محتمي بتركه عن الوقوع في محظور من جنسه قوله

(1) من الوافر.

(2) نسبة إلى قبيلة يسعدن وهي اسعد بناحية تارودانت

(3) الرب: الطل الخاثر، وقيل: هو دبس كل ثمرة، وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ، والجمع الربوب والرباب ومنه سقاء مربوب إذا ربيته اي جعلت فيه الرب وارتب العنب إذا طبخ حتى يكون ربا يؤتدمُ به راجع:

– ابن منظور: لسان العرب، م س ج 1 ص 405

(4) يبدو ان الكيمياء في هذه الفترة كانت مشوبة بشعوذة السحر، وظل صوفية المغرب يحذرون من استعمالها، ويكرهون المشتغلين بها، وهو ما تؤكده إشارة ابن تجلات في الإثمد، راجع ذلك في النص المحقق، ص 208

تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾[2] وقوله ﷺ: «الراعي حول الحمي يوشك أن يقع فيه»[3] وقوله ﷺ «لا يكون الرجل من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس»[4] فهذه نصوص ظاهرة على وجه الندب، إلى ترك هذه الأشياء، وإن كانت مباحة لما تؤول إليه فمتى اعتبرت ما في هذه الوصية، من الفوائد في الغالب، انحصرت من غير مشاحة في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

شراب الدبس[5]، وهو المسمى عندنا بالرب، من كلام شيخنا رحمه الله، أنه توقف في جواز شرابه فلأجل ذلك ندب الفقراء إلى تركه وتوقفه رحمه الله يحتمل أن يكون مراعاة لاختلاف أقوال العلماء في جواز شربه، واختلافهم في نفي السكر عن كثيره، ولا سيما ما ذكره الزمخشري في تفسيره عند ذكر تحريم الخمر وتحضيره (فقال الخمر ماغلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب، وهو حرام، وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ، وأما ما طبخ حتى ذهب ثلثاه وذهب خبثه وزال نصيب الشيطان منه فقد حل شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه لهو ولا طرب عند أبي حنيفة)[6]. وقال بعض أصحابه لأن أقول مرارا هو

---

(1) سورة الأنعام 108

(2) سورة البقرة 104

(3) لم اقف على مصدر هذا الحديث

(4) المناوي: راجع فيض القدير، م س ج 6 ص: 443

(5) الدبس: والدبس والدبيس عسل التمر وعصارته وهو عصارة الرطب من غير طبخ، ابن منظور لسان العرب م س ج 6 ص 75.

(6) أبو حنيفة النعمان بن ثابت أحد الأئمة الأربعة المشهورين في الفقه؛ ازداد سنة 80هـ 699م، توفي سنة 146هـ 767 م، وهو صاحب المسند المعروف باسمه وصاحب الفقه الأكبر والمسند، وقد طبعت جل كتبه عدة مرات، راجع:

- سزكين: تاريخ التراث العربي، م س ج 2، ص: 31

حلال أحب، إلى من أول مرة هو حرام، ولَأَنْ أخرّ من السماء فأتقطّعً قطعا، أحب إليّ من أن أتناول منه قطرة واحدة. ثم قال أكثر الفقهاء على أنه حرام كالخمر[1]. هذا نص الكتاب ويتخرج من مجموع هذا الكلام ما يوجب التوقف عن القول بجواز شربه للمتورع من أوجه: الأول: عدم الإجماع على القول بجوازه، حتى في مذهب أبي حنيفة كما ذكره. الثاني قوله مادون السكر يفهم منه، أن علة السكر باقية فيه وما علم أن السكر فيه من الأشربة، حرم [قليله وكثيره] لا عند من يقول بتحليل ما دون السكر من الأشربة من غير خمر العنب، وهو مذهب بعض العراقيين، ذكره ابن عطية وقال التعالبي في تفسيره: اختلف العلماء في المطبوخ فمنهم من قال كل عصير [طبخ][2] حتى ذهب نصفه فهو حلال [إلا أنه يكره وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه فهو حلال][3] والمسكر منه حرام فهذا يدل على أن السكر لا يفارق المطبوخ ولو ذهب ثلثاه، ويؤيد هذا أيضا ما أورده عبد الملك بن الطفيل[4]. قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز لا تشربوا الطلاء[5] حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه، وكل مسكر حرام، ففيه إشارة إلى أن التبالغ في الكثير منه ربما يؤدي إلى السكر، وإلا لم يكن لقوله، وكل مسكر حرام فائدة. الثالث قوله: إذا لم يقصد بشربه لهو ولا طرب، هو من باب سد الذريعة في القليل، وإن لم يسكر، لأنه من باب التشبيه وفي الغالب، أن كل ما يقصد بشر به اللهو والطرب، لا بد أن يكون فيه من الأسباب ما يستجلب اللهو والطرب. وليس يعرف في الأشربة ما يوجب اللهو والطرب، سوى السكر غالبا، ومطلق العادة تصدقه والاستقراء يحققه. الرابع: قوله أكثر الفقهاء على

---

(1) الزمخشري: راجع الكشاف، م س ج1 ص 356

(2) م د [كثيره وقليله وكثيره]

(3) سقط من د م

(4) هو عبد المالك بن الطفيل

(5) الطلاء ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، مختار الصحاح، م س 397.

أنه حرام كالخمر، وهذا نص في تحريمه ورجحان الأكثرين يعضده وأما الطريقة المعروفة، في المذهب ففيها أيضا ما يوجب التوقف، كما ذكرناه أولا على المتورع وبيانه على ما ذكره ابن يونس[1] في كتابه الموضوع على المدونة[2] وفيه قال مالك: (كنت أسمع أن المطبوخ إذا ذهب ثلثاه لم يكره ولا أرى ذلك ولكن إذا طبخ، حتى لا يسكر كثيره حل وان أسكر كثيره حرم قليله). هذا الكلام فيه إجمال موجب للتوقف. ثم ذكر مالك، رحمه الله، حديث عمر بن الخطاب، وفيه أن أهل الشام شكوا إليه، وباء الأرض وفعلها وقالوا لا يصلحنا إلا هذا الشراب. فأمرهم بشراب العسل فقالوا لا يصلحنا العسل، فقال: رجل من أهل الأرض، هل لك أن أجعل لك من هذا الشراب شيئا لا يسكر قال فطبخه حتى ذهب ثلثاه. وبقي الثلث فأتوه به فأدخل عمر إصبعه ثم رفع يده فاتبعها، فتمطط فقال هذا الطلاء. هذا مثل طلا الإبل، فأمرهم عمر أن يشربوه، فقال له عبادة بن الصامت: أحللتها لهم والله ياعمر فقال عمر [كلا][3] والله. اللهم إني لا أحل لهم شيئا حرمته عليهم، ولا أحرم عليهم شيئا حللته [لهم][4][5] هذا كلام ظاهر، في جواز شربه لتحديد الثلث الباقي [ولكن لم يعتد به مالك][6] رحمه الله وإنكار عبادة بن الصامت لذلك حجة للمتوقف. وقد علل مالك رحمه الله إنكار عبادة بن الصامت، أنه أتقى ألا يبالغ في طبخها. وهو تأويل مرجوح. والأخذ بالظاهر أرجح وأحوط. فالتوقف عن شربه أليق بأهل الدين وأحفظ، قال محمد بن يونس وأكثر ما يعرف

---

(1) لعله محمد بن عبد الله بن يونس التميمي، ابو بكر الصقلي له كتاب في الفرائض وكتاب جامع المدونة، وكان قد توفي سنة 451هـ 1059م راجع إحالة معجم المؤلفين، ج 10، ص:252.

(2) لعله يقصد كتاب «الجامع لمسائل المدونة والمختلطة» اشار فؤاد سزكين، إلى ان كراسة واحدة منه توجد في خزانة ابن يوسف بمراكش: راجع: سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 2/ ص:142.

(3) في كل الاصول طلا.

(4) ط د م [لهم] س [عليهم]

(5) السيوطي: تنوير الحوالك، كتاب الاشربة، ج3، ص:56-57.

(6) سقط من م.

من العصير إذا طبخ فذهب ثلثاه أنه يحل ولا يحرم لأنه لا يسكر وليس ذلك في كل شراب، ولا في كل عصير فأما الموضوع المعروف بذلك، فلا بأس إن شاء الله تعالى هذا كلام ظاهر في الجواز لولا ما أعقبه بالإجمال لعدم تعيين المواضع المعروفة بذلك وصفة أصناف العصير حتى يرتفع الشك الموجود في النفوس هنالك. فوقع الإجمال، فوجب التوقف قال أشهب[1] ولو ذهبت تسعة أعشاره. فيقول أشهب هنا رد على من يحد بالثلثين، فمن أجل هذا الاختلاف والإجمال كان شيخنا رحمه الله، لا يرخص فيه الفقراء ولا حجة تمنع الاحتمال لمن يدعي أن التابعين قد شربوه من الفقهاء. والعلماء لاحتمال أن يكونوا حينئذ عارفين بالأراضي والعصير، والمقادير التي ينتهي إليها. ولم ينقل لنا في هذا العصير شيء من ذلك سوى الاستعمال في شرابه، ثم الناقلون أيضا هم الذين عللوه بمعرفة الأراضي، وأصناف العناب والتقدير بالكثرة، بكلام مجمل لا حجة فيه ويعضده ما ذهب إليه شيخنا رحمه الله من التوقف، توقف مالك رحمه الله لما سئل عن خنزير الماء وقال انتم تقولون خنزير، مع ما فيه من الإباحة المطلقة، في صيد البحر كتابا وسنة واتقاه ابن القسام[2] وإن كان يفتي بحله ويحتمل أن يكون شيخنا، رحمه الله قد راعى فيه وجها

---

(1) ابو عمر واشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي، ولد سنة 145هـ 762م، بمصر، تتلمذ على ابن وهب ومالك، ويعد من المحدثين الثقات والفقهاء الكبار له كتاب الحج برواية سحنون مخطوط وتوفي سنة 204هـ 819م. راجع:

- ابن النديم: / الفهرست، م س، ص: 281.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان، م س ج1، ص: 238. - الزركلي: العلام، م س ج1، ص: 335.

(2) ابو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد المعتمي، ولد بمصر سنة 32هـ 749م، تتلمذ على مالك وروى عنه بعد عن انتقل إلى المدينة، والمكوث بها لمدة عشرين سنة، ويعد ابن القاسم من شيوخ سحنون، وتوفي سنة 91هـ 806م، وحسب سزكين فإن ابا القاسم خلف كتبا منها: المدونة- مجموعة من الأسئلة وجهها إلى مالك بن انس - رسالة تنسب إليه في الفقه المالكي، راجع: - ابن النديم: الفهرست م س ص: 199. - ابن فرحون: الدباج، م س ص: 136. - الزركلي: الاعلام، م س ص: 97.

- سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج2، ص: 132.

آخر وهو ما ذكره أشهب في مختصر الثماني لأبي زيد[1] يكره شراب النبيذ الحلو مخافة التهم، فإذا كان هذا مكروها، مع هذه الصفة فهو في المطبوخ أولى وأحرى، لأن التهمة فيه أشد فالقول بالتوقف عنه أحوط واوكد وممن توقف فيه حتى أنكره، في عصرنا الفقيه الجليل المتورع أبو زيد عبد الرحمن بن إلياس[2] الرجراجي، حدثني الشيخ الفاضل أبو مروان عبد الملك بن يغديون الرجراجي[3] قال: سمعت الشيخ الفاضل وحيد عصره أبو زيد عبد الرحمن بن الياس رحمه الله يقول: ما أظن أباحه الفقيه أبي عبد الله بن ياسين[4] لهذا الرب، وتجويزه لشرابه، في بلادنا إلا من زلة العالم[5] التي حذر منها رسول الله ﷺ. وحدثني أيضا الفقيه أبو محمد بن عبد الحق بن موسى الركراكي[6] بذلك، عن رجل عنده ثقة عن الشيخ الفقيه، أبي زيد رحمه الله انه سمع ذلك منه كما ذكره عبد الملك [سواء][7]. وحدثني أبو محمد عبد الواحد بن ياجريان الجلاوي[8] فقيه[متورع][9] قال سمعت الفقيه أبو يعقوب يوسف بن

(1) أبو زيد القيرواني صاحب مختصر المدونة المتوفى سنة 326هـ 996 م

(2) لعله عبد الرحمن بن إلياس الرجراجي الحافظ ذكر بن القاضي، انه كان يعقد مجالس علمية بفاس، بمسجد الصاغة وإن وفاته كانت سنة 718هـ 1318م ووصفه ابن ابراهيم بانه كان فقيها متورعا، وقال نقلا عن صاحب الدوحة: «وهو المعروف عند العامة بأبي زيد، إلياس، وقبره بوادي شوشاوة من عمل مراكش، وقد انتهى مقامه إلى القطبية: راجع:
- احمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس القسم الثاني، م س ص:401.
- العباسي، إبراهيم: الإعلام، م.س، ج 8، ص: 98.

(3) قال الأستاذ احمد التوفيق في شرح «يغديون» جمع وايغديون، نوع من الزنابير وبنواحي امي ن تانوت مكان يسمى ايغديون، راجع:
- أحمد التوفيق: مقدمة تحقيق التشوف، رقم 106، ص:356.

(4) في الاعلام لابن ابراهيم، ج 8، ص: 98. إن اسمه هو محمد بن ياسين.

(5) في موضوع زلة العالم، التي حذر منها الرسول ﷺ وردت احاديث كثيرة انظر ذلك عند الغزالي في إحياء علوم الدين كتاب العلم الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آيات المناظرة والجدل وشروط إباحتها، ج 1، ص42 - 43.

(6) لم اقف له على ترجمة.

(7) زائد في ط س.

(8) لم اقف له على ترجمة

(9) ط س م [متورع]د [المتورع]

محمد بن راشد يقول سمعت الفقيه أبا محمد عبد الواحد الهرتناني يقول وقد سألته عن شراب الرب هل يستعمله قال كان أبو عبد الله في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال عاقبني على هذا الشراب يعني الربّ عقابا شديدا وقال لي يا شيخ سوء لولا العلم الذي أودعته فيك لعذبتك عليه عذابا شديدا فعلى الجملة من بلي بشراب هذا الربّ فليتجنب ما عمل من أعناب الجبال الباردة، لأن أعنابها لا تتزبب وكل ما لا يتزبب من العناب، قلت حلاوته واشتدت مرارته، فلا يذهب عنه السكر، متى تزبب ولو ذهب تسعة أعشاره، في غالب العادة، عند أهل التجارب، وأما أعناب السواحل، فهي شديدة الحلاوة، تزبب في أغصانها وتتعسل. فأرى أنها إذا أحكم طبخها، لا يبقى فيها سكر والله أعلم، وعلى كل تقدير فمن زعم انه في شيخنا رحمه الله [معتقد وبه مقتد][1]، لا يستعمله جبلا ولا ساحلا، لا لنفسه ولا لحشمه ولا لولده ولا يليق به بيعه، ولا الانتفاع بشيء من ثمنه. فهذا غاية ما بلغه الاجتهاد، في هداية إخواننا الفقراء أهل الأوراد، والله تعالى هو المقصود بذلك وهو المراد، وأنشدوا :

وَنَفْسُكَ أَكْرِمْ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... فَمَالَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا[2]
وَلاَ تَقْرُبِ الأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ ... حَلاَوَتُهُ تَفْنِي وَيَبْقَى مَرِيرُهَا

المطلب الثاني :

وهو ترك الاستعمال لصنعة الكيمياء وهي من اكبر بواب الفتنة وأسباب المحنة ولها ضراوة الخمر، كضراوة الخمر وبابها أعظم أبواب الشر، قد يفتتن بسماع أوصافها الصالح والطالح، ويميل إلى زهرتها بالطبع الغريزي، العقل الراجح، يحتمل أن يكون شيخنا رحمه الله تعالى، نهى

(1) ط س [معتقدا وبه مقتديا] د م [معتقد وبه مقتد]
(2) من الطويل

عنها وحذر منها، لأحد ثلاثة أوجه : إما لكونها من المستحيلات كما ذكره ابن سينا[1] مستدلا بقوله تعالى : ﴿لا تبديل لخلق الله﴾[2] وكما أنه ليس في قدرة المخلوق أن يبدل القرد إنسانا والذباب غزلانا، كذلك ليس في قدرته أن يبدل الرصاص ذهبا، والنحاس فضة. وذكر ابن عبد البر عن القاضي أبي يوسف أنه قال من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء[3] افتقر، ولقد سمعت والدي إبراهيم بن أحمد رحمة الله عليه يوما يباحث رجلا بصحتها وزعيم بصنعتها فقال الرجل: أتنكر في الشاهد ما نشاهد من صنعة الصبغ. وهي تغير الجسد الأبيض أحمر أو أصفر أو أسود، فقال الشيخ لا أنكر ذلك لأنه ليس بتغيير أصل، وإنما أنكر أن ثوب الصوف الأبيض، ترده صنعة الصبغ قطنا، أحمر أو أصفر وثوب الكتاب حريرا أخضر، ولا يبقى معه لبس وأما الصبغ فلا أشك أن النحاس يصير أبيض ولا يخرجه ذلك عن أصله، ولا يسلب عنه اسم النحاس، بل يقال فيه نحاس أبيض كما لا يسلب صبغ الصوف عنه اسم الصوف. وفي الاحتمال كما غيرته الصنعة، قد ترده صنعة أخرى إلى أصله، فانقطع الرجل، وقد حدثني بعض من تمهر في هذه الصنعة وكان اسمه عبد الله بن الأحرش قال دخلت بلدة سبتة[4] فاجتمعت أنا

(1) أبو الحسن ابن عبد الله ابن سينا الفيلسوف والشيخ المشهور المتوفى سنة 428هـ 1036م. راجع: ابن خلكان: وفيات الأعيان، م س ج 2، ص76.

(2) الروم 30.

(3) الكيمياء: المقصود بها، كما ورد في النص القدرة على تبديل الرصاص ذهبا، والنحاس فضة. بينما المقصود بها عند الصوفية، كمياء الخواص أي تخليص القلب من الكون، باستثناء النفس، باجتناب الرذائل واكتساب الفضائل وتحليتها بها.
– القاشاني: اصطلاحات الصوفية، م س 10 – عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية م س 226.

(4) سبتة: من اهم مدن المغرب الشمالية الساحلية على شواطئ البحر المتوسط، تقع على خط العرض 37 وخط الطول 5، وقبالة الجزيرة الخضراء، فموقع سبتة الاستراتيجي، جعلها تحظى بمكانة عظيمة ودور هام في المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية طيلة تاريخها الإسلامي، لكونها كانت تشكل همزة وصل بين الأندلس وباقي دول المغرب الكبير، كما كان لها ماض مجيد في الثقافة الإسلامية، حيث نبغ منها العديد من رواد العلوم والمعارف، وقد استولى عليها البرتغال في القرن الخامس عشر ثم الإسبان، وما تزال تحت سيطرتهم إلى اليوم. =

ورجل بالصاغة منها ومعه دراهم [جديدة][1] الضرب يريد صرفها فحين رأيتها علمت انها مصنوعة فقلت له هذه صنعة جيدة. فقال ليس هذا مصنوعا، وغنما هو حجر معدني. فقلت له ما منعك ان رددت هذه الدراهم، إلى أصلها فقال: كل ما شرطته على فدخلنا إلى حانوت صائغ من أصحابه، وأخذت درهمين وقلت للصائغ احمها ثم أخذت عقارا كان عندي، معدا لذلك فخللته في ماء وقلت للصائغ أطف الدراهم في هذا الماء فطفاها فإذا هي نحاس أحمر، قد رجع إلى اصله فتعجب الصائغ. من ذلك واعترف الرجل أنها من النحاس. قد عملت، فقلت له علمني تلك الصنعة، وأعلمك هذه. فعلمنيها وعلمته، أنا تلك الصنعة أيضا ولقد رايته وهو في قطر بجاية المحروسة، سنة خمس وتسعين وستمائة، يأخذ الرصاص والقزدير إذا [أراد][2] فسادهما فيذيبهما، ثم يضع عليهما عقارا فيحملها حتى يصيرا ماء كالدهن، فيريقهما ولم تبق فيهما منفعة، وأوردت هذه الحكاية تصديقا لمقالة والدي ابراهيم، رحمة الله تعلى عليه (الوجه الثاني) أن يعتقد الشيخ رحمه الله في هذه الصنعة، أنها جائزة الوجود لكنها معدومة الوجود كما ذهب إليه أبو الفرج بن الجوزي[3] رحمه الله فقال ثلاثة متفق على وجودها

=ولمعرفة المزيد عن موضوع سبتة راجع المصادر الآتية على سبيل المثال لا الحصر: ابن حوقل في صورة الأرض، والبكري في المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، والإدريسي في نزهة المشتاق. والمجهول في الاستبصار. والمقدسي في أحسن التقاسيم، والحميري في الروض المعطار. والانصاري البستي في اختصار الاخبار، وابن فضل الله العمري في مسالك الابصار. والقلقشندي في صبح العشى، والحموي في معجم البلدان وابي عذاري في البيان وابن بطوطة في تحفة النظار وابن مرزوق قي المسند الصحيح والحسن الوزان في وصف افريقيا ومحمد بن تاويت: تاريخ سبتة و dufourcq : la question de ceuta au XIIIs. وغيرها.

(1) د م [جيدة] ط س م [جديدة].

(2) س [ارد] ط د م [أراد]

(3) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البكري البغدادي الحنبلي، وصفه السيوطي «بالحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق، صاحب التصنيف السائرة في فنون العلم» توفي ببغداد سنة 597هـ 1200م، مخلفا العديد من الكتب، التي تم طبع جلها ني دور الطبع المختلفة، ومنها: زاد المسلم في التفسير- جامع المسانيد- المعنى في علوم القرآن- الوجوه والنظائر في الله- المنتظم في التاريخ وغيرها،=

في الغالب، وقد اتفق على عدم رؤيتها أهل المشارق والمغارب الغول والعنقاء، والكيمياء وأخبارها، كلها على وجه السماع والأسنادات وحكايتها كالموضوعات عن العجماوات والجمادات (الوجه الثالث) أن تكون صنعتها عنده رحمه الله من المعلومات الموجودات، لكنها في مذهب الفقهاء من الحرمات والمحظورات، كما حدثني به الفقيه العالم الأستاذ أبو علي [ناصر][1] الدين منصور بن احمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي. وقد سألته عن القول بتحليلها أو تحريمها، فقال: لا أعلم قائلا بتحليلها. ولقد سألت الفقيه العالم مفتي المسلمين ببلد إسكندرية المحروسة أبا إسحاق التونسي[2] رحمه الله عن ذلك لو دبرت الفضة أو غيرها من الأجساد حتى تصير ذهبا خالصا لا شك فيه فمتى لم يقل بائعها لمبتعاها هذا كان فضة أو جسدا منن الأجساد فدبرته حتى صار ذهبا كما ترى لكان غاشا مدلسا ومتى ذكر ذلك لم يشتره منه بفلس ويقول كذلك يدبره غيرك فيرجع إلى أصله ومعتاد الناس أنهم يتبايعون بالأصول المعدنية ذهبا وفضة لا بالأحجار المصنوعة فكل من باع المصنوع على أنه معدني ولم يعلم المبتاع بذلك داخل في قوله ﷺ: **«من غشنا فليس منا»**[3] فهذا أجمعت عليه علماء السنة فتكون صنعتها متى حكمنها بوجودها وصحتها حراما بهذا القول فراعي شيخنا رحمه الله هذه الوجوه فحرضهم على تركها وربما تصحب هذه الوجوه منه مقاصد

=راجع: – ابن خلكان: وفيات الأعيان، م س ج 3، ص 140.

– ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 10، ص 180.

– ابن العماد: شذرات الذهب، م س ج 4، ص 329.

– السيوطي: طبقات الحفاظ، م س ص: 480.

(1) م [ناصر] ط س د [نصر]

(2) ابو اسحاق التونسي بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي الفقيه المالكي، تولى القضاء سنة 699هـ وتوفي سنة 733هـ 1333م، راجع: ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ، م س، ص:344.

– الونشريسي: الف سنة من الوفيات، م س، ص:185.

(3) ابن ماجة: راجع: سنين ابن ماجة، كتاب التجار، باب النهي عن الغش، ج2، ص:749.

أخرى وهي عدم الاشتغال بطلب الدنيا كما هو معروف من سيره وعادته ولقد حدثني بعض الفقراء أن بعض من ادعاها هاجر إليه ليعلمه إياها فلما حل في مجلسه فضحه الشيخ رحمه الله بكلام مجمل فقال في الناس من يقطع الفيافي والقفار، ويهاجر إلى أخيه المسلم ليتحفه بما يشغله عن الله كما سيأتي مكملا في موضعه من الكرامات إن شاء الله وقد كان رحمه الله يقول في وصاياه كل ما شغل عن الله من أهل ومال فهو مشئوم فتلطف رحمه الله في التعليم وأنكر ما ظهر إنكاره على وجه التفهيم ثم جعلها وسيلة إلى المحرم وسببا للتحريم فمن ادعى أنه له قدرة، ورغب أن يقتبس من شعلته جذوة، فلا يتحدث بها فضلا عن الاشتغال بها وقد قيل للبعض الفضلاء لم لم تتحدث بهذه الصنعة فإن فيها تسلية للخاطر فقال قيل للحمار لماذا لم [تجتر][1] فقال إني أكره مضغ الباطل، وفي معناه أنشدوا:

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ[3]

المطلب الثالث:

هو تركهم لمجالسة القواعد[3]، ومجانبة الحضور معهن في مجالس المواعد، حذرا من أن يستدعيه ذلك بالطبع والعادة إلى مجالسة من تبطل بمجالستها صحة العبادة فهذا أفضل ما تحصن به متحصن في سد الذريعة، وأجمل ما تعبد به متعبد في أصل الشريعة، ولا سيما عند ظهور ما ظهر في عصرنا من الأمور الفظيعة، وابتدع في أمصارنا من الأفعال الوضيعة، كأخذ العهود على النسوان، وندبهن إلى صحبة

---

(1) ط سد. د [تشتر] م [تجتر].

(2) من الطويل

(3) وقعدت المرأة من الحيض والولد تقعد قعودا. وهي قاعد: انقطع منها والجمع قواعد وفي التنزيل: «والقواعد من النساء» لسان العرب م س ج3 ص361.

الإخوان، ومعاهدتهن بمباشرة اليدان، وتحريضهن على حضور المجالس، وهن معطرات مزينات كالعرائس، وقد ظهر ذلك في زماننا وانتشى وكثر استعمال عند مشائخ مصرنا حتى انتشر وفشا، ولقد كانت هذه الطائفة أولى الناس بالاحتياط لديانهم، وأحقهم باتباع السنة في سرهم وإعلانهم، وقد ورد في «**حديث ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرت عن بيعة النساء قالت ما مس رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا أن يأخذ عليها فإذا اخذ عليها فأعطته قال اذهبي فقد بايعتك**»[1] «**وفي لفظ يونس بن يزيد[2] عن ابن شهاب عن عروة قال قالت عائشة رضي الله عنها والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط وكان يقول لهن إذا أخذ عليهم قد بايعتكن كلاما**»[3] **وفي سنن أبي داود، ان أبا هريرة** رضي الله عنه. **لقي امرأة فوجد منها رائحة طيبة ولديها أعطار فقال يا أمه الجبار جئت من المسجد قالت نعم قال وله تطيبت قالت نعم قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبل الله لا مرأة صلاة تطيبت للصلاة في المساجد، فكيف بمن تطيبت لحضور [المشاهد]**[4] **وتزينت للتبرج إلى نظر الغائب والهاشد» وفي سننه أيضا عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم**[5] **وذلك**

---

(1) احمد بن حنبل، راجع مسند احمد بن حنبل، م س ،ج 6، ص: 114.

(2) يونس بن يزيد بن ابي السجاد الايبيلي مولى معاوية بن ابي سفيان، محدث ثقة، توفي سنة 159هـ 775م، راجع:

– العجلي: تاريخ الثقات، م س ص:255.

(3) ابن ماجة: راجع سنن ابن ماجة: كتاب الجهاد باب بيعة النساء، ج 2، ص 960.

(4) د.م [المشاهد] ط س [المساجد]

(5) اسمه عمر بن قيس بن زائدة وهو ابن ام كلثوم استخلفه الرسول على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته شهد فتح القادسية إلا انه استشهد فيها راجع:

– ابن الاثير: الإصابة، م س ج 3، ص: 760.

بعد أن أمرنا بالحجاب فقال عليه السلام احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال عليه السلام أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه»[1] فقد نهى عليه السلام أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنات عن النظر إلى رجل أعمى صحابي وكان نهيه عليه السلام بما أمره الله تعالى به وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[2] إشارة إلى أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه فيخلو مع من لا تحل له ومجانبة ذلك [أحصن][3] للنفس وأطهر للقلب[4] وقد نهى الله تعالى أمهات المؤمنين، إذا سئلن أن يخضعن بالقول لما فيه من أسباب الطمع الموجود في قلوب أهل الريبة فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[5] فما بالك بمن يمازحهن ويحدثهن بكل ما يستدعي هواهن وضلالهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأن أزاحم جملا هنيء[6] بالقطران أحب إلي من أزاحم امرأة [عطرة] هذا قول صحابي فاضل في جواز الطريق، فما ظنك بالجلوس معهن في أركان البيوت ومواضع المضيق، قالت عائشة رضي الله عنها لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد. وقال أبو بكر ابن العربي في قوله تعالى : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾[7] (إن الله تعالى أكد الأمر بابتداء تحريم الدخول في بيوت النبي عليه السلام وأمر نساءه بالحجاب لما يحدث في القلوب من رؤية النساء فوجب التنزه عن ذلك

---

(1) أبو داود: راجع نفس المصدر كتاب اللباب باب وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، م س ج 4، ص: 63 – 64.

(2) الأحزاب 53.

(3) م [أحسن] ط س د [أحصن]

(4) ابن العربي: راجع: أحكام القرآن سورة الأحزاب، م س ج 3، ص: 1579.

(5) الأحزاب 32.

(6) الهنيء: الطلاء بالقطران: المعجم الوسيط، ج 2، ص 1007.

(7) الأحزاب 53.

كله [لكنهن][1] وكذلك في جميع المسلمين)[2] فمن أجل هذا الكلام كله كان شيخنا رحمه الله كثير التشدد على الفقراء في هذا الباب وقد ذكرت عنده رحمه الله بعض المتعبدات من أهل زمانه. فقال متى بلغت إلى حد تطير فيه بين السماء والأرض ففروا من تحتها لئلا تقع عليكم فتهلككم وما كانت فتنة هاروت وماروت[3] إلا بسبب امرأة حتى كان من أمرهما ما كان. وفي الحكمة: المرأة فخ منصوب، وداء عطوب، لا يقع فيه إلا من اغتر به فمتى قل ورع الفقير في مثل هذه الأمور لم تكن له هيبة، ولم يسلم من أن تظن به ريبة، قال أبو الحسن القصار[4] : مررت بالبصرة في بعض الشوارع فإذا [شيوخ][5] قعود وصبيان يلعبون بين أيديهم فقلت: أما يستحون من هذه الشيوخ فقال صبي منهم هؤلاء شيوخ قل ورعهم فقلت هيبتهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (من وقف موقف الظن فلا يلومن من أساء به الظن)[6]. وما ورد في مثل هذا المعنى لا ينحصر، ومادون فيه لا يبلغ كنهه ولو اختصر، ولما رزق شيخنا رحمه الله بقوة العلم اطلاعا على هذا الظن الموجود، وخاف على الفقراء من فتنة هذا الجنس المعهود، تطلف في الكلام بالنصح الصادق، كما يتلطف بالعليل الطبيب الحاذق، حتى سلك بهم طريقا حاد بها عن جملة المهالك، فالله تعالى يثيبه على ذلك هنا وهنالك، ويجعلنا ممن يتبع أثره في جميع ما سلك من المسالك، ولله در القائل:

---

(1) مكرر في ط.

(2) ابن العربي: راجع أحكام القرآن سورة الأحزاب، ج 3، ص: ابتداء من ص:1574.

(3) ورد ذكرهما في القرآن سورة البقرة 102، وعن قصة فتنتهما انظر: النيسابوري، قصص الأنبياء 44.

(4) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن القصار البغدادي من كبار فقهاء المالكية، تولى قضاء بغداد، وهو صاحب كتاب «عيون الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الأمصار»، مخطوط بالقرويين بفاس حسب إشارة سزكين

(5) ط س [شيوخ] م [الشيوخ]

(6) ابن الجوزي: راجع مناقب عمر، م س ص:208.

(7) من الطويل. والشطر الثاني من هذا البيت من قوله تعالى: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ الطور 21.

فَنَفْسَكَ فَاكْسِبْهَا السَّعَادَةَ جَاهِداً فَكُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا هُوَ كَاسِبُه[1]

ومنها ما حدثني به غير واحد، ممن أدركته من شيوخ هذه الطائفة[1] قال صحب الشيخ رحمه الله رجل من أبناء الدنيا، وكان محبا فيه، وله اعتقاد جميل. فاتى ذات يوم بدرع وسوارين ودفعهما للخادم، وقال هذا برسم العجوز، ثم جلس عند الشيخ ساعة وهو يتحدث إلى أن قال الرجل للشيخ لا تهتم بشيء، من جميع أمور الدنيا مادامت لك حيا فقد تكلفت بقضاء جميع مآربك. فقام الشيخ من ساعته عنه مغضبا، إلى منزله وأتاه بالدرع والسوارين، وطرحهما بين يديه ثم قال: أتريد أن تسقطني من عين الله تعالى، ثم عقد مع الله عقدة أن لا يقبل منه شيئا أبدا. فخرج الرجل من عنده خجلا، وعلى ما صدر منه وجلا. هذه حكاية صحيحة سمعتها، من خلق كثير، قد التحقت بالتواتر، ولذلك لم أسم أحدا من رواتها لوجود التكاثر، وقد انساني الشيطان ان أسمي الرجل. وفيها دلالة على قوة العلم، وشدة الحزم، وصبر أولي العزم، قد اتصف في فعله بما انتمى إليه، ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾[2] ولم يمنعه جهد الحال، وعدم الاحتيال من رد هدية الرجل الجاهل، و[يسهو] عنه في آداب الطريق سهو الغافل، بل أدبه فيما اعتقده بردها عليه وأقمعه في مقالته بعدم الرجوع إليه. فخرج عنه وقد نبهه من غفلة الوسن[3] ومن سبقت له السعادة في الأزل نفعه الدعاء الحسن ولله در القائل:

وَهَذَا مَقَامٌ لاَ يَفُوزُ بِذُخْرِهِ سِوَى وَرَعٍ فِي صَفْوِ بَاطِنِهِ بَحْرُ[2]

---

(1) د م [الطائفة] ط [الطريقة].

(2) الاحزاب 23.

(3) الوسن: النعاس. مختار الصحاح 722.

(4) من الطويل.

وَلاَ وَرَعٌ حَقّاً وَلاَ مُتَوَرِّعُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالصَّبْرِ مُعْتَضِدُ الأَزْرِ
وَصَبْرٌ عَلَى النَّعْمَاءِ إِلاَّ إِذَا سَمَتْ ... إِلَيْهِ سُمُوُّ الصَّيْدِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَصَبْرٌ عَلَى الضَّرَّاءِ يَبْلَغُ أَنْ يُرَى ... سِوَى لَدَيْهِ وَارِدُ النَّفْعِ وَالضُّرِّ
فَلاَ يُقْتَدَى إِلاَّ بِمَا بَانَ اصْلُهُ ... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ لَيَالِي فِي الشَّهْرِ

فإن قلت كيف وقع الرد من الشيخ رحمه الله مع قوة علمه وشدة حلمه وصدق حاله في توكله[1] لما أتاه من غير مسالة وقد ندب الشرع إلى أخذه وقبول الهدية من إدخال السرور على أخيه المسلم مع إجبار قصده وقد كان ﷺ يقبل الهدية ويثيب على العطية[2]، ومن شروط التوكل عند علماء التصوف ألا يرد، لأن الرد عندهم من سوء الأدب، ولا سيما على تعمد، وكيف وقد قال رحمه الله: خزائن الله تعالى في السموات ما قسمه من الرزق، وخزائنه في الأرض ما في أيدي الناس، فهذا القول مع فعله في الرد متنافيان، وكلاهما في الحقيقة مع ما اشترطوه في التوكل متناقضان، قلت قد وقع القبول منه كما ندب الشرع إليه، وبعد التمليك صار مخيرا في صرفه وإمساكه عليه وصرفه على مذهبه مستفاد من فعله ﷺ في النساء، اللاتي وهبن له أنفسهن فإنه مخير

(1) التوكل: هو اعلى مقامات اليقين. واشرف احوال المقربين. وهو غير التواكل، الذي هو سلبية وكسل واهمال. وبعد عن الحق. قال عز وجل: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ آل عمران 159. وقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ الطلاق 3. وفي التوكل يجب على العبد، ان يسقط التبرير مع الله. فلا يدخل قلبه شك ولا تقصير ولا قصور. وان يثق في الله لانه وكيله / ولا يطمئن إلا إليه. فيعتقد في قوته وعظمته وشفقته ورحمته ولا يكون متوكلا إلا إليه ولا مسلما امره إلا عليه.
فالمؤمن، الذي قوى إيمانه وورعه ويقينه بان الله سبحانه وتعالى، هو صاحب القدرة، والإرادة والحركة والعلم، وسائر الصفات. يصل إلى اعلى درجات التوكل: راجع:
- ابو طالب المكي: قوت القلوب م س ج 2 ص 2.
- الكلاباذي: التعرف لمذهب اهل التصوف، م س 100
- القشيري: الرسالة م س ج 1 415.
- الغزالي: إحياء علوم الدين، م س ج 4 ص 243.
- الشرقاوي: معجم الفاظ الصوفية. 93.

(2) ابن حجر: راجع: فتح الباري كتاب الهبة، وفضلها والتحريض عليها، ج 5، ص:197. راجع: كذلك سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في قبول الهدية والمكافاة عليها، ج4، ص:298.

بين إمساكهن وتركهن. قال أبو بكر بن العربي، ولما كان في العادة أن الهبة على الواهب هجنة[1] وإذاية للقلوب. وقد بين الله تعالى ذلك في حق نبيه ﷺ ليرتفع الحرج في ذلك، ويبطل ما استقر في نفوس الناس من القبح في عوائدهم هنالك، وقد رد ﷺ مفاتيح خزائن الأرض[2] التي أتاه بها جبريل ﷺ وإن كان في ذلك كله فخر ففيه دلالة على رد المتوكل ولو رجع صاحبها بردها متغيرا، ثم رده رحمه الله يحتمل وجوها إما تأديبا وتعليما فإنه رحمه الله كان في مقام التعليم والتأديب، منتصبا للإرشاد بالرياضة والتهذيب والرد أوقع في النفوس، وأبلغ في العقوبة عند أهل العقول، من الإنكار بالقول مع وجود القبول، لاسيما في حق بني الدنيا لعزة نفوسهم، فالرد أبلغ في الزجر من الكلام وتغليظ الملام ولا سيما مع كبر رؤسهم، (الوجه الثاني) أن يلاحظ بعين البصيرة من الرجل المن في هديته وصدقته الذي فيه بطلانها[3] وقد قيل في المن معناه تعداد المعطي على المعطى ما أعطاه قاله ابن عرفة[4] وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر[5] قال: قال رسول الله ﷺ «**ثلاثة لا يظلهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان الذي لا يعطي شيئا إلا منه، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره**[6] وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله: (حقيقة المن أن يرى لنفسه إحسانا وتفضلا على غيره وعلامة ذلك أن يتوقع منه الشكر ويستنكر تحقيره في حقه أو موالاته لعدوه استنكارا

(1) الهجنة: العيب والقبح: يقال في كلامه هُجنة. المعجم الوسيط ج 2، ص 984.

(2) لم أقف على مصدر هذا الحديث.

(3) وعن بطلان الصدقة بالمن. راجع: إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب أسرار الزكاة، الفصل الثاني في الأداء وشروطه: الوظيفة الخامسة ج 1، ص 216.

(4) ترجم له في الفصل الثاني من القطب الثاني.

(5) أبو ذر جند بن عمرو الغفاري الصحابي المشهور عرف بصدق لهجته، توفي بالمدينة سنة 32هـ 652م.

(6) مسلم: راجع: صحيح مسلم باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، ج 2، ص: 114.

يزيد على ما كان يعاهده من نفسه قبل التفضل والإحسان)[1] فلما عاين الشيخ رحمه الله في هبة الرجل بعض هذه الآفات أراد جبر هذه الهبة فردها عليه من حيث أن يصرفها إلى غيره وقد أدبه أدبا لا يمن معه بها على احد بعده وهذا مقصد سنّي، وحال علي، ودرجة عظيمة في حسن المعاشرة لما فيه من أسباب تؤدي إلى جبر أعمالهم، وإصلاح فساد أفعالهم، وإن كان فيه رغم للنفوس، وإكراه للقلوب ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2]).

(الوجه الثالث) أن يلاحظ ما في الرجل، بعد بطلان هبته، بالمن والإعجاب المهلك في دعواه لضمان الأمور، في حق غيره، مع حقيقة عجزه عن ذلك في حق نفسه وقصوره، فأراد أن يقمع تلك النفس المعجبة كل الاقماع، وييأس الشيطان منه حتى لا يبقى له فيه وجه للأطماع، وهذا أيضا وجه صالح، وقد قال عليه السلام: [« **لا يكمل المؤمن حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[3] قال الحسن رحمه الله: من أخلاق المؤمن قوة في الدين، وحزم في اللين وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[4] (واجب على كل مؤمن ألا يتضعف في دين الله ولا يتهاون بل يستعمل فيه الجد والحزم ولا يأخذه فيه لين ولا هوادة)[5] وذلك لأن الجاهل لإفراط جهله [متى] لم يقمع كل الأقماع عن فعله لا تزال نفسه تتخطى إلى مركزها، وتشمخ في طغيان تعززها، حتى يصير فعله وإحسانه في التمثيل كما

---

(1) الغزالي: راجع إحياء علوم الدين كتاب اسرار الزكاة، باب دقائق الآداب الباطنية في الزكاة، ج1، ص216.

(2) البقرة 216.

(3) في البخاري: « لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » راجع: ابن حجر: فتح الباري كتاب الإيمان باب الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج1، ص:57.

(4) النور 2.

(5) الزمخشري: راجع: الكشاف، سورة النور، م س ج3، ص:47.

ذكر وقيل:

وَمَا سَبَقَتْ مِنْ جَاهِلٍ قَطُّ نِعْمَةٌ ... إِلَى أَحَدٍ إلاَّ أَضَرَّ بِهَا الْجَهْلُ[1]

وورد في الآثار، أن رجلا من أهل الدنيا عرض نفسه وماله، على الجنيد رحمه الله وساله أن يباسطه، في كل ما سنح له، من حوائجه فقال له الجنيد: لعلك محتاج إلى ما معك، فقال الرجل لا أحتاج، إليه فإني موسر ومالي صامت[2] وعقار وضياع، فقال الجنيد: ومع هذا تريد الزيادة؟ قال نعم فاخرج الجنيد خرقة، وعليها عقد ففتحها، واخرج منها شيئا وقال: خذ هذا وأضفه إلى ما عندك، فإنك محب في الزيادة محتاج إليها. وأنا غني غير محتاج، إليها فخجل الرجل. فقيل هذا على أن صاحب الحال يؤثر على صاحب المال، لن صاحب المال ينفق من نعمة، وصاحب الحال ينفع الخلق بهمة، فهمم الناس أحوج منهم إلى صاحب المال.

اربح بمال فَتَى يُمْسِي عَلَى ثِقَة ... إِنَّ الَّذِي قَسَّمَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ[3]
فَالْعِرْضُ مِنْهُ مَصُونٌ مَّا يَدَنِّسُهُ ... وَالْوَجْهُ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يَخْلُقُهُ
إنَّ الْقَنَاعَةَ مَنْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهَا ... لَمْ يَلْقَ فِي دَهْرِهِ شَيْئاً يُؤَرِّقُهُ

(الوجه الرابع) أن يلاحظ ما في الرجل من صفة البخل، وإمساك هدية البخيل وقبولها منقصة عند الفضلاء، وطعامه قساوة للقلب، في همة العقلاء. وقد ورد في حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء»[4] وقلما يوجد في الناس، من يهب هبة أو يهدي هدية فيعتذر، عنها أو يذكرها أو يعظمها إلا

---

(1) من الطويل

(2) يقال: ماله صامت ولا ناطق فالصامت الذهب والفضة. والناطق الإبل والغنم ويقولون ماله صامت ولا ناطق: لا يملك شيئا. المعجم الوسيط، ج 1 ص 524.

(3) من البسيط

(4) المناوي: راجع فيض القدير، م س ج 4، ص265.

كان بخيلا وفي معناه أنشدوا:

وإنْ امْرُؤٌ أهْدَى إلَيَّ [هَدِيَّةً][2] ... وَذَكَّرَنِيهَا مَرَّةً لَبَخِيلُ[3]

(الوجه الخامس) أن يكون رحمه الله قد شعر من نفسه ركونا عند مقالته، وتشوفا في الباطن مما قد يغيره عن مراده أو حالته، فأراد أن يقمع النفس بقطع عادة الرجل عنه قطع الأموات، حتى يصيره في الحقيقة من جملة الجمادات، حتى لا يبقى للنفس اعتمادا إلا على ربها، ولا تشوف ولو إلى [عملها] وكسبها وهو المفهوم من قوله رحمه الله أتريد أن تسقطني من عين الله تعالى؛ لأن هذا في الحقيقة خطاب لنفسه لأن فعلها وقصدها هو الذي يسقط لافعل الرجل فهذه وجوه كلها صحيحة القواعد، جميلة المقاصد، ينتفع بها العاقل، ويتبصر بها الغافل، ويتخلص بها من شرك الهلاك العامل، ولله در القائل:

يَسرُّ الْفَتَى مَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ تُقَى ... إذَا عَرَفَ الدَّاءُ الذِي هُوَ قَاتِلُهُ[4]

وأما قول علماء التصوف، من شروط المتوكل أن لا يرد فهذا معلوم عندهم لكن بشرط آخر وهو قطع النظر والتشوف وعدم الالتفات وإلا لم يكن عدم الرد شرطا بل الرد أولى عند تشوف النفس كما ورد أن أحمد بن حنبل رضي الله عنه اشترى ذات يوم دقيقا من عند أيوب الحمال[4] فحمله له ودفع إليه أجره فلما دخل الدار رمق خبزا كان مطروحا على سرير فرآه أحمد بن حنبل قد نظر إلى ذلك الخبز فقال لابنه صالح[5] ادفع

---

(1) ط س لاضيعة] د م [هدية]

(2) من الطويل

(3) من الطويل

(4) أيوب، ابو سليمان الحمال احد الزهاد وصاحب كرامات يعد من قدماء مشايخ بغداد، وهو من اقران السري السقطي وبشر الحافي، راجع: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م س ج 9، ص:317.

(5) الفضل صالح احدد أبناء احمد بن حنبل، ولد سنة 203هـ 818م، روى عن ابيه وابي داود الطيالسي، وبعد ان درس علوم الفقه في بغداد تولى قضاء اصفهان وطرسوس، له كتب منها: سيرة احمد بن حنبل – توجد له محفوظة في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب، وكتاب محنة احمد بن حنبل، ثم =

إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما ولم يقبلهما فقال أحمد بن حنبل لابنه: ضعهما ثم صبر ساعة ثم قال، لابنه : قم وألحقه بهما. فلما لحقه بالخبز قبله منه، فرجع صالح متعجبا، من ذلك، فقال له احمد بن حنبل : أعجبت من رده وأخذه. قال نعم قال يا صالح هذا لما رأى الخبز استشرفت نفسه إليه، فلما أعطيناه مع الاستشراف رده فيئست نفسه منه فرددناه إليه بعد اليأس فقبله. هذا حال أرباب الصدق والتوكل وقد ورد في حديث ابن شهاب[1] عن السائب[2] بن يزيد عن حويطب بن عبد العزيز[3] عن عبد الله السعدي[4] عن عمر بن الخطاب أنه « قال كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فاقول أعطه يا رسول الله من هو

= طبعه مؤخرا، بالقاهرة، راجع:

ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، م س ج 9، ص 317.

ـ ابن العماد مصدر سابق، م س ج 2 ص1493 .

ـ سزكين: تاريخ التراث العربي، م س ج 2، 209.

(1) مكرر هو عبد الله بن سهاب الخولاني ابو الجزل الكوفي روى عن عمر وعائشة راجع :

ـ الدارقطني : ذكر أسماء التابعين، م، س، ج 2، ص : 133

ـ ابن القيسراني : الجمع بين رجال الصحيحين، م، س، ج 1، ص : 274

(2) هو السائب بن يزيد بن سعيد له صحبة، روى عن الرسول وعن ابيه وعمر وعثمان وروى عنه الزهري ويحيى بن سعد الأنصاري، ويعد من الثقات وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وقد اختلف في تاريخ وفاته 81 هـ 700م، 82 هـ 701م، وقيل 84 هـ 703م. راجع : ـ العجلي : تاريخ الثقات، م، س، ص : 176 ـ ابن حجر : الإصابة، م، س، ج 2، ص : 12

(3) هو حويطب بن عبد العزي بن ابي قيس العامري، ابو محمد، اسلم يوم الفتح، وشهد حنينا مع النبي ﷺ، وهو ن الذين امرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم، روى عن عبد الله بن السعدي، وروى عنه السائب بن يزيد وابنه أبو سفيان ابن حويطب، وكان عارفا باصول مكة وهو ممن اتفق عليه البخاري ومسلم، توفي سنة 41 هـ 673 م، راجع

ـ الدارقطني : ذكر أسماء التابعين ، م، س، ج 1، ص : 120

ـ ابن الأثير : اسد الغابة، م، س، ج، ص: 552

ـ ابن حجر : تهذيب التهذيب، م، س، ج 1،ص :

ـ ابن القيسراني : الجمع بين رجال الصحيحين، م، س، ج 1، ص :197

(4) عبد الله السعدي، اسمه عمر وقيل قدامة وقيل وقذان بن عبد شمس القرشي العامري، روي عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب، وروي عنه حويطب والسائب وآخرون وتوفي سنة 57 هـ 676م، راجع:

ـ ابن الاثير : أسد الغابة، م، س، ج 3، ص: 157

ـ ابن حجر : تهذيب التهذيب، م، س، ج 5،ص : 235

أحوج اليه مني فقال خذه فتمول أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير متشوف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك»[1] فهذا قدر نافع لكل صادق قد استعمله أو قصده، أليس الله بكاف عبده؟

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا[2]

تَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ ... وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا

وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاَحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي ... وَلاَ كُلُّ مَنْ لاَقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

وَمَا زِلْتُ مُنْحَازاً بِعِرْضِي جَانِباً ... عَنِ الذُّلِّ اعْتَدَّ الصِّيَانَةَ مَغْنَماً

إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى ... وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

وَإِنِّي لَمَّا فَاتَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِتْ ... أُقَلِّبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّمَا

وَلَكِنَّهُ إِنْ جَاءَ عَفْواً قَبِلْتُهُ ... وَإِنْ مَالَ لَمْ أُتْبِعْهُ هَلاَّ وَلَيْتَمَا

وَأَقْبِضُ خَطْوِي عَنْ حُظُوظٍ قَرِيبَةٍ ... إِذَا لَمْ أَنَلْهَا وَافِرُ الْعِرْضِ مُكْرَمَا

وَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أُضَاحِكَ عَابِساً ... وَأَنْ أَتَلَقَّى بِالْمَدِيحِ مُذَمَّماً

أُنَهْنِهُهَا عَنْ بَعْضِ مَا لاَ يَشِينُهَا ... مَخَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَا فِيمَ أَوْ لِمَا

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا ... بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلَّمَا

وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي ... لأَخْدُمَ مَنْ لاَقَيْتُ لَكِنْ لأُخْدَمَا

أَأَغْرِسُهُ عِزًّا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً ... إِذاً فَاتِّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ صَارَ أَحْزَمَا

فَإِنْ قُلْتَ جَدُّ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا ... كَبَا حِينَ لَمْ يَحْرُسْ حِمَاهُ وَأَسْلَمَا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا

وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

(1) نص الحديث عند البخاري هو كالتالي: "سمعت عمر يقول: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول أعطه أفقر إليه مني فقال النبي ﷺ خذه فتموله وتصدق به فما جاءك من هذا المال وأنت غير متشوف ولا سائل فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسك" راجع ابن حجر: فتح الباري كتاب الأحلام باب رزق الحاكم والعاملين عليها، ج 13، ص: 150

(2) من البحر الطويل

ومنها ما حدثني به محمد بن مسعود خادم الفقراء وهو ثقة قال: سمعت الشيخ الفاضل أبا الربيع سليمان بن ينصارن يقول : سمعت الشيخ رحمه الله يقول وهو في مرضه الذي توفي منه لولده أبي العباس وقد سأله أن يوصيه فقال: لا تقصد غير الله، ولا ترج غيره ولا تلتفت إلى سواه، ولا ترجو ولا تخاف إلا إياه، اقطع طمعك من المخلوقين بمرة، فإنهم ﴿لَا تَمْلِكُونَ [لَكُمْ][1] ضَرًّا وَلَا نَفْعًا[2]﴾، فمن لا ترجو نفعه، ولا تخاف ضره، خيره وشره سواء، إذا أعطاك مولاك لم يقدر احد أن يمنعك، وإذا منعك لم يقدر احد أن يعطيك، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[3] ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ هذا كلام لا يخفي على أحد فضله، ولا يجهله من وسعه عقله، وانشدوا :

بِــرَبِّكَ ثِـقْ لَا بِـالْآنَــامِ فَإِنَّــهُـمْ ... بَطَاءٌ عَنِ الْاَقْيَاسِ إِنْ اُظْلَمَ الْخَطْبُ[4]

ومنها ما حدثني به الحاج الواعظ عبد الله بن عبد الصمد قال : سمعت والدي يقول سمعت الشيخ يقول لولده أبي العباس لما أراد أن يقطر في فمه ماء عندما رأى يبس شفته لشدة كربه كما يفعل بالمحتضر ونحن حوله ففتح عينيه ثم قال يا ولدي أجمعت العلماء والحكماء، على أن نعيم الآخرة، لا يدرك إلا بترك نعيم الدنيا. دعني يا بني لعلي ألقى الله عطشانا.

هذا كلام يدل على قوة العلم، وذكاء الفهم وحضور القلب، وحسن المنقلب على ما حوى في التذكير من الإيجاز والاختصار، وما

(1) م [لك] ط. س. د [لكم]
(2) المائدة الآية : 76
(3) الانعام الآية : 17
(4) من البحر الطويل

انطوى عليه من يبلغ الإنذار باللمح القصار، ولم يمنعه ما هو فيه، من شدة الموت ومعاناة كربه، من نصح الأمة حتى عند القدوم على ربه، وانشدوا :

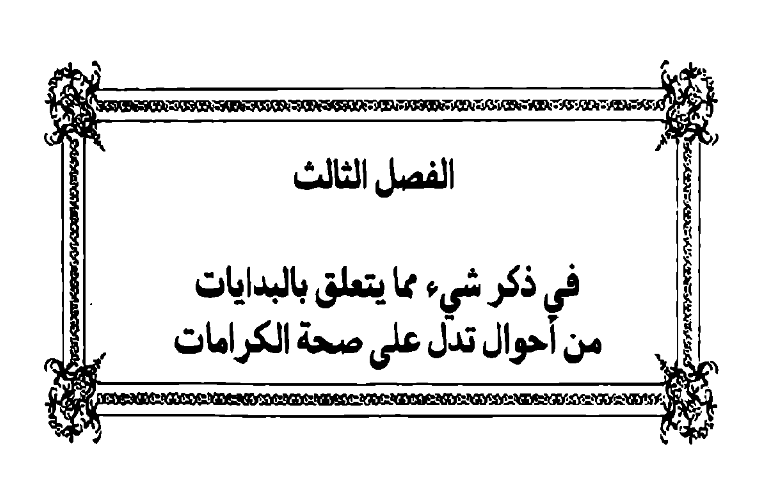
عَـلاَنِي مِنْ صُـدُودِكَ مَا عَلاَنِي ... وَعَـاوَدَنِي هَـوَاكَ كَمَا بَدَانِي[1]

وَأنْـتَ ضَمِنْتَ انَّكَ لِي مُحِبٌّ ... فَديتُكَ لاَ تَحُـولُ عَـنِ الضَّمَانِ

لَقَدْ أسْكَنْتَ حُبَّكَ فِي فُـؤَادِي ... مَكَـاناً لَيْسَ يَعْـرِفُـهُ جَنَانِي

كَأنَكَ قَدْ خَتَمْتَ عَلَى ضَمِيرِي ... فَغَـيْرُكَ لاَ يَـمُرُّ عَـلَى لِسَانِي

(1) من البحر الوافر



الفصل الثالث

في ذكر شيء مما يتعلق بالبدايات من أحوال تدل على صحة الكرامات

فمن ذلك ما نقلته من التأليف المذكور، مع انه عند الفقراء من الخبر المشهور، قال رحمه الله: مكثنا مدة من اثني عشر يوما لم يفتح لنا فيها بشيء. فاشتد حالنا حتى كان بعض الأولاد يلحس الرحى، وبعضهم يلحس الرقعة، من شدة الجوع. فناجتني النفس قم يا صالح وتسبب لهذه الأولاد، فإن الله تعالى قد أمرنا بالتسبب. قال فخرجت إلى باب الدار فتذكرت قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾[1] فقلت شيء في السماء [أين][2] أطلبه في الأرض. فرجعت إلى البيت. ثم رأيتهم يتضرعون، من الجوع. فناجتني النفس، قم ياصالح وتسبب، فإن الله أمرنا، بالتسبب. فخرجت إلى باب الدار، وأنا متحير، إلى أن غلبت على قوة اليقين. فقلت ما أنا، بارحم لهم ممن خلقهم. ثم قذف إلى [في روعي][3] قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[4] فسررت بهذه الآية حتى شطحت[5]، وأمرتهم أن يتوضأوا كلهم. ودخلنا إلى البيت وجعلنا نصلي فيه. وإذا بالباب يضرب. فخرجت فوجدت رجلا معه

---

(1) سورة الذاريات 22.

(2) م [اي] ط س م [اين]

(3) ط.س [زوعي] م.د [في روعي]

(4) طه 132.

(5) الشطح : شطح يشطح إذا تحرك وناض على جنبيه. وكذلك حال المريد، إذا زاد وجده، ولم يستطع حمل ما يريد على قلبه من سطوة انوار حقائقه.

وقيل هو كلام يترجمه اللسان عن وجد، يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى، ظاهره يخالف الشريعة.

وحسب صاحب كتاب حياة القلوب يصدر منهم – اي من المريدين– في حال غيبتهم بما يرد عليهم، وحال سكرهم بالمحبة.

– عماد الدين الاموي: حياة القلوب م س هامش قوت القلوب ج 2، ص 273.

– عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية، م س 140.

– الشرقاوي: معجم الفاظ الصوفية، م س 182.

حمل دقيق ووعاء من سمن. فقال خذ هذا يا صالح فقلت: ومن أنت فقال أنا عبد الله، بن عبد الله لا تسألني ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين، قال فأخذت الدقيق والوعاء وطرحته في البيت، ثم عدت إليه فلم أجده، فما رأينا جوعا بعد ذلك اليوم إلى هلم جراء. هذه حكاية صحيحة منقولة من لفظه، معروفة من قوله، عنيت بشرحه وتفسيره، عن قول غيره وتعبيره، وليس فيها ما يحتاج إلى التبين، سوى قوله رحمه الله فشطحت. فلا بد من البحث عن ذلك، لئلا يظن الجاهل من الفقراء. أن معناه القفز، والرقص فيزعم أن الشيخ رحمه الله كان يرقص، ويقفز وليس الأمر كذلك. فنقول وبالله التوفيق: الشطح لغة، هو الحركة، يقال شطح يشطح، إذا تحرك. ويقال لما يحرك به الدقيق مشاطح، فالشطح لفظه، مأخوذ من الحركة، وهي عبارة عن صفة موصوف ينعت ببعض الفضيلة. عند مضيق الحمل عن ذلك. ومنه قولهم شطح الماء في النهر، إذا ضاق النهر عن الماء حتى فاض، عن جانبيه. وكذلك المريد إذا ضاف، عن حمل ما يرد، عليه من المواهب تحركت [جوارحه][1] من شدة الامتلاء فيلفظ اللسان عند حركته بعبارات مشكلة إلا على أربابها، لما منحوا من فهم معانيها فيسمى ذلك شطحا وقوله رحمه الله فشطحت عن ذلك معناه امتلأت فرحا وسرورا، حتى ضاقت الجوارح، عن كتم ذلك. وربما وقعت في باطنه من [المبشرات][2] الإلهية، والعلوم الدنية، ما امتلأ الباطن به، حتى ضاق عنه ذلك بقوله، فشطحت. هذا هو الذي يليق بمنصبه، وهو المعروف من حاله في شدته، ومقامه في حال جدبه أو خصبه، نفع الله تعالى به، وأنشدوا:

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ [الأَرْضَ مضيقة] عَلَـى أُنَاسٍ هُـمْ فِيهَـا مَصَابِيحُ[3]

(1) م [جوارحه] ط س م [الجواح]
(2) ط س [المبشرات] م د [المسرات]
(3) من البسيط

سُدَّتْ عَلَيْهِمْ شِعَابُ الرِّزْقِ اجْمَعُهَا وَبَابُهَا لِبَنِي الارْذَالِ مَفْتُوحُ

ومنها ما حدثني غير واحد ممن أدركته قال: كان للشيخ أضحية قد فتح له بها يوم العيد ولم يكن عنده ما يذبحها به ولم تكن عادته أن يطلب شيئا من غيره فخرج والناس مشتغلون بذبح ضحاياهم [على أن][1] يتوضأ من البحر لركوع الضحى. فبينما هو يتوضأ إذا بموج قد رمى بين يديه سكينا فأخذها، واتى بها إلى منزله فذبح بها أضحيته، وهذه السكين الان موجودة عند اولاده. فبها يذبح كلهم ضحاياهم وبعض الناس يطلبونها لأجل البركة، ويذبحون بها إلى هلم جرا. وهم متفقون على صحة هذه الحكاية. ومنها ما حدثني به غير واحد ممن أدركته، قالوا سمعنا الشيخ رحمه الله يقول: خرجت مرة في ابتداء أمري مع رفقاء من جيراني قرب عيد الأضحى، بعيدا عن العمارة، صالحا للعبادة، فتاقت نفسي إلى الإقامة فيه طلبا للزيادة، فقلت لأصحابي قد بلغنا موضوع الاكتساب، فما يمكننا سوى الافتراق لطلب الأسباب، وهذا المسجد يكون جمعنا عند رجوعنا فيه إن شاء الله قالوا نعم، فتفرقنا ثم رجعت إلى المسجد بعد انصرافهم، وبقيت فيه متعبدا إلى حين إيابهم ورجوعهم من أسبابهم، وكل قد أتى بزيادة لعائلته، بقدر ما فتح له من الرزق في قسمته، فوجدني على تلك الحالة وليس معي زيادة فأخذوا في لومي ومعاتبتي فقلت أدركني ضعف حتى لم أقدر على سبب فرجعنا إلى أهلنا حتى إذا بلغنا الموضع نزلت إلى ساحل البحر مستخفيا ونويت أن لا أدخل على أهلي والأولاد قد لبسوا كسوة ومعهم خير كثير وضحية فقالوا قد وصل ما بعثته مع الرسول وقال هو على أثري ونحن منتظرون لك فحمدت الله تعالى على ذلك وما خرجت بلا سبب بعدها إلى هلم جرا وانشدوا:

---

(1) س [عن أن] ط م د [على أن]

فَلاَ أَلْبِسُ النُّعْمَى وَغَيْرُكَ مُلْبِسِي وَلاَ أَقْبَلُ الدُّنْيَا وَغَيْرُكَ وَاهِبُ[1]

ومنها ما اشتهر بين الفقراء ذكره، وذاع في الأكثرين نشره، أنه قال رحمه الله: كنت معتكفا في بداية أمري في بعض المساجد وكنت نويت إقامة أربعين يوما فيه وقبل تمامها أتتني امرأة عند الفطر بزبدية طبيخ ورغيف خبز وليس هنا عمارة فحطته بين يدي فما التفت إليها ولاعرجت عليها حتى إذا كان من الليلة الثانية أتتني أيضا بزبدية طبيخ ورغيف خبز فوجدت الأول بحاله فطرحته بين يدي فلم ألتفت إليها ولا عرجت عليها حتى كان في الليلة الثالثة أتتني خادم سوداء، كوخش الرقيق ثم قالت خذ ياصالح أنا الدنيا لو أقبلت عليّ بالأمس وأنا على تلك الصورة لكنت مفتونا بي طول حياتك، والآن قد أمرت أن أخدمك مادمت حيا فحمدت الله تعالى على ما وهب لي من ذلك ثم انصرفت راجعا، ومنها ما حدثني به غير واحد ممن أدركته من شيوخ هذه الطائفة أنه قال رحمه الله دخلت مسجدا للمبيت وأنا في سياحة وكنت صائما وليس معي شيء سوى كتاب المنهاج[2] كنت أنظر فيه، فلما صليت العشاء إذا بأناس قد أواهم المسجد للمبيت أيضا، فمدوا بين أيديهم سماطا، ثم نظروا إليّ فرأوني قاعدا وليس معي شيء، فاستدعوني إلى طعامهم، فتنزهت عنه فأكلوا ثم ناموا فأخذت في تمهيد مضجعي فإذا برائحة خبز [نفحت][3] علي من قبل الحائط فمددت يدي فوقعت على رغيف خبز سخن كادت يدي تمتنع منه لشدة حرارته، فأخذته وقسمته نصفين، ثم أكلت نصفه ووضعت النصف الآخر في شكارة الكتاب استعددته لفطوري من الغد إن شاء الله تعالى [فحمدت الله][4] على ما وهبني من ذلك. ومنها ما

(1) من الطويل

(2) هناك العديد من الكتب تحمل نفس العنوان راجع كشف الظنون، ج 2 ص: 1871.

(3) ط س د [نفحت] م [نهجت]

(4) م [فحمدت] ط س د [ثم حمدت]

حدثني به الحاج أبو عثمان سعيد ابن يعقوب الرجراجي[1] قال سمعت شيوخا ممن أدركتهم من تلامذة الشيخ يتحدثون أن الشيخ رحمه الله قال لما صحبت أبا العباس المريني[2] في بعض سياحته اعتكفت معه شهر رمضان في مسجد الزرقون وهو مسجد معروف ما بين رجراجة[3] وحاحة[4] على ساحل البحر ولم نزل هنالك إلى أن قرب موسم شاكر، فتاقت نفسي إلى الموسم وكنت لا أتركه، فقال لي أبو العباس: أتريد أن تحضر موسم شاكر، وقد تعلق خاطري بذلك. فقلت نعم. فقال: كلنا نحضره إن شاء الله تعالى. فما زال يعللني بذلك إلى ليلة سبعة وعشرين، وقد وقع لي منه اليأس حتى إذا صلينا العشاء قال لي: قم ياصالح بنا نحو شاكر قال فخرج وتبعته فمشينا بعض الخطوات وإذا نحن على الساحل بوادي تانسيفت[5] تحت المسجد فقلت ندخل المسجد فقال ليس هذا وقت دخول المسجد فبقينا هنالك إلى ثلث الليل الأخير، فإذا

---

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) لم اقف له على ترجمة

(3) رجراجة: قال الاستاذ احمد التوفيق في اصل هذه التسمية: «رجراجة جمع رجراجي واصلها إريكراكن، ومفردها اركراك وهو من فعل ارك الذي معناه بارك ومنه تاركت وهو موكب التبريك وأركراك هو المتبرك به، ولعل لهذه التسمية علاقة بما يذكر لهم من السابقة في الإسلام، وكان موطنهم ممتدا على مناطق واسعة وتقلص اليوم إلى جبل الحديد حول اقرمود، راجع: - احمد التوفيق: إحالة 13 التشوف، ص: 86.

(4) مجموعة قبائل من القبائل المصمودية تقطن بين الصويرة واكادير، وحسب الأستاذ احمد التوفيق «اسمهم الأصلي ايحاحان، وهو جمع والمفرد ايحيحي، والراجح انهم تسموا بذلك لنطقهم الخاء حاء والنسبة إليهم بالعربية، الحاحي نسبة إلى قبيلة حاحا... واليهم انتسب عدد من الاعلام من أمثال ابي عبد أبي عبد الله العبدري صاحب الرحلة الشهيرة» راجع:

- احمد التوفيق إحالة 719 من تحقيق التشوف، ص: 282.

- عبد الوهاب بن منصور، إحالة 156 تحقيق أخبار المهدي بن تومرت، ص: 70.

- عبد العزيز بنعبد الله: معلمة المدن والقبائل ملحق 2، ص: 179.

(5) وادي تانسيفت نهر شهير ينبع من الاطلس الكبير، يبعد عن مراكش ب8 كلم شمالا، ويبلغ طوله 276كلم ويصب في المحيط الاطلسي، قال الاستاذ احمد التوفيق: «وصيغته مؤنث انسيف اي النهر ونطقه اليوم حذفت منه النون فيبقى أسيف، راجع: احمد التوفيق، مصدر سابق، إحالة 128 و126.

بنور غشي المسجد، كأنه قبة قد ضربت عليه فقال: قم يا صالح ندخل المسجد، فدخلنا فيه وركعنا ثم قام وقمت فصعدنا على سطح المسجد، فإذا رجل قاعد عليه وحده، وصفته آدم اللون شديد الأدمة، وعليه. مرقعة فسلمنا عليه، ثم قعدنا حوله ساعة، من غير أن يقع منه كلام. ثم أشار إلى أبو العباس إلى القيام فقام وقمت، فلما بلغنا رأس الدرج ألقى الله تعالى في باطني أن ذلك الرجل هو القطب. فقلت لأبي العباس رأيت القطب وكأنه عبد فقال قد اغتبته[1] ياصالح، ارجع إليه واستغفر منه. قال فرجعت إليه وقبلت ركبتيه، وقلت يا سيدي قد جرى مني قول كذا وكذا فقال لي أبو العباس ارجع إليه، حتى تستغفر منه، وأنا أستغفر الله تعالى، فيما قلت. فقال لي غفر الله لك يا صالح، فقلت يا سيدي ادع الله تعالي لي. فقال جعل الله قلبك شمسا يضيء به المشرق والمغرب. قال فانصرفت عنه. ثم وجدت أبا العباس واقفا. حيث تركته فقال لي: كيف صنعت، فأعلمته باستغفاره، ودعائه قال فبكى أبو العباس ثم قال: يا صالح قد نلت منه في ساعة ما نلت أنا منه في معرفته ثلاثون سنة. فحمدت الله تعالى على ما وهب لي، من ذلك هذه حكاية صحيحة متداولة بين الفقراء، ومشهورة عند الكبراء وأنشدوا:

جِئْتُ مُسْتَخْفِيًا وَقَدْ عَرَفُونِي ... هَا أنَا تَائِبٌ [تَرَى يَقْبَلُونِي][2]

وَقَلْبِي[3] وَقْفٌ عَلَيْهِمْ دَهْرًا ... كُلَّمَا رَمْتُ وَصْلَهُمْ ابْعَدُونِي

أبَعَدُونِي وَقَرَّبُوا الْغَيْرَ دُونِي ... وَيْحَ نَفْسِي هَجَرْتُ مِنْ دُونِ مَيْنِ

لَمْ أكُنْ لِلْوِصَالِ أهْلاً وَلكِنْ ... أنْتُمْ بِالْوِصَالِ أطْمَعْتُمُونِي

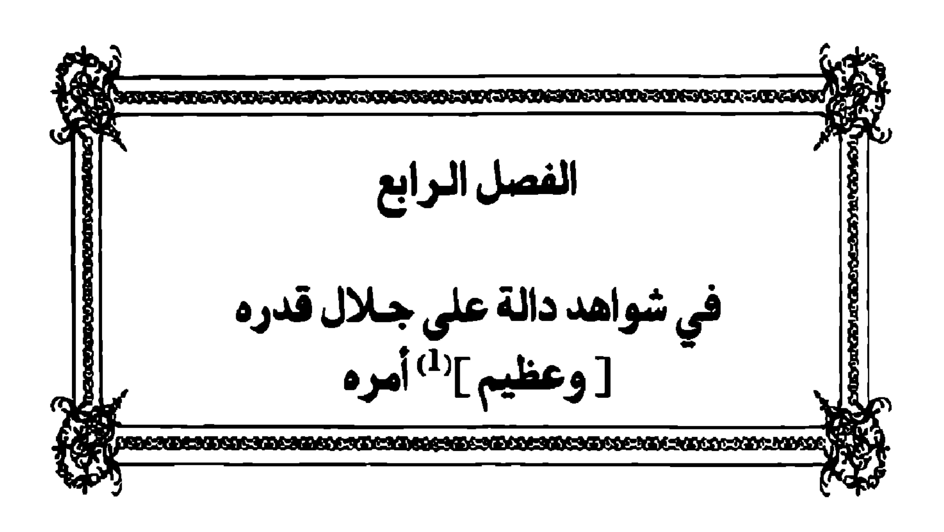
وَلِغَيْرِي قَدْ قِيلَ أهْلاً وَسَهْلاً ... وَأنَا الْيَوْمَ يُغْلَقُ الْبَابَ دُونِي

(1) اغتبته: اغتابه: ذكر من ورائه عيوبه التي يسترها ويسوؤه ذكرها. المعجم الوسط ج2 673 .
(2) من الخفيف: ولعل الصواب هو [ترى قبلوني].
(3) لعل الصواب: وفؤادي بدل [قلبي]

فَاجْبِرُوا كَسْرَ مُذْنِبٍ قَدْ أتَاكُمْ ... يَرْتَجِي عَفْوَكُمْ بِكُمْ فَارْحَمُونِي

دَمْعُ عِينِي أرَقْتُهُ فِي هَوَاهُمْ ... طَالَ شَوْقِي لَهُمْ وَقَدْ تَرَكُونِي

يَاجُفُونِي عَلَى الْبُكَا سَاعِدُونِي ... وَيْحَ قَلْبِي وَمُهْجَتِي هَجَرُونِي



الفصل الرابع

في شواهد دالة على جلال قدره [وعظيم][1] أمره

(1) ط د م [عظم] س [عظيم]

فمنها ما حدثني به الفقيه الفاضل المتعبد، أبو زكريا يحيى بن عبد الله المطارحي قال: كنت ببلد القاهرة المحروسة ملازما للشيخ الفاضل العالم المحدث، قطب الدين القسطلاني[1] بمدرسة الحديث[2] قراءة عليه. وكان كثير الاعتناء بأصحابنا المغاربة، ولا سيما بطائفة شيخنا رحمه الله. وقلما كان يرى أحدا منهم حتى يترحب به، ويسأله عن الشيخ وعن فضائله. وكنا نتعجب من ذلك فقال لي بعض الفقهاء يوما، وقد سألته عن سبب ذلك فقال رؤيا رآها في منامه، فاعملنا بها قال: رايت فيما يرى النائم، كأني دخلت دارا، ما رأيت أحسن منها قط، وفيها مجلس ما رأيت مجلسا أحسن منه قط، فإذا النبي ﷺ قاعدا في وسطه مع جماعة من أصحابه فدخلت فسلمت عليه ثم قعدت مع خذ الباب. وإذا بشيخ قد دخل فسلم على النبي ﷺ وقعد بين يديه. فوضع رسول الله ﷺ يده المباركة على رأس الشيخ ثم قال لي: أتعرف من هذا الشيخ؟ قلت: لا يا رسول الله، فقال لي: هذا هو الشيخ أبو محمد صالح المغربي، أتعرف ما فعله؟ قلت: لا يا رسول الله، قال إنه كان يحرض الناس على زيارتي. فلأجل ذلك اعتقدت هذا الشيخ وأصحابه، قلت في هذه الحكاية من

---

(1) هو محمد بن احمد بن علي القيسي ابو بكر قطب الدين القسطلاني، ولد بمصر سنة 614هـ 1218م، ونشا بمكة ثم رحل إلى بغداد والشام والجزيرة، واخذ عن علمائها قال السيوطي: «وكان ممن جمع العلم والعمل والف في الحديث والتصوف، وولي مشيخة دار الحديث الكمالية، من مؤلفاته التي طبع البعض منها: الإفصاح عن المعجم من الغامض، والمبهم- اقتداء الغافل باهتداء العاقل- في التصوف - رسالة في تفسير القرآن- لسان البيان عن اعتقاد الجنان، وتوفي سنة 686هـ 1287م، بالقاهرة، راجع:
- السيوطي: حسن المحاضرة، س ج1، ص: 419.
- ابن العماد: شذرات الذهب: م س ج 5 ص: 394.
- الزركلي: الأعلام: م س ج 3، ص: 219.

(2) هي دار الحديث الكمالية بالقاهرة اشار إليها السيوطي في سياق ترجمة الدين القسطلاني الذي كان تولى المشيخة فيها، راجع السيوطي: حسن المحاضرة، س ج 1، ص: 419.

الشواهد الدالة على فضيلته والبراهين القاطعة بجلاله على ما رواه هذا الفقيه الصالح ورواه هذا العالم الناصح وذلك من أوجه:

الأول: قرب رسول الله ﷺ بالجلوس، بين يديه وفيه دلالة على قوة متابعته إليه ﷺ. ومن كان في المجلس أقرب كان في المتابعة أنسب ويؤيد هذا قول أبي ذر رضي الله عنه لأصحاب رسول الله ﷺ **«أنا أقربكم مجلسا من رسول الله ﷺ يوم القيامة. قيل: وكيف ذلك؟ قال ألم يقل عليه السلام: إن أقربكم مني مجلسا من تركته على حالة فلم يتغير عنها حتى يلحقني»**[1] كلكم نخل الشعير غيري.

الوجه الثاني: اعتناؤه عليه السلام بالتعريف به لمن لا يعرفه. وذلك دليل على شهرته وارتفاع ذكره، وقد خص بذلك في عصره، من إيداع اسمه في الخلق ونشره، فهو أكبر آية في محبته، وأصح دلالة على صدقه في دعوته.

الوجه الثالث: وضع يده المباركة على رأسه في التعريف، وهي زيادة في التكريم والتشريف، لأن في وضع اليد معنى من الحيازة والتمليك، والقرب والمتابعة في التسليك، فكأنه عليه السلام أشار بأنه من جملة من حازه بالنعت والسمت، كما خص سليمان بقوله عليه السلام **«سلمان منا أهل البيت»**[2].

الوجه الرابع: تسميته عليه السلام بالشيخ، في التعريف وفيه دلالة التقدم على من سواه في عصره، والفخر عليه بإعطائه عليه السلام المشيخة على أهل مصره، وفيه معنى للإذن [في][3] ذلك فهو أولى بها من كل من ادعاها لنفسه، أو دعاه بها أبناء جنسه، وقد كان يوسف بن عبد

---

(1) الإمام احمد بن حنبل: راجع مسند احمد بن حنبل، م س ج 5، ص 165

(2) درويش: مرجع سابق، ص: 122.

(3) ط [عن] د س م [في]

الله بن سلام[1] يفتخر على من سواه ويقول أنا الذي سماني رسول الله ﷺ يوسف، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي بيده، وناهيك بذلك فخرا.

الوجه الخامس: تعريفه عليه السلام، له بالاسم والكنية والنسبة، حتى لا يبقى معه تردد لسائل، ولا احتمال لقائل، ولا ريب لجاهل، ومن عادات السادات والفضلاء تكريم المخاطب عند التفخيم لقدره والتعظيم لحرمته، وبيانا لمزيته عندهم ومرتبته، أن لا يواجه باسمه بل بكنيته فإن الاسم علم للتعريف، والكنية سمة التشريف، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[2] وفي تكنيته عليه السلام له دلالة في التعريف على غاية التشريف.

الوجه السادس: شهادته له عليه السلام، بالتحريض للناس على زيارته، وندبهم إلى تعظيم شرعته وسنته وفيه دلالة على رضاه عليه السلام لذلك الفعل وقبوله، وفيه شهادة للشيخ بالوفاء، وعدم الجفاء لقوله عليه السلام: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»[3] وفيه دلالة على التحريض في المتابعة والندب، إلى التعلق بأسباب الشفاعة وكل ذلك قد شوهد منه رحمه الله في حال حياته:

أَلاَ حَبَّذَا مَنْ لَيْسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ ... لَدَيَّ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ نَعِيمُ[1]

وَمَنْ لاَمَنِي فِيهِ حَبِيبٌ وَصَاحِبٌ ... فرد بعيب صَاحبٌ وَحَمِيمُ

---

(1) يوسف بن عبد الله بن سلام بن الحارث أسلم أبوه لما قدم الرسول إلى المدينة مهاجرا، قال ابن الأثير: ولد في حياة النبي ﷺ وأجلسه في حجره، ومسح رأسه وسماه يوسف، وروى عن النبي أحاديث، وروى عنه محمد بن المنكدر وآخرون، راجع:
- العجلي: مصدر سابق، ص: 486.
- ابن الأثير: مصدر سابق، ج 3، ص:160، ج 4، ص: 753.

(2) النور 63.

(3) الألباني: راجع سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة، المكتب الإسلامي/ ج1، ص: 61.

ومنها ما حدثني به الفقيه الفاضل الحاج المتعبد أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبي بكر الغرناني[2] قال: سمعت جملة وافرة ممن أدركته من شيوخ هذه الطائفة يقولون لما قدم الشيخ رحمه الله بلد آسفي لازم مسجدا، وكان يقرأ فيه السبع صلاة الغداة والعصر، فانكر ذلك عليه الفقيه المدرس أبو صالح الدكالي[3] من أدرجان فخذ[4] من أفخاذ القبيل المذكور وهو مشهور، فنهاه عن ذلك فلم ينته، فدخل المسجد ذات يوم فوجده يقرأ السبع ومع الفقيه طلبة فأمرهم بإخراج الشيخ من المسجد فلما قروبوا منه إذا بالفقيه قد رمت به الأرض نحو السقف فوقع رأسه في سمت السقف فخرج مخه على أنفه ووقع مغشيا عليه فرفعه الطلبة إلى منزله فما بلغ حتى قضى عليه رحمه الله. ولم يقدر أحد بعد ذلك اليوم يعترض على الشيخ، حتى اشتهر حاله في قراءة السبع ولم تزل الفقراء والعامة في [البلد][5] يقولون كان الفقيه أبو صالح ذبيح قراءة السبع ومنها ما حدثني به الطالب المريد أبو عبد الله محمد بن أبي طلاق[6] ببلد مراكش المحروسة قال سمعت الفقيه الحاج المدرس أبا عبد الله اليقوري[7] يقول لما قدمت القدس في بلاد الشام، دخلت على الشيخ الفاضل أبي يعقوب الفكريتي الحيحاي[8]. وأنا زائر له فسألته عن شيخه في الطريق. فقال ما أدركت شيخا وإنما شيخت حكاية ثم قال: لما قدمت هذه البلاد اعتقدت [اني][9] أخذ بيد الشيخ الفاضل الفخر الفارسي فأدركته قد

---

(1) من الطويل

(2) م [الغرناني] س.ط [الفرناني]

(3) لم اقف له على ترجمة

(4)

(5) م [في البلد] ط س [بالبلد]

(6) أبو عبد الله محمد بن أبي طلاق، ترجم له العباس بن ابراهيم في الاعلام، ج 7، ص: 286، في سطر ونصف وقال عنه: الطالب المريد لقيه بمراكش صاحب المنهاج الواضح وحدث عنه فيه.

(7) لم اقف له على ترجمة

(8) الحيحاي: صيغة تستعمل او تقال في حالة الفرح أو حالة استجلاء الجراد أو في حالة إطفاء النار.

(9) ط [التي] س د م [اني]

مات فعاشرت جملة من أصحابه فسمعتهم يقولون كتب الشيخ الفارسي [إلى][1] الشيخ أبي محمد صالح ببلاد المغرب، كتابا يقول فيه كيف الوصول إلى الطريق، فلما نظر الشيخ أبو محمد فيه أخذ قرطاسا أبيض وطواه، ثم طبعه وأعطاه للرسول، فلما قدم الرسول بالكتاب على الفخر الفارسي، فتحه فوجده قرطاسا أبض فتغير حاله لذلك ثم دخل خلوة، ومكث فيها ما شاء الله، ثم خرج منها متهللا مسرورا. قالوا: فسألناه عن سبب انقباضه عند دخوله في الخلوة وعن سروره عند خروجه من الخلوة، فقال: كتبت للشيخ أبي محمد فلما لم يجبني، بشيء اتهمت نفسي، في ذلك فدخلت الخلوة، ممتحنا لها. ففتح علي في خلوتي بفهم جواب الشيخ. فإذا هو يقول بلسان حاله في بطاقته اطرح عنك ما سواه يصفو لك الوقت، كما هذا القرطاس، فسررت بفهم ذلك، كما ترون، قال أبو يعقوب: فاتخذت هذه الحكاية شيخا واطرحت، عني كل ما سواه، ومنها ما حدثني به الحاج أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر الماجري رجل من أهل الرباط قال سمعت الشيخ الفاضل أبا موسى عيسى بن عاصم الزناتي يقول: كنت منقطعا مع الفقراء في رباط الشيخ رحمه الله ففتح لنا بشيء صالح وذلك بعد اعتزال الشيخ عنا في منزله، فتقاسم أهل الرباط الفتوح على طبقاتهم، فاستأثر أهل البلد بجل ذلك عن الغرباء حتى أنهم أخذوا عشرة دنانير لكل واحد منهم والغرباء خمسة دراهم فأدركني من ذلك غم فأتيت الشيخ رحمه الله في منزله وقلت يا سيدي لو رأيت ما أحدث الفقراء، بعدك بالرباط فتح لهم بشيء صالح، فاستأثرت به أهل البلد عن الغرباء. فأخذ أهل البلد عشرة دنانير وأخذ الغرباء خمسة دراهم فقال: لعلك من أهل خمسة دراهم، قلت: نعم، فقال يا عيسى ماذا؟ كنت أحسبك من أبناء الآخرة وإنك لمن أبناء الدنيا حين تعرف فضل ما بين العشرة دنانير، والخمسة

(1) انظر التعريف به في إحالة الفصل الثالث القطب الثاني من النص.

دراهم، لا تصلح للآخرة ارجع إلى بلدك واكتسب خير لك، فقلت: يا سيدي ادع الله تعالى أن يمحو ذلك من باطني، فدعا لي ثم انصرفت وقد وجدت بركة ذلك الكلام والدعاء حتى لا أفرق بين الذهب وحصباء الأرض:

وَكَـاسٍ شَـرِبْتُ عَـلَى لَـذةٍ وَأُخْـرَى تَـدَاوَيْتُ مِنْهَا بِـهَا[1]

ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل الحاج أبو اسحاق ابراهيم بن عبد السلام اليزيدي الدرعي[2] قال: سمعت الحاج الفاضل أبا اسحاق بن ابراهيم ابن أبي بكر الدرعي[3] يقول: رأيت فيما يرى النائم، كأني دخلت تربة الشيخ في الرباط زائرا، وإذا به قاعد، وعليه ثياب بيض تضيء الروضة من بياضها فدنوت منه، وقبلت يده، ثم نظرت إلى قدمه، فهممت أن أقبلها، فإذا به يحركها ويقول: هذه قدم لا ترفع عن الصراط حتى يجوز كل من اعتقدها وأحبها في الله ومنها ما حدثني به الشيخ أبو علي الحسن ابن عبد الله بن موسى[4] قال مرضت مرضة شديدة فاشتد علي الحال فزارني رجل ممن له بركة، فأمرته أن يمسح بيده المباركة على جسدي فلما خرج أغمي علي حتى ظن اهلي أني قد مت، فإذا بي قد

(1) من المتقارب

(2) لم اقف له على ترجمة، نسبه إلى درعة، وعند البكري يقال لها تيموتين وهي «مدينة آهلة عامرة بها جامع وأسواق ومتاجر»، وذكر الحميري أن بينها وبين سجلماسة ثلاث مراحل ويحيط بها سور»، وقد نبغ من درعة العديد من العلماء وهي عند ابن خلدون «ذات النخل المخصوصة بنبات النيلج وصناعة استخراجه في شجره، وهي قصور ذات نخل موضوعة في سفح جبل درن من آخره» وأشار عبد العزيز ابن عبد الله إلى ان مدينة درعة أصبحت مندرسة وانها كانت تقع بالقرب من الرصاني، راجع:
- البكري: مصدر سابق، ص: 155.
- الحميري: مصدر سابق، ص: 235.
- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص: 202.
- عبد العزيز بن عبد الله: مرجع سابق، ص: 195.

(3) لم اقف له على ترجمة

(4) لم اقف له على ترجمة

حملت إلى قبري وطرحت، فيه وإذا هو مملوء [حيات][1] وعقارب الله أعلم كيف كانت، من عظمتها. فبينما أنا بين تلك الحيات والعقارب، وإذا بملكين قد أخذاني وطوقاني بالسلاسل، وحملاني حتى أوقفاني، بين يدي الله رب العالمين، فقال لي: أليس قد قرأت القرآن، فقلت بلى يارب، فقال ألم تقرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2] قلت بلى يارب. فأمرني فأخذت وصفدت يداي ورجلاي وضربت لي أربعة أوتاد ثم بطحت[3] بينهم، وجعل علي صدري صخرة من نار. فبينما أنا كذلك إذ بجمع وفيهم والدي عبد الله بن موسى متشفعين إلى ربي في، فلم يقبلوا ومضوا وإذا بجمع كبير وخلق كثير، وفيهم أبي عبد الله ابن موسى[4] فقيل لي هذا أبوك، ومعه شيخه أبو محمد صالح، يشفع فيك إلى ربه وقد شفع وإذا بالملكين، قد رفعا عني الصخرة، وحلا وثاقي فاستيقظت من غشيتي بعد يومين وليلتين. والأيتام الذين جرى علي ما جرى بسببهم هم إخوتي من الأم وبيني وبينهم نخل مورث وأنا القائم به. فلما أفقت خرجت عن كل ما أرثه من ذلك النخل لهم، وعاهدت الله ألا أشرب ماء متى سلك في أرضهم فضلا عن غيره. فهذه حكاية من أكبر الشواهد وأعظم الدلائل على ولاية الشيخ رحمه الله. ومنها ما حدثني به الوالد المرحوم سيدي إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح قال لما جرى علي من قدر الله تعالى ما جرى ببلد مراكش من الثقاف مكثت في السجن أربعين يوما، ويوم تمام الأربعين، زارني فقير صالح من فقراء مراكش، فقال لي: أبشر، فإنك تطلق في هذا اليوم، فقلت: هل رأيت في ذلك شيئا؟ قال: لا، غير أني كنت البارحة نائما إذ رأيت

---

(1) ط س [مملو حياة] د م [مملوء حيات]

(2) النساء 10.

(3) بطحه: ألقاه على وجهه: مختار الصحاح م س 55.

(4) لم أقف له على ترجمة

رسول الله ﷺ قاعدا، في محراب الجامع جامع القصبة[1] وعن يمينه أبو بكر وعن شماله عمر بن الخطاب وبين يديه أبوك أبو العباس. وجدك أبو محمد، وجدك يقول: يارسول الله رأيت فعل محمد[2] بن علي بحفيدي يكرر ذلك شاكيا عليه، فرد رأسه ﷺ إلى أبي بكر فقال: قم يا أبا بكر فاطلقته فاستيقظت من نومي، فجئت أبشرك بذلك. قال رحمه الله فتاولت ذلك على أنهم يقتلوني، في ذلك اليوم، وألحق أبي وجدي، فتاهبت للموت، فلما بلغ الإنذار وكان يوم الجمعة، حتى دخل على فأطلقت. هذه حكاية دلالتها في الفضل ظاهرة، وبراهينها في العناية والاعتناء شاهرة. ومنها ما حدثني به الحاج الكرم أبو إسحاق ابراهيم بن عبد السلام اليزيدي الذرعي، قال: سمعت الفقيه أبا عبد الله محمد بن جوا[3]، عالم متورع مشهور بهذا الاسم بموضعه من وادي [سوس][4] يقول سمعت الشيخ الفاضل نخبة زمانه أبا محمد محمد[5] بن عبد الواسع بن سالم بن ينصارن، هو ابن أخي الشيخ رحمه الله يقول: كنت في بعض سياحاتي بأرض الشام، ومعي رفيقان حتى إذا بلغنا جبل لبنان، قلنا نسيح في هذا الجبل لعل الله تعالى أن يقيض لنا بعض الصالحين مصادفة فنقتبس من دعائه ثم قلنا وكيف لنا بصحبة الصالحين والبدلاء،

---

(1) هو المسجد الجامع الذي بناه المنصور الموحدي، بحي القصبة الشهير بمدينة مراكش.

(2) محمد بن علي: هو محمد بن علي عامل السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني 656هـ 685م، 1258هـ 1286م على مراكش وسوس وأشار ابن خلدون إلى انه كان على جبايات المصامدة.
- ابن خلدون: العبر، م س ج7، ص:623.
- مجهول: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط، ص: 87.

(3) لم اقف له على ترجمة

(4) الصواب سوس، وواد سوس ينبع من الاطلس الكبير، يصب في المحيط الاطلسي قرب مدينة اكادير.

(5) ابو محمد محمد بن عبد الواسع بن سالم بن ينصارن، خصص له الاستاذ محمد بن شريفة تعريفا مقتضبا فقال: «ولد اخ الشيخ ابي محمد صالح وتلميذه، حج وساح سياحة صوفية، وصل فيها إلى الشام ولبنان ولقي هناك العباد والزهاد» راجع: محمد ابن شريفة: الماجريون ضمن: «ابو محمد صالح المناقب والتاريخ» ص: 37.

مع ما نعرفه من أنفسنا من كثرة تخلفنا وأوزارنا، ثم قلنا نجدد مع الله[1] [تعالى][2] توبة صادقة، ونصعد إليه ففعلنا، ثم صعدنا يوم الخميس فبتنا في فلاة قبل بلوغنا، فوق الجبل فوجدنا طريقا [داثرا][3] وفيها أثر رجل واحد سائرا وراجعا فقفونا أثره، حتى انتهى بنا إلى عين ماء صغيرة وعليها مقعد رجل واحد للوضوء مفروشا ببلاط فانقطع الأثر عندها فعلمنا أنه موضع لوضوئه فتوضأنا وركعنا ثم رجعنا على الطريق وقفونا الأثر أيضا حتى انتهى بنا إلى مغارة، وفيها حلفا مفروشة وفيها شيء من خرنوب ورمان قليل وما فيها أحد فقعدنا، ننتظر من يسوقه الله تعالى لنا من الأولياء، فبعد ساعة، إذا بشاب نظيف الخلقة مغربي اللغة فسلم علينا فرحب بنا وقال قد أتيتم لزيارة جبل لبنان ورؤية الصالحين، قلنا إن شاء الله، فحط بين أيدينا خرنوبا ورمانا فأكلنا منه تبركا ثم قال هذا وقت السعي إلى الصلاة، فقام، وتبعناه حتى انتهى بنا إلى مغارة، في وسط مرج كبير، والطرق نحو المغارة، مشرعة من كل جانب، فلما بلغنا باب المغارة وجدنا عليها ثلاثة رجال قعود، فسلمنا عليهم ثم سألونا من أين قدمنا؟ فأعلمناهم، فقال أحدهم كيف تركتم الشيخ أبا محمد صالح؟ فقلنا بخير، فقال له الآخر ما رأيته حين دخلنا المغارة، فقال لا فقال دخل قبل الآن بساعة ثم قال ادخلوا لعلكم تجدون موضعا للصلاة، فدخلنا فوجدنا موضعا فقعدنا فيه ونحن نرجو إذا فرغنا من الصلاة نسلم على من هنالك من الأولياء والصالحين، فلما سلم الإمام ودعا، سمعنا صعقة ذهبت بها عقولنا حتى غشي علينا فلما أفقنا منها نظرنا فإذا نحن مطرحون بفلاة من أرض لا نعرفها ونحن على كبد طريق جادة فقلنا إنا لله وإنا إليه راجعون، قد رمي بنا من الجبل لكثرة أوزارنا فيا ليتنا لو

---

(1) لفظ الجلالة سقط من ط

(2) سقط من م

(3) الداثر: الهالك والدثور: الدروس واندثر قدم ودرس راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج 4، ص: 276.

سلمنا من بلاد الروم لئلا نقع في أسر المشركين فاختفينا عن الطريق ساعة وإذا برجل أعرابي يجر رمحه فتبادرنا إليه وناشدناه عن العمارة وعن جبل لبنان فقال أما العمارة فانتم منها بالقرب وأما جبل لبنان فبينكم وبينه مسيرة ثلاثة أيام فحمدنا الله تعالى حيث لم يرم بنا في أرض الكفر[1].
ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل نخبة زمانه أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يبورك[2] الصنهاجي قال: كنت بالشام سائحا في زيارة المشاهد فآواني المبيت مرة إلى بعض المساجد فلما دخلت وجدت شيخا كبيرا من الأكراد قاعدا فسلمت عليه، ثم أخذ يسألني عن أهلي وما جئت إليه، حتى قال في سؤاله من هو شيخك فقلت أبو محمد صالح من المغرب الأقصى فقال لي هل رأيت قط من رآه فقلت أنا رأيته بعيني وأخذت بيده وعاهدني فقال لي اقرب مني ثم اخذ براسي وجعل يقبل عيني ثم قال هو شيخي فقلت له هل رأيته فقال لا ولكني رأيت فيما يرى النائم أن الدنيا قد أصابها دخان عظيم والناس منه في كرب شديد ثم رأيت ناسا في علو الهوى وهم كالطير، وقد حجبوا عن ذلك الهول العظيم. فسألت عنهم فقيل لي: هذا أبو محمد صالح وتلاميذه. فلما استيقظت من النوم سألت عن هذا الاسم فقيل لي: هو رجل من المغرب الأقصى، ولي من الأولياء، فاعتقدته حينئذ، وأشهدت الله تعالى أني من جملة تلاميذه، فكل من رأيته من المغاربة أسأله عنه، فما رأيت من قال لي رأيته إلا أنت، ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل العم المرحوم أبو زيد عبد الرحمن[3] بن احمد بن أبي محمد صالح رحمة الله عليهم أجمعين قال: سمعت والدي أحمد يقول لبعض خدامه وهو يعاتبه على

(1) لعله يقصد بارض الكفر هنا: تلك الإمارات التي اسسها المسيحيون بالشام اثناء الحروب الصليبية.

(2) يبورك: يعني التفاؤل الحسن بهذا الاسم لانه يشير إلى البركة، ومثل هذا الاسم يسمى به احد اصحاب ابن تومرت الذين بايعوا تحت الشجرة الخروب وهو يبروك ايسكن، حسب ما ذكره البيدق في اخبار المهدي بن تومرت باب بيعة المهدي، ص:35.

(3) ترجم له.

ذلك، لما جاورت بأرض الحجاز خطر ببالي زيارة الشيخ أبي حفص شهاب الدين السهروردي، ومعي رفيقان، فزرناه من مكة شرفها الله تعالى إلى موضعه ببغداد ونحن حفاة الأقدام، مكشوفو الرؤوس إكراما له وطلبا للثواب في تعظيم أولياء الله. فلما وصلنا محله وجدنا الناس يردون عليه أفواجا، بعد أفواج. فما أمكننا سوى طلب الإذن لغربتنا، فاستاذن الخادم علينا فرجع فقال: لم يؤذن لكم في الدخول، فرجعنا فلما كان من اليوم الثاني أتينا وقت الضحى فلم يؤذن لنا. وكذلك بعد الظهر وبعد العصر ثلاث مرات، فلم يؤذن لنا حتى مكثنا ثلاثة أيام. وكل يوم نرد عن بابه ثلاث مرات، فقال أصحابي حد الزيارة ثلاثة أيام. وقد انقضت، فإن كان اعتقادنا لله فقد بلغ مقصودنا، قلت وما الذي استفدناه في هجرتنا إليه؟ فسلمت لهم حالهم وعاهدت الله تعالى ألا أفارق باب داره حتى أراه أو يقضى على هنالك، فمكثت خمسة وأربعين يوما أتردد إلى باب الشيخ ثلاث مرات والخديم يوسعني توبيخا وقهرا، ويسمعني كرها وينهرني نهرا، فأرجع إلى المسجد باكيا منكسرا متضرعا إلى الله عز وجل أن يلين على قلب الشيخ فبعد الخمسة وأربعين يوما، خرج الخادم إلي متهللا، فرحا مبتسما، ثم قال لي: ادخل، فقد أمر لك بالدخول. فدخلت [وتلقاني] الشيخ في بعض [إيوانه] وهو متكئ على أصحابه لكبر سنه، فلما قدمت دنوت منه قبل بين عيني وقال باولدي يا أحمد لا تأخذ علي فيما رأيت مني من الجفاء يوم قدمت علينا كنت أنا وأبوك صالح قاعدين فقال لي: يقدم عليك الآن ولدي أحمد فامتحنه حتى ترى كيف حاله مع نفسه، وكلما رأيت إنما كان بأمر والدك فالحمد لله الذي ألهمك رشدك قال: فمكثت عنده ثلاثة أيام، ثم قال لي انصرف فقد قضيت حاجتك. ومنها ما حدثني به جمع

أثق بحديثه ونقله، ولا أشك في [صدقه وفضله][1] قال : سمعت عيسى الزناتي[2] خادم الشيخ وكان كبير الشأن يقول كان من عادتي مع الشيخ رحمه اني أبادر يوم الجمعة فاقعد على باب داره حتى يخرج فأمشي معه إلى الجامع، فإذا الوقت باكر فقلت أتركع في مسجد تامرنوت[3] حتى يقرب الوقت وهو مسجد مبارك لم يزل الشيخ قبل بناء الرباط يتحنث فيه دائما، قال: فنزلت إلى المسجد فركعت ثم نظرت في البحر معتبرا في قدرة الله فوقع بصري على بياض قد ظهر من رأس الجبل في البحر كأنه شراع، فظننته بعض قوارب الصيادة، فلما قرب وتحققته فإذا هو رجل يمشي على الماء، فلما تحققت ذلك بادرت إلى الساحل لعي أعرفه، وظننت أن كل من في الساحل قد عاينه كما عاينته. فلما بلغت موضع نزوله رأيت شابا نبتت عوارضه، فلما حط رجله عن الماء رأيتها، وليس فيها بلل فلم أقرب منه هيبة له وتبعته حتى أتى باب الجامع، فوجد الشيخ رحمه الله واقفا كأنه منتظر له، ولم يكن وقت العادة في خروجه، فسلم الشاب عليه [فدخلا][4] الجامع وركعا ما شاء الله، ثم أخذا في الحديث فقعدت خلفهما استمع، لحديثهما فسمعت، الشيخ يسأله هن موضع قدومه فقال : خرجت بكرة أمس من جبل لبنان وأتيت بلد مالقه[5] وقد مات بها فلان فحضرت جنازته، وبت بها البارحة فلما أصبح قلت أصلي الظهر مع الشيخ إن شاء الله ثم [أخذ] في حديث آخر

(1) ط س [صدقه وفضله] د م [فضله وصدقه]

(2) لم أقف له على ترجمة

(3) لعل المقصود بتامرنوت هو قطب الرحى وعن موقع هذا المسجد راجع الخريطة الموافقة لكتاب « التشوف » تحقيق الاستاذ احمد التوفيق.

(4) ط س [فدخلوا] م د [فدخلا]

(5) مالقة: مدينة جنوب غرناطة وفي الجنوب الشرقي للأندلس وعلى ساحل البحر المتوسط تم تاسيسها منذ 1200 عام ق.م على يد الفينيقيين كانت عاصمة الادارسة الحموديين ايام ملوك الطوائف وقد اعتبرها بنو الأحمر العاصمة الثانية بعد غرناطة، كما اشتهرت بإنتاج انواع الفواكه وصناعة الفخار. راجع: - ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج 5، ص: 43. - المقري: نفح الطيب/ ج 1، ص: 173.
- ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص: 87.

فلما قضينا صلاة الظهر خرج الشيخ والشاب معه وهو قابض على يده حتى [بلغا] الرباط وصلينا العصر وقرأنا الحزب، قام الشيخ والشاب معه نحو الدار فتبعتهما فلما دخلا غلقت الخادم الباب فقعدت على الباب وأنا باك فلما نظر الشيخ إلي قال لي يا عيسى هل رأيت شيئا فقلت نعم فقال إياك وكثرة الحديث فاكتم ما استطعت فقلت يا سيدي لي إليكما حاجة فقال وما حاجتك قلت أشتهي من الله تعالى أن تكونا لي ضيفين في هذه الليلة، فقال: أبشر بذلك، فخرجت فرحا مسرورا، فأتيت العجوز فأعلمتها وقلت هل عندك شيء؟ فقالت: معنا صاع من دقيق الشعير ونصف صاع من جلبان، فقلت: ذلك خير كثير من فضل الله علينا. فلما صلينا العشاء بالرباط، تقدمت بهما إلى منزلي فدخلا، ثم قدمت لهما رغيفا صنعته العجوز والجلبان فأكلا منه ما شاء الله وباتا إلى الصبح. ثم خرجنا إلى الرباط ومكث الشاب ثلاثة أيام ثم ودعه الشيخ وانصرف، ولم يعرف أحد من أهل الرباط بقضية الشاب بل كانوا إذا رأوه مع الشيخ استثقلوه ولم أستطع أن أذكر لهم في حقه شيئا حتى مات الشيخ رحمه الله ولله در القائل:

وَمَا لِامْرِئٍ طُولُ الخُلُودِ وَإِنَّمَا يُخَلِّدُهُ طُولُ الثَّنَاءِ فَيَخْلُدُ[1]

ومنها ما حدثني به غير واحد ممن أدركته من الفقراء المشاهير قالوا كان رجل من فقراء الرباط يخيل له، في ابتداء أمره، أنه يزور مكة شرفها الله تعالى في كل ليلة، فأعلم الشيخ بذلك. فأمره الشيخ أنه متى وصلها يقيم بها يوما ويكثر من قراءة القرآن عند رؤيتها، فإن أصبح بها فهي كرامة، وإلا فهو تلاعب من الشيطان. فلما أتاه الرجل الذي يأتيه، كل ليلة ذهب معه فلما [بلغا أخذا][2] في العبادة إلى قرب الصباح

---

(1) من الطويل

(2) م [بلغوا] ط س د [بلغا]

فقال له هذا وقت رجوعنا. فقال له الرجل قد عييت، دعني أقيم هنا هذا اليوم فقال: أخاف أن تفتضح وتحجب عنه هذه الحالة، فامتنع من الرجوع، وأخذ في قراءة القرآن ففر منه الرجل، وقال علمك أيضا ذلك الشيخ السوء، قال فانقلب عنه ذلك كل ما أراه من المشاعر، وإذا به في مجزرة البلد. فلما أصبح اعلم الشيخ رحمه الله بذلك أي بقصته، فقال الشيخ متى جرى على أحدكم من هذه الأمور شيء فلا يكتمه عني، لئلا يتلاعب بكم الشيطان. فمن ظن منكم أني قد رأيت البيت، ولم تأكل كلاب برقة[1] عصاي، فهو ظن فاسد فلا تغتروا بمثل ذلك، ومنها ما حدثني به غير واحد من الفقراء قال: كان شيخ معروف عندهم بأرض كزولة[2] يسمى بالمحروم فسئل عن سبب هذا الاسم، فقال كنت في بداية أمري طالبا متجولا، فلما أخذت بيد الشيخ وأمرنا بالحجاز خرجنا،

---

(1) برقة: بفتح أوله والقاف. اسم صقع كبير حسب ما ذكره ياقوت الحموي يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، مشيرا إلى أهميتها الاقتصادية والفلاحية. وكان فتحها سنة 21هـ على يد عمر بن العاص. للمزيد راجع:

- الحموي معجم البلدان م س ج 1 377
- عبد المنعم: الروض المعطار: م س 90.

(2) كزولة أو جزولة: قبيلة وهي إخوة قبيلة صنهاجة للأم. ويردهم بعض النسابين والمؤرخين في مصمودة، لقرب مواطن الفريقين. فقد كانت مصمودة تسكن في جبال درن. وجزولة قربهم باقليم السوس. وإليها ينتسب عبد الله ياسين حسب ما ذكره ابن خلدون.

ويشير ابن أبي زرع إلى أن أبا بكر بن عمر قام بتجنيد كزولة عندما اراد فتح سائر بلاد زناتة. [جاء في القرطاس « ورجع إلى مدينة اغمات، فأقام بها إلى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين واربعمائة. فخرج بجيوشه إلى بلاد المغرب، في أمم لا تحصى، من صنهاجة وجزولة والمصامدة. ففتح بلاد فازار وجبالها وسائر بلاد زناتة].

كما أن خلفه يوسف بن تاشفين، قام سنة 454هـ بإعادة تنظيم الجيش ضاما إليه جزولة « فكمل له من الجيش في تلك السنة» أزيد من مائة الف فارس، من قبائل صنهاجة وجزولة ويبدو أن جزولة بقيت مؤيدة للحكم المرابطي، فنراها تنظم إلى جيش علي بن يوسف، لمحاربة الموحدين عندما أصبح نفوذهم يتسع بالمغرب. وللمزيد راجع:

- ابن أبي زرع: القرطاس م س 133 - 139.
- ابن خلدون العبر: م س م 6 133. 139-228 وما بعدها.
- عبد الوهاب بنمنصور قبائل المغرب م س 331.

حتى إذا كنا بأرض برقة، تهت يوما على أصحابي فمشيت، إلى الليل فبت في الصحراء وضاقت نفسي فقلت عند نومي، الم يقل الحجاج إذا أدركنا في الطريق كرب أو شدة واستغثنا بالشيخ نجد فرحا وسرورا بذلك ثم نمت وطرحت عباءتي علي، ثم أخذتها ورميت بها عني ثم قلت يا سيدي أبا محمد سالتك بالله العظيم، ونبيه الكريم، إلا ما رددت على عبائتي . قال فإذا بالعباءة قد طرحت، على قال فقمت مرعوبا . ونظرت يمينا وشمالا . فما رأيت شيئا ثم فعلت ثانية كما فعلت أول مرة، بعد أن استعذت بالله من الشيطان الرجيم، قال فإذا بالعباءة قد طرحت علي وقائل يقول لي : لم أتعبتني أتعبك الله . قال فبقيت مرعوبا . فلما أصبح مضيت على حالي فلما وصلت أرض الحجاز، مكثت في مكة شرفها الله تعالى سبعة أعوام . أكون صحيحا فإذا جاءت الوقفة، وبقي لها يوم أو يومان، أغمى علي عقلي حتى ينصرف الناس، ويذهب عني ذلك الحال، فلما طال حالي علمت أن الدعوة قد نفذت في فعدت إلى هذه البلاد ولم أحج فسميت نفسي بالمرحوم، وكان رجوعي بعد وفاة الشيخ رحمه الله وانشدوا :

قَدْ كُنْتُ أحْذَرُ أنْ آلاَمَ عَلَى الْهَوَى ... لَكِنْ إذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ[1]
أخْلَصْتُ فِيكَ سَرَائِرِي وَمَحَبَّتِي ... وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي خَطَرْ
يَاصَاحِ هَلْ لَكَ فِي الدِّيَارِ عَلاَمَةٌ ... مِنْ نَـازِحٍ بِمَقَالَةٍ وَقَـدْ اشْتَـهَرْ
قَدْ قَالَ وَقْـتَ مُعَاتِبٍ مِنِّي لَهُ ... خَلِّ الْعِتَابَ عَلَى الَّذِي سَاقَ الْقَدَرْ
مَا تَرْحَمُونَ عَزِيزَ قَـوْمٍ ذَلَّ فِي ... حُكْمِ الْهَوَى وَغَنِّى قَوم افْتَقَرْ
فَلأَصْبِرَنَّ عَلَى الْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا ... عِلْماً بِأنَّ الصَّبْرَ عُقْبَاهُ الظَّفَرْ

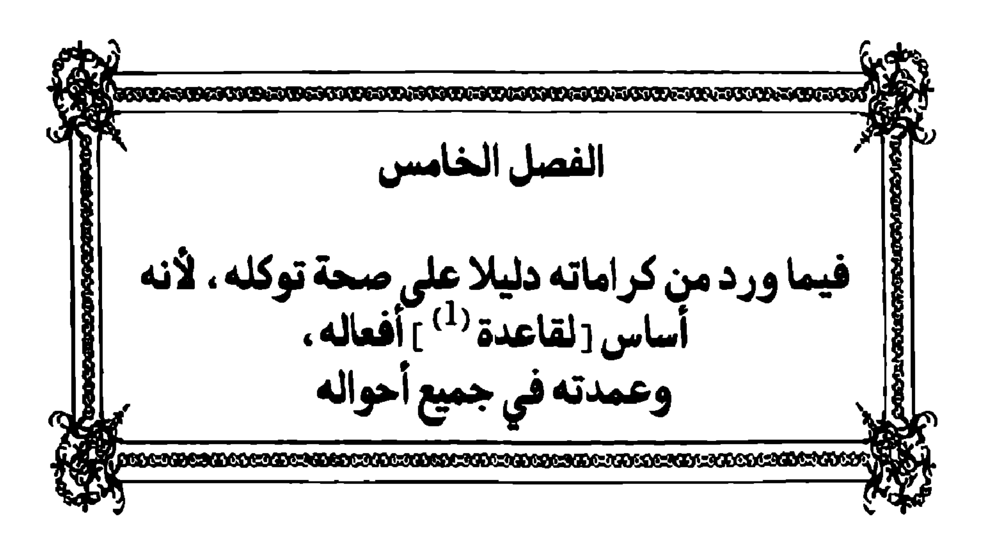
ومنها ما حدثني به جملة وافرة من حجاج الآفاق، قالوا : كنا نمر بعد موت الشيخ رحمه الله زائرين الرباط، على شجرة من التين على كبد

(1) من الطويل

الطريق بالقرب من البلد وذلك أيام سقوط ورق الشجر وهي لا تسقط أوراقها ولا تزال منعمة، فقيل لنا أن ذلك حالها من وقت كان الشيخ رحمه الله يقعد تحتها، فيستظل بورقها، فهي من ذلك الوقت قلما توجد بلا ورق، شتاء وصيفا. هذه حكاية مشهورة، وقصة مذكورة، وليس في ذلك ما ينكره الجاهل، ويجحده الذاهل، وقد ذكر عمرو بن ميمون[1] أن عبد الله بن عمر حمل علي جمل له حتى أصبح بمدين فسأل عن الشجرة التي أوى إليها موسى فإذا هي شجرة خضراء، ترف فقدم جمله ليأكل منها. فأخذ منها شيئا فحركه بفيه ثم لفظه قال عبد الله فدعوت الله عندها وانصرفت وانشدوا:

إِذَا غَابَ مَنْ تَهْوَى وَلا لَكَ حِيلَةٌ ... فَسَرِّحْ عِنَانَ الطَّرْفِ فِي الرَّبْعِ تَشْتَفِي[2]
فَفِي أَثَرِ الأَحْبَابِ لِلنَّفْسِ سَلْوَةٌ ... وَأُنْسٌ لِقَلْبِ الْوَامِقِ[3] الْمُتَلَهِّفِ

(1) عمرو بن ميمون الاودي، ابو عبد الله الكوفي تابعي، ادرك الجاهلية اسلم في ايام النبي إلا انه لم يَرَهُ وهو من اصحاب عبد الله بن عمر وهو من الثقات وتوفي سنة 74هـ 693م، راجع:
– العجلي: مصدر سابق، ص: 371.
– ابن القيسراني: مصدر سابق، ج 1، ص: 261.
(2) من الطويل
(3) الوامق: من ومقه بكسر الميم: احبه فهو وامق. المختار الصحاح، م ص 737.



الفصل الخامس

فيما ورد من كراماته دليلا على صحة توكله، لأنه أساس [لقاعدة[1]] أفعاله، وعمدته في جميع أحواله

(1) ط [القعدة] س د م [القاعدة].

على ما حدثني به غير واحد ممن أدركته من شيوخ تلاميذه، ممن كان مؤيدا في عصره ببركته كتأييده، قال سمعت الشيخ رحمه الله تعالى يقول: لما قدمت هذه البلاد أخذت في زيارة من اشتهر بها من الصالحين حتى قدمت على الشيخ أبي علي عمر بن أبي عمر الصنهاجي[1] فسلمت عليه، وصافحته تبركا وقبلت يديه فلما وقعت يدي على يديه قال لي كيف لك بالحلال ياصالح ويدك لا تصلح لطلب السبب قال فبكيت من كلامه بكاء شديدا، فقال لي ما يبكيك يا صالح؟ فقلت: لعدم المتوكلين بهذه البلاد، فدعا لي الشيخ ثم انصرفت من عنده، ولي قوة عزم على ملازمة التوكل وسلوك طريقه فلم أزل أعاينه حتى فتح لي، بما هو حظي منه، ومنها ما حدثني به جملة وافرة من قدماء هذه الطائفة قالوا: لما اشتهر شيخنا رحمه الله بهذا الطريق، لقيه الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن ياسين الرجراجي[2] الشهير بموضع كرابن. فلما انفصل عنه سأله خواص الفقهاء من أصحابه. فقالوا كيف رأيت حال هذا الرجل؟ فقال رأيت رجلا سلك طريقا قد نبت فيه العوسج[3] في هذا الزمان وما أدري هل يفتح له بشيء أم لا.

هذه حكاية شهيرة وقول هذا العالم وشهادته، دليل على أنه لم يشتهر [عندهم احد][4] في ذلك العصر بهذا الطريق غيره، وهو طريق

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) محمد بن ياسين بن سعيد الرجراجي المصمودي، ابو عبد الله دفين حومة المواسين بمراكش، كما اشار إلى ذلك العباس ابراهيم ووصفه ابن الزيات في التشوف بانه فقيه المصامدة ومفتيهم، وقد توفي سنة 571هـ 1175م، راجع:

- ابن الزيات: التشوف، ص: 86 و115.
- ابن ابراهيم: الإعلام، م س ج 3، ص: 154.

(3) العوسج: الشوك، راجع: أحمد الزاوي: ترتيب القاموس، م س ج 3، ص: 343.

(4) س [أحد عنهم] ط د م [عندهم احد]

التوكل. أو ليس له طريق قد اشتهر به غيره، وفيها ما نقلته من كلامه رحمه الله في التأليف المذكور أنه قال: كنا جماعة في سفر، ونحن اثنا عشر رجلا، ففتح لي فيه، بنعلين ظريفين فاردتهما لأهلي ثم تذكرت أن في الجماعة رجلا ليس له نعلان فدفعتهما إليه فقال لي إن لي نعلين عند الحذاء فاردت أن أذكر للجماعة أنهما يصلحان لأهلي، ثم تذكرت قول القائل: التوكل ترك كل سبب يوصل إلى سبب فنزهت خاطري عن ذلك. فالقى الله تعالى في قلوب الجماعة أن هذين النعلين، يصلحان لأهل أبي محمد فاخذوهما وحفظوهما حتى رفعوهما عند [قدومهم][1] للعجوز. هذا كلام من كلامه رحمه الله يحقق لنا أن طريقه الذي كان عليه إنما هو طريق التوكل.

ويشهد لصحة كل ما نقل عنه في التوكل، فإذا ثبت أن طريقه التوكل، فلا بد من شرح طرف منه مما يستعين به المبتدئ، وينتهج به طريق المقتدي، من كل ما يهديه إلى طريق الصواب، لتكمل به فائدة الكتاب، ويستدعي من الله تعالى جزيل الثواب، فاقول وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سبيل التحقيق: التوكل تفعل من الوكالة، ومعناه اتخاذ الوكيل لغة، وهو في الاصطلاح عبارة عن حالة تصدر عن قوة التوحيد، حتى يظهر أثرها على الجوارح، المحفوظة بالعصمة والتأييد. فيكون لها وصفا مانعا، من النقص عند ورود المحن المترادفة لوجود قوة التفويض، وحقيقة ذلك وبيانه، أن العبد متى كان مستغرقا في الوحدانية، ممتلئا بمعرفة الربوبية، فليس للغير فيه متسع، ولا للخواطر فيه مطمع، فيثمر له ذلك قوة الاعتقاد، بان الرزق والأجل والخلق والأمر، بيد الله تعالى لا شريك له في ذلك، ولا مدبر للعبد سواه هنالك، بل هي أفعال صادرة عن إرادة فاعل، وأقدار مقدرة بتقدير قادر عادل، موصوف بالجود،

---

(1) ط س [قدومهما] د م [قدومهم]

والرحمة والامتنان، معروف بالفضل والإحسان، وإن جميع الأقسام، قد نصبت بإزاء المقسوم لهم موازنة لا جور فيها، وحقا صرفا لا نقص فيها، قد سبقت بذلك حكمته، وجري به في الخلق سنته، وتمت بعدم التبديل، والتغيير في ذلك كلمته، فعندها تسكن النفس، والجوارح بتفويض الأمر إليه، حتى يكون العبد مطمئنا متوكلا عليه، فيحجب باطنه بحجاب اليأس، من جميع الخلائق وتسكن جوارحه من جميع الأسباب بقطع العلائق [وعدم العوائق][1] فمتى [له][2] حدث له مراد، تيقن أنه بيد الذي لا يكون إلا ما أراد، فحينئذ يحصل له أصل التوكل، الذي هو الإيمان الحقيقي، دون التقليدي، وثمرته أن يعلم أن البارئ تعالى لما أبدع هذا العالم الموجود، وأبرزهم إلى الوجود، وخصهم بمرفته تدريجا لعبادته، ثم صرفهم بأمره، وتسخير إرادته، وقد علم أن دواتهم، ليست بصمدية في الوضع، ولا متحدة في الطبع، فأبدع لهم من حكمة الطافه خزائن رزق، ومنحهم من إتحافه مواهب رفق، ثم جعل بعضها في السماء وهي الأصلية، وبعضها في الأرض وهي الفرعية، فخزائن السماء خزائن ألطاف سنية، تتغذى بها أرواح أشباح إنسية، كأنوار الإيمان، ومواهب الإحسان، وهو غذاء الباطن والتي في الأرض خزائن تدبير بصنع لطيف، وهو غذاء كل جسم كثيف، وهو غذاء الظاهر. فقوت الباطن دائم موجود، وقوت الظاهر مؤقت محدود ثم انه تعالى خلق الجوع وجعله منوطا بالإشباع، وخلق الشبع وجعله منوطا بالأرواح، ثم جعل الجوع مرتبطا بالأسباب، وجعل الشبع مرتبطا بالتوكل، فالجوع دلالة على نقص البنية الجسمانية، كما أن الشبع دلالة على كمال الهيئة الروحانية، فمتى نظر العبد بالتدبير، في إصلاح الظاهر أرسل الله عليه رياح الطبائع، فتنفخ في صور الجوع، فتنبعث الجوارح حينئذ في طلب

(1) سقط من د. م

(2) [له] زائد في س.

الأسباب بسر الارتباط، بخصوصية الاغتباط، وإذا نظر بعين البصيرة في إصلاح الباطن، أرسل الله عليه رياح القناعة، فتنفخ في صور الشبع فتثير سحائب الاستغناء، فتمطر في القلب غيث اليقين، فينشر منه على الأعضاء، بمنائح التفضيل، عزائم التوكل، قال السهروردي رحمه الله (التوكل يقع على قدر المعرفة بالوكيل [ومن كان][1] أتم معرفة كان أتم توكلا)[2] وسئل يحيى بن معاذ[3] متى يكون العبد متوكلا [قال إذا رضي بالله وكيلا][4]. ودخل جماعة من الفقراء، على الجنيد فقالوا: نطلب الرزق فقال إن علمتم أين هو فاطلبوه، قالوا فنسال الله ذلك. فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، قالوا ندخل في بيت فنتوكل. قال التجربة شك في الباطن. قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة[5]. وقيل لحاتم[6]: من أين تاكل؟ قال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[7]. وقال سهل بن عبد الله، علامة التوكل ثلاثة، لا يسال ولا يرد ولا يدخر. وحقيقة هذا الكلام أن نقول: أما عدم سؤاله فلعلمه بمولاه أنه عالم بحقيقة حاله، وأما قلة رده فموافقة لمراد سيده والرضا بالتحكم في عبده، وأما عدم الادخار فلوجود التعلق عند الاحتكار. وقد ينتهي الجهل بأقوام متى سمعوا مثل هذا الكلام،

---

(1) ط [ومن قام] س. د. م [ومن كان]

(2) السهرودي: راجع كتاب عوارف المعارف قولهم في التوكل، م، س، ص: 237

(3) إحالة رقم 27 الفصل الرابع القطب الاول

(4) القشيري: راجع الرسالة القشيرية، باب التوكل، م، س، ج 1، ص: 418

(5) القشيري : مصدر سابق، ج 1، ص: 427

(6) هو ابو عبد الرحمن بن علوان ويقال حاتم بن يوسف الاصم، من زهاد خراسان المشهورين، وهو احد تلامذة شفيق ابن إبراهيم البلخي، توفي سنة 237 هـ 851 م ، راجع :

– القشيري : الرسالة القشيرية، م، س، ج 1، ص: 99

– السلمي : طبقات الصوفية، م، س، ص: 91

– ابو النعيم: حلية الأولياء، م، س، ج 8، ص: 73

– ابن الملقن : طبقات الأولياء، م، س، ص: 178

(7) المنافقون 8، القشيري : الرسالة القشرية، م، س، ج 1، ص: 417

أن يتركوا الأسباب الداعية للمنافع الواجبة بالضرورة، والأسباب الدافعة للمهالك [المحذورة][1] فيتنزهون عن شراء قوت نفوسهم من السوق ومعهم ثمنها، ويرون أسدا ضاريا بإتلاف مثلهم، فلا يفرون منه حتى يفترسهم، أو تكون لهم عائلة فلا يدخرون لهم من قوتهم ما يكفيهم، حتى يكون سببا لهلاكهم وحتفهم، ويرى ذلك من الأسباب المناقضة لحقيقة التوكل. وهذا كله إنما ينبعث من عناصر الجهل المناقضة للمقاصد الشرعية الداعية للمناهج البدعية واعلم أن التوكل من أعمال الباطن، والأسباب الضرورية منوطة بأعمال الظاهر. فلا ينافي حركة الظاهر السكون الباطني ولكن متى وقع الاستقصاء في السبب، من غير إجمال في الطلب، فهو المناقض للتوكل، لأنه ثمرة الحرص المستدعي لصفات النقص. واعلم أن حال المتوكل إما منفردة، فمتى ادخر فوق قوت يومه كان توكله ناقصا، ومتى ادخر إلى أربعين يوما قال **سهل بن عبد الله بطل توكله، وسقطت درجته عن مقام المتوكلين. وقال الخواص[2] لا يبطل توكله، إلا إذا جاوز الأربعين. ويؤيد مقالة هؤلاء الفضلاء ما ورد عنه ﷺ في رجل قد دفن بحضرته أنه يحشر يوم القيامة ووجه كالقمر، ولولا خصلة كان كالشمس الضاحية. كان إذا جاء الشتاء يدخر حلة الصيف لصيفه»**[3] فترك الادخار محمود، ولكن مع القوة. وأما حال الضعفاء، فلو لم يدخر لم يتفرغ باطنه للعبادة. وأما حال المتعيل فله ادخار قوت سنة، وقد فعله ﷺ في حق عائلته لا في حق نفسه، ومتى ادخر أكثر من سنة فهو غاية الضعف. وكتب بعض الحكماء إلى صديق له: أما بعدو فإن التوكل على الله غناء للنفس وصيانة للدين وانتظار لجميل الصنع والثقة به محض الإيمان. وفي الشره[4] ذل عاجل وبعد من

(1) ط. س [المحذورة] د، م [المحظورة]

(2)

(3) لم أقف على مصدر هذا الحديث.

(4) الشره: شره إلى الطعام وغيره وشره عليه شرها اشتد حرصه عليه واشتهاؤه به. المعجم الوسيط ج 1 483.

القناعة، وقنوط لازم وتعب فادح، وعيش نكد، وشك دائم والسلام.
وقال بعضهم، حسبك من التوكل أنك لا تطلب لنفسك [ناصرا][1] غير الله، ولا لعلمك شاهدا، غير الله ولا لرزقك خازنا غير الله. ولا لحوائجك كلها قاضيا، غير الله وانشدوا:

قَــدِّمْ لِنَفْسِــكَ حَظَّهَا مِــنْ مَالِكَا ... وَاجْعَلْ هُدِيتَ فِكَاكَهَا مِنْ بَالِكَا[3]

إنْ كُنْـتَ تَجْمَـعُ لِلْعِيَـالِ فَإنَّهُـمْ ... لَيْسُـوا إذَا فَارَقْتَهُـمْ بِعِيَالِـكَا

لاَ تَجْمَعَـنَّ لِمَـنْ إذَا وَارَاكَ لاَ ... يَبْكِـي عَلَيْـكَ وَلاَ يَـرِقُّ لِحَالِـكَا

أفْقَـرْتَ نَفْسَـكَ عِنْدَمَـا أغْنَيْتَهُمْ ... بِحَرَامِـكَ الْمَتْـرُوكِ أوْ بِحَلاَلِـكَا

فَتَمَتَّعُـوا مِنْـهُ وَنَالُـوا صَفْـوَهُ ... وَبَقِيـتَ رَهْنـاً يَاغَبِـيُّ بِذَلِـكَا

لَوْ جِئْـتَ تَسْـألُهُمْ قُرَاضَـةَ دِرْهَم ... مَنَعُـوكَ وَانْتَهَـرُوكَ عِنْدَ سُـؤَالِكَا

أوْ قِيـلَ هَـذَا قَـدْ أتَاكُـمْ رَاجِعاً ... مِـنْ قَبْـرِهِ لَـمْ يَفْـرَحُـوا لِخَيَالِـكَا

لَنَسُـوكَ وَاشْـتَغَلُوا بِمَـا وَرَّثْتَهُـمْ ... وَبَقِيـتَ إنْ لَمْ يَعْـفُ رَبُّكَ أمَـالِكَا

فَالْمَـوْتُ يَقْطَـعُ قَصْـدَ كُلِّ مُؤَمِّلِ ... وَأرَاهُ أقْـرَبُ مِـنْ شِـرَاكِ نِعَالِـكَا

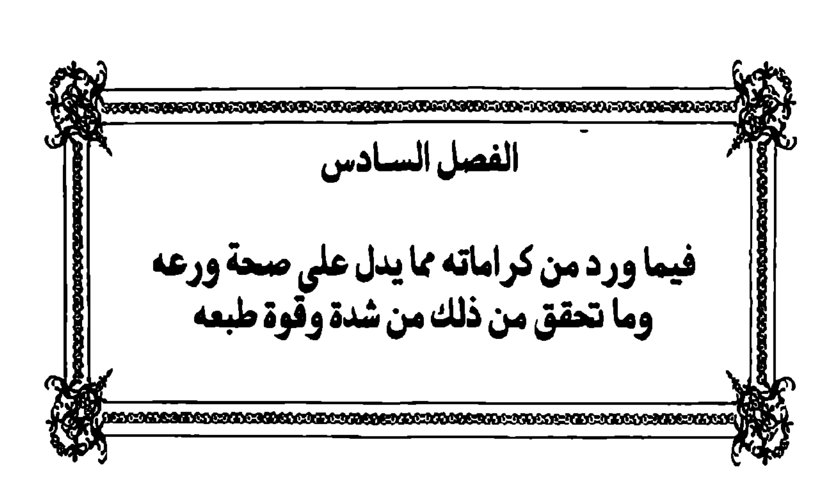
فَاقْطَـعْ مِـنَ الدُّنْيَـا رَجَـاكَ فَطَالَمَـا ... أوْثَقْـتَ عِقْـدَ حِبَالِهَـا بِحِبَالِكَا

أتُـرَاكَ تَأمَلُ أنْ تَعِيـشَ وَقَدْ مَضَى ... أهْلُ الرِّيَاسَـةِ مِـنْ خِيَـارِ رِجَالِكَا

---

(1) ط [ناظرا] س د م [ناصرا]

(2) من الكامل



الفصل السادس

فيما ورد من كراماته مما يدل على صحة ورعه وما تحقق من ذلك من شدة وقوة طبعه

فمنها ما حدثني به غير واحد، ممن أدركته ولم [اعتمد][1] فيه إلا بما نقلته قال [رحمه الله][2] في التأليف المذكور، مكثت في هذه البلدة، يعني لد آسفي المحروسة مدة من أربعين سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت، ولا طلبت شيئا ولا تداينت، ولم يفتح لي من أهلها بشيء، وإنما كان يفتح لي من غيرها، حتى كانت كسوتي تأتيني، من أرض الشام والحمد لله. فهذا كلام ظاهر، ودليل باهر، على قوة الورع، وذهاب الطمع. وفيه من دلائل الكرامة عصمة الباطن، والتنزه عن أقرب المواطن، وقد حفظ في الرزق ولم يأته على يد الأقرب ليقطع بذلك تلفته، عن الأبعد، لأنه متى وقع اليأس من القريب والصديق، وقع لا محالة عن البعيد، بالتحقيق، ومنها ما حدثني به العم المرحوم الحاج أبو زيد عبد الرحمن ابن احمد بن أبي محمد صالح[3] رحمة الله عليهم أجمعين قال: لما سجن عبد الله بن أبي محمد صالح ولد الشيخ رحمه الله بحضرة مراكش المحروسة، وسجن معه جماعة من الفقراء. وذلك عند توجهه إلى المشرق فتو عدهم السلطان[4] إن لم يكتب الشيخ فيهم له كتابا، ويعرفه فيه بأن عبد الله المذكور ولده، وإلا قتلهم أجمعين. قال فكتبوا إلى الشيخ وهم يحرضونه على الكتب في [حقهم][5] بمالهم عليه من الحقوق وماله من الأجر في عتقهم وعصمة دمائهم. فلما بلغه الكتاب، كتب إليهم في ظهر مكتوبهم: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله من ظهر في سير الفقراء في أوائل الأمور رضي الله عن الله في

(1) س ط [اعتد] م د [اعتمد]

(2) سقط من د.م

(3) [ابي محمد] سقط من د م.

(4) السلطان المريني أبو يعقوب بن عبد الحق، 656هـ 685م.

(5) د [إليهم] ط س م [في حقهم]

كل ما قضى من الشدة والبلوى وغير ذلك يا هذا:

سَيَكُونَ الَّذِي قَضَى سَخِطَ الْعَبْدُ أَوْ رَضِيَ[1]
سَلِّمِ الأَمْرَ يَا فَتَى كُلُّ هَمٍّ سَيَنْقَضِي

قال علي رضي الله عنه: **إن صبرت جرت عليك المقادير ولك الأجر، وإن جزعت جرت عليك المقادير وحرمت الجر، حرمان أجر المصيبة أعظم منها، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[2] والكلام يطول والسلام، وقال للرسول: قل لهم لابد إن شاء الله من إطلاقكم عن قريب شاء أولئك أو أبوا وأما الكتب فما كنت ممن يكتب إليهم أبدا. فهذا أقصى درجة قد ذكرت في ورع من مضى من السلف الصالح حيث لم تصل به رقة الكبد والشفقة على الولد.** ولقد سمعت هذه الحكاية بطول من هذا الشيخ الفاضل أبي علي عمر بن أبي محمد المديوني[3] الشهير ببلد مديونة[4] من قطر تلمسان المحروسة. وحدثني بها عن أبيه وكان ممن حضر مجلس الشيخ رحمه الله تعالى[5] [حينئذ][6] فهذه أعلى درجة في التسليم، والرضا بمجاري القضاء وقد سلك في الاعراض سبيلا قد منعه من الاعتراض كما ذكر عن بعض الفضلاء أنه ضاع له ولد صغير فقيل له هلا سعيت في طلبه فقال اعتراضي عليه فيما قضاه أشد علي من فقد ولدي. فإذا ثبت لنا قوة ورعه فلا بد من شرح طرف منه ليتبين به للسالك، ما يهتدي به في المسالك ويعتصم به من شرك المهالك، فنقول وبالله التوفيق: الورع لغة:

(1) من الخفيف
(2) الطور، 48.
(3) ابو علي عمر بن أبي محمد المديوني، لعله هو الذي أشار إليه ابن مريم في سياق ترجمة الشيخ الحسن بن مخلوف الشهير بابركان: راجع: أبو عبد الله محمد الملقب بابن مريم، البستان في ذكر الأولياء. والعلماء بتلمسان مراجعة محمد بن أبي شنب الجزائر 1908، ص: 75.
(4) عند البكري ان مديونة اسم جبل. راجع: البكري: مصدر سابق، ص:125.
(5) سقط من ط س د.
(6) سقط من م.

هو الكف عن الشيء مطلقا من غير تقييد ولا تحديد ومنه قول كعب يرثي أخاه.

أَخِي مَا أخِي لاَ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ ... وَلاَ وَرِعٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ هَيُوبُ[1]

وفعله ورع يرع فهو ورع. يقال ورعته، فتورع وورع إذا كففته. ومنه قول عمر رضي الله عنه للسائب[2] ورع عني في الدرهم والدرهمين، أي كف عني الخصوم في قدر الدرهم والدرهمين، بأن تقضي فيه عني. وقال أيضا رضي الله : لا تنظروا إلى صيام الرجل. ولا إلى صلاته. ولكن انظروا. من إذا حدث صدق، وإذا اؤتمن أدى، وإذا أشفى ورع[3]، ومعناه إذا أشرف على مال يأخذه كف عنه قال أبو عبيد قال الراعي[4]:

إذَا وَرِعْتَ أنْ تَرْكَبَ الْخَوْضَ كُسِرَتْ ... بِأَنْ كَانَ هَضْبُ كُلِّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ[5]

وفي نظر الشرع هو الكف عن الشبهات قال عليه السلام لأبي هريرة «كن ورعا تكن أعبد الناس»[6] وقال عبد الله بن عمر: **لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا و[صمتم][7] حتى تكونوا كالأوتار، لم يقبل ذلك منكم، إلا بورع حاجز. وقد يطلق لفظ الورع في اصطلاح الفقهاء، على الكف عن المعاصي، وعند الخواص الكف عن فضول الحلال. وله في النظر بحسب الغرائز أربعة أحوال: الأول ورع أهل الظاهر، وهو ترك الحرام، الثاني ورع الصالحين، وهو ترك كل ما يتطرق إليه**

---

(1) من الطويل

(2) لعله السائب بن أبي حبيش من أهل المدينة قال فيه عمر «ذلك رجل لا اعلم فيه عيبا» راجع: ابن الأثير اسد الغابة، م س، ج 2، ص: 160.

(3) علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي: اخبار عمر وعبد الله بن عمر، مرجع سابق، ص: 235.

(4) لعله هو حصين بن معاوية، من بني نمير ترجم له ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، وقال عنه: «وإنما قيل له الراعي لانه كان يصف راعي الإبل في شعره» ...» وأهل بيته سادة اشراف... وهجاه جرير لانه اتهمه بالميل إلى الفرزدق. راجع: ابن قتيبة: الشعر والشعراء: تحقيق شاكر، دار المعارف، ص: 66، ص: 415.

(5) من الطويل

(6) ابن ماجة: راجع سنن ابن ماجة: كتاب الزهد باب الورع والتقوى، ج 2، ص:1410.

(7) م [وقمتم] ط س د [وصمتم]

احتمال في التحريم غالبا، وان أفتى أهل الظاهر بحله لقوله ﷺ «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1] ومنه قول الصديق رضي الله عنه : كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام. وقال الفاروق رضي الله عنه : كنا ندع تسعة أعشار الحلال، مخافة الوقوع في الحرام، الثالث ورع المتقين، وهو التنزه بالظاهر عن مظان الريب، والباطن عن التفكر في تحيل الطلب، قال ﷺ : «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذر، مخافة ما به الباس»[2] ومنه التورع عن الزينة، وترك استعمال الشهوات، الرابع ورع الصديقين وهو ترك كل ما يراد بتناوله الطاعة، إذا كان يتطرق إلى بعض أسبابه احتمال شبهة فمن ذلك ما حكى أن ذا النون المصري[3] لما حبس بعثت إليه امرأة صالحة، طعاما من طيب مالها على يد السجان فرده ولم يأكله وكان جائعا واعتذر إليها بأن قال لها أتاني طعامك على طبق ظالم أراد به السجان. وكما حكى عن بشر الحافي[4] انه لم يشرب ماء قط من الأنهار، التي حفرتها الملوك «وقد سألت أخته رضي الله عنهم أجمعين أحمد بن حنبل فقالت: إنا لنغزل فوق سطح لنا بالليل فتمر بنا مشاعل الظاهرية فيقع شعاعها علينا أو يحوز

---

(1) ابن حجر: راجع فتح الباري كتاب البيوع باب تفسير المشبهات، م س ج4، ص: 291.

(2) المناوي: راجع فيض القدير، م س ج 6، ص: 443.

(3) ذو النون المصري، أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم ولد سنة 176هـ796م، بمصر، وهو من الزهاد المشهورين في وقته، كان يهتم بالطب والكيمياء إلا انه تعرض لهجوم فقهاء المالكية، لقوله بقدم القرآن، وتوفي سنة 246هـ 861م، راجع:

- ابن النديم: الفهرست، م س ص: 503.
- القشيري: الرسالة القشرية، م س ، ص: 59.
- السلمي: طبقات الصوفية، م س ص، 15.
- ابو النعيم: حلية الأولياء، م س، ج 9، ص:331.

(4) ابو نصربن الحارث بن علي المروزي الحافي ولد سنة 150هـ767م، عاش في بغداد، ويعد من الزهاد المشهورين في عصره وتوفي سنة 227هـ 841م، راجع:

- القشيري: الرسالة القشرية، م س ج 1 ص:73.
- السلمي: طبقات الصوفية، م س ص: 336.
- ابو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 8، ص: 336.

لنا الغزل في شعاعها، فقال من أنت ؟ فقالت: اخت بشر الحافي. فبكى أحمد بن حنبل، ﷺ وقال: من بيتكم خرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها»[1] وقد شرب بعضهم دواء فاشاروا عليه أن يمشي خطوات يتردد بها ليسرع به نزول الدواء فقال هذه حركة لا أعرف لها وجها وأنا محاسب عليها لا [أفعلها][2] وقال أبو عبد الرحمن الضرير[3]: **سمعت وكيعا يقول: قيل [لداوود الطائي][4] لم تلزم بيتك [الا][5] تخرج فقال: إني أكره أن أعمل رجلي في غير حق فهذه درجة قوم ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[6] وليس بعشى ولا بعشك فادرج عنه ولا مطعم فيه ﴿فقد علم كل أناس مشربهم﴾[7] فاجتهد أن تتمسك متى حملك التوفيق، وساعدك القدر بطريق [التحقيق][8]، يثمر لك عند الشبهات الخوف والحذر.** تتميم لهذه القاعدة مما تدعو الضرورة إلى ذكره والحاجة إلى نشره، ولا سيما لأهل الرباطات، وخدام الزوايا والخانقات، وقد أجمع الناس على ورعهم، الا يستحي من سؤالهم فيعطيهم على كراهة في الباطن، إذ لا فرق عند أهل الدين بين ما يؤخذ غصبا بضرب

(1) ابن خلكان: راجع وفيات العيان مصدر سابق، ج 1، ص:276.

(2) م د. [اثملها] ط س [افعلها]

(3) ابو عبد الرحمن إسماعيل بن احمد بن عبد الله الضرير، اصله من نيسابور، كان عالما مفسرا، له «كتاب الكفاية» ولد سنة 331هـ 942م، توفي سنة 430هـ 1038م، راجع:

- الخطيب البغدادي: مصدر سابق، ج6، ص:313.

- جمال الدين: طبقات الشافعية، م س ج 2، ج 2، ص: 53.

(4) هو داود بن نصير الطائي ابو سليمان، كان له اهتمام بالحديث والفقه، وكان على اتصال بابي حنيفة ثم اصبح من الزهاد المشهورين في وقته، وتوفي بالكوفة في خلافة المهدي العباسي، راجع:

- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م س ج 8، ص:349.

- السلمي : طبقات الصوفية، م س ، ص: 85.

- ابو النعيم: حلية الأولياء، م س ج 10، ص: 145.

- ابن الملقن: طبقات الأولياء، م س ص:300.

(5) م [الا] ط س م [ان]

(6) م [الا] ط سم [ان]

(7) الاحزاب 23.

(8) الاعراف 160.

الأجسام ظاهرا وبين ما يؤخذ بضرب البواطن، بسوط الحياء متظاهرا ولا يجيزون قبول من يعطيهم لزهدهم وورعهم، متى علموا من أنفسهم خلال ذلك، فإنه الأكل بالدين المنهيّ عنه. وكذلك من علموا من حاله أنه لو تحققت سرائرهم، وما انطوت عليه ضمائرهم، لامتنع من إعطائهم فلا يقبلون منه ولو أفتاه أهل الظاهر بجواز أخذ ذلك كله، لأن ذلك موقوف في طرق الورع، على ما علموا من أنفسهم لقوله عليه السلام: «**استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك**»[1] وليس هذا تشددا عليهم، وإنما هو فعل ما يليق بمناصبهم فإن قلت كيف تستعذب المعيشة، للمتورع في زماننا وقد خبث ما في أيدي الناس بالأيدي العادية، والمعاملات الفاسدة، فاعلم أن «**الحلال بين والحرام بين وبينهما متشابهات**»[2] ولم يزل ذلك في عصره عليه السلام والصحابة والتابعين إلى هلم جرا وكذلك إلى سالف الدهر، فالمجتهد المتورع، غير متعبد بما هو حلال في نفسه، وإنما تعبد بما هو حلال في اعتقاده لا يعرف له سببا ظاهرا، يتطرق منه احتمال إلى تحريمه أو كراهته، فكل رجل مسلم مجهول فتحسين الظن به أولى بأهل الدين والمعروف دينه وفضله فمن باب أولى، والأحرى، أن يعتقد فيه وفي ماله الخير والتوقف عن هذا وسوسة، والحذر منه بدعة، وليس ذلك من الدين في شيء، والثالث على أقسام: معروف بالغصب مجاهر بالظلم، فهذا ماله حرام، وإن كان مشوبا بشيء من الحلال، وإما أن يكون معروفا بالحلال، لكن معاملته فاسدة و[معاملاته][3] مردودة. فهو ملحق بالأول، وإما أن يكون معروفا بالحلال من حرثه وكسبه لكن الظلمة يستعملونه في أعمالهم ويستخدمونه في أشغالهم فالسؤال عما يؤخذ ويستعمل من ماله شريعة والتنزه عن طريقة وريعة، وإما أن

---

(1) في مسند احمد بن حنبل ج 4، ص: 228. «استفت واستفت نفسك ثلاث مرات»

(2) ابن حجر: راجع فتح الباري كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه، ج 1، ص: 126.

(3) ط [معاملته] س د م [معاملاته]

يكون مجهولا لكن عليه علامة أهل الظلم كلباس الأجناد، وحيلة أهل البغي والفساد، فهذه علامة [أهل][1] الفسق والمعاصي وحيلة أهل اللهو والطرب فهذه العلامة دون التي قبلها، لأنها أضعف والتنزه عن الكل أحوط لدين المتورع وأسعف، وعلى هذا كله لم يزل أهل الدين قديما وحديثا متحدين في ذلك، وموقفين هنالك، حتى قال أبو حازم[2] في عصره: اشتدت مؤنة الدنيا ومؤنة الآخرة، اما مؤنة الدنيا فإنك لا تجد شيئا تمد يدك إليه، الا وجدت يد فاجر قد سبقتك إليه، وأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها معينا وسأورد حديثين جامعين لكل مرغوب دالين على كل مطلوب، الأول: ما أنبأنا به الشيخ الفاضل الخطيب أبو عبد الله محمد [بن صالح][3] بن أحمد بن محمد بن عيسى الكناني الشاطبي رحمه الله إجازة، قال حدثنا أبو الحسن [علي][4] ابن عبد الله بن محمد ابن يوسف الأنصاري، حدثنا عبد الحق بن نونة العبدري حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي، حدثنا أبو العباس احمد العذري حدثنا أبو ذر عبد بن احمد الهروي أخبرنا عبد الوهاب[5] بن الحسن بن الوليد أخبرنا أبو أيوب سليمان بن محمد الخزاعي حدثنا هشام[6] ابن خالد

---

(1) سقط من م.

(2) ابو حازم سلمة بن دينار المخزومي الفارسي، كان قاضيا بالمدينة ويعد من الزهاد المشهورين، في صدر الإسلام، وكان يهتم برواية الحديث وروى عنه سفيان الثوري، وتوفي سنة 140هـ 757م، راجع:
- ابو النعيم: حلية الاولياء، م س، ج 3، ص: 229. - الزركلي: الأعلام، م س ، ص: 171.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 2، ص: 427.

(3) سقط من س.

(4) سقط من س.

(5) عبد الوهاب بن الحسن دون ذكر بن الوليد، ذكر الذهبي: رواية ابي الحاتم الرازي أن: «احاديثه مناكير» كما لم يشر الذهبي إلى تاريخ وفاة عبد الوهاب هذا. راجع: الذهبي: ميزان الاعتدال، م س ج 2، ص: 679.

(6) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الأزرق أبو مروان الدمشقي، ولد سنة 154هـ 770م، روى عن الوليد ابن مسلم والحسن بن يحيى الخشني ومروان بن معاوية ، وروى عنه أبو داود وابن ماجة وآخرون، قال الذهبي: «من الثقات لكنه يروج عليه» وتوفي 249هـ 863م، راجع: - ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج11، ص: 38.

حدثنا بقية[1] بن الوليد عن اسماعيل بن عبد الله الكندي عن طاووس عن واثلة[2] بن الاسقع قال: **أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول بأبي أنت وأمي فقال ان شئت أنبأتك بما جئت تسأل عنه وإن شئت فاسأل قال تنبئني يا رسول الله بأبي وأمي فإنه أطيب لنفسي فقال: جئت تسأل عن اليقين والشك قال قلت هو ذاك يا رسول الله قال: « اليقين ما استقر في الصدر وطمأن به القلب وإن أفتاك المفتون دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الحق طمأنينة والشك ريبة فإذا شككت فدع ما ترتاب بعينه قال فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فما العصبة قال: الذي يعين قومه على الظلم والورع الذي يقف عن الشبهات والحريص على الدنيا، الذي يطلبها من غير حل والإثم ما حاك في الصدر »**[3] وهذا حديث صحيح جامع لحدود الورع مفسر فمن تدبره واستعمله نال مقصوده ومرغوبه، وحاز في الدارين مراده ومطلوبه. الحديث الثاني: ما أسنده الشعبي عن النعمان بن بشير أنه قال: **سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد**

= – الذهبي: مصدر سابق، ج 4، ص:298.

(1) هو بقية بن الوليد ابو محمد الحميري الكلاعي الحافظ احد الاعلام، كان صدوقا، ولد سنة 110هـ728م، توفي سنة 197هـ 812م، راجع: – الخطيب البغدادي: مصدر سابق، ج 7، ص: 123.
– الذهبي: مصدر سابق، ج 1، ص:313.

(2) واثلة الاسقع بن عبد العزى يكنى ابا شداد اسلم والنبي يتجهز إلى غزوة تبوك، وذكر ابن الاثير: انه خدم النبي ﷺ لمدة ثلاث عشرة سنة، وتوفي سنة (83هـ 702م) راجع:
– ابن سعد، مصدر سابق، ج 4، ص: 652.

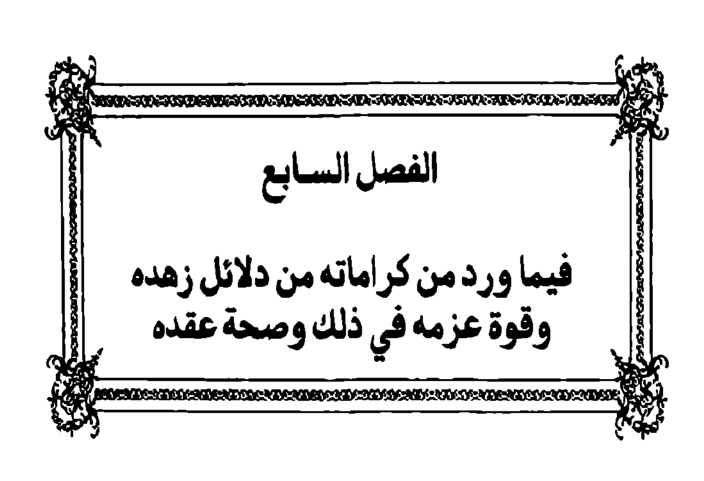
(3) ابن حجر: فتح الباري، كتاب البيوع، باب تفسير للتشابهات، ج 4، ص:291.
الدارمي: سنن الدارمي: كتاب البيوع باب دع ما يريبك إلا ما لا يريبك، ج 2، ص: 245.

كله ألا وهي القلب»[1] فهذان دليلان من السنة واضحان، من تمسك بهما نجا، ونال بالفوز كل ما يترجى، والله تعالى هو المرشد إلى الحق والتحقيق، والمتفضل بالهداية والتوفيق، وأنشدوا:

المَـــالُ يَـفْـنَـى حَـــلاَلُـهُ وَحَـــرَامُـهُ	يَـوْماً وَيَبْـقَى فِـي غَـدٍ آثَامُهُ[2]
لَـيْـسَ التَّــقِـيُّ بِمُـتَّـــقٍ فِــي دِيـنـه	حَتَّـى يَـطِـيـبَ شَـــرَابُـهُ وَطَـعَـامُـهُ
وَيَطِيبَ مَا يَحْوِي وَيُكْسِبَ أَهْلَهُ	وَيَطِيبَ فِي حُسْنِ الحَدِيثِ كَلاَمُهُ
نَـطَـقَ الـنَّـبِـيُّ بِمَـا وَعَــى عَــنْ رَبِّـــهِ	فَعَلَى النَّبِيِّ صَــلاَتُـهُ وَسَــلاَمُـهُ

(1) ابن حجر: فتح الباري نفس المصدر ج 1، ص: 126.

(2) من الطويل، وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان، م س ج 6، ص:141. «وإن الحافظ ابن معين كان ينشد هذه الأبيات».



الفصل السابع

فيما ورد من كراماته من دلائل زهده وقوة عزمه في ذلك وصحة عقده

فهذا الفصل مرتبط، بما قبله هما في الحقيقة دليلان، على مدلول واحد، لأن الورع هو الكف، والزهد هو الترك. وكلاهما عزوف عن فضول الدنيا. ولكن ربما افترقا في بعض الأحوال. ولأجل ذلك فرقت العلماء، بينهما في كتبهم ومصنفاتهم. وقد سلكنا في ذلك ما سلكوه اقتداء وتشبها بهم في طرقهم وصفاتهم، فمن حقيقة زهد شيخنا، رحمه الله ما حدثني به الشيخ الفاضل، أبو زيد عبد الرحمن بن عبدالله ابن عمر الماجري، رجل من أهل الرباط قال: سمعت الشيخ الفاضل الحاج أبا موسى بن عاصم البرعواطي[1] يقول: لم يزل الشيخ رحمه الله بينا في الرباط، ونحن على بساط الفقر، فلما فتح الله على أهل الرباط بشيء من الدنيا خرج، الشيخ منه ولازم داره. وكان يزار في بيته، حتى مات رحمه الله. ومنها ما حدثني به الفقيه الصالح الفاضل المتصوف، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله[2] التهالي قال سمعت يوسف الحرار[3] ببلدنا تارودانت[4]، وقد أدركته، وهو ابن مائة وستين سنة، على ما سمعت منه، وكان كبيرا فاضلا يقول : كنت إذا وردت على الفقراء بالرباط في حياة الشيخ رحمه الله، ومعي فتوح من الدنيا أطرحه في بيت، فيبقى أياما لا يلتفت إليه. فمن دعته ضرورة من الفقراء أتاه فاخذ منه قدر ما

---

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) لم اقف له على ترجمة

(3) لم اقف له على ترجمة

(4) تارودانت : إحدى مدن السوس القديمة وكانت تشكل قاعدته وقد احتفظت باسمها إلى اليوم، وذكر الإدريسي ان إنتاجها من الفواكه والخضر وافر ومتنوع خاصة قصب السكر "الذي ليس على قرار الارض مثله طولا وعرضا وحلاوة" راجع :
- الإدريسي : مصدر سابق، ج 1، ص : 227
- مجهول : الاستبصار، ص : 211

يسد به الضرورة، ولو قدمت عليهم الآن ومعي شيء من الدنيا، لقتلوني عليه قبل دفعه إليهم، أراد بهذا الكلام بيان ما كانوا عليه من قوة، زهدهم في عهد الشيخ وحضوره، بينهم في الرباط. ومنها ما حدثني به بعض الفقراء المتزهدين من كبار الحجاج وخواص المتعبدين. قالوا ألمت بنا سنة مجاعة وقحط والشيخ وأهل [البلد] [1] على بساط الفقر تحت قبض فخرج الشيخ يوما من الرباط، فتعرض له شيخ في الطريق فسلم عليه ثم قال له: عندي نصيحة إن قبلتها. فقال له الشيخ وما نصيحتك، فقال: هذه سنة مجاعة والتي تليها إلى ثلاث سنين، وأنت رجل ذو عيال، ومعك فقراء ضعاف مساكين، فمتى فتح الله لك بشيء أمسك عليك يدك لعلك تخرجهم من هذه السنين الشديدة. قال الشيخ رحمه الله فعلمت عند مقالته هذه انه الشيطان، فاستعذت بالله منه. قالوا وأتى الشيخ منزله فوجد فيه أحمالا من بر قد بعث بها إليه بعض المتعبدين فتوجه من حينه، إلى الرباط ونادى فيه بالصلاة جامعة، فأتى أهل الرباط فأمرهم، أن يخرجوا كل ما في الدار، من القمح قال: فأخرجناه وأمرنا أن نتتبع شقوق الأرض، والحيطان نخرج منها الحبوب بالعيدان. هذه حكاية صحيحة دالة على قوة عقيدته، وصحة زهده، وفيها من السير التي هي سيرة الفقراء، وعادة من عوائدهم، متى أرادوا أن يجتمعوا، ينادي الخادم الصلاة جامعة ولهم في ذلك طريق من السنة، أردت أن أثبته لهم في هذا الموضع، قبل الخوض فيما نحن بسبيله. فنقول وبالله التوفيق : ما اعتده الفقراء في سيرهم من النداء بالصلاة [جامعة] [2] إذا قصدوا جمعا عند تفريقهم له من السنة مسلك متبع، وطريق في الشريعة مهيع [3]، قال مقاتل بن حيان [4] : كنت

---

(1) م [البلد] ط. س. د [الرباط]

(2) سقط من ط

(3) مهيع : واسع : شذ عن القياس فصح ابن منظور . م. س. ج 8 .ص : 379

(4) مقاتل بن حيان ابو بسطام البلخي الخراساني، كان يروى عن مجاهد والضحك : وكان عابدا صدوقا،=

على قضاء سمرقند[1] فقرأت يوما حديث النبي ﷺ « ثلاث من كن فيه فهو منافق من إذا حدث كذب وإذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف » [2] فخفت على نفسي وعلى الناس فأخللت بالقضاء وأتيت نجران[3] فلم أجد عند علمائها فرجا ثم أتيت مرو[4] فلم أجد عند علمائها فرجا فأتيت نيسابور[5] فلم أجد عند علمائها فرجا فأتيت شهر بن حوشب[6] بجرجان فقال لي مذ سمعت هذا الحديث، كنت كالحبة على المقلى خوفا فعليك بسعيد بن جبير[7] فأتيت سعيد ابن جبير بالري فقال لي مذ بلغني هذا الخبر أنا كديدان الخل في الخل خوفا فعليك بالحسن

= له كتاب التفسير، راجع :

– الذهبي : مصدر سابق، ج 4، ص: 171

– الداودي : مصدر سابق، ج 2، ص: 329

(1) سمرقند : مدينة من خراسان، راجع ياقوت الحموي في معجم البلدان، ج 3، ث، 246، والحميري في الروض المعطار، ص: 322

(2) في صحيح مسلم كتاب الإيمان باب خصال المنافق ج 2، ص: 46، « اية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعدا خلف وإذا ائتمن خان »

(3) نجران: مدينة قديمة في بلاد اليمن، راجع الروض المعطار، م، س، ص: 573، ومعجم البلدان، ج 5، ص: 266

(4) مرو: هي مرو الشاهجان أشهر مدن خراسان. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م، س، ج 5، ص: 112

(5) نيسابور: عاصمة خراسان وهي من أعظم المدن في العهود الإسلامية، راجع: ياقوت الحموي معجم البلدان، ج 5، ص:331 والحميري في الروض المعطار، ص: 588.

(6) شهر بن حوشب الأشعري ابو سعد، ويقال ابو عبد الله، اصله من الشام روى عن اسماء بنت يزيد، وام سلمة وابي هريرة وهو ثقة اختلف في سنة وفاته بين 100 هـ 718م، و111هـ 729م، وقيل سنة 112هـ 730م، راجع:

– العجلي : مصدر سابق، ص: 223

– الدارقطني : مصدر سابق، ج 2، ص: 116

– ابن حجر : تهذيب التهذيب، ج 4، ص: 369

(7) هو سعد بن جبير ابن هشام الأسدي الكوفي، ابو عبد الله كان فقيها، ورعا واحد الاعلام الثقات، وهو من التابعين أخذ عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وهو من اوائل المفسرين للقرآن قتله الحجاج سنة 95 هـ 713م، راجع: – العجلي : مصدر سابق، ص: 181

– الدارقطني : مصدر سابق، ج 1، ص: 167

– ابن حجر : تهذيب التهذيب، ج 4، ص: 11

البصري فأتيته بالبصرة وأخبرته فقال رحم الله شهرا وسعيدا بلغهما نصف الخبر ولم يبلغهما النصف الثاني أن النبي ﷺ لما قال هذا أشغل قلوب أصحابه وهابوا سؤاله فسألوا فاطمة رضي الله عنها فأخبرت النبي ﷺ فأمر سلمان فنادى بالناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وذكر بقية الحديث وذكر محمد بن كعب القرظي قال جاء رجل إلى نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام فشكى إليه جيرانا يسرقون إوزة[1] فنادى سليمان عليه السلام: الصلاة جامعة ثم خطبهم فذكر بقية الحديث، فثبت بهذا أن هذه السيرة كانت مشروعة، في عهد الأنبياء، عليهم السلام. وقد آن أن نرجع إلى ما نحن بسبيله من ذكر زهد شيخنا رحمه الله فإذا ثبت لنا أن طريقه الزهد فلا بد من شرح طرف منه لينتفع به المريد الراغب، وتنكشف حقيقته للمجتهد الطالب فنقول وبالله التوفيق والهداية إلى سبيل التحقيق: الزهد في اللغة مدلوله عدم الرغبة في الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾[2] والزاهد في الدنيا، هو التارك لها، لعدم رغبته، فيها يقال زهد يزهد زهدا وزهادة. وصفة الجمع زهاد والازهاد. هو الفقر والعدم كما قال:

فَلَـم تَطْلُبُوهَـا لِتَبْغِـي الْغِنَى   وَلَـمْ تَتْرُكُوهَـا لازْهَادِهَـا[3]

والزهيد القليل من كل شيء. وفي خطبة علي رضي الله عنه: [الزاد][4] زهيد والسفر بعيد، ولما عوتب بعض الفضلاء على ترك الدنيا. قال لما زهدوا في أكثرها زهدت في اقلها، أنفة عن طلب خط خسيس، وحقيقة الزهد خروج حب الدنيا طوعا، مع القدرة عليها. وفي الاصطلاح عبارة وصفة تصدر عن قوة العلم تكسب النفس عزوبا وانزواء عن الدنيا تنزها

(1) إوزة: جمع الإوز نوع من الطيور، يشبه البط، لكنه اكبر منه جسما واطول عنقا، راجع المعجم الوسيط، ج 1، ص: 32

(2) يوسف 20

(3) المتقارب

(4) ط [الزاهد] س. د. م [الزاد]

عن خساستها طوعا مع القدرة عليها لسطوع نور المعرفة على القلب يتولد من شدة تعظيم الرب، وثمرته كف الجوارح إلا عن الضرورة، وله درجات تتفاوت لتفاوت الأغراض، والمقاصد وأدناها ميل النفس، إلى الدنيا مع المجاهدة على تركها، وهي حالة المتزهد لا حالة الزاهد، ولكنها أول درجة في الزهد، وأوسطها ترك الدنيا ونبذها وطرحها طلبا للآخرة لقوة المعرفة بأن نعيم الدنيا، ونعيم الآخرة لا يجتمعان وان نعيم الآخرة الذ وأشهى وانعم من نعيم الدنيا، فهذه الحالة وإن كانت من الزهد لكنها معلومة بعلة العوض وصاحبها في الحقيقة كالتاجر، إنما بذل درهما ليأخذ جوهرة ومع إبداله الدرهم لابد أن يكون له عنده خطر وإنما أبدله لعوض خير منه ولما ذكرت الدنيا عند رابعة العدوية[1] بالدناءة والخساسة قالت يا قوم [لو][2] أن لها حظا في قلوبكم، وخطرا ما أشغلتم حديثكم بذمها وأعلى الدرجات أن تكون النفس مثلا عند وجود دينار وعند تلفه سواء لا يزيد حالها سرورا بوجوده، كما لا ينقص حالها بوجود التلف على ذهابه، فلا يكون لها تفرقة بين وجوده وعدمه. هذه حقيقة حالة الزاهدين. ثم الباعث على الزهد إما شدة الخوف من الهلاك في النار والخلود في دار البوار، فهذا زهد الخائفين، وإما رغبة في نعيم الآخرة والفوز، بالنجاة والخلد في دار القرار. فهذا زهد الراجين وهو أعلى من الأول، لان الرجاء مثر للمحبة، وهي زيادة على الرجاء، بحسن الظن في ثواب الرب، وإما باعث التنزه والترفع عن الالتفات إلى ما سوى الحق سبحانه، إعظاما لجلاله واستحقارا لكل ما سواه، فهذا زهد العارفين كما قال بعض الفضلاء : وحقك ما عبدتك خوفا من

---

(1) هي رابعة العدوية القيسية البصرية بنت إسماعيل، وهي من أشهر العارفات بالله تعالى، توفيت سنة 135هـ 752 م، دفنت ببيت المقدس، راجع :

- الشعراني : مصدر سابق، ج 2، ص: 66

- النبهاني : مصدر سابق، ج 2، ص: 71

(2) سقط من ط

نارك، ولا طمعا في جنتك وإنما رأيتك أهلا للعبادة فعبدتك. قالت الحكماء : اجعل التقوى زادك، والزهد إعدادك، والورع قائدا قد قادك، واسلك طريق الخائفين، وتسمك بعدة الراجين، حتى تبلغ بك بابا ليس له بواب، ولا عليك حجاب، فحينئذ يأمر رب الباب خزنته سرا وجهرا [أن لا][1] يعصوا لك أمرا، ومن زهد الصحابة، ما ذكره حماد بن زيد قال سمعت عاصم بن بهدلة[2] يقول سمعت شريحا[3] يقول اشتريت دارا بالكوفة[4] فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال يا شريح اشتريت دارا وأشهدت عدولا قلت نعم. فقال اتق الله يا شريح، فإنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسال عن بنيتك. هلا إن كنت قد اشتريت دارا من غير مالك بمال من غير مستحله فإذا قد خسرت الدارين جميعا، الدنيا والآخرة، يا شريح، لو كنت حين اشتريت هذا الدار، سرت إلى حتى اكتب لك الصك على النسخة، ما كنت مشتريها بدرهمين. فقلت وما كنت تكتبه يا أمير المؤمنين قال: كنت أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشتراه العبد الذليل من ميت قد يزعجه

---

(1) ط. س [ان لا] د. م [الا]

(2) عاصم بن بهدلة بن ابي الجنود الاسدي الكوفي قال عنه العجلي: "كان صاحب سنة وقراءة وكان ثقة في القرآن، قيل إنه توفي سنة 121 هـ744 م، او 128 هـ745 م، راجع : - العجلي : مصدر سابق، ص: 239 - ابن سعد : مصدر سابق، ج 5، ص: 301 رج 6، ص: 226 - ابن حجر: تهذيب التهذيب، م، س، ج 5، ص: 38

(3) هو شريح بن هانئ بن يزيد ابو المقدام الكوفي، ادرك النبي ولم يراه روى عن ابي هريرة وعائشة وعمر وبلال، وهو من تابعي اهل الكوفة ومن الثقات. كان على شرطة علي قتل سنة 78 هـ 697 م، راجع :
- ابن سعد : مصدر سابق، ج 4، ص: 256
- ابن حجر: مصدر سابق، ج 4، ص: 330
- الدارقطني : مصدر سابق، ج 2، ص: 114

(4) الكوفة : المدينة الكبرى بالعراق. وهي اول مدينة اختطها المسلمون بالعراق سنة اربع عشرة. وهي على معظم الفرات ومنه شراب اهلها. ونزلها جماعة من اصحاب الرسول ﷺ. منهم علي بن ابي طالب وابنه الحسين رضي الله عنهما ولها ضياع ومزارع ونخيل كثير واهلها مياسرة. وللمزيد راجع :
- الحميري : الروض المعطار، م، س، 501
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، م، س، ج 4، 490

الرحيل، اشترى هذا المفتون، بالأمل من هذا المزعوج، بالأجل دارا بمحلة الغرور، من الجانب الفاني، في عسكر الهالكين. لها حدود أربعة، حد منها ينتهي إلى دواعي الآفات، وحد ينتهي إلى دواعي العاهات، وحد ينتهي إلى دواعي المصيبات، وحد ينتهي إلى الهوى الردي والشيطان الغوي، وفي هذا الحد يشرع باب، هذه الدار وهو الذي ينيء بالخروج من عز القنوع والدخول في ذل الحرص والفضول فما أدرك هذا المشتري من درك فعل مبلي أجساد الملوك، وسالب نفس الجبابرة مثل كسرى وقيصر[1] وتبع[2] وحمير[3] ومن بني وشيد، ونظر بزعمه للولد، شهد على ذلك العقل إذ خرج من اسر الهوى والمعرفة، إذا خلت من قيد المنى والسلام.

اعْمَلْ عَلَى مَهْلٍ لِنَفْسِكَ زَادًا ... مِنْ بَعْضِ كَسْبِكَ وَاحْذَرِ الْأَوْلَادَ[4]
فَكَأَنَّهُمْ قَدْ يَسُرُّوا لَكَ حُفْرَةً ... وَمَضَوا يشلُّوكَ نَحْوَهَا مقْتَادَا
مُسْتَنْصِرِينَ وَلَوْ أطَاقُوا حُفْرَةً ... زَادُوكَ خَلْفَ الْخَافِقِينَ بعَادَا
حَتَّى إذَا وَضَعُوا عَلَيْكَ صَفَائِحًا ... مَوْصُوفَةً وَمِنَ التُّرَابِ وِسَادَا
رَجَعُوا إلَى مَا كُنْتَ قَدْ جَمَعْتَهُ ... فَتَوَزَّعُوهُ طَارِفًا وَتِلَادَا
قَدْ كُنْتَ تُصْلِحُهُ حَيَاتَكَ جَاهِدًا ... فَاعْتَاضَ مِنْهُمْ اذ حَدُّوهُ فَسَادَا
هَذَا فِعَالُهُمْ بِمَالِكَ فَانْتَبِهْ ... فَلَقَدْ أطَلْتَ تَضَجُّعًا وَرُقَادَا
إنْ كَانَ قَلْبُكَ قَدْ غَوَى عَنْ رُشْدِهِ ... فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ إنْ فَقَدْتَ فُؤَادَا

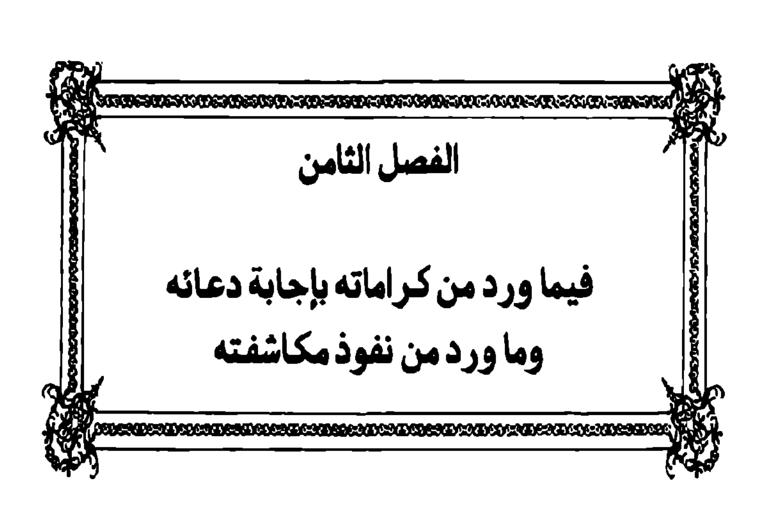
---

(1) لعل المقصود كسرى فارس، وقيل إمبراطور الروم، اللذان كانا قد تلقيا رسائل من النبي ﷺ يدعوهما للدخول في الإسلام، راجع :
- ابن هشام : سيرة ابن هشام، م، س، ج 4، ص: 254

(2) تبع أبوا كرب تبان اسعد ملك اليمن وهو الذي قام بغزو يثرب قبل ظهور الإسلام

(3) سماه الطبري شمر الذي بني مدينة ظفار باليمن واخرج من كان بها من العماليق وكان من عمال الفرس وحسب جرجي زيدان نانه هو شمر يهرعش، الذي وطئ ارض العجم وفارس وخراسان وبنى هناك مدينة سميت باسمه وعربها العرب فسارت "سمرقند" راجع : - الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص : 442 - جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام، ص: 167 - 168 - 169

(4) من الكامل : وقد سقط البيت الاول من [س] وقد اعتبر الناسخ هذه الابيات نثرا في . ط، فدمجها في بقية الكلام.



الفصل الثامن

فيما ورد من كراماته بإجابة دعائه
وما ورد من نفوذ مكاشفته

فمنها ما حدثني به غير واحد، ممن أدركته ممن لا أشك في صدقه، ولا ريب يوجد في نطقه، قال حج من الرباط رجل فقير، فأعطاه الشيخ درهما وقال له: تزود هذا بارك الله لك. قال فسافرت فما احتجت قط إلى حاجة أقضيه بالدرهم إلا قضيت. ورد صاحبها إلى درهمي، حتى رجعت إلى بلدي آسفي. فلما دخلت على الشيخ، نظر إلي وتبسم ثم قال لي: بقي معك الدرهم. قلت نعم فقال امسكه معك بورك لك فيه. قال فما زال معي على تلك الحالة حتى سقط مني، ومنها ما حدثني به الفقيه الفاضل أبو العباس أحمد ابن أبي زيد عبد الرحمن بن عمرو الدكالي[1] بموضعه من قلعة بني حماد من نظر المسيلة[2] قال كان والدي رحمه الله متى اشترى، شيئا قل أو أكثر يدخل يده في جيب ثوبه [فيخرج منه ما أراد ولم يعرف من يضع ذلك فيه، فسمعناه يتحدث يوما مع بعض الفضلاء فقال: لما عزمت على السفر إلى الحجاز زودني الشيخ رحمه الله بدرهم، ودعا لي فيه بالبركة فجعلته في ثوبي، فما هممت قط بشيء اشتريته، مما يكون ثمنه أزيد من الدرهم فادخل يدي في جيب الثوب حتى أجده فيه مطروحا، قال فطلبناه في ثيابه بعد موته، فلم نجده، وكان هذا الشيخ في تلك البلاد، من كبار الأوتاد نفع الله به، وبأمثاله، ومنها ما حدثني به جملة وافرة من فقراء الشيخ الفاضل أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر الصنهاجي[3] قالوا: سمعنا شيخنا أبا

---

(1) لم أقف عليه والدكالي نسبة إلى دكالة الإقليم الشهير بالمغرب الأقصى.

(2) المسيلة: مدينة من مدن الجزائر القديمة، ورد ذكرها عند أبي عذاري مشيرا إلى أن الذي بناها هو «عبيد الله الشيعي وجعلها سدا بينه وبين زناته ليكف عاديتهم» راجع: ابن عذاري: البيان تحقيق ليفي بروفنصال، الجزء الثالث: دار الثقافة، ج 3، ص:267.

(3) الصنهاجي: نسبة إلى صنهاجة راجع: هامش44 من تحقيق التشوف للأستاذ أحمد التوفيق، ص: 98.

يعقوب يقول: زرت الشيخ رحمه الله مرة ومعي عبد لي، فلما بلغنا بلده آسفي رمدت عيناه، واشتد ذلك علي لقلة من يأخذه مني [فأتيت][1] به إلى الشيخ في الرباط، وقلت له يا سيدي هذا العبد ربيته صغيرا وقد انتفعت [به][2] كبيرا، قد كفاني في خدمة مهماتي، وقد رمدت عيناه، وقد أتيت به لتمسح يدك المباركة على عينيه، وتدعو له. قال فمسح بيديه على عينيه، ثم دعا له بالشفاء، فما رمد العبد بعد ذلك حتى قبض. ولقد كبر حتى هرم وبصره صحيح. فكان ينظر الشخص والناس، لا يعرفون هل هو متحرك أو ساكن لبعده، فينظر فيقول ذاك فلان بن فلان، من قوة صحة بصره حتى قبض ومتى سئل عن ذلك يقول: من بركة يد الشيخ ودعائه، ومنها حدثني الفقيه الفاضل بقية المتعبدين أبو عمران موسى بن عيسى الهزرجي[3] قال سمعت الشيخ الفاضل الحاج أبا خليفة الهسكوري[4] السابوي، وقد رأيته محزما كما ترون وبيده فأس يفلق به الحطب، وهو يقول وجدت بركة دعاء الشيخ، وردت عليه وأنا محزم كما ترون في خدمة الفقراء فقال، جعلك الله غلاما قويا ما دمت حيا. فها أنا من مائة وثلاثين سنة أفلق الحطب [واحفر][5] البساتين بيدي. قال وله ولد لا يقوم حتى يمسك من شدة الكبر والهرم، ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو الربيع سليمان ابن عبد الملك بن موسى بن أبي حبوش الحسناوي[6] بموضعه، من قطر بجاية المحروسة قال: هاجر من بلادنا إلى الشيخ رحمه الله أبو عبد الله محمد بن يخلف بن أبي الشيخ وإسحاق بن أبي حرير فلما قدموا عليه وأخذوا بيده وحان وقت وداعهم

(1) سقط من س م د.
(2) سقط من م د.
(3) لم اقف له على ترجمة
(4) لم اقف له على ترجمة
(5) م [واحضر] ط س د [واحضر].
(6) لم اقف له على ترجمة

ورجوعهم طلبوا الدعاء من الشيخ لبلادهم واهلهم واولادهم، فلما أخذ الشيخ في الدعاء أخذ محمد بن يخلف من شدة رجائه شملة كانت عليه وبسطها للدعاء. فلما فرغ الشيخ من دعائه، ضم أطراف الشملة، وعقد عليها ولم يفتحها حتى بلغ منزله، فجمع أهله وأولاده، وفتح الشملة وجعل يغرف بيده، ويسكب على رأس كل واحد منهم وأخذ باقي الشملة وفتح [مطمورة][1] فيها عيشهم ونفضها [فيها][2]. قال فمن ذلك ما بلغوا قعر المطمورة، ولا كنسوها قط وإنما يأخذون منها ويتصرفون حتى يدرك الجديد، فيسكبوه على ما بقي في المطمورة، إلى هلم جرا. وقد نمت أموالهم واستقامت أحوالهم، ولقد أدركتهم أنا وهم على تلك الحال، ورأيت عند أخي احمد بن يخلف المذكور، وهو ادريس بن يخلف أربعين عبدا. وكان إدريس بن يخلف مقرا بهذه البركة وكان رجلا متعبدا أدركته، لا يفطر سوى العيدين، ولقد سألت بعض أولاده عن هذه القصة فذكر لي مثل ما ذكره أبو الربيع بن أبي حبوش، وكان محمد بن يخلف المذكور رجلا عالما فقيها، وأرى والله أعلم أن فعله في حب الدعاء على رؤوس اخوته واولاده مأخوذ، من فعل النبي ﷺ، لأسامة بن يزيد بن حارثة وقد كان أمره على جيش وعقد له لواء، وهو آخر لواء عقده عليه السلام. فلما دخل على النبي ﷺ وجده وقد أغمي عليه. فلما أفاق عليه السلام نظر إلى أسامة ابن زيد فجعل يرفع يديه نحو السماء، ويفرغهما على أسامة قالوا فعرفنا أنه يدعو لأسامة بن زيد حينئذ[3] فمن ذلك والله اعلم ما فعله محمد بن يخلف، لقوة عقده ورجائه وأما ما فعله من [بسط][4] ردائه، فأرى له وجها من السنة، وهو

---

(1) ط س [مطمورا د م [مطمورة] وهي في التعبير المغربي مكان تخزن فيه الحبوب عامة.

(2) ط س [فيه] م [فيها]

(3) هناك حديث مشابه، راجع: سنن الترمذي، كتاب المناقب، مناقب أسامة بن زيد، ج 5، ص :635.

(4) د م [بسط] س ط [بسطة]

ما ورد في حديث أبي هريرة وفيه قال: «**قال لي رسول الله ﷺ يوما ألا تسألني عن شيء من وجوه الغنى التي يسألني أصحابك؟ فقلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله. قال: فنزع نمرة كانت على ظهره فبسطها بيني وبينه، فكأني أنظر إلى القمل تدب عليها فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه قال اجمعها فجمعتها إلى صدري فما نسيت من مقالته عليه السلام شيئا بعد ذلك اليوم**»[1]. ومنها ما حدثني به الحاج عبد المؤمن بن ياجريان الهسكوري، [المصطاوي][2] قال: سمعت الشيخ الفاضل أبا علي محمد بن أبي تاليت الهسكوري، بموضعه من جبل دمنات[3] يقول: كنت في بداية أمري ساكنا بموضع توغرودين[4] وكان لي زوجتان ولم يكن لي معهما ولد قط، وكنت على بساط الفقر، فقدمت مرة على الشيخ زائرا. فبينما أنا جالس معه ذات يوم في الرباط، إذ قال لي يا أبا علي ما رزقت ولدا إلى الآن؟ فقلت لا والله. فقال لي كثر تعالى ذريتك يا أبا علي كررها ثلاثا فارتعدت [فرائضي][5] من دعائه وتغيرت خوفا أن أبتلى بكثرة الأولاد مع الفقر، فقال لي يا أبا علي أترد على الله هبته وعطيته؟ قال فبشرني بهذه المقالة، وزال عني ماكنت أجده، قال عبد المؤمن المذكور فما مات أبو علي، حتى ترك ستة عشر ولدا ذكورا، ولقد بلغت بناته نحو الثلاثين من غير ما دفن في حياته، فما برحت [حين][6] سمعت هذه القصة حتى سألت بعض سكان دمنات، عمن بقي من ذرية أبي على تاليت، فقالوا: يزيدون اليوم على المائة ما بين الذكور والإناث. ومنها ما حدثني به بعض فقراء الشيخ أبي

---

(1) ابن حجر: فتح الباري، كتاب الحرث والمزارعة، باب ما جاء في الغرس، ج 5، ص:28.

(2) م د [المسطاوي] ط س [المصطاوي]

(3) راجع رسالة الأستاذ التوفيق: ايولتان (1850 – 1912) مرجع سابق، ص: ج 1، ص:111.

(4) تعني الارتفاعات القليلة غير الحادة وهو معني شائع في المناطق الجبلية.

(5) د.م [فرائصي] ط س [فراستي]

(6) م [حتى] ط س د [حين]

يعقوب يوسف بن أبي بكر الصنهاجي بتجرماط، قالوا سمعنا الشيخ، أبا يعقوب يقول: زرت الشيخ مرة وحملت معي فتوحا فوسعت به على أهله وخدامه وفقراء الرباط. فطلبت منه الدعاء فقال لي: في دعائه أعطاك الله الآخرة وجعل الدنيا خادمة لك وكرر ذلك مرارا فمن ذلك اليوم أفاض الله تعالى على الدنيا كما ترون، ولقد أفرقها وأبددها لعلها تنقرض عني، فما تزيد إلا نموا. وكل ذلك من بركة الشيخ ودعائه، ومنها ما حدثني به عبد الرحمن بن عبد الكريم الدكالي[1] قال سمعت والدي عبد الكريم[2] يقول قدمت على الشيخ في الرباط وأنا صغير حديث السن وكنت قد لازمت قراءة القرآن، ومعي لوح أقرأ فيه، فقلت يا سيدي ادع الله تعالى لي بحفظ القرآن وسعة الرزق فإني ضعيف لا أقدر على قوة السبب فقال لي يسر الله تعالى عليك حفظه، وجعل رحى رزقك كخرخرة القط متى ما خطر له تحريكها حركها، ومتى شاء تسكينها سكنها، من غير تكلف ولا مشقة. قال فحفظت القرآن وما برحت رحا رزقنا تدور، لا في السنين الشديدة ولا في غيرها. وليس لي سبب سوى تدريس القرآن العظيم، ومنها ما حدثني به جملة وافرة من فقراء بلدنا قالوا: كان عندنا رجل له دنيا وافرة، ولم يكن له ولد، وكان منيبا[3] إلى الخير لم يزل في الرباط مع الفقراء. وكان كثير الزواج، طلبا للنسل. فتزوج امرأة فدخل على الشيخ فقال له إلى متى من هذا الزواج: فقال يا سيدي إلى الآن لم ينقطع رجائي من الأولاد، فادع الله تعالى [لي][4] فقال له أعطاك الله الأولاد، وأشار إليه بيده. وهي مفرجة

---

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) لم اقف له على ترجمة

(3) منيبا: أناب فلان إلى الشيء: رجع إليه مرة بعد أخرى وأناب إلى الله تاب ورجع. وفي التنزيل: ﴿وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب﴾ سورة ص آية 24.
المعجم الوسيط ج 2 969 و970.

(4) سقط من م

الأصابع، وأعاد ذلك ثلاثا وكل دعوة يشير معها بيده، على تلك الحال. فقال الرجل يكفيني قد رضيت قالوا، فما مات حتى رزق خمسة عشر ولدا، ومنها ما حدثني به العم المرحوم أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد ابن أبي محمد صالح والفقيه الفاضل أبو يعقوب يوسف بن يونس بن معاوية الهسكوري[1] قالا سمعنا الفقيه الفاضل أبا الحسن عليا المراكشي الشهير بابن الفحام[2] يقول وهو بموضعه بسفط الرشيد من أرض الصعيد[3] من وادي مصر وقد سألناه عن تلك الإشارة: فقال: كنا في الرباط مع الشيخ، منقطعين للعبادة، وأمامنا عبد النور صهر الشيخ وكان يصوم الدهر، وربما اعتراه شدة العطش حتى يجهد فشكا ذلك للشيخ وقال له ادع الله تعالى ان يخفف عني ذلك فقال الشيخ رحمه الله، يا ولدي سألت الله تعالى قال فمكث عبد النور سنين لم يشرب [ماء][4] حتى تروض[5] وصار لا يحجبه شيء فوسوس، إليه الشيطان وقال له أنت، قد بلغت درجة لم يبلغها غيرك، في عصرك إلا أنك مادمت مجاورا لهذا الشيخ، لا يرتفع لك معه ذكر، ولا ينتفع بك أحد، ولو كنت ببلد مصر لاشتهر اسمك، وانتفع بك خلق كثير. قال فسولت له نفسه هذه المقالة وزينت له تلك الحالة، فأتى الشيخ وقال له: أريد السفر إلى الحجاز إن شاء الله فقال الشيخ: ومالك في السفر وقد حجبت وزرت وانتفعنا بك وانتفعت بنا لزومك لهذا الموضع، فيه بركة ولا أقدر أن

---

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) علي بن الفحام المراكشي: ذكر ابن إبراهيم انه كان فقيها قاضيا وهو من تلامذة أبي محمد صالح، وكان يعيش في صعيد مصر إلا انه لم يذكر تاريخ ومكان وفاته، راجع: العباس بن إبراهيم: الاعلام، ص: 169.

(3) الصعيد: منطقة في مصر بين جنوبي القاهرة وشلالات السودان طولها 900 كلم، وقد تم تقسيمها إلى 8 محافظات، واشار الحميري في الروض، ص: 361، إلى انه: «هو اعالي مصر وكأنه الصاعد منها».

(4) سقط من م.

(5) قال الأستاذ عبد الوهاب بن منصور: «كلمة عامية مغربية مشتقة من اصل عربي، معناها تملكته الارواح، مأخوذة من الروحانية ومازالت مستعملة بهذا المعنى إلى الآن» راجع: عبد الوهاب بن منصور: إحالة رقم 135 من الإعلام، ج 9، ص: 169.

أمنعك عن بيت الله. وزيارة قبر الرسول ﷺ وألح عليه في السفر إلى أن تغير وجه الشيخ. وأطلعه الله على ما كان في باطنه فقال له على وجه التذكير والنصيحة كلاما وفيه: لعل الشيطان لا يجد ما يوسوس به لأحدكم غير أنه يأتيكم من باب النصيحة فيقول بلغتم مبلغا لم يبلغه أحد في عصركم، ولكن مادمتم في حضرة صالح لا يسمو لكم ذكر ولا ينتفع بكم أحد ولو بلغتم وادي مصر لاشتهر فيه خبركم وانتشر [فيه][1] [ذكركم][2] وكنتم مشايخ ينتفع بكم. ومتى ادعيت وأنا بينكم مشيخة أو متى بلغت درجاتها، ولكني أدركت مشايخ فأمروني أن أنشر هذا الطريق، لكل من أخذ فيه بالتحقيق. ثم قال، وهو في شدة الحال وسكره: لقد كان في شيخنا لو وجدت مقتديا ولقد كان في تلميذ لو وجدت شيخا. ثم سكت عن مقاله وسكن من غليانه. قال فذهب السر، الذي أعطاه الله تعالى لعبد النور فنزل عليه العطش. ومازال يشرب الماء حتى مد للقبلة. فما زلنا نرغب الشيخ رحمه الله، وهو يرغب لله تعالى حتى رجعت عنه [شدة][3] العطش ورجع حاله إلى ما كان عليه، أول مرة، يصوم ويعطش، فلما مات الشيخ رحمه الله وقدر لي بالإقامة والسكنى بأرض مصر. آليت على نفسي ألا أكون فيه إماما ولا أستاذا لأحد حتى أموت، مخافة من تلك الإشارة، فإنها خصت بوادي مصر. هذه حكاية صحيحة وفي طيها غرائب وعلوم يطول بشرحها هذا الكتاب، حتى لا يخرج عن حد الاختصار، وليس مرادنا في الغلو والإكثار، ومنها ما حدثني به العم المرحوم أبو زيد عبد الرحمن ابن أحمد بن أبي محمد رحمة الله عليهم أجمعين، قال كان من دعاء شيخنا رحمه الله دبر كل صلاة يقول: اللهم من أحبنا لوجهك الكريم،

---

(1) سقط من م

(2) م [كرمكم] ط س [ذكركم]

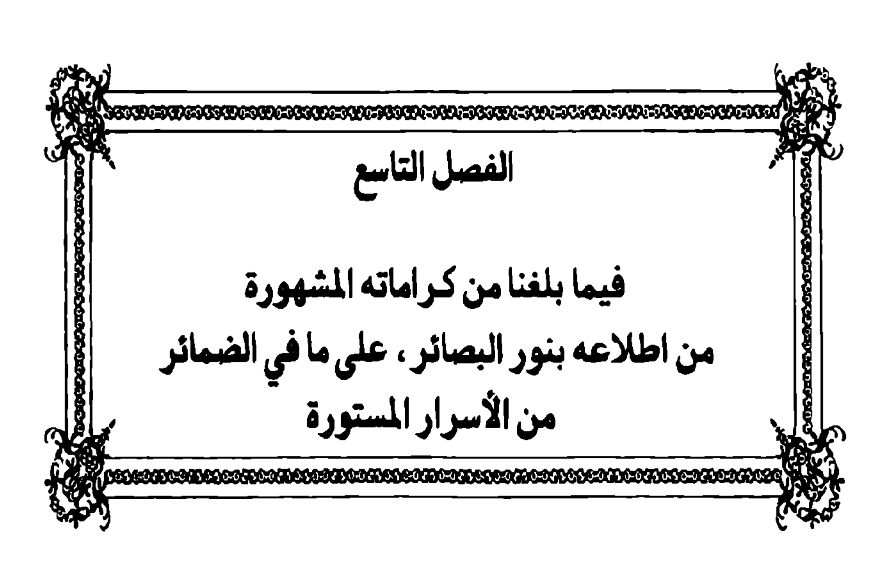
(3) سقط من م

في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم فحببه اللهم فأحببه اللهم فحببه، وأجمعنا هناك في مستقر الرحمة. أردت ختم هذا الفصل بما أوردته من هذا الدعاء، بشارة لمن اطلع عليه من جملة المحبين والمعتقدين، وقد علموا أن دعاءه رحمه الله كان مجابا، وقد ثبت ذلك عند الجمهور، لاخيبها الله وجميع المسلمين، بما نعتقده، من ذلك بمنه وفضله.

وَسَارِيَةٍ لَمْ تَسْرِ فِي الْأَرْضِ تَبْتَغِي ... مَحَلاً وَلَمْ يَقْطَعْ بِهَا الْبِيدَ قَاطِعُ[1]
تَظَلُّ وَرَاءَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ سَاقِطٌ ... بِأَوْرَاقِهِ فِيهِ سَمِيرٌ وَهَاجِعُ
تُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِوَفْدِهَا ... إِذَا قَرَعَ الأبْوَابَ مِنْهُنَّ قَارِعُ
إِذَا سَأَلَتَ لَمْ يَرْدُدِ اللهُ سُؤْلَهَا ... عَلَى أَهْلِهَا وَاللهُ رَاءٍ وَسَامِعُ
وَإِنِّي لَأَرْجُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... أرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صَانِعُ

---

(1) من الطويل



الفصل التاسع

فيما بلغنا من كراماته المشهورة
من اطلاعه بنور البصائر، على ما في الضمائر
من الأسرار المستورة

وهذا من الفراسة[1] المحمودة، في طريق الدين الموصوف، بها خواص المتعبدين قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[2] جاء معناه في التفسير أنهم المتفرّسون. وفي الحديث قال ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[3] وفي الحديث أيضا قال ﷺ: «**قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي محدثون فعمر ابن الخطاب منهم**»[4] فمن ذلك ما حدثني به الحاج الفاضل المتعبد يونس بن يحيى ابن يوجوت الماجري[5] قال سمعت والدي يحيى يقول: كنت يوما مع الشيخ بمسجد تامرونت، وكان الشيخ كثيرا ما يتركع فيه وقت الضحى فبينما هو يتركع، إذا برجل من دكالة، قد أتاه ومعه مائتا دينار فقال له: يا سيدي أريد أن تقبل هذه مني وهي زكاة مالي، فقال: ضعها واقعد فإن صاحبها يأتي الآن، ثم أخذ في الركوع وإذا بمركب قد طل على البلد، فلما نزل بالمرسى ـ نزل منه شيخ أصلع الرأس عليه لباس بلاد الأندلس [فسأل عن][6] الشيخ فأرشد إليه في المسجد فأتاه، فقال: يا

---

(1) الفراسة: هي عند الصوفية مكاشفة اليقين، ومعاينة للغيب، وهي من مقومات الإيمان. قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». ويرى أئمة الصوفية أن الفراسة موهبة دائمة، في جميع الأوقات، يحظى بها الولي كمنة دائمة، يستخدمها متى شاء. فهي في أخلاق الصوفي، وسلوكه وطبيعته، لأنه ينظر بنور الله. ولأن قلبه قد تطهر من الحظوظ والهوى فلم يعد ينظر ببصره وإنما ببصيرته.
- الكلاباذي: التعرف لمذهب التصوف م س 151.
- القشيري: الرسالة م س ج 1 240.
- الشرقاوي: المعجم م س 224.
- عبد المنعم: المعجم م س 204.

(2) سورة الحجر: 75.

(3) علاء الدين: راجع: كنز العمال، مصدر سابق، ج11، حديث رقم 30770

(4) ابن حجر: راجع

(5) لم أقف له على ترجمة.

(6) د م [عنه] ط س [عن]

سيدي إني قصدتك من بلاد الأندلس ولي زوجة وأولاد ماسورين بايدي الروم، وقد قاطعت عليهم بمائتي دينار، وقد رجوتك أن تتسبب لي في فكاكهم فقال للدكالي ادفع إليه المائتين هذا صاحبها. قال فتعجبنا من هذا السر الذي خصه الله تعالى به. وعلمنا أن ﴿الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1]. ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو الربيع سليمان بن عبد الملك بن موسى بن أبي حبوش، بموضعه رحمه الله قال: سمعت الشيخ الفاضل المسن أبا يحيى الزواوي[2] من قبيل بني يحيى من جبال زواوة[3] يقول لما قدمت من أرض الحجاز ومعي ثلاثة نفر من أهل بلادنا، ونحن مترافقون حتى إذا كنا بالقرب من بلدنا اتفق رأينا على الا ندخل موضعنا، إلا بعد زيارة الشيخ رحمه الله فوجهنا، رجلا يعلم اهلنا بسلامتنا ونحن في الطريق ولا يعلمهم برؤيتنا ولا بوصولنا إلى أرض زواوة، فبينما نحن نسير ذات يوم ونحن برباط الشيخ الفاضل أبي اسحاق ابراهيم[4] بن عبد الكبير، أول بلاد متيجة[5].

---

(1) الحديد 28.

(2) لعله هو الشيخ الفقيه الولي ابو بكر زكرياء يحيى بن يحيى الزواوي، وهو في التشوف ابو بكر يحيى ابن علي الزواوي وفي عنوان الدراية يحيى بن ابي على الزواوي، اصله من زواوة قبائل قرب بجاية، قام برحلة إلى المشرق لطلب العلم، عاد بعدها إلى بجاية واستوطنها فاصبح يقوم بنشر العلم والدعوة إلى الله، وكان صاحب كرامات، وتوفي ببجاية سنة 611هـ 1214م، راجع:
- ابن الزيات: التشوف، ص: 428.
- الغبريني: مصدر سابق، ص: 127.
- الونشريسي: الالف سنة من الوفيات، ص: 69.

(3) حسب ابن ابي زرع، أن زواوة، قبيلة من قبائل زناتة، كانت قد وفدت على الإمام إدريس بوليلي قصد البيعة راجع ابن ابي زرع: القرطاس، ص: 20، وذكر ابن خلدون في أن جبال زواوة تقع بجوانب جبال الأوراس بالجزائر. العبر، ج 6، ص: 302 - 303.

(4) لم اقف له على ترجمة.

(5) متيجة: ذكر الحميري أن متيجة مدينة بالقرب من الجزائر على نهر كبير عهليه الارحاء والبساتين، ولها مزارع ومسارح واشار الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور إلى أن متيجة اسم قبيلة بربرية، سمي بها السهل الواقع خلف مدينة الجزائر حيث مدينة البليدة الحالية، راجع:
- الحميري: الروض المعطار، ص: 523.
- عبد الوهاب بن منصور: إحالة 8 من تحقيق اخبار المهدي بن تومرت، ص: 14.

إذ لقيناشيخ عليه مرقعة، وبيده ركوة، كان متوجه إلى المشرق فسلم علينا فقلنا له من أين كان قدومك؟ قال من رباط آسفي، فسألناه عن الشيخ والفقراء فقال الشيخ قد مات. وما خرجت من هنا إلا بعد دفنه، فبكينا طويلا وترحمنا عليه. فقال [رفقائي][1] نرجع إلى أهلنا فإن حقهم بعد موت الشيخ قد وجب علينا ولنا عنهم دهر طويل، ومن لنا بالحياة حتى نعود إليهم. فامتنعت من ذلك وقلت عقيدة عقدتها مع الله لا أحلها إلا بزيارة قبره. والشيخ يتحرج ويضجر عند مقالتي، ويعظم كثرة التعب حتى غلب على رفقائي، فرجعوا وتماديت أنا، حتى إذا قربت من البلاد، فكلما سألت عن الشيخ يقال هو حي في عافية ونعمة حتى دخلت عليه في الرباط، فلما نظرت إليه تغرغرت عيناي بالدموع، فدنوت منه وسلمت عليه. فقال أبو بكر الزواوي، قلت إي والله فقال لي غلب الشيخ أصحابك فردهم وقويت عقيدتك، ففتهم بأجر كثير ومقام كبير، والشيخ الذي اعترضك وأصحابك هو الشيطان. فالحمد لله الذي عصمك منه، حتى لم يجد إليك سبيلا. فمكثت عنده ما شاء الله. ثم وادعته وانصرفت إلى أهلي وبقي بعد ذلك مدة طويلة ثم قبض رحمه الله، ومنها ماحدثني به الشاب المتعبد يحيى بن عيسى بن يحيى بن هيدور[2] ببلد سجلماسة المحروسة قال سمعت والدي عيسى يقول سمعت والدي يحيى ابن هيدور يقول: قدمت على الشيخ رحمه الله ببلد آسفي المعمور مع أهل بلدنا وأنا أشد الناس شوقا إليه، وأحرصهم على الاطلاع عليه حتى إذا دخلنا عليه في الرباط وجدنا الناس محدقين به، فجلسنا حيث انتهى بنا المجلس من خلف الناس فقلت في نفسي ياليتني، لو كنت قاعدا بين يديه حتى أنظر في وجهه فلما هجس ذلك

(1) ط [رفقاء] س د م [رفقائي]

(2) هيدور لقب شائع في أوساط الحرفيين إلى الآن، ويعني من تتصف حركات أطرافه بالليونة وقلة الصلابة: مسترخ Décontracté.

بخاطري رفع رأسه نحوي وقال للناس افسحوا فتفسحوا حتى نظر إلي ثم قال لي: يا يحيى قم إلى هنا، فقمت حتى قعدت بين يديه، ورجع الناس على حالهم، فما كان عندي أعظم من ذلك الوقت. ومنها ما حدثني به محمد بن مسعود[1] ابزارلماط[2] خادم الفقراء ببلد سجلماسة المحروسة، وهو ثقة، قال: سمعت والدي مسعودا والشيخ الفاضل أبا الربيع سليمان ابن ينصارن يقولان: كنا على عهد الشيخ إذا أراد أحدنا أن يصنع شيئا من أمور دنياه أو أخراه، لا يصنعه إلا بعد مشورة الشيخ وإذنه. وكان أحمد بن يحيى رجلا من أخيارهم معروفا ليس له مسكن ولا له زوجة، فاشترى خربة بقرب المسجد فبناها، فقال: كنت أشتهي أن أتزوج فيها حتى تكون الزوجة تقيدني عن الأسفار لعلي أقبض بين المسجد والدار، ولكن لا أفعل ذلك إلا بعد مشورة الشيخ وإذنه، فلما قدمنا على الشيخ وسلمنا عليه عرفه بالقصة واستشاره بالتزويج [فأطرق][3] الشيخ ساعة، ثم رفع رأسه فقال لي: يا ولدي قدر في نفسك كأنك في الآخرة، لم تزل وفي الدنيا لم تكن. فبكى الرجل فلما قمنا من بين يديه قال أتظنوني أدرك معكم البلد، فوالله ما أدركها فإني رأيت إشارة الشيخ قد قرب إلي الآخرة كثيرا، فلما رجعنا من عند الشيخ، وصلنا مع الرجل إلى وادي تدغة[4] فمات رحمه الله عليه، ولم يصل معنا إلى سجلماسة. ومنها ما حدثني به أبو عمران موسى ابن عيسى الهزرجي[5]

---

(1) م [محد] ط س د [محمد]

(2) يمكن ان يكون الأصل في الكلمة «[ازلماط] او «[إزاماط] وتعني اليسار في كل شيء «La gauche» واسم الفاعل منها يصبح كذلك صفة «يقال عن إنسان ازاماماض، اي الذي يستعمل اليد اليسرى في اشغاله «Le gauchier» ويقابلها في القاموس المغربي الدارج العصري.

(3) ط س م [فنظر] م [فاطرق].

(4) م [تدغا] س ط [تدغة] وذكر الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور ان «تدغة»: اسم أرض واقعة بين وادي غريس ووادي مدغاس أحد روافد وادي درعة، راجع: عبد الوهاب بنمنصور: مرجع سابق هامش 97، ص:51.

(5) لم اقف له على ترجمة

قال : سمعت عبد النور يقول قعدت مع الشيخ ذات يوم في دهليز داره وقد خرج عيسى ولده فقال لي يا عبد النور ارفع إلى شيخ دكالة فرفعت عيسى وحططته بين يديه فقال يا عبد النور [ماذا][1] تلقى دكالة من هذا الذي رأيت . ومنها ما حدثني به الفقيه المتعبد أبو عبد الله ابن أبي بكر الفوناني[2] قال: سمعت جملة وافرة ممن أدرك الشيخ رحمه الله [يقولون][3] لما مات الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الصمد الدكالي ببلد دمشق صاحب زاوية [الكلاسة][4] خرج علينا الشيخ في الرباط فقال لنا مات اليوم عبد الصمد الدكالي بدمشق وارتفعت بموته حمايته عن دكالة قالوا فلما بلغ الظهر من ذلك اليوم حتى وقع النهب في أرض دكالة وشنت الغارة عليهم حتى سبيت أموالهم ثم جاء خبر موت عبد الصمد فكان في اليوم الذي عينه الشيخ رحمه الله. ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو عمران موسى بن عمر الدرعي[5] من قبيل بني يعز[6] قال: سمعت أبي عمر يقول: لما قدمت من بلاد المشرق وكنت مجاورا بها مدة من اثنتي عشرة سنة وجدت والدي [قد][7] كبر سنهما ولهما أملاك فأرادوني على الاشتغال بخدمتهما لعجزهم عن ذلك، وزعموا أنهم لم يمنعهم من بيع تلك الملاك إلا إمساكا علي فرضيت لهم ذلك، ولكن أوقفته على مشورة الشيخ ورجوعي من زيارته، فلما قدمت عليه

---

(1) س [ما] ط د م [ماذا]

(2) د م [أبو عبد الله بن أبي بكر الفوناني] ط س [ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر الفوناني]

(3) ط [يقول] س د م [يقولون].

(4) اشار إليها عبد القادر بن محمد الدمشقي المتوفى سنة 927هـ في كتابة الدارس في تاريخ المدارس ج1، ص: 238 في ترجمة شهاب الدين الحوبي م 693هـ كما أشار إليها في اماكن اخرى من الكتاب، وذكر انها بجانب الجامع الاموي، من جهة الشمال بالقرب من الزاوية الغزالية بالقاهرة، ج1، ص: 332 و333.

(5) لم اقف له على ترجمة

(6) د [يعر] ط س م [يعز]

(7) د م [من]

وقعدت بين يديه [قال لي][1] بعد السؤال عن والدي، وقد ذكرت له خبرا: أرادوا أن يشغلوك بدنياهم يابني كل ما أشغلك عن الله تعالى من أهل أو مال فهو مشؤوم عليك قالها ثلاثا. فقلت يا سيدي، قد كان كل ذلك ولكن قد خرجت عن ذلك فادع الله تعالى أن يعصمني، من ذلك فدعا لي ثم انصرفت من عنده وما اشتغلت لهم بشيء قط قال موسى المذكور فوالله ما اشتغل قط بشيء منها ولقد كنت أراده أن يتكلم مع العمال في حقي متى رأيتهم أتوا إليه زائرين فيمتنع من ذلك ولقد كنت أرادوه أن يتكلم مع العمال في حقي متى رأيتهم أتوا إليه زائرين فيمتنع من ذلك ويقول لي إن لم تقدر على إقامتها وخدمتها فبعها وتستريح منها ولم يزل على تلك الحالة حتى مات رحمه الله. ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو عمران موسى بن عيسى الهزرجي[2] والحاج المسن أبو سعيد خليفة[3] بن سليمان بن داود الهزرجي، قالا واللفظ لخليفة وهو يومئذ قد ناف على المائة سنة سمعت الشيخ الفاضل، أبا علي تاليلت الهسكوري يقول: كنت ساكنا بموضع في أعلى جبل دمنات، ونحن على بساط الفقر ففتح لي بشيء من الذرة من وادي درعة[4] فصنعت العجوز منه عصيدا لنا، فلما قدمته بين يدي قلت أشتهي لو حضر الفقيه أبو موسى من دمنات حتى يأكل منه شيئا لما أعلم ما هو فيه من الفاقة. قال فما أتممت كلامي إلا وأبو موسى واقف علي مسلما فقلت له الحمد لله الذي أتى بك حتى تأكل من هذا الطعام، وكان صائما

(1) سقط من ط.

(2) الهزوجي: نسبة إلى قبيلة هزوجة قال عنها الاستاذ احمد التوفيق: «كانت القبيلة تستوطن الجبال التي تطل على بلاد أيلان التي جنوب الخط الواصل بين أغمات وريكة وبين أيمي ن الزات المعروفة إلى اليوم عند مسفيوة اي على المرتفعات المؤدية إلى كلاوة والممتدة غربا إلى غيغاية العليا...» راجع: - احمد التوفيق: تحقيق التشوف، إحالة 523.، ص: 225.

(3) لم اقف له على ترجمة.

(4) درعة وادي معروف في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي وراء الاطلس الكبير، راجع: ابن خلدون: العبر م س ج 6، ص: 202.

فأفطرته . فلما أكلنا اشتد جوعنا أكثر مما كان فقلت له قم بنا إلى زيادة الشيخ في آسفي، فقمنا وتماسكنا بالأيدي وسافرنا، ولم نشعر بما نحن فيه حتى أدركنا [الليل] ببلد [بني] تاتمصمشت موضع بلاد ماجر، فلما أصبح قمنا وتماسكنا بالأيدي ولم نفترق حتى وقفنا على باب الرباط فقال لي أبو موسى تقدم فقلت له: تقدم أنت فقال قد سبقتني للطريق لك التقدم فتقدمت فلما رآنا الشيخ قال مرحبا برجال لي تسابقا في الدخول إلي كما تسابقا في الرجوع إلى الله تعالى. ثم قال لي بعد ما سأل عن جملة أحوالنا يا أبا علي لو وجدت كافراً ومسلما تقاتلا من كنت تعين فيهما فقلت المسلم. فقال ولم أعنت الكافر على المسلم أبى موسى حتى أفطرته، أراد بذلك ما جرى بيننا حين عزمت عليه [حتى أفطرته][1] في منزلي. ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو عمران موسى بن عيسى الهزرجي قال سمعت[2] الحاج المسن أبا وكيل ميمون ابن ومالال الدغوغي[3] بزاويته من موضع بني دغوغ يقول لما بعثني الفقيه الفاضل أبو يحيى الصودي[4] رحمه الله إلى الشيخ رحمه الله فامرني إذا لقيته أن أمسك رأسه بيدي وأجعلها على صدغيه[5] وأقبل ما بين عينيه وانها أمارة فيما بينهما قال فلما قدمت عليه وجدت الناس محدقين به فقعدت حيث انتهى بي المجلس، وقلت في نفسي من لي بالنظر إلى ذاك الشيخ فكيف حتى أفعل ما أمرني به سيدي أبو يحيى، فلما هجس ذلك بفكري سمعت الشيخ رحمه الله يقول، من أتانا بأمانة فليؤدها،

---

(1) د م [فانطرته] ط س [حتى افطرته]

(2) م [سمعنا] ط س د [سمعت]

(3) ومالال من البياض راجع : التشوف، ص413، إحالة 283.

والدغرغي: نسبة إلى بلد بني دغوغ من دكالة حسب إشارة ابن الزيات في التشوف ص:261، وعن المجال الجغرافي الذي كانو يستوطنونه راجع: عبد العزيز بنعبد الله مرجع سابق، ص:198.

(4) سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني من القطب الثالث.

(5) الصدغ ما بين العين والإذن مختار الصحاح م س 359.

ومن أتى بوصية فليبلغها فألبسني كلامه حالا فما شعرت بنفسي حتى تراميت عليه بين الناس، وجعلت يدي على صدغيه وقبلت ما بين عينيه فتبادر الناس [إلي] يؤدبونني على ما فعلت فأخذني رجل كان بين يدي الشيخ رحمه الله سماه ميمون، ونسي اسمه موسى بن عيسى وجعلني بين رجليه وأخذ يدافع الناس عني. فقام الشيخ حينئذ إلى منزله ثم قدم لنا طعاما قليلا، وقال: هذا فطوري أتيتكم به فكلوه على وجه البركة. قال فأخذت آكل وأمعنت فيه والرجلان يلحظان شزرا[1] ويقولان كيف تأكل هذا الأكل البشيع في محل الشيخ فقال له الشيخ يفتح الله لك فقلت في نفسي لو تركه لعطيته لقمة فلما هجس ذلك بخاطري قال لي لو أعطيته له كله لم يقنعه ذلك حتى يطوف البلد كله، فلما فرغنا من الأكل دعا لنا وكانت في يده ثلاث كعكات منها اثنتان مدورتان والثالثة مستقيمة، فأعطاني المستقيمة وأعطى لأصحابي المدورتين فلما انصرفنا، قال أصحابي أتعرف ما أعطاك الشيخ قرنا يشق بطنك على سوء أدبك في الأكل. فانصرفت حتى إذا بلغت أبا يحيى، وسلمت عليه، حدثني بكل ما جرى علي في زاوية الشيخ وعند الطعام حتى قال لي: قال أصحابك أعطاك الشيخ قرنا يشق بطنك إنما الشيخ رأى فيك استقامة فأعطاك المستقيمة إشارة منه أن تزيد في استقامتك ورأى في أصحابك بعض العوج فأعطاهم المعوجتين إشارة منه لهما لو فهما عنه على أن يستقيما في أحوالهما. فقبلت يديه عند ذلك سرورا وأخذ تلك الكعكة وقسمها ثلاثا فأخذ الثلث تبركا وقال احمل الثلثين إلى أهلك.

هذه حكاية صحيحة منطوية على آداب ظاهرة مشروحة ولابد من شرح شيء منها مما غمض في ظاهره؛ لئلا يتشوش فكر ناظره، ويذهب إلى ضد ذلك مما يضمره في خاطره، فمن ذلك رد الشيخ رحمه الله حكيما

(1) نظر إليه شزرا: غاضبا أو مستهينا. المعجم الوسيط ج 1 ص 484.

في التعليم، مدبرا لأحوال التقديم، قد عاشر في زمانه أهل بلاد المغرب وطباعهم فيها جهالة ولا سيما في طريق التقرب وقد قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1] فكان رحمه الله فيه نوع من هذه الدعوة فربما دعا بعضهم بالحكمة وربما دعا بعضهم بالموعظة الحسنة أما رد السائل فلوجهين: أحدهما قوله ﷺ : «ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان»[2] قال ابن عطية في الحديث دلالة على أن المسكين هو الطواف وفيه تنبيه على تقديم حق الفقير المتصاون بمعنى الاهتمام به فإنه إن لم يهتم به هلك والمسكين يذكر نفسه ويلح وقد جرى تنبيه ﷺ مجرى تنبيه القرآن عليه قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[3] والمسكين هو الذي يقترن فقره بذل السؤال وخضوع ومع سؤاله يدخر والفقير هو الذي يصون وجهه ويتعفف قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وابن زيد وجابر ومحمد بن مسلمة وقال الشافعي[4] في كتاب[5] ابن المواز[6]: الفقير الذي لا مال له ولا حرفة سائلا كان أو متعففا والمسكين الذي له حرفة أو

(1) النحل 125.

(2) علاء الدين: راجع كنز العمال، ج 6، رقم الحديث 16557.

(3) البقرة 273.

(4) ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس الشافعي الإمام المشهور، المتوفى بالفسطاط بمصر سنة 204هـ 820م.

(5) لعله هو كتاب «الموازنة» الذي يتحدث في فروع الفقه المالكي، له قطعة قديمة في خزانة بن عاشور بتونس حسب ما ذكره الزركلي: راجع:
- الزركلي: الاعلام، م س ج 10 ص: 183.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، ج 2، ص: 148.

(6) هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن زياد الإسكندري ابن المواز، كان قد اكتسب شهرة كبيرة لعنايته بالفقه المالكي، وتوفي سنة 269هـ 882م، مخلفا كتاب الموازية في فروع الفقه المالكي، راجع:
- الزركلي: الأعلام م س ج 10، ص: 183.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، ج 2، ص: 148.

مال لا يستغنى به سائلا كان أو متعففا قال ابن عطية هما صنفان قد عمهما الإقلال والفاقة إلا أن الفقير لا يذل نفسه ولا يبذل وجهه لتعفف مفرط أو بلغة تكون له والمسكين هو الذي يقترن بفترة تذلل وخضوع وسؤال. وقد وصف الله تعالى بني اسرائل بالمسكنة والذل مع غناهم فقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾[1]. ورد في الخبر عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع سائلاً فقال لغلامه: عش السائل ثم سمعه يسأل فقال لغلامه ألم أقل لك عش السائل، قال قد عشيته، فنظر عمر إليه فإذا تحت إبطه مخلاة مملوءة خبزا فقال لست بسائل ولكنك تاجر. ثم نثر المخلاة بين يدي أهل الصدقة وضربه بالدرة. هذا هو المفهوم من جواب الشيخ رحمه الله في قوله لو أعطيته ذلك الطعام كله لم يقنعه حتى يطوف البلد كله. فرأى أنهم أحق بذلك الطعام منه لشدة كانت بهم وهم فقراء غرباء متعففون متصاونون ولا يسألون ولا يفطن لحالهم فيؤثر عليهم مع استقبالهم [السفر][2] البعيد.

الوجه الثاني: أن يكون رحمه الله قد كوشف بعزم ذلك الفقير على إعطاء السائل فخاف عليه من إحباط الأجر والتلبس بالوزر، فبادر إلى رد السائل قبل تلبسه بالفعل وهذا وجه حسن على ما ذكره أبو طالب رحمه الله في كتابه المسمى بقوت القلوب قال: «**ومن كان يأكل من طعام أحد ثم وقف عليه سائل فلا يعطيه إلا بإذن صاحب الطعام فإن أعطاه بغير إذنه لم يكن له فيه أجر وإنما تعلق به وزر. ثم قال وقد روينا ذلك عن أبي الدرداء[3] ﷺ أن إنسانا كان يأكل معه فأعطى سائلا بغير أمر فقال أبو الدرداء بئس ما صنعت لقد كنت غنيا أن**

---

(1) البقرة 61.

(2) د م [بالسفر] ط س [للسفر].

(3) عويمر بن مالك، وقيل اسمه عامر بن مالك، وهو من الصحابة المشهورين كان فقيها عالما، آخى النبي ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، وتولى القضاء في دمشق، في خلافة عثمان وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين. راجع: ابن الأثير: أسد الغابة م س ج 2، ص97.

يكون الأجر لي والوزر عليك»[1] فاراد الشيخ تدريجهم في التعليم بالفعل إذ لم يكن وقت يسع فيه التعليم بالقول وذلك لشدة نصحه وسعة علمه وقوة حزمه إذ ليس معه تسامح في الدين، ولا هوادة فيه ولا لين. ومنها ما حدثني به الشاب الفاضل أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أبي بكر الماجري قال: سمعت زكريا بن صالح بن عبد المؤمن[2] قال سمعت الشيخ الفاضل أبا بكر بن واطيل[3] جده من الأم وكان كبيرا في حاله يقول وفد مرة الشيخ أبو علي تاليت الهسكوري برسم زيارة الشيخ ومعه جماعة يزيدون على المئتين. فلما قربوا وجهوا الخادم إلي ولم يكن عندنا شيء نقابلهم به سوى شعير قليل في جرة وكان عاما شديدا، فلما سمعت خطاب الخادم يسأل الأهل عني، هممت أن أقول لهم: اعتذروا عني لعلهم ينصرفون عنا إلى غيرنا، إذ سمعت صوت الشيخ يناديني يا أبا بكر، عند الهزيمة تثبت أقدام الأحرار، وتظهر بالإعانة جواهر الأسرار، قال فسكت ثم بادرتهم وأنزلتهم ثم عمدت إلى الجرة، فأدخلت فيها يدي وأخذت الشعير منها وهي على جنبها وأهلي يحملون ويقسمون على الجيران برسم الطحن حتى أخرجت ما يكفيهم لطعامهم وعلف دوابهم والجرة على حالها فلما أصبح صرفناهم فلما عدت من وداعهم، وجدت الجرة كأنها لم تمس قط. هذه حكاية صحيحة وفيها دلائل كراماته مكاشفة ما خطر ببال أبي بكر بن واطيل ونداؤه له وبينهما في المسافة أزيد من ثلاثة أميال وانشدوا:

وَظَنُّونِي مَدَحْتُهُمْ قَدِيماً   وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي[4]

(1) أبو طالب المكي: قوت القلوب، م س ج 2، ص: 178.

(2) لم أقف له على ترجمة.

(3) تعني العنب، ونسب ابن خلدون بني واطيل إلى زواغة راجع: العبر ج 6، ص: 264، وأشار الأستاذ عبد الوهاب بن منصور إلى أنهم «منتشرون في جميع البلاد المغربية»، راجع: ابن منصور: القبائل المغربية م س، ص: 311.

(4) من الوافر

ومنها ما حدثني به الحاج المتعبد محمد بن عمر[1] فقيرمن أهل الرباط قال: سمعت الشيخ الفاضل عيسى الزناتي، خادم الشيخ رضي الله عنه يقول بعث بعض أبناء الدنيا للشيخ مائة دينار على أنها تنفق في الرباط فأمرني الشيخ رحمه الله فوضعتها في موضع في الرباط وقال: يا عيسى إذا صلينا الصبح من الغد إن شاء الله وقرأنا السبع فإذا بلغنا التشهد، فخذ هذه الصرة واخرج بها نحو السوق، فأول رجل تلقاه ادفعها إليه بأمانتها. قال فلما خرجت بها في الوقت الذي أمرني به نحو السوق فأول ما لقيت رجلا سكرانا، كما خرج من دير النصراني عريانا فبقيت متحيرا إلى أن غلب علي عزمي دفعها إليه، وقلت ما فعلت إلا أمرت به، فدفعتها إليه ثم تبعته لأرى ما يصنع بها قال فرجع إلى دير النصراني فدفعها له فعدت إلى الرباط فلما رآني الشيخ قال يا عيسى تعجبت من الرجل [فقلت نعم][2] فقال كانت تلك الصرة من مال خبيث، فوقعت بيد خبيث، ولا بد ان يأتي الله في هذا اليوم بما هو أطيب منه وأكثر عددا. قال: فبعد صلاة الظهر أفاء الله علينا من مكان طيب بخمسمائة دينار، فقال الشيخ رحمه الله يا عيسى هذه بتلك. ومنها ما حدثني به الشاب الفاضل أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أبي بكر[3] قال: سمعت جملة وافرة من فضلاء أهبل الرباط، يتحدثون عن رجل ورد من بلاد المشرق زائرا للشيخ رحمه الله في البحر فخرج في بلد سبتة، أمنها الله تعالى فاكترى منها دابة يركبها فعثرت به، في بعض الطريق فقال: على وجه الحرج من مشقة بلغته حينئذ، لعن الله المغرب، فلما قدم على الشيخ رحمه الله فسلم عليه. قال له كيف تلعن المغرب بعثرة دابة عثرت بتقدير سابق. قال فبكى الرجل ثم أخذ بيد الشيخ وعاهده على التوبة.

---

(1) لم أقف له على ترجمة
(2) سقط من د م
(3) لم أقف له على ترجمة

ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل أبو عمران موسى بن عيسى الهزرجي قال: سمعت جملة وافرة من شيوخ الرباط، ممن عاصر الشيخ رحمه الله يقولون، قدم علينا أبو كلموس[1] ومعه شيء من الدنيا صالح وكان يذكر عنه أن بيده صنعة الكيمياء. وقد عزم على أن يتظاهر، بإنفاق ما هو في الرباط على الفقراء، فقعد معنا في قراءة السبع ولم يعلم أحد بما عنده. فلما فرغنا من القراءة أخذ الشيخ في الدعاء حتى قال في جملة كلامه: اشتغلت العقلاء عن الدنيا بتصفية قلوبهم، واشتغلت عنهم يا مسكين بتصفية القزدير. قالوا فخرج من حينه، ورمى بما معه في البحر، ورجع تائبا ثم أخذ بيد الشيخ رحمه الله وأعلمنا بقصته. ومنها ما حدثني به الحاج الفاضل المتعبد عبد العزيز بن عبد الرحمن اللوطي[2] الصنهاجي قال: سمعت الفقيه المغربي أبا محمد عبد الله[3] الوسياني حين قراءتي عليه، بيت المقدس شرفه الله تعالى يقول: لما قدم شيخنا الذي قرأت عليه وسماه، ونسي عبد العزيز اسمه. على الشيخ أبي محمد برباط آسفي زائرا، قال فحضرت مع الفقراء قراءة السبع، فراعني ما سمعته، من لحن ألفاظهم في القراءة، فقلت في نفسي كيف يتقرب هؤلاء إلى الله تعالى، بهذه القراءة، فلما فرغوا من الحزب أخذ الشيخ في الدعاء فقال: في أثناء كلامه يا أهل قراءة النحو وتقويم اللسان، ألم يقل تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾، فهل قال بلسان قويم، قال فعلمت حينئذ أنه أرادني بذلك، فقمت إليه واستغفرت، هذه حكاية صحيحة من نقل هؤلاء الفقهاء الفضلاء فيها دلالة على ما خصه الله تعالى به من

---

(1) اكلموس تعني الغطاء، وكذلك اقلموس، وهي قرية صغيرة بالأطلس الكبير الأوسط.

(2) اللموطي: لعل الصواب اللمطي نسبة إلى قبيلة لمطة عن نسبهم وموطنهم: راجع ابن خلدون: العبر مصدر سابق، ج 6، ص: 371.

– عبد الوهاب بنمصور قبائل المغرب، ج 1، ص: 327.

(3) لم اقف له على ترجمة.

نفاذ البصيرة[1] بنور الباطن، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ومنها ما حدثني به فقراء الرباط ممن لا أتهمه في حديثه قال: [كان][2] بينما رجل محب وكان كثيرا ما يشتغل بصنعة الكيمياء، حتى عثر منها يوما على شيء ظهر له فيه فائدة فأصبح فرحا ثم دخل الرباط فوجد الشيخ قاعدا، فقعد أمامه فلما رآه الشيخ قال له يا فلان، عضتك الكلبة البارحة، وتمكنت منك. قال ففهم عنه وقام من حينه راجعا إلى بيته ورمى بكل ما كان معه من آلات تلك الصنعة في البحر، ورجع وأخذ بيد الشيخ تائبا. ثم أعلمنا بما جرى له في هذه القصة، ولقد ذكر لي اسم ذلك الرجل فنسيته. ومنها ما حدثني به غير واحد ممن أدركته، من فضلاء هذه الطائفة قالوا: قدم على الشيخ رجل من بلاد المشرق في الرباط ومعه شيء صحيح بزعمه من هذه الصنعة فأرادوا أن يتحف به شيخنا رحمه الله لما سمع من فضله وفقره فلما قعد معنا في قراءة السبع وختمنا الحزب أخذ الشيخ رحمه الله في الدعاء والتذكير حتى قال في أثناء كلامه لا يحل لامرئ مسلم، أن يهاجر من الأرض البعيدة ويقطع الفيافي، والقفار، إلى أخيه المسلم ليعمه ما يشغله عن الله تعالى. فقام الرجل من ساعته، ووقف مستغفرا بين يديه وعاهده على التوبة والإنابة. ومنها ما حدثني الشيخ الفاضل المتعبد أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله التهالي[3] قال سمعت الشيخ الفاضل المسن أبا بكر الحداد الشهير ببلد آسفي المعمورة، يقول: كنت في حال صغرى مجتهدا في العبادة وكان الشيخ رحمه الله يسميني جدي العبادة، لصغر سني، حينئذ فلقيته

---

(1) البصيرة قوة القلب. منورة بنور القدس. يرى بها حقائق الأشياء. وبواطنها بمثابة البصر للنفس. وترى به صور الأشياء وظواهرها ومكتشف حجابها بهداية الحق. وتسمى القوة القدسية.
– القاشاني: اصطلاحات الصوفية م س 32.
– عبد المنعم: المعجم م س 35

(2) لم اقف له على ترجمة

(3) التهالي: لعلها نسبة إلى تاهلة إحدى جماعات دائرة تيزنيت بإقليم اكادير، راجع: عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق، ص: 153.

يوما وهو سائر فقبلت ركبته فضرب صدري بيده المباركة، وقال خذ هذه القطعة يا جدي، العبادة ففتح لي من ذلك اليوم وهو الذي أنا أتصرف فيه وانفق منه حتى أموت إن شاء الله قال ولم يزل مقرا بهذه الحكاية على الدوام. هذه حكاية صحيحة من نقل هؤلاء الفضلاء، وكلهم معروفون أحيانا عند وضع هذا الكتاب، مشهورون بالدين والبركة الظاهرة، وبالله التوفيق.

وفيها دلالة على ما منح به من قوة البصيرة وما رزق من الاطلاع على عواقب أمور العبادة، بما أطلعه الله به، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ومنها ما حدثني به من لا يتهم ولا يخفى فضله ممن أدرك شيخنا رحمه الله في حياته، وكان من خواص أصفيائه وولاته، قال ورد على الشيخ رجل حاج من تلاميذه من قبيل دكالة وكان قدومه من الحجاز وله بها عدد من السنين وكانت سيرته في مجاورته أن يقيم بمكة ستة أشهر ليس له فيها شغل سوى استقبال الكعبة وقراءة القرآن وينتقل إلى المدينة [على ساكنها أفضل الصلاة والسلام][1] فيقيم بها ستة أشهر ليس له فيها شغل سوى قراءة القرآن في حرم رسول الله ﷺ. فخطر بباله زيارة الشيخ رحمه الله فلما وصل الرباط ودخل على الشيخ رحمه الله فأخذ الشيخ يسأله عن البلاد وأهلها ويقول في جملة كلامه: هل أوصاك علينا أحد على وجه التنبيه له فيقول كل من رأيته يستوهب منكم الدعاء، إلى أن قال ذلك مرة أو مرتين وهو مع ذلك يقول مقالته أولا ثم قال في الثالثة هل أوصاك إلينا أحد وقال لك قل له يبعث لنا [أمجرا] [2] من قال فبكى الشيخ عندها وقال يا سيدي، لما وادعت قبر النبي ﷺ وأنا عازم على التغريب رأيته تلك الليلة فيما يرى النائم فقال

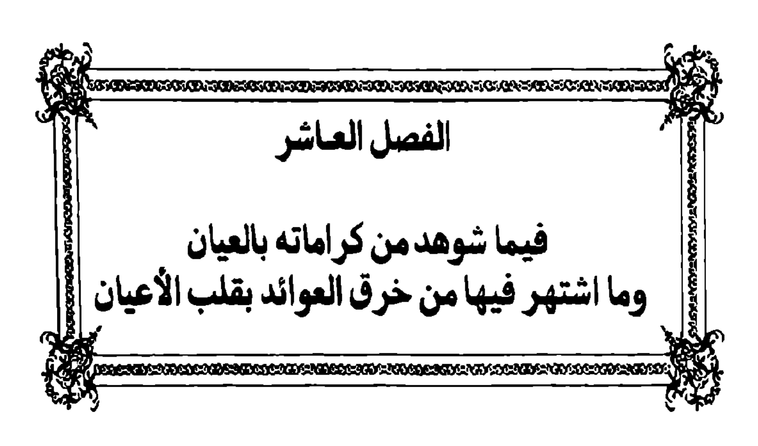
---

(1) سقط من ط .س

(2) كذا في جميع الأصول

لي أردت أن تهرب عنا وتتركنا فقلت يا رسول الله أردت زيارة شيخنا الذي كانت هدايتي على يديه أردت زيارته قبل الموت فقال تمشي إليه وتزوره وأقرئه مني[1] السلام، وقل له يبعث لنا أمجرا من قال بهذا النص، وهي تسمية الفقراء بلغة الرطانة، فأخذني بعد [المسافة][2] حتى نسيت تلك الوصية. قال: ثم بكى الشيخ بكاء طويلا ثم قال ومن هو صالح، حتى يبعث به رسول الله ﷺ، ثم قال: لكم أين زواره قال فاشتهر هذا الخبر في البلد وما حوله من القبائل، وتبادر الناس حتى خرج خلق كثير لم نعاين أكثر منهم، قبل ذلك ولقد سمي لي ذلك الشيخ، فنسيت اسمه قال: ولم يزل ذلك الشيخ يقول هذه لفظة سمعتها من رسوله الله ﷺ بالرطانة. هذه كرامة شاهرة، وآية ظاهرة خصت بالشيخ وأصحابه إذا صح أن النبي عليه السلام، قد باسطهم وكفى بذلك فخرا على كل مفتخر.

(1) س [عني] ط.د.م [مني]
(2) ط.س [المشقة] د.م [المسافة]



الفصل العاشر

فيما شوهد من كراماته بالعيان
وما اشتهر فيها من خرق العوائد بقلب الأعيان

فمن ذلك ما حدثني به الوالد المرحوم إبراهيم بن احمد بن أبي محمد صالح رحمة الله عليهم أجمعين قال : سمعت الفقيه الفاضل أبا الحسن عليا الإشبيلي[1] يقول وقد سألته عن هذا الذي ينقل عن الشيخ، هل كان عنده من ذلك آية في عصره، ونخبة في دهره، ولقد استدعاه بعض الفقراء من ارض دكالة وسأله هل يزوره، في محله فأجابه إلى ذلك ثم ركب دابته وخرج وخرجت معه فقراء، وطلبة فتقدم ونحن خلفه إلى أن مررنا بالطريق على غدير ماء وحوله ربيع وإزهار، وعليه سبعة أفراس من الأجناد وخيلهم سائمة في الربيع أمامهم وبين أيديهم كؤوس خمر، وما يحتاجون إليه مما يستعينون به على شربها، فلما عاينوا الشيخ والفقراء، هربوا عن محلهم وتركوا أشياءهم، موضوعة في موضع مقيلهم فمر بها الشيخ ناظرا إليها فانقلبت ببركته، أعيانها فصارت الخمر عسلا واليابس أخضر يانعا. قال فأنا ممن أدخلت أصبعي في الخمر، امتحانا ثم رفعته فإذا هو يتمطمط كأطيب ما يكون من العسل. قال فتركناه وذهبنا مع الشيخ فلما رجعوا إلى متاعهم وجدوا أعيانها قد انقلبت [عسلا][2] فمكثوا حتى ذهب عنهم حالة السكر، فتطهروا وقدموا على الشيخ، في المنزل تائبين. فحلقنا رؤوسهم وبعد حين سافروا إلى الحجاز. فمات بعضهم بالشام، ثلاثة منهم غز[3] وأربعة موحدون. هذه حكاية صحيحة ولقد سمعت والدي رحمه الله يقول

---

(1) لعله هو الذي اشار إليه صاحب الحل السندسية في الأخبار التونسية باسم ابي الحسن بن محمد الإشبيلي، اثناء حديثه عن حوادث سنة 602 هـ التي عرفتها إفريقية في خلافة الناصر الموحدي. راجع: الحلل السندسية، ج 1، ص 490.

(2) سقط من، ط، س

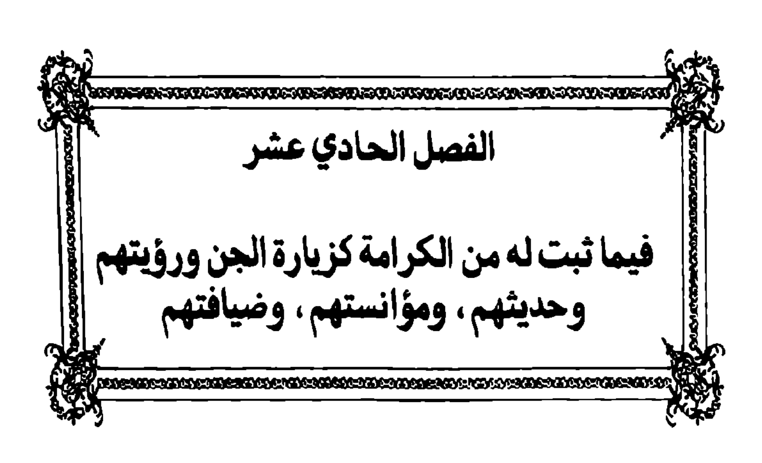
(3) الغز: جنس من الاتراك، مختار الصحاح ص: 473

هذه الحكاية اصح ما ينقل عن الشيخ، لما ثبت عنده من علم الراوي، وقوة دينه وما جبل عليه من صفاء يقينه. ومنها ما حدثني به غير واحد ممن أدركته من الفقراء والمريدين والحجاج والمتعبدين، من أهل الرباط، وغيرهم ممن سكن بالأفاق، من رواة إخباره وخزنة أسراره. قالوا كان بعض أقارب الشيخ رحمه الله ممن بلى بهذه القاذورات. فبينما هو ذات يوم قاعد وبين يديه خمر إذ هجم عليه الشيخ في الدار، فهرب منه فقال الشيخ للخادم، لم تركتم هذا الدهن عريانا ثم خرج فجروه إليه فوجدوه قد انقلب دهنا كأنه زيت [الهرجان][1] فكان ذلك سبب توبة الرجل. والرجل معروف أعرضت عن ذكر اسمه تكرما. فهذه أيضا من أشهر ما يذكره الفقراء والعامة جميعا وليس في ذلك عندهم مختلف وهذا الفصل قد أسقطت منه أخباراً كثيرة إذ لا يحتملها كل عقل كما شرطناه أولا في أول الكتاب ولا بد من ذكر بعضها، أخر الكتاب إن شاء الله تعالى تنبيها بها على غيرها وانشدوا:

وَمَا هِيَ إلاَّ عُـرْوَةٌ لَـنْ يَنَالُهَا ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ التَّابِعُ الْمُتَمَسِّكُ[2]
وَاخْلِصْ مِنَ الطَّاعَاتِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ... فَلِلتِّبْرِ فَضْلٌ وَهُوَ لاَ بُدَّ يُسْبَكُ

(1) م [الهرجان] ط.س.د [الهرجاكان] ولعله يقصد زيت اركان: شجرة مشهورة بالجنوب خاصة بين الصويرة واكادير

(2) من الطويل



الفصل الحادي عشر

فيما ثبت له من الكرامة كزيارة الجن ورؤيتهم وحديثهم، ومؤانستهم، وضيافتهم

فمن ذلك ما حدثني به الشيخ الفاضل والشريف السني العامل، عز الدين أبو محمد عبد العزيز الداريني[1] بموضعه من مدينة مصر، المعمورة بقرب من جامع عمرو بن العاص[2] بزقاق النخالين[3] سنة ثمان وتسعين وستمائة. وقد قدمت عليه زائرا، وكان من كبار الشرفاء، ويزيد على المائة سنة في عمره، قال: قدم علينا عبد العزيز، ولد الشيخ رحمه الله وكنت ملازما له طول حياته، ولم أفارقه حتى مات رحمة الله عليه. وربما كان ينام، فأضع له ركبتي فلا أتحرك حتى ينتبه من نومه. ولقد قلت فيه قصائد ذكرت فيها فضائله، وبينت فيها شمائله. ولقد ورد علينا فقراء أجلاء من أهل وادي مصر بعد رجوعهم من زيارة الشيخ رحمه الله ببلد أسفي المعمورة. وكنا قد ودعناهم وصرفناهم مع المغاربة فحدثوا حين رجوعهم أنهم رأوا في رباط الشيخ رحمه الله سبعة رجال، وكانت النفوس تهابهم، ولم تكن لهم مؤانسة مع الناس، ولا محادثة وكلامهم كالهمس كأنهم وحش، فراعنا ذلك منهم، ثم بعد ثلاث أيام، فقدناهم ولم نرهم. فسألنا الشيخ ذات يوم عنهم، وقد وجدنا له خلوة فقال هؤلاء إخوانكم الجن المؤمنون، أتونا من بلاد بعيدة برسم الزيادة، قال فلما سمعت منهم ذلك أخذت قرطاسا ثم ذكرت فيه قصيدة في فضل الشيخ وزواره، ثم ذكرت هذه الحكاية وهي الآن في ديوان كتبي، ولا بد أن أطلعك عليها إن شاء الله، فسافرت نحو المغرب قبل أن أرى ذلك، وكان خروجي للمغرب على غير إرادة. وكفى بما في

---

(1) لم اقف له على ترجمة

(2) جامع عمرو بن العاص: راجع كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار لإبراهيم بن محمد بن ايدم الشهير بابن دقماق، القسم الأول، المكتب التجاري، ص: 59 وما بعدها

(3) زقاق النخالين: راجع نفس المصدر، ص: 19

هذه الحكاية من رواية هذا الشريف الراوية وهو من ذرية المصطفى، عليه السلام وكفى بذلك شرفا لروايته، وتعظيما لحكايته. ومنها ما حدثني به الشاب الفاضل أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم بن أبي بكر الماجري قال: سمعت الشيخ الفاضل المسن أبا موسى عيسى بن مريم[1] وهو الذي لازم خلوة الشيخ رحمه الله يقول سمعت أبا زكريا يحيى[2] ابن يحيى يقول سمعت والدي يحيى يقول وكان خادم الشيخ رحمه الله ومقربا إليه خرجت مع الشيخ في السفر إلى موسم شاكر. فركب الشيخ رحمه الله دابته وكنت ماسكا بركبته، حتى إذا خرجنا من البلد وواجهنا ساحل البحر ما بين أسفي، وواصل وإذا به كله خيمة وخباء وقبة حتى لا ترى فيه موضعا خاليا على [مد][3] البصر فلما تحققت ذلك وتيقنته، حجب عن بصري فبقيت متحيرا من ذلك. ففهم الشيخ عني، فقال: يا يحيى أيظن الناس أن موسم شاكر لا ياتيه غيرهم، كل ما رأيته مسافرون نحو شاكر، فعلمت حينئذ أن ما رأيت كان من الجن.

أخِلاَّئِي بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ لَكُمْ شَجْوُ ... وَكُلُّ امْرِئٍ مِنْ دَاءِ صَاحِبِهِ خِلْوُ[4]
كل عند صاحبه[5] ... عَلَى كُلِّ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلْوُ

(1) لم اقف له على ترجمة
(2) لم اقف له على ترجمة
(3) م [مد] ط. س. د [يرد]
(4) من الطويل
(5) بياض في كل الاصول

الفصل الثاني عشر

فيما ورد عنه من الكرامة في انزواء الآرض، في الأسفار البعيدة، وما شوهد له من [إغاثة][1] الفقراء من تلاميذه في الفيافي والقفار، وعند الكروب الشديدة

(1) ط س [اعانة] د م [اغاثة].

فمن ذلك ما حدثني به الفقيه الفاضل نخبة زمانه أبو عبد الله محمد بن يحيى الصنهاجي[1] حين قدم علينا بوادي مصر حاجا وكان [به][2] مرض فندبته إلى سفر البحر فسمعت الشيخ الفاضل أبو يعقوب ابن يوسف ابن أبو بكر الصنهاجي يقول سمعت الشيخ رحمه الله يقول: وقد نهانا عن السفر في البحر، إياكم والسفر في البحر، فإني أنظر إليكم ما دمتم مسافرين في البر، فإذا دخلتم البحر حجب بيني وبينكم. ولكن لا أقدر بعد ما سمعت فيه ما سمعت على اقتحام السفر، ولولا ذلك لسافرت فيه. ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل الفقيه المتورع أبو سعيد محمد بن بدر الجدميوي[3] رحمه الله وكان من كبار متقعدي الشيخ وممّن عاشره حتى استفاد منه بموضعه، من بلد سدويكش[4] من نظر بني وران[5]، قال سمعت ابراهيم المكناسي[6] رجل معروف وأثنى عليه، خيرا، يقول: لما ودعنا الشيخ رحمه الله ونحن مشرقون، أوصانا بوصية فقال: إذا مرض أحدكم في الطريق، فإن استطاع ان يموت مشرقا لا يرجع، فإنه إن مات مشرقا، محتسبا لله تعالى، قيض الله له بعد موته

(1) لعله هو محمد بن يحيى الذي أشار إليه الوادي آشي في ترجمة رقم 183، راجع: برنامج الوادي آشي، م س ص: 142.

(2) سقط من د م.

(3) الجدميوي: نسبة إلى قبيلة كدميرة وتنقسم إلى كدميوة الجبل وكدميوة الفحص، وهي مستقرة إلى الجنوب من مراكش وبها تقع قرية آمزميز. راجع عبد الوهاب بنمنصور: قبائل المغرب، ج1، ص: 324. وحسب ترتيب ابن القطان في نظم الجمان، ص:81 فإن جدويه تحتل الصف التاسع في سلم طبقات الموحدين.

(4) سدويكش: ذكر ابن خلدون أن بلد سدويكش تقع بين قسطنطينة وبجاية وتنسب القبائل التي تستوطن هذه المناطق إلى كتامة، راجع ابن خلدون، العبر مصدر سابق ج 6 ص: 303.

(5) بني وران لعل الصواب هو بنو مروان بطن من بطون قبائل سدويكش الكتامية. راجع ابن خلدون، العبر مصدر سابق ج 16 ص: 303.

(6) لم أقف له على ترجمة.

ملكا يحج عنه، في كل عام إلى يوم القيامة، وإن مات وهو راجع لم يكن له ذلك، فلما بلغنا بجاية المحروسة اعتراني مرض، وكنا ثلاثين رجلا فشد ذلك علي حتى قال أصحابي يا ابراهيم هذه بلد ليس لنا قدرة على الإقامة بها، ولا يمكننا التفرق من هنا، وهذا الذي بك مرض شديد . فإن رأيت كيف تسلم لنا وتمشي، كل يوم قليلا فإن أبرأك الله تعالى تصلنا عن قريب [فودعتهم][1] وانصرفوا، فبقيت في بعض المساجد حتى اشتد حالي فنقلني، الناس من المسجد إلى حانوت في السوق، خالية وطرحوني فيها فقيض الله لي رجلا من أهل السوق [فكان][2] يخدمني ويكنس علي ويغسل لي ما يغسل حتى مكثت بها مدة شهرين أو أكثر وإذا بالبرء قد من الله به علي حتى طمعت بالحياة فقال لي الرجال لو خرجت إلى البادية فإن البادية صحيحة والبلد معفنة [وخيمة][3] فربما تصح [وإلا برئت][4] فأخذ بيدي يوما حتى خرجت من باب البلد [وودعني][5] وزودني خبزا فانصرفت، حتى بلغت مسجدا هناك، على ساحل البحر بقرب عمارة البلد، يسمى بمسجد أبي محمد، يزعم أهل تلك النواحي أن الشيخ رحمه الله كثيرا ما [يتراءى][6] متعبدا فيه، فلما [بلغته][7] وجدت [عنده][8] فارسين، فلما تعديت عنهما إذا بهما قد تبعاني أحدهما على فرس، والآخر على حمار. فأخذ أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي، وأخذا يحدثاني ويسألاني فقال أحدهما، هلا رجعت إلى بلدك وليس لك مقدرة على السفر. فقلت لا أفعل لو كنت

(1) ط [فودعتهم] س د م [فوادعتهم]
(2) سقط من ط س
(3) سقط من ط س
(4) سقط من د م.
(5) ط [فودعني] س د م [ووادعني]
(6) في كل الأصول يترايا- والصواب يتراءى.
(7) ط س [بلغتها] د م [بلغته]
(8) ط س [عندها] د م [عنده]

أسير حتى أتمزق، لأن الشيخ منعني من ذلك. فقالا: ومن هو شيخك؟ فقلت أبو محمد صالح فقال لي أحدهما: أتريد أن تقيم بهذا الموضع؟ فقلت: أسير قليلا. ثم تحدثنا، ثم قالا لي: هذه بونة[1]، أتريد أن تقيم بها؟ فكل بلد يعرضها علي من بلاد افريقية أقول: لا بل أسير، حتى قال لي: هذه بلد المهدية[2] أتريد أن تقيم بها؟ فرفعت بصري فرأيت بلدا مسورا فقلت لن أقيم هنا، فقالا لي: اذهب فإذا وصلت باب البلد اقصد مسجد الساحل، فربما تجد بها أصحابا، ولكن هناك قطاع، ونحن هنا واقفان، حتى تصل إلى المسجد فلما انصرفت قال لي راكب الحمار، بالرطانة سلم على الشيخ فنظرت، إليه وقلت كيف أسلم على الأجناد، والله ما فعلت، وذهبت على رسلي حتى إذا وصلت باب البلد. قال البوابون إن كنت حاجا فاقصد مسجد الساحل، تجد فيه رفقاء، فقصدت المسجد فلما وصلته إذا بأصحابي قد تبادروا إلي وحملوني بين أيديهم، وتباكينا قليلا وسألوني من أين قدمت ذلك اليوم، فقلت من بجاية فاستحمقوني وزعموا أني قد جننت حتى حلفت لهم أني خرجت من البلدة التي تركتموني بها سوى هذا اليوم، وقصصت لهم قصة الفارسين، فقالوا ذلك الشيخ أبو محمد فلو صبرت معه قيلا، لبلغ بك إسكندرية وقد كنت أظن أنهم يهزءون بي حتى رجعت في التغريب وسلكت، ما بين المهدية وبجاية وحينئذ تحققت ما رأيت وعلمت أن ذلك كرامة لشيخنا رحمه الله. ومنها ما حدثني به الحاج الفاضل عثمان بن أبي

---

(1) بونة: تعرف اليوم بمدينة عنابة تقع على ساحل البحر المتوسط في الشرق الجزائري، قال الإدريسي: «وكانت لها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وارباح موجودة» راجع: الإدريسي: نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج 1، ص: 291.

(2) المهدية: المدينة المشهورة بساحل تونس الشرقي، اسسها عبيد الله المهدي سنة 300هـ 916م. كان قد استولى عليها روجار الثاني ملك صقلية بعد ان طرد منها الحسن بن علي الامير الصنهاجي، وبقيت المهدية تحت حكمه إلى أن استردها منه عبد المؤمن سنة 555هـ 1160م، وبسط نفوذ للوحدين عليها. راجع: ابن عذارى: البيان مصدر سابق، ص: 62.

القاسم الهسكوري المصطاوي[1] قال سمعت يعقوب الهسكوري معروف من اهل الدين والفضل يقول: لما رجعت من بلاد الحجاز، حتى بلغت عقبة [الصوار][2] اشتد بي العطش، حتى انقطعت عن الناس في البرية، وأشرفت على الهلاك، فقعدت مستقبلا، فتذكرت قول الحجاج، متى أدركتنا شدة في الفلوات، نستغيث بذكر الشيخ، فنجد بركته. فقلت يا سيدي أبا محمد ، سألتك بالله تعالى عليك، إلا ما أغثتني في شدتي هذه. فنظرت فإذا رجل معه ركوة ماء فناولنيها. وقال اشرب فشربت حتى رويت ماء باردا عذبا وأخذ الركوة ثم غاب عني، فقمت ونهضت من ساعتي، وأسرعت في السير حتى أدركت الناس في المنزل والحمد لله. ومنها ما حدثني به الحاج الفاضل محمد بن عيسى بن علي الجلاوي قال سمعت[3] الفقيه الفاضل أبا يعقوب يوسف بن يونس بن معاوية الهسكوري [يقول][4] سمعت، أبا الحسن عليا المراكشي الشهير باب الفحام، وهو بمنزله من بلاد الصعيد من أرض مصر، لما قدمنا عليه يقول لما ورد الشيخ أبو العباس علينا حاجا، رافقناه جماعة من فضلاء الحجاج، من خواص الشيخ رحمه الله فلما قضى الله تعالى لنا مناسك الحج، ورجعنا إلى بلد الشام بلغنا غزة ونزلنا في الجامع فتحدثنا بيننا، وأبو العباس غائب، فقلت لهم كنت أشتهي هذه الليلة من الله تعالى ثريدا من فطير بلحم سمين. فلما صلينا المغرب خرج أبو العباس من باب المسجد، ودعاني فتبعته ووجدته واقفا على رمل هنالك وبين يديه قصعة

---

(1) قال الأستاذ التوفيق: نسبة إلى ابن مصطاو بإشمام الصاد زايا وهي قبيلة من هسكورة الظل ربما كانت أيت مشاض المعروفة بهذا الاسم إلى اليوم، راجع: التشوف إحالة 127، ص: 362.

(2) ط د م [الصوار] س [السوار] ولعل الصواب هو الجوران وهو حسب ما ذكره البكري « موضع بين المدينة وبني قريظة، وهناك مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه قبل ان يصل إلى بني قريظة » راجع: البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ج 3، ص: 846.

(3) سقط من ط س

(4) ط س [قال] د م [يقول]

عليها طبق فقال لي : ارفع هذه القصعة فرفعتها ودخلت المسجد ، وتبعني فكشف عنها فإذا فيها ثريد فطير ولحم سمين. فأكلنا حتى شبعنا. فقال لي احمل القصعة إلى موضعها واتركها، فيه، ففعلت فلما قدمت على الشيخ بالرباط فال لي [يا][1] علي المراكشي أنت الذي تشتهي على احمد ولدي ثريد الفطير باللحم السمين في البراري، حتى رفعت القصعة عن الرمل كان رجل واقفا بينك وبين أحمد ناظرا إليك فقبلت يديه. وقلت يا سيدي أنا تائب. ومنها ما حدثني به أبو محمد عبد الواحد بن ياجريان، فقيه متورع قال سمعت الحاج المسن أبا يزجيط بن عبد الرحمن ابن ابراهيم الجلاوي يقول حرجنا من المدينة على ساكنها افضل الصلاة[2] وأزكى السلام وكنا ثلاثة حجاج منقطعين ومعنا قربة[3] للماء وركوة، فقعدنا في موضع نستريح فيه، فعقلنا قربتنا على شجرة فانقطع علاقها، وانشقت نصفين فبادرنا إليها وغرفنا في الروكة قدر مد ماء، وشرب الرمل الماء الباقي[4] وقد بعدنا عن المدينة بمراحل، فأخذنا الركوة، وذهبنا نمشي حتى إذا أدهشنا العطش، واشتد حالنا فكل منا يقول لصاحبه قد آثرتك بهذا الماء، اشربه فيمتنع ويقول قد خرجت عنه لله تعالى فخرجنا عنه كله لله تعالى. فأخذناه ودفقناه في الرمل، ومضينا على حالنا يومين وليلتين فاشتد حالي بالعطش، دونهم حتى أيقنت بالهلاك. وقلت لأصحابي اذهبوا، فإني منقطع فذهبوا عني فأدركني وحش كبير كثير فبكيت طويلا، ثم عمدت إلى موضع، واستقبلت للموت. ثم قلت يا ربي قد توسلت إليك بسيد الأولين والآخرين، وقدمت إليك يا سيدي أبا محمد صالح، إن كان بقي في أجلي تأخير الا ما أغثتني، بلطف منك ياغياث المستغيثين. ثم قلت يا سيدي أبا

---

(1) سقط من ط س

(2) ط س [السلام] د م [افضل الصلاة وازكى السلام]

(3) القربة في القاموس المغربي الدارج : الكربة.

(4) سقط من ط س د.

محمد بحق الله [عليك][1] الا ما اغثتني، فبينما انا كذلك إذ رايت رجلا قادما ومعه ركوة ماء، فاعطاني فشربت حتى رويت. قال لي اشرب فشربت. حتى لم أترك شيئا منها، ومضى عني فاشتد حالي، وقمت وتبعت أصحابي حتى أدركتهم فجريت إليهم ورميت بعصاي أمامهم وقفزت. فتعجبوا مني وقالوا ما الخبر. فقلت إنما أدركني سرور وفرح من حيث أني أموت في طاعة الله عز وجل. [فقالو][2] لي لا بد لك من خبر فقصصت عليهم قصتي ووصفت لهم الرجل فقالوا هو الشيخ بعينه. واسمه فإنهم رأوه وعرفوه وما كنت قد رأيته قبل ذلك. فمضينا بقية يومنا إلى العصر، وإذا برجل قد رأيناه على ربوة فقصدناه. فوجدنا أعرابيا صيادا قد صاد ثلاثة غزلان فقال لنا أبشروا بالماء والخبز فقدح لنا نارا على الماء وقال اجمعوا حطبا فهذه ثلاثة غزلان لي واحدة وللناقة واحدة ولكم واحدة فأخذنا غزالتنا، وشويناها وأكلنا وشربنا وأعلمناه بقربتنا [التي سقطت من الشجرة][3] فاخرج اشفى، ومقراضا وهيأ لنا سقاءنا. فلما أصبح ملأنا قربتنا ماء ووصف لنا طريقا إلى بلد معان[4] وبعد يومين أو ثلاثة وصلنا إليها. وفرج الله تعالى علينا ببركة الشيخ. ومنها ما حدثني به غير واحد [ممن][5] أدركته من فقراء الرباط قال سمعت اسحاق ايسمخ[6] فقير من كبراء الفقراء المتعبدين حينئذ،

---

(1) سقط من ط.

(2) ط د م [فقالو] س [فقالا].

(3) سقط من ط س د.

(4) معان: حصن كبير من ارض فلسطين على خمسة ايام من دمشق في طريق مكة: راجع: البكري: معجم ما استعجم مصدر سابق، ج 4، ص: 1241.

(5) د [من] ط س م] [ممن]

(6) ايسمخ: وتعني العبد الأسود، قال عنه الكانوني «كان احد كبراء المتعبدين وافراد الرجال المتنسكين جال المشرق والمغرب، ودخل الحجاز فادى فريضة الحج... صحب الشيخ ابا محمد صالح واقتدى به وادخله الخلوة فلازم العبادة بخلوته برباط آسفي» وحسب الكانوني فإن وفاة إسحاق ايسمخ كانت في اواسط القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. راجع: جواهر الكمال، مرجع سابق، ص: 121–125.

بالرباط يقول: كان الشيخ رحمه الله يقول: لنا عند سفرنا إلى الحجاز، لا يسأل أحدكم شيئا إلا بعد ثلاثة أيام. فلما قدمت مكة شرفها الله تعالى مكثت بها ثلاثة أيام لم يفتح لي فيها بشيء، فلما أصبحت في اليوم الرابع، خطر ببالي هريسة، فقلت أخرج من الحرم أطلب منها شيئا فخرجت حتى إذا كنت عند حانوت بها، إذا بالشيخ قد قبض علي يدي وقد هممت أن آمره وهو يقول إياك إياك، فاستحييت منه وعدت إلى الحرم الشريف. ففتح الله لي ذلك اليوم بخير صالح. ثم ورخت ذلك اليوم، فلما قدمت على الفقراء بالرباط سألتهم هل غاب الشيخ عنهم قط. قالوا لا فقصصت عليهم قصتي واليوم الذي ورخت، فقالوا كان معنا في قراءة السبع، وإذا به قد مد يده في الهواء، وقبض على شيء، وقال إياك إياك. ففهمنا أنه حال ورد عليه حينئذ، فوجدته ذلك اليوم الذي ورخته. ومنها ما حدثني به [أيضا][1] غير واحد، من فضلائهم وممن تيقنته أن يكون من أكبر عقلائهم قالوا: سمعنا اسحاق ايسمخ يقول: وكان كثير الأسفار والتجول كنت في بعض أسفاري أمشي وإذا بسبع قد تعرض لي في فلاة من الأرض بعد العصر واشتد علي الخوف[2] منه حتى أشفقت منه وإذا بالشيخ قد انتهره وأتي من خلفه فنظر إليه السبع، ثم ولى هاربا ثم قال لي لا تخف، نجوت منه. فلما قدمت على الفقراء بالرباط سألتهم عن الشيخ فوجدتهم قد قيدوا ذلك اليوم، فلما أعلمتهم بالقصة قالوا كنا معه في حزب السبع وإذا به قام وهو ينهر شيئا. ويقول لا تخف نجوت منه. ثم رجع فقعد فقلنا لا بد لهذا الحال من شأن فورخنا ذلك اليوم، فوجدنا هذا اليوم الذي انتهر فيه عني السبع في الفلاة من الأرض. ومنها ما حدثني به الشيخ [الفاضل][3] محمد بن

---

(1) سقط من د م.

(2) سقط من ط س د.

(3) سقط من د.

عبد الله بن الشيخ الفاضل أبي علي عمر بن عبد العزيز[1] قال سمعت والدي عمر بن عبد العزيز يقول: اشتد علينا العطش ونحن أربعة حجاج مغربين، وليس معنا ماء ونحن في موضع معطش، إلى أن أشفقنا على أنفسنا، وصار كل منا هائما على رأسه فرأيت سدرة فقصدتها لأموت تحتها، وأخذت أستغيث بالشيخ، فلما بلغتها وجدت رجلا قاعدا تحتها، ومعه "كوز" ماء أخضر جديد من عمل آسفي، فقال لي اشرب، فقلت له: ورفقائي؟ فقال: اشرب، فإنك على جب ماء وإذا بين يديه جب ماء، مفتوح فشربت ورويت، فذهب عني وتركني ولم أساله لما بي من الجهد، فأتى أصحابي السدرة، كما أتيتها فقلت لهم: هذا جب ماء. فشربوا وأقمنا عليه يوما وليلة. فلما قدمت على الشيخ سألني عن الطريق، فما زلت أعلمه بما جرى لنا حتى أتيت لذكر الجب فقال: أتعرف ذلك الرجل إذا رأيته؟ فقلت: نعم. فلما خرج الفقراء ولم يبق معه سوى رجل واحد، يقال له حسن الفخار، فنظر الشيخ إلي وقال: هل تعرف صاحبك الذي سقاكم الماء في البرية إذا رأيته؟ فتوسمت وجه الرجل فإذا هو صاحبنا. فقلت: هو ذا. فقال: لما ذكرت اسم الشيخ مستغيثا به، وكنت جالسا على جب داري، أستقي منه فناولتك الماء نيابة عنه، والجب هو جب داري، وكل ذلك ببركة الشيخ. وهذه حكاية صحيحة، حدث بها هذا الفقيه العالم المتورع، الذي كان وحيد عصره، ولم يترك شيخنا بعده له نظيرا في أفعاله، وتسديده، وورعه غيره. نفعنا الله وجميع المسلمين ببركاته [احتطب يوما بقرب من بلاد آسفي، وإذا بالشيخ راكب على دابة بيضاء، قد قصد نحو الموضع الذي كنت احتطب فيه فاستخفيت في غابة الرتم هيبة منه. فنزل عن دابته وتركها ترعى ثم قصد إلى موضع وصلى فيه ركعتين، ثم قعد، وإذا بقطيعة حجل يتجارون

---

(1) لم أقف له على ترجمة

إليه حتى وصلوا إلى حجره فأخرج لهم من كمه رغيف خبز فأخذ يفته لهم ويطعمهم، فلما أكلوا وانصرفوا أخذ دابته ورجع نحو البلد. وكان ذلك سبب توبتي وأخذي بيده][1]. ومنها ما حدثني به الحاج الفاضل[2] يونس بن يحيى بن يوجوت الماجري قال سمعت والدي يحيى يقول: كنت مع الشيخ مرة في سفر ومعه جماعة فقراء، وقد قدمنا من دكالة من موضع يعرف بربوة الجودر وتعرف بلسان الرطانة تاوريرت[3] مازاط فلما قربنا بلد سايس[4]، إذا سحاب مكفهر قد غشينا، فأمرنا الشيخ أن نميل نحو العمارة، لئلا تبتل دفافينا قال فتسابق الفقراء إلى العمارة وبقينا معه ستة أنفس وامتنعنا من الفرقة منه فغشينا مطر كثير وما كنا نحس به إلا على ظهور أقدامنا فلما بلغنا العمارة انقشع السحاب عنا. وما ابتل منا سوى ظهور أقدامنا، وأصحابنا المتسابقون إلى العمارة قد ساروا كأنما غمسوا في غدير ماء، ثم رفعوا منه. ومنها ما حدثني به الحاج يونس بن يحيى المذكور قال سمعت والدي يحيى يقول: دخل علينا رجل أعجمي، من قراء البلاد والشيخ في داره حينئذ فلما نظر إلى الفقراء كأنما ازدري [بحالهم][5] فأراد أن يشمخ عليهم، فأمر الخادم أن يمد للفقراء سماطا. ثم أمر الفقراء أن يقعدوا عليه. قال فقعدوا عليه ثم

---

(1) سقط من م.

(2) سقط من ط س .

(3) تاوريرت: هي قرية لا تزال تحتفظ باسمها وتقع شرقي ملوية وسماها البيدق «صاء» وذكر ان ابن تومرت قد مر بها، وهو في طريقه من تلمسان إلى فاس، واشار صاحب القرطاس ان يوسف بن عبد الحق المريني قد مر بها هو ايضا عندما اراد غزو تلمسان. وهناك تاوريرت اخرى ويستبعد ان تكون اي واحدة منهما ضمن مناطق دكالة كما اشار صاحب النص راجع:

- البيدق م س 21.
- القرطاس: م س 385.
- دكالة م س 51.

(4) السايس: إحدى جماعات دائرة الجديدة حاليا والسايس ايضا: اقليم بناحية فاس مشهور بإنتاجه الفلاحي ونشاطه الاقتصادي والعمراني.

(5) ط س [بحالهم] د م [بهم]

دخل العجمي بينهم فجعل يقبض من الهواء أطيب الفواكه، من الزبيب، واللوز، والتمر، ويرميه بينهم. فلما رأى الخادم ذلك تركه على حاله ثم أعلم الشيخ في محله، فقال له الشيخ قل لإسحاق ايسمخ يخرج عليه من خلوته وعليه عوقشان[1] بلا أكمام وفي وسطه مئزر من صوف، وكان عبدا رقيقا أصفر اللون، محروقا في العين فقبض علي يد العجمي وقال له تعال يابطل، حتى أريك الطريق، فتبعه العجمي إلى باب المسجد الرباط، وإذا به مغلق فدخل إسحاق من الحائط، ولم يرده شيء، وبقي العجمي واقفا خلف الحائط، ثم خرج إليه فقال له مالك واقفا، خلف الحائط ادخل المسجد ثم دخل اسحقا ثانيا، وحال الحائط بينه وبين العجمي، إلى أن فعل ذلك معه ثلاث مرات. فكشف عن رأسه حينئذ وبقي واقفا مستغفرا. فخرج إليه إسحاق وأقبل عليه. هذه حكاية مشهورة بين الفقراء يعرفها كبيرهم وصغيرهم وهي وإن كانت كرامة، في حق اسحاق الذي نسبت إليه لكن فيها تنبيه على ما أكرم الله تعالى به الشيخ من اطلاعه، على ما أكرم الله به اسحاق. وهذا آخر فصول الكرامات. وسأختم هذا الفصل بحكاية تنبه الغافل على ما ترك من نظائرها، في مراد الناقل كما شرطته آنفا في خطبة الكتاب، ورأيته من أوجه الصواب. فمن ذلك ما حدثني به الوالد المرحوم ابراهيم بن احمد قال سمعت الفقيه الفاضل، أبا الحسن الاشبيلي وقد هاجر إلى الشيخ من بلد سبتة المحروسة، وكانت موضع استيطانه، وعاشره مدة طويلة وكان جليل القدر وقد سألته عن بعض ما عاين وحفظ من أحوال شيخنا رحمه الله فقال: كان الشيخ رحمه الله [يتحنت][2] في بعض

(1) نوع من الملابس لم يرد ذكره في المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، لدوزي، ترجمة اكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد 1971.

(2)

سواحل البحر بقرب البلد ليلا إذ رآه النصارى من القطاع[1] وهم في قارب، فقذفوا إليه وهو واقف على حاله. فلم يبرحوا قاذفين حتى وقف القارب بين يديه على الساحل فقال لهم كيف رأيتم؟ جئتم لتصطادوني فاصطدتكم. فنظروا فإذا هم والقارب على البر بين يديه والبحر قد غاب عنهم فاسلموا حينئذ على يده وكانوا اثني عشر رجلا فقدم بهم الرباط وحلق رؤوسهم وكساهم مرقعات ثم صرفهم إلى الحجاز بعد إقامتهم مدة في الرباط فبلغنا عنهم أن بعضهم مات بالحجاز وبعضهم مات بالمدينة على ساكنها [أفضل الصلاة والسلام][2]. وهذه حكاية صحيحة عندي ليس للشك فيها مدخل معتقد فيها وفيما سواها لقوة الأيمان وصحة التسليم أن لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم وقد انتهى بهذا الفصل كلما انتخبه الاجتهاد في هذا الأصل. وساختم هذا القطب من هذا الكتاب بذكر ما تحققناه من بقية سير شيخنا رحمه الله المعروفة، وعادته المشهورة المألوفة من لزوم الحج لجملة المريدين والتحريض عليه وعلى زيارة قبر النبي ﷺ للزائرين والمترددين. هذا وإن كان في الشريعة مفروضا، فقد كان في عصره، عند بعض فقهاء مصره مرفوضا وقد أفتى جل فقهائهم بأنه على أهل المغرب مسقوطا، والقائل بوجوبه عليهم مغلوطا والناهض إليه عاصيا مأزورا والناكب عنه مأجورا والقول من قائله بالوجوب هدرا مهدورا وكتاب الحج في مدارسهم قد اتخذوه مهجورا، وقد أجمعت فضلاء المغرب على يديه حتى حج كل عاجز وقادر عليه ولقد نقلت من كلامه رحمه الله في التاليف المذكور أنه قال: نمت ليلة فرأيت فيما يرى النائم كأنّ ركن البيت [الغربي][3] شرفه الله

---

(1) يدخل ذلك في إطار الهجومات المسيحية التي كانت تعرفها الشواطئ المغربية بين حين وآخر خاصة في فترات ضعف الدولة الموحدية

(2) ط س [السلام] د م [أفضل الصلاة والسلام]

(3) ط س [المغربي] م د [الغربي]

قد سقط فقمت وتحزمت وأخذت في بنائه، فأعانني عليه من الناس أبناء العشرين والثلاثين حتى بنيته. ولقد حدثني الفقيه الفاضل أبو الربيع سليمان بن محمد القيرواني[1] بموضعه من بلد بجاية المحروسة، قال سمعت الفقيه الفاضل المحدث أبا عبد الله الدقاق[2] حين قراءتي عليه يقول: وقد ذكر الشيخ في مجلسه وكيف فتح الله هذا الطريق من المغرب على يديه فقال: رأيت حديثا قد وقع لي غريبا في نوع من هذا وأظنه هذا الرجل والحديث هو أن عائشة رضي الله عنها رأت ليلة فيما يرى النائم، كان ركنا من أركان الكعبة [المشرفة][3] قد سقط قال: فقمت وانا مرعوبة فأخبرت النبي ﷺ بما رأيت فقال ينقطع الحج من بلاد المغرب حتى يقوم فيه رجل صالح يفتح الله ذلك على يديه. قال فقال لنا الفقيه أبو عبد الله إن صح هذا الخبر عن عائشة رضي الله عنها فما أشك أنه هذا الرجل، قلت فإن ذلك كما قاله الفقيه أبو عبد الله. فلقد صح لشيخنا رحمه الله الرتبة العليا، والغاية القصوى التي لم يبلغها غيره من مشايخ المغرب، وكفى من ذلك قوله عليه السلام حتى يقوم فيه رجل صالح. وقد شهد له عليه السلام بالصلاح، وناهيك به فخرا على كل مفتخر. ولقد حدثني بعض الفقراء ممن أدركت حياته وتيقنت [ثقته][4] أن شيخا من العراق كتب به للشيخ رحمه الله، فلما قرأه جعل يمزقه ويقول لا يغتر بمثل هذا إلا جاهل، فما زال يكرر ذلك حتى مزقه كله، فهذا يدل على أن الشيخ إنما كتب له به على وجه الحكاية، منه لذلك ولو صح أنه بعث ذلك على

---

(1) لم اقف له على تجرمة

(2) لعله ابو عبد الله الدقاق الذي وصفه ابن قنفذ بالشيخ الصالح من اكابر الصوفية وهو من شيوخ ابي مدين وكان يتردد كثيرا على فاس وسجلماسة ويفتخر باخذ ابي مدين عنه وكان إماما في الفقه راجع: — بن الزيات: التشوف م س ص: 156 — ابن قنفذ: الانس، م س ص:27. — ابن القاضي: جذوة الاقتباس، م س ج1، ص259.

(3) سقط من ط د.

(4) م [ثقته] ط س د [ثقاته]

وجهه اما مسندا أو مرسلا أو تعين للشيخ رحمه الله أنه حديث صحيح عنه عليه السلام لم يمزقه ولم ينسبه إلى الغرور. وهذا الطريق من جملة ما أنكرته الفقهاء عليه، وبدعوه في ندب الضعفاء إليه والغرض المقصود من هذا الموضع بيان صحة قوله فيما ندب إليه وتخطئة كل من أنكر ذلك عليه. وليس المراد ما ذكرته الفقهاء من تفاصيل أفعال الحج وبيان مناسكه، لأنه مذكور في كتبهم، وقد شرحوا طرقه مع مسالكه. وربما أذكر من أقوالهم ما لا بد للمريدين على سبيل الاختصار تبركا بالفقه وأهله ولو باللمع القصار، ويتم الغرض المقصود من ذلك كله في تمهيد وفنين وخاتمة.

التمهيد: في بيان وما ورد من تحريض شيخنا رحمه الله على الحج، لكل تائب، ولا يعذر فيه بالعجز والفقر الكثير، ولم يزل ذلك سيرة [في من][1] خلفه رحمه الله، من مقدمي تلاميذه. قالوا كان الشيخ رحمه الله متى اخذ التائب بيده يقول له: لا يتم لك المقصود والمراد من العبادة بأخذه وإمكانه ما لم يتم إسلامك بإتمام شروطه وأركانه، قالوا وما علمنا انه قد رخص فيه لتائب. ولقد بلغه عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن كلداس[2] أنه يقول لبعض الحجاج سفركم نحو الحجاج معصية، فبعث الشيخ إليه وقال كيف أبعث الناس إلى بيت الله الحرام لزيارة النبي عليه السلام، فتقطع عليهم الطريق، بفساد عقائدهم، فقد تشبهت بمن قال الله فيه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[3] وقد قيل إنه طريق الحج[4] قال ابن عباس لتنتهين، أو ليفعلن الله بك كذا وكذا. فبعث إليه الفقيه

(1) س [فيمن] ط د م [في من]

(2) كلداس: لعله جلداسن: وورد شرحها عند الأستاذ احمد التوفيق في إحالة 519 من تحقيق التشوف، ص: 224. حيث قال: «جلداسن بجيم مصرية، وهي مركبة من اكليد بمعنى الملك واسن معناها لهم، والاسم يعني كن لهم ملكا، بمعنى التفاؤل للولد بان يكون اميرا في قومه».

(3) الاعراف 16.

(4) عند ابي عباس [دين الاسلام] انظر الفيروزبادي، مصدر سابق، ص:99.

أبو عبد الله وهو يقول: والله ما قطعته عن أحد قد سبقت له من الله الحسنى، وإنما يأتيني بعض من فترت نيته، وهو طالب كيف يتخلف فإذا رأيته كذلك، علمت أنه غير موفق ولا مؤهل لذلك، فأقول له إن لم تكن لك مقدرة وهو في حقك محظور، فلا يكن في صدرك حرج في ما بلغك عني فإني معتقد فيك وفي أصحابك والسلام. ولم تزل جملة من تلاميذه رحمه الله مقيمين ببلاد مصر والشام فمتى ورد من المغاربة أحد وأراد الإقامة بهما قبل ان يحج فإن كان ذلك لعدم أعانوه وتسببوا له .وإن كان لغير ذلك هجروه وزجروه وقطعوه حتى يحج. ولم يزل ذلك دأب كل من قعد بعده للتربية حتى شرع هذا الطريق ببلاد المغرب ولما انقرض النمط الذين رأوه وتخلف من بعدهم خلوف غلب عليهم حب الدنيا، والرياسة مع ما طبعوا عليه من الجهالة، وعدم السياسة ظهرت الفترة في هذا الطريق، الا ما يخرج من بعض المواسم للحجاز من فقراء غير مربين ولا معتقدين. ولقد سمعت والدي ابراهيم بن احمد ابن أبي محمد صالح يقول: عام تسعين لا يبقى في بلاد المغرب من شيوخ التربية أحد، وإنما الصالحون كثير. ولقد سمعت في هذا المعنى شيئا كثيرا، أو سمعته من ناقلين كثيرين، ولم أذكر أحدا منهم لئلا يتكرر القول، ولكن محصول أقوالهم كلها، راجعة إلى معنى واحد. وهو ما ذكرته في هذا التمهيد وبالله التوفيق.

الفن الأول: وفيه أبحاث: المبحث الأول في حكمه فنقول على وجه البيان والتفصيل، وعلى الله قصد السبيل: الحج ركن من أركان الإسلام، وفرض من [فرائض][1] التكليف على جميع الأنام، وقد أجمعت الأمة على انه فرض لازم علي جميع أعيان المؤمنين مستفاد وجوبه من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ

(1) م د [فروض] ط س [فرائض]

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[1]

قال الفقيه الأوحد والإمام المجتهد الشريف السيد أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن[2] رحمة الله عليه: وجه الاستدلال بهذه الآية على أن الحج في غاية التشديد، والتاكيد من عشرة أوجه وليس ذلك في غيره من سائر الفرائض، وقد ذكر ابن أبي زيد في العتبية عن مالك رحمه الله أنه قال الحج كله في كتاب الله تعالى. فأما الصلاة والزكاة فمن مجمله الذي فسره رسول الله ﷺ. فنبه مالك رحمه الله على أن الله تبارك وتعالى اعتنى بالحج في كتابه العزيز أكثر من سائر العبادات وبينه بأبين، ما يقع به البيان في مطلق العبادات.

الوجه الأول: قال الفقيه أبو عبد الله رحمه الله، اللام في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ تقتضي أنه حق واجب لله تعالى وأن على في قوله تعالى: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ تقتضي استعلاء هذا الحق، على رقاب الخلق بحيث لا يخرجون عن عهدته[3] إلا بأدائه.

الوجه الثاني : **الوجه الثاني** : ما دل عليه الجمع بين الطرفين من تأكيد معنى كل واحد منهما بالتصريح في التنبيه عليه، إذ كل واحد منهما كاف. فلو جاء بلفظ وعلى الناس حج البيت كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾[4] لعلم أنه لله تعالى. لكن في التصريح باسمه تعالى تنبيه عظيم على تعظيم هذا الحق بعظمة من هو له كما قال تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[5]. وكذلك لو جاء لله

---

(1) آل عمران 97.

(2) لعله ابو محمد عبد الله الشريف، من علماء القرن السابع الهجري، ترجم له الغبريني، في عنوان الدراية ووصفه بالفقيه، المتعبد، المتزهد، المتكلم، وقال عنه: «كان له باصول الدين معرفة، وله في علم العقائد باع» لكنه لم يدرك تاريخ وفاته ع. راجع» - الغبريني: عنوان الدراية، مصدر سابق، ص: 195.

(3) العهدة: كتاب المخالفة والمبايعة والعهدة التبعة. المعجم الوسيط م س ج 2 640.

(4) البقرة 184.

(5) البقرة 196.

حج البيت لعلم أنه على عباده لكن في التصريح بلفظ على استعلاء لهذا الحق على رقاب الخلق.

الوجه الثالث : تقديم الطرفين على المبدأ وفيه من الاختصاص، والاعتناء بمعناهما ما يوجب توكيده، وتحقيقه والتشديد، فيه وقد علم أن مرتبة المبتدأ الذي هو حج البيت التقديم على خبره، الذي هو لله على الناس وإنما يتقدم الخبر على المبتدأ لهذه الفائدة من الاعتناء والاهتمام.

الوجه الرابع : أن الحج عدل في إيجابه وفرضيته على العبارة الجارية، في العبادات وهي صيغة الأمر قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[2] إلى هذه العبارة البليغة في تحقيق الإيجاب [البعيدة][3] عن التأويل بخلاف صيغة الأمر فقد علم اختلاف الأصوليين فيها وقد جرى الفقهاء على اختلافهم ولم يختلف الناس في مثل هذه العبارة التي هي لفلان على فلان أنه أمر لازم ولا محيض عنه.

الوجه الخامس : قوله تعالى: ﴿حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ الألف واللم في لفظ البيت للعهد لتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[4] فأحيل عليه مع ما اتصل به من الأوصاف الموجبة لقصده لما فيه من البركات والمنافع والآيات ليتأكد القصد إليه والرغبة في القدوم عليه ولو لم تكن هذه العبادة واجبة فكيف مع تأكيد وجوبها.

---

(1) النور 56.

(2) البقرة 159.

(3) سقط من م.

(4) آل عمران 96 و 97.

الوجه السادس : قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ فيه إعراب من ثلاثة أوجه في كل واحد منها من التأكيد ما ليس في الآخر فأحدها ما ذكره سبويه أن يكون بدل بعض من كل من الناس وفيه تأكيدان احدهما ذكره سيبويه انه يراد به التأكيد مثل «أجمعين» في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[1]؛ لأنه ذكر مرتين، ليتكرر على السمع ويتدبر فهمه في الذهن مرتين حتى يتحقق غاية التحقيق وهذه فائدة البدل كله. والتأكيد الثاني إيقاع البدل بعد تمام الكلام واستقلاله لا بإزاء المبدل منه فجاء مجيء الاستدراك للترخيص، والرفق، وأن الأصل إنما هو ما تم به الكلام، قبل مجيء البدل من إيجابه على الناس كافة جملة من غير تفصيل وإنما هي عبادة يجب لها أن يقوم بها كل واحد من الناس على ما سهل أو صعب كالصلاة المفروضة، ولكن جاء بعده الترخيص رفقا بالخلق، فإن قلت لعل موجب تأخير البدل هو ما اتصل به من ضمير يعود على البيت. قلت: [ليس كذلك؛ لأنه ضمير اتصل به مرتبته التأخير فلا يمتنع أن يتقدم كما تقول «في بيته يؤتى الحكم». قلت][2] ويؤيد هذا الذي ذهب إليه الفقيه هنا ما ذكره أبو بكر بن العربي، من تأكيد هذا الإعراب قال رحمه الله: قد استقر في الشريعة أن الله تعالى لا يكلف أحدا، إلا ما استطاع. وما لا يطاق لا يدخل تحت التكليف، شرعا فكانت هذه البدلية بيانا لما قد تقرر أصله في الشريعة تأكيدا له، والإعراب الثاني في أن «من» تكون[3] فاعلة بالمصدر تقديره ولله على الناس أن يحج البيت مستطيعهم، وفيه تأكيد عظيم لوجوب هذه العبادة المكرمة أن جميع الناس مكلفون أن يحج مستطيعهم. فعلى الناس أن يحملوا المستطيع على أن الحج و لا يدعوه يترك الحج وإلا

---

(1) الحجر 30.

(2) سقط من س.

(3) ط س [في من ان تكون] م [في ان من تكون]

عصوا أجمعين، وان سكوت الناس على المستطيع، سكوت على منكر. فهو على هذا على الفور لا يصح التراخي فيه. والإعراب الثالث: في أن «من» يكون شرطا حذف جوابه لما تقدم الدليل عليه. وفيه تأكيد بليغ، إذ يقتضي هذا الإعراب أن المستطيع وغير المستطيع، سواء في إيجاب الحج ثم استؤنف الكلام في المستطيع، بعد إتمام ما قبله ولما اقتضاه هذان الوجهان، من الإعراب من مخالفة الجمهور، في حجم الحج أن الاستطاعة شرطه وان غير المستطيع، لا يلزمه شيء من أمر الحج لا في حق نفسه. ولا في حق غيره. اضرب عنهما سيبويه ولم يذكر في الآية المكرمة سوى البدل.

الوجه السابع : من وجوب تاكيد فريضة الحج قوله تعالى: ﴿ومن كفر﴾ فكان من لم يحجج لم يقم بحق الله تعالى عليه في الحج. وهذه مبالغة عظيمه، حيث أدرج من ترك الحج في جملة من كفر، إدراجا يعطي أن لفظ من كفر لا يخفى، على سامعه أن تارك الحج قد اندرج فيه. قال السدي وجماعة من أهلب العلم: معنى الآية ومن كفر بأن [من][1] وجد ما يحج به ثم لم يحج، ثم قال السدي من كفر بهذه الحال، فهو كافر. وهذه مبالغة عظيمة ولا بد من تأويل التكفير هنا على مذاهب أهل السنة، والمعنى فيه يقتضي تأويلان، فمن تأوله بكفر جحدا، بناه على قوله عليه السلام حين قرأ هذه الآية، وقد سأله رجل من هذيل فقال يا رسول الله من تركه، كفر فقال عليه السلام من تركه لا يخاف عقوبته[2] ومن جحده لا يرجو ثوابه فهو ذلك وبه قال ابن عباس والضحاك وعطاء وعمران القطان والحسن ومجاهد. وقالوا: من زعم ان الحج ليس بفرض، عليه فهو كافر. وقد تأوله بعض الناس على أنه كفر، ومعصية لقوله عليه السلام : «**لا تكونوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب**

(1) سقط من ط س

(2) راجع : الطبري: جامع البيان م س ج4، ص:14.

بعض»[1] قاله السدي وجماعة من أهل العلم، وقالوا معناه من وجد ما يحج به ولم يحج فهو عاص، وعلى كل حال لا بد من تأكيد عظيم، في إيجاب هذه العبادة العظيمة. المعبر عن تركها بالكفر. كيفما تؤول؛ وقد ذكر الترمذي في سننه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : «من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا»[2] وذلك أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز[3] ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[4] وفي هذا الحديث تحقيق لما ذكرنا من التأكيد، الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ومن كفر﴾ فكانه قال ومن لم يقم بحق الله في أداء الحج [فقد كفر][5].

الوجه الثامن : قوله تعالى في جواب الشرط ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وفي هذا الاستغناء دلالة على طرح تارك الحج ونبذه، والسخط عليه ومقته.

الوجه التاسع : قوله تعالى ﴿عن العالمين﴾ ولم يقل عنه فيه وجهان من التأكيد: أحدهما قيد اللفظ الخاص به سخطا عليه أدرج في جملة العالمين، وهو المراد منه لاجمعيهم. الوجه الثاني: أنه أسند الاستغناء إلى جميع العلمين، من أجله فكان الاستغناء عنه في غاية البلاغة، والتأكيد، مثل ما في قولهم: بئس الرجل زيد . وذلك أنه ذم لجميع جنس الرجال من أجل زيد، كما يقال نعم الرجل زيد فهو بلغ

---

(1) عند البخاري: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» انظر فتح الباري كتاب العلم باب الإنصات للعلماء. ج 1 ص217.

(2) الترمذي: راجع الجامع الكبير، كتاب الحج، باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج. ج 3 ص 176.

(3) سقط من ط س

(4) سقط من ط س.

(5) سقط من ط س.

في المدح من كل ما يتلفظ به جرى هذا المجرى ذكر العالمين في هذه الآية الكريمة.

الوجه العاشر : قد يتوهم أن قوله في القاتل ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾[1] أشد وعيدا مما جاء في تارك الحج، وليس كذلك بل ما جاء في تارك الحج. أشد وأفظع مما جاء في قاتل النفس، وبيان ذلك أنه عبر عن مقت تارك الحج، والسخط عليه بصفة من صفاته تعالى التي لم تزل ولا تزول أبد الأبد وهو الاستغناء عن جميع العالمين، فتارك الحج لا يزال في سخط الله، أبدا لا يلطف به الحال، ولا يوفقه في المآل لدوام الصفة التي عبر بها عن مقته والسخط عليه بخلاف قوله تعالى في القاتل «فجزاؤه جهنم» وما ذكر معه [في أنه][2] وعيد لماله في الدار الآخرة، وليس في الآية ما يدفع اليأس من لطف الله تعالى في هدايته إلى التوبة وقبولها كما ليس في الآية ما يوقع به اليأس من لطف الله تعالى] من حين مواقعة المعصية إلى يوم القيامة، وقد يرتفع عنه تعلق الغضب به ويصير إلى حالة الرضا، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[3] وأما صفة الاستغناء عن العالمين، فدائمة لا تتبدل أبدا. ألا ترى أن من قد غضب عليه الملك، واطرحه وأقصاه، حتى اجتنب صنفه كله، من اجله كيف يكون أشد على العبد في العقوبة، من أن يعاقبه في نفسه، بأشد العقوبة، ولا يطرحه مقتاله وسخطا عليه لما يرجوه بعد العقاب، من رجوعه إلى رضاه عنه، وكرامته وإحسانه فلو لم يكن في تأكيد هذه العبادة العظيمة من هذه الآية الكريمة سوى هذا الوجه لكان كافيا في الا تغر نفس مؤمن، بعد فهم هذا حتى يؤدي فريضة الحج، بكل حال، شفقة من أن يتوهم أنه

(1) النساء 93.

(2) د م [في انه] ط س [لانه]

(3) الأنفال 38.

غير مستطيع، فيكون تاركا للحج، فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ولم نزل نرى الناس يمرون، من عندنا ويحجون، ويرجعون ولا يذكرون إلا خيرا فما ظن الواحد منا متى تخلف مع أن حاله كحال الأصحاب الذين حجوا وجاؤوا ألا يخاف أن يكون تاركا لفريضة الحج مع وجوبها، فإن لم يكن محققا لهذا فليكن خائفا من أن يكون كذلك فليبادر ولا يتواني والله تعالى هو المسؤول بفضله وطوله أن ينعم علينا بقطع العلائق ورفع العوائق، والمبادرة إلى مشاهدة البيت الحرام إنه منعم متفضل ذو الجلال والإكرام فتأمل يا أخي رحمك الله هذا القول الجميل من مقالة هذا العالم الجليل، الذي كان قدوة البلاد، وحجة الله تعالى على العباد، حتى يتبين لك من صدق شيخنا رحمه الله لعدم الرخصة فيما [انتهى][2] إليه، وخطأ كل متعسف أنكر ذلك عليه.

البحث الثاني: في فضائله تشوقا فيها يرغب فيه، ويحمل كل عامل على أن يصرف بقية العمر في تلافيه، فمن ذلك ما خرجه النسائي[3] عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ **«تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة»**[4].

(1) آل عمران 97.

(2) ط [انتهى] س د م [انتمى]

(3) ابو عبد الرحمن بن شعيب بن علي النسائي الإمام الحافظ المشهور ولد سنة (214هـ 829م) وقيل (211هـ 830م) بنساء وهي بلدة مشهورة بخراسان، وهو صاحب السنن المعروفة بسنن النسائي طبع عدة طبعات، وتوفي بمكة سنة (303هـ 915م) راجع:

- ابن خلكان: وفيات الأعيان.
- السيوطي: حسن المحاضرة، ج 1.
- ابن العماد: شذرات الذهب، ج.

(4) النسائي: راجع: سنن النسائي كتاب مناسك الحج باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة، ج 5، ص:115.

قال الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن رحمه الله هذا حديث صحيح يقتضي الجمع بين الحج والعمرة وان العبد إذا تابع بينهما سعد في دنياه وأخراه. ففي دنياه بامانه من الفقر وخيرات الدنيا كلها تابعة للغني، وفي آخرته مغفور له جميع الذنوب، لا يسأل عن شيء منها ولا يحاسب به، فكما يطهر أن العبد من دنس الذنوب، كذلك يطهر أنه من الحاجة إلى الناس، بسبب الفقر وقد أسند بقية بن مخلد[1] هذا الحديث عن عمر بن الخطاب، وزاد فيه ويزيدان في العمر والرزق قال الفقيه أبو عبد الله الشريف معنى ذلك أن العبد يبلغ من العمر بحجه وعمرته عمرا، لو لم يحج ويعتمر لم يبلغه ومات دونه، وكذلك يبلغ من سعة الرزق وطيب العيش، مبلغا لو لم يحج ويعتمر لم يبلغه والله أعلم.

وفي الحديث: من مات في أحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين[2] **وقال عليه السلام: «أتت الحجون**[3] **والقيع**[4] **يؤخذ بأطرافهما وينشران في الجنة»**[5] وقال عليه السلام: **«من صبر على حر مكة ساعة من النهار تباعدت عنه جهنم مائة عام وتقربت منه الجنة مسيرة مائة عام»**[6].

ومنها ما أسنده القاضي أبو الحسن ابن صخر في فوائده عن مجاهد عن ابن عمر انه قال جاء رجل من الانصار إلى النبي ﷺ: **«فقال يا**

---

(1) بقية بن مخلد: بقي بن محمد بن يزيد، ابو عبد الرحمن الاندلسي القرطبي الحافظ ولد سنة 201هـ 816م، وكان إماما زاهدا صادقا، قام برحلة إلى الشرق واخذ عن العديد من الاعلام مثل ابي طاهر واحمد بن حنبل وابي بكر بن ابي شيبة ومن اشهر آثاره: التفسير والمسند، وتوفي سنة 276هـ 889م، راجع:
- ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 11، ص 56.
- المقري: نفح الطيب، م س ج 2 ص47.
- الداودي: طبقات المفسرين، م س ج 1، ص 118.

(2) علاء الدين: راجع: كنز العمال، مصدر سابق، ج 2، ص: 392.

(3) ط [الحجوز] س د م [الحجون]. بفتح الحاء، جبل بمكة وقيل مقبرة. الحميري م س 178.

(4) القيع أرض مستوية واسعة، ابن منظور: لسان العرب ج 8 ص 304.

(5) الشوكاني: راجع الفوائد المجموعة مصدر سابق، ص: 113.

(6) علاء الدين: راجع: كنز العمال، مصدر سابق، ج 5، ص 336.

رسول الله كلمات أسألك عنهن فعلمنيها فقال اجلس حتى جاء رجل من ثقيف فقال يا رسول الله كلمات أسألك عنهن فعلمنيها فقال سبق الأنصاري فقال الثقفي يا رسول الله إني رجل غريب وإن للغريب حقا فابدأ [به] فاقبل على الثقفي فقال: إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل عنه وإن شئت سالتني فأخبرتك فقال يا رسول الله لا بل اخبرني عما جئت أسألك عنه قال جئت تسألني عن الركوع والسجود والصلاة والصوم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أخطات مما كان في نفسي شيئا فقال إذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ثم افرج بين أصابعك ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه فإذا سجدت فمكن جبهتك ولا تنقر نقرا وصل أول الليل وآخره قال يا نبي الله فإن أنا وصلت ما بينهما قال فأنت إذا قال وصم من كل شهر ثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر قال فقال الثقفي ثم أقبل الأنصاري فقال إن شئت أخبرتك عما جئت تسألني عن الحاج وماله حين يخرج من بيته وماله حين يقضي آخر الطواف بالبيت فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما أخطأت مما كان في نفسي شيئا، قال له حين يخرج من بيته إلى راحلته لا يخطو خطوة إلا كتب الله له بها حسنة، وحطت عنه بها خطيئة، وإذا وقف بعرفات فإن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا فيقول انظروا إلى عبادي شعثا غبرا أشهدكم أني قد غفرت لهم ذنوبهم، ولو كانت عدد قطر المطر ورمل عالج، وإذا رمى الجمار، فإن أحد ما يدري ماله حتى يؤتي به يوم القيامة، وإذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة. وإذا قضى آخر طوافه بالبيت، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1] هذا حديث صحيح جامع لفضائل الحج، وإن كانت على الجملة لا يحيط بها وصف الواصفين، ولا يحدها حصر العادين، مما يهيج الشوق في

---

(1) المنذري: راجع الترغيب والترهيب، ج 2، ص: 204، 205.

أفئدة القاصدين، ويزعج عن الأهل والأوطان، نفوس الراكدين، ويبين به فضائل الزائرين الوافدين، على العجزة من المتخلفين القاعدين. وذكر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ في فضائل مكة ما تقر به عيون الزائرين، ويشتد به أزر السائرين، فقال: (ما علمت على وجه الأرض بلدة ترفع بها كل حسنة بمائة ألف، إلا مكة ولا بلدة لكل من صلى بها ركعة مائة ألف ركعة إلا مكة. ولا بلدة يتصدق فيها بدرهم فيكتب لصاحبه ألف درهم إلا مكة. ولا بلدة ما مس أحد منها شيئا إلا كان تكفيرا لخطاياه إلا مكة. ولا بلدة إذا دعا احد فيها بدعاء أمنت الملائكة على دعائه إلا مكة. ولا بلدة ينزل فيها كل يوم من روح الجنة وروائحها ما ينزل من مكة ولا بلدة صدر إليها جميع النبيئين والمرسلين إلا مكة ولا بلدة يحشر منها من الأنبياء والأبرار والعلماء والعباد ما يحشر من مكة ولا بلدة يحشر أهلها وهم آمنون يوم القيامة إلا مكة)[1]، وقال وهب بن منبه، مكتوب في التوراة إن الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمائة ألف من الملائكة المقربين بيد كل ملك منهم سلسلة من ذهب إلى البيت الحرام إلى البيت الحرام فيقول اذهبوا إلى الكعبة فزموها بهذه السلاسل، ثم يقودونها وملك ينادي ياكعبة الله سيري فتقول لست بسائرة حتى اعطي سؤلي، فينادي ملك من جو السماء ماسؤلك يا كعبة الله. اسألي فتقول يارب شفعني في جيراني الذين دفنوا حولي من المؤمنين، فيقول الله تعالى قد أعطيتك سؤلك فيحشر موتى مكة من قبورهم بيض الوجوه كلهم محرمون فيجمعون حول الكعبة، يلبون ثم يقال سيري يا كعبة الله فتقول لست بسائرة حتى أعطى سؤلي فينادي ملك من جو السماء اسألي فتقول يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلى من كل فج عميق، شعثا غبرا تركوا الأهل والأولاد والاحباب، وخرجوا شوقا إلي زائرين،

(1) زكرياء بن محمد القزويني: اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، ص: 112.

مسلمين طائعين حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم، فاسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر وتشفعني فيهم وتجمعهم حولي، فينادي الملك أن فيهم من ارتكب الذنوب بعدك وأصر على الكبائر حتى وجبت لهم النار فتقول، إنما أسالك الشفاعة لهل الذنوب العظام فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك فينادي مناد من جو السماء ألا ياكعبة الله سيري فتقول لبيك لبيك والخير في يديك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ثم [يقودونها][1] إلى المحشر فهذه جملة فضائل مذكورة ومشوقات مشهورة.

البحث الثالث: فيما لا بد للمريد منه متى قوى عزمه، وما يجب أن يعتقده متى نهض بالحقيقة، حزمه مما يزيد في نيران أشواقه، ويصرم بسماعه من أوزاره حبل وثاقه والشوق متى قوى في الحال، اشتد العزم حتى يقوى على الارتحال، فيسهل على الراغب مفارقة الأهل والوطن، وبذل المال المضنون به في الإقامة والظعن[2]، ويخاطر بنفسه العزيزة، في اقتحام العظائم، كما كان يخاطر بها عند ارتكاب الجرائم، وأنشدوا:

أَشْتَاقُكُمْ وَيَحُولُ الْعَجزُ دُونَكُمْ ... وَأشْتَكِي مِنْكُمْ بُعْداً وَأعْتَذِرُ[3]
وَأدَّعَى خَطَراً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... وَآيَةُ الشَّوْقِ أَنْ يُسْتَصْغَرَ الْخَطَرُ

ولم لا تذوب النفس صبابة وشوقا إلى بيت قد عظم الله تعالى قدره ورفع في العالمين ذكره، لما اشتمل عليه من الآيات البينات، والبراهين المعلنات والحسنات المتضاعفات، والبركات المتسابقات، والآلاء المختلفات، وغفران السيئات المقترفات، فمن عظيم شأنه وشرف مكانه ان الله تعالى توعد من نوى فيه سيئة أن يؤاخذ بها، وان لم

---

(1) ط س [يصدرونها] د م [يقودونها]

(2) الظعن: سير البادية لنجعة او حضور ماء. او طلب مربع او تحول من ماء إلى ماء او من بلد إلى بلد. ويقال: اظاعن انت ام مقيم؟ لسان العرب م س ج13، ص:271.

(3) من البسيط

يفعلها وليس ذلك في غيره ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] والإرادة هي النية قاله ابن مسعود وجماعة من الصحابة[2] ومن آياته المعظمة – عند كل تقي– الحجر الأسود الذي في الركن الشرقي وقد ورد في مسند النسائي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «الحجر الأسود من الجنة»[3] وزاد الترمذي [نزل من الجنة][4] أشد بيضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم وإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه، ومن أمامه حجر المقام الذي فيه قدم ابراهيم عليه ورسخوهما فيه كما ترسخان في الطين وذلك أن ابراهيم عليه السلام كان يقف عليه عند رفعه لقواعد البيت فلما طال البناء ارتفع به الحج في الهواء ولم يزل كذلك حتى كمل بناء البيت واسماعيل يناوله الطين والحجارة على ما ذكره المفسرون فأبقاه الله تعالى ذلك الحجر آية للعلمين، ومن آياته أن المطر إذا عم جوانبه الأربعة أخصبت آفاق الأرض، في ذلك العام وإن لم يصب جانبا أجدب الأفق الذي يلي ذلك الجانب وقد شوهد ذلك تجربة وعادة قديما وحديثا، ومن آياته زمزم وماؤها نافع، لكل شرب له وفي مسند الدارقطني[5] عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له»[6] إن شربته [تشفى][7] به شفاك الله وإن شربته ليشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظماك،

---

(1) الحج 25.

(2) القرطبي: راجع الجامع لاحكام القرآن سورة الحج، ج 12، ص:36.

(3) النسائي: راجع: سنن النسائي كتاب مناسك الحج باب ذكر الحجر الاسود، ج 3، ص: 226.

(4) سقط من م.

(5) الدارقطني: هو علي بن عمر بن احمد، ابو الحسن الإمام الحافظ المشهور كان عالما فقيها على مذهب الإمام الشافعي، ولد سنة 306هـ 918م، وتوفي سنة 385هـ 995م، ومن آثاره السنن، وكتاب المختلف والمؤتلف ثم طبعها في طبعات مختلفة، راجع: – الخطيب البغدادي: – تاريخ بغداد م س ج 12، ص:34. – ابن خلكان: وفيات الاعيان، م س ج 3، ص/297. – الاسنوي جمال الدين: طبقات الشافعية م س ج 1، ص: 246.

(6) الشوكاني: راجع الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، كتاب الحج، ص 112.

(7) س [تشفى] ط د م [تستشفى]

قطعه الله، وأسند أبو داود الطيالسي[1] عن ابي ذر أن النبي ﷺ قال: «**زمزم مباركة طعام طعم وشفاء سقم**»[2]ومعنى طعام طعم أن شاربه يشبع منه فيذهب بضرورة الجوع والعطش ومن عجائب زمزم أنه يكثر في الموسم ماؤه ويزيد زيادة خارجة عن عادة الآبار، وبركات تلك المواضع لاتحد ولا تحصى، فجدير على طلب أن يظفر بكل جليل أن يبذل كل جسيم ويتوسل بكل جميل فيؤثر على الراحة في طلب العلى كل جد وسير، حتى يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير[3].

تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنا وَمَنْ خطَبَ الْعَلْيَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ[4]

فمما ينبغي لمن وفق لذلك، وتجرد عن الأهل والوطن بحيازة الفضل هنالك، يتوسل في إخلاص العمل بنية صادقة، ويتمسك من القوى بعروة واثقة[5]، فإن من أقبح القبائح، وأفضح الفضائح، أن يقصد المهاجر أو يخفى المجاهر، الوفود على مولى كريم حليم، [عظيم][6] وهو بكل ما تكن الصدور خبير عليم[7]، بباطن وسخ، وظاهر متلطخ، فينبغي له أولا طهارة الباطن من كل خبث ورجس[8]، وطهارة الظاهر من كل لوث نجس، بالتوبة النصوح من جميع المآثم، وتخلص من العوائق

---

(1) ابو داود الطيالسي: هو سلمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الطيالسي، الإمام الحافظ المشهور ولد في البصرة سنة 133هـ 750م، وروى عن سفيان الثوري، وروى عنه احمد بن حنبل، وهو صاحب المسند المعروف باسم مسند الطيالسي طبع اخيرا بدار المعرفة، وتوفي سنة 203هـ 818م.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م س ج 9، ص: 24. - الذهبي: ميزان الاعتدال، م س ج 9، ص: 203. - الزركلي: الاعلام، م س ج 3، ص: 187. - سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج 1، ص: 142.

(2) الشوكاني: راجع: نفس المصدر، ص:112.

(3) اقتباس من الآية 61 من سورة البقرة.

(4) من الطويل

(5) اقتباس من الآية 256 منن سورة البقرة.

(6) زائد من ط

(7) من هود 5، لقمان 23.

(8) الرجس القدر انه الغضب والعقاب قال تعالى: ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ يونس 100 مختار الصحاح 234.

برد المظالم، فكل مظلمة علاقة، وهي عن التماس كل خير عواقه، مع قطع الالتفات إلى ما خلف خلفه من الأسباب والميل والحنين إلى القرابة والأصحاب ويحذر أن يكون بظاهر متوجها نحو الحضرة العلية، وبباطنه متخلفا في الحضرة الدنية، إذا ليس حظ من اتصف بذلك في سفره سوى النصب في أوله، والطرد أخيرا في قوله وفعله، ومما ينبغي له أن يكتب وصيته، ويفعل من ذلك ما يفعل كل من تيقن في سفره منيته، ويتزود من الحلال ويتخلص من المعارف بطلب الاستحلال، ويستحب له أن يقول عند وداع أهله وأصحابه، استودع الله [تعالى][1] دينكم وامانتكم، وخواتم اعمالكم، ويريدون عليه زودك الله في مسيرك البر والتقوى، ومن العمل ما يرضى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيثما توجهت فهذا القدر في هذا الفن كاف لكل طالب مريد، وتذكار ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2].

الفن الثاني: في قطع العلائق المانعة، والعوائق المتمانعة، وفيه بحثان:

البحث الأول: في تفسير الاستطاعة، والوجه المراد منها بالذكر في الطاعة، قال الفقيه القاضي الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى[3] ليست هذه الاستطاعة المصرح بها في أفعال الحج هي مقابلة للعجز، لأن ذلك مشروط في كل تكليف وإنما هذه الاستطاعة

(1) سقط من س م.

(2) ق. 37.

(3) محمد بن يحيى ابو عبد الله الشريف له علم بكتاب سيبويه والفقه والحديث، وكان يميل إلى الاجتهاد إضافة إلى مشاركته في الأصول والمنطق والحساب، تولى قضاء الجماعة بمراكش في فترة، يعقوب بن عبد الحق المريني، وتوفي سنة 682، راجع:
- العبدري: مصدر سابق، ص 78.
- ابن أبي زرع: القرطاس، ص: 298.
- السيوطي: بغية الوعاة، ج 1، ص: 193.
- ابن ابراهيم: الإعلام ج 4، ص: 281.

هي المقابلة للمشقة ومثلها مثل ذكر المريض والمسافر في عبادة الصوم ولهذا لم تنضبط عند أهل العلم بوصف جامع عام في الناس كلهم وإنما هي معتبرة بحال المستطيع في صحته وماله وعادته من غير تحديد ويختلف ذلك بحسب اختلاف أحوال الناس والطريق والمسافة وقال ابن عطية: ذهب بعض العلماء إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[1] انه كلام عام لا يتفسر بالزاد والراحلة ولا في غير ذلك بل إذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه قاله ابن الزبير والضحاك[2]، وفي (العتيبة)[3] من سماع أشهب وفي كتاب محمد سئل مالك رحمه الله عن قوله تعالى ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ أهو الزاد والراحلة فقال لا والله وما ذلك على طاقة الناس سبيلا » أهو الزاد والراحلة؟ فقال: لا والله وما ذلك إلا على طاقة الناس ولا صفة. في هذا أبين مما قال تعالى فقد أشار مالك رحمه الله [تعالى][4] إلى أن الاستطاعة اجتهاد كل مكلف في حق نفسه، إذا علم انها مقابلة للمشقة لا للعجز لأن المشقة تختلف باختلاف أحوال الناس، فرب إنسان يشق عليه المشي وآخر غير متكلف فيه، وكذلك الجوع والعطش، والحر والبرد ولم يجد العلماء سبيلا إلى اشتراط شرط محصل يقف المكلف عنده فإن تحصل علم انه مكلف فاته علم أنه غير مكلف.

البحث الثاني: في تفسير العلائق التي يجب على المكلف الاجتهاد فيها، وفي حق نفسه فيتحقق بها الاستطاعة، او عدمها بالمقاربة على أبناء جنسه وهي أربعة أنواع: البدن والمال والطريق وما تعلق به من أهل وولد صغار وأبوين عاجزين في الانقطاع عنهم وتركهم والرحيل بهم.

---

(1) آل عمران 97.

(2) الطبري: راجع: جامع البيان م س ج 4، ص: 11.

(3) العتيبة: كتاب يضم مسائل في مذهب الإمام مالك، لفقيه الأندلس، محمد ابن احمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي، المتوفى سنة (254هـ 868م).

(4) سقط من د م.

النوع الأول: وهو البدن: فلا يشترط فيه عند مالك سوى القدرة إما ماشيا أو راكبا. فالأعمى متى وجد قائدا أو مركوبا، لزمه النهوض وقد نصت العلماء على أن الرجل متى قدر على المشي والسبب الذي يتعيش به غير متعذر لزمه النهوض، وقد اختلف قول مالك في من يخرج إلى الحج ويسأل بذلك ذاهبا وراجعا. وليست تلك عادة له فروى عنه ابن وهب لا بأس بذلك فقيل فإن مات في الطريق، قال حسابه على الله. وروى عنه ابن القاسم أنه قال لا أرى على الذين لا يجدون ما ينفقون أن يخرجوا إلى الغزو والحج ويسالون لقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾[1].

النوع الثاني: المال نصت العلماء على أنه يلبزم أن يباع فيه كل ما يباع في الدين اللازم مثل المسكن والخادم والدابة، وثياب الجمعة وكتب العلم على القول بجواز بيعها.

النوع الثالث: الطريق وهو موضع النظر، ولا سيما عندنا بالمغرب، لطوله وغوائله[2] ويتحصل بالنظر في أمور أربعة: الأول السفر في البحر، ويجب على من لا يجد طريقا إلا في البحر، ألا يكون غالبه العطب. هكذا نص العلماء أو يكون المكلف يعلم من حاله أنه يميد ميدا يترك الصلاة معه غالبا فمتى سلم من هذين الوجهين لزمه الحج اتفاقا، فمتى وجد المراكب الكبار المعتمدة في بحر المغرب لكثرة العدو فيه ويختار الزمان الذي تركد فيه الأرياح الشديدة. في غالب العادة لزمه الحج ولا مندوحة له في تركه.

الثاني: قطع الطريق قال الفقيه الشريف أبو عبد الله رحمه الله قد يمكن التحفظ من قطاع الطرق بانواع النظر أخبرنا بذلك أصحابنا

(1) التوبة 91.

(2) غوائل الغائلة: وهي الفساد والشر. المعجم الوسيط ج 2، ص 673.

الذين حجوا من بلاد المغرب وذكروا أن الأرض ما بين افريقية، وأرض مصر مقطوعة من كثرة القطاع، والمحاربين فدعت الضرورة في السفر في البحر على مصالحة من العدو والأحوال فيه مأمونة في أوقات غالبها السلامة، فهذا أيضا مأمون فلا مندوحة فيه للمكلف، الثالث: اختلاف الأعراب وقبائل تلك النواحي المذكورة. قال الفقيه الشريف أبو عبد الله رحمه الله: أخبرنا الثقات من أصحابنا الذين حجوا من بلادنا أن عادة الرفاق متى انتهت في تلك البلاد إلى أخذ حي من بعضهم كانت نهبة للناهب، حتى يدخل في حي المخالف له. وقد ينتهبون بينهم وقد لا ينتهبون. قالوا وفي أطراف هذه المواضع المخوفة، زوايا فيها ناس من أهل الدين والصلاح، يعتنون بالناس في جواز تلك المخاوف فيكتبون لهم ويرسلون معهم من يأمنون معهم، هذا حال الرفاق، وأما أهل العلم وأهل الدين والصلاح فلا يتعرض لهم بوجه، ولذلك من آثر البحر فلا يحتاج إلى شيء من ذلك هذا شأن الطريق محققا مشروحا وقد استبان من قولنا انه ليس بمانع لنا، ولا مسقط عنا فرض الحج، الرابع: وظائف الطرقات غير النفقة والأقربة. قال الفقيه الشريف أبو عبد الله رحمه الله نصت العلماء على أن الطريق متى كان ما يتحذر منه ويطلب قدرا من المال، لا يجحف التي سلكها القاضي أبو الوليد الباجي[1] رحمه الله.

---

(1) سلمان بن خلف بن سعيد بن ايوب ابو الوليد الباجي القرطبي ولد سنة 403هـ 1012م بباجة قرب اشبيلية، اخذ عن علماء من مثل يونس بن عبد الله القاضي، ورحل إلى المشرق وحل ببغداد واخذ عن العديد من الاعلام، مثل عبيد الله الازهري، والقاضي ابي الطيب والشيزاري، ورجع إلى الاندلس بعلم جم، وروى عنه ابو بكر الخطيب وابو عمر بن عبد البر والطرطوشي وابن سهل السبتي، وتوفي بالمرية سنة 474هـ 1081م. من آثاره وجلها مطبوعة: كتاب المنتقى في شرح الموطا- كتاب المعاني في شرح الموطا- كتاب السراج في عمل الحجاج- كتاب المقتبس في علم مالك بن انس- المهذب في اختصار المدونة- الجرح والتعديل- سنن الصالحين وسنن العابدين، راجع:
- ابن خلكان: وفيات الاعيان م س ج 2، ص:84.
- ابن كثير: البداية والنهاية، م س ج 12، ص: 408.
- السيوطي: طبقات الحفاظ، ص 439.
- الداودي: طبقات المفسرين، م س ج 1، ص: 208.

وهي طريقة واضحة، وبيانها أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وهو الذي بيده ما يدفع به المانع من غير إجحاف فيه حتى يتأتى له سلوك الطريق بأمان. وسلامة قال هو مستطيع في الحقيقة. لأن الاستطاعة القدرة على المشي، أو الركوب مع عدم المانع فهذا قادر وبيده ما يدفع به المانع من غير إجحاف مستطيع لا محالة فالعوائق على هذا كلها في الحقيقة مرفوعة، والموانع مدفوعة، وليس في جميع ذلك ما يسقط فرض الحج عن أهل المغرب كما انتمي إلى شيخنا رحمه الله فلقد خصه الله تعالى في عصره بالتوفيق والتعليم، ومنحه على صدقه الهدى المستقيم.

النوع الرابع: في بيان مشكلات العوائق التي هي حجة المتخلفين ويزعمون أن فرض الحج ساقط بها عن المكلفين، فمن ذلك ترك الأهل والولد والصغار والأبوين العاجزين وهم على بساط الفقر، والافتقار، ومن العتبية سئل ابن القاسم عن الرجل تكون له القربة ليس له غيرها أيبيعها في حجة الأسلام ويترك ولده لا شيء لهم يعيشون به. قال ذلك عليه، ويترك ولده في الصدقة، قال أبو الوليد الباجي رحمه الله، ابن القاسم: يبيع ضيعته في حجة الإسلام. وذلك أن الله تعالى قد اوجب عليه الحج، فوجب عليه أن يبيع من [فيه] ماله ما يبيعه عليه السلطان في الدين. وأما قوله يترك ولده في الصدقة فمعناه إذا أمن عليهم الضيعة، ولم يخش عليهم الهلاك، إن تركهم لأن الله تعالى أوجب عليهم النفقة كما أوجب عليهم[1] الحج. فهما حقان لله تعالى، تعينا عليه في ماله فإذا ضاق عنهما، ولم يجد إلا أحدهما وجب عليه أن يبدأ بنفقة الولد [لئلا][2] يهلك، لأن حقيقة الهلاك عليهم يسقط

---

(1) ط س [عليه نفقتهم كما اوجب عليه] د [أوجب عليهم نفقتهم على أوجب عليه] م [اوجب عليهم النفقة كما اوجب عليهم]

(2) ط س [ليلا] د م [لعلا].

عنه فرض الحج كما لو خشي الهلاك على نفسه وكذلك نفقة الأبوين على قول من يقول تجب عليه، قلت ما ذكره أبو الوليد الباجي رحمه الله طريق حسن، واعتبار ظاهر لو سلم من المعارضة، وقد يحتج عليه بان يقال، يلزم على هذا القول إن رجلا إذا كان يتعيش على نفسه وولده فآجر نفسه في الخدمة ثم اتى عليه شهر رمضان، وليس له قدرة على الصوم، والخدمة، فإن صام وترك الخدمة ضاعت الأولاد، وهلكوا إذ ليس لهم وجه، يتعيشون به غير أجره، لعجزهم وصغرهم، فوجب أن يسقط عنه فرض الصوم. ولا قائل به بل يؤمر بالصوم، والله تعالى كفيل بهم، برزقهم من حيث لا يحتسبون كما لا يؤمر هذا بإسقاط الفرض عنه لأجل أولاده وعائلته كذلك فريضة الحج، ولا يسقط هذا القول بقول من يقول الحامل والمرضع يؤمران بالفطر في رمضان لأجل الخوف على هلاك الولد. فكذلك يؤمر هذا أيضا لأنا نقول الحمل والرضاع لهما أمد ينقطعان دونه فتقضيان ما أفطرتا إذ ذاك متيقن غير مظنون وأما الفقر فليس له حد معلوم ولا مقطوع به حتى يقال يحوز له التأخير، إلى وقت يقضيه فيه. كالحامل والمرضع قال مكي بن أبي طالب[1] لو حكمنا على الفقراء مع قدرتهم [على المشي][2] وعدم تعذر كسبهم في طريقهم بإسقاط الحج، عنهم لكان حكما بإسقاط الحج، مع الاستطاعة وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ قال وكذلك في شهر رمضان لأهل الحرف والصناعة كالغواصين، في البحر على الصدق وصلاح المراكب، وليس لهم حرفة غير ذلك ولا لولدهم ما ستعيشون

(1) أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ المكي المشهور سكن مكة ثم انتقل إلى بغداد، والتقى بالعديد من اعلام الحديث والتصوف واخذ عنهم، وتوفي في بغداد سنة 386هـ996م من اهم كتبه كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد مطبوع، راجع:
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد م س ج 3 ص89.
- ابن خلكان: وفيات الاعيان م س ج 4، ص: 303.
- سزكين: تاريخ التراث العربي، مرجع سابق، ج2 ص488.

(2) سقط من د م.

به غير أجرهم، فإنهم يؤمرون بالصوم، وترك الغوص، إذ لا يؤمن دخول الماء في أجوافهم. قل ذلك أو كثر والله تعالى يرزق أولادهم قال ولو حكمنا بإسقاط الحج عنهم والصوم حتى يموتوا ولا صاموا لكان قدحا في الوجوب وضدا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فتأمل رحمك الله هذا القول وشدته، وما انطوى عليه من الدليل وقوته، حتى يتحقق لك كيف بني شيخنا رحمه الله ورضي عنه، ونفع به طريقه على واضح الكتاب والسنة. وقلما يوجد من أفعاله فعل ليس له تهلق بأدلة الشريعة. وهذا دليل على قوة علمه وسعته. وإصابة كل من تمسك بطريقه وشرعته فهذا قدر كاف لكل صادق وطالب، ومريد في الخير سابق راغب، وما سوى ذلك من بقية المناسك في كتب الفقهاء مسطورا مشروحا، ولكنه لعدم الراغبين فيه والطالبين مهجورا مطروحا.

تتميم لهذا البحث:

مما لا يستغنى عنه كل مبتدئ مقتد، وتابع مهتد، وهي سبعة آداب: الأول منها المال النقي، والرفيق التقي، فالتزود من الحلال نور القلب، الثاني الإيثار: على الأصدقاء ولين الكلام وخفض الجناح للرفقاء، وفي الحديث عنه ﷺ مما يذهب الشحناء إفشاء السلام، وإطعام الطعام، الثالث: تنزيه الظاهر عن الرفث والفسوق والباطن عن خبث موارد العقوق، الرابع: الاقتصاد في الرواحل، وعدم الضجر والكره في تعب المراحل، وترك الترفه باتخاذ المحامل، والقناعة بما لا بد منه للضرورة تخفيفا عن الراضع والحامل، والتلبس بزي المسكنة فضل للقلب وأجبر، وأفضل سمة الحاج أن يكون [رث الهيئة][1] أشعث أغبر الخامس أن يؤثر في وفوده معانقة الملائكة على مصافحتهم، ويقصد بالمشي طلب الأجر في تخفيفه عن الرواحل وإراحتهم.

---

(1) سقط من د م. اشعث: الاشعث وهو المغبر الراس، مختار الصحاح م س 339.

السادس: طيب النفس بالنفقة فلا يستكثر ما أسفله، ولا يحزن على ما أتلفه، بل يراه طاعة في قصده، وفعله قربة في عقده.

السابع: أن يعتقد في سفره بعد الاستخارة تنزيه الباطن والظاهر عن التلبس بالتجارة، فهو أجمع للخاطر في غالب العادة، وأعظم أجرا للمتفرغ للعبادة، ويحمله عليه خوف المنية في ذلك السفر، فلا ينتفع بفضل ذلك المتجر، لأن المسافر غالبا على قلة [نادرا][1] والعاقل في طلب الراحة لا يزال [إلا][2] مسارعا مبادرا، فيكون وفوده على مولاه وفود، عبد فقير مسكين ذليل، على مولى كريم عظيم جليل، معتقدا تنزيه عن أن يحويه بيت أو مكان أو يكتنفه وقت أو زمان، فهذه تجارة لن تبور، وبضاعة لن تحور.

إذَا كُنْتَ فِي أَرْبَــاحِ تجرِكَ رَاغِباً ... فَدُونَكَ رِبْحَ الدينِ يَاتَاجِرَ الدُّنْيَا[4]
فَدُنْيَاكَ تَفْنَي عَنْ قَرِيبٍ فَلاَ تَكُنْ ... بِتَـرْكِكَ لِلأَثْبَاتِ تَلْتَمِسُ الْبُقْيَا
وَعَــامِلْ إِلَـهاً إنْ وَقَــفْـتَ بِبَابِه ... أَفَــادَكَ عِـزّاً فِي الْمَـمَاتِ وفِـي الْمَحَيَا
فَإِنْ قِـيلَ أَيْنَ السَّـابِقُونَ إِلَى الْعُلاَ ... فَكُـنْ أَنْتَ أَوْلاَهُـمْ وَأَوَّلُهُمْ جَرْيَا
فَـمَنْ كَــانَ مُعِيناً بِـإِرْقَاءِ نَفْسِه ... مِنَ الْحُفْرَةِ السُّفْلَى إِلَى القِـمَّةِ الْعُلْيَا
فَـذَلِـكَ لاَ يُثْنِيهِ عَـمَّا يَقُــودُهُ ... إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَا

واعلم أن هذا السفر مركب على سفر الآخرة، ومشعر بالتردد في الحافرة فينبغي أن يعتبر المسافر في فصوله، ويذكر أنواعه من وقت برزه إلى وصوله، فيتذكر عند وداعه لقرابته، وأهل بيته وداعهم له عند منيته وعند مفارقة أوطانه الخروج عن الدنيا وعن ملكه وسلطانه، وعند ركوب الراحلة لولوج مفازة[4] القبر بركوب الجنازة، ومن قطاع

(1) س [ندرا] ط د م [نادرا]
(2) زائد في س د م
(3) من البسيط
(4) المفازة من الفوز: النجاة والظفر بالخير وهو الهلاك ايضا قال تعالى: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من

الطريق في التعريس والتبكير، سؤال منكر ونكير، ومن سباع البراري وسوامها[1]، ديدان القبور وهوامها[2]، ومن مرارة البين[3] وحدته، ووحشة القبر ووحدته ومن التلبية في جملة المساعي، إجابته في المحشر دعوة الداعي، ومن لباس ثوب الإحرام في الميقات، لبس الكفن عند حلول الممات، فهذه أعمال قد حوت فوائد إذا تحققت لها في العزيمة مقاصد، وينبغي مع هذا الفعل كله لزوم الخوف والحذر، والتضرع إلى الله تعالى عند الورود والصدر، إذ لا يدري أيقبل ذلك منه فيكون من خواص الوافدين، أم يرد عليه فيلتحق بجملة المطرودين، وقد تبين له في أحوله الخطأ من الصواب، إذا وزن أفعاله بميزان السنة، والكتاب فإن رزق بعد حجة عقدا وافيا، وعن دار الغرور بعدا وتجافيا[4] ومنافسة في مزاحمة الأبرار حتى أنه لا تقع منه حركة من جميع حركاته ولا سكنة من جميع سكناته إلا وهو عالم ان الله تعالى يسأله عن جميع ذلك، ومثيبه أو معاقبه هنالك، فليحمد الله تعالى من وجد ذلك على توفيقه وهدايته [ويرجو] الله تعالى قبول حجة وزيارته، ويتضرع إليه على الثبات، في ذلك إلى حلول الممات، فهذا القدر فيه مقصد وكفاية لكل عاقل، وتعليم لكل جاهل، والله هو المستعان سبحانه.

مَا الْحَجُّ سِيَرُكَ تَاوِيبًا وَإِدْلاَجَا	وَلاَ اغْتِبَاطُكَ إِجْمَالاً وَأَحْوَاجَا[1]
الْحَجُّ أَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ عَلَى	تَجْرِيدِكِ الْحَجَّ لاَ تَقْصِدْ بِهِ حَاجَا
وَتَقْتَضِي كَامِلَ الإِنْصَافِ مُتَّخِذًا	دِرْعَ الْهُدَى هَادِياً وَالْحَقَّ مِنْهَاجَا
وَإِنْ تُرَاسِي مَتَى أُوتِيتَ مَقْدُرَة	كَفَا أُمِدَّتْ إِلَى جَدْوَاكَ مُحْتَاجَا

للعذاب﴾ آل عمران 188 مختار الصحاح 524.

(1) سوامها: سام سوما: ذهب على وجهه حيث شاء. المعجم الوسيط 468.

(2) هوامها: هوم الرجل تهويما إذا هز راسه من النعاس. مختار الصحاح 702.

(3) البين: الفراق. مختار الصحاح 72.

(4) بياض في كل الاصول المعتمدة.

فَهَذِهِ انْ حَوَتْهَا حُجَّةٌ كَمُلَتْ ... وَإنْ خَلاَ الْحَجُّ مِنْهَا كَانَ اخْدَاجَا

وَأنَّهُمْ حُرِمُوا اجْراً وَمَحْمَدَةً ... وَالْحَمُو عِرْضَهُمْ مِنْ عَابَ اوْهَاجَا

اخِي فابْغِ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرَبٍ ... وَجْهِ الْمُهَيْمِنِ ولأَجَا وَخَرَاجَا

فَلَيْسَ تَخْفَي عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ ... إنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ اوْدَاجَا

وَبَادِرِ الْمَوْتَ بِالْحُسْنَى تُقَدِّمُهَا ... فَمَا يُنَهْنِهُهُ دَاعِي الْمَوْتِ إنْ فَاجَا

وَأَقِرَّ التَّوَاضُعَ خُلْقاً لاَ تُزَايِلُهُ ... عَنْكَ اللَّيَالِي وَلَوْ الْبَسْنَكَ التَّاجَا

وَلاَ تَشِمْ كُلَّ حَالٍ لأَحٍ بَارِقُهُ ... وَلَوْ تَرَاهُ هَتُونَ السُّحْبِ ثَجَّاجَا

مَا كُلُّ دَاعٍ بِأَهْلٍ انْ يُصَاخَ لَهُ ... كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعْيِ بَعْضَ مَنْ نَاجَا

وَمَا اللَّبِيبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِعاً ... ببلغة تُدْرِجُ الأَيَّامَ إدْرَاجَا

فَكُلُّ كُثْرٍ إلَى قُلٍّ مَغَبَّتُهُ ... وَكُلُّ نَارٍ إلَى لِينٍ [وَإنْ هَاجَا](2)

---

(1) من البسيط

(2) ط س [بياض] د م [مانهاجا] ولعل الصواب وإن هاجا.

الخاتمة

في ذكر زيارته عليه [الصلاة] والسلام وهي مما كان شيخنا الولي الصالح سيدي أبو محمد صالح رحمه الله يحرص عليها، ويندب كل تائب متى تاب إليها، وهذه منقبة من أفضل الأعمال، وأجل الأفعال، إذ هي خاتمة لأعمال الحج، ومتممة لوظائف العج والثج[1] قال رسول الله ﷺ: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»[2] وقال عليه الصلاة والسلام: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[3] وقال ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»[4] فينبغي للزائر متى توجه إلى المدينة شرفها الله تعالى، أن يكثر في طريقه من الصلاة على النبي ﷺ، حتى إذا وقع بصره على جدران المدينة، وأشجارها كبر ثلاثا ثم يقول: اللهم إن هذا حرم رسولك ونبيك المختار، فاجعله لي بفضلك وقاية من النار، وأمانا من العذاب وسوء الحساب يا عزيز يا جبار، اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وارزقني في زيارة نبيك ما رزقته أهل طاعتك، واغفر لي وارحمني واهدني وارزقني[5]. ثم يأخذ في الغسل ويتطيب ويلبس أفخر ثيابه ثم يقصد[6] ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ

---

(1) العج: رفع الصوت. الثج: ثج الماء والدم سيله والثج سيلان دماء الهدي. مختار الصحاح، 82–413.

(2) الشوكاني: راجع مصدر سابق، كتاب الحج، ص:118.

(3) احمد بن حنبل: راجع مسند احمد بن حنبل مصدر سابق، ج 4، ص: 182.

(4) ابو النعيم: راجع حلية الأولياء، م س ج 9، ص: 324.

(5) بياض في كل الاصول المعتمدة.

(6) بياض في كل الاصول المعتمدة.

مُلطَاناً نَصِيراً ﴾[1] ثم يقصد المنبر المكرم ويصلي ركعتين بحذائه بحيث يجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد المكرم بين عينيه، وتكون الروضة المعظمة على يساره فذلك هو موقف رسول الله ﷺ، قبل أن يغير المسجد فإذا سلم من صلاته عن يمينه رد وجهه إلى يساره نحو الروضة المكرمة فيقول السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله ثم يأتي الروضة الشريفة المباركة[2] ويدخل من باب السلام ويقف وهو مستقبل جدار القبر من وراء الصندوق من حيث أن يكون القنديل فوق رأسه رواه ابن أبي[3] عن عمر[4] بن حفص قال سمعت ابن أبي مليكة[5] يقول من أحب أن يقف تجاه النبي ﷺإذا وقف في الروضة المكرمة فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر فوق رأسه ولا يمس الجدار بيده فليس ذلك من سنة أهل العلم ويكون في وقوفه خائفا راجيا، شائقا تائقا، بأدب وخشوع، وتذلل وخضوع منكسا رأسه، خافضا صوته، فهو أصل في أدب المناجاة مع العظماء وسيرة قد نصت على استعمالها القدماء.

فَيَا وَافِـدَاهَـا رَوْضَـةً قُـدْسِـيَةً ... حَنِينِي إِلَيْهَا وَاشْتِيَاقِي لَهَا قَصَّا[6]
وَغَـضٌّ لَدَيْهَا الصَّوْتَ لاَ تَجْهَرْ بِهِ ... كَمَا قَدْ سَمِعْنَا اللهَ فِي وَحْيِهِ نَصَّاَ

(1) الإسراء 80.
(2) ط د م [الشريفة المباركة] س [المباركة الشريفة]
(3) بياض في كل الأصول المعتمدة.
(4) عمر بن حفص بن غياث بن طلق بن معاوية الكوفي، محدث ثقة، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، توفي سنة 222هـ راجع:
– العجلي: تاريخ الثقات، مصدر سابق، ص356.
– ابن حجر: تهذيب التهذيب، م س ج7، ص: 435.
(5) هو اسحاق بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي، روى
(6) من الطويل.

ثم يقول السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا أمين الله، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، السلام عليك[1] وعلى أصحابك الطيبين، السلام عليك وعلى أزواجك أمهات المؤمنين جزاك الله تعالى عنا يا رسول الله أفضل ما جوزي نبي عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وكلما غفل عن ذكرك الغافلون، وصلى الله عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة، وبصر من العماية والجهالة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، اللهم آته نهاية ما ينبغي أن يسأله له السائلون، وخصه بالمقام المحمود والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة يا رب العالمين، ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله، السلام عليك يا حبيب رسول الله، رضي الله عنك وأرضاك، ونفعنا بمحبتك[2] بالحكمة والصواب، السلام عليك يا من شد الله تعالى به أزر الإسلام، رضي الله عنك يا من رضي خلافته جميع الأنام، وأرضاك ونفعنا بمحبتك وزيارتك وجزاكما[3] الله تعالى خيرا، يا وزيري رسول الله ﷺ لقد قمتما بعده في أمته بأمور الدين، واتبعتما أثره، ونشرتما سنته في العالمين، فجزاكما الله تعالى أفضل ما جوزي به وزراء نبي على القيام بدينه، والمبالغة في النصيحة لأمته، وحملهم على جادة ملته، ثم يستقبل القبلة بين القبر المكرم والأسطوانة

---

(1) سقط من س.

(2) بياض في كل الأصول المعتمدة.

(3) لعله يقصد أبا بكر وعمر.

فيحمد الله تعالى ويكبر ويصلي على النبي ﷺ ثم يقول اللهم إنك قلت قولك الحق ووعدك الصدق [1] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2] اللهم انا سمعنا قولك، واطعنا أمرك، وقصدنا [باب][3] نبيك ورسولك ﷺ [متشفعين][4] به إليك من أوزارنا، وعيوبنا تائبين من زللها [معترفين بخطايانا وزلتنا][5] فتب يا رب علينا، وشفع نبيك الكريم فينا. وتجاوز عنا بحق منزلته عندك وحقه عليك، إنك جواد كريم رؤوف رحيم، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار الذين سبقونا بالإيمان وارض عنهم وأرضهم وانفعنا بمحبتهم وزيارتهم أجمعين، واغفر لنا ولوالدينا وكافة المسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين وأنشدوا:

سَقَى طَيْبَةً صَوْبُ الْغَمَامِ فَرَوَّاهَا ... فَمَا تَنْعَمُ الْأَرْوَاحُ إِلاَّ بِذِكْرَاهَا[6]
وَأَهْدَى حَيَاةً لِلنُّفُوسِ نَسِيمُهَا ... فَاطْيَب مِنْ أَنْفَاسِ دَارِينَ رَبَّاهَا
إِلاَّ أَنَّهَا مَغْنَى الرِّسَالَةِ وَالْهُدَى ... وَمَطْمَحُ آمَالِ الْأَنَامِ وَمَرْمَاهَا
تَخَيَّرَ مِنْهَا اللهُ اشْرَفَ بُقْعَةٍ ... فَآثَرَهَا بِالْهَاشِمِيِّ وَحَبَاهَا
فَاعْلاَهُمْ قَدْراً وَاسْطَعُهُمْ [سَنَى][7] ... وَأَنْفَسِهِمْ نَفْساً وَأَعْظَمِهِمْ جَاهَا
فَكَانَ إِلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ مُهَاجِراً ... وَطَابَ بِهِ بَعْدَ الْمَنِيَّةِ مَثْوَاهَا
تَبَوَّأَهَا حَيًّا وَمَيْتاً وَلَمْ يَزَلْ ... يُحِبُّ مَعَانِيهَا الكِرَام وَيَهْوَاهَا
وَقَدْ شُهِرَتْ بَيْنَ الْبِقَاعِ بِفَضْلِهَا ... كَمَا شُهِرَتْ بَيْنَ النُّجُومِ ثُرَيَّاهَا
فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُعِينُ عَلَى النَّوَى ... فَلاَةٌ وَبَحْرٌ سُفُنُهَا وَمَطَايَاهَا

(1) بياض في كل الاصول المعتمدة.
(2) النساء 64.
(3) سقط من ط.
(4) ط س [متشفعين] د م [مستشفعين]
(5) سقط من م.
(6) من الطويل
(7) ط س [سناء]م د [سنى].

فَالْقَى عَصَا التّسْيَارِ فِي أرْضٍ طَيِّبَةٍ لَيَبْتَهِجَ نَفْسُ نُجْحِهَا قَبْلَ مَسْعَاهَا
أُمَرِّغُ خَدِّي فِي ثَرَى عَرَصَاتِهَا وَأَسْكُبُ فِيهَا مِنْ دُمُوعِي أَمْوَاهَا[1]
صَلاةٌ وَتَسْلِيمٌ وَرُوحٌ وَرَاحَةٌ عَلَيْهَا وَحيَّا اللهُ مَن حَلَّ مَغْنَاهَا
وَحَقٌّ لِمِثْلِي أَنْ يَقُولَ لِمِثْلِهَا سَقَى دَارَهَا دَرُّ الْغَمَامِ فَرَوَّاهَا

قال العبد المعترف بذنبه الراجي عفو ربه، احمد بن ابراهيم بن أحمد ابن أبي محمد صالح بن ينصارن الماجري المغربي غفر الله تعالى له، ذنوبه وستر عليه في الدارين عيوبه، هذا مما قد سمحت به العزيمة في جواز وقوع الكرامات، وإثبات الولاية بصدق العلامات، موضحا بدلائل المنقول، معضودا بشواهد المعقول، مما يتبين به عند الامتحان الغث من السمين، ويبين به في مضمار التناصف الزائف عن الثمين، مع ما أوردناه في ذلك من كرامات شيخنا رحمه الله وفضله، وما شرحناه في طريقه المشهور، من قوله أو فعله، على أني جمعت من ذلك ما يباري الشمس، ظهورا، ويشاكل القطر وفورا، على أن في الاختصار وحي ايعاض، أو زهرة من رياض، أو نقطة من تلاطم بحر فياض، وسلكت في ذلك من حق الإخوان، أنهج المسالك، وأوضحت فيه كل ما خشيت، أن يخفى غموضه عن المريد السالك، من كل ما غمضت عنه في عصرنا، جفون الأحداق وانسدل عليه بالجهالة حجاب الأوراق، وقد توسطت فيه، بين الاختصار المنزه عن الخلل، وبين الإكثار المستدعي للملل، تحسينا للإيراد، وتحصينا للقصد والمراد، فلم نبق في ذلك للمتعسفين نزاعا، ولا لبطلان قولهم، بحكمنا انتزاعا، ولقد كان البعض من أولاد شيخنا رحمه الله، ونفع به وبهم أولى بهذا الشان مني لفضلهم وعلمهم وعلو سناهم من نسائي ومني ولقد ظهر في من بقي من خلفهم من بركات سلفهم ما أعمى الحسد عنه ابصار المشاهدين، وحجب الجميل عنه

(1) ماهت البئر: كثر ماؤها، المعجم الوسيط، ج 2 901.

بصائر الجاحدين، فلا جرم أن اليواقيت تكسر في بعض المواقيت، حتى يهون الدر النفيس النافد، إذا بار السوق الخسيس الكاسد، قال الفضل ابن سهل[1] لا تكسد بضاعة رئيس إلا في أخبث مكان وشر زمان، فلكل زمان رجال، ولكل مقام ارتجال، فلهم الحجة البالغة إذ لم يروا في زمانهم مستحقا بمنائحهم، ولا مستر شدا ظمآنا لاستمطار قرائحهم، فكتموه كما كتمت الأصداف الجواهر، وأخفوه كما أخفت الحكماء لمنافسها خواص المزاهر، على أن مقتني الدر وهو حجر يصونه أجود ما يصان، ليودعه عند استحقاقه أفضل مصان، فلا غرو ان ناظرهم في ذلك النظر كل مظاهر للدين موازر[2]، لما ألفوا من تعليق الدر في أعناق الخنازر، وقد نبت عنهم في ذلك وإن كان الفضل بيننا غير متقارن ولا متقابل، كما ناب الطل في ري الظمآن عن الوابل، ولولا الملامة في الإطالة المتولدة عن الغفلة والبطالة لأبرزت [من نفيس][3] ما أخفيته عن البروز ما يروى به كل ظمآن، وينتقع غلة كل جروز[4].

هُوَ الحَبُّ لاَ اخْرِجُهُ إلاَّ لِوَقْتِهِ[5] وَمِثْلِي لِأَنْفَاسِ الْعَلاَئِقِ خَابِئ[6]

(1) ابو العباس الفضل بن سهل كان من اول ملوك المجوس ولد سنة 160هـ 776م، اسلم على يد المامون سنة 190هـ 805م، وكان يلقب بذي الرئاستين لتدبيره امر السيف والقلم في خلافة المامون العباسي وبذلك اصبح يستبد بالامور دون الخليفة، وكاد يفسد عليه اموره، فامر المامون بحبسه، لما شعر بخطر سياسته فبقي في سجنه حتى قتل سنة 202هـ 817م، راجع:
- الطبري: تاريخ الرسل والملوك في عدة اماكن، من ج 8.
- المسعودي : مروج الذهب، م س ج 4، ص: 3395.
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، م س ج 12، ص:

(2) موازر: من الوزير لانه يحمل عنه ثقله. ابن منظور لسان العرب م س ج5ص:283.

(3) سقط من ط.

(4) جرز جرزا: اكل اكلا سريعا. وجزر الشيء: قطعه واستاصله. المعجم الوسيط ج1، ص117.

(5) من الطويل

(6) من اختبا: استتر وخبء الارض النبات. مختار الصحاح م س 167.

ولقد اعتمدت في هذا التصنيف عن الاخماط[1] دون الاختباط، المثمر للرغبة والانتشاط، واقتصرت على وضع ما اشتهر بالانتشار قصدا للحفظ والاحتياط، المنتجين للمحبة والاغتباط، ثم ختمت هذا الكتاب بقصيدتين في مدح النبي المصطفى المختار، إذهما من ديوان الشعر عند أهل اللغة، من أنفس ما يختار، الأولى معروفة بذخر المعاد على وزن بانت سعاد والثانية مشهورة كأحجار المغناطيسية، باسمها المعروف بالشقراطيسية متوسلا بهما بالممدوح[2].

الذنوب بحل الوثاق ولا يجعل ما أوردناه في كتابنا متضمنا لعتابنا ولا ما في حجبنا من اعتقابنا سببا لعقابنا ولا يجعل ذلك كله استدراجا بنا إلى الأخذ بذنوبنا وإن يتجاوز بعفوه الكريم عن عبده اللئيم في كل ما أخطاه اجتهاده، أو قصده اعتماده، إنه على ذلك قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير [القصيدة الأولى][3].

سمعت الوالد المرحوم ابراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح رحمه الله قال أنشدني شرف الدين محمد بن محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري رحمه الله لنفسه سنة اثنتين وسبعين وستمائة بلفظه في جامع الظاهر بالحسينية حكرا من احكارا القاهرة المحروسة :

إِلَى مَتَـى أَنْـتَ بِاللذَّاتِ مَشْـغُولُ ... وَأَنْـتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولُ[4]

فِـي كُلِّ يَوْمٍ تُرَجِّـى انْ تَتُوبَ غَداً ... وَعَقْدُ عَـزْمِكَ بِالتَّسْوِيفِ مَحْلُولُ

---

(1) الاخماط: ج خمط وهو ضرب من الاراك له حمل يؤكل. قال تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾ سبأ 16. ابن منظور : لسان العرب ج 7، ص 296.

(2) بياض في كل الفصول

(3) سقط من م

(4) وقد نشرت ضمن قصائده في الديوان وتسمى ذخر الميعاد في معارضة بانت سعاد في مدح النبي ﷺ، ونسجل شروح مفرداتها اللغوية كما وردت عند كامل كيلاني في الديوان المحقق، راجع ديوان البوصيري: تحقيق كامل كيلاني، مصدر سابق، ابتداء من ص:171.

أَمَا يَرَى لَكَ فِيمَا مَرَّ مِنْ عَمَلٍ ... يَوْماً نَشَاطٌ وَعَمَّا سَاءَ تَكْسِيلُ

فَجَرِّدِ العَزْمَ إِنَّ المَوْتَ صَارِمُهُ ... مُجَرَّدٌ بِيَدِ الآمَالِ مَسْلُولُ

أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي مَالٍ تُحَصِّلُهُ ... وَمَا عَلَى غَيْرِ إِثْمٍ مِنْكَ تَحْصِيلُ

وَرُحْتَ تُعَمِّرُ دَاراً لاَ بَقَاءَ لَهَا ... وَأَنْتَ عَنْهَا وَإِنْ عُمِّرْتَ مَنْقُولُ

جَاءَ النَّذِيرُ فَشَمِّرْ لِلْمَسِيرِ بِلاَ ... مَهْلٍ فَلَيْسَ مَعَ الإِنْذَارِ تَمْهِيلُ

وَصُنْ مَشِيبَكَ عَنْ فِعْلٍ تُشَانُ بِهِ ... فَكُلُّ ذِي صَبْوَةٍ بِالشَّيْبِ مَعْذُولُ

لاَ تُنْكِرَنَّهُ وَفِي الفَوْدَيْنِ قَدْ طَلَعَتْ ... مِنْهُ الثُّرَيَّا وَفَوْقَ الرَّأْسِ إِكْلِيلُ

[فَإِنَّ أَرْوَاحَنَا مِثْلَ النُّجُومِ لَهَا ... مِنَ المَنِيَّةِ تَسْيِيرٌ وَتَرْحِيلُ](1)

وَإِنْ طَالِعَهَا مِنَّا وَغَارِبَهَا ... جِيلٌ يَمُرُّ وَيَأْتِي بَعْدَهُ جِيلُ

حَتَّى إِذَا بَعَثَ اللهُ العِبَادَ إِلَى ... يَوْمٍ بِهِ الحُكْمُ بَيْنَ الخَلْقِ مَفْصُولُ

تَبَيَّنَ الرِّبْحُ وَالخُسْرَانُ فِي أُمَمٍ ... تَخَالَفَتْ بَيْنَنَا مِنْهَا الأَقَاوِيلُ

فَأَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ ... فِي طَيِّهَا لِنُشُورِ الخَلْقِ تَعْطِيلُ

وَأُمَّةٌ تَعْبُدُ الأَوْثَانَ قَدْ نُصِبَتْ ... لَهَا التَّصَاوِيرُ يَوْماً وَالتَّمَاثِيلُ

وَأُمَّةٌ ذَهَبَتْ لِلْعِجْلِ عَابِدَةً ... فَنَالَهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعْجِيلُ

وَأُمَّةٌ زَعَمَتْ أَنَّ المَسِيحَ لَهَا ... رَبٌّ غَدَا وَهُوَ مَصْلُوبٌ وَمَقْتُولُ

فَثَلَّثَتْ وَاحِداً فَرْداً نُوَحِّدُهُ ... وَلِلْبَصَائِرِ كَالأَبْصَارِ تَخْبِيلُ

تَبَارَكَ اللهُ عَمَّا قَالَ جَاحِدُهُ ... وَجَاحِدُ الحَقِّ عِنْدَ النَّصْرِ مَخْذُولُ

وَالفَوْزَ حَيْثُ تُرَى فِي أَوْجُهٍ غُرَرٌ ... يُرِينُهَا مِنْ سَنَى الإِسْلاَمِ تَحْجِيلُ(2)

وَحَيْثُ يُعْلِنُ فِي الخَمْسِ الَّتِي افْتُرِضَتْ ... لِخَالِقِ الخَلْقِ تَكْبِيرٌ وَتَهْلِيلُ

[وَحَيْثُ يُتْلَى كِتَابُ اللهِ لَيْسَ لَهُ ... كَسَائِرِ الكُتُبِ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلُ](3)

[تَظَلُّ تَتْلُو كِتَابَ اللهِ لَيْسَ بِهِ ... كَسَائِرِ الكُتُبِ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلُ](4)

---

(1) سقط من د م.

(2) هناك تغيير بعض مفردات هذا البيت في الديوان المحقق. والغرة: بياض في الوجه، والتحجيل: بياض في القوائم

(3) لم يرد في الديوان المحقق.

(4) زائد في الديوان المحقق.

فَالْكُتُبُ وَالرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ الإِلَه أَتَتْ
وَمِنْهُمْ فَاضِلٌ حَقّاً وَمَفْضُولُ

وَالْمُصْطَفَى خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمْ
لَهُ عَلَى الرُّسْلِ تَرْجِيحٌ وَتَفْضِيلُ

مُحَمَّدٌ حُجَّةُ اللهِ الَّتِي ظَهَرَتْ
بِسُنَّةٍ مَالَهَا فِي الْخَلْقِ تَحْوِيلُ

نَجْلُ الأَكَارِمِ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ
عَلَى جَمِيعِ الأَنَامِ الطَّوْلُ[1] وَالطُّولُ

مَنْ كَمَّلَ اللهُ مَعْنَاهُ وَصُورَتَهُ
فَلَمْ يَفُتْهُ عَلَى الْحَالَيْنِ تَكْمِيلُ

وَخَصَّهُ بِوَقَارٍ قَرَّ مِنْهُ لَهُ
فِي أَنْفُسِ الْخَلْقِ تَعْظِيمٌ وَتَبْجِيلُ

بَادِي السَّكِينَةِ فِي سُخْطٍ لَهُ وَرِضاً
فَلَمْ يَزَلْ وَهْوَ مَوْهُوبٌ وَمَأْمُولُ

يُقَابِلُ الْبِشْرَ مِنْهُ بِالنَّدَى خُلُقٌ
زَاكٍ عَلَى الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ مَجْبُولُ

مِنْ آدَمَ وَلِحِينِ الْوَضْعِ جَوْهَرَهُ الْـ
مَكْنُونِ فِي أَنْفُسِ الأَصْدَافِ مَحْمُولُ

فَلِلنُّبُوَّةِ إِتْمَامٌ وَمُبْتَدَأٌ
بِهِ وَلِلْفَخْرِ تَعْجِيلٌ وَتَأْجِيلُ

أَتَتْ إِلَى النَّاسِ مِنْ آيَاتِهِ جُمَلٌ
أَعْيَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْهُنَّ التَّفَاصِيلُ

أَنْبَا سَطِيحٌ وَشِقٌّ وَابْنُ ذِي يَزَنٍ[2]
عَنْهُ وَقُسٌّ وَأَخْبَارٌ مَقَاوِيلُ

وَعَنْهُ أَنْبَا مُوسَى وَالْمَسِيحُ وَقَدْ
أَضْفَتْ حَوَارِيُّهُ الْغُرُّ الْبَهَالِيلُ[3]

بِأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسْلِ الْمُبَاحُ لَهُ
مِنَ الْغَنَائِمِ تَقْسِيمٌ وَتَنْفِيلُ[4]

وَلَيْسَ أَعْدَلَ مِنْهُ الشَّاهِدُونَ لَهُ
وَلاَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ إِنْ هُمُ سِيلُوا

وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ فَلاَ حَرَجٌ
إِنَّ الْمَحَكَّ عَنِ الدِّينَارِ مَسْئُولُ

كَمْ آيَةٍ ظَهَرَتْ فِي حِينِ مَوْلِدِهِ
بِهِ الْبَشَائِرُ مِنْهَا وَالتَّهَاوِيلُ[5]

عُلُومُ غَيْبٍ فَلاَ الأَرْصَادُ حَاكِمَةٌ
وَلاَ التَّقَاوِيمُ فِيهَا وَالتَّحَاوِيلُ[6]

---

(1) الطول: المن والفضل.

(2) سطيح وشق: كاهنان، وسيف بن ذي يزن، أحد ملوك اليمن، وقس بن ساعدة: الخطيب المشهور والمقاويل: جمع مقوال: وهو الفصيح القول.

(3) الحواري: الناصر، والغرر: السادات، والبهاليل: جمع بهلول: وهو السيد

(4) التنفيل: إعطاء من الغنيمة.

(5) التهاويل من الهول والتهاويل أيضا: زينة النقوش والألوان المختلفة، ففي هذه الكلمة تورية

(6) الأرصاد: ما يستعمل لرصد الكواكب، والتقاويم والتحاويل: من اصطلاحات المنجمين، للاطلاع على المغيبات ومعرفة الأوقات.

إِذَا الْهَوَاتِفُ[1] وَالْأَنْوَارُ شَاهِدُهَا ... لَدَى الْمَسَامِعِ وَالْأَبْصَارِ مَقْبُولُ

وَنَارُ فَارِسَ اضْحَتْ وَهْيَ خَامِدَةٌ ... وَنَهْرُهُمْ جَامِدٌ وَالصَّرْحُ مَثْلُولُ[2]

وَمُذْ هَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَبْعَثُهُ ... دَهَى الشَّيَاطِينَ والأصنام تجديل[3]

وَانْظُرْ سَمَاءً غَدَتْ مَمْلُوءَةً حَرَسًا ... كَأَنَّهَا الْبَيْتَ لَمَّا جَاءَهُ الْفِيلُ

فَرُدَّتْ الْجِنُّ عَنْ مَسْمَعٍ مَلَائِكَةٌ ... إِذَا رَدَّتْ الْبَشَرَ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ[4]

كُلٌّ غَدَا وَلَهُ مِنْ جِنْسِهِ رَصَدٌ ... لِلْجِنِّ شُهْبٌ وَلِلْإِنْسَانِ سِجِّيلُ[5]

لَوْلَا نَبِيُّ الْهُدَى مَا كَانَ فِي فَلَكٍ ... عَلَى الشَّيَاطِينِ لِلْأَمْلَاكِ تَوْكِيلُ

لَمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّى كُلُّ مُسْتَرِقٍ ... عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ مِنْهَا وَهُوَ مَعْزُولُ[6]

إِنْ رُمْتَ أَكْبَرَ آيَاتٍ وَأَكْمَلَهَا ... كَفَاكَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلُ

وَانْظُرْ فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللهِ مِنْ أَحَدٍ ... وَلَا كَقَوْلٍ أَتَى مِنْ عِنْدِهِ قِيلُ

لَوْ يُسْتَطَاعُ لَهُ مِثْلٌ لَجِيءَ بِهِ ... وَالْمُسْتَطَاعُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَفْعُولُ

للهِ كَمْ أَفْحَمَتْ أَفْهَامَنَا حِكَمٌ ... مِنْهُ وَكَمْ أَعْجَزَ الْأَلْبَابَ تَأْوِيلُ

يَهْدِي إِلَى كُلِّ رُشْدٍ حِينَ يَبْعَثُهُ ... إِلَى الْمَسَامِعِ تَرْتِيبٌ وَتَرْتِيلُ[7]

تَزْدَادُ مِنْهُ عَلَى تَرْدَادِهِ مِقَةً ... وَكُلُّ قَوْلٍ عَلَى التَّرْدَادِ مَمْلُولُ

وَرُبَّمَا مَجَّهُ قَلْبٌ بِهِ رَيْبٌ ... كَمَا يَمُجُّ دَوَاءَ الدَّاءِ مَعْلُولُ[8]

مَا بَعْدَ آيَاتِهِ حَقٌّ لِمُتَّبِعٍ ... وَالْحَقُّ مَا بَعْدَهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَحْمَةٌ بُعِثَتْ ... لِلْعَالَمِينَ وَفَضْلُ اللهِ مَبْذُولُ

هُوَ الشَّفِيعُ إِذَا كَانَ الْمَعَادُ غَدًا ... وَاشْتَدَّ لِلْحَشْرِ تَخْوِيفٌ وَتَهْوِيلُ

---

(1) الهواتف: جمع هاتف، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه.

(2) الصرح: القصر، والمراد هنا إيوان كسرى، ومثلول: مهدوم، من ثل بمعنى هدم.

(3) جدله تجديلا: ألقاه على الجدالى مصروعا وهي الأرض.

(4) الأبابيل: الجماعات قيل: لا واحد له من لفظه

(5) الرصد: المرقب، والسجيل: حجارة

(6) تولت: استولت: وتولى: فر.

(7) الترتيل في القراءة: الترسل والتبين

(8) مج التراب من فيه: رمى به.

فَمَا عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ مُعْتَمَدٌ وَلاَ عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ تَعْوِيلُ
إِنَّ امْرأً شَمِلَتْهُ مِنْ شَفَاعَتِهِ عِنَايَةٌ لامْرِئٍ بِالْفَوْزِ مَشْمُولُ
نَالَ الْمَقَامَ الَّذِي مَا نَالَهُ أَحَدٌ وَطَالَمَا مَيَّزَ الْمِقْدَارَ تَنْوِيلُ
وَأَدْرَكَ السُّؤْلِ لَمَّا قَامَ مُجْتَهِداً وَ مَا بِكُلِّ اجْتِهَادٍ يُدْرَكُ السُّولُ
لَوْ أَنَّ كُلَّ عُلاً بِالسَّعْيِ مُكْتَسَبٌ مَا جَازَ حِينَ نُزُولِ الْوَحْيِ تَزْمِيلُ(1)
أَعْلَى الْمَرَاتِبِ عِنْدَ اللهِ رُتْبَتُهُ فَاعْلَمْ فَمَا مَوْضِعُ الْمَحْبُوبِ مَجْهُولُ
مِنْ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى لَهُ نُزُلٌ وَحَقٌّ مِنْهُ لَهُ مَثْوىً وَتَحْلِيلُ(2)
سَرَى إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى وَعَادَ بِهِ لَيْلاً بُرَاقٌ يُبَارِي الْبَرْقَ هُذْلُولُ(3)
يَا حَبَّذَا حَالُ قُرْبٍ لاَ أُكَيِّفُهُ وَحَبَّذَا حَالُ وَصْلٍ عَنْهُ مَغْفُولُ
وَكَمْ مَوَاهِبَ لَمْ تَدْرِ الْعِبَادُ بِهَا أَتَتْ إِلَيْهِ وَسِتْرُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ(4)
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ لاَ الدُّنْيَا وَمَا رَجَحَتْ بِهِ الْمَوَازِينُ مِنْهَا وَالْمَكَايِيلُ
وَكَمْ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ بَيِّنَةٌ فِي فَضْلِهَا وَافَقَ الْمَنْقُولُ مَعْقُولُ
نُورٌ فَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ يُرَى وَلَهُ مِنَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ تَظْلِيلُ
وَلاَ يُرَى فِي الثَّرَى أَثَرٌ لأَخْمَصِهِ إِذَا مَشَى وَلَهُ وَلَهُ فِي الصَّخْرِ تَوْحِيلُ(5)
دَعَا إِلَيْهِ حَنِينُ الْجِذْعِ مِنْ شَغَفٍ إِذْ نَالَهُ مِنْهُ بَعْدَ الْقُرْبِ تَزْيِيلُ(6)
فَلَيْتَ مِنْ وَجْهِهِ حَظِّي مُقَابَلَةٌ وَلَيْتَ حَظِّي مِنْ كَفَّيْهِ تَقْبِيلُ
بِيضٌ مَيَامِينُ(7) يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهَا لِلشَّمْسِ مِنْهَا وَلِلأَنْوَاءِ تَخْجِيلُ
مَا إِنْ يَزَالُ بِهَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ(8) لِلْقُلِّ كُثْرٌ وَلِلتَّصْعِيبِ تَسْهِيلُ

(1) تزميل: يقال زمله في نومه، اي لفه.
(2) تحليل من الحلول.
(3) الهذلول: السريع الخفيف
(4) المسدول: المرخى
(5) الأخمص: باطن القدم
(6) تزييل: مفارقة
(7) ميامين: جمع ميمون، اي المبارك.
(8) النازلة: المصيبة والشدة

فَاعْجَبْ لِأَفْعَالِهَا إنْ كُنْتَ مُدْرِكُهَا ... وَاطْـرَبْ إذَا ذُكِـرَتْ تِلْكَ الْأَفَاعِيلُ

كَـمْ عَاوَدَ الْبُرْءُ مِنْ إعْلاَلِهِ جَسَـداً ... بِلَـمْـسِـهِ وَاسْـتَبَانَ الْعَقْلُ مَخْبُولُ

وَرَدَ الْفَـيْنِ فِـي رِيٍّ وَفِـي شِـبَعٍ ... إذَا ضَاقَ بِاثْنَيْنِ مَشْـرُوبٌ وَمَأْكُولُ

وَرَدَّ مَـاءً وَنُـوراً بَعْـدَ مَا ذَهَبَـا ... رِيـقٌ لَـهُ بِكِـلاَ الْعَيْنَـيْنِ مَتْـقُولُ

وَمَنْبَـعُ الْمَـاءِ عَذْبـاً مِـنْ أصَابِعِهِ ... وَ ذَاكَ صُنْـعٌ بِـهِ فِينَا جَـرَى النِّيلُ

وَكَـمْ دَعَـا وَمُحَيَّا الْأَرْضِ مُكْتَئِبٌ ... ثُـمَّ انْثَنَـى وَلَـهُ بِشْـرٌ وَتَـهْلِيـلُ

فَأَصْبَـحَ الْمَحَـلُّ فِيهَـا لاَ مَحَلَّ لَهُ ... وَغَالَ ذِكْرَ الْغَلاَ مِنْ رَخْصِهَا غُولُ[1]

فَلِلظِّـرَابِ ضُـرُوبٌ لِلْغَمَـامِ كَمَا ... عَـنِ الْبِنَـاءِ عَزَالِيهَـا مَعَـازِيلُ[2]

وَآضَ[3] مِنْ رَوْضِهَا جِيدُ الْوُجُودِ بِهِ ... مِـنْ لُؤْلُـؤِ النَّورِ تَرْصِيـعٌ وَتَكْـلِيلُ

وَعَسْـكَرٍ لَجِبٍ قَدْ لَجَّ[4] فِي طَلَبِ ... لِغَـزْوِهِ غَـرُّهُ بَـأْسٌ وَتَـرْعِيـلُ

دَعَـا نَـزَالِ فَوَلَّـى وَالْبَـوَارُ بِـهِ ... مِنَ الصَّبَا وَالْحَصَى وَالرُّعْبُ مَنْزُولُ[5]

وَاغَيْرَتَا حِينَ أضْحَـى الْغَارُ وَهُوَ بِهِ ... كَـمِثْـلِ قَلْبِـي مَغْمُـورٌ وَ مَـاهُولُ

كَأَنَّمَـا الْمُصْطَفَـى فِيـهِ وَصَاحِبُـهُ ... الصِّدِّيـقُ لَيْثَانِ قَـدْ آوَاهُمَا غِيلُ

وَجَلَّلَ الْغَارَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى ... وَهْـنٍ فَيَاحَبَّـذَا نَسْـجٌ وَتَجْلِيـلُ

عِنَايَـةٌ ضَـلَّ كَيْدُ الْمُشْـرِكِينَ بِهَا ... وَمَـا مَكَـايِدُهُـمْ إلاَّ الْأَضَـالِيـلُ

إذْ يَنْظُـرُونَ وَهُـمْ لاَ يُبْصِرُونَهُـمَـا ... كَأَنَّ أبْصَارَهُمْ مِنْ زَيْغِهَا حُولُ[6]

إنْ يَقْطَـعِ اللهُ عَنْهُ أُمَّةً سَـفِهَتْ[7] ... نُفُـوسَـهَا فَلَهَـا بِالْكُفْـرِ تَعْلِيـلُ

فَإنَّمَا الرُّسْـلُ وَالْأَمْلاَكُ شَـافِعُهَا[8] ... لِـوُصْلِـهِ مِنْـهُ تَسْـآلٌ وَتَطْفِيـلُ

---

(1) الغول: كل ما اغتال الإنسان

(2) الظراب جمع ظرب: وهي الرابية الصغيرة: والعزالي: جمع عزلاء، وهي مصب الماء من القربة، ومعازيل جمع معزول: اي انها لا تمطر على البناء، ولقول النبي ﷺ «اللهم حوالينا ولا علينا»

(3) آض: رجع، والجيد: العنق.

(4) لج: تمادى. الرعلة: الكثير من العيال، والمراد هنا كثرة الجيش.

(5) منزول: نازل.

(6) زغتا الأبصار: تحولت عن موضعها.

(7) سفهت نفوسها: خسرت نفوسها. تعليل: من العلة وهي المرض.

(8) يقول إن الملائكة والرسل يتوسلون إلى النبي محمد طالبين منه الشفاعة

مَا عُذْرُ مَنْ مَنَعَ التَّصْدِيقَ مَنْطِقَهُ ... وَقَدْ نَبَا مِنْهُ مَحْسُوسٌ وَمَعْقُولُ

وَالذِّئْبُ وَالعَيْرُ وَالمَوْلُودُ صَدَّقَهُ ... وَالظَّبْيُ أَفْصَحُ نُطْقاً وَهُوَ مَحْبُولُ(1)

وَالْبَدْرُ بَادَرَ مُنْشَقّاً بِدَعْوَتِهِ ... لَهُ كَمَا شُقَّ قَلْبٌ وَهُوَ مَتْبُولُ(2)

وَالنَّخْلُ أَثْمَرَ فِي عَامٍ وَسُرَّ بِهِ ... سلمان إذ بسقت منه العشاكيل(3)

إن أَنْكَرَتْهُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ عَلَى ... مَا بَيَّنَتْ مِنْهُ تَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلُ

فَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ فِي جُحُودِهِمْ ... لِلْكُفْرِ كُفْرٌ وَلِلتَّجْهِيلِ تَجْهِيلُ

قُلْ لِلنَّصَارَى الأُلَى سَاءَتْ مَقَالَتُهُمْ ... فَمَا لَهَا غَيْرَ مَحْضِ الْجَهْلِ تَعْلِيلُ

مِنَ الْيَهُودِ اسْتَفَدْتُمْ ذَا الْجُحُودِ كَمَا ... مِنَ الْغُرَابِ اسْتَفَادَ الدَّفْنَ قَابِيلُ

فَإِنْ عِنْدَكُمْ تَوْرَاتُهُمْ صَدَقَتْ ... وَلَمْ تُصَدِّقْ لَكُمْ مِنْهُمْ أَنَاجِيلُ

ظَلَمْتُمُونَا فَأَضْحَوْا ظَالِمِينَ لَكُمْ ... وَذَاكَ مِثْلُ قِصَاصٍ فِيهِ تَعْدِيلُ

مِنْكُمْ لَنَا وَلَكُمْ مِنْ بَعْضِكُمْ شُغُلٌ ... وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَشَاغِيلُ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ وَلَكِنْ صَدَّكُمْ حَسَدٌ ... أَنَّا بِمَا جَاءَنَا قَوْمٌ مَقَابِيلُ(4)

أَمَا عَرَفْتُمْ نَبِيَّ اللهِ مَعْرِفَةَ الْـ ... أَبْنَاءِ لَكِنَّكُمْ قَوْمٌ مَنَاكِيلُ(5)

هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ(6) ... لَوْلاَ اهْتَدَي مِنْكُمُ لِلرُّشْدِ ضِلِّيلُ

فَلاَ تُرَجُّوا جَزِيلَ الأَجْرِ مِنْ عَمَلٍ ... إن الرَّجَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ مَخْذُولُ

تُؤَذِّنُونَ بِزِقٍّ مِنْ جَهَالَتِكُمْ ... به انْتِفَاخٌ وَجِسْمٌ فِيهِ تَرْهِيلُ(7)

مُوتُوا بِغَيْظٍ كَمَا قَدْ مَاتَ قَبْلَكُمْ ... قَابِيلُ إِذْ قَرَّبَ الْقُرْبَانَ هَابِيلُ

يَا خَيْرَ مَنْ رُوِيَتْ لِلنَّاسِ مَكْرُمَةٌ ... عَنْهُ وَفُصِّلَ تَحْرِيمٌ وَتَحْلِيلُ

---

(1) المحبول: المصطاد في الحبالة، وهي الشرك

(2) تبله الحب: أي تيمه وذهب بعقله.

(3) بسقت النخل: بمعنى طالت، والعشاكيل: جمع عثكول: وهو العذق الذي يحمل البلح.

(4) المقابيل: جمع مقبل من أقبل بمعنى عقل بعد حماقة.

(5) مناكيل: من النكال، وهو الهلاك.

(6) الاستفتاح: الاستنصار، وكان اليهود يقولون للأنصار سيبعث نبي فنتبعه، ونستنصر به عليكم، ولولا: للتحضيض كهلا

(7) لترهيل: الانتفاخ

دُر تَوَدُّ مُلُوكَ الأَرْضِ لَوْ شَرُفَتْ … يَوْماً بِأَرْؤُسِهَا مِنْهُ الأَكَالِيلُ(1)

كَمْ قَدْ أَتَتْ عَنْكَ أَخْبَارٌ مُخَبَّرَةٌ … فِي حُسْنِهَا أَشْبَهُ التَّفْرِيعَ تَأْصِيلُ

تَسْرِي إِلَى النَّفْسِ مِنْهَا كُلَّمَا وَرَدَتْ … أَنْفَاسُ وَرْدٍ سَرَتْ وَالْوَرْدُ مَطْلُولُ

مِنْ كُلِّ لَفْظٍ بَلِيغٍ رَاقَ جَوْهَرُهُ … كَأَنَّهُ السَّيْفُ مَاضٍ وَهُوَ مَصْقُولُ

لَمْ تُبْقِ ذِكْراً لِلَّذِي نُطْقٍ فَصَاحَتُهُ … وَهَلْ تُضِيءُ مَعَ الشَّمْسِ الْقَنَادِيلُ

جَاهَدَتْ فِي اللهِ أَبْطَالَ الضَّلاَلِ إِلَى … أَنْ ظَلَّ لِلشِّرْكِ بِالتَّوْحِيدِ تَبْطِيلُ

شَكَا حُسَامَكَ مَا تَشْكُو جُمُوعُهُمْ … فَفِيهِ مِنْهَا وَفِيهَا مِنْهُ تَفْلِيلُ

للهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ كَانَ بِهِ … كَسَاعَةِ الْبَعْثِ تَهْوِيلٌ وَتَطْوِيلُ

وَيَوْمَ أَقْبَلَتِ الأَحْزَابُ وَانْهَزَمَتْ … وَكَمْ خَبَا لَهَبٌ بِالشِّرْكِ مَشْغُولُ

جَاؤُوا بِأَسْلِحَةٍ لَمْ تَحْمِ حَامِلَهَا … إِنَّ الْكُمَاةَ إِذَا لَمْ يُنْصَرُوا مِيلُ(2)

مِنْ بَعْدِ مَا زُلْزِلَتْ بِالشِّرْكِ أَبْنِيَةٌ … وَأُثْبِتَ حَبْلٌ بِأَيْدِي الرَّيْبِ مَفْتُولُ

وَظَنَّ كُلُّ امْرِىءٍ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ … بِأَنَّ مَوْعِدَهُ بِالنَّصْرِ مَمْطُولُ

فَأَنْزَلَ اللهُ أَمْلاَكاً مُسَوَّمَةً … لَبُوسُهَا مِنْ سَكِينَاتٍ سَرَابِيلُ(3)

شَاكِي السِّلاَحِ فَمَا تَشْكُو الكَلاَلَ وَمِنْ … صُنْعِ الإِلَهِ لَهَا نَسْجٌ وَتَأْثِيلُ(4)

مِنْ كُلِّ مَوْضُونَةٍ حَصْدَاءَ سَابِغَةٍ … تُرَدُّ حَدُّ الْمَنَايَا وَهُوَ مَفْلُولُ

وَكُلُّ أَبْتَرَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ بِهِ … وَلِلضَّلاَلَةِ تَعْدِيلٌ وَتَمْيِيلُ

لَمْ تُبْقِ لِلشِّرْكِ مِنْ قَلْبٍ وَلاَ سَبَبٍ … إِلاَّ غَدَا وَهُوَ مَتْبُولٌ وَمَبْتُولُ(5)

وَيَوْمَ بَدْرٍ إِذِ الإِسْلاَمُ قَدْ طَلَعَتْ … بِهِ بُدُوراً لَهَا بِالنَّصْرِ تَكْمِيلُ

سِيقَتْ بِمَا سَرَّنَا الكُفَّارُ مِنْهُ وَقَدْ … أَفْنَى سَرَاتَهُمُ الأَسْرُ وَتَقْتِيلُ

كَأَنَّمَا هُوَ عُرْسٌ فِيهِ قَدْ جُلِيَتْ … عَلَى الظُّبَا وَالْقَنَا رُوسٌ مَقَاصِيلُ

---

(1) لم يرد في الديوان المحقق.

(2) الميل: جمع أميل، وهو الذي لا يثبت على الخيل.

(3) مسومة: معلمة، واللبوس، اللباس، والسرابيل: الدروع.

(4) الكلال: العجز و التأثيل: التأصيل

(5) المتبول: الهالك، المبترل: المنقطع

وَالْخَيْلُ تَرْقُصُ زَهْواً بَالْكُمَاةِ وَمَا ... غَيْرَ السُّيُوفِ بِأَيْدِيهِمْ مَنَادِيلُ
وَلاَ مُهُورَ سِوَى الْأَرْوَاحِ تَقْبَلُهَا الْـ ... بِيضُ الْبَهَاتِيرُ[1] وَالسُّمْرُ الْعَطَابِيلُ[2]
فَلَوْ تَرَى كُلَّ عُضْوٍ مِنْ كُمَاتِهِمْ ... مُفَصَّلاً وَهُوَ مَكْفُوفٌ وَمَشْلُولُ
كَأَحْرُفٍ اشْكَلَتْ خَطّاً فَأَكْثَرُهَا ... بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَنْقُوطٌ وَمُشْكُولُ
وَكُلُّ بَيْتٍ حَكَى بَيْتَ الْعَرُوضِ لَهُ ... بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ تَقْطِيعٌ وَتَفْصِيلُ
وَدَاخَلَتْ بِالرَّدَى أَجْزَاءَهُمْ عِلَلٌ ... غَدَا الْمُرَفَّلُ[3] مِنْهَا وَهُوَ مَجْزُولُ[4]
وَكُلُّ ذِي تِرَةٍ[5] تَغْلِي مَرَاجِلُهُ ... غَدَا يُقَادُ ذَلِيلاً وَهُوَ مَغْلُولُ
وَكُلُّ جُرْحٍ بِجِسْمٍ يَسْتَهِلُّ دَماً ... كَأَنَّهُ مُبْسَمٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
وَعَاطِلٌ مِنْ سِلاَحٍ قَدْ غَدَا وَلَهُ ... أَسَاوِرٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَلاَخِيلُ
وَالأَرْضُ مِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى مُجَلَّلَةٌ ... وَالتُّرْبُ مِنْ اَدْمُعِ الأَحْيَاءِ مَبْلُولُ
غَصَّتْ قُلُوبٌ كَمَا غَصَّ الْقَلِيبُ[6] بِهِمْ ... فَلِلْأَسَى فِيهِمْ وَالنَّارُ تَأْكِيلُ
فَأَصْبَحَ الْبِئْرُ إِذْ أَهْلُ الْبَوَارِ بِهِ ... مِثْلَ الْوَطِيسِ بِهِ جُزُرٌ رَعَابِيلُ[7]
وَأَصْبَحَتْ أَيِّمَاتٌ مُحْصَنَاتُهُمْ ... وَأُمَّهَاتُهُمْ وَهِيَ الْمَثَاكِيلُ
لاَ تُمْسِكُ الدَّمْعَ مِنْ حُزْنٍ عُيُونُهُمُ ... إِلاَّ كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
وَصَارَ فَقْرُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ غِنًى ... وَفِي الْمَصَائِبِ تَفْوِيتٌ وَتَحْصِيلُ
وَرَدَّ أَوْجُهَهُمْ سُوداً وَأَعْيُنَهُمْ ... بِيضاً مِنَ اللهِ تَنْكِيدٌ وَتَنْكِيلُ[8]
سَالَتْ وَسَاءَتْ عُيُونٌ مِنْهُمْ مَثَلاً ... كَأَنَّمَا كُلُّهَا بِالشَّوْكِ مَسْمُولُ[9]

---

(1) البهاتير: القصار جمع بهتر.

(2) والعطابيل جمعه عطبول

(3) الترفيل: أن يزاد في البحر الكامل سبب على متافعلن فيصير متفاعلات،

(4) المجزول: ساقط الرابع من متفاعلن مع إسكان ثانيه في زحاف الكامل.

(5) الترة: الثأر.

(6) القليب: البئر.

(7) الرعابيل: جمع رعبولة، وهي الخرقة الممزقة.

(8) د: تنكسل وتشكيل

(9) مسمول: من سمل عينه بمعنى فقأها. سالت بدلا من ساءت.

أَبْغِضْ بِهَا مُقَلاً قَدْ أَشْبَهَتْ لَبَناً ... طَفَا الذُّبَابُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَمْقُولُ[1]

وَيَوْمَ عَمَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ أَسًى ... بِفَقْدِ عَمِّكَ وَالْمَفْقُودُ مَجْذُولُ[2]

وَنَالَ إِحْدَى الثَّنَايَا الْكَسْرُ فِي أُحُدٍ ... وَجَاءَ يُجْبِرُ مِنْهَا الْكَسْرَ جِبْرِيلُ

وَفِي مَوَاطِنَ شَتَّى كَمْ أَتَاكَ بِهَا ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ مَضْمُونٌ وَمَكْفُولُ

وَمَلَكَتْ يَدَكَ الْيُمْنَى مَلاَئِكَةً ... غُرٌّ كِرَامٌ وَأَبْطَالٌ بَهَالِيلُ

يُسَارِعُونَ إِذَا نَادَيْتَهُمْ لِوَغًى ... إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا نُودُوا هَذَالِيلُ[3]

مِنْ كُلِّ نِضْوٍ[4] نُحُولٍ مَا يَزَالُ بِهِ ... إِلَى الْمَكَارِمِ جِدٌّ وَهُوَ مَهْزُولُ

يَظَلُّ مِنْ بَأْسِهِ وَالْجِدُّ يُقْلِقُهُ ... لِكُلِّ عَلْيَاءَ تَشْدِيدٌ وَتَالِيلُ

بَنَانُهُ بِدَمِ الأَبْطَالِ مُخْتَضِبٌ ... وَطَرْفُهُ بِسَنَا الإِيمَانِ مَكْحُولُ

آلَ النَّبِيِّ بِمَنْ أَوْ أُشَبِّهُكُمْ ... لَقَدْ تَعَذَّرَ تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلُ

وَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى مَدْحٍ يَكُونُ بِهِ ... لأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ تَأْهِيلُ

يَا قَوْمُ بَايَعْتُكُمْ[5] أَنْ لاَ شَبِيهَ لَكُمْ ... مِنَ الْوَرَى فَاسْتَقْبِلُوا الْبَيْعَ أَوْ قِيلُوا[6]

جَاءَتْ عَلَى تِلْوِ آيَاتِ النَّبِيِّ لَهُمْ ... دَلاَئِلٌ هِيَ لِلتَّارِيخِ تَذْيِيلُ

مَعَاشِرٌ مَا رَضُوا إِنِّي لَمُبْتَهِجٌ ... بِهِمْ وَمَا سَخِطُوا إِنِّي لَمَشْكُولُ

وَإِنَّ مَنْ بَاعَ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّتَهُمْ ... بِبُغْضِهِ اللهِ فِي الأُخْرَى لَمَرْذُولُ

وَحَسْبُ مَنْ تَلَكَتْ عَنْهُمْ خَوَاطِرُهُ ... أَنْ مَاتَ أَوْ عَاشَ تَنْكِيلٌ وَتَنْكِيلُ

إِنَّ الْمَوَدَّةَ فِي قُرْبَى النَّبِيِّ غِنًى ... لاَ يَسْتَمِيلُ فُؤَادِي عَنْهُ تَمْوِيلُ[7]

وَكَمْ لأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْكِرَامِ يَدٌ ... عِنْدَ الإِلَهِ لَهَا الْفَضْلِ تَخْوِيلُ[8]

---

(1) الممقول: المغموس

(2) المجذول: المسرور

(3) هذاليل: مسروعون.

(4) النضو: المخيل

(5) بايعتكم: عاهدتكم

(6) وقلته البيع أقيلة: فسخته، واستقال: طلب إليه أن يقيله.

(7) التمويل: كثرة المال.

(8) تخويل: تمليك

قَوْمٌ لَهُمْ فِي الْوَغَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ ... حُسْنُ ابْتِلاَءٍ وَفِي الطَّاعَاتِ تَبْتِيلُ(1)

كَأَنَّهُمْ فِي مَحَارِيبِ مَلاَئِكَةٌ ... وَفِي حُرُوبِ أَعَادِيهِمْ رَآبِيلُ(2)

[يَنَالُ هيئة](3) قَلْبِي حِينَ كَانَ بِهَا ... لَلاَل تَغطِيَةٌ وَ الصَّحْبُ تَخْلِيلُ(4)

وَلِي فُؤَادٌ وَنُطْقٌ بِالْوِدَادِ لَهُمْ ... وَبِالْمَدَائِحِ مَشْغُوفٌ وَمَشْغُولُ

فَإِنْ ظَنَنْتُ بِهِمْ خَتْلاً لِبَعْضِهِمْ ... إِنِّي إِذَنْ بِغُرُورِ النَّفْسِ مَخْتُولُ(5)

أَئِمَّةَ الدِّينِ كُلٌّ فِي مُحَاوَلَةٍ ... إِلَى صَوَابِ اجْتِهَادٍ مِنْهُ مَوْكُولُ

لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ قَدَّرَهُ ... وَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

حَسْبِي إِذَا مَا مَنَحْتُ الْمُصْطَفَى مِدَحِي ... فِي الْحَشْرِ تَزْكِيَةٌ مِنْهُ وَتَعْدِيلُ(6)

مَدْحٌ بِهِ ثَقُلَتْ مِيزَانُ قَائِلِهِ ... وَخَفَّ عَنْهُ مِنَ الأَوْزَارِ تَثْقِيلُ

وَكَيْفَ تَأْبَى جَنِي أَوْصَافِهِ هِمَمُ ... يَرُوقُهَا مِنْ قُطُوفِ الْعِزِّ تَذْلِيلُ

وَلَيْسَ يُدْرِكُ أَدْنَى وَصْفِهِ بَشَرٌ ... أَيَقْطَعُ الأَرْضَ سَاعٍ وَهُوَ مَكْبُولُ(7)

كُلُّ الْفَصَاحَةِ عِيٌّ فِي مَنَاقِبِهِ ... إِذَا تَفَكَّرْتَ وَالتَّكْثِيرُ تَقْلِيلُ

لَوْ أَجْمَعَ الْخَلْقُ أَنْ يُحْصُوا مَحَاسِنَهُ ... أَعْيَتْهُمْ جُمْلَةٌ مِنْهَا وَتَفْصِيلُ

عُذْراً إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ مِنْ كَلِمِي ... إِنَّ الْكَرِيمَ لَدَيْهِ الْعُذْرُ مَقْبُولُ

إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْطِقِي فِي طِيبِهِ عَسَلاً ... فَإِنَّهُ بِمَدْحِي فِيكَ مَعْسُولُ

هَا حُلَّةٌ بِخِلاَلٍ مِنْكَ قَدْ رُقِمَتْ ... مَا فِي مَحَاسِنِهَا لِلْعَيْبِ تَخْلِيلُ(8)

جَاءَتْ بِحُبِّي وَتَصْدِيقِي إِلَيْكَ وَمَا ... حُبِّي مَشُوبٌ وَلاَ التَّصْدِيقُ مَدْخُولُ(9)

---

(1) التبتيل: الانقطاع إلى الله عن الدنيا.

(2) الرآبيل: جمع رئبال: وهو الأسد.

(3) المحقق في الديوان: [حكى العباءة]

(4) تخليل: من تخلل الشيء بمعنى دخل في خلاله، والبيت زائد في الديوان.

(5) مختول: مخدوع.

(6) عدله: شهد بعدالته.

(7) مكبول: مقيد.

(8) خلال: خصال. رقم الكتاب، كتبه، والثوب: حفظه، وتخلل الشيء دخل في خلاله.

(9) كل ما دخله عيب فهو مدخول.

أَلْبَسْتَهَا مِنْكَ حُسْنًا فَازْدَهَتْ شَرَفاً ... بِهَا الْخَوَاطِرُ مِنَّا وَالْمَنَاوِيلُ(1)

لَمْ أَنْتَحِلْهَا وَلَمْ أَغْصِبْ مَعَانِيهَا ... وَغَيْرُ مَدْحِكَ مَغْصُوبٌ وَمَنْحُولُ(2)

وَمَا عَلَى قَوْلِ كَعْبٍ أَنْ تُوَازِنَهُ ... فَرُبَّمَا وَازَنَ الدُّرَّ الْمَثَاقِيلُ(3)

وَهَلْ تُعَادِلُهُ حُسْناً وَمَنْطِقُهَا ... عَنْ مَنْطِقِ الْعَرَبِ الْعَرْبَاءِ مَعْدُولُ

وَحَيْثُ كُنَّا مَعاً نَرْمِي إِلَى غَرَضٍ ... فَحَبَّذَا نَاضِلٌ مِنَّا وَمَنْضُولُ

إِنْ أَقْفُ آثَارَهُ إِنِّي الْغَدَاةَ بِهَا ... عَلَى طَرِيقِ نَجَاحٍ مِنْكَ مَدْلُولُ

لَمَّا غَفَرْتَ لَهُ ذَنْباً وَصُنْتَ دَماً ... لَوْلاَ ذِمَامُكَ أَضْحَى وَهُوَ مَطْلُولُ(4)

رَجَوْتُ غُفْرَانَ ذَنْبٍ مُوجِبٍ تَلَفِي ... لَهُ مِنَ النَّفْسِ إِمْلاَءٌ وَتَسْوِيلُ(5)

وَلَيْسَ غَيْرَكَ لِي مَوْلًى أُؤَمِّلُهُ ... بَعْدَ الإِلَهِ وَحَسْبِي مِنْكَ تَأْمِيلُ

وَلِي فُؤَادٌ مُحِبٌّ لَيْسَ يُقْنِعُهُ ... غَيْرَ اللِّقَاءِ وَلاَ يَشْفِيهِ تَعْلِيلُ

يَمِيلُ بِي لَكَ شَوْقاً أَوْ يُخَيَّلُ لِي ... كَأَنَّمَا بَيْنَنَا مِنْ شُقَّةٍ مِيلُ

يَهُمُّ بِالسَّعْيِ وَالأَقْدَارُ تُمْسِكُهُ ... وَكَيْفَ يَعْدُو وَجَوَادٌ وَهُوَ مَشْكُولُ(6)

مَتَى تَجُوبُ رَسُولَ اللهِ نَحْوَكَ بِي ... تِلْكَ الْجِبَالُ نَجِيبَاتٌ مَرَاسِيلُ(7)

فَأَنْثَنِي وَيَدِي بِالْفَوْزِ ظَافِرَةٌ ... وَثَوْبُ ذَنْبِي مِنَ الآثَامِ مَغْسُولُ

فِي مَعْشَرٍ أَخْلَصُوا لِلَّهِ دِينَهُمُ ... وَفَوَّضُوا إِنْ هُمُ نَالُوا وَإِنْ نِيلُوا

شُعْثٌ لَهُمْ مِنْ ثَرَى الْبَيْتِ الذِي شَرُفَتْ ... بِهِ النَّبِيُّونَ تَطْبِيبٌ(8) وَتَكْحِيلُ

مُحَلِّقِي أَرْؤُسٍ زِيدَتْ وُجُوهُهُمُ ... حُسْناً بِهِ فَكَأَنَّ الْحَلْقَ تَرْجِيلُ(9)

---

(1) ازدهت: افتخرت، والمناويل: جمع منوال: وهو معروف: وهي هنا بمعنى: الافكار.

(2) انتحله: ادعاء لنفسه وهو لغيره.

(3) مثقال الشيء: وزنهم مثله.

(4) الذمام: العهد، مطلول: مهدر

(5) سولت له نفسه كذا: اي زينت.

(6) مشكول: مقيد

(7) نجيبات: جمع نجيبة وهي الناقة. مراسيل: سهلة الانقياد.

(8) الأشعث: الذي يدهن شعره ولم ينظفه. تطبيب: اتخاذ الطيب

(9) الترجيل: تسريح الشعر.

قَدْ رَحَّبَ الْبَيْتُ شَوْقاً وَالْمَقَامُ بِهِمْ ... وَالْحِجْرُ وَالْحَجَرُ الْمَلْثُومُ وَالْمِيلُ[1]

نَذَرْتُ إِنْ جَمَعْتُ شَمْلِي بِبَابِكَ أَوْ ... شَفَتْ فُؤَادِي بِهِ قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ[2]

أَبُلُّ مِنْ طَيْبَةَ بِالدَّمْعِ طِيبَ ثَرى ... لِغُلَّتِي وَغَلِيلِي مِنْهُ تَبْلِيلُ[3]

دَامَتْ عَلَيْكَ صَلاَةُ اللهِ يَكْفُلُهَا ... مِنَ الْمُهَيْمِنِ إِبْلاَغٌ وَتَوْصِيلُ

مَا لاَحَ ضَوْءُ صَبَاحٍ فَاسْتَتَرَ بِهِ ... مِنَ الْكَوَاكِبِ قِنْدِيلٌ فَقِنْدِيلُ

---

(1) الميل: المنار للموضوع بين الصفا والمروة.

(2) القوداء: الناقة العظيمة. والشمليل: السريعة.

(3) الغلة: شدة العطش. والغليل: حرارة الحب والحزن.

القصيدة الثـانية : الشقراطسية[1]

الحَمْدُ للهِ، مِنَّا، بَاعِثِ الرُّسُلِ ... هَدَى (بأحمد) مِنَّا، أَحْمَدُ السُّبُلِ

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ ... وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ من حَافٍ وَمُنْتَعِلِ

تَوْرَاةُ مُوسَى أتَتْ عَنْهُ فَصَدَّقَهَا ... إِنْجِيلُ عِيسَى بِحَقٍّ غَيْرِ مُفْتَعِلِ

أَخْبَارُ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكُتُبِ قَدْ وَرَدَتْ ... عَمَّا رَأَوْا أَوْ رَوَوْا فِي الأَعْصُرِ الأُوَلِ

ضَاءَتْ بِمَوْلِدِهِ الآفَاقُ وَاتَّصَلَتْ ... بُشْرَى الْهَوَاتِفِ فِي الإِشْرَاقِ وَالطَّفَلِ

وَصَرْحُ كِسْرَى تَدَاعَى مِنْ قَوَاعِدِهِ ... وَانْقَضَّ[2] مُنْكَسِرَ الأَرْجَاءِ ذَا مَيَلِ

وَنَارُ فَارِسَ لَمْ تُوقَدْ وَمَا خَمَدَتْ ... مُذْ أَلْفَ عَامٍ وَنَهْرُ الْقَوْمِ لَمْ يَسِلِ

---

(1) من البسيط وهي في مدح الرسول ﷺ (وصاحبها هو ابو محمد عبد الله بن يحيى بن علي التوزري المعروف بالشقراطسي نسبة إلى قلعى مدينة كانت بالقرب من قفصة في تونس تسمى شقراطس، على انه عاش في مدينة توزر، وكان من لفقهائها ونبغ في الادب والشعر، له كتاب «الإعلام في معجزات خير الانام» وغيره من الاوضاع واخذ عنه جماعة من أهل العلم كابي الفضل لبن النحوي، وحج وزار وانشد قصيدته بالمدينة المنورة تجاه الروضة الشريفة، وكانت وفاته في ربيع الاول سنة 466هـ).

وقد قام الاستاذ الكبير المرحوم عبد الله كنون بتحقيق هذه القصيدة، معتمدا في مقابلة نصها على نسخ هي:

– نسخة في حوزته ورمزها في التحقق (خ)

– نسخة رحلة بن عمار، مطبوعة في الجزائر سنة 1904 ورمزها "ع"

– نسخة رحلة العبدري بتحقيق محمد الفاسي مطبوعة بالرباط سنة 1968 ورمزها "ر"

– نسخة كتاب الجديد في ادب الجريد لحمد البختري التونسي مطبوع سنة 1973 ورمزها "ج"

وقد تم الاحتفاظ بنص هذه القصيدة كما حققها الاستاذ عبد الله كنون مع الاحتفاظ ايضا بإحالات مقابلتها وكل الشروح المرافقة لها ودون تغير أرقامها: راجع:

القصيدة الشقراطسية: تحقيق عبد الله كنون، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، العدد 18، السنة السابعة، يوليو 1980، ص: 15 و22 وما بعدها.

(2) في ن: وانقاض ومن رقم 3 تبتدئ الارقام الخاصة بتحقيق هذه القصيدة كما وردت عند الأستاذ عبد الله كنون.

وَمَنْطِقَ الذِيبِ بِالتَّصْدِيقِ مُعْجِزَةٌ ... مَعَ الذِّرَاعِ ونطق العِيرِ والْجَمَلِ

خَرَّتْ لِمَبْعَثِهِ الأَوْثَانَ وَانْبَعَثَتْ ... ثَوَاقِبُ الشُّهْبِ تَرْمِي الْجِنَّ بِالشُّعَلِ

وَفِي دُعَائِكَ بِالأَشْجَارِ حِينَ أَتَتْ ... تَمْشِي بِأَمْرِكَ فِي أَغْصَانِهَا الذُّلُلِ[1]

وَقُلْتَ عُودِي فَعَادَتْ فِي مَنَابِتِهَا ... تِلْكَ الْعُرُوقُ بِإِذْنِ اللهِ لَمْ تَمِلِ

وَالسَّرْحُ بِالشَّامِ مَا جِئْتَهَا سَجَدَتْ ... شُمُّ الذَّوَائِبِ مِنْ أَفْنَانِهَا الخُضُلِ

وَالْجِذْعُ حَنَّ لأَنْ فَارَقْتَهُ أَسَفاً ... حَنِينُ ثَكْلَى شَجَتْهَا لَوْعَةُ الثُّكْلِ

مَا صَبْرُ مَنْ صَارَ مِنْ عَيْنٍ إِلَى أَثَرٍ ... وَحَالُ مَنْ حَالَ مِنْ حَلْي[2] إِلَى عطلِ

حَيي[3] فَمَاتَ سُكُوناً ثُمَّ مَاتَ لدن ... حَبِي حَنِيناً فَأَضْحَى غَايَةَ الْمَثَلِ

وَالشَّاةُ لَمَّا مَسَحْتَ الْكَفَّ مِنْكَ عَلَى ... جَهْدِ الْهُزَالِ بِأَوْصَالٍ لَهَا قُحُلِ[4]

سَحَّتْ بِدِرَّةِ شُكْرِي[5] الضَّرْعَ حَافِلَةً ... فَرَوَتْ الرَّكْبَ[6] بَعْدَ النَّهْلِ بِالْعَلَلِ

وَآيَةُ الْغَارِ إِذْ وُقِيتَ فِي حَجَبٍ ... عَنْ كُلِّ رِجْسٍ لِرِجْسِ الْكُفْرِ مُنْتَحِلِ

وَقَالَ صَاحِبُكَ الصِّدِّيقُ كَيْفَ بِنَا ... وَ نَحْنُ مِنْهُمْ بِمَرْأَى النَّاظِرِ العَجِلِ

فَقُلْتَ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُنَا ... وَكُنْتَ فِي حَجْبِ سِتْرٍ مِنْهُ مُنْسَدِلِ

حَمَتْ لَدَيْكَ حَمَامُ الْوَحْشِ جَاثِمَةً ... كَيْداً لِكُلِّ غَوِيِّ الْقَلْبِ مُخْتَبَلِ

وَالْعَنْكَبُوتُ أَجَادَتْ حَوْكَ حُلَّتِهَا ... فَمَا يُخَالُ خِلاَلَ النَّسْجِ مِنْ خَلَلِ

قَالُوا وَجَاءَتْ إِلَيْهِ سرحَةٌ سَتَرَتْ ... وَجْهَ النَّبِيِّ بِأَغْصَانٍ لَهَا هُدُلِ

وَفِي سُرَاقَةَ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... إِذْ سَاخَتِ الحَجَرُ فِي وَحْلٍ[7] بِلاَ وَحَلِ

عَرَجْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقِ إِلَى ... مَقَام زُلْفَى كَرِيمٍ قُمْتَ فِيهِ عَلِي

---

(1) في : الدلل بإهمال الذال.

(2) في ع.و.ن.و.ج: حال وحينئذ نقرا عطل بكسر الطاء

(3) في ع.و.ر.و.م: حي

(4) في ع: نحل وفي م : محل

(5) في ع.و.م وفي ر: شكر وشكري الضرع ممتلئة لبنا.

(6) في م : فدرت.

(7) في ر: رجل والحجر بكسر الحاء: انثى الخيل.

عَنْ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى هَبَطْتَ وَلَمْ ... تَسْتَكْمِلِ اللَّيْلَ بَيْنَ المَرِ وَ الْقَفَلِ

دَعَوْتَ لِلْخَلْقِ عَامَ المَحْلِ مُبْتَهِلاً ... أَفْدِيكَ بِالْخَلْقِ(1) مِنْ دَاعٍ وَمُبْتَهِلِ

صَعِدتَ كَفَّيْكَ إِذْ كَفَّ الْغَمَامُ فَمَا ... صَوَّبْتَ إِلاَّ بِصَوْبِ الْوَاكِفِ الْهَطِلِ

أَرَاقَ بِالأَرْضِ ثَجّاً صَوْبَ رَيِّقِهِ ... فَحَلَّ بِالرَّوْضِ نَسْجاً رَائِقَ الْحُلَلِ

زَهْرٌ مِنَ النُّورِ حَلَّتْ رَوْضَ أَرْضِهِمْ ... زَهْرًا مِنَ النُّورِ ضَافِي النَّبْتِ مُكْتَهِلِ

مِنْ كُلِّ غُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ ... وَكُلِّ نَوْرٍ نَضِيدٍ مُونِقٍ خَضِلِ

تَحِيَّةٌ أَحْيَتِ الأَحْيَاءَ مِنْ مَضَرٍ ... بَعْدَ الْمَضَرَّةِ تَرْوِي السُّبْلَ بِالسَّيْلِ(2)

دَامَتْ عَلَى الأَرْضِ سَبْعاً غَيْرَ مُقْلِعَةٍ(3) ... لَوْلاَ دُعَاؤُكَ بِالإِقْلاَعِ لَمْ تَزُلِ

وَيَوْمَ زَوْرِكَ بِالزَّوْرَاءِ(4) إِذْ صَدَرُوا ... مِنْ يُمْنِ كَفِّكَ عَنْ أُعْجُوبَةٍ مَثَلِ

وَالْمَاءُ يَنْبُعُ جَوْداً مِنْ أَنَامِلِهَا ... وَسْطَ الإِنَاءِ بِلاَ نَهْرٍ(5) وَلاَ وَشَلِ

حَتَّى تَوَضَّأَ مِنْهُ الْقَوْمَ وَاغْتَرَفُوا ... وَهُمْ ثَلاَثُ مِئِينَ جَمْعُ مُحْتَفَلِ

أَشْبَعْتَ بِالصَّدْعِ أَلْفاً مُرْمِلِينَ كَمَا ... رَوَّيْتَ أَلْفاً وَنِصْفَ الأَلْفِ مِنْ سَمَلِ(6)

وَعَادَ مَا شَبِعَ الأَلْفُ الْجِيَاعُ بِهِ ... كَمَا بَدَوْا فِيهِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَحُلِ

أَعْجَزْتَ بِالْوَحْيِ أَرْبَابَ الْبَلاَغَةِ فِي ... عَصْرِ الْبَيَانِ فَضَلَّتْ أَوْجُهُ الْحِيَلِ

سَأَلْتَهُمْ سُورَةً فِي مِثْلِ حِكْمَتِهِ ... فَتَلَّهُمْ عَنْهُ حِينَ الْعَجْزِ حِينَ تُلِي

فَرَامَ رِجْسٌ كَذُوبٌ أَنْ يُعَارِضَهُ ... بِسَخْفِ إِفْكٍ فَلَمْ(7) يَحْسُنْ وَلَمْ يُطِلِ

مُشْبِعٌ بِرَكِيكِ الإِفْكِ مُلْتَبِسٌ ... مُلَجْلَجٌ بِزَرِّي(8) الزُّورِ وَالْخَطَلِ

---

(1) في خ: للحق

(2) في م.ر.ن.و.ج: بالسبل بفتح الباي وهو المطر.

(3) في ر: مغلقة.

(4) الزوراء المذكورة همنا موضع بالمدينة وهو في حديث انس عن هذه المعجزة كما في الصحيحين رأيت رسول الله وهو بالزوراء. وحانت العصر: الحديث.

(5) في ر: ولا نهر.

(6) السمل بقية الماء في الإناء.

(7) في ع: لم وهو كذلك لا يتزن، وفي م ر ن بعي عي مكان بسخف افك

(8) في ر : بردي

يَمُجُّ أَوَّلَ حَرْفٍ سَمْعُ سَامِعِهِ … وَيَعْتَرِيهِ كَلاَلُ[1] الْعَجْزِ وَالْمَلَلِ

كَأَنَّهُ مَنطِقُ الْوَرْهَاءِ شَذَّ بِهِ … لَبْسٌ مِنَ الْخَبْلِ[2] أَوْ مَسٌّ مِنَ الْخَبَلِ

أَمرتَ الْبِيرَ بَلْ غَارَتْ لِمَجَّتِهِ[3] … فِيهَا وَأَعْمَى بَصِيرَ الْعَيْنِ بِالثُّفَلِ

وَأَيْبَسَ الضَّرْعَ مِنْهُ شُؤْمُ رَاحَتِهِ … مِنْ بَعْدِ إِرْسَالِ رِسْلٍ مِنْهُ مُنْهَمِلِ

بَرِئْتَ مِنْ دِينِ قَوْمٍ لاَ قِوَامَ لَهُمْ[4] … عُقُولُهُمْ مِنْ وِثَاقِ الْغَيِّ فِي عُقَلِ

يَسْتَخْبِرُونَ خَفِيَ الْغَيْبِ مِنْ حَجَرٍ … صَلْدٍ، وَيَرْجُونَ غَوْثَ النَّصْرِ مِنْ هُبَلِ

نَالُوا أَذًى مِنْكَ لَوْلاَ حِلْمُ خَالِقِهِمْ … وَحُجَّةُ اللَّهِ بِالأَعْذَارِ لَمْ تُنَلِ

وَاسْتَضْعَفُوا أَهْلَ دِينِ اللهِ فَاصْطَبَرُوا … لِكُلِّ مُعْضِلِ خَطْبٍ فَادِحٍ جَلَلِ

لاَقَى بِلاَلٌ بَلاَءً مِنْ أُمَيَّةَ قَدْ … أَحَلَّهُ الصَّبْرُ فِيهِ أَكْرَمَ النُّزُلِ[5]

إِذْ أَجْهَدُوهُ بِضَنْكِ الأَسْرِ وَهْوَ عَلَى … شَدَائِدِ الأَزْرِ[6] ثَبْتُ الأَزْرِ لَمْ يَزَلِ

أَلْقَوْهُ بَطْحاً بِرَمْضَاءِ الْبِطَاحِ وَقَدْ … عَالُوا عَلَيْهِ صُخُورًا جَمَّةَ الثِّقَلِ

يُوَحِّدُ اللهَ[7] إِخْلاَصاً وَقَدْ ظَهَرَتْ … بِظَهْرِهِ كَنُدُوبِ الطَّلِّ فِي الطَّلَلِ

إِنْ قُدَّ ظَهْرُ وَلِيِّ اللَّهِ مِنْ دُبُرٍ … قَدْ قُدَّ قَلْبُ عَدُوِّ اللهِ[8] مِنْ قُبُلِ

نَفَرْتَ فِي نَفَرٍ لَمْ تَرْضَ أَنْفُسُهُمْ … إِذْ نَافَرُوا الرِّجْسَ إِلاَّ الْقُدْسَ مِنْ نَفَلِ

بِأَنْفُسٍ بُذِّلَتْ فِي الْخُلْدِ إِذْ بَذَلَتْ … عَنْ صِدْقِ بَذْلٍ بِبَدْرٍ أَكْرَمَ الْبَدَلِ

مِنْ كُلِّ مُهْتَصِرٍ لِلَّهِ مُنْتَصِرٍ … بِالْبِيضِ مُخْتَصِرٍ بِالسُّمْرِ مُعْتَقِلِ

يَمْشِي إِلَى الْمَوْتِ[9] عَالِي الْكَعْبِ مُعْتَقِلاً … أَظْمَى الْكُعُوبِ كَمَشْيِ الْكَاعِبِ الْفُضُلِ

---

(1) في م : كلام العجز

(2) في خ: الخبل بالمهملة والخبل بالسكون الفساد وبالفتح الجن

(3) في ن : واغورت لمجته.

(4) في طرة خ: إشارة إلى نسخة اخرى فيها : له، وهي انسب وفي ج بريت مكان برئت. وفي ن غلل مكان عقل.

(5) في م: اكرم النول.

(6) الداهية والأمر الشديد

(7) في م، و، ن: فوحد الله.

(8) يريد به امية بن خلف الذي كان يعذب بلالا بمكة فقتله بلال في بدر.

(9) في طرة خ: إشارة إلى نسخة فيها: إلى الحرب.

قَدْ قَاتَلُوا دُونَكَ الأَقْيَالَ عَنْ جَلَدٍ — وَجَالَدُوا بِجَلاَدِ الْبِيضِ وَالْجَدَلِ

وَصَلْتَهُمْ وَقَطَعْتَ الأَقْرَبِينَ مَعاً — فِي اللهِ لَوْلاَهُ لَمْ تَقْطَعْ وَلَمْ تَصِلِ

وَجَاءَ جِبْرِيلُ فِي جُنْدٍ لَهُ عَدَدٌ — لَمْ تَبْتَذِلْهَا أَكُفُّ الْخَلْقِ بِالْعَمَلِ

بِيضٌ مِنَ الْعَوْنِ لَمْ تُسْتَلَّ مِنْ غُمُدٍ — خَيْلٌ مِنَ الْكَوْنِ لَمْ تُسْتَنَّ فِي طِيَلِ

احْبِبْ بِخَيْلٍ مِنَ التَّكْوِينِ قَدْ جُنِبَتْ[1] — لِجَانِبٍ عَنْ جَنَابِ الْحَقِّ مُعْتَزِلِ

أَعْمَيْتَ جَيْشاً بِكَفٍّ مِنْ حَصَى فَجَنَوْا — وَعُقِلُوا عَنْ حِرَاكِ النَّقْلِ بِالنَّقَلِ[2]

وَدَعْوَةٍ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ صَادِقَةٍ — غَذَا أُمَيَّةُ مِنْهَا شَرُّ مُنْخَذِلِ[3]

غَادَرْتَ جَهْلَ أَبِي جَهْلٍ بِمَجْهَلَةٍ — وَشَابَ شَيْبَةَ قَبْلَ الْوَقْتِ[4] مِنْ وَجَلِ

وَعُتْبَةَ الشَّرِّ لَمْ يَعْتِبْ فَتَعْطِفُهُ — مِنْكَ الْعَوَاطِفُ قَبْلَ الْحِينِ فِي مَهَلِ

وَعُقْبَةَ الْغُمْرِ عُقْبَاهُ لِشِقْوَتِهِ — أَنْ ظَلَّ[5] مِنْ غَمَرَاتِ الْخِزْيِ فِي ظُلَلِ

وَكُلُّ أَشْوَسَ عَاتِي الْقَلْبِ مُنْقَلِبٌ — جَعَلْتَهُ بِقَلِيبِ الْبِئْرِ كَالْجُعَلِ

وَجَائِمٍ بِمَنَارِ النَّقْعِ مُشْتَغِلٌ — بِجَاحِمٍ مِنْ أُوَارِ الثُّكْلِ مُشْتَعِلِ

عَقَدْتَ بِالْخِزْيِ فِي عِطْفَيْ مُقَلَّدِهِ — طَوْقَ الْحَمَامَةِ بَاقٍ غَيْرَ مُنْتَقِلِ

أَمْسَى خَلِيلَ صَغَارٍ بَعْدَ نَخْوَتِهِ — بِالأَمْسِ فِي خُيَلاَءِ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ

دَامَ يُدِيمُ زَفِيراً فِي جَوَانِحِهِ — جُنْحٌ مِنَ الشَّكِّ لَمْ يَجْنَحْ وَلَمْ يَمِلِ

يُقَادُ فِي الْقَدِّ خَنْقاً مُشْرَباً حَنَقاً — يَمْشِي بِهِ الذُّعْرُ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ

أَوْصَالُهُ مِنْ صَلِيلِ الْغُلِّ فِي عِلَلٍ — وَقَلْبُهُ مِنْ غَلِيلِ الْغُلِّ فِي غُلَلِ

يَظَلُّ يَخْجَلُ سَاجِي الطَّرْفِ خَافِضَهُ — لِمِسْكَةِ الْحِجْلِ[6] لاَ مِنْ مِسْكَةِ الْخَجَلِ

---

(1) في ر: حببت

(2) النقل محركا صغار الحجارة.

(3) في غ: منخزل، والدعوة المشار إليها هي ما جاء في الصحيح من قوله ﷺ: اللهم عليك الملا من قريش وسمى نفرا منهم: ابا جهل وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فصرعوا كلهم في بدر.

(4) في ع: الموت وفي ن: الفوت.

(5) في ن: قد ظل والمراد بعقبة: ابن أبي معيط وهو الذي ألقى سلا الجزور على النبي عند سجوده فدعا عليه وعلى رفاقه.

(6) في م: من مسكة.

أَرَحْتَ بِالسَّيْفِ ظَهْرَ الأَرْضِ مِنْ نفر   ازَحْتَ بِالصِّدْقِ مِنْهُمْ كَاذِبَ العِلَلِ

تَرَكْتَ بِالْكُفْرِ صَدْعاً غَيْرَ مُلْتَئِمٍ   وَآبَ عَنْكَ بِقُرْحٍ غَيْرَ مُنْدَمِلِ

وَأَفْلَتَ السَّيْفُ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي أَسَفٍ   عَلَى الْحِمَامِ حَمَاهُ أَجَلُ الأَجَلِ

قَدْ اعْتَقَتْهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ وَهْوَ يَرَى   بِهِ إِلَى رِقِّ مَوْتٍ رِقَّةَ الْغَزَلِ

فَكَمْ بِبَكَّةَ مِنْ بَاكٍ وَبَاكِيَةٍ   بِفَيْضِ سَجْلٍ مِنَ الآمَاقِ مُنْسَجِلِ

وَكَاسِفِ الْبَالِ بَالِي الصَّبْرِ جُدْتُ لَهُ   بِوَابِلٍ مِنْ وَبَالِ الْخِزْيِ مُتَّصِلِ

فُؤَادُهُ مِنْ سَعِيرِ الْغَيْظِ غُلَلِ   وَعَيْنُهُ مِنْ غَزِيرِ الدَّمْعِ فِي غُلَلِ

قَدْ أَشْعَرَتْ مِنْهُ صَدْراً غَيْرَ مُضْطَبِرٍ   وَحُمِّلَتْ مِنْهُ صَبْراً غَيْرَ مُحْتَمَلِ

وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ أَشْرَفْتَ فِي أُمَمٍ   يَضِيقُ مِنْهَا فِجَاجُ الوَعْثِ وَالسَّهْلِ

خَوَافِقُ ضَاقَ ذَرْعُ الْخَافِقَيْنِ بِهَا   فِي قَاتِمٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ

وَجَحْفَلٍ قَذَفَ الأَرْجَاءِ ذِي[1] لَجَبٍ   عَرَمْرَمٍ كَزُهَاءِ السَّيْلِ مُنْسَجِلِ[2]

وَأَنْتَ صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ تَقْدُمُهُمْ   فِي بَهْوِ إِشْرَاقِ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ

يُنِيرُ فَوْقَ أَغَرِّ الْوَجْهِ مُنْتَجَبٍ[3]   مُتَوَّجٍ بِعَزِيزِ النَّصْرِ مُقْتَبَلِ

يَسْمُو[4] أَمَامَ جُنُودِ اللهِ مُرْتَدِياً   ثَوْبَ الْوَقَارِ لِأَمْرِ اللهِ مُمْتَثِلِ

خَشَعَتْ تَحْتَ بَهَاءِ[5] الْعِزِّ حِينَ سَمَتْ   بِكَ الْمَهَابَةَ فِعْلَ الْخَاضِعِ الْوَجِلِ

وَقَدْ تَبَاشَرَ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ بِمَا   مَلَكْتَ إِذْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الأَمَلِ

وَالأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ فَرَقٍ   وَالْجَوُّ يَزْهَرُ إِشْرَاقاً مِنَ الْجَذَلِ

وَالْخَيْلُ تَخْتَالُ زَهْواً فِي أَعِنَّتِهَا   وَالْعِيسُ تَنْثَالُ زَهْواً فِي ثِنَى الْجُدُلِ

لَوْلاَ الَّذِي خَطَّتِ الأَقْلاَمُ مِنْ قَدَرٍ   وَسَابِقٍ مِنْ قَضَاءٍ غَيْرِ ذِي حِوَلِ

اَهَلَّ تَهْلاَنُ بِالتَّهْلِيلِ مِنْ طَرَبٍ   وَذَابَ يَذْبُلُ تَهْلِيلاً مِنَ الذُّبَلِ

---

(1) في ر: في لجب

(2) في ع .و.م: الليل وفي العبدرية: النسيل منسحل، وهو تصحيف.

(3) في ر.ر.م: منتخب.

(4) في م.و.ن: تسمو

(5) في ن: تحت لواء العز.

المُلْكُ لله هَذَا عِزُّ مَنْ عَقَدَتْ ... لَهُ النُّبُوَّةُ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي الأَزَلِ

شَعَبْتَ صَدْعَ قُرَيْشٍ بَعْدَمَا قَذَفَتْ ... بِهِمْ شُعُوبُ شِعَابِ السَّهْلِ وَالْقُلَلِ

قَالُوا مُحَمَّدٌ قَدْ زَارَتْ كَتَائِبُهُ ... كَالأُسْدِ تَزْأَرُ فِي أَنْيَابِهَا الْعُصُلِ

فَوَيْلُ مَكَّةَ مِنْ آثَارِ وَطْأَتِهِ ... وَوَيْلُ أُمِّ قُرَيْشٍ مِنْ جَوَى الْهُبَلِ

فَجدتَ عَفْواً بِفَضْلِ الْعَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ ... تُلْمِمْ وَلاَ بِأَلِيمِ اللَّوْمِ وَالْعَذَلِ

أَضْرَبْتَ بِالصَّفْحِ صَفْحاً عَنْ طَوَائِلِهِمْ ... طَوْلاً أَطَالَ مَقِيلَ النَّوْمِ(1) فِي الْمُقَلِ

رَحِمْتَ وَاشِجَ أَرْحَامٍ أُتِيحَ لَهَا ... تَحْتَ الْوَشِيجِ نَسِيجُ الرَّوْعِ وَالْوَجَلِ(2)

عَاذُوا بِظِلِّ كَرِيمِ الْعَفْوِ ذِي لَطَفٍ ... مُبَارَكِ الْوَجْهِ بِالتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلِ

أَزْكَى الْخَلِيقَةِ أَخْلاَقاً وَأَطْهَرُهَا ... وَأَكْرَمُ النَّاسِ صَفْحاً عَنْ ذَوِي الزَّلَلِ

زَانَ الْخُشُوعَ وَقَارٌ مِنْهُ فِي خَفَرٍ ... أَرَقَّ مِنْ خَفَرِ الْعَذْرَاءِ فِي الْكِلَلِ

وَطُفْتَ بِالْبَيْتِ مَحْبُوراً وَطَافَ بِهِ ... مَنْ كَانَ عَنْهُ قُبَيْلَ الْفَتْحِ فِي شُغُلِ

وَالْكُفْرُ فِي ظُلُمَاتِ الْخِزْيِ مُرْتَكِسٌ ... ثَاوٍ بِمَنْزِلَةِ الْبَهْمُوتِ مِنْ زُحَلِ

حَجِزْتَ بِالأَمْنِ أَقْطَارَ الْحِجَازِ مَعاً ... وَمِلْتَ بِالْخَوْفِ عَنْ خَيْفٍ وَعَنْ مَلَلِ

وَحَلَّ أَمْنٌ وَيُمْنٌ مِنْكَ فِي يَمَنٍ ... لَمَّا أَجَابَتْ إِلَى الإِيمَانِ عَنْ عَجَلِ

وَأَصْبَحَ الدِّينُ قَدْ حُفَّتْ جَوَانِبُهُ ... بِعِزَّةِ النَّصْرِ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمِلَلِ

قَدْ طَاعَ مُنْحَرِفٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَرِفٍ ... وَانْقَادَ مُنْعَدِلٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَدِلِ

أَحْبِبْ بِخُلَّةِ أَهْلِ الْحَقِّ فِي الْخُلَلِ(3) ... وَعِزُّ دَوْلَتِهِ الْغَرَّاءِ فِي الدُّوَلِ

أَمَّ الْيَمَامَةَ يَوْمٌ مِنْهُ مُصْطَلِمٌ ... وَحَلَّ بِالشَّامِ شُؤْمٌ غَيْرُ مُرْتَحِلِ

تُعَرِّقَتْ مِنْهُ أَعْرَاقُ الْعِرَاقِ وَلَمْ ... يَتْرُكْ مِنَ التُّرْكِ عَظْمٌ غَيْرَ مُنْتَثِلِ(4)

لَمْ يَبْقَ لِلْفُرْسِ لَيْثٌ غَيْرُ مُفْتَرَسٍ ... وَلاَ مِنَ الْحُبْشِ جَيْشٌ غَيْرُ مُنْجَفِلِ

وَلاَ مِنَ الصِّينِ صَوْنٌ غَيْرَ مُبْتَذَلٍ ... وَلاَ مِنَ الرُّومِ مَرْمَى غَيْرُ مُنْتَضِلِ

---

(1) في ن : القوم.

(2) في ع : والحجل

(3) في ر. و.م، خلل

(4) في ر : منتشث

وَلاَ مِنَ النُّوبِ جِذم[1] غَيْرُ مُنْجَذِمِ[2]   وَلاَ مِنَ الـزَّنْجِ جِـذْلٌ غَيْرُ مُنْجَدِلِ

وَنِيلَ بِالسَّيْفِ سَيْفُ النِّيلِ وَاتَّصَلَتْ   دَعْـوَى الْجُنُودِ فَكُلٌّ بِالْجِلاَدِ صَلِي

وَسُلَّ بِالْغَرْبِ غَرْبُ السَّيْفِ إِذْ شَرِقَتْ   بِالشَّرْقِ قَبْلَ صُدُورِ الْبِيضِ وَالْأَسَـلِ

وَعَــادَ كُــلُّ عَــدُوٌّ عَــزَّ جَــانِبَهُ   قَدْ عَاذَ مِنْكَ بِبَذْلِ غَيْرِ مُبْتَذِلِ[3]

بِــذِمَّــةِ اللهِ وَالْإِيــمَــانِ مُتَّـصِلٌ   أَوْ من شَبَا النَّصْلِ بِالْآمَالِ مُنْتَصِلِ

يَا صَفْوَةَ الْخَلْقِ قَدْ أَصْفَيْتَ فِيكَ صَفَا   صَفْوَ الْـوِدَادِ بِلاَ شَـوْبٍ وَلاَ دَخَلِ

أَلَسْتَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ   مِنَ الْبَـرِيَّـةِ فَـوْقَ السَّهْلِ وَالْجَـبَلِ

وَأَزْلَــفَ الْخَـلْقِ عِـنْدَ اللهِ مَنْـزِلَةً   إِذْ قِيلَ فِي مَشْهَدِ الْإِشْهَادِ وَالرُّسُلِ

قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَاشْفَعْ فِي الْعِبَادِ وَقُلْ   تَسْـمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ عَائِداً وَسَلِ

وَالْكَوْثَرِ الْحَوْضُ يُرْوِي النَّاسَ مِنْ ظَمَأٍ   بَــرْحٍ وَيُنْقَــعُ مِــنْهُ لاَفِـحُ الْغُـلَلِ

أَصْفَى مِنَ الثَّلْجِ إِشْـرَاقاً مَذَاقَتُهُ   أَحْلَى مِنَ اللَّبَنِ الْمَضْرُوبِ بِالْعَسَلِ

نَحَلْتُكَ الْـوُدَّ عَلَيَّ إِذْ نَحَـلْتُكُهُ   أَحْبَى بِحُبِّكَ مِنْهُ[4] أَفْضَلَ النِّحَلِ

فَمَا لِجِلْدِي بِنُضْجِ النَّارِ مِنْ جَلَدٍ   وَلاَ لِقَلْبِي بِهَوْلِ الْحَشْرِ مِنْ قِبَلِ

يَا خَالِقَ الْخَلْقِ لاَ تَخْلُقْ بِمَا اجْتَرَمَتْ   يَدَايَ وَجْهِيَ مِنْ حُوبٍ وَمِنْ زَلَلِ

وَاصْحَبْ وَصَلْ وَوَاصِلْ كُلَّ صَالِحَةٍ   عَلَى صَفِيِّكَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْأُصُلِ

صَلِّي عَلَيْهِ صَـلاَةً لاَ انْقِطَاعَ لَهَا   عَدَدَ الْحَصَى وَعَدِيدَ الرَّمْلِ ثُمَّ صَلِ

وَاحْفَظْ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي حُسْنَ خِلَّةٍ   وَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ عَبْدَ اللهِ وَابْـنَ عَلِيّ

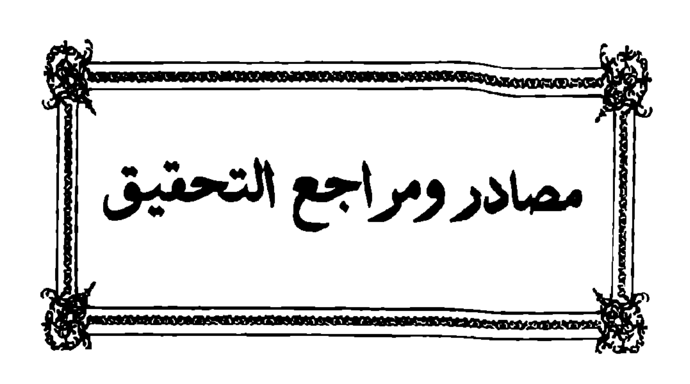
---

(1) في ر: جزم وهو تصحيف

(2) في ر: منجزم

(3) في ر: بكل منه مبتذل ولا يظهر لها معنى

(4) في ج: منك


مصادر ومراجع التحقيق

1- القرآن الكريم: المصحف الحسني، مطبعة فضالة، المحمدية، 1395هـ.

*** إبراهيم مصطفى وآخرون:**

2- المعجم الوسيط: المكتبة العلمية بطهران، بلا تاريخ.

*** إبراهيم حـركات:**

3- المغرب عبر التاريخ جزء1، دار الرشاد، الدار البيضاء 1984

4- السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد، الدار البيضاء 1987.

5- التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين قبل الحماية، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1994.

*** ابن تجـلات:**

6- اثمد العينين، حققه محمد رابطة الدين ونال به دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 86.

***ابن حجر العسقلاني:**

7- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، رقم أبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب المكتبة السلفية، بلا تاريخ.

8- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر 76.

9- تهذيب التهذيب، الهند، 1327هـ

* ابن حوقل :

10- صورة الأرض مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ.

* ابن سعد :

11- طبقات ابن سعد، دار صادر، بلا تاريخ.

* ابن سعيد المغربي :

12- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثانية، بلا تاريخ.

13- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي المكتب التجاري بيروت، الطبعة الأولى 1970.

14- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد زنبير وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الأولى 85.

15- البيان، الجزء الثالث، تحقيق ليفي بروفينصال، دار الثقافة، بيروت، بلا تاريخ.

* ابن فرحون :

16- الديباج المذهب، القاهرة 72.

* ابن قتيبة :

17- عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925. تحقيق شاكر، دار المعارف مصر.

18- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة 1364هـ.

* ابن مـريم :

19– البستان، طبعة الجزائر 1908 .

* ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر :

20– طبقات الأولياء تحقيق نور الدين شريبة، دار المعرفة، الطبعة الثانية 86 بيروت .

* ابن النديم :

21– الفهرست لابن النديم تقديم أحد أساتذة الجامعة المصرية دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ .

* ابن هشام :

22– السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السفى وآخرون، مصر 1337 .

* أحمد أمين :

23– فجر الإسلام، مكتبة النهضة، المصرية، القاهرة 1965 .

* أحمد بابا التبكتي :

24– نيل الابتهاج (على هامش الديباج) طبعة بيروت، بلا تاريخ .

* أحمد بن حنبل :

25–مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة 1949 .

* أحمد بن القاضي المكناسي :

26– جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 74 .

* **أحمد بن علي الخطيب البغدادي:**

27- تاريخ بغداد دار الفكر، بلا تاريخ.

* **أحمد بن عبد الله الخزراجي:**

28-خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال مصر. . .1323 هـ.

* **أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي:**

29- تاريخ الثقات خرج حديثه عبد المعطف العجلي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 84.

* **أحمد بن محمد بن عجيبة:**

30- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مطبعة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الثالثة 82.

* **أحمد بن محمد المقري التلمساني:**

31- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ.

32- أزهار الرياض في أخبار عياض: اللجنة المشتركة بين المغرب والإمارات العربية المتحدة، الرباط، 78.

33- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس، المطبعة الملكية،الطبعة الثانية الرباط 1983.

* **أحمد بن يحيى الضبي:**

34- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس المكتبة الأندلسية، دار الكتاب العربي 1968.

* أحمد بوشارب:

35– دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور، دار الثقافة، الدار البيضاء 84.

* أحمد التوفيق:

36– مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: اينولتان 1850–1912، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، أطروحات ورسائل، مطبعة دار النشر المغربية 1978.

* أحمد الونشريسي:

37– الألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، الرباط 76.

* أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفهري:

38 – مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن، دراسة وتحقيق محمد بن حمزة بن علي الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2003.

* أبو اسحاق أحمد محمد بن ابراهيم النيسابوري:

39– قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، دار إحياء الكتب العربي، بلا تاريخ.

* أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى البيدق:

40– أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية، دار المنصور للطباعة، الرباط 71.

41– المقتبس من كتاب الأنساب، دار المنصور، الرباط.

* أبو بكر محمد بن خير:

42- فهرست أبي خير، نسخ وطبع ومقابلة ندارة زيد بن وخليان ربارة، مؤسسة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 63.

* أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي:

43- كتاب رياض النفوس في طبقات علماء افريقية، تحقيق بشير الكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.

* أبو محمد بن عبد الله ابن العربي م 543هـ:

44- أحكام القرآن تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بلا تاريخ.

45- الناسخ والمنسوخ، تحقيق عبد الكبير العلوي المدغري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 88.

* أبو حاتم محمد بن حبان البستي:

46- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 77.

* أبو حامد الغزالي :

47- كتاب احياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.

* أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي:

48- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق أحمد عبد العزيز، دار الكتاب العلمية، الطبعة الأولى، بلا تاريخ.

* أبو بكر بن أبي الدنيا بن محمد المالكي:

49- كتاب التوكل على الله، تحقيق جاسم الفهيد، دار النشر

الإسلامية، ط الأولى، 1987، بيروت.

* أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري:

50- أسباب النزول، تحقيق الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية 88.

* أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الهجويري:

51- كشف المحجوب، دراسة وترجمة اسعاد عبد الهادي فنديل، دار النهضة العربية، بيروت، 80.

* أبو الحسن علي بن عمر بن احمد الدارقطني:

52- ذكر أسماء التابعين، تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1985.

* أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي:

53- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر الطبعة الثانية 48.

* أبو داود سلمان بن الاشعث:

54- سنن أبي داود، مراجعة محيي الدين عبد الحميد دار الفكر، بلا تاريخ.

55- رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة، تحقيق ليفي بروفنصال، الرباط 1941.

* أبو زيد عبد الرحمن الدباغ:

56- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق أبو النور، الطبعة الثانية تونس بلا تاريخ.

* أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني :

57- الأنساب، تقديم وتحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت 1988 .

* أبو سليمان الخطابي البستي :

58- العزلة : مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة 1989

* أبو طالب المكي :

59- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، بلا تاريخ .

* أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي :

60- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس مصر 51، الطبعة الثانية .

* أبو الطيب المتنبي :

61- ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ضبطه وصححه مصطفى السقاء وآخرون، دار المعرفة، بيروت 78 .

* أبو العباس أحمد بن عبد الله التادلي :

62- المعزي في مناقب أبي يعزى مخطوط الخزانة الحسنية رقم 517 .

* أبو العباس احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني :

63- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية تحقيق عادل نويهض، لجنة التاليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 69 .

*** أبو العباس احمد بن خالد الناصري:**

64- الاستقصا لأخيار المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء 54.

*** أبو العباس احمد الخطيب الشهير بابن قنفذ:**

65- أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح محمد الفاسي وآدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، بالرباط، 65.

66- كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق، بيروت، ط الرابعة، 83.

*** أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي:**

67- المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما بينها من البلاد، دراسة وتحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان.

*** أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان:**

68- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت 77.

*** أبو العباس العزفي:**

69- دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب الرباط 1989.

*** أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد:**

70- الكامل مراجعة لجنة من المحققين ، مكتبة المعارف، بيروت، بلا تاريخ.

* أبو عبد الرحمن السلمي:

71- طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة 86.

* أبو عبد الله بن عمر الواقدي:

72- فتوح الشام، دار الجيل، بلا تاريخ.

* أبو عبد الله بن محمد العبدري:

73- رحلة العبدري، تحقيق محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي الرابط 68.

* أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي:

74- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 88.

* أبو عبد الله بن يزيد القرويني ابن ماجة:

75- سنن ابن ماجة، تحقيق محمود فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

* أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالشريف الإدريس:

76- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 89.

* أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي:

77- الجامع لحكام القرآن، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1967.

* أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي:

78- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق الحسن اليعقوبي، المكتبة العتيقة، تونس 1998.

* أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي:

79- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى 63.

80- المعين في طبقات المحدثين، تحقيق محمد زنهم دار الصحوة الطبعة الأولى 88.

* أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ:

81- البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر بيروت، بلا تاريخ.

* أبو عبد الله ياقوت الحموي:

82- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 77.

* أبو عبيد البكري:

83- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، أشرف علي طبعه ذي سنان، نشر مطبعة المثنى، بغداد بلا تاريخ.

84- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السفا، عالم الكتب، الطبعة الثالثة.

* أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة:

85- الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد

شاكر دار الكتب العامية، بيروت، بلا تاريخ.

*** أبو عمر احمد بن عبد ربه الأندلسي:**

86- كتاب العقد الفريد، شرح وضبط احمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 63.

*** أبو الفداء بن كثير:**

87- البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، طبعة 78.

88- تفسير القرآن العظيم، إشراف لجنة من العلماء، دار الأندلس، بيروت، بلا تاريخ.

*** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري:**

89- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

*** أبو القاسم عبد الكريم القشيري:**

90- الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطبعة حسان، القاهرة، بلا تاريخ.

*** أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي:**

91- تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل هامش تفسير الخازن، دار الفكر 79.

*** أبو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي:**

92- سنن الدارمي، دار الفكر، القاهرة 78.

*** أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي:**

93- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، بلا تاريخ.

*** أبو النعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني:**

94- حلية الأولياء وصفة الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1980.

*** أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف باب الزيات:**

95- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، نصوص ووثائق 1- 1984.

*** إسماعيل باشا البغدادي:**

96- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

*** الألباني:**

97- سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة المكتب الإسلامي، بلا تاريخ.

*** آنخل جنثالث بالنشا Angel Gonzalez Palencia:**

98- تاريخ الفكر الأندلسي، نقلة عن الإسبانية حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة، القاهرة، 1955.

*** البوصيري:**

99- ديوان البوصيري، تحقيق كامل كيلاني، القاهرة، بلا تاريخ.

* **تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي:**

100- طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة بيروت، بلا تاريخ.

* **ألفرد بل A. Bel:**

101- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

* **جرجي زيدان:**

102- العرب قبل الإسلام، مكتبة الحياة، بيروت 66.

* **جلال الدين السيوطي:**

103- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دون ذكر الطبع.

104- لباب النقول في أسباب النزول، هامش تنوير المقياس، مصر، الطبعة الثانية، 1951.

105- طبقات المفسرين مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 83.

106- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، دار الفكر.

107- طبقات الحفاظ، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 83.

* **جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور:**

108- لسان العرب، دار صادر، بلا تاريخ.

* الحسن بن محمد الوزان:

109– وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980.

* حسن الشرقاوي:

110– معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى القاهرة 1987.

* خير الدين الزركلي:

111– الاعلام، الطبعة الثالثة، بيروت، بلا تاريخ.

* زكرياء محمد القزويني:

112– آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بلا تاريخ.

* رينهارت دوزي:

113– المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة اكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد 71.

* سليمان بن داود الشهير بالطيالسي:

114– مسند ابي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت بلا تاريخ.

* السهروردي:

115– كتاب عوارف المعارف ملحق إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت، بلا تاريخ.

* الشافعي:

116– ديوان الشافعي، تحقيق الراعي، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.

* **شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان:**

117- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

* **شمس الدين بن محمد بن جابر الوادي آشي:**

118- برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

* **شهاب الدين أبي العباس عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي:**

119- معجم البلدان، دار صادر 1977.

* **الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد:**

120- بغية الملتمس، دار الكتاب العربي، 97.

* **الطاهر احمد الزاوي:**

121- ترتيب القاموس المحيط، دار الفكر، الطبعة الثانية، بلا تاريخ.

* **عـادل:**

122- معجم أعلام الجزائر، بيروت، بلا تاريخ.

* **العباس بن إبراهيم:**

123- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية بالرباط 1974.

* **عباس محمود العقاد:**

124- ابن الرومي حياته من شعره، كتاب الهلال، العدد 214، يناير 1969.

*** عبد الحميد عويش:**

125- دولة بني حماد، دار الشروق، الطبعة الأولى، 80.

*** عبد الحي بن العماد:**

126- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، الطبعة الأولى، 79.

*** عبد الرحيم الاستوي جمال الدين:**

127- طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 87.

*** عبد الرحمان بن خلدون:**

128- المقدمة: تحقيق علي عبد الواحد وافي، الطبعة الثالثة، بلا تاريخ.

129- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثالثة.

*** عبد السلام بن عبد القادر بن سودة:**

130- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1960.

*** عبد العزيز بن عبد الله:**

131- معلمة المدن والقبائل ملحق 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

*** عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي:**

132- الدارس في تاريخ المدارس بتحقيق جعفر حسني، مكتبة

الثقافة الدينية 88.

* عبد الله كنون:

133- النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتب اللبناني، الطبعة الثالثة، بيروت 1975.

* عبد الله بن الحسن النبهاني :

134- تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الخامسة 83.

* عبد الله بن المبارك المزوزي :

135- كتاب الزهد تحقيق، حبيب الرحمن، دار الكتب، بلا تاريخ.

* عبد اللطيف الشاذلي :

136- التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، سلسلة أطروحات ورسائل، سلا 1989.

* عبد المالك الثعالبي:

137- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد مميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 82.

* عبد المنعم:

138- معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى 1980.

* عبد الرحمن بدوي:

139- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى 1975.

* عبد الوهاب بن منصور:

140- قبائل المغرب الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط 94.

* عبد الوهاب النجار:

141- قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة 86.

* عبد الوهاب بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني:

142- الطبقات الكبرى المسماة لمواقح الأنوار في طبقات الأخيار، دار الفكر بلا تاريخ.

* عز الدين بن الأثير:

143- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بلا تاريخ.

* علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن:

144- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر 79.

* علاء الدين بن علي:

145- كنز العمال في السنن والأقوال والأفعال، ضبطه وفهرس غريبه بكري حياتي وصفوة السفا، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1986.

* علي بن أبي زرع الفاسي:

146- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 73.

* علي بن أبي طالب:

147- نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.

* علي بن محمد الجرجاني:

148- كتاب التعريف، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1983.

* علي بن احمد الداودي:

149- طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 83.

* علي سامي النشار:

150- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، الطبعة السابعة 77.

* كمال الدين عبد الرزاق القاشاني:

151- اصطلاحات الصوفية، تحقيق محمد كمال إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.

* علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي:

152- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة 73.

* عماد الدين الأموي:

153- حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، هامش قوت القلوب لأبي طالب المكي، دار صادر، بلا تاريخ.

* **فؤاد سزكين:**

154– تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية، محمود فهمي مجازي وفهمي أبو الفضل الهيئة المصرية العامة للكتاب 77.

* **القاسم بن يوسف التجيبي السبتي:**

155– برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 81.

* **القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي:**

156– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

157– فهرس يبن عطية، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة 83.

* **القاضي عياض:**

158– ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

159–الغنية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1807د.

* **لسان الدين بن الخطيب:**

160– نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء بلا تاريخ.

161– روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق محمد الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء.

* **محمد بن احمد العبدي الكانوني:**

162- آسفي وما إليه قديما وحديثا، المكتبة التجارية بمصر 1353هـ

163- جواهل الكمال، المطبعة العربية، بالدار البيضاء 1356هـ.

* **محمد بن جرير الطبري:**

164- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.

165- جامع البيان، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة 78.

* **محمد بن جعفر الكتاني:**

166- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني- حمزة بن محمد الكتاني - محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2004.

* **محمد بن عبد البر النمري:**

167- الاستيعاب في أسماء الأصحاب (على هامش الإصابة) دار الفكر 78.

* **محمد بن عبد الرحمن السخاوي:**

168- المقاصد الحسنية بيان كثير من الأحاديث المستهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 85.

* **محمد عبد الرؤوف المناوي:**

169- فيض القدير بشرح الجامع الصغير، دار الكتاب، بلا تاريخ.

* محمد بن الطاهر بن علي ابن القيسراني:

170- الجمع بين رجال الصحيحين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1405هـ

* محمد بن فرحون:

171- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ

* محمد بن عبد المنعم الحميري:

172- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان الطبعة، الثانية 84.

* محمد بن علي بن احمد الداودي:

173- طبقات المفسرين مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العامية 83.

* محمد بن علي الشوكاني:

174- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبدالرحمن ابن يحيى اليماني المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1392هـ

* محمد بن محمد الأندلسي السراج:

175- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر 70.

* محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي:

176- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن،

تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984.

*** محمد بن محمد المخلوف :**

177– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، بلا تاريخ.

*** محمد بن السيد درويش :**

178– أسنى المطالب، المكتبة الأدبية، حلب، بلا تاريخ.

*** محمد بن عمر البغدادي المعروف بابن شطى :**

179– مختصر طبقات الحنابلة، دراسة موار أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

*** محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي :**

180– تفسير البحر المحيط، دار الفكر، الطبعة الثانية، 83.

*** محمد بن يوسف الكاندهلوي :**

181– حياة الصحابة، تحقيق نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم، الطبعة السادسة، بلا تاريخ

*** محي الدين بن محمد بن علي الطعمي :**

182– معجم كرامات الصحابة، دار ابن زيدون، بيروت، بلا تاريخ.

*** مجهول :**

183– كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعيد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 85.

* محمد حجي:

184- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ (2) 1976.

* مسلم بن الحجاج بن مسلم:

185- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

* مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة:

186- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

* محمد المنوني:

187- ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأطلسي 79.

* المنذري:

188- الترغيب والترهيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 68.

* يوسف بن اسماعيل النبهاني:

189- جامع كرامات الأولياء، تحقيق، إبراهيم اعطره عوض، المكتبة الشعبية، بيروت، بلا تاريخ.

* يوسف بن تعزي بردي:

190- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد، الهيئة العامة للكتاب 72.

* يوسف الشباخ:

191- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية القاهرة 1958 .

مــراجع باللغة الأجــنبية

E. Dufpureq

1- La question de ceuta au XIII s H1955, 1er et 2 T ; T : 67.

Jean Michel-Lessard :

2- Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au XI s d'après El BAAKRI Hesp, 1934 T19

Louis Massignon :

3- Essai sur les origines du lexique Technique de la mystique musulmane, Paris, 1954.

4- Le Maroc dans les premières années du XVI siècle, tableau géographique d'après Léon l'africain, Alger 1921.

V.Loubignac :

5- Un saint Berbère, Moulay Bouaza , Histoire et légende, Hesp TI année 44 P :15.

Emile Dermenghem :

6- Le culte des saint dans l'islam maghrébin, E. Gallimand 1954.

Bel (A) :

7- La religion Musulmane en Berbérie, Esquisse d'histoire et de sociologie religieuse, Paris, 1938.

R. Brunschvicg

8- La Bérbérie orientale sous les Hafaides des origines à la fin du XVe siècle, Paris 1940.

Dozy (R)

9- Supplément aux Dictionnaires arabes V.12, Paris 1927

10- dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes. Amesterdam, 1843.

Berque (Jacques)

11-Etudes d'histoire rurale maghrébine, Edition –Tanger- Fés 1988.

Colin (Gerges)

12- La zaouïa mérinide d'Anémia à Taza, Hespéris, 1953.

Du pont octane et coppolani (Xavier)

13- les Confréries religieuses musulmanes, Alger, 1879.

Pacson (Paul)

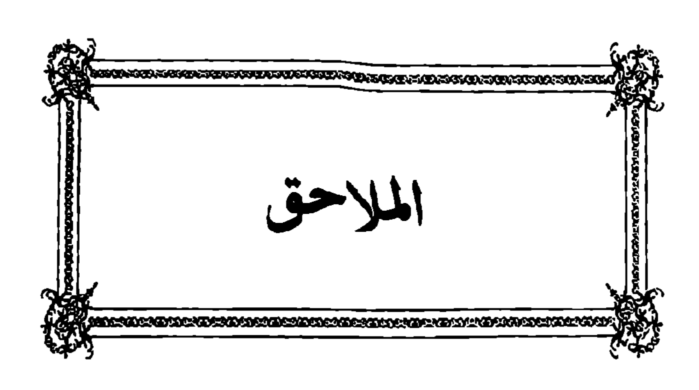
14- le Haouz de Marrakech, Rabat, 1977.

Montagne (Robert)

15- Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Paris 1930.

Bruno Halff. Le Mahasin – Al – Maga Alis

16- D'Ibn Al' Arif et l'œuvre du Soufi Hanbalite Al Ansari R.R.I : T XXXIX fase II, P : 32.

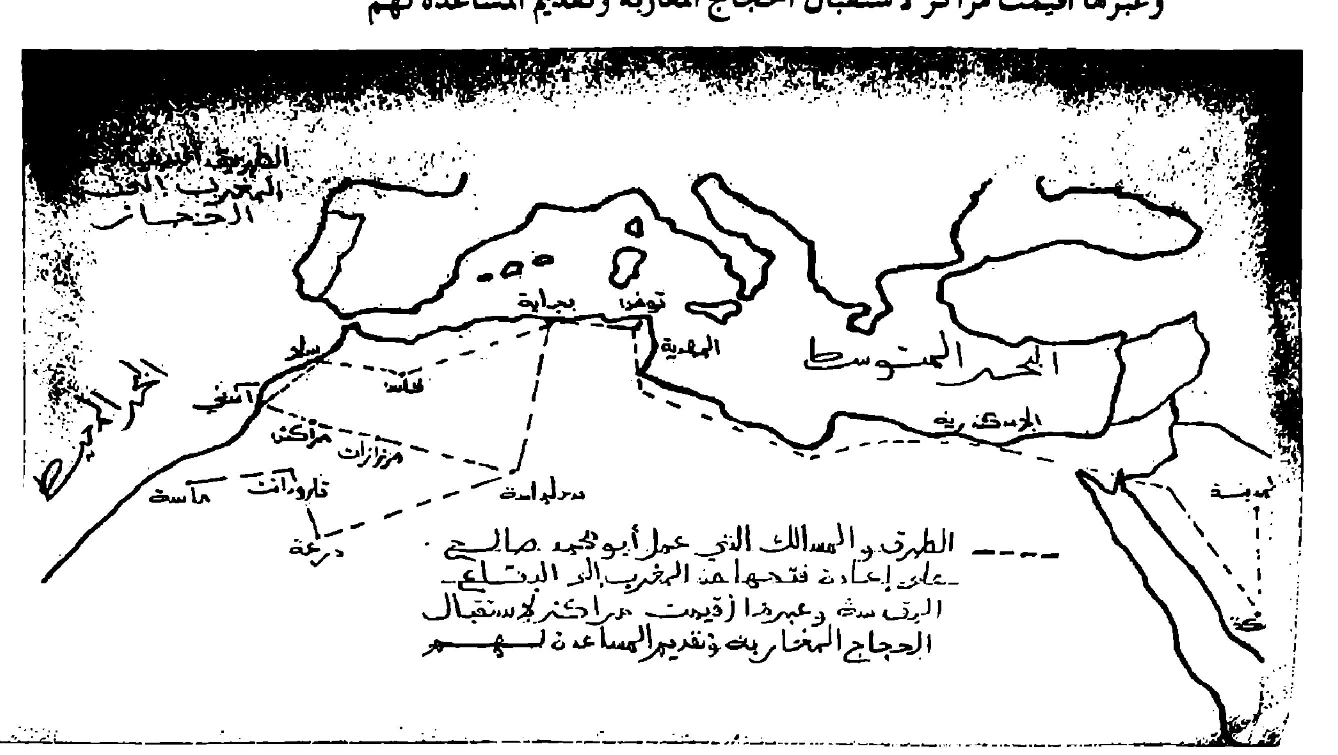


الملاحق

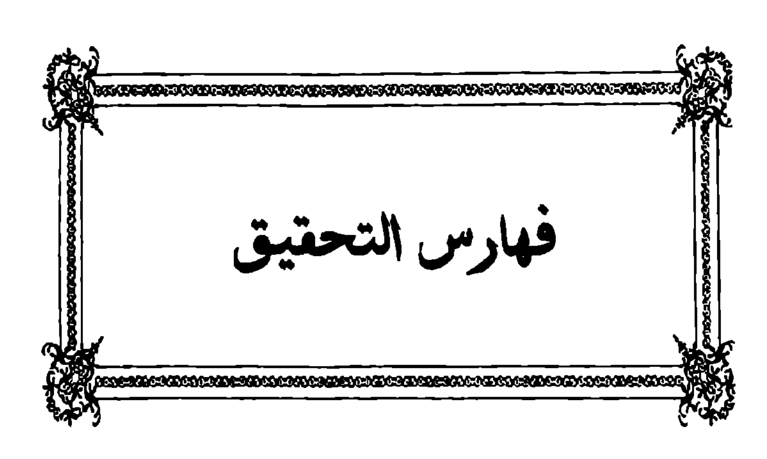
الظهائر المرينية

مصوّر من كناش الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني، وهي في حوزة الأستاذ سيدي محمد المنوني.

الطرق والمسالك التي عمل أبو محمد صالح على إعادة فتحها من المغرب إلى البقاع المقدسة وعبرها أقيمت مراكز لاستقبال الحجاج المغاربة وتقديم المساعدة لهم



مقياس الرسم سنم 1 لكل 100 كلم



فهارس التحقيق

فهرس الآيات القرآنية

﴿والله يختص...﴾	البقرة	105	456
﴿ولله المشرق والمغرب﴾	البقرة	115	480
﴿لا تأكلوا أموالكم﴾	البقرة	188	494
﴿لا تقولوا راعِنا...﴾	البقرة	104	497
﴿للفقراء اللذين﴾	البقرة	273	599
﴿وضُربت عليهم﴾	البقرة	42	600
﴿وعلى الذين﴾	البقرة	184	631
﴿وأتموا الحج﴾	البقرة	196	631
﴿فمن شهد منكم...﴾	البقرة	185	632
﴿لا يكلف الله﴾	البقرة	286	289
﴿وما اختلف الذين...﴾	آل عمران	19	104
﴿ولا تكونوا كالذين﴾	آل عمران	105	107
﴿ومن يعتصم بالله...﴾	آل عمران	101	129
﴿لتبيننه للناس...﴾	آل عمران	187	160
﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾	آل عمران	152	178

﴿إن أول بيت﴾	آل عمران	97-96	632
﴿ولله على الناس﴾	آل عمران	97	630
﴿ومن كفر﴾	آل عمران	97	634
﴿من استطاع﴾	آل عمران	97	644
﴿ولو كان من عند غير الله...﴾	النساء	82	108
﴿فإن تنازعتم في شيء ...﴾	النساء	59	108
﴿يريد الله ليبين لكم﴾	النساء	26	185
﴿قل وربك لا يومنون...﴾	النساء	65	186
﴿أن تجتنبوا كبائر﴾	النساء	31	223
﴿لا يحب الله الجهر﴾	النساء	148	396
﴿اذكروا الله قياما...﴾	النساء	103	406
﴿إن الذين يأكلون...﴾	النساء	10	539
﴿فجزاؤهم جهنم﴾	النساء	72	635
﴿ولو أنهم إذ ظلموا﴾	النساء	64	657
﴿إنما يتقبل الله...﴾	المائدة	27	218

﴿قل فمن يملك من الله....﴾	المائدة	17	227
﴿جعل الله الكعبة...﴾	المائدة	97	348
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا..﴾	المائدة	2	349
﴿إن تعذبهم فإنهم﴾	المائدة	118	422
﴿إن الذين فرقوا دينهم...﴾	الأنعام	159	105-99
﴿أو يلبسكم أهواء...﴾	الأنعام	65	109
﴿وكذلك نفصل الآيات....﴾	الأنعام	55	120
﴿وان تطع أكثر من في الأرض﴾	الأنعام	116	129
﴿أولائك الذين هدى الله...﴾	الأنعام	90	185
﴿أولئك لهم الأمن...﴾	الأنعام	82	228
﴿فإنهم لا يكذبون...﴾	الأنعام	33	295
﴿وعنده مفاتح الغيب﴾	الأنعام	59	448
﴿قوله الحق﴾	الأنعام	73	449
﴿ولا تسبوا الذين﴾	الأنعام	108	497
﴿لانذركم به﴾	الأنعام	19	403

﴿عالم الغيب والشهادة﴾	الأنعام	73	449
﴿وإن يمسك الله﴾	الأنعام	17	518
﴿وقطعناهم في الأرض﴾	الأعراف	168	107
﴿يأخذون عرض هذا الأدنى...﴾	الأعراف	169	121
﴿وممن خلقنا أمة﴾	الأعراف	181	167
﴿إن الذين اتقوا ...﴾	الأعراف	201	218
﴿إما ينزغنك من ...﴾	الأعراف	200	219
﴿فلا يؤمن من مكر الله...﴾	الأعراف	99	229
﴿قل من حرم زينة الله﴾	الأعراف	32	242
﴿يا بني آدم قد أنزلنا ...﴾	الأعراف	26	353
﴿خذوا زينتكم﴾	الأعراف	31	358
﴿ادعو ربكم تضرعا ...﴾	الأعراف	55	419
﴿واذكر ربك في نفسك﴾	الأعراف	205	403
﴿ربي أرني أنظر إليك﴾	الأعراف	143	413
﴿إنه لا يحب المعتدين﴾	الأعراف	55	425

﴿ألا إن أولياء الله...﴾	يونس	63-62	222-214
﴿للذين أحسنوا الحسنى...﴾	يونس	26	222
﴿إن الذين حقت عليهم﴾	يونس	96-95	295
﴿لهم البشرى...﴾	يونس	64	469
﴿يوت كل ذي فضل...﴾	هود	3	83
﴿وكل نقص عليك...﴾	هود	120	290
﴿وكذلك أخذ ربك إذا...﴾	هود	102	449
﴿وكل نقص عليك...﴾	هود	120	290
﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾	يوسف	76	83
﴿وكأين من آية...﴾	يوسف	105	241
﴿رب قد اتيتني من الملك﴾	يوسف	101	452
﴿وكانوا فيه﴾	يوسف	20	574
﴿حتى إذا استيأس...﴾	يوسف	110	454
﴿سواء منكم من أسر﴾	الرعد	10	396
﴿ربنا اغفر لي...﴾	ابراهيم	41	426

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿فخلق من بعدهم خلف . . .﴾	مـريم	59	160
﴿وهزي إليك بجذع . . .﴾	مـريم	25	267
﴿ربِّ إني وهن العظم . . .﴾	مـريم	4	267
﴿واذكر في الكتاب مريم . . .﴾	مـريم	-17-16 18	267
﴿فأرسلنا إليها﴾	مـريم	17	267
﴿وهزي إليك﴾	مـريم	8	254
﴿إني أعوذ﴾	مـريم	18	268
﴿يا ليتني مت . . .﴾	مـريم	23	268
﴿ألاّ تحزني﴾	مـريم	24	268
﴿سيجعل لهم الرحمن﴾	مـريم	96	116
﴿انني معكما أسمع وأرى﴾	طـه	46	198
﴿على العرش استوى﴾	طـه	5	203
﴿وما تلك بيمينك﴾	طـه	18-17	378
﴿يتخافتون بينهم﴾	طـه	103	401
﴿ولا تَنيا في ذكري﴾	طـه	42	437

﴿لا تجعلوا دعاء﴾	النور	63	535
﴿وأقيموا الصلاة﴾	النور	56	632
﴿ليتني لم اتخذ﴾	الفرقان	28	118
﴿وعباد الرحمن﴾	الفرقان	63	233
﴿وسلام على عباده...﴾	النمل	59	220
﴿تلك الدار الآخرة...﴾	القصص	83	122
﴿وجعلناهم ائمة...﴾	القصص	28	393
﴿ومن جاهد فإنما...﴾	العنكبوت	6	187
﴿لا تبديل لخلق الله...﴾	الروم	30	503
﴿وأسبغ عليكم نعمه...﴾	لقمان	20	116
﴿واتبع سبيل...﴾	الأحزاب	15	185
﴿وداعيا إلى الله...﴾	الأحزاب	46	204
﴿يا نساء النبي...﴾	الأحزاب	30	213
﴿وكان أمر الله...﴾	الأحزاب	38	216
﴿ادعوهم لآبائهم...﴾	الأحزاب	5	299

﴿ يا أيها النبي قل . . . ﴾	الأحـزاب	59	352
﴿ إنما يريد الله . . . ﴾	الأحـزاب	33	360
﴿ إذا لقيتم فئة . . . ﴾	الأحـزاب	41	407
﴿ ذلكم أطهر . . . ﴾	الأحـزاب	53	508
﴿ فلا تخضعن . . . ﴾	الأحـزاب	32	508
﴿ لا تدخلوا بيوت . . . . ﴾	الأحـزاب	53	508
﴿ رجال صدقوا . . . ﴾	الأحـزاب	23	510
﴿ يا جبال أوبي ﴾	سـبأ	10	412
﴿ الفتاح العليم ﴾	سـبأ	26	458
﴿ وما يخرج منها ﴾	سـبأ	2	455
﴿ إليه يصعد الكلم . . . ﴾	فـاطر	10	120
﴿ ثم أورثنا الكتاب . . . ﴾	فـاطر	32	216
﴿ فمنهم ظالم . . . ﴾	فـاطر	32	220
﴿ إنما يخشى الله . . . ﴾	فـاطر	28	230
﴿ ما يفتح الله ﴾	فـاطر	2	451

﴿إنا نحن نحيي الموتى...﴾	يسن	12	393
﴿أن يا إبراهيم قد صدقت...﴾	الصـفات	105-104	485
﴿أن أمشوا واصبروا...﴾	ص	6	179
﴿ادعوني استجب لكم...﴾	غافر	60	444
﴿ادفع بالتي هي أحسن...﴾	فصلت	34	141
﴿ومن أحسن قولا...﴾	فصلت	33	167
﴿شرع لكم من الدين...﴾	الشورى	13	104
﴿سبحان الذي سخر...﴾	الزخرف	14-13	409
﴿وإذا لم يهتدوا...﴾	الأحقاف	11	352
﴿فهل عسيتم أن توليتم﴾	محمد	22	107
﴿يوتكم اجوركم...﴾	محمد	36	180
﴿واستغفر لذنبك...﴾	محمد	19	426
﴿ومن نكث فإنها...﴾	الفتح	10	187
﴿سيماهم في وجوههم﴾	الفتح	29	234
﴿محلقين﴾	الفتح	221	383

﴿واعلموا أن فيكم...﴾	الحجرات	7	90
﴿وكره إليكم الكفر...﴾	الحجرات	7	215
﴿إنما المومنون إخوة﴾	الحجرات	10	299
﴿فضلا من الله ونعمة...﴾	الحجرات	8	351
﴿لا ترفعوا أصواتكم...﴾	الحجرات	2	396
﴿أو ألقى السمع...﴾	ق	37	643
﴿وذكر فإن الذكرى ...﴾	الذاريات	55	99
﴿وفي السماء رزقكم﴾	الذاريات	22	523
﴿والذين آمنوا...﴾	الطور	21	300
﴿واصبر لحكم ربك﴾	الطور	48	560
﴿ليجزي الذين أساؤوا...﴾	النجم	32-31	222
﴿إن ربك واسع المغفرة..﴾	النجم	32	223
﴿فبأي آلاء ربك...﴾	النجم	55	295
﴿يعرضوا ويقولوا سحر...﴾	القمر	4-3-2	242
﴿ما فيه مزدجر...﴾	القمر	5-4	242

﴿مهطعين إلى الداع...﴾	القمر	8	419
﴿هو كل يوم في شأن﴾	الرحمن	29	460
﴿تنزيل من رب العالمين...﴾	الواقعة	80	203
﴿إن الفضل...﴾	الحديد	29	592
﴿ولا أدنى من ذلك...﴾	المجادلة	7	199
﴿تحسبهم جميعا...﴾	الحشر	14	108
﴿ويوثرون على أنفسهم﴾	الحشر	9	485
﴿عسى الله أن يجعل بينكم﴾	الممتحنة	7	130
﴿قد كانت لكم إسوة﴾	الممتحنة	4	485
﴿ولله خزائن السماوات...﴾	المنافقون	8	554
﴿لا إله إلا الله وحده...﴾	التغابن	64	479
﴿وأسروا قولكم...﴾	الملك	13	396
﴿وهو على كل...﴾	الملك	67	411
﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾	نوح	38	426
﴿إن لك في النهار﴾	المزمل	7	375

﴿يُنبأ الإنسان يومئذ﴾	القيامة	13	393
﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾	البينة	4	104
﴿إذا جاء نصر الله...﴾	النصر	2-1	125
﴿قل هو الله أحد﴾	الإخلاص	1	433
﴿والضحى﴾	الضحى	2-1	428

فهرس الأحاديث

فهرس الأمثال والحكم

فهرس أسماء الكتب

العتبية	647-631
سنن الترمذي	763-113
فوائد أبي صخر	638
الكتاب والسنة	649
المدونة	499
حقائق السلمي	477
منهاج العابدين	477

فهرس القوافي

الطويل			
ملجأ	66	عالم	139
البصر	71	السرائر	139
لراغب	71	سامع	142
ظافر	83	أصون	143
مبلد	116	الكرم	145
نثني	117	فعزت	150
مقيما	117	للعبد	151
استماعها	118	سخاؤه	152
اجتهاده	122	أعظم	135
زاجر	125	زوالها	154
قريب	132	الصبر	155

جاهل	133	شرف	156
الفوائد	134	اكتسابها	157
الحقائق	138	عمد	179
المظلم	186	لعجيب	180
الرحب	224	تهتد	185
سكب	238	الري	390
الرمد	250	هند	406
الكشف	258	المتنصح	407
التباعد	261	سبكه	430
فسد	301	المساعد	478
صدري	311	يكبرا	481
فناء	326	السرائر	482
مرادي	336	فقر	485
قلبي	337	الخطب	518
الكلب	347	بعد	506
تبرى	353	الجهل	514
تبرأ	362	لبخيل	515
لقيا	379	قاتله	515
كبر	378	أحجها	517

<table>
<tr><td>رشد</td><td>134</td><td>مكبول</td><td>260</td></tr>
<tr><td>الورع</td><td>135</td><td>البريات</td><td>278</td></tr>
<tr><td>أثمان</td><td>136</td><td>جهلوا</td><td>278</td></tr>
<tr><td>لأقوام</td><td>141</td><td>أم</td><td>309</td></tr>
<tr><td>الكرم</td><td>146</td><td>تخليل</td><td>360</td></tr>
<tr><td>حمف</td><td>363</td><td>ترجيل</td><td>383</td></tr>
<tr><td colspan="2">خسران</td><td colspan="2">160</td></tr>
<tr><td colspan="2">بانوا</td><td colspan="2">170</td></tr>
<tr><td colspan="2">البوس</td><td colspan="2">407</td></tr>
<tr><td colspan="2">صاحبه</td><td colspan="2">410</td></tr>
<tr><td colspan="2">يكفيه</td><td colspan="2">416</td></tr>
<tr><td colspan="2">مصابيح</td><td colspan="2">524</td></tr>
<tr><td colspan="2">يرزقه</td><td colspan="2">514</td></tr>
<tr><td colspan="2">الدنيا</td><td colspan="2">650</td></tr>
<tr><td colspan="4">مجزوء البسيط</td></tr>
<tr><td colspan="2">زرعوا</td><td colspan="2">195</td></tr>
</table>

مخلع البسيط	
البحور	312

الوافر			
السقيم	67	ركوع	230
بالعقول	66	يستبين	245
فطاب	70	الزلال	352
استطاعا	117	السبيل	374
قال	128	الدعاء	426
مشيت	128	جي	496
ضنينا	137	بدائي	519
وأجمل		مرادي	
ارتفاع	156		
التمام	214		

الكامل			
أيهما	70	يسبق	196
منكر	87	لبخيل	201
الوامق	102	مغلق	255
موكل	130	تمنع	261
تنفق	130	أنوار	273

تفقد	140	عمود	
نزوع	144	أسرارها	302
فيكمل	153	لا يخدع	363
أعلامهم	154	أمامها	
يسمع	154	الإقصاء	416
مسئولا	157	كله	426
الادفان	177	يرحل	438
بابكا	556	الأولاد	577
الخفيف			
الهيوب	84	شاكر	210
السؤال	147	مرادي	224
الرحيم	152	مستريحا	377
الضلال	395	يقبلوني	528
المغيب		186	
المتقارب			
ادمانها	91	سري	473

يعجبك	131	بها	538
السريع			
الحزم	85	مسعد	269
الغنى	134	الواعظينا	461
الرمل			
وأشر	122		
تسر	128		
المرسل			
المنفعة	156		
الزجر			
يصعد	183	الفطينا	487

فهرس الأعلام

ابن العربي		أبو الحسن علي	-100-81 272
الأصمعي	243	أبو محمد عبد الحق	-309-104 353-351
ابن أبي شيبة	271	أبو عمر يوسف	88
أحمد بن محمد	274-272	أبو سعيد الخدري	90
أحمد بن كادش	371	أبو كريب	82
ابن الزبير	415	أبو الوليد يونس	82
إبراهيم التيمي	417	أبو الحسن علي بن نصر	100
أبو عبيدة	412	أبو القاسم عبد الله بن محمد	302-100
أم زيد	428	أبو الحسن عبد الغافر	100
ابن نصير	304	أبو احمد محمد بن عيسى	100
اسماعيل بن علي	429	أبو اسحاق ابراهيم بن محمد	310
إبراهيم الخواص	434	أبو عمر صالح بن كيسان	101

أبو العباس	527-518	أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام	259
أبو معاوية	193	أبو بكر محمد البغدادي	271
أبو مدين	-257-200 334	أبو بكر الصديق	-401-273-285 562-486
أبو عمرو	218	أبو الفوارس الطراد	272
أبو بكر بن أبي الدنيا	283	أبو الفتح هلال	272
أبو القاسم	-195-84 -368-221 601	أبو سلمة	272
أبو القاسم بن على	370-291	أبو البركات اسماعيل	273-272
أبو القاسم عبد الكريم	292	أبو عبد الرحمان السلمي	195
أبو جعفر الخطاب	293	أبو عبد الله محمد بن صالح	302-88
أبو عمر الزجاج	294	أبو الحسن علي بن عبد الله	291-88

أبو زيد عبد الرحمن	302-559- 588	أبو ذر بن احمد الهروي	565-279
أبو الربيع سليمان	315-302	أبو بكر بن شاذان	279
أبو بحر سفيان	279	أبو سعيد بن جبارة	332
أبو محمد عبد الحي	104	أبو طالب اللخمي	332
أبو موسى	397-355	أبو العباس احمد السلمي	332
أبو عبد الله السامي	333	أبو عبد الله الكركي	333
أبو محمد الكرخي	333	أبو محمد عبد الرزاق	333
أبو حامد الغزالي	334-173- 434-431- 512	أبو محمد المغراوي	333
أبو الحسن البصري	336	أبو عبد الله السلاوي	333
أبو سعيد الدكالي	336	أبو عثمان النهدي	357
أبو خالد جعفر	366	أبو القاسم خلف	365
أبو عمر الأصطخري	367	أبو محمد عبد الله	617-365

أبو عبد الله محمد	271-100	أبو بكر محمد	366
أبو عبد الله بن سلمان	367	أبو محمد الحسين	366
أبو محمد بن حنة	367	أبو عيد الله بن حفيف	366
أبو هشام العلوي	368	أبو القاسم القيسي	421
أبو القاسم الطبراني	368	أبو در الهروي	421
أبو عبد الله السميري	368	أبو منصور	421
أبو القاسم بن عبد الرحمن	368	أبو الفضل الجوهري	431
أبو يعقوب الطبراني	368	ابن الزبير	415
أبو يعقوب النهرجوري	368	أبو عبيد البسري	433
أبو ابركات	272	أبو تميم المغربي	437
أبو الفضائل	273	أبو زيد	501
أبو نصر السراج	372-100	أبو مروان	3
أبو طالب	648	أبو عبد الله بن ياسين	502

أبو عبد الله محمد	-313-102 -536-331 537	أبو محمد الركراكي	501
أبو معيد	415	أبو يعقوب يوسف	316
أبو الحسن علي	-309-88 -371-334 421	أبو حفص عمر	371
أبو محمد عبد الحق	421-88	أبو الربيع سليمان	-518-491 582
أبو بحر سفيان	565	أبو داود	102
أبو بكر الأجوري	471	أبو حنيفة	497
أبو يعقوب الصنهاجي	585-477	أبو بكر الحداد	506
أبو الربيع سليمان	-478-199 592	أبو زكرياء يحيى	496-99-80
أبو زكرياء	533	أبو إسحاق إبراهيم	366
أبو علي الصنهاجي	325	أبو محمد عبد الواحد	502-491
أبو عبد الله محمد بن ياسين	551	أبو علي عمر	560
أبو زيد عبد الرحمن	-316-302 571-537	أبو الربيع القيرواني	627
أبو عبد الرحمن الضرير	563	أبو عبد الله بن كلدس	630

أبو أيوب سليمان	565	أبو زيد	471
أبو عبيد	-424-412 561-431	أبو الحسن بن صخر	386
أبو الحسن علي	-100-81 -565-421 609	أبو داود الطيالسي	642
أبو بحر سفيان	421-309	البوصيري	-334-114 660
أبو العباس احمد	368	بيدار	321-317
أبو حازم	565	برة	383
أبو موسى عاصم	571	أبو إسحاق إبراهيم	-366-100 540-538
أبو يعقوب يوسف	537-501	أبو العباس الدكالي	581
أبو عمران الهرزجي		562	
التعالبي	498-355	حويطب	516
الترمذي	641	حمير	577
تبع	577	جعفر بن محمد	235-82
الجنيد	-293-192-181 -371-368-294 478	خلف بن سعد	89

الكلبي	224-218	محمد بن عبد الله الشافعي	630
الليث	431	محمد الأنصاري	-274-100 565
العلاء ين عبد الرحمن	243-167	المقداد بن الأسود	284
محمد النبي	-105-65 -258-220 -269-259 -294-291 471-418	محمد بن صالح الكناني	-309-88 565
مندل بن علي	83	محمد بن عيسى	316-310
مسلم بن الحجاج	-401-110 -415-408 422	معاوية	313
موسى بن معاوية	103	موسى بن زيد	367
محمد بن كعب	574	مروان الدمياطي	368
المزتي	108	محمد بن عثمان	368-332
مجاهد	-218-108 -353-234 386-358	معروف الكرخي	370-335
مالك	-111-110 -132-118 486-310	موسى الكادم	370
محمد بن أسم الطوسي	499	محمد الباقي	370

فهرس أسماء الجماعات والطوائف

الفقراء	-200-67 -317-315 -331-321 -347-333 -572-571 583	الحجاج	-491-119 572
الغرباء	319	الحكماء	-132-130 576
الفقهاء	-498-491 533	خواص المريدين	109
قريش	-303-302 304	قبيل بني يعز	325
فضلاء العصر	514-506	المسلمون	486
القبائل	303	المؤمنون	576-350
هسكورة	307-304	النصارى	108

فهرس أسماء الأماكن

البلد	322-316	الرباط	-537-418 572-571
البلاد	581-245	المغرب	-303-87 -331-320 -491-334 542-537
بلاد المشرق	-477-268-267 602-595-559	مكة	401-284
بلاد تجيرماط	477	المدينة	282-274
زاوية	563	المهدية	619
سبتة	503	مدين	548-338
سجلماسة	-318-315-199 594-477-381	مديونة	560
الشام	602-542-536	موسم شاكر	527
العراق	630	نهاوند	281
فاس	326	واد دادس	317
القبر	277	واد نفيس	322
القاهرة	533-336	واد سوس	540
مراكش	-539-536-322 559	الوادي	-269-268 317-316
المسجد	527-525-282	ورزازات	316
نيسابور	573	سمرقند	573

المصطلحات الصوفية الواردة في النص والتي تم شرحها

الأحوال	115	الشاشية	347
أهل الصفة	356	الصحبة	313
البدلاء	313	الطائفة	119
البصيرة	604	الطريقة	334-333-261
التوكل	511	العبودية	114
التسبيح	491	الغزلة	127
الحجاب	227	الفراسة	591
الحرية	144	القطب	197
الخواطر	443	الكرامة	269-261-68-66
الخلوة	242	الكشف	255-180
الخوف	227	الكيمياء	503

الذكر	404-412	المرقعة	352-348
الرباط	323-322	المريد	180-119
الرؤيا	469	المقام	164
الركوة	351	المقامات	270
السبحة	375-347	النور	223
الشطح	523	الشيخ	87

فهرس الموضوعات